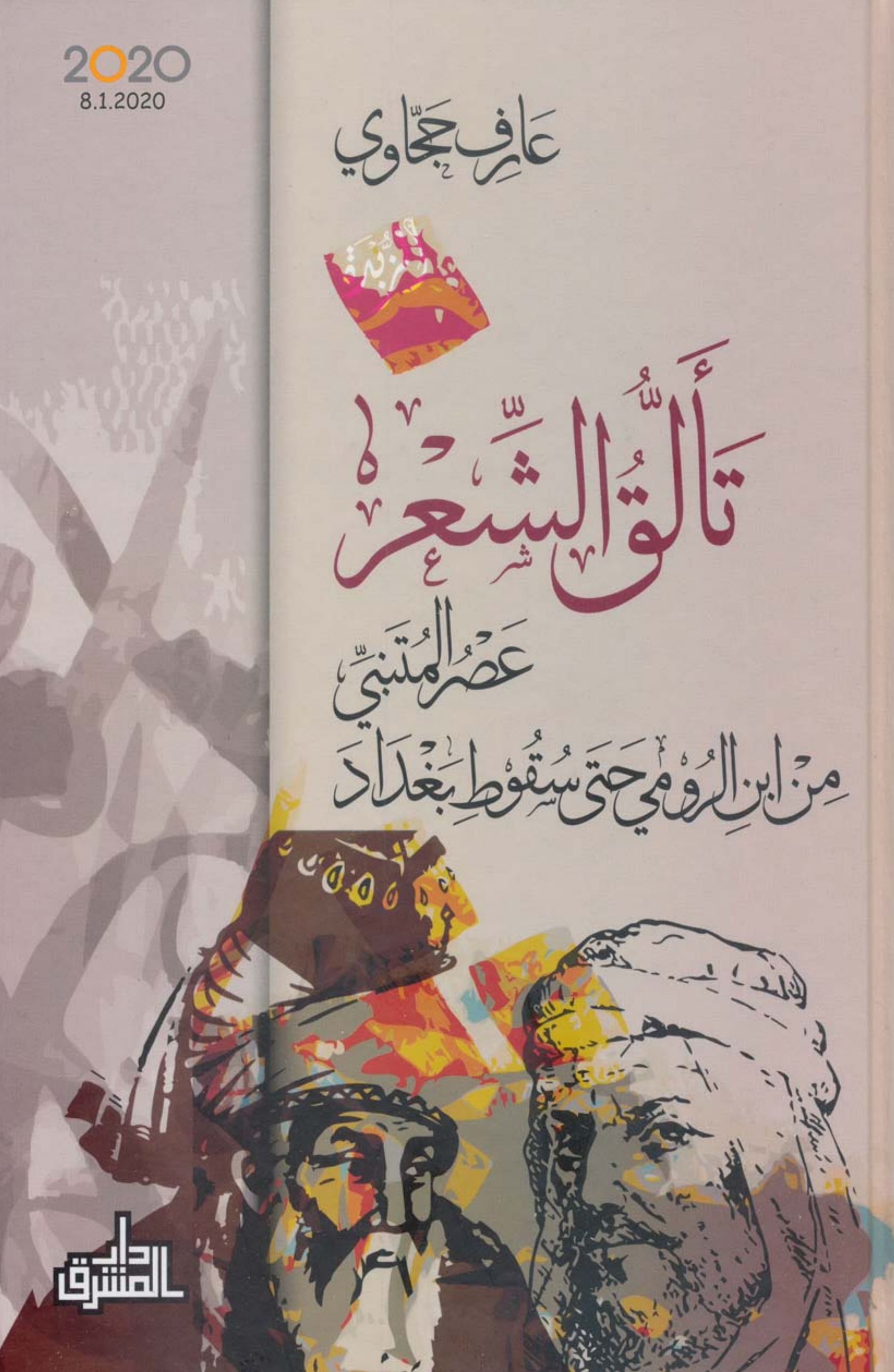

2020
8.1.2020
عارف حجاوي
تألُّق الشِّعر
عصر المتنبّي
من ابن الرومي حتى سقوط بغداد
دار المشرق

تألُّق الشعر

عصر المتنبي.. من ابن الرومي حتى سقوط بغداد

عارف حجاوي



تألُّق الشعر

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

تألُّق الشعر: عصر المتنبي.. من ابن الرومي حتى سقوط بغداد/عارف حجاوي.

٨١٥ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٧

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

مقدمة

في هذا الكتاب ـ ضمن سلسلة الزبدة ـ يصل الشعر العربي إلى الذروة، وفيه يسترخي، فليس بعد بلوغ القمة إلا بدء الهبوط من الجانب الآخر.

يتوهج ابن الرومي، فإذا اكتهل سمع تشبيهات الأمير الشاب ابن المعتز، ويموت ابن الرومي قتيل طول لسانه، وبعده بسنوات قلائل يموت ابن المعتز قتيل طموحه. ثم تمضي سبع سنين ويولد المتنبي ويعيش نصف قرن، وفي كهولته يلمع نجم الأمير الشاب أبي فراس. يموت المتنبي قتيل طول لسانه، وبعده بثلاث سنوات يموت أبو فراس قتيل طموحه. وتمضي ست سنين ويولد المعري. وكان يجب أن يموت قتيل جرأته، لكنه عُمِّر إلى ما بعد الثمانين ومات على فراشه. وسننتظر مئة وثلاثين سنة لنشهد مولد البهاء زهير الذي مات شيخاً بالطاعون.

يبدأ الكتاب بابن الرومي، الشاعر الذي لزم مدينته بغداد لا يكاد يغادرها. كانت بغداد عاصمة الدنيا. ويصدق في تلك البغداد قول صمويل جونسون في لندن «إن مللت لندن فقد مللت الحياة، فلا شيء يمكن للحياة أن تعطيكه إلا وهو في لندن». وقد هضم ابن الرومي شعر عصره وكل عصر سبق عصره، وكان رجل لغة وثقافة وفكر وقلق. كان ابن مدينة، وابن العاصمة بالتحديد. وأخرج لنا شعره من قلب القلق والثقافة لا من قلب العذابات الرومنسية، فكان شاعر الفكرة والصناعة. وكان صاحب مزاج حاد، وأنفة شديدة. وكان من الطبقة الوسطى التي يتميز أبناؤها بالرغبة في البناء وبالحيوية والإيجابية وهم يصعدون السلم الاجتماعي، وبالرغبة في الهدم وبالخمول وبالسلبية وهم يهبطون. وكان ابن الرومي يهبط. امتلأت نفسه بالمرارة، وراح يحارب أي دفقة فرح تلوح في أفقه. وراح يهزأ بالناس وبنفسه، وكان له من خياله الجامح ومرارة قلبه ما يسَّر له أن يترك في ديوان العرب هجاء من أقذع الهجاء.

هذه النفس القلقة المتعالية على الأمراء والوزراء لم تستطع، وربما لم تسع إلى، أن تصل إلى عتبة أي خليفة. وقد رأى القاسم بن عبيد الله الوزير أن هذا الشاعر الذي يغشى مجلسه يكثر من تهديد ممدوحيه الآخرين، وكثيراً ما يُعقِب تهديده بهجاء يتندر به الناس في بغداد وغير بغداد، فتحسَّب منه.

ثم إن ابن الرومي هدد القاسم تهديداً خفيفاً، فأرسله إلى حتفه بخُشكنانجة (بسكوتة) مسمومة وللشاعر من العمر اثنتان وستون سنة.

عاصر ابنَ الرومي شاعرٌ أصغر منه بخمس وعشرين سنة، تربى في حضن أبيه الخليفة. هذا ابن المعتز. تقلبت الدنيا عليه في يفاعته ثم في شبابه، وابتعدت الخلافة عنه، ولكنه ظل يشزُرُها ويتمناها. غير أنه ولد شاعراً، وكان دارساً للشعر وللبلاغة، فقال أشعاراً حلوة، وعاش خمسين سنة قلقة، مر به فيها خمسة خلفاء، كل واحد منهم كان ينظر إليه نظرة توجس. ثم ابتسم الزمان له فصار خليفة في انقلاب. ثم حدث انقلاب مضاد مفاجئ بعد يوم وليلة، فضاعت الخلافة وضاع شاعرنا خنيقَ طموح خفي ظل يكتمه طول عمره.

بعد خنق ابن المعتز ببضع سنين ولد المتنبي. عدنا ثالثةً إلى القلق. إلى أعظم القلق. ولم يكن المتنبي ابن مدينة حقاً فقد شردته الكوفة إلى الصحراء فتى صغيراً؛ ولم يكن ابن ملك، بل يغلب الظن أنه ابن تاجر مياه من شريحة غير عالية في الطبقة الوسطى. وركَّب الله في المتنبي طموحاً، وركب فيه حمقاً يلائم الشعر. فإن كنت تبتغي شعراً عاقلاً فعليك بالقاضي الجرجاني وبالفقهاء الذين كانوا يتدفقون بشعر مصنوع تطل فيه الحياة برأسها في الشطر الأول وتموت في الثاني.

حقق المتنبي شهرة معقولة في صباه، ثم بسرعة طارت شهرته وأصبح أهم شاعر عربي، وعرف ذلك. لكنه طَموح.. أراد أن يصبح والياً. كان كالموظف الذي قضى عمره موظفاً، وقضى عمره يحلم بالأعمال الحرة، ومات موظفاً. قضى المتنبي سنوات حياته الخمسين يسعى لتحقيق «الاستقلال»، يريد أن يكون له مجلس يسلِّم فيه الناس عليه بأيها الأمير، وظل هذا حلماً. لقد تاق أبو تمام قبل بضع عشرات من السنين إلى بعض الراحة، ولم يكن شديد الطلب لمنصب، فنال منصب بريد الموصل ومات عليه؛ وقبله ببضع عقود تاق مسلم بن الوليد إلى بعض الراحة، وبكل يسر نال منصباً في جرجان، ومات عليه. ولكن المتنبي كان شعلة قلق وطموح، وكان أبلغ ما ناله من أمراء زمنه ضيعة صغيرة

قرب حلب أقطعه إياها سيف الدولة، لكنه هجرها ورحل بلا إذن، وذهب إلى خصم سيف الدولة. ذهب إلى مصر فمدح صاحبها وطلب منه ولاية فخيب أمله، فرحل وهجاه.

قضى المتنبي الخمسين سنة التي هي حياته قلقاً. لعله لو عاش عشر سنوات أخرى كان نال منصباً، أو كان بنى داراً كبيرة في الكوفة يعقد فيها مجلساً. لكن فاتكاً الأسدي عاجله بالسيف.

وقد عاصر المتنبي شاعرٌ أصغر منه بعشرين سنة. التقيا في بلاط سيف الدولة: رجلاً في الأربعين تتسامع الدنيا بشعره، وشاباً في العشرين يقول أبياتاً حلوة ويجد تشجيعاً من كبير النحاة في البلاط: ابن خالويه. وكان الشاعر الشاب أميراً. كان ابن عم سيف الدولة لحاً. هو أبو فراس الحمداني. تأثر بالمتنبي، لكنه كان شاعراً حقاً. قال بعض أشعار الفخر على الطريقة المتنبئية مع اختلاف في المعاني، فأبو فراس أمير ابن أمير، وأبوه وأعمامه أعادوا الخليفة إلى بغداد، وحكموا قطعة كبيرة من الدولة العباسية حكماً مستقلاً تمام الاستقلال، ولهم في حلب دولة وفي الموصل دولة.

ونكب أبو فراس نكبة لولا هي لما سمعنا به بأكثر مما سمعنا بالشاعر أبي العباس النامي. لقد أسره الروم، وبقي في أسرهم بضع سنين. فتفجر نبع الشعر. وقال أبو فراس «أراك عصي الدمع»، وقال غيرها شعراً كثيراً من أحلى الشعر. والآن حان الوقت لكي نقتله. لقد قتله طموحه.. فبعد أن افتُدي أبو فراس من الأسر مات أمير حلب سيف الدولة وتولى الحكم ابنه. وحاول شاعرنا وهو في السابعة والثلاثين من العمر أن يستقل بحمص، فكان في تلك المحاولة مقتله.

قد روينا في أبواب هذا الكتاب قصص حياة شعرائنا بشيء من التفصيل، فنكتفي هنا باللمحات.

بعد موت أبي فراس بست سنين، ولد في بلدة بين حلب وحمص أبو العلاء المعري. فتح عينيه في بيت علم وقضاء، ثم أغمضهما إلى الأبد وهو في الرابعة من العمر ليصبح أشهر أعمى في تاريخ العرب. أحب أبو العلاء المتنبي وعرف قيمته كما لم يعرفها أحد. ففي زمنه، وهو قد ولد بعد مقتل المتنبي بتسع سنين، كان حجاب المعاصَرة يستر عن بعض الناس، بعض الستر، روعة شعر المتنبي. فترى المتأدب منهم ينقب عن المعايب في شعر المتنبي ويتعقبه

بالنقد قايساً شعره بشعر القدماء. ولا كذلك أبو العلاء. كان له من سلامة الذوق ما جعله يطرب للمتنبي ويحفظ شعره. وسيعيش أبو العلاء ستاً وثمانين سنة، ولن نتمكن من قتله. سيموت على فراشه رغم أنه قال أشياء من شأنها أن تقتل عشرة شعراء. لقد شتم الدنيا والناس، غير أنه لم يسم المشتومين بأعيانهم، وتعرض للعقائد في مئات الأبيات، ولكنه نجا ببركة العمى أو ببركة عدم وجود قوة سياسية ثابتة في منطقته التي كان يتعاورها الفاطميون والحمدانيون ثم المرداسيون. ولم يكن أبو العلاء شاعراً فحسب. لقد تأنق في رسائله وكتبه النثرية، وكان يبارز في شعره ونثره أهل اللغة، ويجتهد أن يورد عليهم من عويصها ما يعجزهم. وقد أقروا له بالتفوق. ومثلما خطر ببال ملتون الإنجليزي أن يكتب ملحمة شعرية عن الدين في أحد عشر ألف بيت سماها الفردوس المفقود، خطر لأبي العلاء أن يكتب ملحمة شعرية عن الدين والدنيا في أحد عشر ألف بيت سماها اللزوميات.

روينا لك في بضع عشرات من الصفحات، في هذا الكتاب، قصة حياة أبي العلاء، ولا نزيد. غير أننا نحدثك قليلاً عن شعره. ونحن، بعد، في مقام شعر لا نثر. لقد أمسك أبو العلاء بطرف خيط تركه أبو العتاهية قبل مئتي سنة. ولئن كان شعر أبي العتاهية الزهدي كالماء العذب الذي تشربه فلا تحس أنك شربت شيئا، غير أنك ترتوي؛ فإن شعر أبي العلاء كان كجدول اللوغاريتمات تشربه فيثقل على معدتك وعلى رأسك. قد عاش أبو العلاء أوائل زمن اللعب باللغة، فلعب وأسرف. فلماذا إذن أوردنا عليك عشرات الصفحات من أشعاره؟ لأنه شاعر كبير. ولأن في شعره قفزات بديعة. حتى وهو يقلد المتنبي جاء بالروائع. أبو العلاء شخصية مستقلة لا تستطيع أن تقلد إلا في نطاق الشكل، ثم تحلق في جوها.

عاصر أبو العلاء شعراء كثراً، وكان المتنبي قد عاصر شعراء كثراً، ولكننا لم نتعرض في ذلك العصر لشعر أولئك الكثر، واكتفينا بالقمم. وأدخلنا أبا فراس بين المتنبي وأبي العلاء لأنه استحق بروميانه أن يدخل. فأما الشريف الرضي فكان شعره مستوياً استواء صدَّنا عنه.

وسنرحل الآن عن أبي العلاء ونقطع مئة وثلاثين عاماً لنصل إلى شاعر كبير آخر.. وأخير في كتابنا. وقبل أن نقطعها رأينا أن نطل على الشعراء الآخرين في ذلك الزمن المتألق إطلالة سريعة، فأخذنا بضع مئات من الأبيات

لبضع عشرات من الشعراء من كتابيْ اليتيمة للثعالبي ودمية القصر للباخرزي.

ثم جئنا إلى هذا الشاعر الكبير، وهو مختلف كثيراً، وما أجدره أن يكونْ، بعد إذ قطعنا إليه مئة وثلاثين عاماً. ذلك هو البهاء زهير. هذا شاعر مصري. ها إن الشعر يرحل من الشام ومن العراق. . إلى مصر. لكن اختلاف البهاء زهير كان في أنه ترك الألاعيب اللغوية، إلا قليلاً، وانصرف إلى وصف الحياة والمجتمع، وإلى التحدث عن مشاعره. وفعل ذلك كله بفصاحة ورسوخ قدم في العربية، وبأرق وأسهل الألفاظ.

طربنا عندما رأيناه يختم عصراً سياسياً. ففي السنة التي مات فيها، ماتت الخلافة العباسية بدخول هولاكو بغداد، وماتت الدولة الأيوبية باستهلال العصر المملوكي. إذن فشاعرنا كان خاتم العصر العباسي كله. وبه يحسن أن نختم. على أننا لم نختر البهاء زهيراً لمجرد قعوده على طريق القافية. وآية ذلك أننا أخذنا له مئات الأبيات، وفرشناه على مساحة كبيرة من كتابنا. ولو كنا اخترناه لمجرد الرغبة في ختم العصر الشعري كي يتزامن مع ختام العصر السياسي لما كنا زدنا على بضع قصائد.

صحبنا البهاء زهير لأنه شاعر كبير. إن كنا وصفنا شعر أبي العتاهية بالماء العذب، فشعر البهاء ماء عذب معطر بالياسمين. هذا شاعر النسيم. تقرأ شعره فتعرف أخلاقه، وتعرف علاقاته وصداقاته، وتراه فصيحاً فصيحاً وسهلاً سهلاً. لو خيروك أن ترافق شاعراً من شعرائنا في الجزيرة النائية فلا نرى لك أن تختار على البهاء أحداً، ففي خلقه سماحة لم نجدها عند شاعر.

كنت قد كتبت وشرحت ابن الرومي والمتنبي قبل بضع سنين، ولعلك تلاحظ أنني في شرحي لهما أتخذ طريقة مختلفة عن شرحي لبقية شعراء هذا الكتاب. على أنني عدت وحررت ما كنت كتبت محاولاً أن يكون الكتاب قماشة واحدة، وهيهات. وستراني في المتنبي أشرح كل بيت لا أغادر صغيرة ولا كبيرة، وستراني في ابن الرومي أتقاعس، وكأنني أخاطب من له بمطالعة الشعر القديم بعض الدربة.

وستراني في مقدمات الأبواب كثير الشكوى من شراح الدواوين الذين يشرحون سهلاً ويهملون صعباً. لا، لم أفعل مثلهم، وقد كنت إذا وقفت ببيت مرتَج قصدت قصداً أن أكتب لك في ذيله أنني ألمح المعنى الفلاني ولكنني غير واثق الثقة كلها. على أنني كنت في هذا الكتاب، وفيما سبقه من هذه السلسلة،

وما سيتبعه ـ فكتابي هذا هو واسطة العقد سبقه كتابان وسيتلوه كتابان ـ صاحب مزاج. لم أكن محققاً شديد التتبع، ولا أكاديمياً من أولئك النفر الذين أناخوا على صدر الثقافة الأدبية وآذونا برُغائهم.

كلام آخر

أعبُر، وأنا أضع اللمسات النهائية على هذا الكتاب، مَخاضةَ مراجعة فكرية انتمائية موحلة.

أنت لا تقعد في المقعد الانتمائي الذي تختاره. أنت لا تختار لغتك ولا لهجتك، ولا معتقداتك، ولا المآكل التي تحبها. الآخرون يختارون لك.

رجعت من سكوتلندة قبل شهرين بحمل ثقيل من الكتب الاستراتيجية، جلها صادر في العام الحالي ٢٠١٦، أو الذي قبله. وكلها، ورغم الربيع العربي، يضعنا في «العالم الإسلامي». وجل هذه الكتب يشيد بتاريخنا الإسلامي المجيد. وكلها يوحي إليك أن العالم العربي، في الحاضر، فضلة.. زائدة دودية في الكرة الأرضية.

وتفكرت في شيء قاله رجل أجبرني الزمن على أن أعرفه وعلى أن أكون قريباً منه، وعلى أن أشقى كثيراً، وأنتفع قليلاً، بعلاقتي به. دخل حياتي كنيزك سقط في حديقة جاري، روعتني جلافته ولـمَّا يؤذني أقل أذى. ولئن كان النيزك يستقر في مكانه بريئاً بعد إذ يخرب ما يخرب، فإن صاحبنا أخذ يحتك بي. وطال أمد العلاقة. هو يعصف عصفاً، وأنا أتحاشى أذاه ما وسعني. أتأمله.. أراه قد صعر خده وملأ فمه بالهواء فانتفخت وجنتاه، وأراه وضع في عينيه تحديقة وقحة، أراه أشدق أحمق فاتكاً فتكَ أذى، لا فتك روبن هود ولا فتك عروة بن الورد، ثم قد يعصف به موقف من المواقف ـ وقال المثل القديم «إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً» ـ فيستكين استكانة ولد فوجئ ويده في علبة الحلوى، ثم يقفز قفزة حمقى فيتصدى ويكابر، ويغير أقوالاً قالها. هو نفاج يفاخر طولاً وعرضاً، ويعد ويخلف، وما أكثر ما يعد على غير نية الوفاء. خير كلمة تصفه أنه مثل حادث السير.. يعيش أصحابه معه عيشة السائقين الذين يقضون عمرهم ولا همَّ لهم إلا تجنب الارتطام. وقد يرتطمون. هذا الصاحب يقعد مع ثلة من أنصار الاشتراكية فيتغنى بالعدالة الاجتماعية، ويصخب عليهم ويعربد ويسرق الجلسة فكأنما يقول لهم: بل أنا أبو اليسار، ويقعد مع القوميين

فيتغنى بالعروبة، ويقعد مع جماعة الإسلام السياسي فلا تراه يتكلم إلا عن «الأمة»، ولا يكاد يسمح لهم بالكلام، فإن قال قائل من جلسائه في أي مجلس فكرة طريفة أنصت صاحبنا هنيهة، ثم انطلق متشدقاً يُلبس تلك الفكرة ثوباً من الثرثرة، وينتهي به الأمر سارقاً لها. وقد أدمن مجالسة أهل الإسلام السياسي لأن الأمر كان لهم في ذلك الزمان والمكان، فطال تشدقه بفتات الأفكار التي تنتهي إلى تمجيد الأمة. ويترك كلمة «الأمة» غارقة وسط ضباب كثيف من عباراته المنمقة، فلا تعرف أي أمة هي.

هذا الرجل قال، فض فوه، إن الأمة في عرفانه هي الأمة العربية الإسلامية. سمعتها منه، وقلت في سري: قد نطق أخيراً، وليته ما نطق. فمنذ عهد اليفاعة وأنا أسمعهم يقولون الأمة العربية الإسلامية.

غير أنني كنت في مخاضة فكرية. فوقعت هذه العبارة من ذهني موقعاً لم تكن تقعه في المرات الكثيرة السابقة. وشكرت لصاحبي المتشدق، الذي هو كالدمل أحمله في «رقعة من جلدي» قَوْلة بشار بن برد، أن ذكَّرني بما نسيت.

وأزعم أنني صرت أشبهه بعض الشبه في الأوان الأخير. ليس في فتكه ولا في عرامته، ولا في الأذى الذي يحيط بشخصه إحاطة الشذى بعقد الياسمين، أو إحاطة القذى بعين أرمد صحا من نومة طويلة.

صرت أشبهه في أنني أنتمي إلى الإسلام وأنتمي إلى العروبة معاً. وعروبتي عروبة اللسان، لا الدم. ولعلي أن أشبه نفسي بقرص التهديف الذي يستعملونه في الرماية. فنقطة الوسط في قرصي هي بلدي فلسطين. ولم أكن عرفت كلمة فلسطين حتى بلغت الحادية عشرة. ليس أنني نشأت في الشتات، فإنني نشأت في نابلس بفلسطين. ولكنني حتى تلك السن كنت أعيش في كنف الدولة الأردنية، وكان حراماً في مناهج الدراسة أن نعرِف أننا فلسطينيون، وكنا ننشد كل صباح «عاش المليك سامياً مقامه»، وندخل غرف الدرس ولا ذكر فيها لفلسطين. ولم يكن بيتنا قد تأثر بنكبات فلسطين تأثراً مباشراً، فلم يصلني من الثقافة السياسية في جو البيت شيء، إلا أننا ككل العرب كنا نحب جمال عبد الناصر. وأذكر جيداً في تلك الحقبة أنني كنت متحمساً ـ ربما بتأثير «صوت العرب» إذاعة القومية العربية وذراع عبد الناصر الإعلامية الممدودة إلى العالم العربي ـ لتحرير اليمن الجنوبي من قبضة الاستعمار البريطاني أكثر من حماستي لتحرير فلسطين.

ثم تمدد الظل الأسود للحلم اليهودي ليشمل مدينتي، وليستكمل احتلال فلسطين كلها، فصرت فلسطينياً رغم أنفي. لم تتغلغل فلسطين في أعماقي تغلغلها في نفوس من أصابتهم النكبة إصابة مباشرة. لكنني أصبحت لا أغفر لفلسطيني أن ينسلخ عن قضيته. وضعت فلسطين في عقلي، المسألة بالنسبة إلي أصبحت مسألة رجل أصابت رصاصةٌ أخاه، فهو لا يتركه.

تلك نقطة القلب، تلك أضيق دوائر الانتماء.

ودائرتي الثانية ـ على قرص التهديف، إن كنت ما زلت تذكر التشبيه ـ دائرة العروبة. وهذه الدائرة تتلخص في اللسان، وخير تعبير عن ذلك كلمة قالتها عمة صاحبي الأمية. كانت تسمي الببسي، ذلك المشروب، «دبسي». فالببس ليس موجوداً في عقلها اللغوي، والدبس موجود. ومثل الدبسي المعكرونة، فنحن في بلاد الشام نقحم حرف العين على اسم ذلك الأكل ونعربه تعريباً. العروبة عندي هي اللغة العربية.

أنا في هذه مثل لودفيغ الأول البافاري، الذي تناسى الحدود السياسية وضم في معبد عظماء الألمان «فالهاله» كل من نطق باللسان الألماني حتى لو كان إمبراطورة روسيا كاترينا، أو ملك الفرنجة شارلمان، فالمهم اللسان. وأنا مثل شاعر الإنجليز ووردسورث الذي قال «نعيش أحراراً أو نموت. . كل من نطق بلسان شكسبير»، ومثل تشرشل الذي جعل كتابه الذي أعطوه عليه جائزة نوبل للأدب تاريخاً للشعوب «الناطقة بالإنجليزية». لا غرو فأمه أميركية.

كثيراً ما ينسينا الانكباب على الجانب الاقتصادي، ونحن نبحث العلاقات بين الدول، ذلك الحبل السري الذي يربط بريطانيا بالولايات المتحدة. لم يقطع.

ودائرتي الثالثة هي الإسلام الذي بدأت كلامي بمسألة الانتماء إليه. هذا الانتماء حقيقي. هو انتماء إلى ثقافة عريضة يشاركني فيها المسيحي العربي كل المشاركة، رغم «التطهير الديني» الذي يحدث حدوثاً فادحاً في كثير من بلاد العرب بفعل الانغماس الغربي في المنطقة، وبفعل التشدد الديني. قد أجبرنا الغرب على أن نكون معسكراً إسلامياً حتى يلعب لعبة الحرب على الإرهاب، وأقبلنا على اللعبة بحماسة شديدة. وأراد الغرب ألا يكون هناك شيء اسمه الانتماء العربي، وأراد كثيرون منا ذلك، وراح المتشددون وبعض غير المتشددين يهزأون من «الوطنية» ومن «القومية» ومن «العروبة» ومن «المواطنة»

ومن «الديمقراطية». ولخصوا انتماءهم في كلمة واحدة هي «الأمة». وافهم ما شئت، ولكن الرجوعيين يفهمون من «الأمة» أنها الأمة الإسلامية التي تلغي كل دائرة داخلها. وفي هذا رجوع إلى زمن أيوبي مملوكي عثماني، ففي تلك العصور أوجبت أيديولوجيا الدولة على الكردي والتركي والعربي والفارسي والأفغاني والجركسي أن يكونوا يداً واحدة تواجه الغزو الصليبي، ثم الغزو الأوروبي لشمال إفريقيا، ثم الاستعمار الغربي. كان فكر ابن تيمية أداة أيديولوجية مفيدة. لكنه ليس تعبيراً عن حقيقة.. الفرس بقوا فرساً والأتراك أتراكاً والعرب عرباً والكرد كرداً.

وعندما تجددت الهجمة الغربية علينا في ثوب محاربة الإرهاب انتعشت المنظومة الأيديولوجية التيمية في العقول كأداة توحد، وللقصور الحنبلي في هذه الأداة أخذ مستعملوها الجدد يحاربون الشيعة والغرب معاً.

الناس خراف. قل لهم «الأمة» عشر مرات، وسوف تتصاعد من أشداقهم: ماء ماء.

وفي قومية عبد الناصر من الوهم قدر لا بأس به. ودعاة «المواطنة» و«الديمقراطية» و«الوطنية» يشكون من أوهام. ولا أقف من كل هذه الأدوات موقف الداعية الذي يريد تفنيدها كي يخرج في نهاية المطاف بفكرة يقول للناس إنها الفكرة الصحيحة. قد تراني أتخذ موقف الداعية عندما أتحمس للانتماء إلى اللسان العربي، لكنني - حتى في هذه - أدرك أن الكردي الذي أصبحت العربية لغته الأولى قد يكون انتماؤه الأول (نقطة الوسط في لوحة التهديف عنده) للقومية الكردية، وقل هذا في الأمازيغي والنوبي وفي ابن الإسكندرون الذي فقد بالتدريج كثيراً من لسانه العربي.

فهل بقيت بعد هذا نواة صلبة يحسن بنا أن نقول إنها تمثل «العرب»؟ قد بقيت فيما أحسب. ويجمع هؤلاء الناس اللغة والإرث الأدبي.. سمعت الموريتانيين والعمانيين وسمعت الناس الذين يقطنون الثمانية آلاف كيلومتر التي تفصل هؤلاء عن هؤلاء ينشدون شعراً لنزار قباني وللمتنبي ولمحمود درويش. ولكن الشامي لا يفهم وصفة طبخ في اليوتيوب تقدمها سيدة مغربية بالعامية؟ لا بأس، فالعاميات موجودة في كل الدنيا، ومع الزمن تتقارب أو تستقل لغاتٍ منفصلةً. ولست هنا داعية، بل مراقب.

قد يتحفنا القرن الثاني والعشرون بلغة مغاربية، ولغة مصرية، ولغة شامية،

ولغة خليجية. ويظل الجميع فاهماً للعربية الفصحى بعض الفهم، ثم في القرن الذي يليه قد تصبح الفصحى اختصاصاً أكاديمياً. لا بأس بذلك إن أراده الناس. وقد تتقارب اللهجات، وتنشأ لغة عربية بيضاء غاب عنها التشكيل واصطلح عليها العرب في مدارسهم وفي كلامهم. فأما أن نصبح كلنا متكلمين بكلام فصيح معرب فهذا ما عجزنا عنه من أيام عبد الملك بن مروان وابنه اللحانة الوليد، أي من ١٤٠٠ سنة، فلا داعي لتفاؤل كاذب. ولتضرب المجامع اللغوية رأسها بأقرب جدار، اللغة يصنعها الناس كيفما شاءوا.

وللتلخيص، فإن ازدواجية الانتماء العربي الإسلامي أمر واقع.

فلماذا أكتب هذه الأشعار القديمة وأشرحها؟

كي أتسلى لا غير، وكي أجد من يستمتع بها مثلي فنتسلى معاً.

قل لي من شق بطنَ اللاتينية فأخرج اللغة الفرنسية؟ الفرنسيون. ومن المسؤول عن انحراف الإسبان حتى أخرجوا من بطن اللاتينية لغة أخرى غير الفرنسية؟ ربما جبال البرانس. ولماذا استقل الإيطاليون بلغة ثالثة؟ ربما بسبب جبال الألب.

ولماذا ظل نحاة الإنجليز يضربون لغتهم بالعصا كي تستقيم على قواعد النحو اللاتينية؟ لأنهم رجعيون. ولماذا فشلوا؟ لأن اللغة يصنعها الناس لا النحاة.

قد أخذتك في جولة طويلة في تلافيف دماغي، شعرت أنا في آخرها بالدوار، فكيف بك!

إقفال حساب

كنت أنتظر دوري على مقعد في فرع المصرف ببلدة بيرزيت الفلسطينية، أريد إقفال حسابي لأنني سأقدم استقالتي من عملي مديراً لمركز الإعلام في جامعة بيرزيت. وهي الاستقالة الثانية من هذا العمل الذي قضيت فيه ما مجموعه سبع سنوات وخمسة أشهر. وقد تتعجب مني لأنني لا أدع فرصة للوقوع في الأكاديميين ونعتهم بأقبح النعوت إلا اقتنصتها، ثم إذا أنا أخبرك أنني قد عملت في هذا المجال طويلاً! قد عاشرتهم فعرفتهم.

ما رأيك ـ قبل أن نمضي في وصف استقالتي تلك ـ في حديث عن هؤلاء الأكاديميين.

استطراد

ابتعت كتاباً سميناً عن الشعر الجاهلي كتبه أكاديمي نعت نفسه بالأستاذ الدكتور. قلت في نفسي: ليكن ما يكون، ألا يورد علي بعض ما غاب عني؟ ألا يسد لي ثلمة في معرفتي؟ ألا يكون في هذه الصفحات التسعمئة فكرة؟ اشتريته. دفعت ذلك المال الحلال فنزل حراماً في جيب ذلك الناشر، وذلك الأكاديمي. لم أجد في الكتاب سطراً مفيداً. وخطرت ببالي فكرة عبقرية. أن أصنع برنامجاً إذاعياً اسمه «كلام فارغ».

إليك الحلقة الأولى من برنامج «كلام فارغ»:

(يقول عبيد بن الأبرص: «وكل ذي غيبة يؤوب/ وغائب الموت لا يؤوب»، فإن وجدت أيها المستمع في البيت تكراراً للغيبة والغائب، فإنك واجد فيه حلاوة الانتقال من العموم إلى الخصوص، وإن وجدت تكراراً في يؤوب ويؤوب فقد اكسبنا هذا التكرار حلاوة التصريع في وسط القصيدة، وذو الغيبة هو نفسه الغائب. . لكن لا. . هو غائب مؤقتاً فأما «الغائب» فهو غائب قد غيبه الموت. في بيت واحد وحيد. . بيت مفرد كالبعير المعبد. . لخص الشاعر بعبقرية، هي عبقرية اللغة العربية، المعاني الكثيرة. والعربية لغة الإيجاز. هي لغة «خير الكلام ما قل ودل». وانظر إلى هذه العبارة، وتأملها، أمعن النظر فيها وأرعها سمعك. أنعم النظر ودقق. . وحدق. واسمع وأصغِ وأَصِخْ سمعك. خير الكلام. . أي أفضل الكلام، فلماذا لم نقل أخيَرُ الكلام. . هي عبقرية الإيجاز في هذه اللغة الشريفة. قد صغرت الكلمة بإسقاط همزتها، لكنها ظلت تؤدي المعنى أحسن أداء وأجمله وأوجزه. فهلا نظرت إلى هذه السجعة اللطيفة بين «قل» و«دل». هذه سجعة ختمت العبارة فكانت لها بمثابة السداد المحكم. وانظر إلى المد والاسترخاء في سوْق المسألة بدءاً. . خير الكلام ما. . وبعد هذا المد يأتي الحكم جازماً حازماً «قلَّ ودلّ» وانظر إلى هذين الحرفين المشددين كيف نَطَقا بالشدة والقوة والحزم ومثَّلا كل أولئك خير تمثيل. وسألفتك إلى مسألة أخرى هي مخارج حروف هذه العبارة العبقرية. . تبدأ العبارة بالخاء، ومخرجها من أقصى الحلق. . والخاء حرف له خرير، وهو ينبئ بأن ما سيأتي مهم. . «خير الكلام» وينتهي هذا القسم الأول من العبارة بحرف شفوي هو الميم. . وكيف تكون الانطلاقة إلى القسم الثاني. . من حرف الميم أيضاً ينطغم اندغاماً في الميم السابقة عليها «ما قل ودل» فكأن الميم هنا

والميم هناك اعتنقتا اعتناقاً كي تسبكا العبارة سبكاً في اللفظ وتجعلاها كلاً واحداً. فليسعَ أهل اللغات الأخرى وُسعهم حتى يأتوا بأقل ما تستطيعه العربية. إن سعيهم لشتى. ونعود إلى بيت عبيد بن الأبرص كي نستخرج منه عشر ميزات لم نوردها عليك فيما مضى..).

سأقطع الحلقة الأولى من هذا البرنامج الجديد عند منتصفها. كفى.

أرأيت إلى هذا الكلام الفارغ. هذا كلام شخص يستعرض معلوماته اللغوية ومفرداته، ويحاول أن يوقع في روع العوام أن ما يقوله عظيم. وأشهد أنني أحب بيت عبيد، وأحب العبارة المذكورة، ولكنني في الحلقة الأولى من برنامجي المبتدع ذاك كنت أتمايل غنجاً وتفاخراً وجهلاً.. جهلاً بأن لكل لغة في الدنيا فصاحتها. يستطيع أي دجال أن يصنع هذا الصنيع الفارغ بأي بيت شعر، أو أي حكمة.

قد فكرت جدياً في أي أسجل برنامجاً باسم «كلام فارغ» وأضع حلقاته على اليوتيوب. ثم خشيت شيئاً. خشيت أن يعجب به الناس. ففي الزمن البائد كنت كتبت لتلاميذي في تخصص الإعلام بالجامعة نصاً منمقاً خالياً من المعنى، وقرأته عليهم، ثم قلت لهم الآن انظروا إلى النص نفسه وقد تحول تحولاً كبيراً.. وقرأت عليهم نصاً آخر محكماً واضحاً هو عبارة عن صياغة محترمة للنص الأول، ويحتوي على المعلومة، وفيه العبارة الرشيقة وفيه الاحترام لذهن المستمع. وقلت لهم: ما رأيكم؟ وراعني أن بعضهم أحب النص الأول التافه الفارغ الذي ليس فيه معلومات، وبعضهم سكت ولم ير الفرق. (النصان موجودان في كتابي «الكتابة للراديو»، وهو ككل الأشياء موجود على النت). لا ألوم تلاميذي. بل تعلمت منهم أن الإذاعة ليست دفقاً من المعلومات بل هي أيضاً مداعبة بريئة لأذن المستمع تجعل هذه الأذن تعمل، دون تكليف العقل مشقة أن يعمل. وتعلمت منهم أن العرب يعيشون طفولة فكرية، وأنهم ما زالوا يطربون للفصحى كأنها أغنية، ولا يتخذونها أداة للفهم، ومطية للوصول إلى المعنى.

لكنني لا أغفر لذلك الأكاديمي الذي ارتقى إلى درجة عالية على سلم التفاهة، ما ناله مني من دراهم. لقد راح يتمطق في صفحاته التسعمئة بالعبارات الرخوة ويتمايل بغنج سخيف وهو يستعرض معلومات لا صلة لها بالموضوع.

هل ظننت أنني، وأنا أسوق لك عباراتي الجوفاء في برنامج «كلام فارغ»،

إنما كنت ألمز دعاة اليوتيوب الذين يفسرون الذكر الحكيم ويشنفون آذان مستمعيهم بإعراب بعض الكلمات، وببيان الوجه بلاغي هنا وهناك؟ لا. ليس مجرد لمز. كنت هامزاً، كنت أعنيهم مثلما كنت أعني ذلك الأكاديمي.

رجع إلى إقفال الحساب

كنت أجلس على المقعد في فرع المصرف منتظراً دوري لإقفال حسابي، فأنا سأقدم استقالتي. وقد استقلت في حياتي كثيراً، لذا لم أكن مبلبل الذهن ولا قلقاً من مسألة الاستقالة، على أن الانتظار على مقعد سيورثني القلق بعد قليل إن لم أشغل نفسي بشيء. أخرجت ورقة، وكتبت أبياتاً، وسأدعو هذه القصيدة «القصيدة الأسمنتية الثانية»، ذلك أنني في موقف انتظار مشابه كنت كتبت قصيدة باسم القصيدة الأسمنتية، وستراها عندما أشرح لك البهاء زهيراً:

ما حمَلتْني رجلِي إلى بلد | إلا تشوَّفْتُ غيرَه بلدا
ولا توظَّفتُ في مؤسسة | إلا بدا لِي أن أستقيلَ غدا
يا لِطباعي أسعى أشكِّلُها | هيهاتَ إن الأسمنتَ قد جَمَدا
أبذلُ جُهدي لكي أغيِّرَها | أعالجُ الميْتَ والعلاجُ سدى
غريزةُ النملِ لستُ تاركَها | لَمْلَمةٌ لِيس تنتهي أبدا
أجمعُ مالاً ولا أُصمِّدُه | إن ملكتْه يدِي فلا صَمَدا
وخِبرتي نُتْفةٌ إلى نُتَفٍ | يحسَبُني بعضُ الناسِ مُجتهدا
مثلُ الفتاةِ اللعوبِ يُعجبني | أن يخطِبوني، ولا أمدُّ يدا
فإن تسرَّعتُ رحتُ في قلق | أسعى لِفسْخٍ ولم أَضِرْ أحدا
الاسْتقالاتُ موتُ مرحلةٍ | كل امرئٍ يستقيلُ منفردا
كتبتُها اليوم كي أقدِّمَها | قبل انتهائيِ من الدوام غدا

وبالفعل قدمت استقالتي في اليوم التالي.

الدوحة ٣ شباط/فبراير ٢٠١٧
٦ جمادى الأولى ١٤٣٨

عرفان..

لا أدري هل ومتى يطبع هذا الكتاب! أراحني من التفكير في الأمر صديقي محمد عبد العزيز الذي أخذ على عاتقه أمر النشر. وهو أحرص على كتابي مني، صنع لي هذا في كتابين سبقا هما «أول الشعر» و«تجدد الشعر». أعتز بمحمد عبد العزيز صديقاً، والشكر واجب.

وقد وقف بهذا الكتاب «وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه» صديق لي سخا بوقته عليَّ فصحح ما اعوج من كلامي. ذلك هو اللغوي المتمكن أحمد عبد الرحيم. فقد قرأ قراءة فاحصة، وصحح لي بضع مئات من الأخطاء ـ أظنها تجاوزت الألف ـ بعضها ناتج عن غفلة أو عجلة، وأكثرها ناشئ عن جهل. وزاد فناقشني في آراء أبديتها، وحاسبني في أخرى. وتعقب شرحي لكل بيت، وما أكثر ما جعلني أزيد في الشرح أو أعدِل به عن الوجه الذي كنت رأيته. وزاد فشاركني التمتع بالشعر مبدياً استحسانه أبياتاً كثيرة، وقد أشرت إلى ذلك في مواضعه؛ ذلك حتى أُحسِّس القارئ بأنه جالس معنا.

ما أكثر ما أقول في نفسي: ماذا لو لم يتح لهذا الكتاب أن ينال عناية ذلك الصديق؟ وتنتابني قشعريرة. بعد أن يفرغ المرء من كتابه يصبح أعمى. يقرأ مرة أو عشر مرات، وتمر به الأخطاء دون أن يراها.

لا أملك لأحمد عبد الرحيم ما يفيه حقه.

ابن الرومي
(٢٢١هـ ـــ ٢٨٣هـ)

بائع الفواكه قد يشابه بائع الخضار في أنهما فقيران، ويسكنان في الزقاق نفسه، ولكن بائع الفواكه يخرج من بيته وهو متأنق أكثر قليلاً من بائع الخضار، فهو يتعامل مع زبائن مختلفين. يتعامل مع الأثرياء، ومع متوسطي الحال. ويتذلل لكل زبون بقدر ثرائه. ويعرض بضاعته أحسن عرض، ويمدح تفاحه وعنبه وبطيخه بلسان فصيح. ويعجبه الزبون الذي يدفع بسخاء، ولا يدنق. يعجبه الثري السخي، ويعجبه صاحب المنصب الكبير في البلد. فإذا كان الثري بخيلاً يكثر من المكاس تجهم له. بائع الفواكه غير بائع الخضار، فهو بائع ذو مزاج، يطرد السائلين شر طردة، ويصرف الفقراء صرفاً غير حميد، ويمنح كل زبون من الابتسام ومن التذلل ومن التجهم بمقياس دقيق. أما بائع الخضار فهو يرمي بالباذنجان في كفة الميزان، ثم يرمي الدراهم في صندوقه، ولا ينظر في وجه الزبائن.

الشاعر العباسي بائع فواكه. لا يستحي أن يطلب على قصيدته الثمن الملائم، وينظر إلى كل ممدوح بعين ثاقبة، فيحدد ثراءه، وسخاءه، ومنزلته. يتذلل بلا خجل لمن يرجوه أو يخافه، ويتجهم لمن يبخل ولمن يعد ويخلف.

وقد كرهت بائعي الفواكه كرهاً شديداً. (ملاحظة عابرة: لا اختلاف بين بائع فواكه في سوق البصل بمدينتي نابلس وبين بائع الفواكه في سوق لويشام بمدينة لندن). على أنني أتأمل، في الصور المنشورة على النت، فُروش بائعي الفواكه بألوانها الخلابة وبما يسلطون عليها من أضواء، وبترتيبها البديع، وأجد في ذلك متعة.

ومثلما تعجبنا الفواكه مصفوفة ملمعة بألوانها نستمتع بأبيات أولئك الشعراء

من بائعي الفواكه. يعجبنا الشاعر ذو المزاج، ونغفر له التذلل البغيض قانعين بما يضع في شعره من فنون القول.

ومن ذا قال إنه يجب أن نخنق كل بائعي الفواكه في البلد؟

ابن الرومي

ابن الرومي، عليّ بن العباس بن جُرَيْج، شاعر بغدادي شهد في طفولته أواخر الأمجاد، وسمع قصة وامعتصماه وقصيدة «السيف أصدق أنباء» وهو طفل؛ وبلغ المراهقةَ والخلافةُ في سامراء المجاورة بيد المتوكل، الذي كان يطوي بيده الأخرى أربعة آلاف جارية. قضى ابن الرومي شبابه الباكر فتى خجولاً يتعلم النحو والصرف ودقائق اللغة في مساجد بغداد، ويقرأ الكتب في دار الحكمة. يرى نفسه «مواطناً» في عاصمة أعظم دولة في الدنيا. وهو، كأغلبية المواطنين في بغداد، عربي اللسان أجنبي الدم. فأمه فارسية وأبوه المتوفى رومي.

لعل جده، كان من سبي المنصور أو المهدي، من أولئك الصبية الذين كان يؤتى بهم غنيمة في حروب الثغور. وقد كان ولاء العائلة لبني العباس، أهل بيت الخلافة. ولكن بني العباس عائلة تعد ثلاثة وثلاثين ألف نفس، حسبما أحصاهم المأمون في خبرٍ نقله المسعودي صاحب مروج الذهب، ومواليهم ربما كانوا أكثر من ذلك. فليس لابن الرومي في هذا الولاء كبير فخر مع هذه الكثرة.

نشأ ابن الرومي في زقاق من أزقة بغداد يتكلم مع أصحابه اللهجة البغدادية التي تُرصِّعها ألفاظ فارسية كثيرة؛ غير أنها لهجة عربية لا غبار عليها إلا ذلك الغبار الحضاري الناشئ عن اختلاط الأقوام، وعن تعايش أساليب حياة شتى في بوتقة. ويشك النقاد في أن يكون شاعرنا تعلم شيئاً من الفارسية، خلا تلك الكلمات التي كان يعرفها كل بغدادي.

عاصر ابن الرومي شيخوخة الجاحظ، وقرأ كتبه، وذكره في شعره. وقد تناهى إلى سمع هذا الفتى المتأدب، وهو في نحو الحادية عشرة، أن أكبر شاعر في البلد قد توفي (أبو تمام ت ٢٣٢). ثم اكتوى شاعرنا حسداً وغيرة من شهرة خَلَف الشاعر الراحل وتلميذه، البحتري، ومن نَفاق سوقه على الخلفاء والأمراء والكتاب؛ وهجا ابن الرومي البحتري حسداً، ثم جمع بينهما الناجم

تلميذ ابن الرومي فتعاتبا وتصالحا، وأقر ابن الرومي للبحتري، الذي يكبره بخمس عشرة سنة، بالشاعرية، وإن لم يسلّم له بالتفوق. وكانت تطرق أسماع شاعرنا قصائد دعبل الخزاعي طريد الخلفاء، وقصائد علي بن الجهم، وفيما بعد قصائد الأمير الشاب ابن المعتز. وقرأ ابن الرومي أشعار أبناء الجيل السابق: بشار وأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية. وعاش يناكف النحاة والنقاد، وله مع المبرد والأخفش الأصغر مواقف. ولا شك في أنه قرأ أشعار القدماء في دواوينهم التي صنعها معاصروه كأستاذه محمد بن حبيب وكأبي بكر الصولي. كانت هذه الدواوين تملأ دكاكين الوراقين، وكان الطلب عليها كبيراً. وليس بعيداً أن يكون اقتنى في بيته جمهرة القرشي التي كانت عقداً فريداً انتظم كبار قصائد شعراء الجاهلية والإسلام، أو كتاب فحول الشعراء لابن سلام الجمحي أو كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة. هذه الكتب خرجت من أيدي مؤلفيها إلى الوراقين والنساخ في شباب ابن الرومي. وقيل لنا إنه قرأ كتب المنطق والفلسفة المنقولة عن السريانية عن اليونانية.

لكن ما لا شك فيه أن ابن الرومي كان يعد نفسه معتزلياً؛ كان في هذه كاليساريين الذين تعلقوا بفلسفة ماركس بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. إذ إن الاعتزال كان قد فقد سنده السياسي بتولي المتوكل الخلافة وابنُ الرومي في نحو العاشرة من العمر. وابن الرومي لم يكن يحسن لبس العقيدة التي تناسب السلطان. كان قلقاً نزقاً قليل الصبر على المداهنة. كان في الحق شاعراً في مزاجه.

كان كالموظف الذي يقول لرئيسه اجعلني مدير فرع وسأريك كفاءتي، لكنه لا يقدم بشيراً بهذه الكفاءة الموعودة بين يدي الوظيفة المنشودة. ولأنه يدرك قصوره كان ابن الرومي ينصرف سريعاً عن مطالباته بـ «الأعمال» أي الوظائف، ويكتفي بأن يلح على الأمراء والكبراء طالباً المال. لا تكاد تجد له مدحاً خالصاً، فلا بد أن تكون قصيدة المدح مشوبة ببعض العتاب وبكثير من الإلحاف، وقد لا تخلو من تهديد مبطن، أو.. غير مبطن. والأمراء يثيبون على المدح لا على العتاب.

كان لابن الرومي زوجة وكان له أولاد. وقبل أن يموت، عن اثنتين وستين سنة، شيع أولاده وجل أهله إلى المقابر ورثاهم. ولقي في حياته محاولات من بعض الجيران للاعتداء على أملاكه البسيطة وشكا في شعره شكوى مرة.

لم يصل ابن الرومي إلى الخلفاء لأنه غير مأمون اللسان، ولا يحسن المجاملة.

كانت لابن الرومي هواية لا نعرف له سواها: النظم. يطيل القصائد تلبية لشهوة قرض الشعر. ويحكي في قصائده عن نفسه وخلجات قلبه. يسرف ويسف، ويتحول إلى ناثر منضبط بالوزن والقافية. رأيته في كثير من شعره شبيهاً بذلك الحوذي الذي حدثنا عنه أنطون تشيخوف: سائق عربة يجرها حصان، يتعب في يومه كثيراً، ويحاول مراراً أن يحدث الناس عن ابنه الذي مات قبل أسبوع. لكنْ، لا أحد يريد أن يصغي إليه. ويعود إلى الإسطبل بحصانه. ويحكي للحصان.. كل شيء.

ديوانه

لا يمل ابن الرومي الاعتذار عن الإطالة، لكنه يعتذر في عشرات الأبيات، وينفق عشرات الأبيات في هذر عجيب. فغير مستغرب أنه ترك لنا أكبر ديوان عرفه العرب. قال من أحصاه إنه تجاوز الثلاثين ألف بيت. وقد طبعه لنا بتحقيق جيد حسين نصار بدءاً بسنة ١٩٧٦ (عن الهيئة المصرية العامة للكتاب). واستوى الديوان ستة أجزاء كبار. فهل تريد أن تقرأها؟ لعلك تفضل هذا الباب من كتابي.

كنت قرأت في الزمن القديم ما اختاره كامل الكيلاني من ديوان ابن الرومي (سبعة آلاف بيت)، وقرأت القسم الذي طبعه الشيخ محمد شريف سليم من ديوانه، وانتخبت منه أبياتاً لدفتري. وقرأت كتاب العقاد (ابن الرومي: حياته من شعره) الذي حفل بمختارات من مختلف حروف الديوان، تضمنت أبياتاً لم يسبق أن نشرت. وأظن أن المازني والعقاد كانا يرجعان إلى مخطوطة الديوان في دار الكتب، وكان المازني ربما نسخ القصيدة تلو القصيدة من المخطوطة.

ثم عندما طبع الديوان كاملاً أقبلتُ عليه بشغف. فقرأته وتحيرت: كيف للمرء أن يختار من هذا البحر الزاخر أبياتاً لقارئ معاصر.

ولكن، ها أنت ترى أنني خرجت من حيرتي. قد اخترت لك، ونخلت ما اخترته بضع مرات.

وشرحت الأبيات: كنت بدأت أشرح شرحاً مستفيضاً ثم رأيت أن من

حقي على القارئ أن يشاطرني التعب فاقتضبت الشرح: فسرت الألفاظ بما يوفر على القارئ الرجوع إلى المعاجم، وفضحت المعاني الملتوية التي قد لا يحلها قارئٌ لم يبحر في الديوان مثلما أبحرت. واستعنت على هذا بالمعاجم لا غير. فأما الذين زعموا أنهم طبعوا شروحاً لديوان ابن الرومي فنحن نسدل عليهم الستر. بعضهم اجتهد وقصر، وبعضهم نسخ الديوان كما حققه نصار ثم زعم أنه شارح، وبعضهم فعل الفعلة الذميمة المعروفة: فسر الكلمة التي يعرفها ونعرفها، وأغفل ما سوى ذلك.

غايتك في التعرف على حياة ابن الرومي كتاب العقاد «ابن الرومي: حياته من شعره»، فما زال أحسن وأكمل ما كتب في الموضوع. وللمازني نظرات عميقة حيناً، طريفة حيناً، في حصاد الهشيم فرشها على مئة صفحة. ولمحمد النويهي تعليق طيب على قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط، ومناقشة عميقة لرأي العقاد في أثر الجينات اليونانية في شعر صاحبنا. فأما القدماء فقد أهملوا ابن الرومي إلا مقتطفات من شعره ظلوا يوردونها، وظلت تفرض نفسها عليهم، لأن الرجل مبتدع معانٍ، وكانوا يعجبون بالمعنى المبتكر.

هذه المختارات

أعجبني من أبيات ابن الرومي ما أعجب القدماء. والتفتُّ في شعره إلى مسألة وحدة القصيدة، وأغرمني ذلك اقتطاف أبيات كثيرة حتى تنجلي هذه الميزة. قد اعترضَ كم شئتَ من النقاد المحدثين على القول إن قصيدة ابن الرومي متماسكة منبنية على نهج «وحدة القصيدة»، والحق أن الرجل كان يصوغ العشرين بيتاً والثلاثين بيتاً صوغاً متماسكاً يخدم معنى واحداً. فقصيدته، إلا تكن وحدة فنية متكاملة، فهي مجموعة من القصائد المتحلية بمزية «وحدة القصيدة».

أحببت في شعر الرجل صدقه، وانجرافه وراء فنه، فهو يصنع القصيدة بعقله وقلبه معاً حتى عندما يكون في حالة من الحزن الشديد قاعداً يرثي ابنه. وأحببت في ابن الرومي سعة علمه باللغة، وكرهت ذلك في آن معاً. فهو يضع الكلمة في مكانها واعياً لمعناها المعجمي دقيقاً في استخدامها، ويسرف في استخدام صيغ صرفية صحيحة الاشتقاق ولكنها غير جارية في كلام الفصحاء. وأعجبني أكثر ما أعجبني أن صاحبنا يقول ما في رأسه، ولا يردد الرواسم.

وهو يصر على أن يقول الشيء كما فكر فيه، ويستعين على ذلك بقدرة لغوية نادرة المثال. ويصر على أن يفصل القول تفصيلاً، فلا يغادر في المعنى شيئاً. أعجبتني صراحته في العبارة عن مكنون نفسه واحتملت بذاءته في الهجاء، وربما ضحكت منها. وصاحبنا كان يكون في أحسن حالاته الشعرية هاجياً ساخراً شاتماً. ولم أغير سوى النقطة هنا وهناك فيما اقتبست من هجر القول، أُخفي بتغيير هذه النقطة تلك العوراء عن عين حدث أو رقيب. واستمتعت بوصفه للحياة اليومية: أكنت ترجو أن ترى شاعراً عاش قبل أكثر من ألف سنة يصف لنا طريقة إعداد الساندويتش بالتفصيل؟ نحتفل بذلك لندرته.

على أنه كان من واجبي أن أقصر هذه المختارات على نحو من ألف وخمسمئة بيت هي نحو خمسة بالمئة مما يضمه الديوان.

وأقول لك: هذه زبدة الزبدة. عرضت عليك ابن الرومي في قصائده الطوال الجياد، وجئتك بكل ما هو طريف ومشهور من قطعه الصغيرة، ولم أغادر قصيدة له إلا وقد أرهقتها درساً فاختياراً.

كنت أندم على اختيار هذا البيت أو ذاك فأعود فأسقطه، ثم أعود فأراه لازماً لإقامة سياق فأثبته مرة أخرى. وكنت أرى البيت الجميل واقفاً وحده فأسنده ببيت آخر. وكنت أرى نفسي اخترت عشرة أبيات أو عشرين تحتوي في داخلها بيتين طريفين بعض الطرافة فأعود وأسقط الأبيات كلها.

قد تعبت تنخيلاً. وما تراه هو النتيجة.

شكلت الكلمات بيدي وراجعتها مراراً. ولست آمن أن تكون فتحة أو ضمة قد وقعت في غير موقعها. كما لست آمن أن أكون فهمت بيتاً على غير وجهه. على أنني اجتهدت. وقد صححت ـ في هذه المختارات وحدها ـ عشرات الأغلاط المطبعية وغير المطبعية التي انتثرت في الديوان. وقطعت البيت شطرين في المكان الذي يجب أن يقطع فيه، وهذا أمر اضطرب فيه محقق الديوان في مواضع كثيرة. على أنني حمدت للمحقق ذكره في الحاشية روايات المخطوطات المختلفة، وكم مرةٍ وجدت رواية الهامش تقوم بمعنى البيت دون رواية المتن. كان من حسن حظ هذا الديوان أن حققه عالم راسخ هو حسين نصار. وما ذكرته من هنات قليل جداً في جنب سعة علم ومتانة خلق الرجل اللذين تجليا في هذا التحقيق مثلما تجليا في جهود حسين نصار العلمية الأخرى.

قد صعب عليَّ أن أرتب المختارات بتسلسل زمني، ولم يكن ممكناً ترتيبها على الأغراض، لأن القصيدة الواحدة قد تحتوي عدة أغراض من مدح وهجاء وعتاب، فتركت الأبيات مرتبة على أحرف الهجاء؛ وصنعت فهرساً للأغراض، وآخر للأعلام. وسوَّدت بالحرف المشدد أبياتاً هنا وهناك لافتاً نظرك إليها، فهذه صفوة الصفوة. سوَّدت ما هو طريف، وما هو دقيق في معناه، وما هو جزل. وقد يكون الطريف بذيئاً، وقد يكون الدقيق عويصاً، وقد يكون الجزل غامضاً. وسميت كل قطعة باسم من عندي. وأعطيتها رقماً حتى يسهل الرجوع إليها، فأرقام الصفحات قد تتغير بنقل الكلام من برنامج حاسوبي إلى آخر.

وسوف أورد عليك الآن ما تيسر لنا من وقائع حياة ابن الرومي. وإمامي في ذلك كتاب العقاد وفصل كتبه أنيس الخوري المقدسي في كتابه «أمراء الشعر العربي في العصر العباسي». فأما ابن خلكان صاحب الوفيات، وابن رشيق صاحب العمدة، والقيرواني صاحب زهر الآداب، والعباسي صاحب معاهد التنصيص فلم يترجموا للرجل بما ينقع غلة أو يملأ قُلة، واكتفوا بالنتفة فالنتفة.

حياة ابن الرومي، علي بن العباس بن جُرَيْج، (٢٢١ ـ ٢٨٣)

ولد عام ٢٢١ في بغداد. جده جريج (أو جرجيوس) رومي، وكان الجد مولى لعبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور. وأبوه مسلم، وقد نشأ نشأة أولاد المسلمين. والأرجح أن أباه مات وشاعرنا طفل. وكان له أخ أكبر منه كان شاعرنا يتخذه أباً، وعاش في كنف أمه التي ماتت وهو كبير ورثاها. وتزوج ومات له ثلاثة أبناء، وماتت زوجته، وربما كان تزوج امرأة أخرى، ولعلها ماتت في حياته أيضاً. وكانت له ضيعة صغيرة، وبيت أو بيتان. وخاض نزاعين كبيرين مع جارٍ تاجر ومع جارةٍ بشأن العقار. ولعل هذين كانا نزاعين صغيرين كبَّرتهما قصائد شاعرنا.

مدح أبا الصقر (إسماعيل بن بلبل) الشيباني الوزير، ثم عاتبه ثم هجاه. ومدح (عبيد الله بن عبد الله بن طاهر) أمير بغداد ومدح غيره من آل طاهر. وأذاقهم العتاب فالهجاء أيضاً. ومدح من آل وهب (القاسم بن عبيد الله)، وأكثر فيه القول مع عتاب شديد. ومدح وهجا غيره من هذه الأسرة. ومدح آل المنجم وعلى الأخص (علي بن يحيى). ومدح (آل المدبر)، و(آل نوبخت). وعندما نقول مدح فنحن نعني: طالبهم بالمال. فصاحبنا كان يمدح ببيت

ويطلب المال بعشرات الأبيات، ثم تنثال قصائده في العتاب واستنجاز الوعود، والتحذير، ثم التهديد. ثم يأتي الهجاء جارفاً كالسيل. ونظريته أن المدح لا يليق بالشاعر ولا بالأمير، فالشاعر الذي يطيل مدحه قليل الثقة بجود ممدوحه، والأمير الذي يعطي على المدح تاجر؛ وخليق بالكريم أن يكون كالسحاب يعطي بلا حساب وبلا أسباب. وابن الرومي في شعره شديد الإلحاف مليء القلب بالنكد والسخط. لا يمل كلمة هات. ويذكِّر الكبراء والأمراء بوعودهم تذكيراً مملاً، ولا يندر أن يهدد تهديداً مبطناً سمجاً غاية السماجة (عندما تسمعه بأُذنَيْ الأمير صاحب الشأن)، ولكننا نرى في هذا التهديد طرافة لا مزيد عليها.

قال القدماء إن القاسم بن عبيد الله خشي أن ينقلب ابن الرومي عليه فيهجوه، فبادر وقتله بالسم. تلك قصة رددها الكثيرون. وقيل بل مرض ابن الرومي وهو في الثانية والستين من العمر ومات ميتة طبيعية.

قالوا إن ابن الرومي كان كثير التطير، يتشاءم من أحدب يراه جالساً على باب بيته فيمتنع من الخروج ويقضي نهاره في البيت. وذكروا عن طيرته قصصاً كثيرة، لا شك في أن بعضها حق. لكن صاحبنا لم يكن مصاباً بالذهان (البارانويا) فيما ظهر لنا من شعره. كان قلقاً فحسب.

لا نشايع النويهي والعقاد والمازني في تفسير نفسية ابن الرومي بالاستناد إلى الدراسات النفسية الحديثة. فنحن نعتقد أننا جميعاً مرضى نفسيون، وفي كل واحد منا عدد من الانحرافات النفسية. كل إنسان يتشاءم كثيراً أو قليلاً، وكل إنسان يؤمن بالغيبيات قليلاً أو كثيراً. على أن النصف الأول من القرن العشرين شهد نشاطاً في مصر في حقل الدراسات النفسية، فنشأت جمعيات لهذه الدراسات، وألفت وترجمت عشرات الكتب. وراح بعض الروائيين ـ واذكرْ إحسان عبد القدوس ـ يبنون رواياتهم لا على شخوص حقيقيين بل على حالات نفسية منمطة. وقد أثر هذا في الدراسات التي كتبت عن الشعراء القدامى، فأسرفت في التحليل النفسي، وفي تطبيق ما تيسر لأصحابها من معارف عن العلل النفسية على حيوات الشعراء القدامى.

نقول فقط إن ابن الرومي كان قلقاً قلق الشاعر والفنان. لم يكن قيادياً في شخصيته، ولكنه كان متمرداً، وكان ذكياً وواسع الاطلاع، وكان متهتكاً كعصره: مؤمناً يخاف يوم الحساب، وشديد الإقبال على ملذاته.

كان أكولاً نهماً. وكان يحب السماع حباً جماً، ويحضر مجالس القيان.

وقد عرفت بغداد عصرئذ بيوتاً تنعقد فيها مجالس الشراب والغناء، شيئاً كالملاهي الليلية في زمننا. وأنا أشبه هذا التشبيه مما رأيت في أفلام الأبيض والأسود لا أنني غشيت هذه الأماكن. على أن ابن الرومي كان حِلْسَ تلكم المجالس لا يكاد يفارقها. وكان له فيها ما لروادها من عربدة ومن عبث بالمطربات والمطربين. ولعله كان يدخل واغلاً متطفلاً في كثير من الأحيان مدلًّا بمعرفته صاحب الدار. على أنه كان يحب الغناء حقاً. وكان يتعشق الجواري، ويمنعه قبحه وشيبه وصلعه واكتهاله وفقره من تحقيق شيء معهن. لا نقول إنه كان عفًّاً ولا إنه لم يزنِ عمره؛ بل في شعره ما يُدحِض ذلك. كان شبقاً لكنه لم يكن فاتكاً. ولا ننتظر من شاعر رقيق أن يجمع الفتك والعرامة إلى الحساسية والرهافة.

كان، كمجتمعه البغدادي في ذلك الزمن، خليع عذارٍ. وسوغ له قوله بالاعتزال أن يستخف بنواهي الدين. فالدين عنده إيمان بالله وباليوم الآخر لا أكثر. كان فيه اجتراء على الدين، على أن زهدياته تشي بأنه كان مستمسكاً بالحد الأدنى من الإيمان. أما اليقين فلا نراه وصل منه إلى أبعد من العتبة.

عاش دنياه رائياً أن خير ما يصنع أن يعب من لذاتها أكبر قدر ممكن. وهو واقعي شهواني. المرأة عنده مثل الدجاجة المحمرة التي وصفها وصفاً مفصلاً يجعلك تشعر بالجوع. وحاجته إلى المرأة «حاجة ديك إلى دجاجة» بتعبيره. لا نراه أدمن الخمر وإن كان شربها كثيراً؛ ولا نشعر أنه مارس اللواط أو كانت به أُبنة، وإن رمى بهما مهجويه وفصل فيهما القول تفصيلاً.

أعود إلى نهم ابن الرومي. جاء في الأخبار قبل أسابيع ـ وأنا أكتب هذه الفقرة المقحَمة في ٢٧ يناير ٢٠١١ ـ أن علماء بريطانيين يرجحون أن النَّهَم، ومن ثم السمنة، يعودان إلى سبب جيني. وما دعاني إلى إقحام هذه الفقرة فراغي من قراءة رواية للصديق حكم عبد الهادي لا تزال في طور المخطوطة اسمها «سليمان الجائع» تصف، بجانب قيمتها الأدبية والتأريخية العالية، الشخص النهم وصفاً بديعاً. وبطل تلك الرواية يشابه شاعرنا كثيراً. فهو يجمع في روحه المتوثبة صفة الغورماند والغورميه معاً. والغورماند هو النهم الشره التِّلْقَامة، والغورميه هو المِذواق الذي يعرف طيِّب الطعام ويقبل عليه. سليمان الجائع، بطل الرواية، التهم في يوم واحد تسع كوسايات محشوات بالأرز واللحم المفروم وهو في الأسبوع الثاني من عمره ـ كذا شاعت الأسطورة ضمن

هذه الرواية التي تقص قصة شخص من لحم ودم عايشه الكاتب ـ ومضى في طريق النهَم حتى وفاته؛ على أنه كان مِذواقاً يأبى أن يأكل إلا ما أجيد طهوه. فنراه إذا قُدِّم له في بيت من بيوت الأقارب طعام على غير ما يهوى من التسبيك والإنضاج والتتبيل بأصناف الأفاويه التي ليس منها بد وبالمقادير التي لا يجوز أن تختل، أمسك عن طعام ذلك البيت إلى الأبد. ولا أجد في أدبنا العربي ما يشرح هذه الظاهرة بمثل ذلك الظرف وخفة التناول اللذين شرحها بهما حكم عبد الهادي، ولعله اتخذ أباه أساساً لبطل روايته.

وأقص عن أبي أنا قصة شهدتها: كان مقبلاً على البيت قادماً من عمله ظهراً، وقبل أن يدخل البيت، وعندما كان يسير بجانب الحديقة التي تفوح منها رائحة زهر الليمون، قال: «أمك لم تطيب الطبخة بجوزة الطيب». ومسحوق جوزة الطيب هذه يرش منه على الطبخة رشة صغيرة فحسب. فهذا والدي بلغ به التدقيق في شأن الطعام أنه شم «عدم» وجود جوزة الطيب في طبخة تقبع على النار بعيدة عنه بضع عشرات من الأمتار.

وأعود بك إلى سليمان الجائع. فقد شارك ابن الرومي في أنه كان شاعراً. وكانت قصيدته الأولى في تمجيد الفلافل، والفلافل في فلسطين كالطعمية في مصر، على أنه يعمل في فلسطين من الحمص المجروش لا من الفول المهروس. ولعمري، لفلافل كل بلد خير مقياس لذائقة أهلها الطعامية. فقد جربت في الدوحة ـ مغتَرَبي الحالي ـ فلافل خمسة أو ستة محلات، وما ارتضيت منها إلا فلافل «العكاوي» بعلامة سبعين في المئة، بل أقل.. ولكنْ أدركتني الرأفة عليه لأنهم هدموا قبل شهرين دكانه بل شارعه كله وهو «شارع الكهرباء» أبهى شوارع الدوحة.

لم ينشأ ابن الرومي فقيراً كل الفقر، ولكن موت أبيه وهو بعد صغير أدخل الأسرة في دوامة الفقر، فتنبهت حليمات التذوق في فمه، واحتفظت في ذاكرتها بطعم طعام أيام العز. فظل مشتاقاً إلى هذا الطعم يتسقطه، ويتنبه إلى حضوره أيان ثِقِفه. وربما كان في جسمه ذلك الجين البريطاني المسؤول عن النهم، إن صدق ترجيح العلماء البريطانيين، ولا أحضك على تصديق كل خبر يرد على الصفحة الأخيرة من الجريدة، ولكنني، وقد قرأت نصف دستة من الكتب الرصينة والخفيفة في موضوع الريجيم والحمية، أظن أن ما قاله أولئك العلماء صحيح. غير أنني أستدرك بأنه قد لا يَصْدق على ابن الرومي. كان ابن الرومي

نهماً للطعام الجيد، يقع عليه في الفينة بعد الفينة في بيوت علية القوم فينال منه فيسرف في النيل. ولم يكن بطيناً، بل كان في الواقع أقرب إلى النحافة، ولذا يغلب على ظني أنه من فئة الغورميه: المذواق. وفي مختاراتنا هذه من ديوانه ست عشرة قطعة تشهد على هذه الحالة، فافحص عنها في فهرس الأغراض في ذيل الباب تحت كلمتي: طعام، ونهم.

كان شاعرنا متحللاً من الأعراف الاجتماعية ومن الأخلاق كما يعرفها الناس، وكان متبطلاً غير موفق حتى في صناعته الوحيدة: النظم. لم يفلح في تولي منصب يعتاش منه، وإن كان طلب مثل هذا المنصب. وفي شعره لم يكن ناجحاً في التكسب. فلم يصل إلى خليفة، ولم يبن البيوت ولا اقتنى الضياع، بل لعله ضيع بعض ما ورثه من ذلك. هو فعلاً إنسان فاشل.

لم يكن ابن الرومي رجل سياسة، لكنه كان يتشيع. يحب آل البيت مثل كل الناس من شيعة وسنة، ويغضب لأنهم يلقون صدوفاً من أبناء عمومتهم العباسيين. موقف مستغرب من رجل ولاؤه في بني العباس. لكننا سنرى بعد بضعة عقود أبا الفرج الأصبهاني، وهو من بقية بني أمية، يتشيع.

مات ابن الرومي عام ٢٨٣. لعله مات بنوبة من نوبات مرض السكر. وللعقاد في هذا تحليل طبي طريف. وقد تذكّرنا به تحليلاً طبياً آخر للعقاد عن العقاد: فعندما مرض العقاد في أخريات حياته أصر على تشخيص نفسه ومداواة علته، ولم يلجأ إلى الأطباء في الوقت المناسب كما يخبرنا أنيس منصور الذي يرى أن العقاد شطح كثيراً في تشخيصه، ومات بتلك المرضة.

لم أسرف في ذكر أغراض شعر ابن الرومي. فهذا ما تجده في الصفحات المقبلة. وأضربت عن تنقُّص الأكاديميين وأصحاب الرقاع المسماة شهادات الدكتوراه، لكنني قد أعود إليهم في أثناء الشرح.

كلمات أخيرة عن ابن الرومي وستة أبيات

فأما الأبيات الستة فقد وجدتها وأنا أطالع بعض الكتب، ولم أكن اقتبستها لك. فأعجبتني، فقلت: لا أريدها أن تفلت. وها هي:

قال ابن الرومي:

غَدوْنا إلى ميْمونَ نطلبُ حاجةً   فأَوسَعَنا منعاً وَجِيزاً بِلا مَطْلِ

وقال: اعذِروني إنَّ بُخلي جِبِلَّةٌ   وإنَّ يدي مخلوقةٌ خِلْقَةَ القُفْلِ

وقال:

وما قَتْلُ بعضِ الحيّ بعضاً بِناهِكٍ   قُواهُ إذا ما جاءَ حَيٌّ يحارِبُهْ
وما لَطْمُ بعضِ الموجِ في البحرِ بعضَهُ   بمانِعِهِ تغريقَ مَنْ هوَ راكِبُهْ

وقال:

إنَّكَ لو تَسْمَعُ ألحانَهُ   تلكَ اللَّواتي ليسَ يعدُوها
لَخِلْتَ مِنْ داخِلِ حُلْقُومِهِ   مُوَسْوَساً يَخْنُقُ معتوُها

وأما الكلمات فهي أن الفن ساحة واسعة يحاول بعضهم تضييقها. يجدون ابن الرومي يمعن في النثرية فينفونه عن وطن الشعر. ونظن نثرية ابن الرومي من ميزاته. ويجدون ابن الرومي بذيئاً فيقولون هذا سباب وليس بشعر. وساحة الشعر فيها سباب وفيها تقوى وفيها كل شيء، وميزانها الصدق. وها نحن أتينا إلى ميزة كبرى لابن الرومي: الصدق. ولا نفسر ذلك، ولا نكتب فيه فقرة أخرى، بل ننبه عليه: الصدق الصدق.

ونعود إلى تشاؤمه فنقول. لعله كان متشائماً بعض الشيء، ولكننا أضربنا عن إطراف القارئ بما حيك حول تشاؤمه من خرافات، لأننا على يقين من أنها.. خرافات. فالتمسها إن أردت في كتب أخرى.

كان كثير الشكوى متنكداً من عيشته، وكان اضطرابه الحقيقي هو التفاوت ما بين مواهبه: ذكاء حاد، وقدرة فائقة على استخدام اللغة استخداماً حراً، وخيال واسع، ونقص فادح في موهبة «العلاقات العامة»، وكسل شديد؛ فهو على هذا قد امتلك ما يجب أن يمتلك ليكون شاعراً كبيراً، وقد كان. ولم يمتلك من النشاط ولا من القدرة على المداهنة، ولا من الكذب في المدح ما يجعله يقنع الأمراء باصطناعه.

وامتلك ابن الرومي الوقت. كان في حياته فراغ. لا يبرح بغداد، ويكره السفر. ولا يعالج من أمور الفلسفة والعقائد شيئاً، مكتفياً بالاطلاع عليها. ولا يقضي أوقاته في مجالس الأمراء نديماً أو جليساً، وما أكثر ما كان يرسل شعره مكتوباً في رقعة. كان يحضر مجالس اللهو والطرب، ويقضي نهاره يتسلى بكتابة الشعر. وأصبح النظم إدماناً، لذا أطال كثيراً.

هذه السلسلة

على مدى قرون كثيرة عاش تراث شعري لعله أطول تراث شعري متماسك يشبه بعضه بعضاً عرفته الدنيا، تراث شعري ذو أسس واحدة واضحة المعالم. حافظ عليه أهله بعناد وجمدوه تجميداً. تمسكوا ببحور الخليل كأنها العرض والشرف؛ كانوا يخرجون من جاهلية إلى إسلام إلى عصر ازدهار إلى عصر انحطاط إلى عصر إحياء وهم ممسكون بهذا التقليد الشعري المحدد لا يتركونه. وفي الخمسينات من القرن العشرين قرروا أن يتركوه. اخترعوا الشعر المرسل فشعر التفعيلة فالشعر الحر ثم قصيدة النثر. وما زال العرب متحيرين كيف يكتبون الشعر. ولكنهم على مدى السنوات السبعين الماضية (وأنا أكتب في أواخر سنة ٢٠١٠) ظلوا مصممين على هجر الشعر العمودي. هجروه نظماً وهجرته نفوسهم، وانطفأ إيقاعه في آذانهم. يقرأ الشاب في أيامنا البيت فيكسره ولا يحس بأنه كسره. ولا نصف هذه الحال التي نحن عليها اليوم مادحين ولا قادحين. هذا واقع وكفى. على أننا نرى في تراثنا الشعري ثروة وجدانية مهمة من الجدير أن نقدمه للقارئ المعاصر في ثوب مناسب.

لقد نقل الشعر إلينا «الوجدان التاريخي» إن دق التعبير. اقرأ كتب المسعودي والطبري وابن الأثير وابن خلدون واليعقوبي في التاريخ وستعرف الكثير؛ ولكنك ستجد في الشعر معلومات أخرى غفلت عنها كتب التاريخ. ستجد فيه طريقة تفكير الناس في العصور المختلفة، وطريقة حياتهم، وتفاعلهم مع الأحداث. الشعر يُسِرُّ إليك بأمور غابت عن كتب التاريخ. ولا أظن أحداً من المؤرخين الذين ذكرتهم وصف لنا طريقة صنع الزلابية، ولا كيف يدحو الخباز رقاقته، ولا طريقة إعداد الساندويتش، ولا أن مترفي بغداد كانوا لا يجيزون لك أن تعض الخبزة بأسنانك ثم تغمسها في الطبق المشترك. كل هذا وصفه ابن الرومي، وكله موجود في مختاراتنا.

لا أزعم لهذه السلسلة ما ليس لها. هي ليست أكثر من مختارات. وحتى في شعرائها فهي كذلك. فلن تضم كل الشعراء ولا نصفهم ولا عشرهم. ستضم فقط من أعتقدُ أنهم أبرزهم. فأنا أختار الشعر بذوقي؛ وبذوقي أختار الشعراء أيضاً.

وأما التمثيل التاريخي فلا شأن لي به. قد أهمل قرناً أو قروناً ليس فيها شاعر عظيم. هذه سلسلة لكبار الشعراء لا لكبار الحوادث. كل ما أضمنه لك

أن أنفق ما تَقَرُّ به عيناك من نور عينَيَّ في تدقيق ما أختاره لك وتشكيله حتى يأتي صحيحاً تطمئن إليه نفسك.

الدوحة ٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠
٢٥ ذو الحجة ١٤٣١

١ حميمية

يـا حـبَّـذا لـيـلُ أيـلـولٍ إذا بَـرَدَتْ   فيـهِ مضـاجِـعُـنـا، والـريـحُ سَـجْـواءُ

أيلول: سبتمبر، المضاجع: أماكن النوم، سجواء: ساكنة

وجَمَّشَ القُرُّ فيهِ الجلدَ، فاتُلَفتْ   مِنَ الضَّجِيعيْنِ أَحْشاءٌ فَأَحْشاءُ

جمش: قَرَصَ، القر: البَرْد

٢ سماء الكرم

قال ابن الرومي في علي بن يحيى:

بِحَقِّكَ أمطرْتَ الوَرى، وبِحقِّهِمْ،   لأَنَّـهُـمُ أرضٌ، وأنـتَ سـمـاءُ

الورى: البشر

٣ فائدة الجفون

ليس حَمْدُ الجفونِ في مَرْيِهَا النو   مَ، ولا نَـفْـيِـهـا أذى الأَقـذاءِ

ليس حمد الجفون (سبب شكرنا لها) في مريها النوم (استجلابها النوم، فهي تستجلبه بالحيلة كما يحلب المرء الناقة قليلاً قليلاً)، ولا في إبعادها أذى الأقذاء (ما يقع في العين من قشة أو وسخة)

إنَّـمـا حـمـدُهـا: إذا هِـيَ حـالَـتْ   بـيـنَ طَرْفِ الـعُـيـونِ والـبُـغَـضَـاءِ

البُغضاء: الثقلاء

٤ الموز.. ممم

وقال (في الحسن بن عبيد الله بن سليمان):

إنَّـمـا الـموزُ، حيـنَ تُـمْكَنُ مِنْهُ،   كَـاسْـمِـهِ، مُبْدَلاً مِـنَ الـمـيـمِ فَـاءَ

تمكن منه: يصبح في حوزتك؛ أي هو (فوز)

يَـشْـهَـدُ الـلَّـهُ إِنَّـهُ لَـطَـعَـامٌ خُـرَّمِـيٌّ يُـغَـازِلُ الأَحْـشَـاءَ

الخُرَّم: الناعم من العيش (لسان العرب)، والكلمة فارسية ولها في الفارسية المعاصرة وجود

لـو تَـكُـونُ الـقـلـوبُ مَأْوَى طعـامٍ نـازَعَـتْـهُ قُـلـوبُـنـا الأَمْـعَـاءَ

٥ حوار مع العيوب

قال ابن الرومي يعاتب أبا القاسم التوزي الشطرنجي:

يـا أخـيِ: أيـنَ ريـعُ ذاكَ الـلِّـقـاءِ؟ أيـنَ مـا كـان بـيـنَـنـا مِـنْ صَـفـاءِ؟

ريع: ثمرة

كَـشَـفَـتْ مِـنْـكَ حـاجَـتـي هَـنَـوَاتٍ غُـطِّـيَـتْ بُـرْهَـةً بـحُـسـنِ الـلِّـقـاءِ

حاجتي التي أطلبها عندك كشفت لي عن هنوات (عيوب) كانت مغطاة بحسن اللقاء والبشاشة

تَـرَكَـتْـنـيِ؛ ولـم أَكُـنْ سـيِّءَ الـظـنِّ أُسِـيءُ الـظُّـنـونَ بـالأصـدقـاءِ

هذه العيوب تركتني (جعلتني) أسيء الظنون بالأصدقاء، ولم أكن قبلئذٍ كذلك

قـلـتُ، لـمَّـا بَـدَتْ لِعَـيْـنِيَ شُـنْـعَـاً: رُبَّ شَـوهَـاءَ فـي حَـشَـا حَـسْـنَـاءِ

قلت، عندما ظهرت العيوب لعيني شنيعة: رب خصلة شوهاء (مشوهة) تكون مطوية في أحشاء خصلة جميلة (يعني العيوب مستترة في جوف بشاشة اللقاء)

لـيـتَـنـيِ مـا هَـتَـكْـتُ عـنـكُـنَّ سِـتْـراً فَـثَـوَيْـتُـنَّ تـحـتَ ذاكَ الـغِـطـاءِ

الآن بدأ ابن الرومي يخوض حواراً مع العيوب. قلت للعيوب: ليتني تركتكن بستركن، فثويتن (مكثتن) تحت الستر

قُـلْـنَ: لـولا انْـكِـشـافُـنـا مـا تـجـلَّـتْ عـنـكَ ظَـلْـمـاءُ شُـبْـهـةٍ قَـتْـمَـاءِ

العيوب قالت: لولا ظهورنا لما انجلت عنك ظلماء (ريبة) الشبهة القتماء (القاتمة)

قـلـتُ: تَـالـلَّـهِ لـيـس مِـثْـلِـيَ مَـنْ وَدَّ ضَـلالاً، وحَـيْـرةً بِـاهْـتِـداءِ

قلت للعيوب: والله أنا لا أود الضلال والحيرة، بدلاً من الاهتداء للحقيقة.. ولكن..

غـيـرَ أَنِّـي وَدِدْتُ سَـتْـرَ صَـديـقٍ بَـدلاً بِـاسْـتِـفَـادَةِ الأَنْـبَـاءِ

لكنني فضلت أن أستر صديقي على استفادة (معرفة) الأنباء عن عيوبه

قُلْنَ: هذا هَوىً، فَعَرِّجْ على الحقِّ وخَـلِّ الـهَـوى لِـقَـلْـبٍ هَـواءِ

قالت العيوب: هذا هوى (ضلال)، فعرج على الحق (تعال للحق)، واترك الضلال لقلب هواء (قلب ضعيف)..

لـيـسَ فـي الـحـقِّ أنْ تَـوَدَّ لِـخِـلٍّ   أَنَّــه الــدَّهــرَ كــامــنُ الأَدواءِ
فليس حقاً أن تود لخل (صديق) أن يبقى الدهرَ (طول الدهر) كامن الأدواء (مخفيَّ الأمراض)

بـل مِـنَ الـحـقِّ أنْ تُـنَـقِّـرَ عَـنْـهُـنَّ   وإلّا فــأنــتَ كــالــبُــعَــداءِ
تنقر: تفحص

إنَّ بحثَ الطَّبيبِ عنْ داءِ ذي الدَّا   ءِ لأُسُّ الـشِّـفَـاءِ قـبـل الـشِّـفـاءِ
بحث الطبيب عن سبب الداء هو أساس للشفاء

دونَـكَ الـكـشـفَ والـعـتـابَ، فَـقَـوِّمْ   بِــهِــمَــا كُــلَّ خَــلَّــةٍ عَــوْجَــاءِ
دونك (خذ) الكشف عنا ـ العيوب ما زالت تتكلم ـ وخذ العتاب، وقوِّم كل خلة (خصلة) معوجة

وإذا مــا بَــدا لــكَ الـعُـرُّ يـومـاً   فَـتَـتَـبَّـعْ نِـقَـابَـهُ بِـالـهَـنـاءِ
إذا ظهر لك العر (الجَرَب) فتتبَّع نقابه (مواضع انتقاب الجلد) بالهناء (القطران)

قلتُ: في ذاكَ موتُكُنَّ، وما المو   تُ بِـمُـسْـتَـعْـذَبٍ لـدى الأحـيـاءِ
قلت للعيوب: في فعلي هذا موتٌ لَكُنَّ، وهل يجد الحي الموت عذباً؟

قـلـنَ: ما الـموتُ بالكريهِ إذا كا   ن بـحـقٍّ؛ فـلا تَـزِدْ فـي الـمِـرَاءِ
قالت العيوب: الموت غير كريه بالحق، فلا تزد في المراء (الجدال). انتهى الحوار بين الشاعر وبين عيوب أبي القاسم. وهذه محاورة غريبة طريفة، تدل على خيال جامح، وعلى اجتراء من ابن الرومي على قول أشياء في شعره لم ترد في أي شعر قبله، هذا دليل على التفرد

يـا أبا الـقـاسـمِ، الـذي كـنـت أرجو   ه لِـدَهـري، قَـطَـعْـتَ مـتـنَ الـرَّجـاءِ
لا أُجــازِيــكَ مِــنْ غُــرُورِكَ إيَّــا   يَ غُـروراً؛ وُقِـيـتَ سـوءَ الـجَـزاءِ
لا أجازيك (أردُّ عليك) بغرورك إياي (بخداعك إياي) غروراً (خداعاً)؛ وقاك الله الجزاء السيء

بل أَرى صِـدْقَـكَ الـحديثَ، وما ذا   كَ لِـبُـخْـلٍ عـلـيـكَ بِـالإغْـضـاءِ
وما أراه هو أن أصدقك القول، وهذا ليس لأنني أبخل عليك بإغضاء الطرف على عيوبك..

أنتَ عيني، وليسَ مِنْ حَقِّ عيني   غَـضُّ أجـفـانِـهـا عـلـى الأَقْـذاءِ
فأنت مثل عيني، وليس من حقها أن تغمض أجفانها على القذى (وسخ العين)

مـا بِـأَمـثـالِ مـا أَتَـيْـتَ مِـنَ الأَمـ   ـرِ يَـحُـلُّ الـفـتـى ذُرَا الـعَـلـيـاءِ
ليس بمثل الأعمال التي قمت بها يبلغ المرء ذرا العلياء (قمم المجد)

لـيس مَـنْ حَـلَّ بـالـمَـحَـلِّ الـذي أنــ ـتَ بِـهِ مِـنْ سـمــاحــةٍ أو وفــاءِ

ليس من هو في محلك العالي من السماحة (طيب النفس) والوفاء..

بَـذَلَ الـوعـدَ لـلأخـلَّاءِ سَـمْـحـاً، وأبـى بـعـدَ ذاكَ بَـذْلَ الـغَـنَـاءِ

هذا الشخص لا يبذل الوعود للأصدقاء بسماحة وكثرة، ثم يأبى بعد ذلك الغَناء (إعطاء ما يُغني ويسمن)

فـغَـدا كـالـخِـلافِ: يُـورِقُ لـلـعـيـ ـنِ، ويَـأبَـى الإثـمـارَ كـلَّ الإبـاءِ

مثل هذا الشخص يصبح كشجر الخلاف (الصفصاف) يورق ولكنه يأبى أن يثمر

يـا أخـي! يـا أَخـا الـدمـاثـةِ والـرقَّـ ـةِ والـظَّـرْفِ والـحِـجَـا والـدَّهـاءِ

الحجا: العقل

رُبَّـمـا هَـالَـنـي وحَـيَّـرَ عَـقْـلـي أَخْـذُكَ الـلَّاعِـبِـيـنَ بِـالـبَـأْسَـاءِ

ربما (كثيراً ما)، البأساء (الشدة)

واحـتـراسُ الـدُّهـاةِ مـنـكَ، وإِعْـضَـا فُـكَ بـالأقـويـاءِ والـضُّـعَـفـاءِ

وتـدابـيـرُكَ الـلِّـطـافُ الـلـواتـي هُـنَّ أخْـفَـى مِـنْ مُـسْـتَـسِـرِّ الـهَـبَـاءِ

اللطاف (الخفية)، مستسر الهباء (الهباء المستخفي)

بـل مِـنَ الـسِّـرِّ فـي ضـمـيـرِ مُـحِـبٍّ أدَّبَــتْــه عــقــوبــةُ الإفــشَــاءِ

بل إن تدابيرك وخططك الجهنمية في الشطرنج أكثر خفاء من السر في ضمير عاشق أفشى السر سابقاً وعوقب فتأدب، فهو يخفي السر بقوة الآن

فـإِخَـالُ الـذي تُـدِيـرُ عـلـى الـقَـوْ مِ حــروبــاً دَوائــرَ الأَرْحَــاءِ

يخيل إليَّ أن ما تديره على اللاعبين حروب دائرة الأرحاء (حجارة طواحينها تدور)

وأظـنُّ افْـتِـراسَـكَ الـقِـرْنَ فـالـقِـرْ نَ مَـنــايــا وَشـيــكــةَ الإرْداءِ

ويهيأ إلي أن افتراسك القرن (الخصم) بعد الخصم منايا (ميتات) وشيكة الإرداء (سريعة الفتك)

وأرى أنَّ رُقْــعَــةَ الأَدَمِ الأحــ ـمَـرِ أرضٌ عَـلَـلْـتَـهـا بِـدِمَـاءِ

أرى رقعة الأدم (الجلد) الأحمر، رقعة الشطرنج، كأرض المعركة وقد عللتها (سقيتها) بالدم

غَلِطَ الناسُ: لستَ تلعبُ بِالشِّطْـ ـرَنْـجِ، لـكـنْ بـأَنْـفُـسِ الـلُّـعَـباءِ

والشطرنج لعبة نفسية حقاً. إذا أربكت خصمك وأوهمته شللت عقله عن التفكير في الخطوات البعيدة

لَـكَ مَكْرٌ يَدِبُّ في القومِ، أخفَى مِـنْ دَبِـيـبِ الـغِـذَاءِ فـي الأَعْـضَـاءِ

مكرك في اللعب يتسلل لنفوس القوم بخفية كما يتسلل الغذاء في أعضاء الإنسان

أو دبيبِ المَلالِ في مُسْتَهامِيـ ـنَ إلى غَايَةٍ مِنَ البَغْضَاءِ

أو يتسلل مكرك كتسلل الملل في نفوس المستهامين (العاشقين) بحيث يتحول العشق إلى أقصى البغض، لكن بالتدريج

أو مَسِيرِ القضاءِ في ظُلَمِ الغيْـ ـبِ إلى مَنْ يُريدُهُ بِالْتِواءِ

ومكرك مثل سير القضاء والقدر في ظلمات الغيب (بدون معرفتنا فكأنه يسير في الظلام)، ليصل إلى المرء من طريق ملتوٍ

أو سُرَى الشيبِ تحتَ ليلِ شبابٍ مُسْتَحِيرٍ في لِمَّةٍ سَحْمَاءِ

ويشبه مكرك سرى (السير ليلاً) الشيب تحت ليل الشباب (الشعر الأسود)، وهذا الشباب مستحير (هادئ وادع) في لمة (شعر) سحماء (سوداء). يقول: إن الشيب يسير مستخفياً بينما الشباب مطمئن في كتلة الشعر الأسود غير عارف بما سيأتي عليه من مشيب

تَقْتُلُ الشَّاهَ حيثُ شئتَ مِنَ الرُّقْـ ـعَةِ، طَبّاً بالقَتْلَةِ النَّكْرَاءِ

تقتل الشاه (ملك الشطرنج) في أي مكان شئت من الرقعة، طباً (مغرَماً) بالقتلة النكراء الفظيعة

غيرَما نَاظِرٍ بِعَيْنَيكَ في الدَّسْـ ـتِ، ولا مُقْبِلٍ على الرُّسَلاءِ

ولا تكاد تنظر إلى الدست، ولا تقبل بوجهك على الرسلاء (الخصوم) بل أنت تلاعبهم وأنت مشيح بوجهك محدثاً الآخرين لقلة اهتمامك، ولثقتك بقدرتك

بل تَراها، وأنتَ مُسْتَدْبِرُ الظَّهْـ ـرِ بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ

ترى الدست وأنت تعطيه ظهرك، وتراه بقلبٍ (عقل) مخلوق من ذكاء صرف

والفؤادُ الذَّكِيُّ، لِلْمُطْرِقِ المُعْـ ـرِضِ، عَيْنٌ يَرى بِها مِنْ وَرَاءِ

وتُلَقَّى الصَّوابَ فيما سِوَى ذَا كَ، إذا جارَ جَائِرُ الآرَاءِ

تلقى (تُعطى) الصواب، في غير الشطرنج، في حين يجور الجائر (المنحرف) من الآراء

فَتَرَى أنَّ بُلْغَةً، مَعَهَا الرَّا حَةُ، خيرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ وشَقَاءِ

فأنت في الحياة ترى أن بلغة (قليلاً من المال) مع وجود الراحة أفضل من الثروة المصحوبة بالشقاء (التعب)

وقَديماً رَغِبْتَ عنْ كلِّ مَصْحُو بٍ مِنَ المُتْرَفِينَ والأُمَراءِ

كنت فيما مضى قد رغبت عن (ابتعدت عن) كل من يصاحَب من الأغنياء والأمراء

ورفضتَ التجارةَ الجَمَّةَ الرِّبْـ ـحِ، وما في مِرَاسِها مِنْ جَدَاءِ

ورفضت التجارة الكثيرة الربح، ورفضت ما في ممارستها من جداء (نفع)

لـم تَـبِـعْ طِـيـبَ عِـيـشَـةٍ بِـفُـضـولٍ   دُونَـهـا خُـبْـثُ عِـيـشَـةٍ كَـدْرَاءِ

لم تبع العيشة الهنيئة بفضول (زيادات في المال) يكون دونها (قبل الوصول إليها) القلق والعيشة الكدراء (المكدرة)..

تَـعَـبُ الـنَّـفْـسِ والـمَـهَـانَـةُ والـذِّلَّـ   ـةُ والـخـوفُ واطِّـرَاحُ الـحَـيـاءِ

وهذه العيشة المكدرة قوامها التعب والهوان وفقدان المرء حياءه في حضرة الأمراء

بـل أَطَـعْـتَ الـنُّـهَـى، فَـفُـزْتَ بِـحَـظٍّ   قَـصَّـرَتْ عـنـه فِـطـنـةُ الأغـبِـيـاءِ

أطعت النهى (العقل) ففزت بحظ لم يفطن إليه الأغبياء

رَاحَـةِ الـنَّـفْـسِ والـصِّـيَـانَـةِ والـعِـفَّـ   ـةِ والأمْـنِ فـي حَـيـاءٍ رَوَاءِ

فزتَ براحة النفس والصيانة (صون النفس عن المذلة) وعشت في حياء رَوَاء (عذب)

عـالِـمـاً بـالـذي أَخَـذْتَ وأَعْـطَـيْـ   ـتَ، حكيماً في الأَخْذِ والإعْطَاءِ

وأنت تعرف جيداً ما الذي اخترته، وكنت حكيماً

قـائـلاً لـلـمُـشِـيـرِ بِـالـكَـدْحِ: مَـهْـلاً!   مـا اجـتـهـادُ الـلـبـيـبِ بَـعْـدَ اكْـتِـفَـاءِ؟

وقلت لمن يشير عليك بالكدح: ما فائدة اجتهاد العاقل وإتعابه نفسَه بعد نيله كفايته؟

مَـرْحـبـاً بِـالـكَـفـافِ يـأتِـي هـنـيـئـاً،   وعـلـى الـمُـتْـعِـبَـاتِ ذَيْـلُ الـعَـفَـاءِ

مرحباً بالكفاف من العيش (ما يكفي فقط)، وعلى الأمور المتعبة ذيل العفاء (يجر ذيل العفاء: يتناسى)

ضَـلَّـةً لامْـرِئٍ يُـشَـمِّـرُ فـي الـجَـمْـ   ـعِ لِـعَـيْـشٍ مُـشَـمِّـرٍ لِـلْـفَـنَـاءِ

ما أضل المرء يشمر ساعديه يجمع المال لعيش، بينما هذا العيش يشمر ساعديه للفناء؟ فعمر الإنسان ينقضي يوماً فيوماً

دائـبـاً يـكـنِـزُ الـقَـنـاطـيـرَ لِـلْـوا   رِثِ، والـعـمـرُ دائـبٌ فـي انـقـضـاءِ

هذا الشخص مواظب على اكتناز قناطير الذهب لكي يرثها الوارث. والقنطار كمية مختلف عليها لكنها في المال تعني الكثير الكثير

حـبَّـذَا كَـثْـرَةُ الـقَـنـاطِـيـرِ لـو كـا   نـتْ، لِـرَبِّ الـكـنـوزِ، كَـنْـزَ بَـقَـاءِ

ما أحسن القناطير لو كانت لصاحب الكنوز كنزاً من البقاء، وزيادة في العمر

يَـحْـسَـبُ الـحـظَّ كـلَّـهُ فـي يَـدَيْـهِ   وَهْـوَ مـنـه عـلـى مَـدَى الـجَـوْزَاءِ

صاحب الكنوز يحسب أنه حاز الحظ، والحظ بعيد منه بعد الأرض عن الجوزاء (نجوم في السماء)

لـيـس فـي آجِلِ الـنَّـعـيـمِ لَـهُ حَـظٌّ   ومَــا ذاقَ عــاجِــلَ الـنَّــعْــمَــاءِ

ويكون صاحب المال قد ضيع نصيبه في آجل النعيم (النعيم المؤجل = الجنة)، ولم يذق النعيم العاجل في الدنيا أيضاً

يـا أبـا الـقـاسـمِ الـذي لـيـس يَـخْـفَـى   عــنــه مَــكْــنُــونُ خُــطَّــةٍ عَــوْصَــاءِ

عوصاء: عويصة

ثَقُلَتْ حاجَتِي عليكَ، فأضحَتْ   وَهْـيَ عِـبْءٌ مِـنْ فـادِحِ الأَعْـبـاءِ

ظُلِمَتْ حاجتي، فَلاذَتْ بِحَقْوَيْـ   ـكَ، فَأَسْلَمْتَها بِكَفِّ القَضاءِ

ظلمت حاجتي (وضعت في غير موضعها) عند الآخرين فلاذت بحَقويك (استجارت بجانبيك)، فوضعتها أنت بكف القضاء بدل أن تصنع شيئاً

وقَـضـاءُ الإلَـهِ أَحْـوَطُ لِـلـنَّـا   سِ مِـنَ الأُمَّـهَـاتِ والآبَـاءِ

قضاء الله أحوط (أكثر حماية) للناس من أمهاتهم وآبائهم، ولكن..

غـيـرَ أنَّ الـيـقـيـنَ أضـحَـى مَـرِيـضـاً   مـرضـاً بـاطِـنـاً شـديـدَ الـخَـفَـاءِ

لكن اليقين بأن يحمينا الله صار مريضاً مرضاً باطناً. فنحن البشر نقول بألسنتنا إننا نؤمن بحماية الله لنا، ولكننا في قلوبنا نشك في ذلك

مـا وَجَـدْتُ امْـرَأً يَـرَى أنَّـهُ يُـو   قِـنُ إلَّا وفِـيـهِ شَـوْبُ امْـتِـراءِ

ما وجدت شخصاً يظن أنه يوقن (يؤمن) إلا وجدت فيه شوب امتراء (مسحة من شك)

لـو يَـصِـحُّ الـيَـقِـيـنُ مـا رَغِـبَ الـرا   غِـبُ إلَّا إلـى مَـلـيـكِ الـسَّـمَـاءِ

وعَـسِـيـرٌ بُـلُـوغُ هـاتِـيـكَ جِـدَّاً؛   تِـلْـكَ عُـلْـيـا مَـراتِـبِ الأنـبِـيـاءِ

كنتُ مُسْتوحِشَاً، فأظهَرْتَ بَخْسَاً   زَادَنـي وَحْـشَـةً مِـنَ الـخُـلَـطـاءِ

كنت مستوحشاً (أشعر بحصار نفسي) فأظهرت أنت بخساً لحقي زادني وحشة من الناس الذين أخالطهم

وعَـزيـزٌ عَـلَـيَّ عَـضِّـيـكَ بِـالـلَّـوْ   مِ، ولـكـنْ أَصَـبْـتَ صَـدْري بِـدَاءِ

عزيز علي عضيك (أن أعضك) بلومي، لكنك شحنت صدري بالغضب

أنـتَ أَدْوَيْـتَ صَـدْرَ خِـلِّـكَ، فـاعـذِرْ   هُ عـلـى الـنَّـفْـثِ؛ إنَّـه كـالـدَّوَاءِ

أنت أدويت (أدخلت الداء) إلى صدر خلك (صديقك)، فاعذره على النفث (إخراج ما في الصدر من بلغم)، فهذا يريحه. يشبه العتاب بإخراج البلغم من الصدر

قد قَضَينا لُبانَةً مِنْ عِتابٍ وجَميلٌ تَعاتُبُ الأَكْفاءِ

ها قد قضينا لبانة (حاجة) من عتاب. وجميل أن يتعاتب الأكفاء. لاحظ: بعد كل هذا العتاب الجميل البليغ المليء بالفن، نراه بكلمة واحدة يعيد رسم خريطة العلاقة: فهو وأبو القاسم من الأكفاء الأنداد المتساوين، ولا فضل لواحد على الآخر

ولكَ العُذْرُ، مِثْلَ قافِيَتي فيـ ـكَ اتِّساعاً، فَإِنَّها كالفَضاءِ

لك العذر الواسع سعة قافيتي الهمزية هذه، فهي واسعة كالفضاء (ذلك أن الكلمات المنتهية بالهمزة كثيرة جداً يختار منها الشاعر ما يشاء)

وتَأَمَّلْ فإنها أَلِفُ المَدِّ ـ لَها مَدَّةٌ بِغَيْرِ انتهاءِ

فألف المد لها امتداد لا ينتهي من حيث عدد الكلمات

والذي أطلَقَ اللِّسانَ فعاتَبْـ ـتُكَ عَدِّيكَ أَوَّلَ الفُهَماءِ

وما جعلني أعاتبك عديك (عدي إياك/ أنني أعتبرك) أول الفهماء

إنَّ مَنْ لامَ جاهِلاً لَطَبيبٌ يَتَعاطَى عِلاجَ داءٍ عَياءِ

وأما الذي يلوم الجاهل فهو كالطبيب الذي يحاول علاج داء عياء (مستعص)، لذلك فعتابي لك دليل على أنني أعتبرك فاهماً ذكياً

٦ والأمراء أيضاً

﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ مَسَبَّةٌ مِنَ اللَّهِ مَسبوبٌ بها الشعراءُ

هذا القول الوارد في القرآن مسبة للشعراء..

وما ذاك فيهِمْ وحْدَهُ بَلْ زِيادةٌ: يقولونَ ما لا يفعلُ الأُمَراءُ

وليس هذا هو العيب الوحيد فيهم، بل هم أيضاً يقولون ما لا يفعل الأمراء. يقصد أن مدحهم للأمراء كاذب، فالأمراء ليسوا أسخياء ولا شجعاناً

٧ الأمير ناقداً

وقال في محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان صاحب شعر ونقد:

قد بُلِينا في دهرِنا بِملوكٍ أدباءٍ - عَلِمْتُهُمْ - شُعراءِ
إنْ أَجَدْنا في مدحِهِمْ حَسدُونا فَحُرِمنا منهُمْ ثوابَ الثَّناءِ
أو أَسأْنا في مدحِهِمْ أَنَّبُونا وهَجَوْا شعرَنا أشدَّ هِجاءِ
قد أقاموا نفوسَهُمْ، لِذَوي المد حِ، مَقامَ الأندادِ والنُّظَراءِ

٨ خجلان منك، ولكن.. هات

وقال يشكر ويستسقي نبيذا:

عـاقَـنَـا أن نَـعـودَ أنَّـكَ أَوْلَـيْـ ـتَ أموراً يَضيقُ عنها الجَزاءُ

عاقنا عن القدوم إليك أنك أوليت (أعطيت) الكثير مما يضيق عنه جزاؤنا لك بالشكر

غـمرَتْنا منكَ الأيادي اللَّواتي مَا لِمِعشارِها لديْنا كِفاءُ

الأيادي (الخيرات) منك غمرتنا، ولا نستطيع مكافأة عُشرها

فَنهانا عنكَ الحياءُ طويلاً ثم قد رَدَّنا إليكَ الحَياءُ

نهانا الخجل عن القدوم عليك، ثم إن خجلنا من الابتعاد عنك جعلنا نرجع

فاسْقِنا مِنْ شرابِكَ الرَّائقِ العَذْ بِ، ولا تَحْمِنا، سَقَتْكَ السَّماءُ!

ابعث لنا نبيذاً عذباً، ولا تحمنا (تمنعنا)، سقتك السماء (يدعو له بالسقيا.. دعوة مألوفة)

٩ ضحايا الطبيب

قال ابن الرومي في طبيب (واستفدتهما من نفح الطيب للمقَّري وليسا في الديوان):

أفنَى وأعمَى ذا الطبيبُ بطِبِّهِ وبِكُحْلِهِ الأحياءَ والبُصَرَاءَ

أمات هذا الطبيب ناساً بطبه، وأعمى ناساً آخرين بكحله (تطبيبه العيون)

فإذا مَرَرْتَ رأيتَ مِنْ عُمْيَانِه أَمَماً على أمْواتِه قُرَّاءَ

١٠ لطف الله

وقال في القاسم بن عبيد الله:

كلُّ شيءٍ أراهُ منكَ بَشيرٌ صَدَّقَ اللَّهُ هذهِ البُشَرَاءَ

كل ما يبدو منك بشير بخير، وأرجو أن يصدق الله هذه البشراء (جمع بشير) ويحول ذلك إلى أفعال

وإذا ما مَخَابِرُ الناسِ غابتْ عنكَ، فاستشهِدِ الوُجوهَ الوِضَاءَ

فإذا اختفت مخابر الناس (حقيقة أمرهم)، فلك في وجوههم الوضيئة شاهد على تلك الحقيقة الدفينة، وكذا البشارة فهي إرهاص بوقوع الخير

قد غَدا يُوسِعُ الرَّعِيَّةَ عدلاً غيرَ أنِّي لَقِيتُ منه اعْتِداءَ

ولكن هذا الممدوح أشبع الناس عدلاً، ولكنني لقيت منه اعتداء على حقوقي

كـان يَـأتـيـنِـيَ الـرسـولُ فَـيُـهْـدِي لـيِ سُـروراً، ويَـكْـبِـتُ الأعـداءَ

كان مبعوثه يأتيني فأُسرُّ به، وأكبت أعدائي (أغيظهم)

فَـقـطَـعْـتَ الـرسـولَ عـنِّـيَ، ضَـنًّـاً بـاتِّـخَـاذِيـهِ مَـفْـخَـراً وبَـهَـاءَ

ثم إنك يا هذا الممدوح قطعت رسولك عني، كأنك تضن علي بأن أتخذ قدومه مفخرة وبهاء (مباهاة) أمام الناس

أنـت ذاكَ الـذي إذا لاحَ عـيـبٌ جـعـلَ الـسِّـتْـرَ دونَـه الإغْـضَـاءَ

وأنت إذا بدا عيب سترته بالإغضاء عنه

أنـا عَـارٍ مِنْ كـلِّ شيءٍ سوى فَضْـ ـلِـكَ، لا زِلْـتَ كُـسْـوةً وغِـطَـاءَ

أنا ليس لي سوى فضلك عليَّ، أدعو الله لك أن تظل كسوة وغطاء يقيني الفقر

يا لِقَوْمِ! أَأَثْقَلَ الأرضَ شَخْصِي؟ أم شَكَتْ مِنْ جَفَاءِ خَلْقِي امْتِلاءَ؟

هل أصبح جسمي ثقيلاً فوق الأرض؟ أم شكت الأرض امتلاءها من جفاء خلقي (ضخامة جسمي)؟

أنـا مَـنْ خَـفَّ واسْـتَـدَقَّ، فَـمَـا يُـثْـ ـقِـلُ أرضـاً، ولا يَـسُـدُّ فَـضَـاءَ

أنا قد خف وزني واستدق (نحُف) جسمي

إنَّ مِنْ أضعَفِ الضِّعَافِ لدَى اللَّـ ـهِ قـويّـاً يـسـتـضـعِـفُ الـضُّـعَـفـاءَ

وضعيف عند الله ذلك القوي الذي يستضعف الضعفاء

وتَـعَـلَّـمْ، مَـتَـى حَـمـيْـتَ عـلـى عَـبْـ ـدِكَ تـلـكَ الـمـيـاهَ والأَكْـلاءَ

وتعلمْ (اعلَمْ) متى حميت (عندما تمنع) عن عبدك الماء والأكلاء (الأعشاب/يقصد القوت)..

أنَّ لـلَّـهِ غـيـرَ مَـرعَـاكَ مَـرْعـىً يَـرْتَـعِـيـهِ، وغـيـرَ مـائِـكَ مـاءَ

..أن لله مرعى غير مرعاك يرتعيه هذا المظلوم، ولله ماء غير مائك. والماء والعشب هما قوام حياة عرب الصحراء

وتَـيَـقَّـنْ، متـى جَـنَـيْـتَ عـلـى عَـبْـ ـدِكَ ضَـيْـمـاً وضَـيْـعَـةً وعَـنـاءَ

تيقن عندما تجني على عبدك الضيم (الظلم) وتضيعه وتتعبه..

أَنَّ لـلَّـهِ بـالـبـريَّـةِ لُـطْـفـاً سَـبَـقَ الأمـهـاتِ والآبـاءَ

..أن لطف الله يسبق لطف الأمهات والآباء (مثل هذا البيت المدهش في سهولته لا يقع للشعراء بسهولة)

أنا ذو القصدِ، غيرَ أنّيِ، مَتَى آ   نَسْتُ جَوْراً، رأيتَ لي غُلَوَاءَ

أنا ذو القصد (صاحب اعتدال)، غير أني إذا آنست (لمست) جوراً فإن لي غلواء (اشتداد)

والغِنَى واسعٌ بِكَفَّيْ جَوَادٍ   يَرْزُقُ الأغنياءَ والفقراءَ

الغنى عند الجواد (يقصد الله) واسع، والله يرزق الغني والفقير

ليَ خَمسونَ صاحباً، لو سَأَلْتُ الـ   ـقُوتَ فيهِمْ أَلْفَيْتُهُمْ سُمَحَاءَ

ولي خمسون صاحباً كلهم سمحاء (كرماء يسمحون بمالهم)

فَلْيَقُمْ كاشِحِي بِنَقْضِ الذي قُلْـ   ـتُ، وإلّا فَلْيُطْرِقِ استِحْياءَ

فهلا قام كاشحي (عدوي الذي يضمر العداوة) بإثبات عكس ما قلت، أو ليطرق خجلاً

إنَّنيِ إنْ نَفَرْتُ أَمْعَنْتُ في النَّفْـ   ـرِ، ومِثْلِي عَمَّنْ تَناءَى تَنَاءَى

إنني إذا نفرت (تمردت) أمعن في التمرد، ورجل مثلي يتناءى (يبتعد) عمن يبتعد عنه

والعلاءُ بنُ صَاعِدٍ قَبْلَ هَذا   قد حَمَى دونَ رَائدِي الأَحْمَاءَ

وكان العلاء بن صاعد قد حمى (منع) دون رائدي الأحماء (منع رائدي الذي يذهب يبحث لي عن العشب من أحمائه ـ جمع حمى وهو مكان الرعي الذي يخصصه المرء لنفسه). يشبه نفسه بشيخ قبيلة بعث رائداً يرتاد له مكاناً معشباً للرعي، ولكن العلاء بن صاعد منع الرائد من دخول أحمائه (مناطقه الخاصة)

فَارْمِ بالطَّرْفِ شَخْصَهُ هَلْ تَراهُ؟   وادْعُهُ الدَّهْرَ هل يجيبُ دُعَاءَ؟

فارم بطرفك (انظر) إلى العلاء فهل تراه؟ لقد نكب، وادعه الدهرَ (ناده طول الدهر) هي يجيب نداءك؟

ليس إلّا لأنّني كنتُ شمساً   قابَلَتْ منهُ مُقْلَةً عَشْواءَ

وما حدث له هو أنني كنت كالشمس، ولكنه لم يلتفت إلي وكانت مقلته (عينه) عشواء (ضعيفة النظر)

فأَرانِيهِ نَاصِرِي وأباهُ   ـ ولهُ الحمدُ ـ مُثْلَةً شَوْهَاءَ

فأراني إياه ناصري (الله) ـ وأراني الله أباه أيضاً ـ مثلة شوهاء (جثة تم التمثيل بها وتشويهها)

أنا ذو صفحَتَيْنِ: مَلسَاءَ حَسْنَا   ءَ، وأُخرى تَمَسُّهَا خَشْنَاءَ

خَاشِعٌ تارةً، وجَبَّارٌ اخْرَى   فَتَرانِي أرضاً، وطَوْراً سَماءَ

لا بِحَوْلٍ، ولا بِقُوَّةِ رُكْنٍ   غيرَ لُبْسِي تَجَلُّداً وحَيَاءَ

وأرى ذِلَّتِي تُرِيكَ هَوَانِي   ودُنُوِّي يَزِيدُنِي إقْصَاءَ

أظن أن ذلتي تريك هواني (تجعل رأيك: أنني جدير بالهوان)، وأظن دنوي (اقترابي) يزيدني إقصاء من جانبك

ومتى مَا فَزِعْتُ منكَ إلى الصَّبْـ ـرِ فـنـاديْـتُـهُ أجـابَ الـنِّـدَاءَ

وإذا فزعت (التجأت) منك واعتصمت بالصبر وناديته فسوف يجيبني. وانظر ما صنع صبري بالعلاء، فقد صبرت عليه حتى حلت به النكبة

ومتى مَا دعوتُ رَبِّي على الدَّهْـ ـرِ، وظُلْمِ الخُطوبِ لَبَّى الدُّعَاءَ

١١ الساعي وراء الهجاء

وقال في خالد القحطبي:

يا خالدَ ابنَ الخالِداتِ مَخازِياً ماذا دعاكَ إلى اكتسابِ هجائي؟

الخالدات مخازياً: ذوات المخازي الخالد ذكرها

لما بدا لكَ أن خِزْيَكَ قد غَدا أُحدوثَةَ الرُّكْبانِ والأمْلاءِ

الأملاء: جمع الملأ، وهو القوم. كقولك: أيها الملأ، أي أيها الناس

عرَّضْتَ للشعراءِ عِرْضَكَ عامِداً كيْمَا يُقالَ: تَكَذُّبُ الشُّعَراءِ

أنت تعرّض نفسك للشعراء لتنال هجاءهم حتى يقول الناس: إن كل ما نسمعه عنه تكذُّب (افتراء) من الشعراء

يا شاعراً يَهجُو نُسَيَّةَ خالِدٍ عَنْكَ الهِجَاءَ! كَفَاكَ بالأسماءِ

يخاطب ابن الرومي شاعراً افتراضياً: أيها الشاعر الذي يهجو نسية (نساء) خالد، عنك (دع عنك) الهجاء ويكفي فقط ذكر أسمائهن

أسماؤُهُنَّ هِجاؤُهُنَّ، ومَنْ يَقُلْ: أَفْعَى، يُبِنْ، لا شَكَّ، عنْ صَمَّاءِ

قل أسماءهن فقط فهذا هجاء لأن سمعتهن معروفة، والذي يقول عن الأفعى أفعى يبين (يشير) إلى صماء (أفعى مؤذية)

لا تَحْسَبَنَّكَ في هجائكَ تَفتَري ما لم يَجِئْنَ به مِنَ الفَحْشاءِ

اهج كما تشاء، فهن قد جئن (فَعَلْنَ) كل ما تقول

١٢ إيوان كسرى

وقال في خالد القحطبي:

مَنْ يَكُنْ قَرْنُهُ كقَرنِكَ هذا فَلْيَكُنْ بابُه كإيوانِ كِسْرَى

نعت الرجل بأنه ذو قرن أو قرون كناية عن أنه منتهَك العرض. وإذا كان باب بيته مفتوحاً فهذا يحتمل أنه كريم سخي، أو أنه فتح بابه لطلاب اللهو. وقد عرفت بغدادُ تلك بيوتاً كان أصحابها يستقبلون الناس كي يلهوا بالجواري، وكان ابن الرومي نفسه كثير الغشيان لهذه البيوت. الإيوان: مجلس مفتوح من جهة واحدة لا باب عليها

١٣ سألعبُ بأشلائك

وقال في ابن الخبازة (وهو رجل فاضل صاحب شعر في الزهد. ومن قال إن ابن الرومي كان يهجو الأشرار!):

يا ابنَ بُورَانَ، يا جُعِلْتَ فِدَائي، عِشْتَ في غِبْطَةٍ وفي نَعْمَاءِ

يدعو له ـ هازئاً ـ عاكساً الدعاء المألوف (بدل أن يقول «فديتُك» قال جُعلتَ أنت فدائي)

كيف أهجُو امرأً كَريماً لئيماً واحدَ الأمِّ، خِلْفَةَ الآباءِ؟

خلفة الآباء: أي آباؤه كثر لِمَا تَعاوَرَ على أمه من رجال. في ذلك الزمن لم يكونوا متأكدين من أن الإنسان يولد من حيوان منوي واحد لرجل واحد

إنَّما أَستَطيبُ كَدَّكَ في شِعْـ ـرِكَ، يا ابْنَ الخَبَّازَةِ البَظْراءِ

البظراء: ذات البظر البارز، مسبة قديمة

فاهْجُني؛ إنما هِجاؤُكَ عندي ضَحِكاتٌ تزيدُ في السَّرَّاءِ

أنا في غبطةٍ بها وسرورٍ مِلْءَ صدري، وأنتَ في بُرَحاءِ

برحاء: ألم شديد

أنا هاجِيكَ ما سَكَتَّ؛ ومُعْفِيـ ـكَ، إذا ما هجَوْتَني، مِنْ هِجائي

ليسَ يُنجِيكَ مِنْ يَدَيَّ سوى ذا كَ، ولوْ كنتَ في بُروجِ السَّماءِ

ويميناً لأَلْعَبَنَّ بأشْلا ئِكَ بينَ الإشْوَاءِ والإصْمَاءِ

الإشواء: عدم الإصابة في الصيد أو المعركة، الإصماء: الإصابة في مقتل

هاجياً، مادِحاً، ومُتَّخِذاً إيَّـ ـاكَ مَلْهَىً، وعُرْضَةَ اسْتِهزَاءِ

ملهىً: مادة للّهو، عرضةَ استهزاء: هدفاً للسخرية

١٤ غناء كالعواء

ليسَ كالسُّكْرِ دواءٌ لِغِناءٍ كالدَّواءِ

فاسْقِني عِشْرينَ رَطلاً لا تَشُبْهُنَّ بِمَاءِ

الرطل: مكيال للشراب، لا تشبهنَّ: لا تخلِطْهن

فلعلَّ السُّكْرَ يَكْفِيـ ـنِي أذَى هَذا العُوَاءِ

مَنْ رَأَى مُنْتَحِباً غَيْـ ـرِي على سُوءِ الغِناءِ

١٥ صانعة الشعراء

وقال في وهب بن سليمان:

مـا لَقِينَا مِنْ ظَرْفِ ضَرْطَةِ وَهْبٍ!　　صَـيَّـرَتْ أهـلَ دهـرِنـا شـعـراءَ

ما هذا الذي لقيناه من ضرطة الرجل الظريفة! لقد صيرت الناس كلهم شعراء (وقد وصف تلك الضرطة التي أفلتت من الرجل في مجلس الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان شعراء كثر من بينهم البحتري الذي قال فيها تسع قطع، وقصة هذه الريح مع أشعار كثيرة فيها لشعراء كثر موجودة في ثمار القلوب للثعالبي)

هيَ عندي كَجُودِ فَضْلِ بنِ يَحيى　　غـيـرَ أنْ لـيـسَ تَـنْـعَـشُ الـفـقـراءَ

الفضل بن يحيى البرمكي وزير الرشيد قتل قبل ولادة ابن الرومي بنحو أربعين سنة

١٦ كن ما شئت، تبق غبياً

وقال في المفضل بن سلمة (وهو لغوي فاضل، ومن قال إن ابن الرومي لم يهج الأفاضل!):

لـوْ تَـلَـفَّـفْـتَ فـي كِـسـاءِ الـكِـسـائِـي　　وتَـلَـبَّـسْـتَ فَـرْوَةَ الـفَـرَّاءِ

الكسائي والفراء: نحويان

وتَـخَـلَّـلْـتَ بِـالـخـلـيـلِ، وأَضْـحَـى　　سِـيـبَـوَيْـهِ لـدَيْـكَ رَهْـنَ سِـبَـاءِ

الخليل بن أحمد: رجل لغة ونحو، وسيبويه هو من تعرفون. ورهنَ سباء: أي مسبياً، مأسوراً

وتَـكَـوَّنْـتَ مِـنْ سَـوادِ أَبـي الأَسْـ　　ـوَدِ شـخـصـاً يُـكْـنَـى أَبَـا الـسَّـوْدَاءِ

أبو الأسود الدؤلي: صاحب لغة

لأَبَـى الـلَّـهُ أَنْ يَـعُـدَّكَ أهـلُ الـ　　ـعِـلْـمِ إلَّا مِـنْ جُـمْـلـةِ الأغـبـيـاءِ

١٧ وفرت حمدي عليك

وقال في إسماعيل بن بلبل:

أتـيـتُـكَ لـم أَشْـفَـعْ إلـيـكَ بِـشَـافِـعٍ　　ولـو شـئـتُ كـانَ الـنـاسُ لـي شُـفَـعَـاءَ

ولَـكِـنَّـنـي وَفَّـرْتُ حَـمْـدِي بِـأَسْـرِهِ　　عـلـيـكَ، ولـم أُشْـرِكْ بِـكَ الـشُّـرَكَـاءَ

نَـداكَ مَـعِـينٌ، كـالـذي قـد عَـلِـمْـتَـهُ،　　ولَـوْ كـان غَـوْراً لالـتَـمَـسْـتُ رِشَـاءَ

معين: ماء فائض، كالذي قد علمته: يعني أنك تعرف عمقه وغزارته، غور: غائر قليل الماء، رشاء: حبل. يقول للممدوح: كرمك فائض، كما تعلم، ولو كان كرمك بئراً قليلة الماء لطلبت حبلاً أنتشل الماء به، وعلى هذا فأنا لم أشفع لك بشافع لوفرة كرمك

وهـذا شِـتَـاءٌ قـد أَظَـلَّ رِوَاقُـهُ   وجَـارُكَ جَـارٌ لا يَـخـافُ شِـتَـاءَ

جارك: المستجير بك، وليست الجيرة المكانية

١٨ النرجس

وإذا مـا تَـحَـلَّـتِ الأرضُ بـالـنَّـرْ   جِسِ بَـاهَـتْ بـه نـجـومَ الـسـمـاءِ

١٩ ما قلّ ودلّ

كُـلُّ امـرِئٍ مَـدَحَ امْـرَأً لِـنَـوالِـه   فـأطـالَ فـيـه فـقـد أرادَ هِـجـاءَهُ

لوْ لـمْ يُقَدِّرْ فيه بُعْدَ الـمُـسْـتَـقَى   عـنـدَ الـوُرودِ لـمَـا أطـالَ رِشَـاءَهُ

الذي يطيل قصيدة المدح يكون كمن يهجو، وهو مثل المستقي من بئر يقدر أن ماءها قليل فيطيل رشاءه (حبله)

غَيْري. فإنّيَ لا أُطِيلُ مَدائحي   إلّا لأُوفـي مَـنْ مَـدَحْـتُ ثَـنـاءَهُ

وأَعُـدُّ ظُـلْـمـاً أَنْ أُقِـلَّ مـديـحَـه   عَـمْداً، وأَسْـخَـطُ إِنْ أَقَلَّ عـطـاءَهُ

٢٠ المعجب برأيه

وقال في ابن المسيب:

أبـو الـحـسـيـنِ مُـعْـجَـبٌ بِـرَائِـهِ   لا يـقـبـلُ الـشـورى مِـنَ اصْـدِقـائِـهِ

برائه: برأيه

فَـلَـعْـنَـةُ الـلَّـهِ عـلـى إخـائِـهِ   وأَدْخَـلَ الأَجْـرَدَ فـي وَجْـعَـائِـهِ

الأجرد: ذلك الشيء، الوجعاء: الدبر

٢١ العَوْسج

عَـذَرْنـا الـنـخـلَ فـي إبـداءِ شَـوكٍ   يَـذودُ بـه الأنـامـلَ عـنْ جَـنـاهُ

جناه: ثمره

فـمـا لِـلْـعَـوْسَـجِ الـمـلـعـونِ أبـدى   لـنـا شـوكـاً، بـلا ثـمـرٍ نـراهُ

العوسج: نبت شوكي

تُـراهُ ظَـنَّ فـيـهِ جَـنًـى كـريـمـاً   فـأظـهـرَ عُـدَّةً تَـحـمـي حِـمَـاهُ؟

فلا يَتَسَلَّحَنَّ لِدَفْعِ كَفٍّ   كَفاهُ لؤمُ مَجْناهُ، كَفاهُ

مجناه: ثمره

٢٢ لا صديق إلا بعد التجربة

صَرَّحَتْ عَنْ طَويَّةِ الأصدقاءِ   واضِحَاتُ التَّجْريبِ والإبْتِلاءِ

طوية: حقيقة المرء وضميره، الابتلاء: التجريب

وخَبِيءُ الفؤادِ يَعلَمُهُ العا   قلُ، قبلَ السَّمَاعِ، بالإيماءِ

وظُنونُ الذَّكِيِّ أنفذُ في الحقِّ   سِهاماً مِنْ رُؤيةِ الأغبياءِ

توقعات الذكي، دون أن يرى بعينه، أقرب إلى الحقيقة من رؤية الغبي عياناً

لا يَغُرَّنَّكَ المُمَاذِقُ بالظَّا   هِرِ في حالِ مُدَّةِ الإلْتِقَاءِ

المماذق: المخادع

عَبْدُ عَيْنٍ فإنْ تَغَيَّبْتَ عنه   أَكَلَ اللَّحْمَ، وارْتَعَى في الدماءِ

عبد عين: العبد الذي لا يشتغل إلا وعينك ترقبه، ارتعى: رعى العشب في الأصل

إنما الصاحبُ: الذي يحفَظُ الصَّا   حِبَ في كلِّ شِدَّةٍ ورَخاءِ

٢٣ استغفار

وقال في امرأة خالد:

لَوْ أَنَّ رِجْلَيْ عِرْسِهِ يَداها   ما أَخْطَأَتْهُ رحمةٌ تَغْشَاها

عرسه: زوجته

مَرْفُوعةٌ تحت الدُّجى رِجْلاها   كأنما تَسْتغفِرانِ اللَّهَ

٢٤ النفس مرآة صدئة

وله في أبي حفص الوراق:

قد تَستُرُ المِرْآةُ عنـ   ـكَ خُدوشَ وجهِكَ مَعْ صَدَاها

وكذاكَ نفسُكَ: لا تُريـ   ـكَ عيوبَ نفسِكَ مَعْ هَواها

٢٥ الهجاء يستر العيوب

وقال يهجو خالدا:

قَسَماً إنَّ في الهِجَاءِ لَسِتْراً ... وغِطَاءً لِلسَّوْءَةِ السَّوْآءِ
لو هَجا الأنبياءُ كلباً، لقالَ النَّـ ... ـاسُ: هذا تَكَذُّبُ الشعراءِ

٢٦ فسر الماء بالماء

وقال يهجو شاعراً:

وشاعرٍ أَوْقَدَ الطَّبْعُ الذَّكاءَ به ... فكادَ يُحرِقُه من فَرْطِ إذْكَاءِ
أقامَ يُجْهِدُ أياماً قريحتَه ... وفَسَّرَ الماءَ بعدَ الجَهْدِ بالماءِ

٢٧ قصيدة في هجاء القمر

رُبَّ عِرْضٍ مُنَزَّهٍ عَنْ قبيحٍ ... دَنَّسَتْهُ مُعَرِّضَاتُ الهِجاءِ

معرضات الهجاء: القصائد التي تحتوي تعريضاً وقدحاً

لو أرادَ الأديبُ أنْ يهجوَ البَدْ ... رَ رَماهُ بالخُطَّةِ الشَّنْعاءِ

الخطة: الأمر

قالَ: يا بدرُ، أنتَ تَغْدِرُ بالسَّا ... رِي، وتُزْرِي بِزَوْرَةِ الحَسْناءِ

الساري: السائر ليلاً، تزري بزورة الحسناء: تؤذي زيارة المرء للمرأة الحسناء لأنك تكشفه

كَلَفٌ في شُحُوبِ وجهِكَ يَحْكِي ... نُكَتاً فوقَ وَجْنَةٍ بَرْصَاءِ

يا بدر وجهك شاحب اللون وفيه كلف (بثور)، يحكي (يشبه) نكتاً (نقرات) في خد مصاب بالبرص

يَعتَرِيكَ المَحَاقُ، ثُمَّ يُخَلِّيـ ... ـكَ شَبِيهَ القُلامَةِ الحَجْنَاءِ

يصيبك المحاق ثم يتركك شبيهاً بقلامة الظفر الحجناء (المعوجة)

ويَلِيكَ النُّقْصانُ في آخرِ الشهـ ... ـرِ، فيَمحوُكَ من أديمِ السَّمَاءِ

يليك (يلحقك)، أديم السماء (وجهها)

فإذا البدرُ نِيلَ بالهَجْوِ، هلْ يأْ ... مَنُ ذُو الفضلِ أَلْسُنَ الشعراءِ؟
لا لأَجلِ المديحِ، بلْ خِيفَةَ الهجْـ ... ـوِ أَخَذْنا جَوائزَ الخُلَفاءِ

٢٨ الخضاب حِداداً

وقال في يحيى بن علي المنجم:

شابَ رأسي ولاتَ حينَ مَشيبِ   وعَجيبُ الزمانِ غيرُ عجيبِ

لات حين مشيب: لم يأت أوان المشيب

فاجعلي مَوْضِعَ التعجُّبِ منْ شيـ   ـبيَ عُجْباً بِفَرْعِكِ الغِرْبِيبِ

فرعك الغربيب: شَعرك الأسود

قَد يَشيبُ الفَتى، وليسَ عجيباً   أنْ يُرَى النَّوْرُ في القضيبِ الرَّطيبِ

ساءَها أنْ رأتْ حَبيباً إلَيْها   ضاحِكَ الرَّأسِ عن مَفارِقَ شِيبِ

مفارق شيب: مفارق الشعر الشائبة في الرأس

فَدَعتْهُ إلى الخِضابِ، وقالتْ:   إنَّ دفْنَ المَعيبِ غيْرُ مَعيبِ

خَضَبَتْ رأسَهُ فباتَ بِتَبْريـ   ـحٍ، وأضحى فَظَلَّ في تَأْنيبِ

ليس يَنْفَكُّ مِنْ مَلامَةِ زَارٍ   قائلٍ بَعْدَ نَظْرَتَيْ مُسْتَريبِ:

ضَلَّةً ضَلَّةً لِمَنْ وَعَظَتْهُ   غِيَرُ الدَّهْرِ وَهْوَ غَيْرُ مُنِيبِ

غير الدهر: تقلباته

يا حَليفَ الخِضَابِ لا تخدَعِ النَّفْـ   ـسَ، فما أنتَ للصِّبَا بِنَسيبِ

ليس يُجْدِي الخضابُ شيئاً منَ النَّفْـ   ـعِ، سوى أنَّه حِدَادُ كئيبِ

٢٩ الحبْل مرة أخرى

وقال يعتذر إلى صاعد من طول قصيدته:

لم أُطِلْهَا كما أطالَ رِشَاءً   مَاتِحٌ سَاءَ ظَنُّهُ بِقَليبِ

الرشاء: الحبل، الماتح: المستقي من البئر، القليب: البئر. وقد كرر ابن الرومي هذا المعنى كثيراً وقصدنا إلى إيراده بضع مرات، مرت منها اثنتان

٣٠ هجاؤه مدحه

إذا ما مَدحتُ المرءَ يوماً ولم يُثِبْ   مَديحي، وحَقُّ الشعرِ في الحُكْمِ واجِبُ

كَفاني هِجائيهِ قِيامي بمدحِهِ   خطيباً، وقولُ الناسِ لي: أنتَ كاذِبُ

٣١ اصنع مجدك بنفسك

قال ابن الرومي في محمد بن عبد الله بن طاهر:

وما الحَسَبُ الموروثُ، لا دَرَّ دَرُّهُ، ... بِمُحْتَسَبٍ إلَّا بِآخَرَ مُكْتَسَبْ
إذا العُودُ لم يُثْمِرْ، وإنْ كانَ شُعْبَةً ... مِنَ المُثْمِرَاتِ، اعتَدَّهُ الناسُ في الحَطَبْ
وأنتَ لَعَمْرِي شُعْبَةٌ مِنْ ذَوِي العُلا ... فَلا تَرْضَ أنْ تُعْتَدَّ مِنْ أوْضَعِ الشُّعَبْ
ولِلْمَجْدِ قومٌ ساوَرُوهُ بِأَنْفُسٍ ... كِرامٍ، ولم يَرْضَوْا بِأُمٍّ ولا بِأَبْ

ساوروه: صارعوه لامتلاكه

رأَيْتُكَ قد عَوَّلْتَ بي في مَدَائحي ... على نَائلِ الآباءِ في سالِفِ الحِقَبْ
وذلك شيءٌ كان غَيْرِيَ نالَه ... ولو كنتُ أيضاً نِلْتُهُ كان قد ذَهَبْ
أتجعلُ نَيْلاً نالَهُ ابنُ مُحَلَّمٍ ... ثوابَ مَديحي فيكَ؟ هذا هوَ العَجَبْ
فما رِفْدُ عبدِ اللَّهِ والقَرْمِ طَاهرٍ ... سِوايَ بِقَاضٍ عنكَ حَقِّي الذي وَجَبْ

القرم: السيد

فلا تتَّكِلْ إلَّا على ما فعلتَه ... ولا تَحْسَبَنَّ المجدَ يُورَثُ بِالنَّسَبْ
فليس يَسودُ المرءُ إلَّا بنفسِه ... وإنْ عَدَّ آباءً كراماً ذَوِي حَسَبْ

٣٢ العلاقة العكسية

إذا غَمَرَ المالُ البخيلَ وجدتَهُ ... يَزيدُ بِهِ يُبْساً وإنْ ظُنَّ يَرْطُبُ
وليسَ عجيباً ذاك منه فإنَّهُ ... إذا غَمَرَ الماءُ الحجارةَ تَصْلُبُ

٣٣ أرضاني من الزمان

وقال في أبي عبد الله بن أبي العباس بن بدر:

يَمَّمْتُ بَدْرَ بَني بَدْرٍ فمَا انْتَسَبَتْ ... أَلفاظُهُ ليَ، لَكِنْ وجهُهُ انتَسَبا
لاقَيْتُهُ وأَنا المَمْلوءُ مِنْ غَضَبٍ ... على الزمانِ، فَسَرَّى عَنِّيَ الغَضَبا

٣٤ عجِّل بالكساء

وقال، وطلب كساء من أبي جعفر محمد بن علي بن إسحاق النوبختي:

طلبتُ كِسَاءً مِنْكَ إذْ أنتَ عَامِلٌ ... على قَرْيَةِ النُّعْمَانِ تُعْطِي الرَّغَائبَا

الرغائب: العطايا

فَأَوْسَعْتَنِي مَنْعاً إِخَالُكَ نَادِماً   عليه، وفي تمحيصِهِ الآنَ راغبا

تمحيصه: محوه

فإِنْ حَقَّ ظَنِّي فاسْتَقِلْني بِمُطْرَفٍ   يَقِيني إذا ما القُرُّ أَبْدَى المخَالِبَا

استقلني: استعفني، واطلب مني أن أقيلك عثرتك، مطرف: ثوب محبوك الأطراف، القر: البرد

فَعَجِّلْ كِسَائي طَيِّباً نحوَ شاكِرٍ   سَيُجْنِيكَ مِنْ حُرِّ الثَّناءِ الأَطايِبَا

يجنيك: يجعلك تجني

عَجَائِبُ هذا الدَّهْرِ عنديِ كثيرةٌ،   فَيَا ابنَ عَلِيٍّ لا تَزِدْني عَجَائبا

٣٥ وصفة لتطييب الفم

وقال يمدح أبا العباس بن ثوابة ويهجو الكوكبي:

أَنَّى تَسُبُّ بَني ثَوَا   بَةَ أو عبيدَ بَني ثَوَابَةْ؟
ما كانَ قَدْرُكَ أنْ تَفُو   هَ بِمَدْحِهِمْ بَلْهَ المَعَابَةْ

بَلْهَ المعابة (ناهيك من معابتهم)

لا سِيَّمَا بِفَمٍ يَظَلُّ   مَنِيُّ باكَتِهِ شَرَابَهْ
تَمْرِي الأُبُورَ بِهِ إذا   أَهدَى حَشَاكَ لها خِضَابَهْ

تمري: تحلب

أَقْذِرْ وأَخْبِثْ بالمَنِيِّ -   إذا عَبيطُ السَّلْحِ شَابَهْ

عبيط السلح: الغائط الطري

هَتْماً لِفِيكَ، فما تَخَيَّـ   ـر ما يَشُوبُ بِه لُعَابَهْ

هتماً لفيك: فلتتكسر أسنانك

وإِخالُ ذلكَ لم يَزِدْ   في خُبْثِهِ، لَكِنْ أَطَابَهْ

لعابه أصبح أطيب من ذي قبل بمخالطته غائطه، فتأمل في خبث ذلك اللعاب

سَتَذُمُّ ما اكتَسَبَتْ يَدا   كَ إذا لَقِيتَ غداً عِقَابَهْ
وتُقِرُّ أنَّكَ جاهِلٌ   لم تَأْتِ مِنْ أَمْرٍ صَوَابَهْ
مَن بَاتَ يَحْتَطِبُ الأَفا   عيَ ليلَهُ ذَمَّ احتِطَابَهْ

فالمحتطب في الليل لا يعرف ما الذي جمعه من حطب وغيره

٣٦ تهديد

قال في جحظة:

أبـا حـسـنٍ، وأنـت فـتـىً أديـبُ ... لـه فـي كـلِّ مَـكْـرُمَـةٍ نـصـيـبُ
أتـأْمَـنُ أنْ تُـواقِـعَـكَ الـقـوافـي ... ويـومُ وِقَـاعِـهـا يـومٌ عـصـيـبُ؟

تواقعك: تحاربك

أَبِـنْ لـي: مـا الـذي تـأوي إلـيـهِ ... إذا مـا الـقَـذْعُ صَـدَّرَهُ الـنَّـسِـيـبُ؟

فقط صيارفة الشعر القديم يعرفون قدر هذا البيت. القذع: الشتم. وتقول يا قارئ، ما لهذا الرجل يزعج نفسه بالاختيار من ابن الرومي وشرح الأبيات؟ إنما أختارها لكي أتسلى بها أنا وعصبة الفتاك ممن يسكرون بخمرة الشعر العتيق؛ ولعلك لاحظت أنني بدأت أختصر الشرح. فأنا منذ بدء قافية الباء أخذت أوجه كلامي إلى هذه العصبة

أَمُـعـتَـصِـمٌ بـأنَّـكَ ذو صِـحَـابٍ ... مـن الـشـعـراءِ نـصـرُهُـمُ قـريـبُ؟
ومـا تُـجْـدي عـلـيـكَ لُـيُـوثُ غـابٍ ... بِـنُـصْـرتِـهـا إذا دَمَّـاكَ ذِيـبُ؟
تَـوقِّـي الـداءِ خـيـرٌ مـن تَـصَـدٍّ ... لأَيـسَـرِهِ، وإنْ قَـرُبَ الـطـبـيـبُ
أَذَلِـكَ، أمْ تُـدِلُّ بِـعِـزِّ قـومٍ ... قـد انـقَـرَضـوا فـمـا مِـنْـهُـمْ عَـرِيـبُ

ما منهم عريب: لم يبق منهم أحد

أَلا نَـادِ الـبـرامِـكَـةَ: انـصُـرُونـي ... على الشعراءِ، وانظرْ هلْ مُجِيبُ؟
وكيف يُجيبُكَ الشخصُ الموارى؟ ... وكـيـف يُـعِـزُّكَ الـخَـدُّ الـتَّـريـبُ؟

الشخص الموارى: المدفون، الخد التريب: المعفر بتراب القبر

ولو نُشِرُوا لما نَصَروا، وقَالوا: ... أَرَبْـتَ فَـكـانَ حـقُّـكَ مـا يُـريـبُ

أربت: جئت أمراً مريباً

أَتـدْعُـونـا إلـى حـربِ الـقَـوافـي ... لِتَحْرُبَنَا السلامةَ، يا حَريبُ؟

لتحربنا: لتسلبنا، حريب: مسلوب المال والثياب

ألـم تَـرَ بَـذْلَـنـا الـمـعـروفَ قِـدْمـاً ... مَـخَـافَـةَ أن يَـقـومَ بِـنَـا خَـطـيـبُ؟
أَذَلْـنَـا دونَ ذلـك كـلَّ عِـلْـقٍ ... ومُـلْـتَـمِـسُ الـسَّـلامَـةِ لا يَـخِـيـبُ

أذلنا: أهنَّا، علق: نفيس

عـلـيكَ بِبَذْلِ عُرْفِكَ، فَاسْتَجِرْهُ؛ ... كـذلـكَ يـفـعـلُ الـرجـلُ الأريـبُ

٣٧ المحبوبة الذائبة، والمسحوبة الساحبة

وقال في أبي شيبة بن الحاجب وكان قد دعاه واستتر عنه:

نجّاكَ يا ابْنَ الحاجِبِ الحاجِبُ وأيـنَ يَـنْـجُـو مِـنِّـيَ الـهـاربُ؟
والـقـومُ لاقَـوْكَ فـأَعْـدِدْ لـهُـمْ مَـا يَـرْتَـضِـي الآكِـلُ والـشَّـاربُ
فَـاسْـقِ حـلـيـبَ الـكَـرْمِ شُـرَّابَـهُ إذْ لـيـس مـن شَـأْنِـهِـمُ الـرَّائـبُ

حليب الكرم: الخمر، الرائب: اللبن

أَحْضِرْهُمُ البِكْرَ التي ما اصْطَلَتْ نـاراً، فَـكُـلٌّ خَـاطِـبٌ راغِـبُ

البكر: الخمر العذراء التي لم يكن افتُضَّ دنها قبل اليوم

تـلـك الـتـي مـا بَـايَـتَـتْ راهـبـاً إلّا جَـفَـا قِـنْـديـلَـهُ الـرَّاهِـبُ

لا تبيت الخمر في دير راهب إلا جعلته يجفو (يترك) قنديله، ذلك أنها تشع ضوءاً

تـلـك الـتـي لـيـس لـهـا مُـشْـبِـهٌ فـي الـكـأسِ إلّا الـذَّهَـبُ الـذَّائـبُ
أَعْـجِـبْ بِـتِـلْـكَ الـبِـكْـرِ مَـحْـجُـوبَـةً مَـكْـرُوبـةً يُـجْـلَـى بِـهَـا الـكَـارِبُ

ما أعجب الخمر، هي كالفتاة البكْر المحجوبة المكروبة (المحزونة)، ولكنها تزيل الكارب (سبب الحزن) عمن يشربونها

مَـغْـلُـوبـةً فـي الـدَّنِّ مَـسْـلُـوبَـةً لـهـا انـتِـصَـارٌ غـالِـبٌ سَـالِـبُ

الدن: خابية الخمر الضخمة، انتصار: انتقام

بَـيْـنَـا تُـرَى فـي الـزِّقِّ مَـسْـحُـوبَـةً إذْ حَـكَـمَـتْ أن يُـسْـحَـبَ الـسَّـاحِـبُ

يسحبون زقاق الخمر سحباً لثقلها، وهي قِرَبٌ كبيرة مصنوعة من جلد أو قماش ومطلية بالقار حتى لا تنزّ، وفي العاقبة فهي تسكر الشاربين الذين سحبوها حتى لَيُسحبون سحباً وهم سكارى

تَـقْـتَـصُّ مـن واتِـرِهَـا صَـرْعَـةً لـيـس لـهـا بَـاكٍ ولا نَـادِبُ

تصرع واترها (الجاني عليها) أرضاً، فلا يبكيه أحد إذ هي صرعة محببة

لا تُـطْـعِـمَـنَّـا لَـحْـمَـكَ الـمُـتَّـقَـى فَـلَـيْـسَ مِـمَّـا يَـأْكُـلُ الـسَّـاغِـبُ

المتقى: الذي يجتنبه الناس، الساغب: الجائع

وكـيـف أكـلُ الـنـاسِ لـحْـمَ امـرِئٍ مِـقْـوَلُـهُ صَـمْـصَـامَـةٌ قَـاضِـبُ؟

مقوله: لسانه، صمصامة قاضب: سيف قاطع

واعـلَـمْ بـأن الـنـاسَ مـن طِـيـنـةٍ يَـصْـدُقُ فـي الـثَّـلْـبِ لـهـا الـثَّـالِـبُ

لـولا عِـلاجُ الـنـاسِ أخـلاقَـهُـمْ   إذن لَـفـاحَ الـحَـمَـأُ الـلَّازِبُ
الحمأ اللازب: الطين اللاصق المتماسك. يقصد أن الطين الذي هو أصل الإنسان يفوح بريح خبيثة لولا مغالبة الناس أنفسهم

٣٨ لا تحسد الأغنياء

إذا ما كَساكَ اللَّهُ سِرْبَالَ صِحَّةٍ   ولم تَخْلُ من قُوتٍ يَحِلُّ ويَعْذُبُ
سربال: ثوب

فلا تَغْبِطَنَّ المُتْرَفِينَ، فإنَّهُمْ   على قَدْرِ ما يَكْسُوهُمُ الدَّهْرُ يَسْلُبُ

٣٩ غضب القوافي

وقال في إسماعيل بن بلبل:

أبا الصقرِ: لستُ أَرَى مُهْدِيَاً   لكَ المدحَ غَيْرِيَ إلَّا مُثَابَا
وقد كِدْتُ من فَرْطِ ما شَفَّنِي   جَفَاؤُكَ ألَّا أُسِيغَ الشَّرَابَا
أَتَهْتِكُ سِتْرِيَ عَنْ خُلَّتِي   وتُغْلِقُ دونَ عطاياكَ بَابا
خلتي: فقري

حَلَفْتُ: لَئِنْ أنتَ لم تُرْضِنِي   لَتَنْصَرِفَنَّ القَوافِي غِضَابا

٤٠ الخادم العجيب

وقال في غلام لبعض إخوانه يقال له نصر:

لي خَادِمٌ لا أَزَالُ أَحْتَسِبُهْ   يَغيبُ حتى يَرُدَّهُ سَغَبُهْ
أَحتسبه: أَعُدُّهُ في حسابي عند الله (أي أنه لا ينفعني في الحياة الدنيا)، سغبه: جوعه

كم قال ضَيْفِي، وقد بعثتُ بِهِ:   هَيْهَاتَ، يومَ الحِسَابِ مُنْقَلَبُهْ
هَلْ مُشْتَرٍ؟ والسعيدُ بائعُهُ   هل قابلٌ؟ والسعيدُ مَنْ يَهَبُهْ

٤١ حفيد صهيب

وقال يعاتب بعض من طعن في شعره:

تأمُّلُ العيبِ عيبُ   ما في الذي قلتُ ريبُ
والشِّعرُ كالشَّعرِ، فيهِ   مَعَ الشَّبِيبَةِ شَيْبُ

كـم عـائـبٍ كـلَّ شـيءٍ   وكـلُّ مـا فـيـه عـيـبُ
قـد تُـحْـسِـنُ الـرومُ شِـعـراً   مـا أَحْـسَـنَـتْـهُ الـعُـرَيْـبُ
يـا مُـنْـكِـرَ الـمـجـدِ فِـيـهِـمْ   ألـيـسَ مِـنْـهُـمْ صُـهَـيْـبُ؟

٤٢ فراقه عيد

وقال في شهر رمضان:

إذا بـارَكْـتَ فـي صَـوْمٍ لِـقَـوْمٍ   دَعَـوْتَ لـهُـمْ بِـتَـطْـويـلِ الـعـذابِ
ومـا الـتَّـبْـريـكُ فـي شـهـرٍ طـويـلٍ   يُـطَـاوِلُ يـومُـهُ يَـوْمَ الـحِـسـابِ
فَـلَـيْـتَ الـلـيـلَ فـيـهِ كـانَ شـهـراً   ومَـرَّ نـهـارُهُ مَـرَّ الـسَّـحَـابِ
فـلا أهـلاً بـمـانِـعِ كـلِّ خَـيْـرٍ   وأهـلاً بـالـطـعـامِ وبـالـشَّـرابِ

٤٣ العمُّو

أصبحتُ شيخاً له سَمْتٌ وأُبَّهَةٌ   يَدْعُونَنِي البِيضُ عَمَّاً تَارَةً وأَبَا

السمت: الوقار، البيض: الحِسان. كانت له مندوحة عن «يدعونني». ولا تظنن أنه فات ابن الرومي أن «يدعونيَ» أو «تدعونيَ» تقومان بالبيت خير قيام. غير أنه أحب أن يترك شيئاً من لغة «أكلوني البراغيث» في شعره

وتـلـكَ دَعْـوَةُ إجْـلالٍ وتَـكْـرِمَـةٍ   وَدِدْتُ أَنِّـيَ مُـعْـتـاضٌ بِـهـا لَـقَـبَـا

اللقب يكون في العادة تسمية بهدف الذم. وعند بنات بلاد الشام لفظة تغيظ: يضعن أل التعريف أمام كلمة عَمُّو زيادة في الاستخفاف بالرجل الكبير

٤٤ الموز.. ثانيةً

لِـلـمـوزِ إحـسـانٌ بِـلا ذُنـوبِ   لـيـس بِـمَـعـدُودٍ ولا مَـحْـسُـوبِ
يـكـادُ مـن مَـوقِـعِـه الـمـحـبـوبِ   يَـدْفَـعُـهُ الـبَـلْـعُ إلـى الـقـلـوبِ

موقعه: مكانته في النفوس

٤٥ مساحة للصديق

أتـانـيِ مَـقَـالٌ مـن أخٍ فـاغـتَـفَـرْتُـهُ   وإن كـان فـيـمـا دونَـه وَجْـهُ مَـعْـتَـبِ
وذَكَّرْتُ نفسيِ منه عند امتِعاضِها   محاسِنَ تَعْفُو الذَّنْبَ عن كلِّ مُذْنِبِ

ومِثْلِي رأى الحُسْنَى بِعَينٍ جَلِيَّةٍ وأَغْضَى عنِ العَوْرَاءِ غيرَ مُؤَنِّبِ

العوراء: الكلمة النابية

ولستُ بِتَقْليبِ اللسانِ مُصَارِمَاً خَلِيلِي إذا ما القلبُ لم يتَقَلَّبِ

٤٦ مشقات السفر

وقال يمدح أحمد بن ثَوابة (وكان طلب إليه أن يسافر ويأتيه لكي يصله، فاستفظع ابن الرومي فكرة السفر واعتذر بقصيدة طويلة):

دَعِ اللومَ، إن اللومَ عَوْنُ النَّوائبِ ولا تتجَاوَزْ فيه حدَّ المُعَاتِبِ

لا تلمني لأنني امتنعت من السفر، فاللوم يساعد المصائب المحدقة بي، ولا تتجاوز في لومك عتاب المعاتِب

فما كلُّ من حَطَّ الرِّحَالَ بِمُخْفِقٍ، ولا كلُّ من شدَّ الرِّحَالَ بِكَاسِبِ

ليس كل ماكث في مكانه فاشلاً، ولا كل من شد رحاله وسافر كاسباً

وفي السَّعْيِ كَيْسٌ، والنُّفوسُ نَفائسٌ، وليس بِكَيْسٍ بَيْعُها بِالرَّغَائبِ

كيس: حنكة، الرغائب: العطايا

حضَضْتَ على حَطْبِي لِنارِي، فَلا تَدَعْ ـلكَ الخيرُـ تَحذِيري شُرُورَ المَحَاطِبِ

حثثني على أن أسعى، فالمرء يجب أن يجمع الحطب لكي يكون له نار يصطلي بها، ولكنك نسيت أن تحذرني من شرور المحاطب (الاحتطاب)

ومن يَلْقَ ما لاقَيْتُ في كل مُجْتَنَىً من الشَّوْكِ يَزْهَدْ في الثِّمَارِ الأَطايِبِ

مجتنىً: جني الثمار

أَذَاقَتْنِيَ الأسفارُ ما كَرَّهَ الغِنَى إليَّ، وأَغْرانِي برفضِ المَطالِبِ

المطالب: العطايا، وما يطلبه المرء من الأمراء

فأصبحتُ في الإثراءِ أزهَدَ زاهِدٍ وإن كنتُ في الإثراءِ أرغَبَ راغِبِ

حريصاً، جباناً، أشتهِي ثم أَنْتَهِي بِلَحْظِي جَنَابَ الرِّزْقِ لَحْظَ المُرَاقِبِ

بلحظي جناب الرزق: برؤيتي لطرف الرزق، فهو ينظر شزرا بطرف عينه ولذا فهو يرى جانباً من الرزق فقط

ومَنْ رَاحَ ذا حِرْصٍ وجُبْنٍ فَإِنَّهُ فقيرٌ أتاهُ الفقرُ من كلِّ جانِبِ

ولمَّا دَعانِي لِلْمَثوبَةِ سَيِّدٌ يرى المدحَ عَاراً قبل بَذْلِ المَثَاوِبِ

المثاوب: مثل الرغائب والمطالب، هي العطايا التي تكون ثواباً على المدح

تَنَازَعَني رَغْبٌ ورَهْبٌ، كِلاهُما قَوِيٌّ، وأَعيَاني اطِّلاعُ المَغَايِبِ

اطلاع المغايب: معرفة الغيب

فَقَدَّمْتُ رِجْلاً راغِباً في رَغِيبَةٍ وأَخَّرْتُ أُخْرَى رَهْبَةً لِلمَعَاطِبِ

الرغيبة: صلة الأمير، المعاطب: الأخطار التي تتلف المرء

أخافُ على نَفسي وأَرْجُو مَفَازَها وأَسْتَارُ غَيْبِ اللَّهِ دونَ العواقِبِ

العواقب (النتائج) محجوبة بأستار الله لأنها في الغيب

ألا مَنْ يُريني غايتي قبلَ مذهبي؟ ومِنْ أينَ! والغَاياتُ بعدَ المَذاهِبِ؟

ومِنْ نكبةٍ لاقيتُها بعدَ نكبةٍ رَهِبْتُ اعْتِسَافَ الأرضِ ذاتِ المناكِبِ

الاعتساف: السير على غير هدى، مناكب الأرض: قيل: ما ارتفع منها.. المعنى: من النكبات، أي بسببها، رهبت السير

وصَبْرِي على الإقْتارِ أَيْسَرُ مَحْمَلاً عليَّ من التَغْريرِ بعدَ التَّجارِبِ

الإقتار: الفقر، التغرير: المخاطرة

لَقِيتُ مِنَ البرِّ التَّباريحَ، بعدمَا لَقِيتُ مِنَ البحرِ ابْيِضَاضَ الذَّوَائبِ

التباريح: المصاعب، الذوائب: خصلات الشَّعر

سُقِيتُ على رِيٍّ بهِ ألفَ مَطْرَة شُغِفْتُ لِبُغْضِيها بِحُبِّ المَجَادِبِ

كثيراً ما دهمني المطر وأنا غير عطشان، فأبغضت هذه المطرات إلى حد أنني أحببت المجادب (الجدب وقلة المطر، صاغها مثل «مخاوف» من الخوف)

إلى اللّهِ أَشْكُو سُخفَ دَهري، فإنه يُعَابِثُني مُذْ كنتُ غيرَ مُطَايِبِ

دهري يعبث معي، لكن ليس عبث المطايبة (التودد) بل عبث الأذى

أَبى أن يُغِيثَ الأرضَ حتى إذا ارْتَمَتْ بِرَحْلِي أَتاها بالغُيوثِ السَّواكِبِ

رفض الدهر أن يرسل على الأرض المطر وينعشها، فإذا ارتمى رحلي (متاعي) بالأرض جاءها الدهر بالغيوث السواكب (المنهمرة)

سقى الأرضَ من أجْلي فأضْحَتْ مَزِلَّةً تَمَايَلَ صَاحِيها تَمَايُلَ شارِبِ

فقط لأنني سافرت سقى الدهر الأرض بالمطر الغزير فأصبحت مزلة (مكان انزلاق)، ولذا أخذ السائر فيها يسير متمايلاً كالسكران خوف الانزلاق

لِتَعْويقِ سَيْري أو دُحُوضِ مَطِيَّتي وإخْصَابِ مُزْوَرٌّ عن المجدِ ناكِبِ

جاء المطر ليعوق سيري ويجعل ناقتي تنزلق، ولكي يأتي بالخصب لمزارع مزور (مبتعد) عن طلب المجد والسفر وناكب (منصرف) عن الارتحال

فَمِلْتُ إلى خانٍ مُرِثٍّ بِناؤُهُ مَمِيلَ غريقِ الثَّوْبِ لَهْفَانَ لاغِبِ

لاغب: متعَب

فلم أَلْقَ فيهِ مُسْتَراحاً لِمُتْعَبٍ ولا نُزُلاً، أَيَّانَ ذاكَ لِسَاغِبِ؟

ساغب: جائع

فما زِلْتُ في خوفٍ وجوعٍ ووَحْشَةٍ وفي سهرٍ يستغرقُ الليلَ واصِبِ

واصب: متعِب

يُؤَرِّقُني سَقفٌ، كأَنِّيَ تَحْتَهُ، مِنَ الوَكْفِ، تحت المُدْجَنَاتِ الهَوَاضِبِ

الوكف: الدلف وتسلل الماء من السقف، المدجنات: الغيوم، الهواضب: الغيوم الماطرة

تَراه إذا مَا الطِّينُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ تَصِرُّ نَواحِيهِ صَريرَ الجَنَادِبِ

وكَمْ خَانِ سَفْرٍ خَانَ فَانْقَضَّ فوقَهُمْ كما انقضَّ صقرُ الدَّجْنِ فوق الأَرانبِ

صقر الدجن: أراه قصد الصقر الداجن الذي يصيدون به

ولم أنسَ ما لاقيْتُ أيامَ صَحْوِهِ من الصِّرِّ فيهِ والثُّلُوجِ الأشَاهِبِ

الصر: البرد الشديد، الأشاهب: البيضاء

وما زال ضَاحِي البَرِّ يَضربُ أهلَه بِسَوْطَيْ عَذابٍ جَامِدٍ بعدَ ذائبِ

الضاحي: المكشوف، يقول: السير في البر المكشوف يعرض المرء للثلج الجامد وللمطر

فإنْ فاتَه قَطْرٌ وثَلْجٌ فإنَّهُ رَهِينٌ بِسَافٍ تَارةً أو بِحَاصِبِ

القطر: المطر، السافي: هواء يحمل التراب، الحاصب: هواء يحمل الحصى

فذَاكَ بَلاءُ البَرِّ عندي شَاتِياً وكم ليَ مِنْ صيفٍ بِهِ ذي مَثَالبِ

ألا ربَّ نَارٍ بالفضاءِ اصْطَلَيْتُها مِنَ الضِّحِّ يُودي لَفْحُهَا بِالحَواجِبِ

الفضاء: الأرض المكشوفة، الضح: الشمس

إذا ظلَّتِ البيداءُ تَطْفُو إكامُها وتَرْسُبُ في غَمْرٍ من الآلِ نَاضِبِ

تطفو الإكام (المرتفعات) ثم ترسب في غمر (بحر) من الآل (السراب) لكنه بالطبع ناضب (ليس فيه ماء)

فدَعْ عنكَ ذِكْرَ البَرِّ؛ إنِّي رأيتُهُ، لِمَنْ خافَ هَوْلَ البحرِ، شَرَّ المَهَارِبِ
كِلا نُزُلَيْهِ: صَيفُهُ وشِتاؤُهُ خِلافٌ لِمَا أَهْوَاهُ غَيْرُ مُصَاقِبِ

غير مصاقب: غير مقارب لهواي ومزاجي

وأمَّا بَلاءُ البحرِ عندي فإنَّهُ طَوَاني على رَوْعٍ مع الرُّوحِ وَاقِبِ

روع: خوف، مع الروح واقب: متغلغل في الروح

ولِمْ لا، وَلَوْ أُلْقِيتُ فيهِ وصَخْرَةً لَوَافَيْتُ منه القَعْرَ أولَ رَاسِبِ

لو رموني أنا وصخرة في الوقت نفسه في البحر لرسبت قبلها

ولم أَتَعَلَّمْ قطُّ من ذي سباحةٍ سِوى الغوصِ، والمَضْعُوفُ غَيْرُ مُغَالِبِ

كل ما تعلمته من ذي السباحة (السبَّاح) الغوص (الغرق) - يهزأ -

فأَيْسَرُ إشْفَاقِي من الماءِ أنني أَمُرُّ به في الكُوزِ مَرَّ المُجَانِبِ

أقل علائم خوفي من الماء أنني أمر قرب إبريق الماء منحرفاً بجنبي كالخائف - يهزأ -

وأَخشَى الرَّدَى منهُ على كُلِّ شَارِبٍ فكيفَ بِأَمْنِيهِ على نَفْسِ رَاكِبِ
أَظَلُّ إذا هَزَّتْهُ رِيحٌ ولألأَتْ له الشَّمْسُ أَمْواجاً طِوَالَ الغَوَارِبِ

الغوارب: أعالي الأمواج

كأنِّي أرى فِيهِنَّ فُرْسَانَ بُهْمَةٍ يُلِيحُونَ نَحْوِي بالسيوفِ القَواضبِ

بهمة: ساحة المعركة المغبرة المبهمة الجو، يليحون: يلوحون، القواضب: القواطع

فإن قلتَ لي: «قد يُركَبُ اليَمُّ طَامِياً ودِجْلَةُ عندَ اليَمِّ بعضُ المَذَانِبِ

طامياً: فائضاً، دجلة عند اليم: دجلة بالنسبة إلى البحر، المذانب: الجداول

فلا عُذْرَ فِيها لامْرِئٍ هَابَ مِثْلَها وفي اللُّجَّةِ الخَضْرَاءِ عُذْرٌ لِهَائبِ»

اللجة الخضراء: البحر الأزرق

فإن احْتِجَاجِي عنكَ ليس بِنَائمٍ وإن بَيَانِي ليس عنِّي بِعَازِبِ

عازب: بعيد

لِدِجْلَةَ خَبٌّ ليس لِلْيَمِّ، إنَّها تُرَائي بِحِلْمٍ تَحتَه جَهْلُ وَاثِبِ

خب: غدر

تَطَامَنُ حتَّى تطمئنَّ قلوبُنا وتغضبُ من مَزْحِ الرياحِ اللَّواعِبِ

تطامن: تنخفض دجلة بموجها

تَرانا إذا هاجَتْ بها الريحُ هَيْجَةً نُزَلْزَلُ في حَوْمَاتِها بِالقَوارِبِ
حوماتها: حومات دجلة أي مياهها الغامرة

ولِلْيَمِّ إنْذَارٌ بِعُرْضِ مُتُونِه وما فيهِ من آذِيِّهِ المُتَراكِبِ
البحر الكبير يعطي المرء إنذاراً لأنه متسع جداً، ومن خلال آذيه (موجه) المتراكب، أما دجلة فغدارة

ولستَ تَراهُ في الرِّياحِ مُزَلْزَلاً بِمَا فيه إلّا في الشِّدَادِ الغَوَالِبِ
وما أنا بِالرَّاضِي عن البحرِ مَرْكَباً ولكنَّني عارضتُ شَغْبَ المُشَاغِبِ
أنا بالطبع لا أرضى عن البحر الكبير ولكنني فقط أردت أن أعاند من يهوّن أمر دجلة ويشاغبني

وجَرَّبْتُ حتى ما أرى الدهرَ مُغْرِباً عَلَيَّ بشيءٍ لم يَقَعْ في تَجَارِبي
مغرباً عليَّ: آتياً بأمر غريب عليَّ

أرَى المرءَ ـ مُذْ يَلْقَى التُّرابَ بِوجهِه إلى أن يوارَى فيه ـ رَهْنَ النوائبِ
ولو لم يُصَبْ إلّا بِشَرْخِ شَبَابِه لكانَ قدِ اسْتَوفَى جميعَ المصائبِ
شرخ الشباب: أوله

فلا تَنْصِبَنَّ الحربَ لي بِمَلامَتي وأنتَ سِلاحي في حُرُوبِ النَّوائبِ
وأجدَى من التَّعنيفِ حُسْنُ مَعُونةٍ: بِرأْيٍ ولِينٍ من خِطابِ المُخَاطِبِ
وفي النُّصْحِ خيرٌ من نَصِيحٍ مُوَادِعٍ ولا خيرَ فيهِ من نصيحٍ مُوَاثِبِ
الموادع: المسالم، المواثب: الذي يريد خوض نزاع فيثب على خصمه وخصمه يثب عليه

ومثلِيَ محتاجٌ إلى ذي سَماحَةٍ كريمِ السَّجَايَا أرْيَحِيِّ الضَّرائبِ
الضرائب: الطبائع

إلى مَاجِدِ الأخلاقِ حُرٍّ فَعَالُهُ، تُبَارِي عَطايَاهُ عطايَا السَّحائبِ
كَمِثْلِ أبي العباسِ، إن نَوالَه نوالُ الحَيَا يَسعَى إلى كلِّ طالِبِ
الحيا: المطر

ومن يَكُ مِثْلاً لِلْحَيَا في عُلُوِّهِ يَكُنْ مِثْلَه في جُودِهِ بالمَواهِبِ
المواهب: العطايا

وإن قُعُودي عنه خِيفَةَ نَكبةٍ لَلُؤْمُ مَهَزٍّ، وانثِنَاءُ مَضَارِبِ
المهزّ: النخوة والنجدة (فالكريم يهتز للطرب وللطلب، ويسارع لتلبية طلبات الناس). تأخري عنك لؤم مني

أُقِرُّ على نَفْسي بِعَيْبي لأنني   أرى الصدقَ يمحُو بيِّنَاتِ المَعايِبِ
لَؤُمْتُ ـ لَعَمْرُ اللَّهِ ـ فيما أَتَيْتُهُ   وإن كنتُ من قَوْمٍ كِرامِ المَنَاصِبِ

المنصب: المقام

لهُمْ حِلْمُ إنْسٍ في عَرَامَةِ جِنَّةٍ   وبَأْسُ أُسُودٍ في دَهَاءِ ثَعَالِبِ

عرامة: هياج، الجِنة: الجِنّ

ولا بُدَّ من أَنْ يَلْؤُمَ المرءُ نازِعَاً   إلى الحَمَأِ المَسْنُونِ ضَرْبَةَ لازِبِ

لا بد لكل إنسان من أن يكون لئيماً في موقف مَّا نازعاً إلى (مشدوداً نحو) الحمأ المسنون (الطين الأملس) الذي منه خلق الإنسان كما قيل لنا، ضربة لازب (حتماً)

فَقُلْ لأبي العباسِ، لُقِّيتَ وجْهَهُ،   وحَسْبُكَ مِنِّي تلكَ دَعْوَةَ صاحِبِ:

لقيت وجهه: أدعو لك أن تلقاه

تُكلِّفُني هَوْلَ السِّفَارِ وغَوْلَهُ   رفيقَ شتاءٍ مُقْفَعِلَّ الرَّوَاجِبِ

تريد تكليفي بهول السفر وغوله (مشقته) بحيث أكون رفيقاً للشتاء مقفعل الرواجب (متشنج مفاصل الأصابع)

كأنَّ تَمامَ الوُدِّ والمَدْحِ كلِّهِ   هُوِيُّ الفَتى في البحرِ أو في السَّبَاسِبِ

هُوِيُّ: سقوط (من هَوَى)، السباسب: الصحارى

أَيَعْزُبُ عنكَ الرأيُ في أن تُثِيبَني   مُقِيماً مَصُوناً عن عَناءِ المَطَالِبِ؟

أيعزب: هل يغيب؟

فَتُلفَى وأُلْفَى بينَ صَافي صَنِيعَةٍ   وصَافي ثَنَاءٍ لم يُشَبْ بِالمَعَاتِبِ
وأحسَنُ عُرْفٍ مَوْقِعاً ما تَنَالُهُ   يَدي، وغُرَابي بالنَّوَى غَيْرُ نَاعِبِ

غرابي غير ناعب: أي دون أن أرحل

وأنتَ مَتَى ثَوَّبْتَني في مشقةٍ   رأيتُكَ في شخصِ المُثِيبِ المُعَاقِبِ

ثوبتني: كافأتني

ألم تَرَني أتعبْتُ فِكْري مُحَكِّكَاً   لكَ الشِّعْرَ كيْ لا أُبْتَلى بالمتاعِبِ
نَحَلْتُكَ حَلْياً من مَدِيحٍ كأنه   هَوَى كلِّ صَبٍّ من عِنَاقِ الحَبائبِ

حَلياً: مفرد حُلِيّ

وأنتَ له أهلٌ، فإن تَجزِني به   أَزِدْكَ، وإن تُمْسِكْ أَقِفْ غيرَ عاتِبِ

ولستُ كَمَنْ يعدوُ وفي كلماتِه تَظَلُّمُ مغصوبٍ وعُدوانُ غاصِبِ

يعدو: يعتدي

فلا تَحْرِمَنِّي كي تُجِدَّ عَجِيبَةً لِقومٍ، فَحَسْبُ الناسِ مَاضِي العَجَائبِ

لا تحرمني لأنك بهذا تُجِدّ (تبتكر) عجيبة من العجائب، ومش ناقصين!

أُثَقِّلُ إدْلالي لِتَحْمِلَ ثِقْلَهُ بِطَوْعِ المُرَاضِي، لا بِكُرْهِ المُغَاضِبِ

الإدلال: الغَشَم

أَقَمْتُ لِكَيْ تزدادَ نُعْماكَ نِعْمَةً وتَغْنَى بِوجهٍ ناضرٍ غيرِ شاحبِ

بقيتُ مكاني ولم أرتحل إليك لكي تكون عطيتك إلي مضاعفة فأنا آخذ العطية دون تجشم التعب، ولا أريك وجهاً شاحباً من وعثاء السفر

وكيلا يقولَ القائلونَ: أثابَه وعاقَبَه، والقولُ جَمُّ المَشَاعِبِ

المشاعب: الطرقات

وفي الناسِ أيْقَاظٌ لِكُلِّ كريمةٍ كأنهُمُ العِقْبَانُ فوقَ المَراقِبِ

المراقب: مجاثم الصقور التي منها يرقبون الصيد. فالناس الكرام عيونهم يقظة ترقب فرصة سانحة لصنع معروف

يُراعُونَ أَمثالي فَيَسْتَنْقِذونَهُمْ وهُمْ في كُرُوبٍ جَمَّةٍ وذَبَاذِبِ

ذباذب: أمور مقلقة (طبعاً، وقد أطال ابن الرومي قصيدته لتبلغ ١٨٢ بيتاً، لا بد أن يتحفنا بالذباذب وأمثالها من القوافي)

إلى اللَّهِ أشكُو غُمَّةً، لا صَبَاحُها يُنِيرُ، ولا تَنْجَابُ عنِّي بِجَانِبِ

تنجاب: تزول

نُشُوبَ الشَّجَا في الحَلْقِ: لا هُوَ سائغٌ ولا هُوَ ملفوظٌ. كَذا كُلُّ نَاشِبِ

هذه الغمة ناشبة في نفسي نشوب (علوق) الشجا (الشوكة في الحلق) لا هي سائغة (نازلة في البلعوم) ولا هي ملفوظة إلى الخارج. وأما «كذا كل ناشب فزيادة لكي يتم البيت وتتم به القصيدة. ابن الرومي مثل المذيع الذي يعشق الميكروفون، يسأل الضيف سؤالاً طوله سبعة أسطر يضم في أثنائه كل عناصر الجواب، ولا يبقى للضيف سوى أن يقول: نعم، بالضبط. ولكن شاعرنا الهمام يأتي في أثناء كلامه بدرر نفيسة. وهذه القصيدة من مشهوراته، وقد أخذنا منها أبياتاً كثيرة كي يحس القارئ بأسلوب الرجل وطريقته. ولعل ما شجعنا على ذلك أنها متماسكة، فيها بناء محكم من المعاني والحجج. و. . نعم، فيها نثرية عالية، وفيها كل مميزات ابن الرومي. فإن أردت أن ترى صورة هذه القصيدة في شعرنا المعاصر فاقرأ بائية إلياس فرحات الكبرى. وسنوردها في الكتاب الخامس والأخير من كتب هذه السلسلة التي بيدك الآن كتابها الثالث

٤٧ الطيلسان المغني

وقال على مذهب الحمدوي:

يا ابنَ حربٍ كَسَوْتَني طَيْلَساناً ... يَتَجَنَّى على الرياحِ الذُّنُوبا

صار الطيلسان (الرداء) القديم يتجنى على الرياح ويزعم أنها اقترفت ذنوباً، فهي التي أدت إلى اهترائه

هذه الأبيات آية محبة ابن الرومي كتابة الشعر لوجه الهواية. فهو رجل لا يستطيعُ يقعدُ ساكناً منتظراً فرصة لمدح كبير كي يشحذ قلمه ويكتب أبياتاً ثم يحككها. ليس هكذا ابن الرومي. بل هو يمدح ويقدح ويتسلى بالشعر، ويطيل جداً، لأن النظم هوايته. وقد استطرف ابن الرومي ما فعله معاصره الحمدوي الشاعر فجرى معه في الميدان. وكان الحمدوي نال كسوة من ابن حرب: طيلساناً. ثم أخذ ابن حرب يذكِّره بها، ولا يحبوه بشيء سواها. فكتب الحمدوي عشرات القطع الهزلية عن هذا الطيلسان، والمعنى فيها كلها واحد: أن الطيلسان أصبح قديماً رثاً

طَيْلَسانٌ إذا تنفَّسْتُ فيهِ ... صاحَ يشكُو الصَّبا ويشكُو الجَنُوبا

وحتى لو تنفست في الطيلسان فإنه لرقته يظن الأنفاس ريحي الصبا والجنوب

تتغنَّى إحدى نواحيهِ صوتاً ... فتَشُقُّ الأخرى عليهِ الجُيُوبا

تغني ناحية من الطيلسان صوتاً (أغنية) فتشق الناحية الأخرى على هذا الصوت الجيوب. وكانوا في القديم إذا طربوا وضعوا يدهم في جيب الرداء (فتحته التي عند العنق) وشقوه شقاً

فإذا ما عَذَلْتُه، قال: مهلاً ... لا يكونُ الكريمُ إلَّا طَرُوبا

طالَ رَفْوِي له فأَوْدَى بِكَسْبي ... يا ابنَ حربٍ تركْتَني مَحْرُوبا

رفوي له: رتقي له، المحروب: مَن سلبَ اللصوص ثيابه

٤٨ الحكمة في قلة الأصدقاء

عدوُّكَ مِن صديقِكَ مُسْتَفادٌ ... فلا تَسْتَكْثِرَنَّ من الصِّحَابِ

مستفاد: مكتسب

فإنَّ الدَّاءَ أكثَرَ ما تراهُ ... يَحُولُ من الطَّعامِ أو الشرابِ

يحول: يتحول

إذا انقلبَ الصديقُ غدا عدُوّاً ... مُبِيناً، والأمورُ إلى انقلابِ

ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانتْ ... مُصَاحَبةُ الكثيرِ مِنَ الصَّوابِ

ولكنْ قلَّما استَكْثَرْتَ إلَّا ... سقطتَ على ذئابٍ في ثيابِ

فدعْ عنكَ الكثيرَ، فكمْ كثيرٍ يُعَافُ، وكم قليلٍ مُستَطابِ
وما اللُّجَجُ المِلاحُ بِمُرْوِيَاتٍ وتَلقَى الرِّيَّ في النُّطَفِ العِذَابِ

اللجج الملاح: المياه الغزيرة المِلْحة، النطفة: الماء القليل

٤٩ دموع تطفئ جمر الحزن

وقال يرثي ابنه:

أَعَيْنَيَّ جودا لي، فقد جُدْتُ للثَّرى بأكثرَ ممَّا تَمْنَعانِ وأطيَبا:

منحت التراب أكثر وأطيب من الدموع التي تمنعانها.. منحت الثرى ولدي

بُنَيَّ الذي أهديْتُه أمسِ للثَّرَى، فَلِلَّه ما أَقوى قَناتِي وأَصْلَبا
فإنْ تمنعانِي الدمعَ أَرْجِعْ إلى أَسىً إذا فَتَرَتْ عنه الدموعُ تَلَهَّبَا

٥٠ خوف من السلطان حتى لو ذهب

لا أَقذَعُ السلطانَ في أيَّامِه خوفاً لِسَطْوَتِه ومُرِّ عِقَابِهِ

أقذع: أشتم

وإذا الزمانُ أصابَهُ بِصُرُوفِهِ حاذرتُ رَجْعَتَهُ ووَشْكَ مَثَابِهِ

مثابه: عودته

وأَعُدُّ لُؤْماً أن أَهُمَّ بِعَضِّهِ إذ فَلَّتِ الأيامُ من أنيابِه

٥١ شكل الحياة بعد الشباب

وقال في عبيد الله بن عبد الله:

لَعَمرُكَ: ما الحياةُ لكلِّ حيٍّ إذا فَقَدَ الشبابَ سوى عَذابِ
يُذكِّرُني الشبابُ جِنانَ عَدْنٍ على جَنَباتِ أنهارٍ عِذابِ

٥٢ البحتري لص محظوظ

قد قلتُ إذْ نَحلُوهُ الشعرَ: حَاشَ له، إنَّ البُرُوكَ به أَوْلَى مِنَ الخَبَبِ
لَهْفِي على ألفِ مُوسَى في طَوِيلَتِه إذا ادَّعَى أنَّه من سادةِ العربِ

موسى: شفرة حادة، طويلته: لحيته

الحظُّ أعمى، ولولا ذاكَ لم نَرَهُ ... لِلبُحْتُرِيِّ بِلا عقلٍ ولا حَسَبِ
قبُحْاً لأشياءَ يأتِي البحتريُّ بها ... من شِعرِه الغَثِّ بعد الكدِّ والتَّعَبِ
كأنها حين يُصغِي السامعونَ لها ... ممَّنْ يُمَيِّزُ بين النَّبْعِ والغَرَبِ

النبع: شجر الجبال الصلب، الغرب: شجر طري

رُقَى العَقارِبِ، أو هَذْرُ البُنَاةِ إذا ... أَضْحَوْا على شَعَفِ الجُدْرانِ في صَخَبِ

رقى العقارب: كلام غامض يكتب في رُقية (رقعة) ليصد العقارب، شعف الجدران: أعالي الجدران

وقد يجيءُ بِخَلْطٍ: فالنُّحاسُ له ... وللأوائلِ ما فيهِ من الذهبِ
سَمِينُ ما نَحَلُوهُ من هُنا وهُنا، ... والغَثُّ منه صريحٌ غيرُ مجتَلَبِ
يُسيءُ عَفَّاً، فإن أَكْدَتْ وسائلُه ... أجادَ لِصَّاً شديدَ البأسِ والكَلَبِ

الكلب: شدة الحرص

عبدٌ يُغِيرُ على الموتى فَيَسْلُبُهُمْ ... حُرَّ الكلامِ بجيشٍ غيرِ ذِي لَجَبِ

لجب: ضجة

ما إن تزالُ تَراهُ لابِساً حُللاً ... أَسلابَ قومٍ مَضَوْا في سالِفِ الحِقَبِ
يَعيبُ شعرِي، وما زالتْ بصيرتُهُ ... عمياءَ عن كلِّ نُورٍ ساطِعِ اللَّهَبِ
كم قائلٍ لكَ ـ إذ مَسَّتْكَ قارِعَتِي ـ: ... دَعِ السُّكُونَ، فهذا حينَ مُضْطَرَبِ
قد كنتَ تعرفُ مني في الرِّضَا رجلاً ... حُلْوَ المَذَاقةِ، فاعْرِفنِي لدى الغضبِ

٥٣ ثور بالتأكيد

وقال في أبي بكر الحريثي:

لِلحُرَيْثِيِّ أبي بَكْرٍ غَبَبْ ... ولهُ قَرْنانِ أيضاً وذَنَبْ

غبب: ما يتدلى من عنق الثور

فإذا ما قالَ: إنَّا عَجَمٌ ... قالَ قَرْناهُ جميعاً: قد كَذَبْ
وإذا ما قالَ: إنَّا عَرَبٌ ... دَفَعَتْ ذاكَ ولم ترضَ العَرَبْ
كَتَمَتْهُ أُمُّهُ آباءَهُ ... فلِهذا أنكرَ القومُ النَّسَبْ
لَيْتَها أَنْبَتْهُ عن آبائِهِ ... فلقدْ صُوِّرَ في خَلْقٍ عَجَبْ

أنبته: أنبأته، أخبرته

جُثَّةُ الكَشْخانِ تُنْبِي أنها جُمِعَتْ نُطْفَتُها مِنْ ألفِ أبْ

الكشخان: الديوث، من يتاجر بزوجته جنسياً

كلَّ يومٍ لكَ فيه نَسَبٌ زادَكَ الرحمنُ في هذا التَّعَبْ
أنتَ ما تَنْفَكُّ في تَصْحِيحِهِ من عَناءٍ واشْتِغالٍ ونَصَبْ
عابَ أشعاري، وفي منزِلِهِ كلُّ عيبٍ ومَخازٍ ورِيَبْ

٥٤ ما أجملك مصلوباً

طولٌ وعرضٌ بِلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يَحْسُنُ إلَّا وَهْوَ مصلوبُ

٥٥ صائم عنده رغم أنفك

أَبديْتَ صفحةَ قَسْوَةٍ وخُشونةٍ من دونِ تافِهِ نَيْلِكَ المطلوبِ
فكأنَّكَ اليَنْبُوتُ في إبدائِه شوكاً يَذودُ به عن الخَرُّوبِ

الينبوت: شجر الخروب

يا ضَيْفَه: أَبْشِرْ فإنكَ غانِمٌ أَجْرَ الصِّيامِ، وليس بالمكتوبِ
يتنفَّسُ الصُّعَدَاءَ من كِظَّاتِهِ لا فَارقَتْه زَفْرَةُ المَكْرُوبِ

كظاته: اكتظاظه بالطعام

يا حَسْرَتا لِقَصيدةٍ أغلَقْتُها بمديحِه، وفتحْتُها بِنَسيبِ
لأُبدِّلَنَّ مديحَه قَذْعاً له، ولأَجْعَلَنَّ بأُمِّه تَشْبيبي

٥٦ الانجذاب والانقياد

وقال يهجو أم أحدهم:

كانتْ إذا لاحَظَها فاسِقٌ أدارَهَا اللَّحْظُ بِلا لَوْلَبِ

لاحظها: حدجها بنظراته، فهي تتلوى تحت نظرات الفاسق كما يتلوى البرغي وإن لم يكن لها لولب كلولبه

تُجْذَبُ باسْتِنْشَاقَةِ رَخْوَةٍ وربما انقادَتْ ولم تُجْذَبِ

٥٧ تستحق الضرب

غَـنَّـتْ فَـمَـسَّ الـقـلـبَ كـلُّ كَـرْبِ
واسـتـوجَـبَـتْ مـنَّـا أَلِـيـمَ الـضَّـرْبِ
لـهـا فَـمٌ مـثـلُ اتِّـسـاعِ الـدَّرْبِ
حَـسـبيَ مـنـهـا يـا نَـديـمي حَـسْـبي
قـد أَصْـدَأَتْ سَـمْـعِـي وغَـمَّـتْ قـلـبي

٥٨ المنحوس منحوس

وكتب إلى القاسم بن عبيد الله وقد كان عزم على الشخوص إلى ناحية آمد مع المعتضد لقتال ابن عيسى بن شيخ:

إنَّ مـن جَـاءَ يَـمْـتَـري دَرَّةَ الـلَّـبْـ ـوَةِ غَـرْثَـى لَـلْـحَـائِـنُ الـمَـخْـلُـوبُ

من جاء يمتري (يحلب) درة (حليب) اللبوءة وهي غرثى (جائعة) حائن (هالك) مخلوب (مخدوع)

حـالِـبٌ جـاءَ يَـسْـتَـدِرُّ حَـلُـوبـاً، دَمُـهُ، دونَ دَرِّهَـا، الـمـخـلُـوبُ
رامَ من ضَرْعِها شُخُوباً، فكانتْ من وَتِينِ الشَّقِيِّ تلكَ الشُّخُوبُ

الشخوب (صوت اللبن الحليب وهو يحلب)، وتين (عِرق)

وإليكَ الشَّكَاةَ يا ابنَ الوَزيرَيْـ ـنِ، فإنِّي في مِحْنَتي أيُّوبُ
عَكَسَتْ أمرِيَ النُّحُوسُ، فَعَنْزِي أبداً حائِلُ، وتَيْسِي حَلُوبُ

حائل (عاقر)

مَنْ عَذِيرِي من دَوْلَةٍ يَدِيَ المنْـ ـكُوحُ فيها، ورِجْلِيَ المرْكوبُ

فهو يمارس العادة السرية، وليس له بغل لذا يركب رجليه لا غير

٥٩ سأريه ما لم يكن في حسابه

صديقٌ ليس يُمْكِنُ من خِطابِهْ ولا يَرعَى ذِمَامَ ذَوِي طِلابِهْ
لَقِيتُ البُرْحَ يوماً من لِقاءٍ له قاسٍ، ويوماً من حِجَابِهْ

البرح: الشدة

يُعذِّبُني، وأصبِرُ كلَّ يومٍ فَيَنْقِمُ أنْ صَبَرْتُ على عَذَابِهْ

سَتَأْتِيهِ، بما اكتَسَبَتْ يداه، قَوَافٍ لم تُدَوَّنْ في حِسَابِهْ

٦٠ شيب وخضاب

وقال، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم:

طَرِبْتُ إلى المِرَاةِ فَرَوَّعَتْني طَوَالِعُ شَيْبَتَيْنِ أَلَمَّتَا بي
فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَزِعْتُ منها إلى المِقْرَاضِ حُبّاً لِلْتَّصَابي

فزع إلى: سارع إلى، المقراض: المقص

وأمَّا شيبةٌ فَصَفَحْتُ عنها لِتَشْهَدَ بالبراءَةِ من خِضَابي
فَأَعْجِبْ بالدَّلِيلِ على مَشيبي أَقَمْتُ به الدليلَ على شَبابي

٦١ قالي الزلابية

ومُسْتَقِرٍّ على كُرْسِيِّهِ تَعِبٍ رُوحي الفِدَاءُ له من مُنْصَبٍ تَعِبِ
رأيْتُهُ سَحَراً يَقْلي زَلَابِيَةً في رِقَّةِ القِشْرِ، والتَّجْويفِ كالقَصَبِ

الزلابية: المشبَّك، حلوى بقدر الكف كأنها الشبكة، وطريقة صنعها فيما يأتي.. (في بعض البلاد يسمون العوامة المكورة زلابية، وفي نابلس بفلسطين فالزلابية هي حلوى القرع الأصفر)

كأنَّما زيتُه المَغْلِيُّ حينَ بَدَا كالكِيمِياءِ التي قالوا ولم تُصِبِ

الكيمياء في ذلك الزمن كانت علم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب

يُلْقي العَجينَ لُجَيْناً من أنامِلِه فيستَحيلُ شَبابيكاً من الذَّهبِ

لجيناً: فضة

٦٢ كفارة الكذب

مَدَحْتُكُمْ طَمَعاً فيما أُؤَمِّلُهُ ولم أَنَلْ غيرَ حَظِّ الإثْمِ والوَصَبِ

الوصب: التعب

إن لم تكنْ صِلَةٌ مِنْكُمْ لِذِي أَدَبٍ فَأُجْرَةُ الخَطِّ، أو كَفَّارَةُ الكَذِبِ

٦٣ أخنزيراً وميْتة!

وقال في أبي يوسف الدقاق:

لِأَبِي يُوسُفَ بِنْتٌ لَيْتَهُ أَعْقَمَ، لَيْتَهْ

تُشْبِهُ القِردَ أوِ الشيـ ـطانَ، إن كنتَ رأيْتَهْ
قلتُ، لما سَامَنِيها بعضُ من يَألَفُ بَيْتَهْ:

سامنيها: ساومني عليها

أَزِناً وابْنَةَ يَعْقُو بَ، أَخِنْزِيراً ومَيْتَةْ؟

٦٤ عِفْتها.. عِفْتها

وقال في إسماعيل بن بلبل:

فَكَّرْتُ في خمسينَ عاماً خَلَتْ كانتْ أمامي ثمَّ خَلَّفْتُها
لو أنَّ عُمْرِي مِئَةٌ هَدَّني تَذَكُّري أَنِّيَ نَصَّفْتُها
كَنْزُ حياةٍ كانَ أنفقْتُهُ على تَصارِيفَ تَصَرَّفْتُها
لا عُذْرَ لي في أَسفي بعدَها على العَطايا. عِفْتُها، عِفْتُها

٦٥ منطق أرسطو في ريح خرج

وقال أيضا يهجو إنسانا ضرط بحضرته، فضحك ابن الرومي، وغضب الضارط:

بُلِيتَ بِفَلْتَةٍ فَضَحِكْتُ فَلْتَةْ فَلا تغضبْ، كِلا الأمرَيْنِ بَغْتَةْ
ولِي فَضْلٌ عليكَ، لأنَّ فِعْلي بِغَيْرِ أَذىً عليكَ، فَلِمْ كَرِهْتَهْ؟
أَتُسْمِعُني الأذى وتُشِمُّنِيهِ وتَجْشُمُني رِضَى مَا قد فَعَلْتَهْ
وتغضبُ أنْ ضحكتُ بغيرِ عَمْدٍ ولم تَسْمَعْ أذايَ ولا شَمِمْتَهْ؟

٦٦ مبادلة

أنتَ تَيْسٌ، والتَّيْسُ أشْـ ـبَهُ شَيءٍ بِخِلْقَتِكْ
أنتَ أَوْلَى بِقَرْنِهِ وَهْوَ أَوْلَى بِلِحْيَتِكْ

٦٧ العيش المدبر

قد كنتُ أبكي على من ماتَ من سَلَفي وأهلُ وُدِّي جَميعٌ غيرُ أَشْتَاتِ
فاليومَ - إذْ فَرَّقَتْ بيني وبيْنَهُمُ نَوىً - بكيتُ على أهلِ المَوَدَّاتِ
وما حياةُ امرئٍ أضحتْ مدامِعُهُ مَقْسومَةً بينَ أحياءٍ وأمواتِ؟

التسويد من الصديق اللغوي أحمد عبد الرحيم

٦٨ المتعة الباقية

ولــقــد ســئــمــتُ مَــآرِبــي فَــكــأَنَّ طَــيِّــبَــهــا خَــبــيــثْ
إلا الـــحـــديـــثَ، فـــإنَّـــهُ، مِــثْــلَ اســمِــهِ، أَبــداً حَــدِيــثْ

٦٩ المراودة والندم

أستغفرُ اللَّهَ مِن تَرْكي عَلانِيَةً ذنباً هَمَمْتُ به في شَادِنٍ خَنِثِ

شادن: غزال

ظَبْيٌ دَعَتْنِيَ عيناهُ ومَنْطِقُهُ بِنِيَّةٍ صَدَقَتْ عن ظَاهِرٍ عَبِثِ
فلم أُجِبْهُ، وحَظِّي في إجابَتِه، لَكِنْ سَكَتُّ كأني غيرُ مُكْتَرِثِ
لا بل فَرَرتُ، وظَلَّ الصَّيْدُ يَطْلُبُني! واللَّهِ ما كنتُ فيها بالفَتَى الدَّمِثِ
أَقْسَمْتُ باللَّهِ لمَّا قمتُ مُحْتَجِزاً أَنِّي انْبَعثْتُ بِقَلْبٍ غيرِ مُنْبَعِثِ

وهكذا ظل ابن الرومي بعيداً عن اللواط؛ ونادماً على تفويت فرصته

٧٠ المتاحة البائرة

وقال يهجو الجارية دريرة:

ويْــلَــكِ يــا قَــدَّ الــبَــرَسْــتُــوجَــةْ مــا أنــتِ والــلَّــهِ بِــمَــغْــنــوجَــةْ

البرستوجة: لعلها ثمرة مكوَّرة الشكل (لم أعثر عليها في اللسان ولا تاج العروس ولا في تكملة دوزي)

يـا كَـعْـبَـةً لـلـنَّـبْـكِ مَـنْـصُـوبَـةً لـكـنَّـهـا لـيـسـتْ بِـمَـحْـجُـوجَـةْ

٧١ باختصار

يــا طَــيِّــبَ الــثَّــغْــرِ والــمُــجَــاجَــةْ اِقْــضِ لــنــا حَــاجَــةً بــحــاجَــةْ

المجاجة: الريق

خــذْ مــن دنــانــيــرِنــا وبِــعْــنَــا نَــبْــكــاً، ودَعْــنــا مــن الــلَّــجَــاجَــةْ
عَــرِّجْ عــلــيــنــا نُــصِــبْ غَــدَاءً ونُــعْــمِــلِ الــعــودَ والــزُّجــاجَــةْ
هــل مَــانِــعــي حــاجَــتِــي مَــلــيــحٌ خِــلْــوٌ مــن الــبُــغْــضِ والــفَــجَــاجَــةْ
وإنَّــمــا حــاجَــتــي إلــيــهِ حَــاجــةُ ديــكٍ إلــى دجــاجــةْ

٧٢ مقمّلون مقرّنون

لــو أن قَــمْــلَ رؤوسِــكُــمْ ذاتِ الـــقُــرونِ إذا دَرَجْ
القرون للرجل كناية عن أن زوجته تخونه وهو غافل أو متغافل
شــاءَ الـعُــروجَ إلـى الـسَّـمــا ءِ عــلــى قُــرُونِــكُــمُ عَــرَجْ

٧٣ آكلة القلوب

وقال في شاجي:

ذاتُ جِيدٍ يُزْهَى على كلِّ عِقْدٍ وجبينٍ يُزْهَى على كلِّ تَاجِ
يتَلقَّاكَ في الغَلائِلِ منها وجهُ شمسٍ، وجسمُ دُمْيَةِ عاجِ
أَسْبَلَتْ من ذُرَاهُ جَعْدَاً أَثِيثَاً جَائِزاً حدَّ متنِها الرَّجْرَاجِ
جعداً أثيثاً: شعراً أجعد كثيفاً، جائزاً: متجاوزاً
جَارياً فوق متنِها جِرْيَةَ الما ءِ، وإن كان حالِكَ الأمواجِ
فَهْيَ: أمَّا السِّرَاجُ منها فوَهَّا جٌ، وأما الظَّلامُ منها فَدَاجِ
فَلِأَعْطَافِها صُنوفُ اهتِزازٍ، ولِأَردافِها صُنوفُ ارتجَاجِ
مَنْ مُجيري مِنْ أضعفِ الناسِ رُكْناً ولِعَيْنَيْهِ سَطْوَةُ الحجَّاجِ؟
شَادِنٌ يَرْتَعِي القُلوبَ بِبَغْدَا دَ، ولا يرتَعِي الخَلا بِالنِّبَاجِ
شادن: ظبي، الخلا: النبات الرطب، النباج: موضع قرب البصرة
أَوْرَثَ القلبَ سِحْرُ عينيهِ داءً ما لَه، غيرَ رِيقِهِ، من عِلاجِ

٧٤ الجيمية الكبرى

وقال يرثى أبا الحسين يحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي:

أَمامَكَ فانظُرْ أيَّ نَهجَيْكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَتىَّ: مستقيمٌ وأعوجُ
أَكُلَّ أَوَانٍ للنبيِّ محمدٍ قَتِيلٌ ذَكِيٌّ بالدماءِ مُضَرَّجُ؟
تَبيعونَ فيه الدِّينَ، شرَّ أئمَّةٍ، فَلِلَّهِ دِينُ اللَّهِ، قد كَادَ يَمْرَجُ
تبيعون في هذا الأوان الدين، وقد كاد يمرَج (يفسد)
بَنِي المُصْطَفَى: كمْ يأكُلُ الناسُ شِلْوَكُمْ؟ لِبَلْوَاكُمُ عمَّا قَليلٍ مُفَرَّجُ
شلوَكم: مفرد «أشلاءكم»

أما فِـيـهِـمُ راعٍ لِـحَـقِّ نَـبِـيِّـهِ ... ولا خـائـفٌ مـن ربِّـهِ يَـتَـحَـرَّجُ؟
أَبَعْدَ المُكَنَّى بالحسينِ، شَهِيدِكُمْ، ... تُضِيءُ مصابيحُ السماءِ فَتُسْرَجُ؟
وكـنَّـا نُـرَجِّـيـهِ لِـكَـشـفِ عَـمَـايَـةٍ ... بِـأَمـثـالِـهِ أمـثـالُـهـا تَـتَـبَـلَّـجُ
فساهَمَنا ذو العرشِ في ابنِ نبيِّه ... فـفـازَ بـه، والـلَّـهُ أعْـلَـى وأَفْـلَـجُ

ساهمنا: قامرنا (وكانوا يقسمون الذبيحة أقساما ويستهمون عليها ويقترعون)، أفلج: أظفر

لِمَنْ تَستَجِدُّ الأرضُ بعدَكَ زينَةً ... فَـتُـصْـبِـحَ فـي أثـوابِـهـا تَـتَـبَـرَّجُ
سـلامٌ وريْـحَـانٌ ورَوْحٌ ورحـمـةٌ ... عليك، وممدودٌ من الظلِّ سَجْسَجُ

رَوْح: نسيم، سجسج: رائق لا حار ولا بارد

ولا بَـرِحَ الـقـاعُ الـذي أنـتَ جـارُهُ ... يَـرِفُّ عـلـيـهِ الأُقْـحُـوانُ الـمُـفَـلَّـجُ

القاع: السهل، المفلج: المتفتح

ويـا أَسَـفـي أَلَّا تَـرُدَّ تـحـيـةً ... سوى أَرَجٍ من طيبِ رَمْسِكَ يَأْرَجُ

أرج: عبير، رمسك: قبرك

أَلا أيُّـهـا الـمـسـتـبـشِـرونَ بِـيـومِـه ... أظـلَّـتْ عـلـيـكُـمْ غُـمَّـةٌ لا تُـفَـرَّجُ
كـأَنِّي بـه كـالـلـيـثِ يحـمـي عرينَـهُ ... وأشـبـالَـه، لا يَـزْدَهِـيـهِ الـمُـهَـجْـهَـجُ

يزدهيه: يستخفه ويرعبه، المهجهج: النار

يَـكُـرُّ عـلـى أعـدائِـهِ كَـرَّ ثَـائِـرٍ ... ويَـطْـعَـنُـهُـمْ سُـلْـكَـى، ولا يَـتَـخَـلَّـجُ

يطعنهم سلكى: بطعنة مستقيمة، يتخلج: يضطرب

كَـدَأْبِ عـلـيٍّ فـي الـمـواطـنِ قَـبْـلَـه ... أبي حسنٍ، والغصنُ مِنْ حيثُ يخرُجُ
فَحُبَّ به جِسْمَاً إلى الأرضِ إذ هَوى ... وحُـبَّ بـه رُوحـاً إلـى الـلَّـهِ تَـعْـرُجُ
أَجِنُّوا بَني العباسِ من شَنَآنِكُمْ ... وأَوْكُوا على ما في العِيَابِ وأَشْرِجُوا

أجنوا: أخفُوا، شنآنكم: بغضكم، أوكوا: اربطوا، العياب: الصناديق، والقرب، والصدور، أشرجوا: خِيطوا

أَكُـلُّـكُـمُ أمـسـى اطْـمَـأَنَّ مِـهَـادُهُ ... بِأَنَّ رسولَ اللَّهِ في القبرِ مُزْعَجُ؟
نَظَارِ لَكُمْ أنْ يَرْجِعَ الحَقَّ راجِعٌ ... إلى أهلِه يوماً، فَتَشْجَوْا كما شَجُوا

يَرجِع: يُرجع، يردّ

غُـرِرْتُـمْ إذا صـدَّقْـتُـمُ أن حَـالـةً ... تَدومُ لكُمْ، والدهرُ لَوْنَانِ أَخْرَجُ

الأخرج: ذو اللونين

لعلَّ لهُمْ في مُنْطَوَى الغيبِ ثائراً   سيَسْمُو لكُمْ، والصبحُ في الليلِ مُولَجُ

ثائراً: آخذاً بالثأر، يسمو لكم: يظهر لكم

بِمَجْرٍ تضيقُ الأرضُ عن زَفَراتِه   له زَجَلٌ يَنْفي الوحوشَ، وهَزْمَجُ

مجر: جيش، زجل: صوت عال، هزمج: صوت عال، مثل هزيم الرعد

تُوامِضُهُ شمسُ الضُّحَى، فكأنَّما   يُرَى البحرُ في أعْراضِهِ يَتَمَوَّجُ

وميض الشمس يقع على أسلحة الجيش فكأنه البحر

يؤيِّدُهُ رُكنانِ ثَبْتَانِ: رَجْلُهُ   وخيلٌ كأَرْسَالِ الجرادِ وأَوْثَجُ

رجله: مُشَاته، أرسال: أفواج، أوثج: أكثف

يَوَدُّ الذي لاقَاهُ أنَّ سلاحَهُ   هنالكَ خَلخَالٌ عليه ودُمْلُجُ

الدملج: السوار، الذي يلاقي هذا الجيش يتمنى أنه امرأة حتى لا يحارب

فَيُدْرِكُ ثأرَ اللَّهِ أنصارُ دينِه   ولِلَّهِ أوْسٌ آخرونَ وخَزْرَجُ

هنا قعدت القافية مرتاحة بغير لفظة معجمية تتعب القلب

وتَظْعَنُ، خوفَ السَّبْيِ بعدَ إقامةٍ،   ظَعائِنُ لم يُضْرَبْ عليهِنَّ هَوْدَجُ

تظعن (ترحل) الظعائن (النساء) خوف السبي لكن بعجلة وبدون هوادج رحيل خوف وفزع

مَحَضْتُكُمْ نُصْحي، وإنِّيَ بَعدَها   لأُعْنِقُ فيما ساءَكُمْ وأُهَمْلِجُ

أعنق: أسرع، أهملج: أسرع

أَفي الحقِّ أن يُمْسُوا خِمَاصاً، وأَنْتُمْ   يكادُ أَخُوكُمْ بِطْنَةً يَتَبَعَّجُ

خماصاً: جائعين، يتبعج: ينشق بطنه

تَمَشَّوْنَ مُخْتَالينَ في حُجُراتِكُمْ   ثِقَالَ الخُطَا أَكْفَالُكُمْ تَتَرجْرَجُ

وإن كُنْتُمُ منهُمْ، وكان أبوكُمُ   أباهُمْ، فإنَّ الصَّفْوَ بِالرَّنْقِ يُمْزَجُ

الرنق: الكدر، تراب الماء

وإنِّي على الإسلامِ منكُمْ لَخَائِفٌ   بَوَائِقَ شَتَّى بَابُها الآنَ مُرْتَجُ

البوائق: الدواهي

٧٥ أمواج الحبيبة

يـا قـمـراً فـوق رأسِـه تـاجُ   يَخجَلُ من حُسْنِ لونِه العَاجُ
إذا تـمـشَّـى يـكـادُ يـجـذِبُـه   رِدْفٌ لـه كـالـكَـثِـيـبِ رَجْرَاجُ
كـأنـمـا فـي جُـيـوبِـه قـمـرٌ   وفـي الـسَّـراويـلِ مـنـه أمْـواجُ

الجيب: فتحة الرأس في الجلابية أو فيما أشبهها من ملابس

٧٦ طار الغراب عن رأسي

شَعَراتٌ في الرأسِ بِيضٌ ودُعْجُ،   حَـلَّ رأسـيِ جِـيـلانِ: رُومٌ وزَنْـجُ

دعج: سود

طـارَ عـن هـامـتـيِ غُـرابُ شبابٍ،   وعــلاهُ مــكــانَــهُ شَــاهُــمُــرْجُ

شاهمرج: معرب شاه مرغ: وهو طائر أبيض

حلَّ في صَحْنِ هامتيِ منه لونا   نِ، كـمَـا حَـلَّ رُقْـعَـةً شِـطْـرَنْـجُ
أيها الشيبُ لِمْ حللْتَ برأسيِ؟   إنـمـا لـيِ عَـشْـرٌ وعَـشْـرٌ وبَـنْـجُ

بنج بالفارسية خمسة

٧٧ السفر إلى طنجة

قال ابن الرومي في كنيزة:

وقَـيْـنَـةٍ أَبْـرَدَ مـن ثَـلْـجَـةْ   تـظـلُّ مـنـهـا الـنـفـسُ فـي ضَـجَّـةْ
مـا جُـنَّ مـن عِـشْـقِ فـؤادٌ بـهـا   كـلَّا، ولا ذابـتْ بـهـا مُـهْـجَـةْ
خَـرَّاجَـةٌ لـلـفِـسْـقِ دَخَّـالَـةٌ   تُـعْـجِـبُـهـا الـدَّخْـلَـةُ والـخَـرْجَـةْ
لـو حُـدِّثَـتْ عـن فَـيْـشَـةٍ ضَـخْـمَـةٍ   بِـطَـنْـجَـةٍ سـارتْ إلـى طَـنْـجَـةْ

الفيشة: أعلى عضو الرجل

٧٨ شعري مرآة

وكتب إلى أبي عثمان سعيد بن الحسين بن شداد المسمعي الناجم في قوم عابوا شعره:

نـظـرَتْ فـي وُجُـوهِ شِـعـريِ وجـوهٌ   أُوسِـعَـتْ قـبـلَ خَـلْـقِـهـا تَـقـبْـيـحَـا

أَبْصَرَتْ في صِقَالِهِ صُوَراً منـ ـها قِبَاحاً، فَأَظْهَرَتْ تَكْلِيحَا
عايَنَتْ فيه قُبْحَها فاجْتَوَتْهُ ظَالِمَاتٍ هناكَ ظُلْماً صَرِيحا

اجتوته: عافته

والمَرايا تُرِي الجميلَ جميلاً وكذاكُمْ تُرِي القبيحَ قبيحا

٧٩ لا تتعب نفسك.. الزمان تغير

يا مادحَ القومِ اللئا م، وطالباً نَيْلَ الشِّحَاحِ
ما أنتَ في زمنِ المديـ حِ، ولا الهجاءِ، ولا السَّمَاحِ
فاشْغَلْ قَرِيضَكَ بالنَّسِيـ بِ، وبالفُكاهةِ والمُزَاحِ

٨٠ أمدحك وديوني تهجوك

وقال في إسماعيل بن بلبل:

لي لِسانٌ ما زالَ يُطْرِيكَ في النَّثْـ ـرِ، وفي النَّظْمِ غيرَمَا مُسْتريحِ
وارتِكابُ الدُّيونِ إيَّايَ في ظِلِّـ ـكَ يهجوكَ باللسانِ الفصيحِ

ارتكاب: ركوب

٨١ جهز القدح قبل المدح

وقال في عبد الله بن محمد بن يزداد:

إذا ما مدحتَ أبا صالحٍ فأَعْدِدْ له الشَّتْمَ قبلَ المديحِ
فإنِي ضَمِينُكَ عن لُؤْمِه بِبُخْلٍ عَتِيدٍ ورَدٍّ قَبِيحِ

عتيد: حاضر

وأَنَّى يجودُ؟ ولا عِرْقُهُ كريمٌ، ولا وجهُه بالصَّبِيحِ

٨٢ السابحون والعطشان

وقال في إسماعيل بن بلبل:

عقيدَ النَّدَى: أَطلِقْ مدائحَ جَمَّةً حَبَائِسَ عندي قد أَنَى أنْ تُسَرَّحَا

عقيد الندى: ملازم السخاء، أنى: آن

ولـم أَحْـتَـبِـسْـهـا إذْ حَـبَـسْـتَ مَـثُـوبَـتِـي   لأنَّ مَدِيحا لـم يَـجِـدْ بعدُ مَـمْـدَحـا . .

لم أحبس القصائد بسبب أن المديح لم يجد مكاناً له، ولكن. .

ولـكـنَّ لـيِ نَـفْـسَـاً عـلـيـكَ شَـفِـيـقـةً   تُـحَـاذِرُ وِجْدانَ الـعِـدا فيـكَ مَـقْـدَحـا

. . أشفق عليك إذ أمدحك فلا تكافئني فينتقدك أعداؤك

فـيـا لـكَ بـحـراً لـم أَجِـدْ فيه مَـشْـرَبـاً   وإن كـان غـيـري واجـداً فـيـه مَـسْـبَـحـا

٨٣ اللائم على الراح

يـا لائـمـي فـي الـراحِ غـيـرَ مُـقَـصِّـرٍ   لا زَالَ رأيُـكَ سَـيِّـئـاً فـي الـرَّاحِ
فَـأَقَـلُّ مـا فـي تَـرْكِ مِـثْـلِـكَ شُـرْبَـهـا   تَـوفـيـرُهـا، وطَـهـارةُ الأَقْـدَاحِ

٨٤ لا نجاح بعد الاجتياح

وقال في نجح الخادم (وكان خصياً، أو أن الشاعر يفتري عليه ذلك):

قُـلْ لِـنُـجْـحٍ: أخـطَـأْتَ بابَ الـنَّـجاحِ   بَـل تَـعـاطَـيْـتَـهُ بِـلا مِـفـتـاحِ
إنَّ وُدَّانَ لا تَــوَدُّ خَــصِــيَّــاً   فَـاصْـحُ عنها، فَـقَـلْـبُـها عنكَ صَـاحِ
لـيـتَ شِـعْـرِي بـمـا تـظُـنُّـكَ تُـصْـبِـي   قـلـبَ وُدَّانَ يـا كَـسِـيـرَ الـجَـنـاحِ؟

تصبي: تغري

أَبِـوَجْـهٍ، كـأنَّـه وَجْـهُ قِـرْدٍ،   حَـائِـلِ الـلـونِ خَـامِـدِ الـمـصـبـاحِ؟
أمْ بـأَبْـرٍ أَتَـى الـخِـصَـاءُ عـلـيـه   غـيـرَ مُـبْـقٍ، فـاجْـتِـيحَ أيَّ اجـتـيـاحِ؟
أم بِـقَـدٍّ كـأنَّـهُ قَـدُّ زِقٍّ   زِيـدَ عَـرضـاً بِـبَـطْـنِـكَ الـمُـنْـدَاحِ؟

الزق: قربة ضخمة من جلد تكون للخمر، المنداح: المترهل

أنـتَ لا مِـنْ ذَوِي الأُبُـورِ فَـتَـهْـوا   كَ، ولا مِـنْ ذَوِي الـوُجُـوهِ الـصِّـبَـاحِ
إنَّ مَـنْ يَـعـشَـقُ الـنـسـاءَ بـلا أَبْـ   ـرٍ كَـمِـثْـلِ الـغَـازِي بِـغـيـرِ سِـلاحِ
مَنْ عَذِيرِي مِنْ جَوْرِكُمْ، مَعشرَ الخِصـ   ـيانِ، إذ تَـطـلـبـونَ وَصْـلَ الـمِـلاحِ

من عذيري: من نصيري!

مَـعـشَـرٌ أَشْـبَـهـوا الـقُـرُودَ، ولـكـنْ   خَـالَـفُـوهـا فـي خِـفَّـةِ الأَرْوَاحِ

٨٥ غاية العبث

وقال في عبد الله بن خرداذبه:

أيُّها العاذلُ لا أخـ ... طأَكَ الحَيْنُ المُتاحُ

الحين: الهلاك، المتاح: المقدَّر بقضاء

إن يكنْ عندَكَ لي نصـ ... حٌ، فما عِندي انتِصَاحُ
كلُّ شيءٍ غُلِبَ الصَّبْـ ... ـرُ إليه فَمُباحُ
إنما الدنيا مَلاءٍ ... واغتباقٌ واصْطِباحُ

الاغتباق: الشرب مساء، الاصطباح: الشرب صباحاً

والمُزَاحُ الجِدُّ ـ إنْ فكَّـ ... ـرْتَ ـ والجِدُّ المُزَاحُ

٨٦ سأطحنك

وقال مجيبا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن العلاء بن صاعد:

ألا أَهْونْ على البدرِ ... بِكلبٍ لَجَّ في النَّبْحِ
نَهتْ عن نفسِها النارُ ... بما فيها من اللَّفْحِ
حَذارِ الحِلْمَ! إن الحِلْـ ... ـمَ ذو أَسْوٍ، وذو جَرْحِ
وما عند الرَّحَى بُقْيَا ... إذا دارتْ على القمحِ

بقيا: إبقاء المرء حياً وعدم قتله عند التمكن منه

٨٧ الارتجال

نارُ الرَّوِيَّةِ نارٌ جِدُّ مُنْضِجَةٍ ... ولِلبديهةِ نارٌ ذاتُ تَلْوِيحِ
وقد يُفَضِّلُها قومٌ لِعاجِلِها ... لكنَّه عاجلٌ يمضي مع الرِّيحِ

٨٨ استهتار*

إن كنتُ قد عَرْبَدْتُ في سَكْرَتي ... فما على السكرانِ أصلاً جُنَاحْ
أو كنتُ قد أخطأتُ في لفظةٍ ... فأنتَ يا مولايَ ربُّ السَّمَاحْ
فبِالذي وَلَّاكَ في مُهجتي ... لا تَسْقِني الكاساتِ إلَّا طِفَاحْ

* ينبهني الصديق أحمد عبد الرحيم إلى لامعجمية لفظة «استهتار» ويقترح «استهانة». الاستهانة شيء يختلف قليلاً، وعندي كلمة «استخفاف» ولكنها لا تعني ما تعنيه استهتار كما درجت حديثاً

٨٩ الشاة المرعوبة

وقال يهجو البحتري:

مـا مَـجْـزَعُ الـشَّـاةِ إذا ذُبِـحَـتْ مـن ألـمِ الـذَّبْـحِ ولا الـسَّـلْـخِ
ولا مـن الـتـفـصـيـلِ مَـنْـكُـوسَـةً ولا مـن الـشَّـيِّ ولا الـطـبـخِ
لـكـنـهـا تـجـزَعُ مـن خَـلَّـةٍ تَـقْـدَحُ فـي الأحـشـاءِ بـالـمَـرْخِ

خلة: خصلة، أمر، المرخ: الدعك

تُـشْـفِـقُ أن يُـكْـتَـبَ فـي جـلـدِهـا شِـعْـرُكَ يـا ذا الـقَـرْنِ والـكَـشْـخِ

ذو القرن: كناية عن كونه يغضي عن زنا زوجته، ذو الكشخ: الديوث

٩٠ الطيلسان العتيق

وقال على مذهب الحمدوي:

يا ابنَ حَرْبٍ كَسوْتَني طَيْلَساناً يُـزْرَعُ الـرَّفْـوُ فـيـه وَهْـوَ سِـبَـاخُ

سباخ: مستنقعات، يقول: الرقع تزرع زرعاً في هذا الثوب وهو كالسباخ التي لا ينبت زرعها

مـاتَ نَـسَّـاجُـهُ ومـاتَ بَـنـوهُ وبـدا الـشـيـبُ فـي بَـنِـيـهِـمْ وشـاخُـوا

لقدم الثوب فإن نساجه مات، وأبناؤه ماتوا، والأحفاد شاخوا

تَـسْـتَـمِـرُّ الـصُّـدُوعُ طـولاً وعـرضـاً فـيـه، حـتـى كـأنَّـهُـنَّ رِخَـاخُ

الصدوع: الشقوق، رخاخ: حجارة القلعة في الشطرنج (وحركتها أفقية وعمودية ليس غير)

نَسْرُ دَهْرٍ؛ نُسورُ لُقْمَانَ، والنَّسْـ ـرانِ إنْ قِـسْـتَـهـا إلـيـه فِـراخُ

هذا الطيلسان نسر يعيش مدى الدهر. ونسور لقمان المشهورة بطول عمرها، وكذا النسران ذانك، النجمان في السماء، إذا قيست جميعاً إلى هذا الطيلسان فهي مجرد فراخ

٩١ تعاسة من المهد إلى اللحد

يمدح صاعد بن مخلد:

أَبَـيْـنَ ضُـلـوعـي جـمـرةٌ تـتـوقَّـدُ على ما مضى أم حَسْرةٌ تتجدَّدُ؟
كـفَـى حَـزَنـاً أنَّ الـشـبـابَ مـعـجَّـلٌ قَصيرُ الليالي، والمشيبَ مُخَلَّدُ
إذا حَلَّ، جارى المرءَ شأْوَ حياتِه إلى أن يَضُمَّ المرءَ والشَّيبَ مَلْحَدُ

شأو حياته: شوط حياته، يعني مدى حياته

أرى الدَّهرَ أجْرَى ليلَه ونهارَه بِعَدلٍ، فلا هذا ولا ذاك سَرْمَدُ
وجارَ على ليلِ الشبابِ فَضَامَهُ نهارُ مَشِيبٍ سَرْمَدٍ ليس يَنْفَدُ
وعَزَّاكَ عن ليلِ الشبابِ مَعَاشِرٌ فقالوا: نهارُ الشيبِ أهدَى وأرْشَدُ
وكانَ نهارُ المرءِ أهدَى لِسَعْيِه ولكنَّ ظِلَّ الليلِ أنْدَى وأبْرَدُ
أأيَّامَ لَهْوِي: هل مَوَاضِيكِ عُوَّدٌ؟ وهَلْ لِشَبابٍ ضَلَّ بالأمسِ مَنْشَدُ؟

يا أيام لهوي! هل ما مضى منك عائد؟ وهل للشباب الذي ضاع أمس من منشد (تفتيش عنه)

أقولُ، (وقد شابَتْ شَوَاتِي، وقَوَّسَتْ قَناتِي، وأَضْحَتْ كِدْنَتِي تَتَخَدَّدُ

الشواة: قرعة الرأس، القناة: القد، وفي الأصل الرمح، كدنتي: سمنتي وشحمي، تتخدد: تهزل

ودبَّ كَلالٌ في عظامي أدَبَّنِي جَنِيبَ العَصا أنْأَدُّ، أو أتَأَوَّدُ

كلال: تعب، أدبَّني بشدة على الباء: جعلني أدب دبيباً وأمشي ببطء، جنيب العصا: الأعرج ذو العصا، فالجنيب هو الذي يمشي مائلاً إلى جنبه، أنأدُّ: أتشدد، أتأود: أتمايل

وبُورِكَ طَرْفِي فالشِّخَاصُ حِيَالَهُ قَرَائِنُ مِنْ أَدْنَى مَدَىً وَهْيَ فُرَّدُ

يرى الواحد اثنين من مسافة قصيرة، فهذه هي «البَرَكة» في طرفه (نظره)

ولَذَّتْ أحادِيثِي الرِّجالَ، وأعرضتْ سُلَيْمَى ورَيَّا عن حَديثِي ومَهْدَدُ
وبُدِّلَ إعجابُ الغواني تَعَجُّباً فَهُنَّ رَوَانٍ يَعْتَبِرْنَ وصُدَّدُ):

روانٍ: رانيات ببصرهن، يعتبرن: يأخذن عبرة، صدد: صادات متعدات

لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صُرُوفِها يكونُ بكاءُ الطفلِ ساعةَ يُولَدُ

الذي يقوله ـ وإعراب الأبيات الخمسة المنصرمة جميعاً «حال» ـ هو: بسبب ما تنذر به الدنيا من مصايبها يبكي الطفل عند ولادته

وإلَّا فَما يُبْكِيهِ منها، وإنها لأَفْسَحُ مِمَّا كان فيه وأَرْغَدُ
إذا أبصَرَ الدُّنيا اسْتَهَلَّ كأنَّه بِمَا سوف يَلْقَى من أذَاهَا يُهَدَّدُ

استهل: بكى

مَحَارُ الفَتى شَيْخوخَةٌ أو مَنِيَّةٌ ومَرْجوعُ وهَّاجِ المصابيحِ رِمْدَدُ

محار: مصير، رمدد: رماد

ومَا لِي عَزاءٌ عن شَبابِي عَلِمْتُه سوى أنَّنِي من بَعدِهِ لا أُخَلَّدُ

بيت في ذيل القصيدة:

وآنَقُ مِنْ عِقْدِ العَقِيلَةِ جِيدُها، وأحسَنُ من سِربَالِها المُتَجَرَّدُ

آنق: أكثر أناقة، سربالها: ثوبها، المتجرد: المَعْرَى، ومتجردها عريها

٩٢ المدح الرديد

وقال يهجو ابن المدبر:

رَدَدْتَ عليَّ مَدْحي بعدَ مَطْلٍ وقد دَنَّسْتَ مَلْبَسَهُ الجديدا
وقلتَ: امْدَحْ به مَنْ شئتَ غيري. ومن ذَا يقبلُ المدحَ الرَّدِيدا؟
ولا سِيَما وقد أعبَقْتَ فيهِ مَخَازِيَكَ اللَّواتي لن تَبِيدا
وما لِلْحَيِّ في أكفانِ مَيْتٍ لَبُوسٌ بعدَما امتلأتْ صَدِيدا

٩٣ ساهر على راحتنا

وقال في إسماعيل بن بلبل:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنَّا الأميرَ رسالَةً فَلَا بَرِحَتْ نُعماكَ دَاءَ حَسُودِها
رأيْناكَ تَرْعانا بِعينٍ ذكيَّةٍ أَتَى النَّاسَ طُرّاً نومُهُمْ من سُهُودِها

ذكية: متقدة صاحية، ألا يسمون الشمس ذُكاء؟ ويقولون يذكي النار؟

٩٤ صبور

وقال في خالد القحطبي:

يا عجباً من خالدٍ في صبرِهِ وجَلَدِهْ
قاتَلَهُ اللَّهُ، فَما أبعَدَهُ مِنْ رَشَدِهْ
يُولِجُ في زوجَتِهِ أبْرَ سِواهُ بِيَدِهْ

٩٥ أُرسوا بي على برّ

وقال في القاسم بن عبيد الله:

يا ابنَ الوزيرَيْنِ سمْعَاً من أخي طَلَبٍ بينَ الرجاءِ وبين اليأسِ مَكْدُودِ
لا تبخَلَنَّ على مَنْ لستَ كافِيَهُ بأنْ تقولَ: تَزَحْزَحْ غيرَ مطْرودِ

لا تبخل على من لست معطيه كفايته بعبارة: انصرف غير مطرود

كم آنِفٍ لكُمُ من أنْ تُرى مِدَحي ... مَنقُودَةً، وجَداكُمْ غيرَ مَنقُودِ

كثيرون يأنفون لأجلكم أن يروا قصائدي فيكم مدفوعة نقداً، وجداكم (عطاؤكم) مؤجل غير منقود

وبَيِّنُوا ليَ أمري: إنني مَعَكُمْ ... في سَرْمَدٍ من ظَلامِ الشكِّ مَمْدُودِ

٩٦ واسطة العقد

يرثي ابنه الأوسط:

بكاؤُكما يَشْفي، وإن كانَ لا يُجْدِي ... فَجُودَا فقدْ أَوْدَى نظيرُكُما عِندي

يخاطب عينيه

بُنَيَّ الذي أَهْدَتْهُ كفَّايَ للثَّرَى ... فيَا عِزَّةَ المُهْدَى، ويا حسرةَ المُهْدي

نظير عينيه هو ابنه الذي دفنه، فما كان أعزه (أغلاه)

ألا قاتَلَ اللَّهُ المنايا ورَمْيَها ... مِنَ القومِ حَبَّاتِ القلوبِ على عَمْدِ

تَوَخَّى حمامُ الموتِ أَوْسَطَ صِبْيَتي ... فَلِلَّهِ كيفَ اختارَ واسِطَةَ العِقْدِ

واسطة العقد: الجوهرة الوسطى، وهي أكبر وأغلى جواهر العقد

على حينَ شِمْتُ الخيرَ مِنْ لَمَحَاتِه ... وآنَسْتُ من أفعالِه آيةَ الرُّشْدِ

شمت: توسمت

طَواهُ الرَّدَى عني فأضحَى مزارُهُ ... بعيداً على قربٍ، قريباً على بُعْدِ

موصول بالبيت السابق. عندما توسمت الخير من نظراته طواه الردى

لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها ... وأخلفَتِ الآمالُ ما كان من وَعْدِ

لقد قلَّ بين المهدِ واللحدِ لَبْثُهُ ... فلم يَنْسَ عهدَ المهدِ إذ ضُمَّ في اللحدِ

تَنَغَّصَ قبلَ الرِّيِّ ماءُ حياتِهِ ... وفُجِّعَ منه بالعُذوبَةِ والبَرْدِ

قبل أن يرتوي بماء الحياة تنغص (تكدر) هذا الماء، وفجع الصبي (نُكب) بزوال العذوبة والبرد من ماء حياته (في مدينة حارة كبغداد يكون البرد صفة حسنة للماء)

ألحَّ عليه النَّزْفُ حتى أحالَه ... إلى صُفْرَةِ الجَادِيِّ عن حُمْرَةِ الوَرْدِ

الجادي: الزعفران

وظلَّ على الأيدي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ ... ويَذْوي كما يَذْوي القَضِيبُ من الرَّنْدِ

فيا لَكِ من نَفْسٍ تَسَاقَطُ أَنْفُساً ... تَسَاقُطَ دُرٍّ من نِظامٍ بِلا عِقْدِ

عجبتُ لِقَلْبِي كيفَ لم ينفَطِرْ له ... ولو أنه أقسَى من الحَجَرِ الصَّلْدِ

ينفطر: يتصدَّع

بِوُدِّيَ أني كنتُ قُدِّمْتُ قبلَه ... وأنَّ المنايا دونَهُ صَمَدَتْ صَمْدِي

صمدت صمدي: وضعت قردها على طحيناتي بالتعبير العامي، يعني تفرغت لي

ولكنَّ ربي شاءَ غيرَ مشيئتي ... وللرَّبِّ إمْضَاءُ المشيئةِ، لا العَبْدِ

وما سَرَّني أن بِعْتُهُ بِثَوابِهِ ... ولو أنه التَّخْليدُ في جنةِ الخُلْدِ

الاعتقاد أن المرء يثاب بالمصيبة تحل به، ولكن شاعرنا لا يسره أن يبادل ولده ولو بالخلود في الجنة

ولا بِعْتُهُ طَوْعاً، ولكِنْ غُصِبْتُهُ ... وليس على ظلمِ الحوادثِ مِنْ مُعْدِ

معدٍ: نصير

وإني، وإن مُتِّعْتُ بِابْنَيَّ بَعْدَهُ، ... لَذَاكِرُهُ ما حَنَّتِ النِّيبُ في نَجْدِ

النيب: النياق. يقول سأظل أذكره طول الدهر، فالنياق في نجد لن تكف عن الحنين (صوت الناقة تحن إلى فصيلها المذبوح)

وأولادُنا مثلُ الجَوارحِ، أيُّها ... فَقَدْناهُ كانَ الفَاجِعَ البَيِّنَ الفَقْدِ

الجوارح: الأعضاء

لِكُلٍّ مكانٌ، لا يَسُدُّ اختلالَهُ ... مَكانُ أخيهِ في جَزُوعٍ ولا جَلْدِ

لكل ولد مكان في قلب الأب، ولا يسد اختلال هذا المكان بفقد الولد وجودُ أولاد غيره، يستوي في ذلك الأب الجزوع (المظهر حزنه) والجلْد (المتصبر)

هلِ العينُ بعدَ السَّمْعِ تَكْفِي مكانَهُ، ... أمِ السَّمْعُ بعدَ العينِ يَهدِي كما تَهدي؟

لَعَمْرِي: لقد حالتْ بيَ الحَالُ بعدَهُ ... فيا ليتَ شِعْرِي كيفَ حالتْ بِهِ بَعْدي؟

ثَكِلْتُ سُرورِي كلَّهُ إذ ثَكِلْتُهُ ... وأصبحتُ في لذَّاتِ عَيْشي أخا زُهْدِ

أرَيْحَانَةَ العَيْنَيْنِ والأنفِ والحَشَا: ... ألا ليتَ شِعْرِي هلْ تغيَّرْتَ عن عَهدي

سَأسقِيكَ ماءَ العينِ ما أَسْعَدَتْ به، ... وإن كانتِ السُّقْيا من الدَّمْعِ لا تُجْدِي

أسعدت: ساعدت

أَعَيْنَيَّ: إن لا تُسْعِداني أَلُمْكُمَا ... وإنْ تُسْعداني اليومَ تَسْتَوْجِبا حَمْدي

عَذَرتُكُما لو تُشغَلانِ عن البُكا ... بِنَومٍ، وما نَوْمُ الشَّجِيِّ أخي الجَهْدِ؟

أَقُرَّةَ عينيِ: قد أطَلْتَ بُكَاءَهَا وغَادرتَها أَقْذَى من الأَعْيُنِ الرُّمْدِ
أَقُرَّةَ عينيِ: لو فَدَى الحَيُّ مَيِّتاً فَديْتُكَ بالحَوْبَاءِ أَوّلَ من يَفْدِي

الحوباء: النفس

كأنيَ ما استمتعتُ منكَ بنظرةٍ ولا قُبلةٍ أحلى مذاقاً من الشَّهْدِ
كأنيَ ما استمتعتُ منكَ بضَمَّةٍ ولا شَمَّةٍ في مَلْعَبٍ لكَ أو مَهْدِ
أَلَامُ لِمَا أُبْدي عليكَ منَ الأسى وإني لأُخْفِي منه أضْعَافَ ما أُبْدِي
مُحَمَّدُ، مَا شيءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً لِقلبيَ إلا زادَ قلبي من الوَجْدِ
أرى أَخَوَيْكَ الباقِيَيْنِ كِليْهِما يَكونَانِ للأحزانِ أَوْرَى من الزَّنْدِ

أورى من الزند: أشد إيقاداً من حجر القدح

إذا لَعِبَا في ملعبٍ لكَ لَذَّعَا فؤادي بِمِثْلِ النَّارِ عن غيرِ ما قَصْدِ
فما فِيهِما لي سَلْوَةٌ بل حَرَارَةٌ يَهِيجَانِهَا دُوني، وأَشْقَى بها وَحْدِي
وأنتَ، وإنْ أُفْرِدْتَ في دارِ وَحْشَةٍ، فإني بِدَارِ الأُنْسِ في وَحْشَةِ الفَرْدِ
أَوَدُّ، إذا ما الموتُ أَوْفَدَ مَعْشَراً إلى عَسْكَرِ الأَمْوَاتِ، أَنِّي من الوَفْدِ
ومَنْ كان يَسْتَهدِي حبيباً هَديَّةً فَطَيْفَ خَيالٍ منكَ في النومِ أَسْتَهدِي
عليكَ سلامُ اللّهِ مني تحيةً ومِنْ كلِّ غَيْمٍ صَادِقِ البَرْقِ والرَّعْدِ

صادق البرق والرعد: ماطر

٩٧ شكوى قائدتي

وقال في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وصلحه لأخيه سليمان بعد الشر الذي كان بينهما:

لِلْنَّاسِ عِيدٌ ولِي عِيدانِ في العِيدِ إذا رأيتُكَ يا ابنَ السادةِ الصِّيدِ

الصيد: السادة

ما اليومُ يَمْضي ـ وعيني غيرُ فائزةٍ بحظِّها منكَ ـ في عُمْريِ بِمَعدودِ

ما اليوم يمضي: ما اليوم الذي يمضي (في هذا الأسلوب القديم يسقطون «الذي»)

لكنْ تَطَاوَلَتِ الشَّكوى بِقَائِدَتي فكنتُ شهراً وحالي حالُ مَصْفُودِ

الشكوى: المرض، قائدتي: عيني، مصفود: مقيد

شُغِلْتُ عنكَ بِعُوَّارٍ أكابِدُه   لا بالمَلاهي ولا ماءِ العناقيدِ

عوار: رمد، ماء العناقيد: الخمر

ولو قَعَدْتُ بلا عُذْرٍ لمهَّدَ لي   جميلُ رأيِكَ عذري أيَّ تمهيدِ

قاسيتُ بعدَكَ ـ لا قاسيْتَ مِثْلَهُما ـ   نهارَ شَكوى يُبَاري ليلَ تَسْهيدِ

أُمسي وأُصبحُ في ظلماءَ مِنْ بَصَري   فما نهاريَ مِنْ ليلي بِمَحدودِ

نهاري ليس محدوداً (مميزاً) من ليلي إذ إنني لا أرى

كأنني مِنْ كِلَا يَومي وليْلَتِه   في سَرْمَدٍ من ظلامِ الليلِ ممدودِ

إذا سمعتُ بِذِكرِ الشمسِ آسَفَني   فَصُعِّدَتْ زَفَراتي أيَّ تصعيدِ

لا يطمئنُّ بِجَنْبي لِينُ مُضْطَجَعٍ   وما فِراشُ أخي شَكوى بِمَمْهودِ

أرعى النُّجومَ، وأنَّى لي بِرِعْيَتِها   وطَرْفُ عينيَ في أَسْرٍ وتقييدِ؟

ساهر أرعى النجوم، لكن.. كيف لي أن أرعاها وأنا مقيد البصر؟

وإنَّ مَنْ يتمنَّى أنْ يُوَاتِيَه   رَعْيُ النجومِ لَمَجْهودُ المَجاهيدِ

العاشق الذي يرعى النجوم يكون مسكيناً معذباً، فما بالك بمن لا يتاح له حتى رعي النجوم؟
لا جرم هو مجهود المجاهيد (معذب جداً)

وقد تَبَدَّلْتُ من بَلوايَ عافيةً   بحمدِ ربٍّ على الحالَيْنِ محمودِ

٩٨ حتى الأمير يموت

وقال يرثي محمد بن عبد الله بن طاهر:

إن المنيَّةَ لا تُبْقي على أحدِ   ولا تَهَابُ أخا عِزٍّ ولا حَشَدِ

هذا الأميرُ أتتْهُ وَهْوَ في كِثَفٍ   كاللَّيلِ من عَدَدٍ ما شئتَ أو عُدَدِ

ولم تزلْ طَوْعَ كفَّيْهِ يُصَرِّفُها   بين الأنامِ، ولا تَعْصِيه في أحدِ

كان يوزع الموت على الناس، والموت يطيعه

حتى أتاهُ رسولُ الموتِ يُؤْذِنُه   أنَّ البقاءَ لوجهِ الواحدِ الصَّمدِ

٩٩ تنفس من منخر واحد

وقال في رجل اسمه عيسى:

يُقَتِّرُ عيسى على نفسِهِ   وليس بِبَاقٍ ولا خالدِ

لن يبقى ولن يخلد

فلَوْ يستطيعُ لِتقتيرِه تَنَفَّسَ من مِنْخَرٍ واحدِ
عذَرْنَاهُ أيَّامَ إعدَامِهِ فما عُذْرُ ذي بَخَلٍ واجِدِ؟

إعدامه: فقره، واجد: غني

رَضِيتُ - لِتَفريقِ أموالِه - يَدَيْ وارِثٍ ليس بالحامِدِ

١٠٠ تخاف الموت؟ بسيطة

عَجَباً لمن يَلقَى الحُرو بَ فلا يُقَاتِلُ أو يُجَالِدْ
لا سِيَّما من كانَ يُو قِنُ أنه إنْ ماتَ عائدْ
إنْ قالَ: إنَّ النَّفْسَ وا حِدةٌ، فإنَّ الموتَ واحدْ

١٠١ حسدوني سلفاً

وقال في العباس بن القاشي:

كُفِّي الدموعَ وإنْ كانَ الفراقُ غَدَا فَرِحْلَتي لِتَعيشي عِيشَةً رَغَدَا

على طريقة المداحين المحترفين يبدأ بمنظر فراق الزوجة وهي تحثه على القعود، فيقول لها إنه ذاهب إلى أكرم الناس ليعطيه أجزل عطاء

بَنِيَّ: قد قعدَ الدهرُ الخَؤونُ بِنَا وليس مِثْلِيَ في أمثالِهِ قَعَدَا

يخاطب أبناءه

قالتْ: أَتَرْحَلُ والمَشْتَاةُ قد حَضَرَتْ فقلتُ: مِثليَ في أمثالِها انْجَرَدَا

انجردَ: اشتد في سيره

قالتْ: أتنتَجِعُ العباسَ، قلتُ لها: بلِ الطليقَ مُحَيَّاً والجَوَادَ يَدَا

تنتجع: الأصل «ترحل طلباً للعشب»، ثم صاروا ينتجعون الأمراء، ثم صرنا ننتجع المنتجعات السياحية/ التسويد لأحمد عبد الرحيم

يا مَنْ غَدا مالُه في الناسِ مُشْتَرَكاً ومن تَوَحَّدَ بالمعروفِ وانفَرَدَا
ومن تَحَلَّى مِنَ الآدابِ أَحْسَنَها فما يَرَى أحدٌ في ظَرْفه أَحدَا

لا يرى أحدٌ أحداً له مثل ظرفه

أشكو إليكَ خُطوباً قد بَعِلْتُ بِهَا لم تَتْرُكْ سَبَداً عندي ولا لَبَدا

بعلت: تحيرت، سبد: شعر، لبد: صوف، (لا سبد عندي ولا لبد: ليس عندي شيء)

بيني وبينَكَ أسبابٌ أَمُتُّ بِها لو رُمْتُ إحصاءَها لم أُحْصِها عَدَدا

أسباب: حبال، أمت: في أصل المعنى أسحب الدلو من البئر

مقالةُ العدلِ والتَّوحيدِ تجمعُنا دونَ المُضاهينَ مَنْ ثَنَّى ومَنْ جَحَدَا

مقالة العدل والتوحيد: أهم مبادئ المعتزلة، المضاهين: الذين يجعلون مع الله من يضاهيه، ومنهم من ثنى وهم الذين يعتقدون بالنور والظلام والخير والشر الخ، ومن جحد أي ألحد

ما عُذْرُ مُعْتَزِلِيٍّ مُوسَعٍ مَنَعَتْ كَفَّاهُ مُعتزِليّاً مُقْتِراً صَفَدا؟

صفدَ الرجل: خلا من الصَفَدِ وهو العطاء

أَيَزْعُمُ القَدَرَ المحتومَ ثَبَّطَهُ؟ إن قالَ ذاكَ فقد حَلَّ الذي عَقَدَا

المعتزلة يقولون إن الإنسان مخير

لا تَحْرِمَنَّ امْرَأً ساقَ الرَّجاءُ به وقد تَسَلَّفَ من جيرانِه الحَسَدَا

حسده جيرانه سلفاً لأنه قصد العباس ثقة بأنه لا بد سيعطيه مالاً كثيراً

١٠٢ الكريم جبان أمام السفيه

اِعْلَمْ، وإن كنتَ صَليباً مارِدَا

صليب: قوي، مارد: طاغية

أنَّ الكريمَ يَتَّقِي القَصائِدَا
إذا غَدتْ أعناقُها شَوارِدَا

مثل الإبل وهي تمد أعناقها في السير تنتشر القصائد في البلاد

واعْلَمْ بأنَّ الشِّعرَ ليس بائِدَا
بل خالدٌ، إن كان شيءٌ خالِدَا

١٠٣ صرت في غيره.. بكيت عليه

وقال في القاسم بن عبيد الله:

دهرٌ يُشيِّعُ سبتَه أَحَدُهْ مُتَتابِعٌ ما يَنْقَضي أَمَدُهْ
يومٌ يُبَكِّينا، وآوِنَةً يومٌ يُبَكِّينا عليهِ غَدُهْ
نَبْكي على زمنٍ ومِنْ زَمَنٍ فبُكاؤُنا مَوْصُولةٌ مُدَدُهْ

تسويد البيتين: أ. عبد الرحيم

١٠٤ دعه يأكل نفسه

لِـيَـكْـفِـكَ حـاسـداً حَـسَـدُهْ　　وما تَـصْـلَـى بـه كَـبِـدُهْ

حسبك من الحاسد ما يلاقي من ألم بسبب حسده

فـلـو أَسْـعَـرْتَـه نـاراً　　لَـكـانَـتْ دونَ مـا يَـجِـدُهْ

١٠٥ المبالغة والنتيجة العكسية

إذا مـا وَصَـفْـتَ امْـرَءاً لامْـرِئٍ　　فـلا تَـغْـلُ فـي وصـفِـه واقْـصِـدِ

فـإنَّـكَ إنْ تَـغْـلُ تَـغْـلُ الـظُّـنو　　نُ فـيـه إلـى الـغَـرَضِ الأَبْـعَـدِ

فَـيَـضْـؤُلُ مـن حـيـثُ فَـخَّـمْـتَـهُ　　لِفَضْلِ المَغيبِ على المَشْهَدِ

لفضل: لزيادة، يقول: المبالغة تؤدي إلى عكس المراد منها

١٠٦ عندما يسود السفهاء

وقال في الخلَّال:

ولـيـس بِـمَـتْـبُـولٍ كـريـمٍ تَـصيـدُهُ　　سِـهـامُ الـغـوانـي تـارةً ويَـصيـدُهـا

متبول: هائم. الكريم العاشق لا يؤذي محبوبته مثلما تؤذيه، بل يتلقى الأذى صابراً

ولكنَّما المتْبولُ مَنْ ليس بَارِحاً　　على تِرَةٍ منْهُنَّ لا يَسْتَقِيدُها

العاشق لا يبرح (لا يفتأ/ ويظل) على ترة (له ثأر عندهن) لا يستقيدها (لا يأخذ بثأره)

سقَـى الـلَّـهُ أيـامَ الـوُشَـاةِ فـإنـهـا　　هيَ الصَّالحاتُ الطالعاتُ سُعودُها

ألا إنَّ في الدنيا أعاجِيبَ جَمَّةً　　وأعجَبُها أنْ لا يَشيبَ وَليدُها

وما الخَسْفُ أن تَلقَى أسَافلُ بَلدةٍ　　أعالِيَها، بل أن يَسُودَ عَبِيدُها

أرى كلَّ نُعْمَى ذاتَ رَنْقٍ يَشُوبُها　　سوى نِعْمَةِ الخَلَّالِ قَلَّ حسودُها

العطية مشوبة بحسد الحاسدين فالرنق هو الكدر في الماء، ولكن عطية الخلال هذا قليلة فلا حسود عليها

على أنه بَادي العُبُوسِ كأنه　　حديثَةُ ثُكْلٍ قد تَوالَتْ فُقُودُها

ومـا ذَاكَ إلَّا أنَّ نَـفْـسَـاً لـئـيـمـةً　　عليها من النَّعماءِ ثِقْلٌ يؤُودُها

يؤودها: يرهقها

أَمُفْتَرِشَ النُّعْمَى التي لستَ كُفْأَهَا ... وأَكفاؤُها هَلْكَى نيامٌ جُدودُها

يا من ينام على المال وهو ليس كفأ له! إن مستحقي النعمة لهم جدود (حظوظ) هالكة نائمة فهم أشراف لكن لا سعدَ لهم

أَتُصْبِحُ موفوراً سليماً، وهذه ... قُرُومُ بَنِي العباسِ تَخْطِرُ صِيدُها؟

قروم: سادة، صيدها: سادتها. عجيب أن تبقى سالماً، مع أن سادة بني العباس موجودون وجدير بهم أن يزيلوا النعمة عنك

سأزهَدُ في الدنيا الدنِيَّةِ كاسْمِها ... فلم يَبْقَ - أَيْمُ اللَّهِ - إلَّا زهيدُها

وأَنْصِبُ للأيَّامِ فيكَ عَدَاوَةً ... ولِمْ لا أُعَادِيها وأنتَ سعيدُها

إذا ذَلَّ في الدنيا الأَعِزَّةُ، واكْتَسَتْ ... أَذِلَّتُها عِزّاً، وسادَ مَسُودُها

هناكَ فَلا جادَتْ سَماءٌ بِصَوْبِها ... ولا أَمْرَعَتْ أرضٌ ولا اخْضَرَّ عودُها

الصوب: المطر، أمرعت: أخصبت

لَعَمْري لقد نَبَّهْتُ ما اسْطَعْتُ هاشِماً ... لِكَشْفِ المخازِي لو يَهُبُّ رَقُودُها

هاشم: يقصد بني العباس وهم من بني هاشم. وكثيراً ما أشار المؤرخون القدامى إلى الدولة العباسية بدولة بني هاشم

١٠٧ قرصة أذن

وقال في محمد بن علي حين قيده صاعد:

ولقد رأيتُكَ والياً مُسْتَعْلِياً ... ولقد رأيتُكَ في الحَديدِ مُقَيَّدَا

مستعلياً: عالي القدر

إذْ لم تَزِدْكَ وِلايَةٌ في سُؤْدَدٍ ... كلَّا، ولا الأُخرى مَحَتْ لكَ سُؤْدَدَا

لا يَستَطيعُكَ بالتَّنَقُّصِ حادِثٌ ... وأَبَى لكَ التَّكْميلُ أن تَتَزَيَّدا

ولِذي الوِزَارَةِ والإمارَةِ صَاعِدٍ ... رَأْيٌ أَبى أَلَّا يكونَ مُسَدَّدَا

وأبو العلاءِ يَرَاكَ نَصْلاً قاطعاً ... يأْبى عظيمُ غَنائِهِ أن يُغْمَدَا

أبو العلاء: هو صاعد الوزير، تأبى الفائدة العظمى لهذا السيف أن يظل مغمداً، وأنت أيها المنكوب مثل ذلك السيف، وستشهر من جديد إذ لا غنى عنك

وهُوَ المُثَقِّفُ فاصْطَبِرْ لِثِقَافِهِ ... وَلِحَدِّ مِبْرَدِهِ لِكَيْ تَحْظَى غَدا

المثقف: الذي يهذب الرماح، يشبه به الرئيسَ الكبير إذ يهمش مرؤوسه كي يربيه فقط

وَلَرُبَّما امتحنَ الوليُّ وَلِيَّهُ لِيَرَى له جَلَداً يَغِيظُ الحُسَّدا
الولي: الرئيس، الولي الثانية: المرؤوس (كلمة لها معنيان متضادان)

١٠٨ شراء ألسنة السفهاء

وقال يعتذر إلى القاسم:

عفوُ الملوكِ عن الهُجَاةِ مدائحٌ مَدحُوا نفوسَهُمُ بها فأجَادُوا
وَهَبوا لِجَانِيها الذنوبَ، وأقسَموا أن لو يَعُودُ إلى الذُّنوبِ لَعَادُوا
وهب الملوك للمذنبين ذنوبهم، أي أعفوهم من العقاب

قَطَعُوا لِسَانَ سَفَاهَةٍ فاسْتَوْثَقُوا منه، وأمَّا عن أَذَاهُ فَحَادُوا

١٠٩ بلغت اليقين؟ عليك بالشهادة

لا تَجْبُنَنَّ لأنَّ النَّفْسَ واحدةٌ فإنما الموتُ أيضاً واحدٌ، فَقَدِ
قدِ: يكفيك، حسبك

ما يَجْبُنُ المرءُ إلَّا وَهْوَ معتَقِدٌ أَوْ مُشْفِقٌ أنه إنْ مَاتَ لم يَعُدِ

١١٠ حقود وأفتخر

شُكري عَتيدٌ وكذاكَ حِقدي
عتيد: جاهز، حاضر

للخيرِ والشرِ بقاءٌ عِندي
كالأرضِ مهما استُودِعَتْ تؤدِّي
وأيْنَ عن طِينَتِنا نُعَدِّي

١١١ الحمَّال

رأيتُ حَمَّالاً مُبِينَ العَمَى يَعْثُرُ بالأَكْمِ، وفي الوَهْدِ
حمالاً مبين العمى: شيالاً عتالاً واضح العمى (كلمة «مبين» أثيرة عند ابن الرومي يقيم بها وزنه)، الأكم: ما ارتفع من الأرض، الوهد: ما انخفض

مُحْتَمِلاً ثِقْلاً على رأسِه تضعُفُ عنه قُوَّةُ الجَلْدِ
محتملاً: حاملاً، الجلد: الصبور

بـيـنَ جِـمَـالاتِ وأشـبـاهِـهَـا مِـنْ بـشـرٍ نـامـوا عـن الـمـجـدِ
جمالات: إبل

أضْـحَـى بـأَخْـزَى حـالـةٍ بـيـنَـهُـمْ وكــلُّـهُـمْ فـي عِـيـشَـةٍ رَغْـدِ
وكــلُّـهُـمْ يَـصْـدِمُـهُ عـامِـداً أو تَـائِـهَ الـلُّـبِّ بِـلا عَـمْـدِ
والـبـائِـسُ الـمـسـكـيـنُ مستَسْلِمٌ أَذَلُّ لـلـمـكـروهِ مـن عَـبْـدِ
ومـا اشْـتَـهَـى ذاكَ، ولـكـنَّـهُ فَـرَّ مـن الـلُّـؤْمِ إلـى الـجَـهْـدِ
فـرَّ إلـى الـحَـمْـلِ، عـلـى ضَـعْـفِـهِ، مَـنْ كَـلَـحَـاتِ الـمُـكْـثِـرِ الـوَغْـدِ
كلحات: تكشيرات، المكثر: الغني

١١٢ لابس الشيب

وقال يمدح عبيد الله بن سليمان:

فـرَّ مـنـكَ الـغَـزالُ يـا لابِـسَ الـشَّـيْـ ـبِ فِـرارَ الـغـزالِ مـن صَـيَّـادِهْ
وإذا اصْـطَـادَكَ الـمـشـيـبُ فَـطَـارَدْ تَ غـزالاً، فـلـسْـتَ بِـالـمُـصْـطَـادِهْ

١١٣ قيود من العطاء التافه

قال يهجو القاسم:

وصـديـقٍ أجـبْـتُـهُ إذ دَعـانـي نـحـوَ مـعـروفِـه فـلـم ألـقَ رُشْـدَا
لـم يَـدَعْ لـي عِـزَّ الـقُـنُـوعِ، ولا جَـا دَ بِـرِفْـدٍ يَـعُـدُّهُ الـنَّـاسُ رِفْـدَا
حـادَ ثـم الْـتَـوَى؛ فـلا أَنَـا بـالـرَّا ضـي ولا الـمُـشْـتَـكي فَـأَشْـفِـيَ وَجْـدَا
وجداً: ما يجده المرء من غضب، يقال وجدت عليه أي غضبت

هـاضَ حُـرِّيـتـي، وأوثَـقَ بـالـمَـنْـ ـزُورِ مِـنْ نَـيْـلِـه لِـسـانِـيَ عَـقْـدَا
هاض: كسر، المنزور: القليل

فـإلـى الـلَّـهِ أشـتـكـي مـا أُلاقـي مـن زمـانٍ يُـجَـشِّـمُ الـحـرَّ جَـهْـدَا
حُـرِمَـتْ لَـذَّةَ الـشِّـكـايَـةِ نـفـسـي وَجَـدَا صـاحـبـي، وأصـبـحـتُ عَـبْـدا
جدا: عطاء

ولـقـد قـلـتُ عـنـدَ ذاكَ، وأضـمَـرْ تُ عـلـى بَـاخِـسـي حـقـوقِـيَ حِـقْـدَا:
باخسي حقوقي: المنتقص إياي حقوقي

شَكَرَ اللَّهُ مَاجِداً جَادَ، أو وَغْـ ـدَاً كَفَى الناسَ نائِلاً منه وَغْدَا

الكريم مستحق شكر الله، وكذلك الوغد الذي لا يعطي الناس من نائله (عطائه) الوغد مثله

ولَحَا اللَّهُ بينَ هَذينِ مَنْ غرَّ ـ عفيفاً من نفسِه ثمَّ أَكْدَى

ولحا (لعن) الله من يكون بين هاتين المنزلتين، ذلك الذي يغر (يخدع) الشخص العفيف، ثم يكدي (يبخل)

يَبذُلُ التَّافِهَ الذي يُلْبِسُ الحُرَّ ـ خُشُوعاً، ولا يَسُدُّ مَسَدَّا

هذا الشخص يعطيك التافه القليل الذي يجعلك تخشع له وتبجله، ولكن عطاءه لا يجدي

بَاخِلٌ حينَ يبذُلُ القومُ رِفْدَا مَاطِلٌ حين يُنجِزُ القومُ وَعْدَا

يشتري بالنَّسِيئَةِ المِدَحَ الغُرَّ ـ وأَثمانُهُنَّ يُنْقَدْنَ نَقْدَا

النسيئة: البيع المؤجل

١١٤ ربنا لك الحمد

وقال في أبي حفص:

قالوا، هجاكَ أبو حَفْصٍ، فقلتُ لَهُمْ: لا تَدْخُلوا بينَنا يا معشرَ الحَسَدَةْ

ما استَأْثَرتْ دونَكُمْ كَفِّي بِصَلعَتِه فَتَحْسُدُوني عليها معشرَ القَفَدَةْ

القفدة: الصافعون. وكانوا في القديم يتصافعون في مجالسهم. ورأيت في زمننا السفلة يفعلون ذلك، يصفع بعضهم بعضاً في مزاحهم السوقي. وللتيفاشي فصل في القفد رأيت منه أن الأمر كان يريحهم نفسياً، وكان له دور اجتماعي ما

كَمْ ركعَةٍ ركعَ الصَّفْعَانُ تحتَ يدي ولم يقُلْ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهْ»

الصفعان: الذي يُصفع كثيراً

١١٥ أنا جهنم

وقال في أبي يوسف الدقاق:

أنا النارُ التي بالخلقِ تُغْذَى وتُوقَدُ بالحجارةِ والحديدِ

هذه نار الله يا ابن الرومي

إذا نَضِجَتْ جلودُ القومِ فيها أُعيدُ لَهُمْ سوى تلكَ الجُلودِ

يقالُ: هلِ امتلأتِ؟ وكلُّ خلقٍ بِها، فتقولُ: لا، هل مِنْ مزيدِ

إذا عَطِشوا سقيتُهُمُ صديداً فويلُ القومِ من شُرْبِ الصَّدِيدِ

الصديد: قيح الجروح

فأينَ، هُبِلْتَ، تهربُ من هجائي؟ وأين، هبلتَ، تهربُ من قصيدي

هبلت: ثُكلت

١١٦ شعري مقدس

وقال في علي بن سليمان الأخفش:

قلتُ لمنْ قالَ لي: عرضْتُ على الـ أَخْفَشِ ما قُلْتَهُ فمَا حَمِدَهْ:

قَصَّرْتَ بالشعرِ حينَ تعرِضُهُ على مُبينِ العَمَى إذا انتقَدَهْ

ما قالَ شعراً ولا رَوَاهُ، فلا ثَعلَبَهُ كانَ، لا ولا أَسَدَهْ

فإنْ يَقُلْ: إنني رَوَيْتُ فَكَالْدَّ ـ فتَرِ جَهلاً بكلِّ ما اعْتَقَدَهْ

أَرُمْتَ زَيْنِي بأنْ تُعَرِّضَني لِمَدْحِه؟ فالذَّليلُ مَنْ عَضَدَهْ

عضده: أيده (من ينل تأييد الأخفش يكن ذليلاً)

أم رُمْتَ شَيْني بأن تعرِّضَني لِثَلْبِهِ؟ فَالسَّليمُ مَنْ قَصَدَهْ

السليم: السالم، فالأخفش لا يضر انتقاصه للشعر لأنه جاهل به

شِعْرِيَ شِعْرٌ إذا تَأَمَّلَهُ الـ إِنْسانُ ذو الفَهْمِ والحِجَا عَبَدَهْ

لكنَّهُ ليسَ منطِقاً بعثَ الـ لهُ بهِ آيةً لِمَنْ جَحَدَهْ

ولا أنا المُفْهِمُ البَهَائمَ والطَّ ـ يْرَ، سُلَيْمانُ قاهِرُ المَرَدَةْ

ما أنا سليمان (سليمان بدل)

ما بلَغَتْ بي الخطوبُ رُتْبَةَ من تَفهمُ عنه الكلابُ والقِرَدَةْ

لا رَحِمَ اللّهُ أمَّ أخفَشِكُمْ ولا سقَى قَبْرَ والدٍ وَلَدَهْ

ماذا عليهِ، وقد رَأى وَلَداً أعْوَرَ جَمَّ العُوَارِ، لو وَأَدَهْ؟

١١٧ هو باز صائد

وقال في بني طاهر:

يا بَني طَوْدِ المَعالي طَاهِرِ يا ثِقَاتي وثِقَاتِ المُعْتَمِدْ

طود: جبل

أنتُمُ السَّاداتُ، والقَوْمُ الأُلى تُنْجِزُ الآمالُ فيهِمْ ما تَعِدْ
إنْ أَكُنْ أحسنتُ في مَدْحِكُمُ فَأخو الإحسانِ أَوْلَى مَنْ رُفِدْ
أو أَكُنْ قَصَّرَ جُهْدي عَنْكُمُ فَأَثِيبوني ثَوابَ المُجْتَهِدْ

فالمجتهد في الدين حتى لو أخطأ فله نصف ثواب

أو فَرُدُّوا المَدْحَ مَسْتوراً، ولا تُشْمِتُوا بي أَعْيُناً نَحْوِي تَقِدْ

تقد: تتّقد

هُوَ بازٌ صائِدٌ أرسلتُهُ فَارْجِعُوهُ سالماً إن لم يَصِدْ

١١٨ فقط.. جرِّبوني

وقال يعاتب:

ما لي أُسَلُّ من القِرابِ وأُغْمَدُ لِمَ لا أُجَرَّدُ والسيوفُ تُجَرَّدُ؟
لِمَ لا أُجَرَّبُ في الضَّرائِبِ مرةً - يا لِلرِّجَالِ - وإنني لمهنَّدُ؟
أنا مَنْ عَلِمْتَ مكانَه، وابنُ الذي ما زالَ فيكُمْ يُسْتَعانُ فَيُحْمَدُ
ما بالُ عزمِكَ، حينَ تنظُرُ نظرةً في بابِ مَصلَحَتي، يُحَلُّ ويُعْقَدُ؟
فَكِّرْ - لَقِيتَ الرُّشْدَ - فيَّ، فَلَمْ يَزَلْ لكَ رأيُ صِدْقٍ في الأمورِ مُسَدَّدُ
فاسْعَدْ بِفضلِ أمانتي وكِفايتي ونصيحتي مَعَ أنني بِكَ أسْعَدُ
إن لا أَكُنْ في كلِّ ذلكَ أوْحَداً فَرْداً، فإنيَ في المَوَدَّةِ أَوْحَدُ

١١٩ بخل الدجاج

وقال في ابن الدجاجي، وهو رجل كان فيما يبدو يبيع الدجاج:

يُذْكي على رُغْفانِه عَيْنَهُ وعينُه عن عِرْسِه رَاقِدَةْ

الرغفان: الأرغفة، يذكي عينه: يحدد بصره، عرسه: زوجته

اِجْتَثَّهُ الخالقُ من خَلْقِه فإنه في خَلْقِه زائِدَةْ
أَعْدَى دَجاجاً عندَه بخلُه ولؤمُ تلكَ الشِّيمَةِ الجَاحِدَةْ
فأصبحتْ عَشْرُ دجاجاتِه تبيضُ فيمَا بينَها واحدَةْ
وصارَ لا يَعْلِفُها ذَرَّةً تُعْلَمُ إلَّا فَضْلَةَ المائدَةْ
لا تَخْلُ من أمثالِه حُفْرةٌ ولا تَقُمْ عن مثلِه والِدَةْ

وقال في «وحيد» المغنية:

يا خليليَّ تيَّمَتْني «وَحِيدُ» ففؤادي بِها مُعَنًّى عَمِيدُ

عميد: مريض

غادةٌ زانَها من الغصنِ قَدٌّ ومن الظبيِ مقلتانِ وجِيدُ
وزَهَاها من فَرْعِها ومِنَ الخَدَّ ـيْنِ ذاكَ السَّوادُ والتَّوْرِيدُ
أَوْقَدَ الحُسْنُ نَارَهُ من وَحِيدٍ فوقَ خَدٍّ ما شَانَه تَخْدِيدُ

تخديد: هزال

فَهْيَ بَرْدٌ بِخَدِّها وسَلامٌ وَهْيَ لِلعاشِقينَ جَهْدٌ جَهِيدُ
لم تَضِرْ قَطُّ وجهَها، وَهْوَ مَاءٌ وتُذِيبُ القُلوبَ وَهْيَ حَدِيدُ

النار التي أوقدها الجمال على خدها لم تؤثر في وجهها مع رقيق كالماء (يصفون الخِلقة الجميلة بأنها كثيرة الماء)

مَا لِمَا تَصْطَليهِ من وَجْنَتَيْها غيرَ تَرْشَافِ رِيقِها تَبْرِيدُ

أيها الناظر إليها! إن ما يصيبك من وجنتيها من نار لا يبرده إلا رشف ريقها

مِثْلُ ذاكَ الرُّضَابِ أَطْفَأَ ذاكَ الـ ـوَجْدَ لولا الإباءُ والتَّصْرِيدُ

التصريد: التدنيق والتقليل، فهي بخيلة بوصالها

وغَرِيرٍ بِحُسْنِها قال: صِفْها قلتُ: أَمْرانِ: هَيِّنٌ وشَدِيدُ

غرير: غره حسنها وذهب بعقله

يَسْهُلُ القولُ إنها أحسنُ الأَشْـ ـياءِ طُرّاً، ويَعْسُرُ التَّحْدِيدُ
تتجَلَّى لِلناظِرِينَ إليْها: فشَقِيٌّ بِحُسْنِها وسعيدُ
ظَبيةٌ تَسْكُنُ القلوبَ وتَرعَا هَا، وقُمْرِيَّةٌ لها تَغْرِيدُ

قمرية: حمامة

تتغنَّى كأنَّها لا تُغَنِّي من سكونِ الأوصالِ؛ وَهْيَ تُجِيدُ
لا تَراها هناكَ تَجْحَظُ عَيْنٌ لكَ منها، ولا يَدِرُّ وَرِيدُ
من هُدُوٍّ وليس فيه انقطاعٌ وشُجُوٍّ وما به تَبْلِيدُ

مَدَّ في شَأْوِ صوتِها نَفَسٌ كَا   فٍ كأنفاسِ عاشِقِيها مَدِيدُ
وأَرَقَّ الدَّلالُ والغُنْجُ منه   وبَرَاهُ الشَّجَا فَكادَ يَبِيدُ

أرق: جعله رقيقاً

فَتَراهُ يموتُ طَوْراً ويَحيَا   مُسْتَلَذّاً بَسِيطُهُ والنشيدُ
فيه وَشْيٌ، وفيه حَلْيٌ مِنَ النَّغْـ   ـمِ مَصوغٌ يَخْتَالُ فيه القصيدُ
ما تُعاطي القلوبَ إلا أصابَتْ   بِهَواها مِنْهُنَّ حيثُ تُرِيدُ

المعاطاة تكون بكؤوس الخمر، أعطيك وتعطيني، وهي هنا للقلوب

وَتَرُ العزفِ في يَديْها مُضَاهٍ   وَتَرَ الزَّحْفِ؛ فيه سَهْمٌ شَديدُ
وإذا أَنْبَضَتْهُ لِلْشَّرْبِ يوماً   أَيْقَنَ القومُ أنها ستصيدُ

أنبضت وترها للشرب: جذبت وتر العود لتسمع الشاربين الأنغام.. وإنباض الوتر أيضاً هو شد وتر القوس قبل أن يرمي الرامي الصيد

ليَ حيثُ انصرفتُ عنها رَفيقٌ   من هَواهَا، وحيثُ حَلَّتْ قَعِيدُ

بعد انصرافي يظل حبها رفيق دربي

عن يَميني وعن شِمالي وقُدَّا   مي وخَلفي، فأينَ عنه أَحِيدُ؟
ليت شِعْرِي، إذا أَدامَ إليها   كَرَّةَ الطَرْفِ مُبْدئٌ ومُعِيدُ،
أَهْيَ شيءٌ لا تَسْأَمُ العينُ منه   أم لها كلَّ ساعةٍ تَجْديدُ؟

١٢١ بلدي يذكرني بشبابي

وقال في بعض أسفاره يذكر بغداد:

بلدٌ صَحِبْتُ به الشَّبيبَةَ والصِّبَا   ولَبِسْتُ فيه العيشَ وَهْوَ جديدُ
فإذا تمثَّلَ في الضميرِ رأيتُه   وعليه أَفْنانُ الشبابِ تَمِيدُ

١٢٢ عاقبة الإهمال

قال أبو عثمان الناجم: أنشدت ابن الرومي أبيات أبي مسلم صاحب الدولة فزاد فيها:

ومن رعَى غَنَماً في أرضِ مَسْبَعَةٍ   ونامَ عنها، تولَّى رَعْيَها الأَسَدُ

تسويد أ. عبد الرحيم

١٢٣ جزر بغير مد

وقال في إسماعيل بن بلبل:

كَأنَّ اللَّهَ خَيَّرَهُ السَّجَايا — فكان من الرِّجَالِ كما يَوَدُّ

ينسب إلى حسان بن ثابت قوله في صفة الرسول: (وأحسن منك لم تر قط عيني/ وأجمل منك لم تلد النساء// خلقت مبرأ من كل عيب/ كأنك قد خلقت كما تشاء)

له خُلُقَانِ من بَأْسٍ وَجُودٍ — يَسُوسُ كِلَيْهِما الرَّأْيُ الأَسَدُّ
يَحُلُّ عليه بالرَّغَباتِ وَفْدٌ، — ويَرْحَلُ بالرغائِبِ عنه وَفْدُ

الرغائب: العطايا

فتىً سَهُلَتْ مَحَافِرُهُ لِغَيْري — ومَحْفَرُهُ لديَّ الدَّهْرَ صَلْدُ

محافره: أمكنة الحفر فيه، فالرجل مثل منجم ذهب، والناس يحفرون في أماكن سهلة منه، وابن الرومي قاعد يحفر في مكان صلد صلب

خَلا وَعْدٍ مَدَدْتُ إليه عيني — فأَعْرَضَ دونَه مَطْلٌ يُمَدُّ
فتَى شَيْبَانَ! لِمْ أَعْمَلْتَ مَطْلِي — بلا حَدٍّ، ولِلأَعْمَارِ حَدُّ؟
يُحَدِّثُني بِجُودِكَ كلُّ رَكْبٍ — وكُلُّهُمُ بِشِعريَ فيكَ يَشدُو
صَدَدْتَ وما تَقَدَّمَ منكَ عَطْفٌ — وليس يكونُ قبلَ العَطْفِ صَدُّ
جَزَرْتَ وما تَقَدَّمَ منكَ مَدٌّ — وقِدْماً كان قبلَ الجَزْرِ مَدُّ

١٢٤ يا منتهى أملي

باتَ يدعُو الواحدَ الصَّمَدَا — في ظلامِ الليلِ مُنْفَرِدَا
خادِمٌ لم تُبْقِ خدمَتُه — منه لا رُوحاً ولا جَسَدا
قد جَفَتْ عيناهُ غَمْضَهُما — والخَلِيُّ القلبِ قد رَقَدا
في حَشَاهُ من مَخَافَتِه — حُرُقَاتٌ تَلْذَعُ الكَبِدَا
قائلٌ: يا مُنْتَهَى أَمَلِي — نَجِّنِي مما أخافُ غَدا

١٢٥ مشغول عن صفعه

وقال يهجو أبا حفص الوراق:

قالوا: هجاكَ أبو حَفْصٍ، فقلتُ لَهُمْ: — اِسْتَبْطَأَتْ هَامَةُ الصَّفْعَانِ عادتَها

هامة: رأس، الصفعان: الذي يُصفع كثيراً

فأَبْلِغُوها سَلامي، لا عَدِمْتُكُمُ، واسْتَنظِرُوها، سَأُعطِيها إرادتَها

استنظروها: اطلبوا منها أن تنتظر

لولا النبيذُ وأشغالٌ شُغِلْتُ بِها إذنْ لما أَغْفَلَتْ كَفِّي عِيادَتَها

١٢٦ ستنساه

وقال يعزي القاسم عن مولود له:

غَدَا الموتُ والسُّلْوَانُ حَتْماً على الوَرَى كِلا ذَا وهَذَا لِلْفَرِيقَيْنِ رَاصِدُ

فلا تَجْعَلَنَّ الموتَ نُكْراً، فإنما حياةُ الفَتى سَيْرٌ إلى الموتِ قاصِدُ

السير القاصد: السير السهل

ولا تحسبَنَّ الحُزنَ يَبْقَى، فإنه شهابُ حَريقٍ واقِدٌ ثم خامِدُ

سَتَأْلَفُ فِقْدانَ الذي قد فَقَدْتَه كإلْفِكَ وِجْدَانَ الذي أنت واجِدُ

تسويد أ. عبد الرحيم

١٢٧ ثانية.. الخضاب حداداً

وقال يعتذر عن الخضاب:

لم أَخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْغواني أَبْغِي به عندها وِدَادَا

لكِنْ خِضَابِي على شَبابِي لَبِسْتُ من بعدِه حِدَادَا

١٢٨ هجاء أب

وقال يهجو أباه، ولعله قالها وهو صغير في أخيه الأكبر وكان يعده والداً:

لو كان مثلُكَ في زمانِ محمدٍ ما جاءَ في القرآنِ بِرُّ الوالِدِ

١٢٩ الإخوة الأعداء

وإخوانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعاً فكانُوهَا، ولَكِنْ لِلأَعادي

وخِلْتُهُمُ سِهاماً صَائباتٍ فَكَانُوهَا، ولَكِنْ في فُؤادي

وقالوا: قد صَفَتْ منّا قلوبٌ لقدْ صَدَقُوا، ولَكِنْ من وِدَادي

١٣٠ إياك إياك

وقال في القاسم بن عبيد الله:

لا تُسْلِمَنِّي إلى الزمانِ، وقد ... أنقذْتَني منه أيَّما نَقَذِ
لا تَحْقِرَنِّي، فربَّما نَفَذَتْ ... في هَدْمِ يأْجُوجَ حِيلَةُ الجُرَذِ

يأجوج: يعني به ذلك السد العظيم الذي قيل بناه الإسكندر، وقيل بل هو سور الصين العظيم

يا آلَ وَهْبٍ! غدَا عَدُوُّكُمُ ... مُفْتَرَسَ الشِّلْوِ، غيرَ مُنْتَقَذِ

الشلو: مفرد أشلاء

فَلا يُقَطِّعْ جَفاؤُكُمْ كَبِدي ... فحُبُّكُمْ بين تِلْكُمُ الفِلَذِ

الفلذ: فصوص الكبد، والكبد ذات فصوص

١٣١ سقياً لأيام مضت

بانَ الشبابُ فلا يَدٌ ... نَحْوِي، ولا عينٌ، تشيرُ
ولقد أَسَرْتُ به القلو ... بَ فقلبيَ اليومَ الأسيرُ
سَقياً لأيامٍ مَضَتْ ... وطويلُها عِندي قصيرُ
أيامَ لي بينَ الكَوا ... عِبِ رَوضةٌ فيها غَدِيرُ

١٣٢ قليل لا أرضاه

تَرَبَّصْتَ بي رَيْبَ المنونِ تَجُرُّني ... على مَطْلِكَ الممدودِ عصراً إلى عصرِ
وأعطيتَني زادَ المسافرِ عالماً ... بِقِلَّةِ ما أبقَى مِطالُكَ من عُمْري
ومثلُ امرئٍ أفنَى مِطالُكَ عُمْرَهُ ... كَفاهُ لَعَمْري مِثْلُ نائِلِكَ النَّزْرِ

النزر: القليل

١٣٣ سيبريه شعري

وقال في محمد بن عبد الله بن طاهر:

مَدحتُ أبا العباسِ أَطلُبُ رِفْدَه ... فَخيَّبَنِي من رِفْدِه وهَجا شِعري
فَهَبْنيَ قد أَعْفَيْتُه من مَثُوبَتي ... أَيُغْضي له شِعري على مَضَضِ الوِتْرِ؟

مضض الوتر: مرارة الثأر

سَيَبْرِيهِ شِعْرِي، حَسْبَما كانَ راشَه، ولا خيرَ في شِعْرٍ يَرِيشُ ولا يَبْري

المرء يريش السهم (يضع في ذيله الريش) ثم يبري رأسه

وإنـي عَـلِـيـمٌ أنَّ فَـرْيَ أَدِيـمِـه يَسيرٌ عليه، ما غَدا سالـمَ الوَفْرِ

فري أديمه: تشقيق جلده، سالم الوفر: لم تمسَّ أمواله، فالرجل لئيم لا يهمه الهجاء ما دام ماله سالماً

١٣٤ حقق الله الأماني

وقال يهجو المبرد:

وَدَّ الـمـبـرَّدُ أنَّ الـلَّـهَ بَـدَّلَـه من كلِّ جارِحَةٍ في جِسْمِه دُبُرَا

لعل ابن الرومي قالها المبرَّد بفتح الراء، ولقبه المبرِّد بكسرها عند محبيه

فـأَعْـطِـه يـا إِلَـهَ الـنـاسِ مُـنْـيَـتَـه ولا تُـبَـقِّ لـه سـمـعـاً ولا بَـصَـرا

١٣٥ تعبان بلحية غيره

وقال في لحية الليف المعلم:

إنْ تَطُلْ لـحيـةٌ عـلـيـكَ وتَـعْـرُضْ فـالـمَخَالـي مَـعْـرُوفَـةٌ لِـلْـحَـمِـيـرِ
عَـلَّـقَ الـلَّـهُ فـي عِـذارَيْـكَ مِـخْـلا ةً ولـكِـنَّـهـا بِـغَـيـرِ شَـعـيـرِ

عذاريك: خديك، مخلاة: كيس شعير يوضع في رأس الدابة

لـو غَـدَا حـكـمُـهـا إلـيَّ لَـطَـارَتْ فـي مَـهَـبِّ الـريـاحِ كـلَّ مَـطِـيـرِ
أَرْعِ فـيـهـا الـمُـوسَـى، فإنَّـكَ منـهـا شَـهِـدَ الـلَّـهُ فـي أَثَـامٍ كـبـيـرِ

أرع الموسى: اجعل الشفرة ترعى

أَيُّـمَـا كَـوْسَـجٍ يَـرَاهـا فَـيَـلْـقَـى ربَّـه بَـعـدَهـا صَـحِـيـحَ الـضَّـمِـيـرِ؟

كوسج: أجرودي لا تنبت له لحية، فالكوسج يعتقد أن الله غير عادل في القسمة عندما يرى لحية هذا المعلم المهجو

هـو أَحْـرَى بِـأَنْ يَـشُـكَّ ويُـغْـرَى بـاتِّـهَـامِ الـحَـكـيـمِ فـي الـتَّـقْـديـرِ
مـا تَـلَـقَّـاكَ كَـوْسَـجٌ قَـطُّ إلَّا جَـوَّرَ الـلَّـهَ أَيَّـمَـا تَـجْـويـرِ

البيتان السابقان يشرحان ما سبقهما، وإنما أتينا بهما لبيان طريقة ابن الرومي في استقصاء المعنى

لِحْيَـةٌ أُهْمِلَـتْ، فَـسَـالَـتْ وفَـاضَـتْ فـإِلـيْـهـا تُـشـيـرُ كـفُّ الـمُـشِـيـرِ

مـا رَأَتْـهـا عـيـنُ امرئٍ، مـا رَآهـا	قــطُّ، إلَّا أَهَــلَّ بــالــتــكــبِــيــرِ
ما رأتها عين شخص ـ لم يكن رآها من قبل ـ إلا قال متعجباً: الله أكبر

روعـةٌ تَـسْـتَـخِـفُّـه لـم يُـرَعْـهَـا	مــن رأى وجــهَ مُـنْـكَـرٍ ونَـكِـيـرِ
روعة تستخفه: خشيه تُربكه

**فـاتَّـقِ الـلَّـهَ ذا الـجَـلالِ، وغَـيِّـرْ	مُـنْـكَـراً فـيـكَ مُـمْـكِـنَ الـتَّـغْـيـيـرِ**
**أو فَقَصِّرْ منها، فَحَسْبُكَ مِنْها	نِـصْـفُ شِبْـرٍ عَـلامَـةَ الـتَّـذْكـيـرِ**
**لـو رَأَى مـثـلَـهـا الـنـبـيُّ لأَجْـرى	في لِحَى النَّاسِ سُنَّةَ التَّقْصيرِ**
واسْتَحَبَّ الإخْفَاءَ فِيهِنَّ والحَلْـ	ـقَ مَـكـانَ الإعْـفَـاءِ والـتَـوْفِـيـرِ

١٣٦ أنا مادح وأنت ممدوح فعلام النكد؟

وقال يعاتب محمد بن عبد الله:

ألا ليتَ شِعْري: لِمْ مِطَلْتَ مَثوبَتِي	ولم تُؤْتَ من بُخْلٍ، ولم تُؤتَ من عُسْرِ؟
إِخالُكَ إذْ جَوَّدْتُ فيكَ مَدائِحي	مَنَعتَ ثوابِي حاسِداً لي على شِعْري
أَتَحْسُدُني تَجْويدَ رَيْطٍ نَسَجْتُه	لِتَلْبَسَه؟ يا لِلعَجيبِ من الأَمْرِ!
ريط: ثوب

تـذَكَّـرْ ـ هَـداكَ الـلَّـهُ ـ أَنِّـيَ مَـادحٌ	وأنَّكَ ممدوحٌ، فلا تَعْدُ بي قَدري
يُنَافِسُ في الشِّعْرِ النظيرُ نظيرَه	وجَلَّ ملوكُ الناسِ عن ذلكَ النَّجْرِ
النجر: الصفة

عليكَ بأَفْعالِ الملوكِ، وخَلِّني	وتَقْرِيظَ مَا تَأْتِي من العُرْفِ والنُّكْرِ
افعل أفعال الملوك ودعني أقرظ (أمدح) كل أفعالك حتى المنكرة

أقولُ، وتُعْطِي نائِلاً بعدَ نائلٍ؛	فَتَغْرِفُ من بَحْرٍ، وأَقْلَعُ من صَخْرِ
إذا الشَّاعِرُ الرُّومِيُّ أطْرَى أميرَه	فَنَاهِيكَ من مُطْرىً، ونَاهِيكَ من مُطْرِ

١٣٧ القبر خدراً

وقال يعزي على بن عبد الله بن المسيب، عن ابنته:

أخَـا ثِـقَـتـي! أَعْـزِزْ عـلـيَّ بِـنَـوبَـةٍ	مَنَاكَ بها صَرْفُ القضاءِ المُقَدَّرُ

تَعَزَّيْتَ عَمَّنْ أثْمَرَتْكَ حياتُهُ، وَوَشْكُ التَّعَزِّي عن ثِمَارِكَ أَجْدَرُ
تَعَذَّرَ أن نَعْتَاضَ من أُمَّهاتِنا وآبائِنا؛ والنَّسْلُ لا يَتعذَّرُ
فلا تَهْلِكَنْ حزناً على ابنَةٍ جَنَّةٍ غَدَتْ وَهْيَ عندَ اللَّهِ تُحْبَى وتُحْبَرُ

تحْبَر: تُلبَس الثياب الفاخرة

لَعَلَّ الذي أَعْطاكَ سِتْرَ حياتِها كسَاهَا من اللَّحْدِ الذي هُوَ أَسْتَرُ
وفي الماءِ طُهْرٌ ليس في الطُّهْرِ مثْلُه، ولَلْتُّرْبُ أحياناً من الماءِ أَطْهَرُ
وليس بِمَأْمونٍ عليها عِثَارُها مَدى الدَّهْرِ، أو يُقْضَى عليها وتُقْبَرُ

كاد أن يجعلها زانية لحاه الله

١٣٨ دجاجة من ذهب

عظُمَتْ فكادتْ أن تكونَ إِوَزَّةً ونَوَتْ فكادَ إهابُها يَتَفَطَّرُ

كبرت هذه الدجاجة فكادت أن تكون إوزة، وعقدت النية حقاً على أن تكون إوزة فكاد إهابها (جلدها) يتفطر (يتشقق)

ظَلْنَا نُقَشِّرُ جلدَها عن لحمِها وكأنَّ تِبْراً عن لُجَيْنٍ يُقْشَرُ

الجلد مشوي ذهبي اللون، وعندما يقشر يظهر تحته لحم الدجاجة الأبيض كاللجين (الفضة)

وتَقَدَّمَتْها قبلَ ذاكَ ثَرائِدٌ مِثْلُ الرِّياضِ، بِمِثْلِهِنَّ يُصَدَّرُ
وأَتَتْ قطائِفُ بعدَ ذَاكَ لَطَائِفٌ تَرْضَى اللَّهَاةُ بِها، ويَرضَى الحُنْجُرُ

اللهاة: اللحمة في أقصى الحلق

من مالِ ذي فَخْرٍ كأنَّ بَنَانَه خُلُجُ الفُراتِ إذا غَدَتْ تَتَفَجَّرُ

الخلج: الترع المشتقة من النهر الكبير

شَمسٌ يَحُفُّ يَمينَها وشِمالَها بدرُ السماءِ ومُشْتَريها الأَزْهَرُ
لِلَّهِ دَرُّهُمُ، ثلاثةُ إِخْوَةٍ حَسُنَتْ مناظِرُهُمْ وطَابَ المَخْبَرُ
وأقولُ بعدَ مديحِهِمْ مُسْتَعتِباً: ما لِلوفَاءِ من الكرامِ يُؤَخَّرُ؟
قد جاءكُمْ تمرٌ، وأَوْجَبَ قَسْمَهُ قُرْبُ المَصِيفِ، فما لنا لا نُتْمَرُ؟

١٣٩ زاد المسافر

إذا اختطَّ قومٌ خُطَّةً لمدينةٍ تَقَاضَتْهُمُ أضعافَها للمقابِرِ

وفي ذاكَ ما يَنهاهُم أن يُشَيِّدُوا   وأن يقتَنُوا إلّا كَزَادِ المسافرِ

١٤٠ رحمة للعباد

أحلَّ العراقيُّ النَّبيذَ وشُرْبَه   وقالَ: الحَرامَانِ المُدَامَةُ والسُّكْرُ
وقالَ الحِجازِيُّ: الشَّرَابانِ وَاحِدٌ   فَحَلَّتْ لنا بينَ اختلافِهِما الخَمْرُ

١٤١ اعتمد على أيهما شئت

قال يستبطئ جحظة:

أبا حسنٍ إن حبلَ المِطا   لِ إن مُدَّ كانَ بِلا آخِرِ
فإمَّا اصْطَنَعْتَ إلى شاكرٍ   وإمَّا اعتَذرتَ إلى عَاذِرِ

اصطنعت: صنعت معروفاً

١٤٢ فتى البصرة

وقال في ابن أبي قرة:

أبو عَلِيِّ بنُ أبي قُرَّةْ   أبو عَيِيٍّ بنُ أبي عُرَّةْ

عيي: ألكن غير فصيح، عرة: عار

نُبِّئْتُ عن شيخَتِهِ أنَّها   تَفعلُ ما لا تَفعلُ الحُرَّةْ

شيختِه: أمه

تلكَ التي صادَفَها بعلُها   عذراءَ لا شكَّ من السُّرَّةْ

يهزأ، كانت عذراء مقفلة.. لكن من سرتها لا من موضع آخر

لم يشهدِ الفَتْحَ، ولا سَيَّلَتْ   طَعْنَتُهُ من دمِها قَطْرَةْ

أبو المهجو لا فتح ولا أسال دماً

طَهَّرَنِي اللّهُ كَتَطهيرِهِ،   ليلةَ زُفَّتْ، من دَمِ العُذْرَةْ

وقام أبوه من ليلته الأولى طاهراً من دم العذرة (البكارة)، لأنه لم يتزوج بكراً. وسخرية شاعرنا تتجلى في قوله (طهرني الله كتطهيره)

وابنُهُما النَّغْلُ يَرَى أنَّه،   في الظَّرْفِ والعِلْمِ، فتَى البَصْرَةْ

النغل: ولد الزنا

١٤٣ الأمير الشاعر

وقال في ابن أبي طاهر:

فـقـدتُـكَ يـا ابْـنَ أبـي طـاهـرِ وأُطْـعِـمْـتُ ثُـكْـلَـكَ مـن شَـاعِـرِ

فقدتك: عدمتك، وأطعمني الله ثكلك (حباني الله بموتك)

فـلَـسْـتَ بِـسُـخْـنٍ ولا بـاردٍ؛ ومـا بـيـنَ ذَيْـنِ سـوى الـفـاتِـرِ

وليس بين هذين سوى الفاتر، والفاتر يوصف عادة بأنه أسوأ من الحار ومن البارد

رأيـتُـكَ تَـنْـبَـحُـنـي سَـادِراً كـفِـعْـلِـكَ بـالـقـمـرِ الـبـاهـرِ

سادراً: مندفعاً

ومـا زالَ ذلـكَ دأبَ الـكـلابِ، ومـا ذاكَ لِـلْـبـدرِ بـالـضَّـائـرِ

١٤٤ لم أكن من جناتها علم الله

رأيتُ جُنَاةَ الحربِ غيرَ كُفَاتِها إذا اختَلَفَتْ فيها الرِّمَاحُ الشَّواجِرُ

جناة الحرب: مسببوها، كفاتها: من يقومون بها ويكونون أكفاء لها، الرماح الشواجر: المتشابكة

كذاكَ زنادُ النارِ عنها بِنَجْوَةٍ ولكنَّما تَصْلَى صَلاهَا المَسَاعِرُ

زناد النار: حجر القدح، بنجوة: بعيداً ناجياً، المساعر: الحدائد التي يحركون بها الجمر ليزداد اضطراماً. يقول: حجر القدْح بعيد عن النار مع أنه سبب اشتعالها، ولكن قضيب تحريك الجمر يصلى بها مع أنه ليس الذي أشعلها/ تسويد البيتين: أ. عبد الرحيم

١٤٥ العنب الرازقي

ورازِقِـيٍّ مُـخْـطَـفِ الـخُـصـورِ

ضرب من العنب الأبيض، حبته مخصورة من وسطها

كـأنـه مـخـازنُ الـبَـلُّـورِ

قـد ضُـمِّـنَـتْ مِـسْـكـاً إلـى الـشُّـطُـورِ

حباته تتضمن المسك إلى الشطور (إلى منتصفها) ذلك أن لون الجزء السفلي من العنبة داكن

وفـي الأعَـالـي مـاءُ وَرْدٍ جُـوري

وفي أعلى العنبة لون فاتح كلون ماء الورد

لـم يُـبْـقِ مـنـهُ وَهَـجُ الـحَـرورِ

إلّا ضِـيـاءً فـي ظُـرُوفِ نُـورِ

لــو أنــه يــبــقَــى عــلــى الــدُّهــورِ

لو هذا العنب يبقى على حاله زمناً طويلاً ولا يتلف..

قَــرَّطَ آذانَ الــحِــســانِ الــحُــورِ

.. لاتُّخذت منه أقراط لآذان الحسان

لــه مَــذاقُ الــعَــسَــلِ الــمَــشُــورِ

المشور: المجنيّ من خلاياه

ونَــكْــهَــةُ الــمِــسْــكِ مــع الــكَــافــورِ

بــاكَــرْتُــهُ والــطَّــيْــرُ فــي الــوُكــورِ

بِــفِــتــيَــةٍ مــن وَلَــدِ الــمــنــصــورِ

خرج باكراً مع أصحابه والطيور بعد في أوكارها

أَمــلاً لــلــعــيــنِ مــن الــبُــدُورِ

أصحابه يملأون العين بشبابهم وجمالهم

حــتــى أَتــيْــنــا خَــيْــمَــةَ الــنَّــاطــورِ

قــبــلَ ارتــفــاعِ الــشــمــسِ لــلــذُّرُورِ

الذرور: بروز قرص الشمس

فَــنِــيــلَــتِ الأَوْطَــارُ فــي ســرورِ

وكــلُّ مَــا نَــقــضــي مــن الأمــورِ

تَــعِــلَّــةٌ عــن يــومِــنــا الــمــنــظُــورِ

ومــتــعــةٌ مــن مُــتَــعِ الــغُــرورِ

كل ما نفعل تعلة (حيلة نتلهى بها) ونحن نحاول نسيان يومنا المنظور (الموت) ونَغُرُّ أنفسنا بالمتع الصغيرة. وإذا قرأتها الغَرور بفتح الغين فهذه القراءة المشهورة للآية، ومعنى الغرور فيما زعم أهل التفسير: الشيطان

١٤٦ أمان من الدهر

وقال في علي بن يحيى المنجم:

قرأتُ على أهلي كتابَكَ إذ أتى   وقلتُ لَهُمْ: هذا أمانٌ من الدهرِ

فكلُّ امرئٍ منهُمْ إذا خافَ دهرَه مُعَوَّلُهُ ضَمُّ الكتابِ إلى الصَّدْرِ

معوله (ملجأه)

أُذَكِّرُكَ الوعدَ الذي كانَ بينَنا وما مرَّ من يومٍ عليه ومن شهرِ
وقطرةَ غيْثٍ كنتَ أَنبأْتَ أنها سيَتْبعُها قَطْرٌ مُلِثٌّ على قَطْرِ

قطر ملث: مطر متواصل

١٤٧ الطبيعة متبرجة

أصبحَتِ الدنيا تروقُ من نَظَرْ
بِمَنظرٍ فيه جِلاءٌ للبصرْ

جلاء: صقل

تَبَرَّجَتْ بعدَ حياءٍ وخَفَرْ
تَبَرُّجَ الأنثَى تصدَّتْ للذَّكرْ

١٤٨ طيلسان بقدرة الله

يا ابنَ حَرْبٍ كَسوْتَني طَيْلَساناً حَمْلُهُ لاسمِهِ كثيرٌ كثيرُ
يتَجلَّى تَنَسُّمَ الريحِ من غا يةِ تِسعينَ فَرسخاً فيطيرُ

يتجلى: بمعنى يحس بالريح الخفيفة عن بعد تسعين فرسخاً (٩٠ × ٨ =٧٢٠ كيلومتراً) فيطير لرقته

إن من يُمْسِكُ السماءَ على الأر ضِ وباقي حَوْبائِه لَقَديرُ

الذي يمسك السماء فوق الأرض، ويمسك ما تبقى من حوباء (روح) هذا الرداء، هو قدير حقاً

١٤٩ شمس وقمر

لا شيءَ إلَّا وفيها منه أحسَنُهُ فأينَ يُصْرَفُ عنها القلبُ والنظرُ
ما كان ضَرَّ سماءً تَستظِلُّ بها لو امَّحَى نَيِّرَاها الشمسُ والقمرُ

١٥٠ انتفها نتفاً

وقال في لحية الليف:

إن أنتَ صادفْتَ أخَا لِحْيَةٍ قد جَلَّلَتْ من كِبَرٍ صَدْرَهْ

فاقبِضْ بِيُسراكَ على أَصلِها وضعْ على حُلْقُومِه الشَّفْرَةْ
فإن خَشِيتَ اللَّهَ في قتلِهِ وخِفْتَ منهُ سَطْوَةً مُرَّةْ

خِفتَ منه: خِفتَ من الله

فَثِبْ إلى عُثْنونِه نَاتِفاً فَأْتِ عليهِ شَعرَةً شَعْرَةْ

ثب: اقفز، عثنونه: لحيته

١٥١ قيمة الشعر عند عارفيه

وقال في أبي العباس بن ثوابة، وقد نالته علة من برد:

ما أنتَ والبردَ، يا من كلُّ جارِحَةٍ من جسمِه ذاتُ نيرانٍ وأَنْوارِ
أبْشِرْ فإنَّكَ طَوْدُ اللَّهِ أسَّسَهُ وشادَ منه بناءً غيرَ مُنهارِ

طود: جبل

وليس يَصْلُحُ لاسْتصلاحِ مملكةٍ غيرُ امرِئٍ نافعٍ بالحقِّ ضَرَّارِ
لئنْ سَبَقتَ إليَّ الناسَ كلَّهُمُ لقد سَبقتَ إلى شُكري وأَشعاري
أَبْكَرْتَ فاصْطَدْتَني، والقومُ في سِنَةٍ وصاحبُ الصَّيْدِ قِدْماً كلُّ مِبْكارِ
أنتَ الذي صانَ لي عِرْضي ومَسأَلَتي عن كلِّ كلبٍ على الأحرارِ هَرَّارِ
ومُسْتَخِفٍّ بِقَدْرِ الشِّعرِ قلتُ له: لن يَنْفُقَ العِطرُ إلا عندَ مِعْطَارِ

معطار: معطير، رجل يحب العطر ويعرف قميته

لا تُصْغِرِ الشعرَ إن أَصْغَرْتَ قائلَه فإنه غيرُ محقوقٍ بإِصغارِ
أما تَرَى المِسْكَ بَيْنَاهُ على حَجَرٍ يُذِلُّهُ كلَّ ذُلٍّ فِهْرُ عَطَّارِ

فهر: حجر، فهم يدقون المسك كي تفوح رائحته

إذْ بَلَّغَتْهُ صروفُ الدهرِ غايتَه فاحْتَلَّ منزلةً من رأسِ جبَّارِ
أَبْني البديعَ وأُهْديهِ إلى مَلِكٍ يَبْني الرَّفيعَ، وما يَبني بأَحْجارِ

١٥٢ الشعر شوك وثمر

وقال في وصف الشعر:

قُولا لِمَنْ عابَ شِعْرَ مادِحِه أما تَرى كيفَ رُكِّبَ الشجرُ؟

رُكِّبَ فيه اللِّحَاءُ والخشبُ الـ　　يابِسُ، والشَّوْكُ بينَه الثَّمَرُ
وكان أَوْلَى بأنْ يُهَذِّبَ مَا　　يَخْلُقُ ربُّ الأربابِ، لا البشرُ
فلم يكنْ ذاكَ، بلْ سِواهُ من الـ　　أَمْرِ لِشَيْءٍ جَرى به القَدَرُ
والـلَّـهُ أَدْرَى بِمَا يُدَبِّرُهُ　　مِنَّا، وفي كلِّ ما قَضَى الخِيَرُ
فَلْيَعْذِرِ الناسُ من أساءَ، ومن　　قَصَّرَ في الشعرِ، إنه بَشَرُ
مَطْلَبُه كالمَغَاصِ في دَرَكِ الـ　　لُجَّةِ مِنْ دونِ دُرِّهَا خَطَرُ
ولْيَذكُروا أنه يُكَدُّ له الـ　　عقلُ وتُنْضَى في قَرْضِه الفِكَرُ
وفيه ما يأخُذُ التَّخَيُّرُ مِنْ　　غالٍ ثمينٍ، وفيهِ ما يَذَرُ
وليس بدٌّ لِمَنْ يغوصُ مِنَ الـ　　جَرْفِ لِمَا يُصْطَفَى ويُحْتَقَرُ

هذه نظريتك يا ابن الرومي في الشعر! الشعر فيه الخشب اليابس وفيه الثمر. وقصيدتك هذه خالفت نظريتك، فقد جئنا نتخير منها شيئاً ونترك شيئاً فإذا هي ثمرة يانعة ليس فيها بيت رديء. وجئنا نشرح العويص فما وجدنا عويصاً. هذه بيضة ديكك في هذا الشأن

١٥٣ الحقد بالحق

حقدتُ عليكَ ذنباً بعدَ ذنبٍ　　ولو أحسنتَ كان الحقدُ شُكرا
أَديمي من أَدِيمِ الأرضِ، فاعلَمْ،　　أُسِيءُ الرَّيْعَ حينَ تُسِيءُ بَذْرَا

الريع: المحصول

ولم تكُ، يا لكَ الخيراتُ، أَرْضٌ　　لِتُزْرَعَ خِرْبِقَاً فَتُرِيعَ بُرَّا

لم تكن (لم توجد) أرض تزرع خربقاً (الخربق نبات سام) فتعطي قمحاً

أُؤَدِّي إنْ فعلتَ الخيرَ خيراً　　إليكَ، وإن فعلتَ الشرَّ شرَّا
ولستُ مُكافِئاً بالنُّكْرِ عُرْفاً　　ولستُ مكافئاً بالعُرْفِ نُكْرا
يُسَمَّى الحقدُ عَيْباً، وَهْوَ مَدْحٌ؛　　كما يَدْعُونَ حُلْوَ الحقِّ مُرَّا

١٥٤ اشتعال الرأس

أولُ بدءِ المشيبِ واحدةٌ　　تُشعلُ ما جَاورتْ من الشَّعَرِ
مثلَ الحريقِ العظيمِ تبدَأُهُ　　أولَ صَوْلٍ صَغيرةُ الشَّرَرِ

الصول: الهجوم

١٥٥ وحدي مرتاح

ذقتُ الطُّعومَ فما التَذَذْتُ كَرَاحَةٍ مـن صُـحْـبَـةِ الأَشـرارِ والأَخـيـارِ

سمعت عن سيدة في مصر عافت البشر فهي تعود من شغلها وتنام بقية نهارها، وتصحو في جوف الليل لتعيش.. وحدها

أَرِنـي الـذي عـاشَـرتَـه فَـوَجَـدْتَـه مُـتَـغـاضِـيـاً لـكَ عـن أقـلِّ عِـثَـارِ

أَأُحِبُّ قـومـاً لـم يُـحِـبُّـوا رَبَّـهُـمْ إلا لِـفِـرْدَوْسٍ لـديـه ونـارِ؟

١٥٦ لتكن مشهوراً، لتكن خالداً

ثَنَى شوقَهُ، والمرءُ يصحُو ويَسْكَرُ، رُسـومٌ كـأَخْـلاقِ الـصَّـحَـائِـفِ دُثَّـرُ

الذي خفف من اشتياقه إنما كان زيارته لرسوم (لأطلال) المحبوبة التي هي كأخلاق الصحائف (كالأوراق الممزقة) دثر (مندثرة)

لأَيدي البِلَى فيها سُطورٌ مُبِينَةٌ عبارتُـهـا: أنْ كـلُّ بيـتٍ سيُـهْـجَرُ

البلى: الاهتراء

مـعـاهـدُ رَبْـعٍ كـنـتُ آلَـفُ أهـلَـهُ تـغـيَّـرَ بَـعـدي، والأمـورُ تَـغَـيَّـرُ

وقفتُ بِها صَحبِي، فَظَلَّتْ عِراصُهُ بِـدمـعِـي وأنـفـاسـي تُـرَاحُ وتُـمْـطَـرُ

أوقفت صحبي بالمعاهد (الديار التي كنا نعهدها) فظلت عراص الربع (ساحاته) تراح بأنفاسي (يأتيها ريح من أنفاسي)، وتمطر بدمعي

سـلامٌ عـلـى الأيـامِ إذْ أنـا سِـلْـمُـهَـا وإذْ أنـتَ مِـنِّـي، أيـها الـرَّبْـعُ، مُـعْـمَـرُ

وإذْ فـيـكَ أَمـثـالُ الـظِّـبـاءِ مَـلاحَـةً ونَفْـراً عن الفَحْشاءِ، بل هُنَّ أَنْفَرُ

كُسِينَ لَبُوسَ الحُسْنِ من كلِّ غادةٍ لَـهَـا خُـلُـقٌ عَـفٌّ، وخَـلْـقٌ مُـصَـوَّرُ

تَـقَـسَّـمَـهـا نِـصـفَـانِ: نِـصْـفٌ مؤنَّـثٌ ونِـصـفٌ كَـخُـوطِ الـخَـيْـزُرَانِ مُـذَكَّـرُ

الخوط: الغصن. يحبون المرأة المؤنثة من تحت: الكبيرة العجيزة، والمذكرة من فوق: النحيلة الخصر وما فوق الخصر، وربما أحبوها غلامية تشبه في قدها الغلام

إذا هِـيَ عِـيبَـتْ، عـابَـهـا أنَّ طَـرْفَـهـا يُـرِيـقُ دمـاءَ الـمـسـلـمـيـنَ فـتُـهـدَرُ

سقَى اللَّهُ ريعانَ الشبابِ، وإن غَدا يُـخَـوَّنُ فـي إخـوانِـه ويُـغَـدَّرُ

يخوَّن: يتهم بالخيانة، يغدَّر: يتهم بالغدر

تَـذَكَّـرْتُـهُ والـشـيـبُ قـد حـالَ دونَـه فَـظَـلَّـتْ بـنـاتُ الـعَـيْـنِ منـي تَـحَـدَّرُ

أنا ابنُ ذَوِي التِّيجانِ غيرَ مُدافَعٍ   وهلْ يُدفَعُ الصُّبحُ الأغَرُّ المشَهَّرُ

غير مدافع: غير منازَع، لا يشكك أحد في انتسابي إليهم

نَمَتْنِي ملوكُ الرومِ في رأسِ باذِخٍ   من المجدِ يعلُو كلَّ مجدٍ ويَقْهَرُ

نمتني: نسبتني إليها، باذخ: جبل عالٍ

فقلْ للَّذي يَسمُو إليَّ مُنَاوِئاً:   هنالِكَ أَسْهِلْ، إنَّ مَرْقَاكَ أَوْعَرُ

أسهل: ابق في السهل فمرقاك وعر (صعودك صعب)

فما أَسَدٌ جَهْمُ المُحَيَّا شَتِيمُهُ   قُصَاقِصَةٌ وَرْدُ السِّبَالِ غَضَنْفَرُ

جهم المحيا (الوجه) وشتيمُهُ: عبوسُهُ، قصاقصة: القصاقص الأسد، ورد السبال: محمر الشعر

مُسَمَّىً بَأسماءٍ، فَمِنْهُنَّ ضَيْغَمٌ   ومنهنَّ ضِرغَامٌ، ومِنْهُنَّ قَسْوَرُ

تَظَلُّ له غُلْبُ الأُسُودِ خَواضِعاً   ضَوارِبَ بِالأَذْقانِ حينَ يُزَمْجِرُ

الغلب: غلاظ الرقاب

يراهُ سُرَاةُ الليلِ، والدَّوُّ دونَه،   قَريباً بِأدنَى مَسْمَعٍ حينَ يَزْأَرُ

يراه (يظنه) الماشون في الليل قريباً منهم، رغم أن بينهم وبينه الدو (الخلاء)، وذلك لضخامة صوته

يُدِيرُ، إذا جَنَّ الظلامُ، حِجَاجُهُ   شِهابَ لَظَىً يَعْشَى له المُتَنَوِّرُ

يدير حجاجُه (أي فتحة عينه) يدير بداخله عيناً كأنها شهاب نار يعشَى ويحسر بسببه بصر المتنور (المتطلع إلى النار)

بِأَرْبَى على الأقرانِ مِنِّيَ صَوْلَةً   وقد أَنْذَرَ التجريبُ من كان يُنْذَرُ

ليس هذا الأسد الموصوف في الأبيات الخمسة المنصرمة بأربى (أقدر) مني في الصولة (الهجوم) على الأقران من الشعراء، وقد أعذر من أنذر

فأنَّى تعاوَى لي الثَّعالِبُ، وَيْبَهَا،   وقَد رَأَتِ الآسادَ مِنِّيَ تَجْحَرُ

فكيف تعوي علي الثعالب ويبها (الويل لها)، وقد رأت الأسود تدخل جحورها خوفاً مني؟

أَفي كلِّ حِينٍ لا يَزالُ يَهِيجُني   سَفِيهٌ له في اللُّؤْمِ فَرْعٌ وعُنْصُرُ؟

عَفَتْ ذِكْرَهُ آباءُ سُوءٍ أَدِقَّةٌ؛   فماتَ خُمولاً، غيرَ أنْ ليسَ يُقْبَرُ

عفت ذكره (محت سمعته) آباء سوء أدقة (صِغار، من الصَّغار وهو الحقارة)، فهو ميت خمولاً

يَسُومُ هِجائي كيْ يُنَوِّهَ باسمِه،   وفي السَّبِّ ذِكْرٌ للَّئِيمِ ومَفْخَرُ

يستدر هجائي له كي يفتخر به. وللمتنبي بيت فاخر في هذا المعنى (سيقوله بعد ستين سنة):
صغُرْتَ عن المديح، فقلتَ: أُهجَى. كأنك ما صَغُرتَ عن الهجاءِ

أَخَالِدُ! لم أُنْكِرْ لكَ النُّكْرَ والخَنا، بلِ العُرْفُ من أفعالِ مثلِكَ مُنْكَرُ

الخنا: الفحش

على أنَّني هاجِيكَ لا متكَلِّفاً خلا أنَّ تَيَّاراً من البَحْرِ يَزْخَرُ
ولو مَلَكَتْ كَفِّي على الشِّعْرِ غَربَهُ لَكانَ له مَعْدَىً سِواكَ ومَقْصَرُ

غربه: حدَّه، معدى: بديل، مقصر: انكفاف

أخالدُ ما أغْرَاكَ بي من عَداوَةٍ ولا تِرَةٍ، لولا الشَّقاءُ المُقَدَّرُ

ترة: ثأر

حَدَاكَ إليَّ الحَيْنُ حتَّى اسْتَثَرْتَني عليكَ، وإنِي في عَرِيني لَمُخْدِرُ

حداك: أتى بك، الحين: الهلاك، مخدر: لازم مكاني

فَدُونَكَ ما حاولتَه فبَلَغْتَهُ؛ وَرَدْتَ، ولكنْ لا إخالُكَ تَصْدُرُ

دونك: خذ

فقد كنتَ نِسْيَاً لا تُحَسُّ ولا تُرَى زماناً طَويلاً، فاصْبِرِ: الآنَ تُذْكَرُ
سَتَرْوِي رواةُ الشِّعْرِ فيكَ قصائداً يُغَنَّى بها ما نُودِيَ: اللَّهُ أكبرُ
تَهُبُّ هُبوبَ الرِّيحِ في كُلِّ وِجْهَةٍ عَبادِيدَ، منها مُنْجِدٌ ومُغَوِّرُ

الرياح العباديد: المتفرقة في كل اتجاه، منجد: ذاهب في المرتفعات، مغور: ذاهب في الوديان

سَدَاهَا مَخازِيكَ التي قد عَلِمْتَها ولُحْمَتُها مِنِّي الكلامُ المُحَبَّرُ

السَّدى: الخيط الممتد طولاً في الثوب، اللحمة: الخيط الذاهب عرضاً، فثوب الهجاء مكون من مخازي الرجل، ومن كلام ابن الرومي المحبر (المنمق)

قَوافٍ إذا مَرَّتْ بِسَمْعِكَ خِلْتَها مَلاطِيسَ، تُزْجِيها مَجانِيقُ، تَخْطِرُ

الملطاس: الحجر الضخم، تزجيها: تدفعها، يقول: أبياتي حجارة منجنيق تخطر، وأخَّر كلمة تخطر للقافية فيما نحسب، فلا نرى للمجانيق أن تتجول، ونرى ذلك لحجارتها

لها هَزَماتٌ في الرُّؤوسِ كأَنَّها رَكَايَا ابْنِ عادٍ غَوْرُها ليس يُسْبَرُ

هزمات: هدير، ركايا ابن عاد: آبار من عهد عاد. كأنه تخيل صوت إلقاء حجر في بئر عميقة الغور

وإن كنتُ لا أَهْجُوكَ إلَّا كَحَالِمٍ يَرَى ما يَراهُ النَّائِمُونَ فَيَهْجُرُ

يهجر: يقول الهجر وهو الفحش

لأنَّـكَ مـعـدومُ الـوجـودِ، وإنَّـمـا يُـرِينِـيـكَ ظَـنِّـي ريثَـمـا أتَـدَيَّـرُ

قبل أن أدير وجهي نحوك متكاسلاً أراك بعين الذهن

فإن كـنـتَ شـيـئـاً ثـابـتـاً فَـهَـبـاءَةٌ تَـضاءَلُ في عينِ اليقينِ وتَـصْغُـرُ

ولِلْشَّتْمِ في أَدْنَى مَخَازِيكَ مَسْبَحٌ طـويـلٌ تُـجَـارِيـهِ الـقَـوافـي فَـتُـحْـسَـرُ

تُحسَر: تعجز

بِقَوْدِكَ لِلْعُهَّارِ عِرْسَكَ طائعاً كـأنَّـك مَـصْـيُـورٌ عـلـى ذاكَ مُـجْـبَـرُ

عرس: زوجة، مصيور: مجبر أن يكون مصيرك كذلك

تَبيتُ قَرِيرَ العينِ جَذْلانَ ضاحكاً إذا هِيَ باتَتْ بينَ فَحلَيْنِ تَشْخُرُ

وَقَفْتَ عـلـى فَيْشِ الـزُّنَـاةِ مَبـالَـهـا وبَيْتاً قديماً كانَ بالفِسْقِ يُعْمَرُ

فيش: حشفات الذكور

إذا هِيَ بيكَتْ بِيكَ أُجْرَةَ بيكِها ألا ساءَ ما يُجْزَى عليه ويُؤْجَرُ

إذا فُعل بها يُفعل بزوجها المهجو أجرة له على سماحه بزوجته، فكأنه متلهف على ذلك

تَعيشُ اسْتُه في فَضْلِ كَعْثَبِ عِرْسِه فَقُبِّحَ من شيخٍ يَعُولُ اسْتَهُ حِرُ

الكعثب، ومثله الحر: ذلك العضو من المرأة

يَبِيتُ قِرَى ضِيفانِهِ كُلَّ ليلةٍ بَغِيٌّ وخِنزيرٌ وخمرٌ ومَيْسِرُ

إذا طَيِّءٌ عَدَّتْ بُنَاةَ بِنائِها فَحاتِمُها البَانِي، وأنتَ المُتَبِّرُ

المتبر: المهلك

ولو قَبِلوا نُصْحي لَهُمْ بِقَبُولِه لَوَارَوْكَ حَيّاً فالثَّرى لكَ أَسْتَرُ

أَيُوحِشُهُمْ فِقدانُ قِرْدٍ، وفِيهِمُ بُناةُ المَعالي والعديدُ المُجَمَّرُ؟

المجمر: المجتمع

ولا أنتَ مِمَّنْ يَنْقُصُ القومَ فَقْدُهُ ولكنَّهُمْ مِنْ بعدِ فَقْدِكَ أكثرُ

لَؤُمْتَ، فلو كنتَ السماءَ لأمسَكَتْ حَيَاها، وأمسَى جَوُّها وَهْوَ أَغْبَرُ

حياها: مطرها

نَطُفْتَ، فلو مَاسَسْتَ كَعْبَةَ مَكَّةٍ بِثَوْبِكَ حَاضَتْ حَيْضَةً لا تَطَهَّرُ

نطفت: كنت قذراً

قَبُحْتَ، فَجاوَزْتَ المدَى قُبْحَ منظرٍ ويا حُسْنَه من مَنْظَرٍ حينَ تُخْبَرُ
نَشَرْتُكَ من موتِ الخُمولِ بقدرَةٍ لِمَا هَوُ أدهىَ ـ لو عَلِمْتَ ـ وأَنْكَرُ

النشور: الحياة بعد الموت

ولَلْمَوتُ خيرٌ لامْرِئٍ من نُشُورِهِ إذا كانَ لِلْتَّخْليدِ في النارِ يُنْشَرُ

١٥٧ بئس التعويض

وقال في أبي حفص الوراق:

قالوا: هَجاكَ أبو حَفْصٍ، فقلتُ لهُمْ: قد طالَ قرنُ أبي حفصٍ على قِصَرِهْ
قد عاشَ دهراً خَفيفَ الرأسِ نَعلَمُهُ حتَّى تَزَوَّجَها بِكْراً على كِبَرِهْ

عاش بلا زوجة فكان رأسه خفيفاً بلا قرنين، والقرنان كناية عن غفلة الزوج عن زنا زوجته

والبِكْرُ لا تَتْرُكُ الشُّبَّانَ طَائِعَةً لِلْشَّيْخِ في أَرْذَلِ النِّصْفَيْنِ من عُمُرِهْ
أقولُ لمَّا علا قرناهُ صَلْعَتَه: لَبِئْسَ مَا عُوِّضَ المسكينُ من شَعَرِهْ

عند الإنجليز ضرب من الفكاهة يسمونه «تهوين الفظيع». هذه نادرة تشرحه: رجل إيطالي كان مشغوفاً بهذا الضرب من الفكاهة، زار صديقاً إنجليزياً وقال له: أريد فقط أن تعلمني كيف تصنعون ذلك. ثم مضى بهم الحديث فقص عليه الإيطالي بحرارة كيف ذهب إلى مطعم، فإذا أرضه زلقة من الدهن والوسخ، وجاءه النادل بقطعة لحم تحتاج مطرقة وإزميلاً، ورمى الطبق أمامه بلا مبالاة حتى لقد كادت قطعة اللحم تقفز إلى وجهه وتسبب له جرحاً. عندئذ قال له الإنجليزي ببرود: فأنت لا تنصح بهذا المطعم! فانفجر الإيطالي قائلاً: بالضبط هذا هو نوع الفكاهة الذي لا قبل لنا نحن الطليان به.

وابن الرومي بارع في هذا الضرب من الفكاهة. هو أحد أساليبه الكثيرة في السخرية، بجانب ما شهر به من رسم صور كاريكاتيرية

١٥٨ بدون مبالغة

وقال في اللحياني:

لِلَّهِ لِحْيةُ حائكٍ أبصرتُها، ما أبصَرَتْ عيناايَ في مِقدارِها
إني لأَحسَبُ أنَّ مِنْ أَشْعَارِهَا هَذا الأثاثَ معاً، ومِنْ أَوْبَارِها

١٥٩ بيت العتمة

وجهُكَ، يا جعفرُ، في قبحِه أوْلَى من العَورَةِ بِالسَّتْرِ

كـأنـمـا تَـأْوِي إلـيـه الـدُّجَـى إذا هِـيَ انْـفَـضَّـتْ عـنِ الـفـجْـرِ

الدجى: الظلمة يقول: عندما تنصرف الظلمة ويأتي الفجر، فهي تذهب لكي تحل في وجه جعفر

١٦٠ ديدنها وديدني

وقال في أبي يوسف الدقاق:

أَأُبَيَّ يُوسُفَ، دَعْوَةَ الـمُسْتَصْغِرِ، ويلَ التي حمَلَتْكَ تسعةَ أشهرِ

صغرتُ كلمة «أأبا يوسف» فجعلتها «أأبيّ يوسف» مستصغراً قدرك. ومعروف عند أهل الصرف أن التصغير يكون للتعظيم ويكون للتحبب، ويكون للقرب الزماني، ويكون للتحقير وتصغير الشأن، وابن الرومي يكتب شعره والأخفش وأضرابه في ذهنه

مـاذا الـذي أَصْـلَـيْتَـهـا في قـبـرِهـا قبلَ النُّشورِ من اللَّظَى الـمُتَسَعِّرِ؟

أَسْلَمْتَـهـا لِلْقَذْعِ يـلفحُ وجهَـهـا صبرتْ له كَرْهاً، وإنْ لـم تَـصْـبِرِ

يا ابنَ التي حَرَمَتْ جَنَابَيْ قبرِها ومُجَاوِرِيه حَيَا السَّحابِ الـمُمْطِرِ

لما ارتكبت من فواحش لم ينزل الحيا: المطر على قبرها ولا على القبور المجاورة له، والمطر رحمة للميت زعموا

قَـطَـعَـتْ شبيبَتَـهـا زِنـاً وسَمَـاحَـةً وتِـجَـارَةً، خُسْـراً لـذاكَ الـمَـتْـجـرِ

سماحة: تساهلاً في النيل منها

فَـقَـتِ الـفَـيَـاشِـلُ عينَـه في بطنِـهـا فَـأَتَـتْ بـه أَعـمَـىً قبيـحَ الـمنظـرِ

فقت: فقأت، الفياشل: جمع فيشلة وهي رأس ذكر الذكر

وتقولُ للضيفِ الـمُلِمِّ سَمَاحَةً: إنْ شئتَ في اسْتي فَأْتِني أوْ في حِري

الحر: عضو المرأة

أَنَا كَعْبَةُ البيكِ التي نُصِبَتْ له فَـتَـلَـقَّ منـهـا حيثُ شئتَ فَكَبِّرِ

وتَـبِـيـتُ بـيـن مُـقَـابِـلٍ ومُـدَابِـرٍ مِـثْـلَ الـطـريقِ لِمُقْبِلٍ ولِمُدْبِرِ

يَتكـافَـآنِ الـرَّهْـزَ من جِـهَـتَـيْـهِـمـا فَـكـلاهُـمـا فـي ذاكَ غـيـرُ مُـقَـصِّـرِ

الرهز: تلك الحركة التي لا يجوز لنا أن نفصل القول فيها

كـأَجِـيـرَيِ الـمِـنْـشَـارِ يَـجْـتَـذِبَـانِـه مُـتَـنَـازِعَـيْـهِ فـي فَـلِـيـجِ صَـنَـوْبَـرِ

فليج: لعلها جذع

دَعْ أُمَّهُ، واخْـصُـصْ قَـعـيـدَةَ بيتِـه من هَـاجِـراتِـكَ بـالـنـصيـبِ الأوفَـرِ

هاجراتك: قصائد الهُجر أي الفحش

يا زَوْجَةَ الأعمى المُبَاحِ حَريمُهُ   يا عِرْسَ ذي القَرنَيْنِ لا الإسْكَنْدَرِ
هل تذكرينَ العهدَ ليلةَ ليلةٍ   ناشَدْتُكِ الأبْرَ العَظيمَ المِغْفَرِ؟

المغفر: الخوذة

باتَتْ إذا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ بَيْكِها   قالتْ: عَدِمْتُ الفَرْدَ، عَيْنَ الأَعْوَرِ

أفردتُ: صنعتُ فرداً أي مرة واحدة، فهي لا تريد الإفراد لأنه مثل عين الأعور

فإذا أَضَفْتُ إلى الفَريدِ قَرينَهُ   قالتْ: عَدِمْتُ مُصَلِّيَاً لم يُوتِرِ

المصلي: المثني، وهي لا تريد المثني، بل تريده أن يوتر (يفرد) فيصنع ثلاثة

هَذاكَ دَيْدَنُها، وذلك دَيْدَني   حتى بدَا فَلَقُ الصَّباحِ المُسْفِرِ

ديدنها: عادتها

أرمي مَشِيمَتَها بِرأْسِ مُلَمْلَمٍ   رَيَّانَ من ماءِ الشَّبيبةِ أعْجَرِ

ململم: غليظ، أعجر: ذو عقد كالعصا العجراء

عَبْلٍ إذا فَتَقَ النِّسَاءَ بِحَدِّهِ   نِلْنَ الأمانَ من الوِلادِ الأعْسَرِ

عبل: مكتنز. يقول: هو يوسع الطريق ويجعل الولادة سهلة

١٦١ خمسون توأماً

وقال في أبي منذر، وكان حذر أخاه النضر من تزويج الشاعر من ابنته قائلاً: أما تنظر إلى مشيته مثل مشية المخنثين:

أبا منذرٍ بِاللَّهِ إلَّا صَدَقْتَني   عَلامَ، ولِمْ خَنَّثْتَني يا أخَا النَّضْرِ؟
أَذَمَّتْ لِقائي حُرْمَةٌ لكَ بِكتُها   فلَمْ أَشْفِهَا، أَمْ قلتَ ما قلتَ بالحَزْرِ؟
فكيفَ، وألحاظي حِدَادٌ كأنها   نِصَالٌ، وألفاظي أَشَدُّ من الصَّخْرِ؟
وكيفَ، ولي في كلِّ عُضْوٍ ومَفْصِلٍ   وجارِحَةٍ قَلبانِ شَهْمَانِ مِنْ جَمْرِ؟
ولو مَسَّ ثوبي ثَوْبَ أمِّكَ مَسَّةً   لأَوْلَدَها خَمْسينَ مِثْلَكَ في شهرِ

١٦٢ فضلة وصغير

وقال في فُضَيْل الأعرج:

أنتَ فضلٌ، وفَضْلَةُ الشَّيءِ لَغْوٌ   ثم أُرْدِفْتَ ذِلَّةَ التَّصْغيرِ
فَقَبولُ النُّفوسِ إيَّاكَ عِندي   آيَةٌ فيكَ لِلَّطيفِ الخبيرِ

١٦٣ مصنع الشعراء

وقال في وهب بن سليمان:

أَتَتْ من بَرِيدِيِّنا ضَرْطَةٌ فأَرسَلَها مثلاً سائِرا
أبَا حسنٍ يا لَها ضَرْطَةً تَركْتَ السَّمِيرَ بها سامِرا
وزِدْتَ بها شاعراً فِطْنةً وأَنْبَغْتَ من لم يكنْ شاعرا

نبغ المرء: صار شاعراً فجأة

١٦٤ معيرة غير مستعيرة

وقال في شنطف:

تخَلَّفَتْ شُنْطُفُ فقُلنا: ما فَعَلَتْ أختُنا الضَّريرَةْ
قالوا: هَوَتْ من ذُرَا جِدارٍ عالٍ، فقالَ الجميعُ: خِيرَةْ
يا حَبَّذا أن تَغيبَ عنَّا غيَّبَها اللَّهُ في الحَفِيرَةْ

الحفيرة: القبر

في بَظْرِها ألفُ ألفِ رطلٍ وإنَّما وَزْنُها شَعِيرَةْ

في بظرها: أي وزنه، كأن تقول «فلان فيه مئة كيلو» وتعني وزنه كذا

ومن قبيحِ القبيحِ عِندي بَظْرٌ طويلٌ على قَصيرَةْ
والوجْهُ بَرٌّ بغيرِ ماءٍ والضِّيزُ بَحْرٌ بِلا جَزِيرَةْ
أضْحَتْ تُعِيرُ القرودَ قُبحاً أَصْنافُه عندها كَثيرَةْ
فهنَّ يَشكُرْنَ فِعْلَ أختٍ مُعِيرةٍ غيرِ مُسْتَعيرَةْ

١٦٥ يوم تقول يا ليتني كنت تراباً

وقال ابن الرومي في إبراهيم بن المدبر:

بِوَجهِ أبي إسحقَ صَدْعٌ كَضيزِهِ له قصَّةٌ غيرُ الذي هُوَ مُظْهِرُ

صدع: شق

يخبِّرُ عنه أنَّه أُثْرُ ضَربةٍ بِبَعضِ سيوفِ الزَّنْجِ حينَ يُخَبِّرُ

الأُثر: أَثَرُ الجرح بعد برئه

وما ضَرَبتْه الزَّنْجُ في الوجهِ، بل رأى أُبُـورَهُـمُ فـانْـشَـقَّ فـي وجـهِـهِ حِرُ

حر: عضو المرأة

فـبـاكُـوهُ فـي وجـهٍ قـلـيـلٍ حـيـاؤُهُ وفـي دُبُـرٍ يَـلـقَـى الـرِّمَـاحَ فـيَـصـبِـرُ

ومـا فَـرَّ مـنـهُـمْ بـل نَـفَـوْهُ، وإنَّـه لَـيُـورِدُ رَأيـاً فـي الـرُّجـوعِ ويُـصْـدِرُ

سـأُهـدي إلـيـه كـلَّ يـومٍ قَـصـيـدةً يَـوَدُّ لـهـا أنْ لـم يَـلِـدْهُ الـمُـدَبِّـرُ

١٦٦ واقفاً على خمس وخمسين

كَبِرْتَ وفي خمسٍ وخمسينَ مَكْبَرُ وشِبْتَ فأَلحاظُ المَها منكَ نُفَّرُ

أَعِرْ طرفَكَ المِرآةَ وانظُرْ، فإنْ نَبَا بِعينيْكَ عَنْكَ الشَّيْبُ فالبِيضُ أَعْذَرُ

إذا شَنِئَتْ عينُ الفَتى وجهَ نفسِه فـعـيـنُ سـواهُ بـالـشَّـنَـاءَةِ أَجْـدَرُ

شنئت: كرهت

١٦٧ أرجوها وأحذرها

غصنٌ رطيبٌ أعالي خَلْقِها، ونَقَاً تـحتَ الـنِّـطاقِ، إذا تـهتَزُّ يَبْهَرُها

نقا: كثيب، يبهرها: يثقل أنفاسها

يقولُ لي الناسُ، إذْ مَالَ الوُشَاةُ بها عنـي، وغـيَّـرَهـا بَـعْـدي مُـغَـيِّـرُهـا:

عليكَ بالهجرِ، علَّ الهجرَ يَرْجِعُها إلى الوصالِ، ولا أسْطِيعُ أَهْجُرُها

وكيف أهجُرُ مَنْ نَفسي مُعَلَّقةٌ بِذكرِه، وَهْوَ ناسٍ ليس يذكُرُها؟

ومن عجائبِ ما يُبْلَى المحِبُّ به أَنِّي على ذاكَ أرجُوها وأَحْذَرُها

١٦٨ لا نشتريه بالجنة

وقال في جحظة:

تَـخـالُـهُ أبـداً مـن قـبـحِ مـنـظـرِه مُـجَـاذِبـاً وتَـراً، أو بـالـعـاً حَـجَـرا

كـأنـه ضِـفْـدَعٌ، فـي لُـجَّـةٍ، هَـرِمٌ إذا شَـدا نَـغَـمـاً أو كَـرَّرَ الـنَّـظَـرا

لـو كـانَ لـلَّـهِ فـي تـخـلـيـدِنـا قَـدَرٌ مَـعْ قُـرْبِـه، مـا أَرَدْنـا ذلـكَ الـقَـدَرا

١٦٩ وقتما يتيسر

وكتب إلى إبراهيم بن المدبر يقول: «خادمك المؤمل يومك وغدك، المستنسم ريح دولتك بإزاء ما بلغه من استبطائك نفسك له، واستحثاثك إياها على قضاء حقه، قول العاذر بل الشاكر»، ثم أنشد:

دَعِ الفِكْرَ في أمرِي، فَقَدْرِيَ لا يَفِي ... بِحَمْلِكَ يوماً فيَّ عِبْءَ المُفَكِّرِ
ولا تتكلَّفْ لي التَّكالِيفَ، إنَّني ... مَلِيءٌ بِعُذْرِ النَّائِلِ المُتَعَذِّرِ

مليء: جدير

ولكنْ إذا ما عَادَ في العُودِ ماؤُه ... فَأَوْرِقْ لِمُسْتَذْرِي ذَرَاكَ وأَثْمِرِ

مستذري ذراك: المحتمي بحماك

١٧٠ وظيفتكم لا تعجبني

وقال في مرضه الذي مات فيه قبل موته بخمسة أيام أو ستة في أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح:

أيادي بني الجَرَّاحِ عندي كثيرةٌ ... وأكثرُ منها أنها لا تُكَدَّرُ
هُمُ القومُ! يَنْسَوْنَ الأياديَ مِنْهُمُ ... عليكَ، ولكنَّ المواعيدَ تُذْكَرُ
وإن كنتُ قد أُهمِلْتُ بعدَ رِعايَةٍ ... وأُغْفِلْتُ حتى قيلَ: أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وقُلِّدْتُ شُغْلاً ضَرُّهُ لي مُعَجَّلٌ ... سريعٌ، وأما نَفْعُهُ فَمُؤَخَّرُ

شغل: وظيفة

أروحُ وأَغْدو فيه أَنْصَبَ عَامِلٍ ... وأَصْفَرُهُ كَفّاً، فَكَمْ أَتَصَبَّرُ
أَعِنِّي - أبا عبدِ الإلَهِ - ولا تَقُلْ: ... أَعَنْتُ، فَأَعيَاني القَضَاءُ المُقَدَّرُ
أَيَعْطَشُ أمثالي ووادِيكَ فائضٌ ... ويُجْدِبُ أمثالِي ووادِيكَ أخضَرُ؟

١٧١ اصبر لها

وقال في أحمد بن حريث:

مِنِّي الهجاءُ، ومنكَ الصَّبْرُ، فاصْطَبِرِ ... لِشَرِّ مُنْتَظَرٍ، يا شَرَّ مُنْتَظِرِ
أنتَ اللَّئيمُ، فإنْ تَصْبِرْ فَمِنْ قِحَةٍ ... على الهَوانِ، وإنْ تَجْزَعْ فَمِنْ خَوَرِ

١٧٢ الساعي للناس

وقال في جحظة:

سَـألْـتُـكَ حـاجـةً فَـسَـعَـيْـتَ فـيـهـا ... بِـتَـعْـذِيـرٍ نـتـيـجَـتُـه اعـتـذارُ
ولـيـس لِـصَـاحِـبِ الـحـاجَـاتِ إلّا ... كـريـمٌ فـيـهِ جِـدٌّ وانْـشِـمَـارُ

انشمار: تعجيل

إذا مـا نَـامَ عـنـهـا سـائِـلُـوهـا ... تَـنَـبَّـهَ لا يَـقَـرُّ لـه قَـرَارُ
لـه عـنـدَ الـغُـدُوِّ لَـهـا، وفِـيـهـا، ... حِـذَارَ الـفَـوْتِ، قَـلْـبٌ مُـسْـتَـطَـارُ

١٧٣ الخباز

مـا أَنْـسَ لا أَنْـسَ خَبَّازاً مَرَرْتُ به ... يَدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشْكَ اللَّمْحِ بِالبَصَرِ

يدحو: يبسط

مـا بـيـنَ رؤيَـتِـهـا فـي كَـفِّـه كُـرَةً ... وبـيـنَ رؤيَـتِـهـا قَـوْرَاءَ كـالـقَـمَـرِ
إلا بِـمِـقْـدَارِ مـا تَـنْـدَاحُ دَائِـرَةٌ ... في صَفْحَةِ الماءِ يُرْمَى فيه بِالحَجَرِ

تنداح: تتمدد

١٧٤ خطأ طبي

وقال في إسماعيل الطبيب وقد سقاه دواء غلط فيه:

غَـلِـطَ الـطَّـبـيـبُ عـلـيَّ غَـلْـطَـةَ مُـورِدٍ ... عَـجَـزَتْ مَـوارِدُهُ عـنِ الإصْـدَارِ
والـنـاسُ يَـلْـحُـونَ الـطَّـبـيـبَ، وإنـمـا ... خَـطَـأُ الـطـبـيـبِ إصـابَـةُ الـمِـقْـدَارِ

يلحون: يلومون، المقدار: واحد المقادير، قضاء وقدر

١٧٥ حصرم

وقال في خالد القحطبي:

هِـيَ الـدارُ يُـؤْوِي لـيـلُـهـا كـلَّ فـاسِـقٍ ... وفـاسِـقَـةٍ مـقـبـوحَـةِ الـسِّـرِّ والـجَـهْـرِ
لـهـا رَبُّ سُـوءٍ مِـثْـلُـهـا، خُـلِـقَـتْ لـه ... وِفـاقـاً، وكـانَ الأمـرُ يُـقْـدَرُ لـلأَمـرِ
إذا جُـمِـعَـتْ ضِـيـفَـانُـه ونِـسـاؤُه ... فَبَطْنٌ على بَطْنٍ، ونَحْرٌ على نَحْرِ
خَليطانِ فَوضَى من رجالٍ ونِسْوَةٍ ... يَبِيتونَ يُحْيُونَ الفُسُوقَ إلى الفجرِ

١٧٦ ما لا يليق

وقال يقتضي أبا العباس أحمد بن صالح بن علي الهاشمي كساء كان وعده به:

ولـيـس يَـلـيـقُ بـالـسَّـاداتِ مَـطْـلٌ يُــزَوَّرُ فــي عَــواقِـبِــه اعــتــذارُ

يزوَّر: يُرتَّب؛ المرء «يزور في نفسه كلاماً» أي يعد كلاماً ويرتبه ليقوله في موقف معين

١٧٧ إنذار أول

وقال في علي بن يحيى المنجم:

أَرَانـي دَهَـا شِـعـري لـديْـكَ اقْـتِـصـارُه عـلـيـكَ، وأنْ لـم تـبـتَـذِلْـه الـمـعـاشِـرُ
وأنْ لـم يُـنَـوِّهْ ربُّـه بـاسْـمِ نـفـسِـه فـأنـتَ لـه مـن أجـلِ ذلـكَ حـاقِـرُ
سَـيَـسْـأَلُـنـي الأقـوامُ عـمَّـا أثْـبَـتَـنـي بـه، فـبِـمَـاذا أنـتَ إيَّـايَ آمِـرُ؟
أَأُخْـبِـرُهُـمْ بـالـحَـقِّ، وَهْـيَ شَـكِـيَّـةٌ، أمِ الإفْكُ؟ فالإسلامُ عن ذاكَ زاجِرُ
أَتَـحْـرِمُـنـي الـجَـدوَى وأُطْـرِيـكَ كـاذبـاً فـتَـحْـظَـى، وأشـقَـى بـالـذي أنـا وَازِرُ؟
شَـهِـدْتُ إذن أَنِّـي لِـنَـفْـسِـيَ ظـالِـمٌ وأنَّـكَ إنْ كـلَّـفْـتَـنـي ذاكَ جَـائِـرُ
وهَبْنِي كَتَمْتُ الحقَّ، أو قلتُ غيرَه أَتَخْفَى على أهلِ العقولِ السَّرَائِرُ؟

السرائر: الضمائر

أَبىَ ذاكَ أنَّ السِّرَّ في الوجهِ ناطقٌ وأنَّ ضميرَ القلبِ في العينِ ظَاهِرُ
وحَسْبُكَ مِن شَكوَايَ في كلِّ مَجْلِسٍ نئِيمي وأَنْفَاسِي عليكَ الزَّوَافِرُ

نئيم: أنين

وصمْتِي، ومَطِّي حَاجِبِي، وإِشَاحَتِي بوجْهِي إذا سَمَّى لِيَ اسمَكَ ذَاكِرُ
سُـئِـلْـتَ فَـلـمْ تَـحْـرِمْ سِـوايَ، وإنـه لَـوِتْـرٌ، وإنِّـي لـو أشـاءُ لَـثَـائِـرُ

وتر: ثأر، ثائر: آخذ بالثأر

١٧٨ كتابة على جلدة الرأس

أمـا رأيْـتَ الـدَّهـرَ كـيـفَ يـجـري؟
يُـظْـهِـرُ مـا أَكْـتُـمُـه مـن عُـمْـري
بِـأَحْـرُفٍ يَـخُـطُّـهـا فـي شَـعْـري

١٧٩ إعطاء بلا حساب

وقال في إبراهيم بن المدبر:

رأَيْتُكَ تُعْطِي المالَ إعطاءَ واهِبٍ ... إذا المرءُ أَعْطَى المالَ إعطاءَ مُشْتَرِ
وفي النَّاسِ من يُعْطِي عَطاءَ مُتَاجِرٍ ... وآخَرُ يُعْطِي كالسَّحابِ المُسَخَّرِ

١٨٠ له يوم

أَمَـلـي فـيـهِ لِـيَـأْسـي قَـاهِـرُ ... فَـلِـذَا قـلـبـي عـلـيـهِ صَـابِـرُ
وَهُـوَ الـمـحْـسِـنُ والـمُـجْـمِـلُ بـي ... وأنـا الـرَّاجـي لـه والـشَّـاكِـرُ
طَـرْفُـه يُـخْـبِـرنـي عـن قـلـبِـه ... أَنَّـنـي يـومـاً عـلـيـهِ قَـادِرُ

١٨١ صابر عليك

وقال في القاسم بن عبيد الله:

أَقاسمُ: دَعْ قَدْرِي وما يستحقُّه، ... وقـدرُكَ فارفعْهُ، فما مِثْلُه قَدْرُ
أَأَغْدُو وأَمري لا يَسُوءُ مُنافِسي ... وأمـرُك أمـرٌ لا يـعـارِضُـه أمـرُ؟
وقد أَمَّلَتْكَ النفسُ بعدَ تَحوُّمٍ؛ ... لَأَبْرَدُ من هذا على قلبيَ الجمرُ
عرضْتُ على نفسي الغِنَى منكَ تارةً ... ومِنِّيَ أخرى، والغِنى مِنِّيَ الصبرُ
فمَالتْ إلى نَيْلِ الغِنى منكَ، إنه ... غِنَىً خالصٌ، والصَّبْرُ قِدْماً غنىً فَقْرُ
وأُقسِمُ إنْ لمْ تُغْنِنِي أَهْنَأَ الغِنَى ... لأَمتَطِيَنَّ الصبرَ إذْ حَرَنَ الدهرُ
ألا فامتَعِضْ من قَوْلَتِي لكَ عندَها: ... رَوِيتُ بِرِيقِي حينَ أَظْمَأَني البحرُ

١٨٢ يا من كنت أنتظره

وقال يرثى خاله علان:

أَعِلَّانُ: مَنْ يُصْغي لِسَمْعِ شَكِيَّتي ... وأُصْـغـي إلـى مَـردُودِهِ وحِـوَارِهِ؟
ومن ذا يُحَامي عن ذِماريَ غائباً ... أشـدَّ مُـحَـامَـاةِ امْـرِئٍ عـن ذِمَـارِهِ؟

حماية الذمار: حماية النفس والشرف

ومن ذا تَظَلُّ النفسُ عندَ مغيبِه ... مُـعَـلَّـقَـةً آمـالُـهـا بـانـتـظـارِهِ؟
سَقَى الغيثُ مَيْتاً خُطَّ بالدَّيْرِ قبرُه ... فَـوارَاهُ، إلَّا سُـؤْدَداً لـم يُـوَارِهِ

١٨٣ خصيمك الله

وقال يرثي يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

يا قاتلَ ابنِ عليٍّ وابنِ فاطمةٍ: تَبّاً لِسَعيِكَ في الإيرَادِ والصَّدَرِ
بِأيِّ وجهٍ تُلاقي اللّهَ معتَذراً جَلَّتْ خطيئتُكَ العظمَى عن العُذُرِ
خَصِيمُكَ اللّهُ، فانظُرْ كيفَ تَخْصِمُهُ بل أنتَ أَدْحَضُ خَصْمٍ، فُوكَ لِلْحَجَرِ
لو شاركَتْكَ بنو حَوّاءَ في دمِهِ لَكُبْكِبُوا يا ابنَ بنتِ النارِ في سَقَرِ

كُبكبوا: أُسقطوا على وجوههم

١٨٤ سمعاً للشيب وطاعة

ألا أيُّهذَا الشيبُ سمْعَاً وطاعةً فأنتَ المُنَاوِي، ما علمتُ، المظَفَّرُ

المناوئ: الخصم

أبَى الخِطْرُ والحِنَّاءُ حَرْبَكَ، إنَّه بَدا لهُمَا، لا شَكَّ، أنْ سوفَ تظهَرُ

الخطر: نبات يُختَضَب به، تظهر: تنتصر

إذا كنتَ تَمْحُو صِبْغَةَ اللّهِ قادراً فأنتَ على ما يَصْبغُ الناسُ أَقْدَرُ

١٨٥ قصار الأيام

خُذْ نصيباً من عَيْشِكَ المُسْتَعارِ قبلَ ليلٍ مُصَرَّفٍ ونهارِ
فكأنْ قد سَفَتْ عليكَ السَّوَافي في بطونِ المُلَمَّعَاتِ القِفَارِ

سفت السوافي: رمت رملها الرياح، الملمعات: الصحارى اللامعة بالسراب

يا قِصَارَ الأيامِ! مُتِّعْتُ لو كنـ ـتِ قِصاراً مَوْصُولَةً بِقِصَارِ

١٨٦ ضد الأناة

عَيْبُ الأَناةِ، وإن كانتْ مُبارَكَةً، أنْ لا خُلُودَ، وأنْ ليسَ الفتَى حَجَرا

التسويد: أ. عبد الرحيم

١٨٧ رنات المثاني

لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان بن وهب، ونسبت الأبيات لغيره:

إذا أبـو قـاسِـمٍ جـادَتْ لـنـا يَـدُهُ   لم يُحْمَدِ الأَجْوَدَانِ: البحرُ والمطرُ
ولـو أضـاءَتْ لـنـا أنـوارُ غُـرَّتِـهِ   تَضاءَلَ النَّيِّرانِ: الشمسُ والقمرُ
وإنْ مَـضَـى رأيُـه أو حَـدُّ عَـزْمَـتِـهِ   تَأَخَّرَ الماضِيانِ: السيفُ والقدرُ
منْ لم يَبِتْ حَذِراً من خوفِ سَطْوَتِهِ   لم يَدْرِ ما المُزْعِجانِ: الخوفُ والحذرُ
كـأَنَّـه وزِمـامُ الـدَّهْـرِ فـي يـدِهِ   يَرَى عَوَاقِبَ ما يَأتي وما يَذَرُ

كأنه يمسك بيده زمام الزمن، فلذا يعرف نتائج الأمور قبل حدوثها لحكمته وحصافته

١٨٨ كانون في تموز

وقال في مغنية:

زَمْـهَـرِيـرٌ غِـنـاؤُهـا يَـدَعُ الـمَـحْـ   ـرورَ فـي مِـثْـلِ حـالـةِ الـمَـكْـزُوزِ

المكزوز: المصاب بالكزاز وهو التشنج من البرد. الديوان يريدها «مكروز»، أو «مكنوز»، ولكن «مكروز» هذه لم ألقها في اللسان، ولا في تاج العروس، و«المكنوز» بعيدة

كـمْ مَـشُـوقٍ إلـى الـشـتـاءِ دَعَـاهَـا   فَـأَرَتْـهُ كَـانُـونَ فـي تَـمُّـوزِ

١٨٩ اغتنم الفرصة

ماطَلْتَ بِاللَّهْوِ والأَيَّامُ تَنْتَجِزُ   فَنَلْ مِنَ اللَّهْوِ حَظّاً قبلَ تُحْتَجَزُ
لا تَتْرُكَنْ بينَ طَوْرَيْ لَذَّةٍ خَلَلاً   إنَّ الشبابَ وأيَّامَ الصِّبا نُهَزُ

١٩٠ مساوئ الإيجاز

وحديثُها السحرُ الحلالُ لو انَّها   لم تَجْنِ قتلَ المسلمِ المُتَحَرِّزِ

المتحرز: المتقي الوقوع في الإثم

إن طالَ لَمْ يُمْلِلْ، وإنْ هِيَ أَوْجَزَتْ   وَدَّ الـمُـحَـدَّثُ أنَّـهـا لـم تُـوجِـزِ

١٩١ كلنا لها

أَبَتْ نَفسِي الهَلَاعَ لِرُزْءِ شيءٍ   كَفَى شَجْواً لِنفسِي رُزْءُ نَفسي

أَتَهْلَعُ وَحْشَةً لِفِراقِ إلْفٍ وقد وَطَّنْتُها لِحُلولِ رَمْسِ؟

١٩٢ قمر يقبل شمساً

ومُهَفْهَفٍ تَمَّتْ مَحاسِنُهُ حتى تَجاوَزَ مُنْيَةَ النَّفْسِ

مهفهف: الضامر البطن

أَبْصَرْتُهُ والكأسُ بينَ فمٍ منهُ وبينَ أَنامِلٍ خَمْسِ

فَكَأَنَّها وكَأَنَّ شارِبَها قمرٌ يُقَبِّلُ عارِضَ الشمسِ

عارض: خد

١٩٣ فراسة المستجدي

وقال في أبي المهند بن عيسى بن شيخ:

لا تَقْصِدَنَّ لِحَاجَةٍ إلَّا امْرَأً فَرِحاً بِنفسِهْ

أَنَّى يُسَرُّ بِمَدْحِهِ من لا يُسَرُّ بِضَوْءِ شمسِهْ؟

أم كيف يَهْتَزُّ امرُؤٌ غَرِضٌ بِمُهْجَتِهِ وعِرْسِهْ

غرض: سائم من السأم

نَكِّبْ، هُدِيتَ، مِنَ الرِّجا لِ يُوَقَّ جِدُّكَ جُلَّ تَعْسِهْ:

نكب: تجنب

مِمْراضَهُمْ وذَميمَهُمْ وقَريبَهُمْ مِنْ وِرْدِ رَمْسِهْ

قريبهم من ورد رمسه: القريب من القدوم على قبره

سَخِطَ الإلَهُ على أولـ ـئِكَ، إنَّهُمْ من شَرِّ غَرْسِهْ

لَلنَّجْمُ أقرَبُ منهُمُ مِنْ كَفِّ مُلْتَمِسٍ ولَمْسِهْ

١٩٤ لا أرى لك تجلسُ

وقال يهجو دبسا:

إن كان أنفُكَ هكذا فالفيلُ عندكَ أَفْطَسُ

وإذا جلستَ على الطَّريـ ـقِ، ولا أرى لك تجلسُ

هذه الـ «ولا أرى لك تجلس» من أمتع ما يكون. يعني يقول لك: ورأيي أن لا تجلس. وهي جملة ألصقها الشاعر لكي يصل إلى القافية فكانت تحفة من التحف

قيلَ: السلامُ عليكُما فتُجِيبُ أنتَ، ويَخْرَسُ

١٩٥ اصبغ كل ثلاث

وقال في الخضاب:

رأيْتُ خِضابَ المرءِ عِندَ مشيبِه حِداداً على شَرْخِ الشبيبةِ يُلْبَسُ

شرخ الشبيبة: أولها

وإلَّا فمَا يُغْرِي امْرَءاً بِخِضَابِهِ أَيَطْمَعُ أنْ يَخْفَى شَبابٌ مُدَلَّسُ؟

مدلس: مزور

وكيف بِأَنْ يَخْفَى المشيبُ لِخَاضِبٍ وكلَّ ثَلاثٍ صبحُهُ يَتَنَفَّسُ

كل ثلاثة أيام ينمو الشعر بما يسمح بظهور البياض في أصوله

وهَبْهُ يُوَارِي شَيبَه، أينَ مَاؤُهُ وأينَ أديمٌ للشبيبةِ أَمْلَسُ؟

التسويد: أ. عبد الرحيم. قد فررت من تسويد البيت لأن قليل شَعري أبيض، وسوده صديقي ومصححي أحمد لأن غزير شَعره أسود

١٩٦ رثاء قصيدة

وقال يهجو صاعدا وابنه العلاء «أبا عيسى»، ويرثي داليته فيهما:

قلتُ دالِيَّةً أعانَتْنِيَ الجِنُّ ـ عليها، لا شكَّ، دونَ الأَنيسِ

مَادحاً صَاعِداً بها، وعَلاءً مُطْنِباً في الخَسيسِ وابنِ الخَسيسِ

يا لَهَا حُلَّةً نَسِيجَةَ وَحْدٍ لم يكنْ حظُّهَا سِوى التَّدْنيسِ

يا لَهَا حِلْيَةً أُجِيدَتْ لِشَمْطَا ءَ، وأخرى مُبِينَةِ التَّقْويسِ

صَاعِدٍ وابنِه، ومَا لِلْخَسِيسَيْـ ـنِ ولِلْمَدْحِ بِالكلامِ النَّفِيسِ؟

لاحَظَاها بِغَيْرِ عَيْنَيْ سُلَيْمَا نَ فلم يَصْبُوَا إلى بِلْقِيسِ

رأيا القصيدة بعيون لا تفهم الشعر فلم يصبوا إليها (يُفتنا بها)

وكذا الخَنْدَرِيسُ: تُضْحِي وتمسي آفَةَ العقلِ غيرِ ذي التَّأْسِيسِ

الخندريس: الخمر

ذاتُ طَعْمٍ ومنظرٍ ونَسيمٍ وحُمَيَّا وهِزَّةٍ ورَسيسِ

الخمر لها طعم ومنظر ورائحة، وحميا (طُغيان)، وهزة (تهز المرء وتحركه للكرم) ورسيس (أثر باق)

حُكْمُها في العقولِ تَذْكِيَةُ الأَقْـ ـوى، ورَمْيُ الضعيفِ بالتَّهْوِيسِ
التذكية: التقوية، فشارب الخمر إذا كان عاقلاً أصبح أعقل وأهدأ وإذا كان سفيهاً ازداد سفاهة على السكر

لم يكنْ آفَةُ القصيدةِ إلَّا ذاكَ، فاترُكْ مَقَالَ ذي التَّلْبيسِ
التلبيس: التخليط

ظَلَمَ الشعرُ صاعداً، وكذاكُمْ ظَلَمَتْهُ الملوكُ بالتَّفْريسِ
فراسة الملوك أخطات في الرجل، فهو غير جدير بالمناصب

ومن النُّكْرِ حَوْكِيَ المَدْحَ فيهِ وَهْوَ أَوْلَى بِالوَطْءِ والتَّضْريسِ
التضريس: العض بالإضراس

لم يكنْ صَاعِدٌ مَكَاناً لِمَدْحِ لا، ولا مَوضِعاً لِقَوْدِ خَمِيسِ
خميس: جيش

١٩٧ الأكف اللوامس

وقال يهنيء عبيد الله بن عبد الله بولاية وليها:

ألم تسأَلِ اليومَ الظِّبَاءُ الكَوَانِسُ: متى ظَعَنَتْ أشبَاهُهُنَّ الأَوَانِسُ؟
الكوانس: القابعة في الكِناس وهو بيت الظبي، ظعنت: رحلت، الأوانس: الآنسات

لَرُبَّتَ يوم قد جَلاهُنَّ لي ضُحَىً ولِلأرضِ من وَشْيِ الرَّبيعِ مَلابِسُ
خَرَجْنَ يُبَارِينَ الربيعَ وروضَهُ بمَا هُنَّ من تلكَ البُرُودِ لَوابِسُ
بُدورٌ وكُثْبَانٌ تُوَاصِلُ بينَها غصونٌ رَوِيَّاتُ المُتونِ مَوَائِسُ
البدور: وجوههن، والكثبان: أردافهن، ويصل بين هذه وتلك قدود كالغصون والمتون رويات موائس (الظهور ممتلئات ومتمايلات)

غُصونٌ غَذَاهُنَّ النعيمُ بِمَائِهِ ولم يَسْقِهِنَّ الماءَ في الأرضِ غارِسُ
حَمَلْنَ ثُدِيّاً لم يَجُدْنَ بِدَرَّةٍ ولم تَبْتَذِلْهُنَّ الأكُفُّ اللَّوَامِسُ
هذه الغصون تحمل من الثمار أثداء لم تعط درة (حليباً) ولم تعبث بها الأيدي

١٩٨ جرذان في حلقه

ولقدْ تَرَبَّعَ، لا تَرَبَّعَ بعدَها، وغَدا يَتِيهُ بِعُودِهِ مُتَقاعِسَا
متقاعساً: دافعاً صدره للأمام

وكـأنَّ جُـرْذَانَ الـمَـحَـلَّـةِ كـلَّـهـا　　في حَلْقِهِ يَقْرِضْنَ خُبْزاً يـابَـسَا
كأن كل جرذان الحارة قاعدة في حلقه تقرض الخبز اليابس، كذا صوته

١٩٩ صداقة مؤقتة

مـودَّةُ إِخْـوَانِ الـنـبـيـذِ سُـلافَـةٌ　　يَبُولونَها عندَ انقضاءِ المجالِسِ
فـبَـيْـنَـا نَـراهُـمْ أهـلَ إِلْـفٍ وأُثْـرَةٍ　　وبَيْنَا نَرَاهُمْ بَيْنَهُمْ حربٌ دَاحِسِ
الأثرة: المكرمة

فـأَمَّـا إذا نَـاديْـتَـهُـمْ لِـمُـلِـمَّـةٍ　　فَنَادِ التَّصاويرَ التي في الكنائِسِ
ملمة: حادثة

٢٠٠ المطربة الصاعدة

وقال يهجو كنيزة:

رِيحُـهـا، وَهْـيَ حَـيَّـةٌ، رِيحُ مَـيْـتٍ　　بَـاتَ في الـقـبـرِ، ثـم أَبْـدَاهُ نَـبْـشُ
عُــوِّضَــتْ مــن ذَوَائِـبٍ وقُــرونٍ　　حَـمْـلَ أنـفٍ فـيـهِ لِفَـرْخَـيْـنِ عُـشُّ
بدل أن يكون لها خصلات شعر لها أنف كبير

وتُـغَـنِّـي فَـتُـورِثُ الـسَّـمْـعَ وَقْـراً　　فَـعَـلَـيْـهـا لِـمَـنْ تَـغَـنَّـتْـهُ أَرْشُ
الوقر: ثقل السمع، أرش: دية العضو

تَـدَّعِـي غُـنَّـةَ الـشـبـابِ، ويَـأْبَـى　　ذاكَ صَـوْتٌ لَـهـا جَـرِيـشٌ أَجَـشُّ
فـإذا رَقَّـقَـتْـهُ بـالـجَـهْـدِ مـنـهـا　　خِلْتَ في حلقِهـا شَـعيراً يُجَشُّ
تَـتَـنَـاغَـى وَعُـودَهـا بِـنَـهِـيـقٍ　　كـنـهـيـقِ الـحـمـارِ نَـاغـاهُ جَـحْـشُ

٢٠١ مقارنة

وقال في خالد القحطبي:

يـا مُـسْـتَـقَـرَّ الـعـارِ والـنَّـقْـصِ　　أَغْـنَـتْ مَـخَـازِيكَ عـن الـفَـحْـصِ
أنـتَ الـذي لـيـسـتْ لِـسَـوْآتِـهِ　　ولا لِـنُـعْـمَـى الـلّـهِ مـن مُـحْـصِ
المحصي: الذي يعد ويحصي

مَـعـايِـبُ الـنـاسِ وسَـوْآتُـهُـمْ　　قد جُمِعَتْ لي منكَ في شَخْصِ

٢٠٢ إغضاء، لكن لأمر الله

وقال يعزي:

تَعَزَّ عنِ الماضي وإنْ هَصَرَتْ بِه ... يدُ الدهرِ غُصْناً من غُصونِكُمُ غَضَّا

الماضي: الذاهب الذي مضى ومات، هصرت الغصن: كسرته، غض: طري

وكنْ ماجداً لم يُغْضِ عندَ هَضِيمَةٍ ... فلمَّا أَحَبَّ اللّهُ إغضاءهُ أَغْضَى

يغضي: ينصاع، هضيمة: ظلم/تسويد: أ. عبد الرحيم

وعُدَّ الذي أَضْحَى الزمانُ استَرَدَّهُ ... لدَى اللّهِ كَنْزاً لا يُضَيَّعُ أو قَرْضَا

٢٠٣ حبذا الحقد

وما الحقدُ إلَّا تَوْأَمَ الشكرِ في الفَتى ... وبعضُ السَّجَايا ينتَسِبْنَ إلى بَعْضِ

فحيثُ تَرَى حِقْداً على ذي إساءَةٍ ... فَثَمَّ ترى شُكراً على حَسَنِ القَرْضِ

ثَمَّ: هناك

إذا الأرضُ أَدَّتْ رَيْعَ ما أنتَ زَارِعٌ ... مِنَ البَذْرِ فيها فَهْيَ نَاهِيكَ من أَرْضِ

٢٠٤ مقراض الأعراض

وقال في سوار بن أبي شراعة:

وما تَكَلَّمْتَ إلَّا قُلْتَ فاحِشةً ... كأنَّ فَكَّيْكَ لِلأعراضِ مِقْرَاضُ

المقراض: المقص. سيأتي ابن عُنَيْن بعد ثلاثمئة سنة ليسمي قصيدته الهجائية الكبرى «مقراض الأعراض»

٢٠٥ العرض والجوهر

وقال في صاعد:

دَعْ صاعِداً يقتَني الدنيا وزِبْرِجَها ... في العِلْمِ باللّهِ مِمَّا نَالَهُ عِوَضُ

زبرجها: زينتها

ما بَالُ مَنْ جَوْهَرُ الأشياءِ قُنْيَتُهُ ... يَأْسَى ويَحْسُدُ قوماً حَظُّهُمْ عَرَضُ

قنيته: ممتلكاته، يقول: مالي وأنا أملك الجوهر وهو المعرفة بالله، أحسد من كان حظهم امتلاك العرض (الشيء المادي الزائل)

أَلَيْسَ جُرْماً تَنَاسي المَرْءِ خَالِقَهُ   إذا أُلِيحَتْ له الأَذْهَابُ والفِضَضُ؟

أليحت الأذهاب والفضض: أخذت تلوح وتبدو لعينيه نقود الذهب والفضة

لو آمنتْ أَنْفُسٌ باللَّهِ ما شُغِلَتْ   عنهُ بِمَا ليس في فِقْدَانِه مَضَضُ

٢٠٦ الهارب من نفسه

وقال يهجو ابن فراس:

فتىً ما زالَ يَنْهَضُ لِلمخَازي   وليس له إلى العلياءِ نَهْضُ

ولؤمُ الناسِ طولٌ دونَ عَرْضٍ   ولكنْ لُؤْمُه طولٌ وعَرْضُ

تَعَادَى كلُّ شيءٍ منه لُؤْماً   فَبَعْضٌ منه يَهْرُبُ منه بَعْضُ

٢٠٧ ما الذي جاء بك؟

وقال يهجو ابن خنساء صاحب الطائي:

نُبِّئْتُ أنَّ ابنَ خَنْسَا   ءَ قد تَنَاوَلَ عِرْضِي

وقالَ قومٌ: عَهِدْنَا   كَ لا تُرَامُ فتُغْضِي

ترام: تُقصَد، أي تقصد بشر، تغضي: تتجاهل الأمر

خُذْهَا فَقَصْرُكَ منها   شَتْمٌ سيبقَى وتَمضِي

خذ هذه القصيدة وقصرك (حظك) منها شتم سيظل باقياً بعد موتك

وقد هَجَمْتَ لَعَمْري   فانظرْ إلى أين تُفْضِي

٢٠٨ إما مالك وإما عرضك

يا من يَتِيهُ بِمَوْعِدٍ لم يَقْضِهِ   ذُقْ غِبَّ صَوْلَةِ شاعرٍ لم تُرْضِهِ

يا من يفتخر بموعد (وعد) لم ينجزه، ذق غب (عاقبة) صولة (هجمة) شاعر لم ترضه

قَصَدَتْ سِهَامُ الشِّعْرِ غُرَّةَ مالِه   فَأَصَبْنَ دونَ المالِ غُرَّةَ عِرْضِهِ

قصد سهم شعري أن يصيب ماله (أن أنال عطاءه)، فبخل فأصبت عرضه بالشتم

ما مرَّ مِنْ يومٍ عليهِ وليلةٍ   إلَّا وبعضُ غلامِهِ في بَعْضِهِ

٢٠٩ كرش المطربة

قَيْنَةٌ مَلعونَةٌ من أجلِها رفضَ اللهوَ معاً مَنْ رَفَضَهْ
تَضغطُ الصوتَ الذي تشدُو به غُصَّةٌ في حلقِها مُعْتَرِضَةْ
فإذا غَنَّتْ بَدَا في جِيدِها كلُّ عِرْقٍ مثلَ بيتِ الأَرَضَةْ

الأرضة: سوسة الخشب

يَتَجافَى عودُها عن سَخْلَةٍ أبَداً في بطنِها مُرْتَكِضَةْ

عودها يبتعد عن جسمها لأن بطنها كبير فكأن فيه سخلة (شاة) مرتكضة (متحركة كحركة الجنين في بطن أمه)

٢١٠ بإذن الله

إذا أَذِنَ اللَّهُ في حَاجَةٍ أَتَاكَ النَّجَاحُ بِهَا يَرْكُضُ

٢١١ قوس قزح

وساقٍ صَبيحٍ للصَّبُوحِ دعوْتُه فقامَ، وفي أجفانِه سِنَةُ الغَمْضِ
يطوفُ بكاساتٍ علينا كأنْجُم فمِنْ بينِ مُنْقَضٍّ ومِنْ غيرِ مُنْقَضِّ
وقد نَشَرَتْ أيدي الجَنوبِ مَطارِفاً على الجوِّ دُكْناً وَهْيَ خُضْرٌ على الأرْضِ

ريح الجنوب كأنها نشرت مطارف (أثواباً) تكون داكنة في الجو (سحاباً قاتماً) وتصبح خضراء إذ تمس الأرض (عشباً)

يُطَرِّزُها قَوْسُ السَّحابِ بِحُمْرَةٍ على أخضرٍ في أصفرٍ وَسْطَ مُبْيَضِّ

والتطريز على هذه الأثواب قوس قزح

كأَذْيَالِ خَوْدٍ أقبَلَتْ في غَلائِلٍ مُصَبَّغَةٍ، والبعضُ أقصرُ مِنْ بَعْضِ

قوس قزح مثل ذيل ثياب الخود (الفتاة) التي أقبلت في غلائل (أردية) مصبوغة بألوان شتى، وهي متفاوتة في طولها

٢١٢ مسمار المقص

وقال يصف ساعية بين الرجال والنساء:

تسعَى لِكَيْ تجمعَ وَسْطَيْهِمَا كأنَّها مِسْمَارُ مِقْرَاضِ

هذه المرأة تسعى لجمع وسطي الشاب والفتاة، فكأنها مسمار المقص

٢١٣ لا يصلحون لمدح ولا لذم

أَيِسْتُ مِنْ دهري ومن أَهلِه ... فليس فيهِمْ أحدٌ يُرْضَى
إن رُمْتُ مدحاً لم أَجِدْ أهلَه ... أو رُمْتُ هَجْوَاً لم أَجِدْ عِرْضَا

٢١٤ المطربة العتيقة

وقال في شنطف:

أقسمتُ أنْ لو كانَ لي أنفُها ... قَطَطْتُ من خُرْطُومِهِ قَطَّةْ
كأنَّما خِلْقَتُها نِقْمَةٌ ... مُنْزَلَةٌ تَقْدُمُها سَخْطَةْ
قَمِيئَةُ الخَلْقِ على أنَّها ... أَعْتَقُ في الدُّنيا من الحِنْطَةْ

قميئة: قصيرة

٢١٥ بدا الشيب

بَدَا الشيبُ إلَّا ما تُدَاوي المَواشِطُ ... وفي وَضَحِ الإصْباحِ لِلَّيْلِ كَاشِطُ
وحَظُّ أخي الشيبِ المُسَوِّدِ شَيْبَهُ ... مَقَالَةُ أهلِ الرُّشْدِ: غَاوٍ مُغَالِطُ
يُخَادِعُ بالإفْكِ النِّسَاءَ عَنِ الصِّبا ... وهل بينَ لونِ الإفكِ والحقِّ غَالِطُ؟
فلا كُلَفُ التَّسْوِيدِ تُحْذِيهِ حُظْوَةً ... ولا مُؤَنُ التَّزْويرِ عنه سَوَاقِطُ

تحذيه: تمنحه، مؤن: تكاليف

٢١٦ هارموني الرذيلة

وقال يهجو خالداً القحطبي:

نِمْتَ عَنْ عِرْسِكَ الحَصَانِ إلى الصُّبْـ ... ـحِ، وبَاتَتْ بِرَاكِبِ الليلِ تَمْطُو

عرسك: زوجتك، الحصان: العفيفة، تمطو: تسير

تُسْمِعَانِ الأَصَمَّ صَوْتَيْنِ شَتَّى: ... هِيَ في نَخْرَةٍ، وأَنْتَ تَغُطُّ

٢١٧ لغيرك تمتشط

وقال في إبراهيم البيهقي:

تُرَاعِي سِقاطَ المُنْشِدِينَ، ولا تَرَى ... سِقاطَ التي أَضْحَتْ لِغَيْرِكَ تَمْتَشِطْ

تلاحق أغلاط الشعراء، ولا تلاحق غلط زوجتك التي تتزين لعشاقها

٢١٨ فضل قيراط

وقال في أبي حفص الوراق:

بُؤْساً لِقَومٍ تَحَدَّوْني بِجَهْلِهِمُ والجهلُ يُورِطُ قوماً شرَّ إيراطِ
هَبْهُمْ أَدَلُّوا على حِلْمي؛ أما عَلِمُوا أنَّ القَوافيَ لا تَرْضَى بإسْخَاطي؟

أدلوا على حلمي: تعشموا أن أغفر لهم

قالوا: أَتَشْتُمُ مجنوناً؟ فقلتُ لَهُمْ: لا بُدَّ لِلْمَسِّ من كَيٍّ وإسْعَاطِ

المس: الجنون، الإسعاط: إدخال بعض الأدوية من الأنف

عندي دواءُ أبي حَفْصٍ ورُقْيَتُهُ إن كان ذلك أعْيَا طِبَّ بُقْرَاطِ
قد كان أجْدَى عليهِ من مُشَاتَمَتي شُغْلٌ يَرُدُّ عليهِ فَضْلَ قِيراطِ

٢١٩ هيهات

هَبَّتْ لِوَهْبٍ ريحُ سُوءٍ عاصِفٌ بارَى بِهَا شَهْرَ الرياحِ شُبَاطَا

وكان وهب بن سليمان أخرج ريحاً في حضرة وزير وعيب بذلك

لو أنها هبَّتْ خِلالَ مُعَسْكَرٍ لم يُبْقِ فيه حفيفُها فُسْطاطَا

فسطاط: خيمة

دَعْ خِدْمَةَ الخُلَفَاءِ، لا تَعْرِضْ لها وتَعَاطَ - وَيْحَكَ - غيرَ مَا تَتَعاطَى
يَحْتَاطُ لِلْخلفاءِ في سلطانِهِمْ من كان في أمرِ اسْتِه مُحْتَاطَا
يا آلَ وَهْبٍ حَدِّثُوني عنْكُمُ لِمَ لا تَرَوْنَ العدلَ والإقْسَاطَا؟

الإقساط: العدل

ما بالُ ضَرْطَتِكُمْ يُحَلُّ رِبَاطُها عَفْواً، ودِرْهَمُكُمْ يُشَدُّ رِبَاطَا؟
صُرُّوا ضُراطَكُمُ المُبَذَّرَ صَرَّكُمْ عندَ السؤالِ الفَلْسَ والقِيراطَا
أو فَاسمَحوا بِضُراطِكُمْ ونَوالِكُمْ هيهاتَ! لَسْتُمْ للنَّوَالِ نِشَاطَا

٢٢٠ خوش تشبيه

وقال يهجو الورد:

يا مَادِحَ الوردِ لا يَنْفَكُّ عن غَلَطِهْ أَلَسْتَ تُبْصِرُهُ في كَفِّ مُلْتَقِطِهْ

كـأنَّـه سُـرْمُ بَـغْـلٍ حـيـنَ يُـخْـرِجُـهُ عندَ الرِّيَاثِ وبَاقِي الرَّوْثِ في وَسَطِهْ

السرم: فتحة الدبر، الرياث: إخراج الروث

٢٢١ شاعراً ناثراً في خدمتكم

وقال في أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن سليمان يهنئه بشهر رمضان:

بَـقِـيـتُـمْ بَـنـي وَهْـبٍ فـإنَّ بـقـاءَكُـمْ صَـلاحٌ، وإنْ سـاءَ الـعـدُوَّ الـمُـغَـايِـظَـا

يدعو لهم بالبقاء

عَـجِـبْـتُ لِـقـومٍ يَـنْـفِـسُـونَ حُـظُـوظَـكُـمْ وأنـتـمْ أُنَـاسٌ تـحـمِـلـونَ الـبَـواهِـظَـا

ينفسون: يحسدون، البواهظ: الأحمال الثقيلة

ألـم تَـجِـدُونـيِ آلَ وهـبٍ لِـمَـدْحِـكُـمْ بِـنَـظْـمِـي ونَـثْـرِي أَخْـطَـلاً ثُـمَّ جَـاحِـظَـا؟

٢٢٢ داوني بالتي كانت هي الداء

وقال في إدمانه لبس العمامة:

تـعـمَّـمْـتُ إِحْـصَـانـاً لِـرأْسِـيَ بُـرْهَـةً مِـنَ الـقُـرِّ طَـوْراً والـحَـرُورِ إذا سَـفَـعْ

إحصاناً: حمايةً، القر: البرد، الحرور: الحر، سَفَعَ: لفح وصَلَى

فـلَـمَّـا دَهَـى طـولُ الـتَّـعَـمُّـمِ لِـمَّـتـي فـأَزْرَى بِـهـا بـعـدَ الـجَـثَـالَـةِ والـفَـرَعْ

لمتي: شَعري، أزرى بها: بَهدَلها، الجثالة: قوة الشَّعر، الفَرَع: غزارة الشَعْر

عَزَمْتُ على لُبْسِ العِمَامَةِ حِيلَةً لِتَسْتُرَ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ من الصَّلَعْ

فـيـا لَـكَ مِـنْ جَـانٍ عـلـيَّ جِـنَـايَـةً جَـعَـلْـتُ إلـيـهِ مِـنْ جـنـايَـتِـهِ الـفَـزَعْ

الفزع: الالتجاء

وأَعجِبْ بِشَيْءٍ كان دَائِي، جعلتُه دوائِي على عَمْدٍ، وأَعْجِبْ بِأَنْ نَفَعْ

٢٢٣ يهجو نفسه

مَن كـان يـبـكـي الـشـبـابَ مـن جَـزَعٍ فـلـسـتُ أبـكـي عـلـيـه مـن جَـزَعِ

لأنَّ وجـهـي بِـقُـبْـحِ صـورتِـه مـا زالَ لـي، كـالـمَـشـيـبِ والـصَّـلَـعِ،

أشَـبَّ مـا كـنـتُ قـطُّ أهْـرَمَ مَـا كـنـتُ، فـسـبـحـانَ خـالـقِ الـبِـدَعِ

ظل وجهي على قبح صورته، ومثله مشيبي وصلعي، ظل قبيحاً في زمان الهرم كعهده في الشباب

إذا أخذتُ المرآةَ أسْلَفَني وَجْهي، ومَا مُتُّ، هَوْلَ مُطَّلَعي

إذا نظرت في المرآة أراني وجهي سلفاً ـ ولـمَّا أَمُتْ ـ هول المطَّلَع (ما يخبره الميت مع حلول الموت)

شُغِفْتُ بالخُرَّدِ الحسانِ، ومَا يَصْلُحُ وَجهي إلّا لِذي وَرَعِ

الخرد: العذارى

كيْ يَعْبُدَ اللَّهَ في الفلاةِ، ولا يَشْهَدُ فيهِ مَشاهِدَ الجُمَعِ

الفلاة: الصحراء، يشهد فيه: أي يحضر بهذا الوجه صلاة الجمعة

٢٢٤ يوم صيد

وقد أَغْتَدي للطَّيْرِ، والطَّيْرُ هُجَّعٌ ولو أَوْجَسَتْ مَغْدَايَ ما بِتْنَ هُجَّعَا

أغتدي: أذهب صباحاً، هجع: نائمة، أوجست: خافت، مغداي: ذهابي صباحاً

بِخِلَّيْنِ تَمَّا بي ثَلاثَةَ إِخْوَةٍ جُسَومُهُمْ شَتَّى، وأَرواحُهُمْ مَعَا

أذهب مع صديقين أنا ثالثهما، وهؤلاء الثلاثة أجسامهم متفرقة، لكن أرواحهم متآلفة

بَنِي خُلَّةٍ لم يُفْسِدِ المَحْلُ بينَهُمْ ولا طَمِعَ الواشونَ في ذاكَ مَطْمَعا

بني خلة: أهل محبة، المحل: ضيق العيش

إذا ما دَعا منَّا خليلٌ خليلَه «بِأَفديكَ»، لبَّاهُ مجيباً فَأَسرَعا

كأنَّ لهُ في كلِّ عُضْوٍ ومَفْصِلٍ وجَارِحَةٍ قَلباً من الجَمْرِ أَصْمَعَا

القلب الأصمع: القلب الذكي

إذا رَنَّقَتْ شمسُ الأصيلِ ونَفَّضَتْ على الأُفُقِ الغَربيِّ وَرْساً مُذَعْذَعا

رنقت: قاربت الغروب، نفضت: نثرت، الورس: نبات أصفر، مذعذع: منتشر

ووَدَّعَتِ الدنيا لِتقضِيَ نَحْبَها وشَوَّلَ باقي عُمْرِها فَتَشَعْشَعا

شول: انحسر وتبدد، تشعشع: تفرق وانتشر

ولاحَظَتِ النُّوَّارَ وَهْيَ مَريضةٌ وقد وَضَعَتْ خَدّاً إلى الأَرض أَضْرَعا

لاحظت الشمس (رمقت) زهر النبات وهي مريضة مرض موتها وقد وضعت خدها الأضرع (المستكين) على الأرض

كما لاحَظَتْ عُوّادَهُ عينُ مُدْنَفٍ تَوَجَّعَ من أَوْصَابِهِ ما تَوَجَّعا

وهذا شبيه بعين المدنف (المريض) التي تلاحظ (ترمق) عواده (زائريه) وهو يتوجع من أوصابه (آلامه)

وظَلَّتْ عيونُ النَّوْرِ تَخْضَلُّ بالنَّدَى — كما اغْرَوْرَقَتْ عينُ الشَّجِيِّ لِتَدْمَعا

النوْر: زهر النبات، تخضل: تبتلّ، اغرورقت: غرقت بالدمع قبل أن ينحدر، الشجي: المحزون

يُـرَاعِـينَـهـا صُوراً إِلـيـهـا رَوانِـيَـاً — ويَلْحَظْنَ ألحاظاً من الشَّجْوِ خُشَّعَا

زهور النبات يراعين الشمس (ينظرن إليها) صوراً (مائلات بأعناقهن) روانياً (ناظرات)، ويلحظن (ينظرن) بنظرات خاشعة من شجوهن (حزنهن)

وبَيَّنَ إِغْضَاءُ الفِرَاقِ عليْهِما — كأَنَّهُمَا خِلَّا صَفَاءٍ تَوَدَّعا

ظهر الإغضاء (تنكيس البصر) من الطرفين (من الزهور ومن الشمس) فكأنهما خلا صفاء (حبيبان) في لحظة وداع

وقد ضَربَتْ في خُضْرَةِ الروضِ صُفْرَةٌ — من الشمسِ فاخْضَرَّ اخضِرَاراً مُشَعْشَعا

وأَذْكَى نسيمَ الروضِ رَيْعَانُ ظِلِّهِ — وغَنَّى مُغَنِّي الطيرِ فيه فَسَجَّعا

أذكى نسيمَ الروض (جعله ذكياً) رَيعانُ ظل هذا الروض (نمو الظل مع انحدار الشمس للمغيب)، وغنى من الطير من يغني بتسجيع (ترديد)

وغَرَّدَ رِبْعِيُّ الذُّبَابِ خلالَه — كما حَثْحَثَ النَّشْوانُ صَنْجَاً مُشَرَّعَا

ربعي الذباب: ذباب الربيع، حثحث: حرك، النشوان: السكران، صنجاً مشرعاً: قرصاً مرفوعاً، من تلك الأقراص التي تثبت في الأصابع ويرفع بها الراقصون والساكرون أيديهم ليزيدوا بهجتهم، ويسميها موسيقيو زمننا الكاستانييت، وأما أن أصوات ذباب ابن الرومي تشبه أصواتها فذلك ما يشي به البيت المقبل

فكانتْ أَرَانِينُ الذبابِ هُنَاكُمُ — على شَدَوَاتِ الطيرِ ضَرْباً مُوَقَّعا

وفاضَتْ أحاديثُ الفُكَاهَاتِ بيْنَنا — كأَحْسَنِ ما فاضَ الحديثُ وأَمْتَعَا

هنالِكَ تَغدُو الطيرُ ترتادُ مَصْرعاً — وحُسْبانُها المَكذُوبُ يَرتَادُ مَرْتَعا

فَظَلَّ صِحابي نَاعِمِينَ بِبُؤْسِها — وظَلَّتْ على حوضِ المنيَّةِ شُرَّعا

شُرَّعاً: واردة للشرب

طَرائِحَ من سُودٍ وبِيضٍ نَواصِعٍ — تَخَالُ أديمَ الأرضِ منهُنَّ أَبقَعا

نُؤَلِّفُ منها بينَ شتَّى، وإنما — نُشَتِّتُ من أُلَّافِها ما تَجَمَّعا

فكَمْ ظَاعِنٍ مِنْهُنَّ مُزْمِعِ رِحْلَةٍ — قَصَرْنا نَواهُ دونَ ما كانَ أَزْمَعَا

بعض الطيور كان ظاعناً (راحلاً) على عادة الطير، وقصرنا نواه (وضعنا حداً لنيته) دون ما كان أزمع (نوى)

وكَمْ قادمٍ منهُنَّ مُرْتَادِ مَنْزِلٍ   أَناخَ به مِنَّا مُنيخٌ فَجَعْجَعَا

وبعضها قادم من رحلة ومرتاد لموطنه الأصلي، وأناخ به (طرحه أرضاً) أحدنا فجعجع (انطرح يهتزّ)

٢٢٥ الأحدب

قَصُرَتْ أَخَادِعُهُ وطَالَ قَذَالُه   فكأنّه مُتَرَبِّصٌ أن يُصْفَعا

أخادعه: عروق العنق، قذاله: الرقبة من جهة الظهر، متربص: متحسّب. يقول: رقبته قصيرة من أمام، طويلة من خلف (فهو أحدب) فكأنه يتوقع أن يصفع

وكأنما صُفِعَتْ قَفاهُ مَرَّةً   فَأَحَسَّ ثانيةً لها فَتَجَمَّعا

٢٢٦ قوام الليل

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ   عن وَطِيءِ المَضَاجِعِ

هؤلاء العُبَّاد تتجافى جنوبهم (تبتعد) عن المضاجع الوطيئة (الفراش الوثير) ليقوموا الليل

كُلُّهُمْ بينَ خَائِفٍ   مُسْتَجِيرٍ وطَامِعِ

وهم إما خائف من عذاب الله وقف يستجير، أو طامع في ثوابه

تَرَكُوا لَذَّةَ الكَرى   للعيونِ الهَواجِعِ

الهواجع (النائمة)

ورَعَوْا أنْجُمَ الدُّجى   طالِعاً بعدَ طَالِعِ

لو تَرَاهُمْ إذا هُمُ   خَطَرُوا بالأَصَابِعِ

لو تراهم يخطرون بهدوء على رؤوس أصابعهم حتى لا يزعجوا النائمين

وإذا هُمْ تَأَوَّهُوا   عندَ مَرِّ القَوارِعِ

القوراع: الآيات التي تذكر يوم القارعة (القيامة)

وإذا بَاشَرُوا الثَّرَى   بِالخُدُودِ الضَّوَارِعِ

الضوارع: الضارعة لله الراجية إياه

واسْتَهَلَّتْ عيونُهُمْ   فَائِضَاتِ المَدامِعِ

استهل: بكى

ودَعَوْا: يا مَلِيكَنَا   يا جميلَ الصَّنائِعِ

أُعـفُ عـنَّـا ذنـوبَـنـا   لِـلْـوُجُـوهِ الـخَـوَاشِـعِ
أُعْـفُ عـنَّـا ذنـوبَـنـا   لِـلْـعُـيـونِ الـدَّوَامِـعِ
أنـتَ ـ إنْ لـم يَـكُـنْ لـنـا   شَـافِـعٌ ـ خـيـرُ شـافِـعِ
فَـأُجِـيـبُـوا إجـابَـةً   لـم تَـقَـعْ فـي الـمَـسَـامِـعِ:

الإجابة ضمنية وليست مما يقع في المسامع (الآذان) بل هي إحساس في قلوبهم

لـيـسَ مـا تَـصْـنَـعُـونَـه   أَوْلِـيَـائـي بِـضَـائِـعِ

٢٢٧ توبة غير نصوح

وقال في إبراهيم بن المدبر:

يا ليتَ شِعرِي لوْ سُئِلْتَ وقد   أَنْشَدْتَ مَدْحيَ فيكَ مَنْ سَمِعَهْ:
ماذا أَثَبْتَ عليهِ قائِلَهُ؟   هلْ كنتَ تَلْقَى في الجَوَابِ سَعَةْ؟
أَتُرَاكَ تُوهِمُهُمْ، إذا سَأَلوا   فَسَكَتَّ، أمراً لا تُلامُ مَعَهْ
كَتَمَ اللِّسَانُ عليكَ فاستَمَعَتْ   فِطَنٌ لِمَا جَمْجَمْتَ مُسْتَمِعَةْ

لن يقولوا لك شيئاً بألسنتهم، ولكن الفطن (العقول الفطنة الذكية) ستستمع إلى ما جمجمت (ما دار بخلدك)

قد كنتُ تُبْتُ من الهجاءِ، فإن   شَاءَ اللِّئَامُ أَعَدْتُها جَذَعَةْ

أعدتها جذعة: ولَّعتُها توليعاً

٢٢٨ طيلسان كضوء الشمس

وقال في مذهب الحمدوي:

ولي طَيْلَسَانٌ نَاحِلٌ غيرَ أَنَّه   ثَبُوتٌ لِهَبَّاتِ الرِّياحِ الزَّعَازِعِ

طيلسان: رداء، الزعازع: الشديدة. والقصيدة على مذهب الشاعر الحمدوي (ت ٢٥٠هـ) المعاصر لابن الرومي. فقد أهدى رجل يسمى ابن حرب للحمدوي رداء وظل يذكِّره به مدة طويلة فأنشأ الحمدوي قطعاً كثيرة من ألذ الشعر الساخر الهازل في وصف هذا الطيلسان/ الرداء. وأراد ابن الرومي أن يباريه فأنشأ نحواً من عشر قطع شبيهة، هذه واحدة منها

وما ذاكَ إلَّا أنه مُتَهَتِّكٌ   يُخَلِّي سبيلَ الريحِ غيرَ مُنَازِعِ

متهتك: ممزق، يسمح للريح بالدخول ولا يمنعها أو ينازعها

أَراهُ كَضَوْءِ الشمسِ بالعينِ رُؤْيَةً ... وتَمْنَعُني من لَمْسِه بالأصابِعِ

لأن الكساء اهترأ وصار رقيقاً جداً تحول إلى شيء شبيه بضوء الشمس فهو يرى بالعين ولا سبيل إلى لمسه

شَكَا ثِقَلَ اسم الطَيْلَسَانِ لِضَعْفِهِ ... فَسَمَّيْتُهُ سَاجاً، فهلْ ذَاكَ نافِعِي؟

اشتكى لي الطيلسان أن اسمه ثقيل ولا يناسب نحوله فأطلقت عليه اسم ساج (رداء منسوج)، فهل في هذا ما يخفف شكواه؟

٢٢٩ رقة شكوى سبقت دمعة

وقال في بدعة الكبرى المغنية:

يا أَيُّها السائلُ عن حَظِّها ... للناسِ جزءٌ، ولَها تِسْعَةْ

لها مَسِيرٌ في أَغانِيِّها ... تَوَسَّطَ الإبْطاءَ والسُّرْعَةْ

كأنما رِقَّةُ مَسْمُوعِها ... رِقَّةُ شَكْوى سَبَقَتْ دَمْعَةْ

المسموع: الغناء

طَفِّلْ على مَنْ حَصَلَتْ عندَهُ ... فبعضُ تَطْفِيلِ الفَتى رِفْعَةْ

طفِّل (تطفَّلْ) على الشخص الذي حصلت عنده هذه الجارية (الذي اشتراها فصارت عنده) ففي بعض التطفيل (التطفل) رفعة

تلكَ ربيعٌ فانْتَجِعْ رَوْضَهُ ... فَلَنْ يُعابَ الحُرُّ بالنُّجْعَةْ

النجعة في الأصل النزول في الموضع المعشوشب

٢٣٠ على الحالين ممدوح

فتىً إن أُجِدْ في مَدْحِهِ فَلأَنَّني ... وَجَدْتُ مجالاً فيه للقولِ واسِعا

وإنْ لا أُجِدْ في مَدْحِهِ فَلِأَنَّني ... وَثِقْتُ به حتَّى اختَصَرْتُ الذَّرائِعا

الذرائع: الوسائل

٢٣١ الأمنية المزعجة

وقال يمدح أبا ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف:

إذا المرءُ طالَتْ به مُدَّةٌ ... عَلا الشَّيْبُ مَفْرِقَهُ أو صَلِعْ

وشَيخُوخَةُ المرءِ أُمْنِيَّةٌ ... متى ما تَناهَى إليها هَلِعْ

تناهى: وصل

٢٣٢ دين لا يسترد

سُــــهــــولــــةُ الــــشَّــــرِيــــعَــــةْ

الشريعة: مورد الماء

تُــغْــنــي عــنِ الــذَّرِيــعَــةْ

الذريعة: الوسيلة

يــا ذا الــيــدِ الــمَــنِــيــعَــةْ
والأُذُنِ الــسَّــمِــيــعَــةْ
والــهِــمَّــةِ الــرَّفِــيــعَــةْ
يــا قــابِــلَ الــخَــدِيــعَــةْ

يمدحون الرجل بأنه ينخدع للناس، ويتغافل عليهم مظهراً أنه لم يعرف مرادهم، وهذا من علامات السؤدد. ولولا هذا البيت لظنناه يخاطب الله بهذه الأبيات المنهوكة

وفــاعــلَ الــبَــدِيــعَــةْ
هــل لــكَ فــي صَــنِــيــعَــةْ

صنيعة: معروف

تــجــعَــلُــهَــا وَدِيــعَــةْ؟

٢٣٣ وحدي المحروم

وقال في القاسم بن عبيد الله:

أَمِنْ بَعْدِ مَا سارَ معرُوفُكُمْ ... إلى ساكِنِ البلدِ الشَّاسِعِ
وقامَ الخطيبُ بإِحسَانِكُمْ ... على مِنْبَرِ المسجِدِ الجَامِعِ
يَشِيعُ شَقائي بِحِرمَانِكُمْ ... وشُكرِي، معَ الشَّائِعِ الذَّائِعِ؟

أي يشيع خبر حرمانكم إياي وخبر شكري لكم مع الشائع الذائع من أخبار معروفكم

٢٣٤ اللائعات تلوعها

وقال في صاعد وابنه العلاء:

جَهِدْنَاكُم مَرْياً، فَقالَ ذَوُو النُّهَى: ... لقدْ أَشْبَهَتْ أَظْلافَ شَاةٍ ضُرُوعُها

مرياً: حلْباً، ذوو النهى: العاقلون، أثداء هذه الشاة مثل أظلافها ولن ينزل منها حليب

وإنـي إذا مـا ضِـقْـتُ ذَرْعـاً بِـبَـلْـدةٍ لَـجَـوَّابُ أقْـطَـارِ الـبـلادِ ذَرُوعُـهـا
نَـكَـحْـتُـمْ بِـلا مَـهْـرٍ قَـوَافِـيَّ لَـسْـتُـمُ بِـأَكْـفَـائِـهـا، فَـالـلائِـعَـاتُ تَـلُـوعُـهـا

قوافيَّ: قصائدي، اللائعات تلوعها: المُحرقات تُحرقها

وكـانـتْ إذا أَبْـدَتْ خُـشـوعـاً فَـخُـيِّـبَـتْ أبـىَ عِـزُّهَـا أوْ يُـسْـتَـقَـادَ خُـشُـوعُـهـا

إذا خشعت قصائدي وتذللت وهي تمدح، ثم بعد ذلك لقيت الخيبة بعدم العطاء، فإن عزها سيأبى إلا أن يأخذ ثأراً مقابل الخشوع السابق

ومَنْ لم تَجِدْ في فضلِ كَفَّيْهِ مَرْتَعاً فَفِي عِرْضِهِ، لا في سِواهُ، رُتُوعُها

من لم تجد قصائدي مرتعاً في عطاء يديه، فسترتع في عرضه

تَـسَـرْبَـلْـتُـمُ الـنُّـعْـمَـى فَـطالَ عِـثَـارُكُـمْ بِـأَذْيَـالِـهـا، واسْـوَدَّ مـنـهـا نَـصُـوعُـهـا

تسربلتم: لبستم

ومـا عَـطِـرَتْ أثـوابُـهـا إذ عَـلَـتْـكُـمُ ولا حَـسُـنَـتْ فـي عَـيْـنِ راءٍ دُرُوعُـهـا

لم تتعطر أثواب النعمة عندما لبستموها، ولا كانت دروعها (أثوابها) حسنة

بَسَقْتُمْ بُسُوقَ النَّخْلِ ظُلماً، فأَبْشِروا سَتَسْمُو بِكُمْ عمَّا قَليلٍ جُذُوعُها

بسقتم: علوتم، ستسمو: ستعلو. يبشرهم بالصلب

٢٣٥ إرضاع الكبير

وقال في شنطف:

لا تـعـرفُ الـلَّـهَ، ولـكـنَّـهـا سَـجَّـادَةٌ لـلأَبْـرِ رَكَّـاعَـةْ
لـهـا حِـرٌ أَشْـمَـطُ مُـسْـتَـكْـرِشٌ شَـابَ، ومـا تَـتْـرُكُ إرْضَـاعَـهْ

حر: عضو المرأة، أشمط: مختلط سواد شعره ببياضه، مستكرش: منتفخ

٢٣٦ غودر يوماً وعِرضه قطع

وقال في ابن عروس:

أبَـا عَـلِـيٍّ لِـلْـنَّـاسِ أَلْـسِـنَـةٌ إنْ قـلـتُ قـالـوا بـهـا ولـم يَـدَعُـوا
والـبَـغْـيُ عَـوْنٌ عـلـى الـمُـدِلِّ بـه فَـاشْـنَـأْهُ، واجْـعَـلْـهُ بـعـضَ مـا تَـدَعُ

البغي (الظلم) يكون عونا على (ضد) المدل به (المرتكن إليه) فاشنأه (أبغضه) واتركه

أو لا، فَكُنْ رامِياً، وكُنْ غَرَضاً تَرمِي وتُرْمَى وتَحْصُلُ الشُّنَعُ

غرضاً: هدفاً

يا ليتَ شِعْرِي وليتَ شِعْرَكَ إنْ قلتَ وقلْنا واسْتَحْكَمَ القَذَعُ

القذع: الشتم

ما يَنفَعُ الصَّارِمَ اللِّسَانِ إذا غُودِرَ يوماً وعِرْضُهُ قِطَعُ؟

ما الذي ينفع الشَّخصَ الحادَّ اللسان إذا تمزق عرضه؟

فارجِعْ وبُقْيَا أَخيكَ بَاقِيَةٌ وانْدَمْ، وفي الحِلْمِ فُسْحَةٌ تَسَعُ

البُقيا: الإبقاء على الأرواح بعد الاشتباك في المعركة، كانت العرب تصرخ في المعركة إذا هزمت «البقية البقية» أي: أبقوا علينا ولا تستأصلونا، وصرختهم هذه تسمى البُقيا

ومَنْ هَجَا ماجِداً أخا شَرَفٍ فليس إلَّا مِنْ نَفْسِه يَضَعُ

يضع: يخفض

وكلُّ سَهْمٍ رَمَتْ يَدايَ به فليسَ إلَّا في مَقْتَلٍ يَقَعُ
أنا الذي تَحْشُدُ الرُّوَاةُ له فَكُلُّ أيَّامِ دهرِهِ جُمَعُ

٢٣٧ اللاحق بالأرض

وطويلِ القَرْنِ إلَّا أنه لاحِقٌ بالأرضِ كالقِرْدِ الجَزِعْ

الجزع: الخائف

طالَ قَرنَاهُ معاً فارتَفَعا وأَبَتْ قامَتُه أنْ ترتَفِعْ

٢٣٨ اللحية الغواصة

وقال في كبر اللحية:

ولِحْيَةٍ يحمِلُها مَائِقٌ مِثْلِ الشِّرَاعَيْنِ إذا أُشْرِعَا

مائق: أحمق، ويبدو أن لحيته كانت من ذاك النوع المقسوم نصفين

تَقُودُهُ الريحُ بها صَاغِراً قَوْداً عَنِيفاً يُتْعِبُ الأَخْدَعا

الأخدع: العنق، مسمى باسم عرق فيه

لو غَاصَ في البحرِ بِهَا غَوْصَةً صَادَ بها حِيتَانَه أَجْمَعا

٢٣٩ نادم على إراقة ماء الوجه

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنيا به من شُرورِها ... يكونُ بكاءُ الطفلِ ساعةَ يُوضَعُ

لابن الرومي قصيدة أخرى يكرر فيها مباني ومعاني هذه القطعة (انظر القطعة ٩١)

وإلّا فَمَا يُبْكِيه منها، وإنَّها ... لأَفْسَحُ مِمَّا كانَ فيه وأوسَعُ

إذا أبصرَ الدنيا اسْتَهَلَّ كأنَّه ... يرَى ما سيَلْقَى من أذَاها، ويسمَعُ

استهل: بكى

كَأَنِّي إذا اسْتَهْلَلْتُ بينَ قَوابِلِي ... بَدَا لِيَ مَا أَلْقَى بِبَابِكَ أَجْمَعُ

استهللت بين قوابلي: بكيت بين الدايات المولدات. يقول ابن الرومي إنه بكى وقت ولادته فكأنما عرف ما سيلحق به بباب هذا الأمير من ذل وهوان

وذِي بَعضُ أحوالِ النُّفُوسِ: كَأَنَّها ... تَرَى خلفَ سِتْرِ الغيبِ ما تَتَوَقَّعُ

أقُولُ لِوَجْهٍ حالَ بعدَ بياضِهِ ... وإِسْفَارِه، فاللونُ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

يخاطب شاعرنا وجهه الذي غدا أسفع مسمراً بعد بياضه وإسفاره (أشراقه)

ذُقِ الهُونَ والذُّلَّ الطويلَ عُقُوبَةً ... كذا كلُّ وَجْهٍ لا يَعِفُّ ويَقْنَعُ

وفَرْتُ عليهِ المَاءَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... ففَرَّقَ منه الحِرْصُ مَا كُنْتُ أَجْمَعُ

لقد وفرت ماء وجهي وكرامتي عشرين سنة، ففرق الحرص والطمع كل هذا وبدده

سَعَيْتُ لإيقَاظِ المَقَادِيرِ ضَلَّةً ... وما كانتِ الأقْدَارُ لو نِمْتُ تَهْجَعُ

يا لضلالي إذ سعيت لإيقاظ الأقدار، والأقدار لا تنام حتى لو نمت أنا

ولو جَهِدَ السَّاعُونَ في الرزقِ جَهْدَهُمْ ... لَمَا وَقَعَتْ إلّا بما هِيَ وُقَّعُ

٢٤٠ الإنسان الجيفة

كيفَ يَزْهُو مَنْ رَجِيعُهْ ... أَبَدَ الدهرِ ضَجِيعُهْ

رجيعه: غائطه، ضجيعه: الملازم له في الفراش؛ ذلك أنه موجود بداخل أحشائه

ليس يَخْلُو منهِ إلّا ... وقتَمَا لا يَسْتَطِيعُهْ

ثم يُلْجِيهِ إلى الحُشِّ - ... بِصُغْرٍ فَيُطِيعُهْ

الغائط يلجئ المرء إلى بيت الخلاء فلا بد أن يطيعه المرء

فإنِ استَعْصَى عليهِ ... فَهْوَ لا شَكَّ صَرِيعُهْ

فإن لم يخرج قتل الإنسان

ثـم يُـبْـدي مـنـه صَـوْتـاً وَدَّ لـو صُـمَّ سَـمـيـعُـهْ

وإن خرج خرج معه صوت يود سميعه (من يسمعه) أن يكون أصم

٢٤١ أنا استأهل

لـئِـنْ أخـطَـأتُ فـي مَـدحـِيـ ـكَ مـا أخْـطَـأتَ فـي مـنـعِـي
لـقـد أنْـزَلْـتُ حَـاجـاتـي بِـوَادٍ غـيـرِ ذي زَرْعِ

٢٤٢ خلقته تهجوه

وقال يهجو أبا إسحاق البيهقي:

قالوا: هجاكَ أبو المَزَّاقِ، قلتُ لَهُمْ: ولِمْ هَجاني؟ فقالوا: للَّذي بَلَغَهْ
لا يَهْجُوَنِّي فإنِّي لستُ هَاجِيَهُ ولا يَرى ذاكَ مِنِّي أوْ يَرَى صُدُغَهْ

يرى صدغه: يرى سالفه، وهذا مستحيل

وما امْتِهاني به شِعْري، وخِلْقَتُهُ تَهجُوهُ عنِّي، وعن غَيري بِكُلِّ لُغَهْ

٢٤٣ جبان

قال في سليمان بن عبد الله:

قِـرْنُ سُـلَـيْـمَـانَ قـد أَضَـرَّ بِـه شَـوْقٌ إلـى وجْـهِـهِ سَـيُـدْنِـفُـهُ

قرن: منازل، سيدنفه: سيجعله مريضاً من الشوق

أَعْـرَضَ عـن قِـرْنِـه، وَصَـدَّ، فَـمَـا أصـبـحَ شـيءٌ عـلـيـهِ يَـعْـطِـفُـهُ

سليمان أعرض عن خصمه، ولا يعطفه عليه (يوجهه نحوه) شيء

كـم يَـعِـدُ الـقِـرْنَ بـالـلِّـقـاءِ؟ وكـم يـكـذِبُ فـي وَعْـدِهِ ويُـخْـلِـفُـهُ؟
لا يَـعـرِفُ الـقِـرْنُ وجـهَـهُ، ويَـرَى قَـفَـاهُ مـن فَـرْسَـخٍ فَـيَـعْـرِفُـهُ

٢٤٤ رجال وحمير

هَـمُّ الـرِّجَـالِ الـعُـلا، تَـنَـافُـسُـهُـمْ فـيـهـا، وهَـمُّ الـحَـمِـيرِ فـي الـعَـلَـفِ

٢٤٥ الزمن الرديء

دهـرٌ عَـلا قَـدْرُ الـوَضِـيـعِ بـه وهـوَى الـشـريـفُ يَـحُـطُّـهُ شَـرَفُـهْ
كـالـبـحـرِ يَـرْسُـبُ فـيـه لُـؤْلُـؤُهُ سِـفْـلاً، وتَـطْـفُـو فـوقَـه جِـيَـفُـهْ

٢٤٦ عارف قدر نفسي

نـظـرتُ بِـعـيـنِ إنـصَـافٍ وعـدلٍ فَـلَـمْ أرَ قَـطُّ مـيـزانـي خَـفـيـفـا
ولـــم أَرَ هـــائِـــبـــي إلّا قـــويّـــاً ولا مُـسْـتَـضْـعِـفـي إلّا سَـخِـيـفَـا

٢٤٧ طلب الستر

وقال في الطائي:

إليكَ رَادَفْتُ عَزْمِي فوقَ نَاجِيَةٍ كالريحِ تُعْصِفُ بالرُّكْبانِ إعصَافَا

رادفت عزمي فوق ناجية: جعلت عزيمتي تركب رديفة لي فوق ناقة سريعة كالريح

سفِينَةٌ من سَفِينِ البَرِّ مُحْكَمَةٌ تَجري إذا ما اتَّخَذْتَ السَّوْطَ مِجْدَافا
جاءتْ بِعَسَّافِ أهوالٍ على ثِقَةٍ أن سوفَ تَلقَاكَ للأموالِ عَسَّافَا

عساف الأهوال: من يسير على غير هدى مخترقاً الأهوال، وعساف الأموال: الذي يفرقها بلا حساب

أَهْدَى إليكَ هَدِيَّاً مِنْ كَرائِمِهِ يَحُفُّها حَشَدُ الآمَالِ زَفَّافَا

أهدى إليك هدياً (عروساً) من كرائمه (بناته/ يعني قصيدة) وهي محفوفة بحشد زفَّاف (يزف العروس) من الآمال في العطاء

حَسناءُ مُعْجِبَةٌ للناسِ مُطْرِبَةٌ لا تَستعينُ على الإِطْرَابِ عَزَّافَا
من سَيِّدَاتِ القَوافي ما يَزَالُ لها رَاوٍ تَظَلُّ به السَّادَاتُ حُفَّافَا
أَذَالَ فيها لكَ النَّفْسَ التي لَقِيَتْ من العَفافِ وطُولِ الظَّلْفِ إقْشَافَا

ذلل نفسه في قصيدته، وكان حفظ على نفسه عفافها طويلا وعانى الظلف (خشونة العيش) والإقشاف (شظف العيش)

فَحاكَها، والذي يَبْغي كِفَايَتُهُ، وإنْ شَتَا غيرُهُ في الرِّيفِ أو صَافَا
حَوْكَ امْرِئٍ لم يَكُنْ من قَبْلُ مكتَسِباً بالشِّعْرِ سَئَّالَةً للناسِ مِلْحَافَا

تعليق أحمد عبد الرحيم: كذاب يا خيشة!

كَخَصْفِ آدمَ من أوراقِ جَنَّتِهِ ولم يَكُنْ، قبلَ ذاكَ الخَصْفِ، خَصَّافَا
كَسَاكَ من زينةِ الدنيا لِتَكْسُوَهُ من سِتْرِها، فَاكْسُهُ؛ يا خيرَ من كَافَا

كافا: كافأ

٢٤٨ أهل القريض

يمدح عبيد الله بن عبد الله:

صُنْ مديحي ومَطْلبي عن أُناسٍ　　　لم أَزَلْ عن لقائِهِم صَدَّافا
فَلْيَعِظْكَ امْرُؤٌ غدا في يَدَيْه　　　حَسَبٌ مُبْتَلىً ومَالٌ مُعافى
إنَّ أَهْلَ القَريضِ طوراً يَرِقُّو　　　نَ، وطوراً تَراهُمُ أَجْلافا
وإذا أُسْخِطُوا رَأَوْا ذَمَّ سَابُو　　　رَ، ولو كانَ يَنْزِعُ الأَكْتافا

سابور: ملك الفرس، انتصر على العرب وعاقب رؤساءهم بخلع أكتافهم

هُمْ إذا شئتَ نَحْلُ شَهْدٍ وإنْ شئـ　　　ـتَ أَفاعٍ رُقْشٌ تَمُجُّ الزُّعَافا

رقش: مرقطة، تمج الزعافا: تنفث السم الهاري

لا يَكُونَنَّ مَا سمِعْناهُ مِن جُو　　　دِكَ في كلِّ مَحْفِلٍ إرْجَافَا

الإرجاف: الإشاعات

٢٤٩ أمان لقائه بلقائه

نسبت اليتيمة البيتين لأبي أحمد الكاتب، وأوردناهما هناك سهواً، ولم نحذفهما حفاظاً على الترقيم:

قد قلتُ إذ مَدَحُوا الحياةَ فَأَكثَرُوا:　　　لِلْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلةٍ لا تُعْرَفُ
فيهِ أَمانُ لقائِهِ بِلقَائِهِ　　　وفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لا يُنْصِفُ

٢٥٠ ندم على المدح

رُدُّوا عليَّ صَحائِفاً سَوَّدتُها　　　فيكُمْ بلا حَقٍّ، ولا استِحقاقِ
ما كان مِثلي مادِحاً أمثالَكُمْ　　　لولا اتِّهامي ضامِنَ الأرزاقِ

٢٥١ الحلف الحاضر

وإني لَذُو حَلِفٍ حاضِرٍ　　　إذا ما اضْطُرِرْتُ وفي الحالِ ضِيقُ
وهلْ مِنْ جُنَاحٍ على مُرْهَقٍ　　　يُدَافِعُ باللَّهِ ما لا يُطِيقُ؟

٢٥٢ الخروج من الجنة

وكتب إلى القاسم بن عبيد الله حين خرج مع المعتضد إلى «بلد» وواقع الأعراب بها:

أُخْرِجْتُ من جَنَّتي مُفَاجَأَةً　　　آمَنُ ما كنتُ في حدائقِها

بينَا استِماعي هَديلَ هادِلِها إذْ راعَ قلبي نعيقُ ناعِقِها
فَارَقَني قَاسِمٌ لِطِيَّتِه يا لَهْفَ نفسي على مُفَارِقِها

لطيته: لشأنه

بانَ عن العينِ وَهْوَ في فِكَري أدنىَ إلى النفسِ من مُعَانِقِها
واللَّهِ لولا تَطَيُّري سَفَحَتْ عيني دَمَ القلبِ من حَمَالِقِها

حمالقها: بواطن أجفانها. يقول إنه كان سيبكي عليه دماً لولا أن هذا من دواعي التشاؤم.. فالرجل غاب ولكنه لم يمت

٢٥٣ المزاد المشقوق

وقال يصف السحاب:

مُتَهَلِّلٌ زَجِلٌ تَحِنُّ رَوَاعِدٌ في حَجْرَتَيْهِ، وتَستَطِيرُ بُرُوقُ

متهلل: لامع بالبرق، زجل: صائت بالرعد، حجرتيه: جانبيه

سَدَّتْ أوائِلُهُ سبيلَ أواخِرٍ لم يَدْرِ سائِقُهُنَّ كيف يَسوقُ

يصفه بالتكاثف فالسحابات الأولى لم تتزحزح، والسحابات القادمة إليها تتراكم فوقها، والريح التي تسوقها لا تدري أيان تذهب بها

طَفِقَتْ رَوَايَاهُ تَجُرُّ مَزَادَها فوقَ الرُّبَا، ومزَادُها مَشْقوقُ

الروايا: النياق التي يُحمل عليها الماء، مزادها: قِرْبَتها. يقول: السحاب كالجمال التي تحمل الماء داخل قِرَب وتجرها فوق الربا، وهذه القرب مشقوقة ويسيل منها الماء

وتَضاحَكَ الروضُ الكئيبُ لِصَوْبِه حتى تَفَتَّقَ نَوْرُهُ المَرْتُوقُ

صوبه: مطره، المرتوق: المخيط

٢٥٤ غرسْتني فارْوِني

تناسَيْتَ أمريِ، واطَّرَحْتَ حُقوقيِ وعادَيْتَ بِرِّي، واصْطَفَيْتَ عُقوقي

اصطفيت عقوقي: اخترت أن تجحد فضلي

أَتُغْفِلُ رَيِّي بعدَمَا قد غَرَسْتَنيِ قديماً، وسَاخَتْ في ثَراكَ عُروقي
ولاحَتْ بُروقٌ منكَ أَخْلَفَ رَعْدُها على أنني ما أَخْلَفَتْكَ بُروقي

٢٥٥ الغريق في أمواله

وقال فيمن جمع المال ومنعه من حقوقه:

ألَـم تَـرَ أنَّ الـمـالَ يُـهـلِـكُ أهـلَـه   إذا جَـمَّ آتِـيـهِ، وسُـدَّ طـريـقُـهُ

جم: كثُر، آتيه: الأتيُّ هو السيل، والآتي لعلها السيل أيضاً فهو ماء يأتي

ومـن جَـاورَ الـمـاءَ الـغَـزيـرَ مَـجَـمُّـهُ   وسَـدَّ سـبـيـلَ الـمـاءِ فَـهْـوَ غـريـقُـهُ

مجمه: كثرته

٢٥٦ أنشوطة الوهق

وقال في عبد الملك بن صالح الهاشمي، وطلب منه وصف جارية له سوداء:

يَـسْـقـي الـنَّـدَامـىَ فَـيشـربـونَ لـه   كَـشُـرْبِ فِـرْعَـوْنَ سـاعـةَ الـغَـرَقِ

أبـو سـلـيـمـانَ ذُو الإصـابَـةِ وال   إحسـانِ، وابـنُ الـملوكِ لا الـسُّـوَقِ

وَقَّـــاهُ قُـــوَّامُـــهُ قِـــيَـــامَـــهُـــمُ   وأَنْـــفَـــقَـــتْ كَـــفُّـــهُ بِـــلا فَـــرَقِ

قُوَّامه: خَدَمه القائمون على ضيوفه، فَرَق: خوف

عــلــى دِنَــانٍ كَــأَنَّــهــا جُــثَــثٌ   مـن قـومِ عـادٍ عَـظـيـمـةُ الـخِـلَـقِ

قالوا كان قوم عاد عمالقة

فــجــاءَ شــيءٌ إذا الــذُّبَــابُ دَنَــا   مــنــه دُنُــوّاً دَنــا مــن الــزَّهَــقِ

جاء من الدنان شيء هو الخمر، ولشعاعها فإذا دنا منها الذباب اقترب من الزهق، أي الموت احتراقاً

تُـدِيـرُهُ جَـوْنَـةٌ تُـحَـرِّقُ بـالـدَّ ـ   لّ إذا الـبِـيـضُ جُـدْنَ بـالـدَّمَـقِ

تدير كؤوس الخمر على الشاربين فتاة جونة (سوداء) تحرق القوم بدلالها، في حينِ الفتيات البيض يمنحن القوم الدمق (البرودة)

اختار الديوان «الرمق» بالراء، وجعل في الهامش الدمق منقولة عن إحدى النسخ. ولعل الدمق (البرودة) هي الصحيحة كي تقابل الإحراق. فالسوداء، بالنظر إلى سوادها، تحرق القوم إحراقاً جميلاً بدلالها، والبيضاء تضفي عليهم برودة، تناسب بياضها. وابن الرومي رجل عرف الثلج وحدثنا عن الثلوج الأشاهب في قصيدته البائية الكبرى (رقم ٤٦ هنا)

سَوداءُ لم تَنتَسِبْ إلى بَرَصِ الشُّـ ـ   ـقْـــرِ ولا كُـــلْـــفَـــةٍ ولا بَـــهَـــقِ

الكلفة: الكَلَف، البهق: البهاق، ابيضاض الجلد من مرض. والكلف ينزل بالبيض وحدهم، فأما هذه السوداء فلا كلف ولا برص ولا بهق

لَيسَتْ من العُبَّسِ الأكُفِّ ولا الـ ـفُلْحِ الشِّفَاهِ الخَبائِثِ العَرَقِ

العبس الأكف (الوسخي الأيدي)، الفلح الشفاه (المشقوقي الشفاه)، الخبائث العرق (المنتني رائحة العرق)

بلْ من بناتِ الملوكِ نَاعِمَةٌ تَنْشُرُ بالدَّلِّ مَيِّتَ الشَّبَقِ

تنشر: تحيي بعد موت

غُصْنٌ من الآبَنُوسِ أُلِّفَ مِنْ مُؤْتَزَرٍ مُعْجِبٍ ومُنْتَطَقِ

المؤتزر: مكان الإزار، لعله يقصد الصدر، المنتطق: مكان النطاق، الزنار، ولعله الخصر

يَهْتَزُّ مِنْ نَاهِدَيْهِ في ثَمَرٍ ومِنْ دَوَاجِي ذُرَاهُ في وَرَقِ

هذا الغصن ثمراته النهدان، ودواجي ذراه (أعاليه الداجية المسودّة أي الشعر) هي ورقه

يَفْتَرُّ ذاكَ السَّوَادُ عن يَقَقٍ من ثَغْرِهَا كالَّلآلئِ النَّسَقِ

يقق: بياض

كأنها والمُزَاحُ يُضْحِكُهَا ليلٌ تَفَرَّى دُجَاهُ عن فَلَقِ

تفرى: تفتق، والفلق: انبلاج الفجر

لها هَنٌ تَسْتَعِيرُ وَقْدَتَهُ من قلبِ صَبٍّ، وصَدْرِ ذي حَنَقِ

هن: عضو المرأة، له حرارة كأنها آتية من قلب صب عاشق أو من صدر ذي حنق (غضب)

كأنَّما حَرُّهُ لِخَابِرِهِ ما أَلْهَبَتْ في حَشَاهُ مِنْ حُرَقِ

حره لمن يختبره ـ أي ليس لي أنا ـ يشبه ما أشعلت هذه الفتاة من لهيب في قلب هذا الشخص

يَزْدادُ ضِيقاً على المِرَاسِ كما تَزْدادُ ضِيقاً أُنْشوطَةُ الوَهَقِ

المراس: الاحتكاك، أنشوطة الوهق: عقدة الحبل

لَهُ إذا مَا القُمُدُّ خالَطَهُ أَزْمٌ كأَخْذِ الخِنَاقِ بِالعُنُقِ

القمد: عضو الرجل، الأزم: العض

خُذْهَا أبا الفضلِ كُسْوَةً لكَ مِنْ حُرِّ الأمادِيحِ لا من الخِرَقِ

خذ هذه القصيدة يا أبا الفضل

وَصَفْتُ فيها الذي هَوَيْتَ على الـ ـوَهْمِ، ولم تُخْتَبَرْ ولم تُذَقِ

وصفت جاريتك بحسب طلبك وليس عن اختبار شخصي

٢٥٧ البلاء المضاعف

وقال في إبراهيم بن أحمد المادرائي:

لا تُـكْـثِـرَنَّ مـلامَـةَ الـعـشـاقِ   فـكـفـاهُـمْ بـالـوجـدِ والأشـواقِ
إن البـلاءَ يُـطَـاقُ غـيـرَ مـضـاعَـفٍ   فـإذا تـضـاعَـفَ كـان غـيـرَ مُـطَـاقِ
لا تُـطْـفِـئَـنَّ جَـوىً بِـلَـوْمٍ، إنـه   كـالـريـحِ تُـغْـري الـنـارَ بـالإحـراقِ
أَخَـذَ الإلـهُ لـنـا بـثـأرِ قـلـوبِـنـا   مـن مُـصْـمِـيـاتٍ لـلـقـلـوبِ رِشَـاقِ

مصميات: صائبات الرمي قاتلات

رَقَّـتْ مـيـاهُ وجـوهِـهِـنَّ لِـنَـاظِـرٍ   وقـلـوبُـهُـنَّ عـلـيـه غـيـرُ رِقَـاقِ
لـلـهِ إبـراهـيـمُ واحِـدُ عـصـرِهِ   مـا أَشْـبَـهَ الأخـلاقَ بـالأعْـرَاقِ
أوفَـى بـأَعْـلَـى رُتْـبَـةٍ، وتـواضَـعَـتْ   آلاؤُهُ فَـأَحَـطْـنَ بـالأعـنـاقِ

أوفى: وصل، تواضعت: انخفضت، آلاؤه: نعمه. هو عالي المنزلة وعطاياه نزلت لكي تحيط بالأعناق

كـالـشـمـسِ فـي كَـبِـدِ الـسـمـاءِ مَـحَـلُّـهـا   وشُـعَـاعُـهـا فـي سـائـرِ الآفـاقِ

٢٥٨ أحسنت

أَيُّـها البَيْهَقيُّ أحـسـنْـتَ في شعـ   ـرِكَ إحـسـانَ ذي طِـبَـاعٍ وحِـذْقِ
قَـرَّطَ الـلَّـهُ بَـظْـرَ أمِّـكَ بـالـدُّرِّ ـ   فـقـد أَنْـجَـبَـتْ بِـشـاعِـرِ صِـدْقِ

جعل الله بظر أمك محلى بقرط (حلق) من الدر

٢٥٩ فتَّتا كبدي

وقال في الفراق:

أَطْبَقْتُ للنَّوْمِ جَفْناً ليس يَنْطَبِقُ   وبِتُّ والدمعُ في خَدَّيَّ يَسْتَبِقُ
لـم يسـتَـرِحْ مَـنْ لـه عـيـنٌ مُـؤَرَّقَـةٌ   وكيف يعرِفُ طَعْمَ الرَّاحَةِ الأَرِقُ؟
مـحـمـدٌ وعـلـيٌّ فَـتَّـتـا كَـبِـدي   إذا ذَكَـرْتُـهُـمـا والـعِـيـسُ تَـنْـطَـلِـقُ

العيس: الجمال

خِلَّانِ حَلَّ بقلبي مِنْ فراقِهِما   ما كنتُ أخشى عليه قبلَ نَفْتَرِقُ
قلبٌ رقيقٌ تَلَظَّتْ في جوانِبِه   نارُ الصَّبابَةِ حتى كادَ يحترقُ

٢٦٠ عذارى

وثُـــدِيٌّ نَـــاهِــــدَاتٌ   لَــم يُـخَـضِّـدْهـا الـعِـنـاقُ

يخضدها: يهرسها

بـيْـنَـهـا حَـلْـيٌ نَـفـيـسٌ   كُـفْـؤُهُ تـلـكَ الـحِـقَـاقُ

كفؤه: تناسبه، الحقاق: علب الجواهر

فـي صُـدُورٍ سَـالِـيـاتٍ   لَـم يُـلَـذِّعْـهَـا الـفِـراقُ

٢٦١ مصداقاً لقولي

ما قلتُ فيكَ هِجاءً خِلْتُهُ كَذِباً   إلّا بَدَتْ منكَ سَوْءاتٌ تُحَقِّقُهُ

٢٦٢ حجة الزنديق

وقال يهجو إسماعيل بن بلبل:

خَفِّضْ أبا الصقرِ فَكَمْ طائرٍ   خَرَّ صريعاً بعدَ تحليقِ

زُوِّجْتَ نُعْمَى لم تَكُنْ كُفْئَهَا   فَصَانَها اللَّهُ بِتَطْليقِ

وكُلُّ نُعْمَى غيرِ مَشكورَةٍ   رَهْنُ زَوالٍ بعد تَمْحِيقِ

لا قُدِّسَتْ نُعْمَى تَسَرْبَلْتَها   كَمْ حُجَّةٍ فيها لِزِنْدِيقِ

النعمة التي تسربلتها (لبستها) كانت حجة للزنديق الذي يقول: غير عدل من الله أن يعطي النعمة لمن لا يستحقها

٢٦٣ بغيض العراق

وثقيلٍ جَلِيسُهُ في سِياقٍ   ساعةٌ منه مثلُ يومِ الفراقِ

لفظة الديوان: في سباق، ونحسبها (في سياق)، والسياق النزع والاحتضار

كَشَجا الحَلْقِ لا يَسُوغُ، ولا يُلْـ   ـفَظُ بينَ اللُّهَى وبينَ التَّرَاقي

شجا الحلق: ما يعلق بالحلق من شوك أو عظم، فلا ينزل في بلعوم ولا يلفظ، واللهى تلك اللحمة في الحلق التي تراها مبيضة بالقيح عندما تُفلْوِز، والتراقي: جمع ترقوة وهي عظمة تصل النحر بالكتف

قد قضَى اللَّهُ مَوْتَه منذُ حينٍ   واحْتَوى الموتُ نفسَه، وَهْوَ بَاقِ

لا أُسَمِّيهِ باسمِه، قد كفاني   أنه وَحْدَهُ بغيضُ العِراقِ

٢٦٤ الهجاء أحلى

يقولونَ لِي: أَلفاظُ هَجْوِكَ عندَنا ... إلى القلبِ، مِنْ ألفاظِ مدحِكَ، أَسْبَقُ
فقلتُ لَهُمْ: كِذْبٌ مَديحِيَ فِيكُمُ ... وهَجْوِي لَكُمْ صِدْقٌ، ولِلْصِّدْقِ رَوْنَقُ

٢٦٥ لطف صنعة الخلاق

وَقَفَتْ وَقْفَةً بِبابِ الطَّاقِ ... ظَبيةٌ مِنْ مُخَدَّراتِ العراقِ

مخدرات: فتيات مصونات في بيوتهن

بِنتُ سَبْعٍ وأَرْبَعٍ وثَلاثٍ ... أَسرَتْ قَلبَ صَبِّها المشتاقِ
قلتُ: من أنتَ يا غزالُ؟ فقالتْ: ... أَنا مِنْ لُطْفِ صَنْعَةِ الخَلَّاقِ
لا تَرُمْ وصلَنا فَهذَا بَنانٌ ... قَدْ صَبَغْنَاهُ مِنْ دَمِ العُشَّاقِ

وبنانها، أي أطراف أصابعها، مصبوغة بالحناء

٢٦٦ كل واشكر

يمدح المنصوري:

عِشْ في ذَرَاهُ، ودَعْ عَدَاوَتَهُ ... وأنتَ في الخُلْدِ تَرْتَعي رَغَدَكْ

ذراه: حمايته

يا مَنْ يُعَادِي السَّماءَ أَنْ رُفِعَتْ ... كُلْ خيرَها تَحتَها ودَعْ نَكَدَكْ

٢٦٧ بيتي جسد لروحي

يمدح سليمان بن عبد الله:

أَعُوذُ بِحَقْوَيْكَ العَزيزينِ أَنْ أُرَى ... مُقِرّاً بِضَيْمٍ يَترُكُ الوجهَ حَالِكا

أنا ألجأ إلى حقويك (جانبيك) حتى لا أسلّم بالظلم الذي يسوّد الوجه

ولِي وَطَنٌ آليتُ أَلَّا أبيعَه ... وأَلَّا أَرَى غيرِي له الدَّهرَ مالِكا

وطن: بيت، آليت: حلفت. يتكلم عن بيته وليس عن الوطن كما نفهمه اليوم

عَهِدْتُ به شَرْخَ الشبابِ ونِعْمَةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظِلالِكا

شرخ الشباب: أوله

فقدْ أَلِفَتْهُ النفسُ حتى كأنه ... لها جسدٌ، إنْ بَانَ غُودِرْتُ هالِكا

بيتي كالجسد لروحي، وإذا بانَ (فارَقَ) غودرتُ (تُركتُ) هالكاً

وحَبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليْهِمُ   مآربُ قَضَّاها الشبابُ هنالِكا

مآرب: حاجات

إذا ذَكَرُوا أوطانَهُمْ ذَكَّرَتْهُمُ   عهودَ الصِّبا فيها، فَحَنُّوا لذلِكا

وقد ضَامَنِي فيه لَئيمٌ وعَزَّنِي   وهَا أنا منه مُعْصِمٌ بحِبَالِكا

ضامني: ظلمني، عزني: أرغمني، معصم: متمسك

وأحْدَثَ أحْدَاثاً أَضَرَّتْ بِمَنْزلي   يُرِيغُ إلى بَيْعِيهِ منه المَسَالِكا

يريغ المسالك: يتحايل، بيعيه منه: يريد مني أن أبيعه منزلي

وراغَمَني فيما أتَى من ظُلامَتي   وقالَ ليَ: اجْهَدْ فيَّ جَهْدَ احتيالِكا

فمَا هُوَ إلَّا نَسْجُكَ الشِّعْرَ سادِراً   وما الشعرُ إلّا ضَلَّةٌ من ضَلالِكا

سادراً: سائراً على غير هدى. يقول له ذلك الجار: قصاراك أن تكتب شعراً أيها الضال

يُعَيِّرُ سُؤَّالَ الملوكِ، ولم يكنْ   بِعَارٍ على الأحرارِ مثلُ سُؤَالِكا

مُدِلّاً بِمَالٍ لم يُصِبْهِ بِحِلِّهِ   وحَقِّ جلالِ اللَّهِ ثم جَلالِكا

مدلاً (مفتخراً) بمال لم يصبه (يكسبه) بحله (حلالاً).. ثم يحلف ابن الرومي

وإنِّي، وإنْ أضحَى مُدِلّاً بِمالِه،   لآمُلُ أنْ أُلْفَى مُدِلّاً بِمَالِكا

فإنْ أَخْطَأَتْني من يَمِينِكَ نِعْمَةٌ   فَلا تُخْطِئَنْهُ نِقْمَةٌ من شِمالِكا

فَكَمْ لقِيَ العَافُونَ عَوْداً وبَدْأَةً   نَوالَكَ، والعَادُونَ مُرَّ نَكالِكا

العافون: الفقراء، العادون: المعتدون، نكالك: تنكيلك بهم

٢٦٨ اعتذار

وقال في الحسن بن عبيد الله بن سليمان:

قد أَوْبَقَتْنِي ذنوبٌ لستُ أعْرِفُها   فاجْعَلْ تَغَمُّدَها من بعضِ إحسانِكْ

أوبقتني: أهلكتني

بحقِّ مَنْ أنتَ رَاجِيهِ وخَائِفُهُ   جُدْ باغْتِفَارٍ، وأَخْمِدْ بعضَ نِيرانِكْ

وزِنْ ذُنوبِي بما أَسْلَفْتُ من حَسَنٍ   فإنَّنِي لَستُ أخشَى ظُلْمَ ميزانِكْ

٢٦٩ أما يستفزك التحريك؟

وقال في ابن حريث وجاريته بنان:

إنـمـا يَـقْـتَـنـي الـدجَـاجَـةَ دِيـكُ بِـعْ (بُـنَـانـاً) فـأنـتَ عـنـهـا غَـنِـيٌّ
مَـلَـكَـتْـهـا الـفُـحـولُ دونَـكَ يـا شيـ ـخُ جَـهَـاراً، ولـم يَـقَـعْ تَـمْـلِـيـكُ
كـلَّ يـومٍ لَـهَـا بِـغَـيـرِكَ عِـرْسٌ لَـكَ مـنـه الـدُّعَـاءُ والـتَّـبْـريـكُ

عِرس: زوج

يـا ثـقـيـلَ الـقُـرونِ، يـا جَـبَـلَ الـعَـا رِ، أَمَـا يَـسْـتَـفِـزُّكَ الـتَّـحْـرِيـكُ؟

٢٧٠ خشية التقصير

وقال في خالد القحطبي:

وكـنـتُ إذا أَنْـفَـذْتُ فـيـكَ قـصـيـدةً فأنجزْتُها، استغفرتُ ربِّي هنالِكا
فَـيَـحْـسَـبُ قَومي ذاكَ مِنِّي تَأَثُّماً؛ ومِنْ خَشْيةِ التَّقصيرِ أَفْعَلُ ذَلِكا

تأثماً: خوفاً من الإثم

٢٧١ الطويل البطيء

شهرُ القِيامِ، وإنْ عَظَّمْتَ حُرمَتَه، شهرٌ طويلٌ ثقيلُ الظلِّ والحَرَكَةْ
يمشي الهُوَيْنا، وأمَّا حينَ يَطْلُبُنا فَلا السُّلَيْكُ يُدَانِيهِ ولا السُّلَكَةْ

السليك: من عدائي العرب، والسلكة: أمه، ولها فيه مرثية محفوظة

كـأنـه طَـالِـبٌ ثَـأْراً عـلـى فَـرَسٍ أَجَدَّ في إِثْرِ مَطْلوبٍ على رَمَكَةْ

رمكة: فرس بطيئة

أَذُمُّـهُ غـيـرَ وقـتٍ فـيـه أَحْـمَـدُهُ منذُ العِشَاءِ إلى أنْ تَسْقَعَ الدِّيَكَةْ

تسقع: تصيح

وكـيـفَ أَحْـمَـدُ أَوْقَـاتـاً مُـذَمَّـمَـةً بينَ الذُّؤوبِ وبيَن الجوعِ مُشْتَرَكَةْ؟
يـا صِـدْقَ مـن قـالَ: أَيَّـامٌ مُـبَـارَكَـةٌ إن كانَ يَكْنِي عنِ اسمِ الطُّولِ بِالبَرَكَةْ

٢٧٢ سل ولا تمدح

إذا ما مَدَحْتَ المرءَ تَطْلُبُ رِفْدَهُ ولـم تَـرْجُ فـيـه الـخَـيْـرَ إلَّا بِـبَذلِـكـا

فأنتَ له أَهْجَى البَرِيَّةِ نِيَّةً وإنْ كنتَ قد أَطْرَيْتَه في مَقالِكا
وأَمْدَحُ ما تُلْفَى لِمَنْ أنتَ سائِلٌ إذا ما طَرَحْتَ المَدْحَ عندَ سُؤَالِكا

طرحت: ألغيت

وطالَبْتَ جَدْوَاهُ بِغيرِ وَسِيلةٍ كما طَالَبَتْ يُمْنَاكَ ما في شِمَالِكا

٢٧٣ يا صاحب المعالي، يا بغل

وقال في إسحاق بن دُليل:

هُوَ بغلٌ وعَدْتَنِيهِ فإنْ أَخْـ ـلَفْتَ ضَاهَتْ أخْلاقَهُ أخلاقُكْ

وأخلاق البغل على ما وصفها الجاحظ، معاصر ابن الرومي، أنه متلون وقتال لصاحبه

فاتَّقِ اللَّهَ أن يَشِينَكَ خُلْفٌ فالمَعَالي وأهلُها عُشَّاقُكْ
والقَوافي إذا طَلَبْنَكَ يوماً غيرُما مُعْجِزٍ لَهُنَّ لِحاقُكْ
لا سَلالِيمُكَ الطِّوَالُ يُنَجِّيـ ـنَكَ مِنْ سَطْوَتِي ولا أَنْفاقُكْ

٢٧٤ استعارة الكتب

وقال في أبي الحسين محمد بن أحمد المعلي، وكان قد استعار منه كتابا فضيعه:

مَنحتُكَ مِصباحاً فَأَعْشَاكَ ضَوْؤُهُ وقد كان ظَنِّي أنه سَيُرِيكَا

أعشاك: أضعف بصرك

نَسَخْتَ كِتابي ثم كَافَأْتَ نَسْخَهُ بِتَضْيِيعِهِ، أَخْلَفْتَ ظَنِّيَ فِيكَا

٢٧٥ أتاني عنك

وقال في أبي عيسى بن القنوط، وقد بلغه أنه عاب شعره:

وَثَبْتَ على الهِزَبْرِ وأنت كَلْبٌ ولم تَحْسَبْهُ يَنْشَطُ لافتِرَاسِكْ

الهزبر: الأسد

أتاني عنكَ أنكَ عِبْتَ شِعري وما زِلْتَ المُضَلَّلَ في قِياسِكْ
فقلتُ: عَسَاهُ كان به نُعَاسٌ وعِندي ما يُطَيِّرُ مِنْ نُعَاسِكْ
هِجَاءٌ إن سَكَنْتَ له تَمَادَى وإنْ شَامَسْتَ ذَلَّلَ مِنْ شِمَاسِكْ

شامست: تمردت

٢٧٦ التفسير لغيرك

وقال وقد مدح عبيد الله بن عبد الله، ونسخ القصيدة له، وفسر غريبها. وكان فعل مثل ذلك بعلي بن يحيى بن أبي منصور المنجم:

لَـم أُفَسِّرْ غَـرِيبَـهـا لَـكَ، لـكَـنْ لامْـرِئٍ يَـجـهَـلُ الـغَـرِيـبَ سِـواكَـا

غريبها: كلماتها الصعبة

غـيـرَ أنِّـي أَمَّـلْـتُ حُـظْـوَةَ شِـعـرِي حـيـنَ تَـرعَـى رِيَـاضَـهُ عَـيْـنـاكَـا

فَـشَـرَحْـتُ الـغَـرِيـبَ فـيـهِ رَجَـاءً أَنْ يُـرَوَّاهُ ذاتَ يَـومٍ فَـتَـاكَـا

٢٧٧ يا أخي!

وقال في خالد القحطبي:

أَخـالـدُ قـد عَـادَيْـتَ فِـيَّ كَـراكَـا وأَتْعَبْتَ في حَوْكِ القَرِيضِ قُوَاكَا

كراك: نومك

فَـلا تَـهْـجُـنـي إِنِّـي أَخُـوكَ لآدَمٍ وَحَـسْـبـي هِـجَـاءً أَنْ أَكُـونَ أَخَـاكَـا

٢٧٨ صدأ الذهب

وقال في ابن موسى الزمن:

أَتَـأْمُـرُ بِـالـتَّـقَـزُّزِ مِـنْ كَـلامـي وذِكْرُكَ يُصْدِئُ الذَّهَبَ السَّبِيكَا

أَتَـنْـتَـحِـلُ الـتَّـقَـزُّزَ يَـا ابْـنَ حُـسْـنٍ وحَـجَّـامُ الـقَـبـيـلَـةِ يَـمْـتَـطِـيكَـا؟

تنتحل: تدَّعي

٢٧٩ افرح بالشهرة

وقال في لحية الليف:

أَبِعَقْلِ الـمُـعَـلِّـمِـينَ يُـعَابُ الشِّـ ـعرُ؟ أَبْرِي في القَعْرِ مِنْ بَظْرِ أُمِّكْ!

لستَ عِندي إنْ عِبْتَ شِعري مَلُوماً لَـكَ عُـذْرٌ لَـدَيَّ في ضِـيـقِ عِـلْـمِـكْ

لِـقَـرِيـضـي يـا ابـنَ الـزَّوَانـي مَـعَـانٍ قَـصَّـرَتْ دونَـهَـا مَـذاهِـبُ فَـهْـمِـكْ

هُـنْـتَ عِـنديِ، فلا مَـدِيحُكَ يُـهْدِي لـي سُـروراً، ولا أُسَـاءُ بِـذَمِّـكْ

قد أَرَدْتُ الإعْـرَاضَ عنكَ احتِقاراً لَـكَ، لا أَنَّـنـي جَـنَـحْـتُ لِـسِـلْـمِـكْ

فَتَذَكَّرْتُ مُوبِقَاتِ ذُنوبي فَرَجَوْتُ الخُرُوجَ منها بِشَتْمِكْ
فاحْمَدِ اللَّهَ قد رُزِقْتَ هِجاءً بعدَ طُولِ الخُمولِ نَوَّهَ باسْمِكْ

الخمول: عدم الشهرة

٢٨٠ وحيداً على القمة

ومَنْ كَثُرَتْ في مالِهِ شُرَكَاؤُهُ غَدَا في مَعالِيهِ قليلَ المُشَارِكِ
حَبَانِي بِمَا يَغْيَا به كُلُّ رَافِدٍ وحَبَّرْتُ ما يَعْيَا به كُلُّ حَائِكِ

حبَّرت: صنعت الثوب الفاخر (من الحِبَرَة أي الثوب)

٢٨١ انظر عاقبتك

نَبْلُ الرَّدَى يَقْصِدْنَ قَصْدَكْ فَأَجِدَّ قبلَ الموتِ جَدَّكْ
قد عَدَّ قَبْلَكَ من رَأَيْـ ـتَ، ولَسْتَ تَلْبَثُ أَنْ يَعُدَّكْ
فَدَعِ البِطَالَةَ والغَوَا يَةَ جَانِباً، وعَلَيْكَ رُشْدَكْ

البطالة: اللهو والأعمال الباطلة

فَكَأَنَّني بِكَ قد نُعِيـ ـتَ، وقد بَكَى البَاكونَ فَقْدَكْ
وتَرَكْتَ منزلَكَ المَشِيـ ـدَ مُعَطَّلاً، وسَكَنْتَ لَحْدَكْ
وسَلاكَ أهلُكَ كلُّهُمْ ونَسُوا على الأيَّام عَهْدَكْ
يتَمَتَّعونَ وأنْتَ تحـ ـتَ الرَّمْسِ يَرعَى الدُّودُ جِلْدَكْ

الرمس: القبر

قد سَلَّمُوكَ إلى الضَّرِيـ ـحِ وَوَسَّدُوا بِالتُّرْبِ خَدَّكْ
كم قد دَفَنْتَ أَحِبَّةً حَلُّوا مَحَلَّ النَّفْسِ عِنْدَكْ
أُنْظُرْ إلى أَهْلِيهِمُ فَكذلكَ البَاقُونَ بَعْدَكْ

٢٨٢ لك أنثى

وقال في خالد القحطبي:

أيُّها القَحْطَبِيُّ مَا ضَرَّ نَارِي ما هَوَى في جَحِيمِها مِنْ فَرَاشِكْ
ضَحِكَتْ مِنْكَ مُحْكَمَاتُ القَوافِي حينَ عَارَضْتَ وَابِلِي بِرَشَاشِكْ

لـكَ أُنْـثـى تَـزِيـفُ فـي كُـلِّ عُـشٍّ   وتُـرَبِّـي الـفِـرَاخَ فـي أَعْـشَـاشِـكْ

تزيف: تسحب جناحيها

٢٨٣ قمة الشماتة

قال لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو أحمد:

لـو تَـسْـجُـدُ الأيَّـامُ مـا سَـجَـدَتْ   إلَّا لِـيَـوْمٍ فُـتَّ فـي عَـضُـدِكْ

فُتَّ في عضدك: أضعفت قوتُك

يَـا نِـعْـمَـةً وَلَّـتْ غَـضَـارَتُـهـا   مـا كـانَ أَقْـبَـحَ حُـسْـنَـهـا بِـيَـدِكْ

غضارتها: طيبها

لـم يَـبْـقَ لـي مِـمَّـا بَـرَى جَـسَـدي   إلَّا بَـقَـاءُ الـرُّوحِ فـي جَـسَـدِكْ

٢٨٤ البيت الأخير

قال أبو عثمان الناجم: دخلت على ابن الرومي في اليوم الذي توفي فيه، فلما قمت للانصراف قال لي:

تَـمَـتَّـعْ مِـنْ أَخِـيـكَ فـمَـا أَراهُ   يَـراكَ، ولا تَـراهُ بـعـدَ يَـوْمِـكْ

٢٨٥ المعجل والمؤجل

وقال يعاتب أبا سهل بن نوبخت:

أرى العُرْفَ شُرْباً لا يَصِحُّ صَفَاؤُهُ   إذا وَقَـعَـتْ فيـه قَـذَاةٌ مِـنَ الـمَـطْـلِ

قذاة: قشة أو وسخة، المطل: التسويف

تَـأَمَّـلْ ـ أبا سَـهْلٍ ـ بِعَيْنٍ بَصيرةٍ   ولا تَـخْلِطَنَّ الـجِدَّ في ذَاكَ بِالـهَزْلِ

أَسَخَّى عنِ الدَّارِ المُقِيمِ نَعيمُها   سوى أَنَّها شيءٌ يُنَالُ على مَهْلِ؟

هل جعلنا نسخو عن الجنة (نتنازل عنها) سوى أنها بطيئة مؤجلة؟

أمِ اخْتِيرَتِ الدُّنْيا على تِلْكَ زَوْجَةً   لِشَيءٍ سِوى تَعْجِيلِها حَاجَةَ البَعْلِ؟

٢٨٦ لا لعمري كلا

لاحَ شَـيْـبـي فَـرُحْـتُ أَمْـرَحُ فـيـهِ   مَرَحَ الطِّرْفِ في العِذَارِ المُحَلَّى

الطرف: الحصان، العذار المحلى: كمامة عيني الحصان المزركشة. وتسألني لماذا قالوا إن ابن الرومي غواص على المعاني؟

وتَوَلَّى الشبابُ، فازْدَدْتُ رَكضاً   في مَيادِينِ بَاطِلي، إذ تَوَلَّى
إنَّ مِنْ ساءَهُ الزَّمانُ بِشَيءٍ   لأَحَقُّ امْرِئٍ بأنْ يَتَسَلَّى
أَتَرَى أنْ أَسُوءَ نفسيَ لَمَّا   ساءَني الدَّهْرُ؟ لا لَعَمْريَ كَلَّا

٢٨٧ كونوا لا عليها ولا لها

وقال في آل وهب:

تَخِذْتُكُمُ دِرْعاً وتُرْساً لِتَدْفَعُوا   نِبَالَ العِدَا عَنِّي، فَكُنْتُمْ نِصَالَها
وقد كنتُ أرجُو منكُمُ خيرَ نَاصِرٍ   على حينِ خِذْلانِ اليَمِينِ شِمَالَها
فإن أَنْتُمُ لم تحفَظُوا لِمَوَدَّتي   ذِمَاماً، فَكُونُوا لا عَلَيْها ولا لَها
قِفُوا مَوْقِفَ المَعْذُورِ عني بِمَعْزِلٍ   وخَلُّوا نِبَالي، والعِدَا ونِبَالَها

٢٨٨ تثور وتبرك بحمدكم

وقال في القاسم:

آلَ وَهْبٍ هُنِّيتُمُ هِبَةَ اللـ   ـهِ، فما زِلتُمُ لَها أَشْكَالا
كم رَجَاءٍ فيكُمْ أَثَارَ جِمَالاً   وعَطَاءٍ منكُمْ أَنَاخَ جِمَالا

الراجون خيركم يثيرون جمالهم (يبعثونها من مباركها ليبدأوا رحلتهم)، وعندما يغادرون يكون عطاؤكم ثقيلاً على ظهورها ينيخها فلا تقوم إلا بمشقة

٢٨٩ مروض النحو

بلغه عن الأخفش الأصغر كلام كرهه فهجاه، فاعتذر إليه الأخفش، فقبل عذره وقال:

ذُكِرَ الأخْفَشُ القَدِيمُ فقُلْنا: إنَّ لِلأَخْفَشِ الحَدِيثِ لَفَضْلا

الأخفش القديم معلم سيبويه، والحديث صاحبنا هذا الذي كان يكثر من ممازحة ابن الرومي ويثقل عليه (ولعل ما قصده ابن الرومي بالأخفش القديم من أخذ أهل النحو يدعونه بالأخفش الأوسط، فقد جعل ابن الرومي الأخافش أخفشين فقط كما يتضح من البيت التالي)

بَدَأَ النَّحْوُ نَاشِئاً فَغَذَاهُ   أَحْدَثُ الأخْفَشَيْنِ فَانْصَاتَ كَهْلا

انصات: استقام، كهلاً: مكتمل الرجولة (والكهل في اللغة بين الثلاثين والخمسين من العمر، ويحسبه المحدثون العجوز الهرم)

وتَـعَـاصَـى فَـقَـادَهُ بِـيَـدَيْـهِ   أَحْدَثُ الأَخْفَشَيْنِ فانْقَادَ رَسْلا

تعاصى: عصلج وامتنع، رسلاً: سهلا مسترخياً

٢٩٠ التعزي بمصائب الغير

خَلِيلَيَّ قد عَلَّلْتُمَانيَ بالأَسَى   فَأَنْعَمْتُما، لو أنني أَتَعَلَّلُ

هوَّنْتما علي مصابي بالأسى (الحزن) الذي أصاب غيري

وما رَاحَةُ المَرْزُوءِ في رُزْءِ غيرِه   أَيَحْمِلُ عنه بَعْضَ ما يَتَحَمَّلُ؟

فهل المرزوء (المصاب) يستريح بمصيبة غيره؟

وضَرْبٌ منَ الظُّلْمِ الخَفِيِّ مَكَانُهُ   تَعَزِّيكَ بِالمَرْزُوءِ حينَ تَأَمَّلُ

وثمة ظلم خفي الموضع في هذا، لو تأملت: أن تجد راحة في مصيبة غيرك

٢٩١ لا تفرح بالصلح

وقال في الأخفش بعد ما صالحه:

ولا تَحْسَبَنَّ الصُّلْحَ أَنْصَلَ آلَتِي   ولا أنني في هُدْنَةِ السِّلْمِ أَغْفَلُ

أنصل: أضعف، آلتي: سلاحي

فإن هَاجَتِ الهَيْجَاءُ أو عَادَ عَوْدُها   على بَدْئِها لم يُلْفَ مِنِّيَ أَعْزَلُ

ولِي بعدَ إِعطائِي الوَثِيقَةَ حَقَّها   بَدَائِهُ لا يَخْذُلْنَني حينَ أَعْجَلُ

بدائه: جمع بديهة، ومعناها هنا: سداد الرأي عند المفاجأة

٢٩٢ ستر الصلعة

يَسُوقُ من نُقْرَتِهِ طُرَّةً   إلى مَدًى يَقْصُرُ عن نَيْلِهْ

نقرته: مؤخر رأسه، طرة: غرة، فهو يرفع شعر مؤخر الرأس ليغطي الصلعة

فَوَجْهُهُ يَأْخُذ من رَأْسِهِ   أَخْذَ نهارِ الصيفِ من ليلِهْ

يا أَيُّها الهَارِبُ من دَهرِهِ   أدرَكَكَ الدهرُ على خَيْلِهْ

٢٩٣ بالوعة العقل

تَفَرَّسْتُ في الشِّطْرَنْجِ حتى عَرَفْتُها   فإنْ صَحَّ رَأْيِي فَهْيَ بَالُوعَةُ العقلِ

البالوعة: مصرف القاذورات

إليها يُغيِضُ العقلُ ما شَابَ صَفْوَهُ   من الهَذَيانَاتِ الشَّنِيعَةِ والهَزْلِ

يُغيض: يَصُبّ. فلعب الشطرنج يلتهم أحلام اليقظة ويلتهم الأفكار السوداء ويشغل البال عن الهذيان

٢٩٤ لعاب الليل

وقال في أبي حفص الوراق:

حِبْرُ أبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ
كأنَّهُ ألوانُ دُهْمِ الخَيْلِ

دهم الخيل: الخيل السود

٢٩٥ التدرب على البخل

وقال يعاتب أبا بكر الطالقاني:

رأيتُ المَطْلَ مَيْدَاناً طويلاً   يَرُوضُ طِبَاعَهُ فيه البَخِيلُ

كأن البخيل يتدرب على البخل ويروض طبعه في ميدان التسويف

يُرَاوِدُ عن جَدَاهُ نَفْسَ سُوءٍ   تَرَى أن الجَدَا رُزْءٌ جليلُ

يراود البخيل نفسه السيئة عن الجدا (العطاء).. أي يحاول منعها من المنح

فَما هذا المِطَالُ، فِداكَ أَهلي   وباعُكَ بالنَّدَى باعٌ طَويلُ؟
أَظُنُّكَ حينَ تَقْدُرُ لي نَوَالاً   يَقِلُّ لدَيْكَ لي منه الجَزيلُ
ويُعْوِزُكَ الذي تَرْضَى لِمِثْلي   وإن لم يُعْوِزِ الرأيُ الجميلُ
وفيما بينَ مَطْلِكَ واخْتِلالي   يَمُوتُ بِدائِه الرجلُ الهزيلُ
فلا تَقْدُرْ بِقَدْرِكَ لي نَوَالاً،   ولا قَدْرِي فَتَحْقِرُ ما تُنِيلُ

لا تعين لي نوالاً (عطاء) كبيراً بقدر قيمتك، ولا عطاء ضيئلاً بقدر قيمتي

وأَطْلِقْ ما تَهُمُّ بهِ، عَسَاهُ   كَفَاني أَيُّها الرجلُ النَّبيلُ
وإلَّا فالسَّلامُ عليْكَ مِنِّي؛   نَبَتْ دارٌ فَأَسْرَعَ بي رَحيلُ
ومَنْ يَكُ من ثَنائيَ مُستَقيلاً   فإنِّيَ مِنْ جَدَاهُ مُستَقِيلُ
سَتَحْكُمُ بينَنا القُلُصُ النَّواجي   ويُبْعِدُ بينَ دَارَيْنا الذَّمِيلُ

القلص: النياق، النواجي: السريعة، الذميل: ركض الإبل

لَـجَـأْتُ إلـيْـكُـمْ فـخَـذَلْـتُـمـونـي   وضِـفْـتُـكُـمُ فـمَـا قُـرِيَ الـنَّـزِيـلُ

قري: أطعِم

وأَحْـسَـبُ أنَّ عِـرْضَـكَ عـنْ قَـلـيـلٍ   ـ أبَـا بَـكْـرٍ ـ هُـوَ الـعِـرْضُ الـفَـتـيـلُ

عن قليل: بعد قليل، الفتيل: المفتول. هل تعرف حكاية موظف المالية الذي ذهب إلى الخياط بقطعة قماش؟ هاكها: موظف محترم في وزارة المالية جاءته كوبونة (قطعة قماش فريدة ليس في البلد مثل نقشتها) هدية، فذهب بها إلى الخياط. قال له: «فصل لي بذلة. لكن لا أريد القلم معوجاً، والأكمام لا أريدها مشنَّكة (تتغضن برفع الذراع) ولا تجعل لها حشوة سميكة خشنة كبردعة الحمار، وإياك أن تجعل لها فتحتين من الخلف كالشباب الصائعين، ثم إنني قد أعود وأراك جعلت البنطلون قصيراً أو حبكت البطانة بغرزة بارزة، ألا لعنة الله على كل الخياطين. هات. هات الكوبونة.» وأخذها وانصرف، والخياط لم يقل كلمة واحدة. هكذا صنع ابن الرومي مع أبي بكر الطالقاني المسكين

٢٩٦ قومي بنو العباس

قَـوْمـي بَـنُـو الـعـبـاسِ حِـلْـمُـهُـمُ   حِـلـمـيِ هـنـاكَ، وجَـهْـلُـهُـمْ جَـهـلِـي

الجهل: المواجهة بالعنف

نَـبْـلـي نِـبَـالُـهُـمُ إذا نَـزَلَـتْ   بـي شِـدَّةٌ، ونِـبَـالُـهُـمْ نَـبْـلـي
لا أَبْـتَـغـي أبـداً بِـهِـمْ بَـدَلاً   لَـفَّ الإلـهُ بِـشَـمْـلِـهِـمْ شَـمْـلـي
ومـتـى وَرَدْتُ حِـيـاضَـهُـمْ مَـعَـهُـمْ   لـم يَـشْـرَبـوا صَـفَـواتِـهَـا قَـبْـلـي
قَـومٌ غَـدَا بِـرِّي وتَـكْـرِمَـتـي   من شُـغْـلِـهِـمْ، ومَـدِيـحُـهُـمْ شُـغْـلـي
مـولاهُـمُ وغَـذِيُّ نِـعْـمَـتِـهِـمْ   والـرُّومُ حـيـنَ تَـنُـصُّـنـي أَصْـلـي

تنصني: تنسُبني

ومتَى اعتَصَمْتُ بِهِمْ فَهُمْ جَبَلي   ومـتـى رَعَـيْـتُـهُـمُ فَـهُـمْ سَـهْـلِـي

٢٩٧ قليل قذاة العين

طَـرَفْـتُ عـيـونَ الـغـانِـيـاتِ، وربـمـا   أَمَـالَـتْ إلـيَّ الـطَـرْفَ كَـلَّ مَـمِـيـلِ
ومـا شِـبْـتُ إلا شَـيْـبَـةً غـيـرَ أنـه   قَـلـيـلُ قَـذَاةِ الـعـيـنِ غـيـرُ قـلـيـلِ

قذاة العين: الوسَخة تقع فيها

٢٩٨ أرزاق

يهجو بني ثوابة:

أطاقَتْ بـراذِينُكُـم حَمْلَكُـمْ ... لأنَّ البـهـائِـمَ لا تَـعـقِـلُ

البرذون: الحصان غير العربي يتخذ للركوب، يصفهم بالثقلاء

ولِلّـهِ فـي خلـقِـه حكـمـةٌ ... بـهـا خُـوِّلَ الـنـاسُ مـا خُـوِّلُـوا

خُوِّل: وُهِب

٢٩٩ محصل الضرائب

يمدح إبراهيم بن المدبر:

لِمَ لا تَكونُ لدَى إِمَامِكَ مرتَضىً ... لا يَبْتَغي بكَ في الكُفَاةِ بَديلا؟

الكفاة: الأكفاء

تَجْبي لهُ مالَ البِلادِ وحَمْدَها ... إذْ لا تُضِيعُ من الحقوقِ فَتِيلا

أنت تجبي الضرائب والخراج وأيضاً تجبي شكر الناس للخليفة لأنك تراعي الحق، والفتيل (في الأصل): ذلك الخيط في شق نواة التمرة

قالَ الإمامُ، وقد جمعْتَهُمَا له ... حَظَّانِ مِثْلَهُمَا بمثلِكَ نِيلا:

أنتَ الذي يَمْرِي اللِّقاحَ برفْقِهِ ... مِلءَ الوطَابِ، ولا يُجِيعُ فَصِيلا

يمري اللقاح: يحلب النياق، الوطاب: الوعاء، الفصيل: ولد الناقة

أَسْمَعْتَهُ شُكْرَ الرَّعِيَّةِ بعدَما ... جَارَ الوُلاةُ فَأَسْمَعُوهُ عَوِيلا

ولقد بَلاكَ الطَّالِبُونَ فَثُبِّطُوا ... أنْ يُدْرِكُوكَ، وخُذِّلُوا تَخْذِيلا

بلاك: اختبرك، الطالبون: المنافسون الذين يطلبون وظيفتك لأنفسهم، ثبطوا: أحبطوا

ورَأَوْا مكانَكَ رَيْثَما أَخْلَيْتَهُ ... كَمَكانِ بعضِ الرَّاسِيَاتِ أُزِيلا

ريثما: عندما، الراسيات: الجبال

فَسَرَوْا على حَرَدٍ إليْكَ، وأَعْمَلُوا ... طَلَباً يَحُثُّ بهِ الرَّعِيلُ رَعِيلا

على حرد: بسرعة، الرعيل: الجماعة من الناس

فَسُتِرتَ دونَهُمُ بِسِتْرِ كَثَافَةٍ ... حتى خَفِيت، ومَا خَفِيتَ ضَئِيلا

فَثَنَوْا أَعِنَّةَ راجِعينَ بِخَيْبَةٍ ... كَرُجُوعِهِمْ أيامَ سَاقُوا الفِيلا

هجومهم لنيل منصبك شبيه بهجوم أبرهة الحبشي على مكة ثم ارتد خائباً

ولعلَّهُمْ لو أَدْرَكُوكَ لأرسَلَتْ طَيْرُ العَذَابِ عليْهِمُ السِّجِّيلا

ولَعَمْرُ جَمْعِ الزَّنْجِ يومَ لَقِيتَهُمْ مَا صَادَفُوك يَراعَةً إِجْفِيلا

يراعة: جبان، إجفيل: خواف

شَهِدَتْ بِذلكَ في جَبِينِكَ ضَرْبَةٌ كانتَ على صِدْقِ اللِّقَاءِ دَلِيلا

انظر القطعة رقم ١٦٥ تر ابن الرومي يسبه بهذه الضربة سباً ذريعاً

لِلَّهِ نَفْسٌ يومَ ذاكَ أَذَلْتَها؛ ولَرُبَّ شَيءٍ صِينَ حينَ أُذِيلا

والحرْبُ تَغلي بِالكُمَاةِ قُدُورُها والموتُ يَأكلُ ما طَهَتْهُ نَشِيلا

الكماة: المسلحون، نشيلاً: منتشلاً من القدر قبل نضجه. أي أن الحرب وضعت المسلحين في قدورها وجعلتهم يغلون، وكان الموت ينتشلهم واحداً واحداً على عجل.

لم أر من نوه بهذه الصورة البديعة، أعجبهم فقط البخيل الذي يغلق أحد منخريه!

تَخِذُوا الحديدَ مَغَافِراً وأَشِلَّةً وتَخِذْتَ صبرَكَ مِغْفَراً وشَلِيلا

المغافر: الخوذات، الأشلة: قُمُص تُلبس تحت الدروع

وإذا أَذَلْتَ النفسَ في طَلَبِ العُلا فَلَتُلْفَيَنَّ لِمَا مَلَكْتَ مُذِيلا

أَتُراكَ بعدَ النفسِ تَبْخَلُ باللُّهَى اللَّهُ جارُكَ أن تكونَ بَخِيلا

اللهى: الصلات

يَفْدِيكَ مَنْ تَفْدي بِمَالِكَ عِرْضَهُ وتَذُودُ عنه الذَّمَّ والتَّبْخِيلا

ليكن البخلاء فداء لك، فأنت تحمي عرضهم..

لولاكَ أصبحَ عِرْضُ كلِّ مُبَخَّلٍ شِلْواً يُمَزِّقُه الهِجَاءُ أَكِيلا

فلولا أنك تعطينا لطلبنا من البخلاء فمنعونا فمزقنا أعراضهم أشلاءَ وأكلناهم أكلاً

يَفْتَنُّ فيكَ المادِحونَ، وكُلُّهُمْ يَتَجَنَّبُ التشبيهَ والتَّمثِيلا

فُتَّ العَدِيلَ، فَما يُقَالُ «كَأَنَّه» مَنْ ذا رأَى لكَ في الأنامِ عَدِيلا؟

يا مَنْ تَكَفَّلَ لِلعِبادِ بِرزقِهِمْ أَتخالُني فِيمَنْ كَفَلْتَ دَخِيلا؟

هل أنا دخيل (داخل) ضمن الذين كفلتهم برعايتك وكرمك؟

سَوَّيْتَ بينَ الخَلْقِ، إلَّا واحداً قد كان يَأْمُلُ عندكَ التَّفْضِيلا

أصبحتُ بينَ خَصَاصَةٍ وتَجَمُّلٍ والمرءُ بينهُما يَموتُ هَزِيلا

خصاصة: جوع، تجمل: ستر للفقر

فـامْـدُدْ إلـيَّ يَـداً تَـعَـوَّدَ بَـطـنُـهـا   بَـذْلَ الـنَّـوَالِ، وظـهـرُهـا الـتَّـقْـبِـيـلا
إنـي رأيـتُـكَ جَـنَّـةً عَـدْنِـيَّـةً   قـد هُـدِّلَـتْ ثَـمَـراتُـهـا تَـهْـدِيـلا
حَـمَـلَـتْ فَـذَلَّـلَـتِ الغصونَ بِحَمْلِها   وكَـفَـتْ أكُـفَّ جُـنَـاتِـها الـتَّـذْلـيـلا

الثمار أثقلت الغصون فتراخت وهبطت وكفت أكف جناتها (قاطفيها) شد الغصون إلى أسفل

خُـذْهَـا أبـا إسْـحَـقَ صَـنْـعَـةَ شَـاعِـرٍ   صَـنِـعٍ أطـالَ لِـفِـكْـرِهِ الـتَّـمْـهِـيـلا

الصنِع: البارع

وأطَـاعَـهُ حَـرْفُ الـرَّوِيِّ فَـلَـمْ يَـجِـئْ   فِـيـه بِـمَـفْـعُـولٍ يَـشُـوبُ فَـعِـيـلا

فالقصيدة كلها (وعدة أبياتها في الديوان ١٥٥ بيتاً) تنتهي بـ «فعيلا»، رغم أن العروض يبيح للشاعر المراوحة بين «فعيل» و«فعول»، غير أنه ـ اقتداراً ـ اقتصر على «فعيل»

كَـثُـرَتْ مَـعَـانـي الـمَـدْحِ فـيـكَ   فَـهَـيَّـأَتْ للمَادِحِ التَّكْثِيرَ والتَّطْويلا
فَـأطَـلْـتُ إيـفَـاءً لِـمَـجْـدِكَ حَـقَّـهُ   بل لَسْتُ فيكَ، وإنْ أطَلْتُ، مُطِيلا

٣٠٠ ترغيب وترهيب

وقال في ابن فراس:

وَسِـعْـتَ الـنـاسَ إنـصـافـاً وبِـرّاً   وإفـضـالاً، فَـهُـمْ لَـكَ كـالـعِـيـالِ
سِـوَايَ، فـإنَّـنِـي أُوسِـعْـتُ خَـسْـفـاً   بَـلا جُـرْمٍ، وأعْـجَـبَـكَ احْـتِـمـالـي

خسف: ظلم

عـلـى أنِّـي أُعَـادي مَـنْ تُـعَـادي   كـمـا أنِّـي أُوَالـي مَـنْ تُـوَالـي
أَعِـدْ نَـظَـراً أبـا حَـسَـنٍ، فـإنِّـي   أراكَ وَهِـمْـتَ فـي أمـري وحَـالـي
أَزُورُ فَـلا أَرَى مـنـكَ اهْـتِـشَـاشـاً   كَـمـا أنِّـي أَغِـيـبُ فَـلا تُـبَـالـي

اهتشاشاً: بشاشة

وقَـدْ يُـؤْتَـى هَـجُـورٌ مِـنْ سُـلُـوٍّ   كَـمـا يُـؤْتَـى زَؤُورٌ مِـنْ مَـلالِ

الذي يكثر الهجران قد يُنسى، ومكثر الزيارة يُمل

ولَـم أُكْـثِـرْ فَـأُوجِـبْ عُـذْرَ قَـالٍ   ولَـم أَهْـجُـرْ فَـأُوجِـبْ عُـذْرَ سَـالِ

وأنا لم أكثر الزيارة لذا فالقالي (الجافي إياي) لا عذر له، ولم أهجر فالسالي (الناسي إياي) لا عذر له

فـمَـا بَـالُ الـجَـفَـاءِ جَـفَـاءَ سـالٍ   ومَـا بَـالُ الـلـقَـاءِ لِـقَـاءَ قَـالِ

ولكنك تجفوني جفاء من نسيني، وتلاقاني لقاء كاره لي

أَرَاكَ إنِ اعـتَـزَلْـتُـكَ ذاتَ يـومٍ، أبـا حـسـن، سَيُوحِشُكَ اعتِزالي

تهديدٌ مبطن بالهجاء

رُوَيْـدَكَ إنـنـي كَـاسِـيكَ بُـرْداً جَـديـداً مـنْ قَـرِيـضٍ غـيـرِ بـالِ
مَـديـحـاً، إنْ تُـثِـبْـهُ يَكُـنْ مَـديـحـاً مِـنَ الـحُـلَـلِ الـمُـحَـبَّـرَةِ الـغَـوَالي

المحبرة: المتقنة

وإنْ تَـظْـلِـمْـهُ تـجـعَـلْـهُ هِـجَـاءً أَشَـدَّ عـلـى الـكـريـم مِـنَ الـنِّـبَـالِ
ولـيـس بِـلَـفْـظَـةٍ لـيَ فـيـكَ، لَـكِـنْ بِـمَـا لِـلْـنَّـاسِ مِـنْ قـيـلٍ وقَـالِ
يَـرَوْنَ مَـدائِـحـاً جُـزِيَـتْ بِـظُـلْـمٍ فَـأَلْـسُـنُـهُـمْ أَحَـدُّ مـن الـنِّـصَـالِ

٣٠١ منتهى الدمامة

وقال في شنطف:

أَزْرَى بِـهـا الـلَّـهُ فـلـم يُـعْـطِـهـا، إلا بِـطُـولِ الـبَـظْـرِ، تَـفْـضِـيـلا
إذا بـدَا الـفـيـلُ وخُـرطـومُـه قُـلـنـا: أَعَـارَتْ بـظـرَهـا الـفـيـلا
غُـولٌ يَـبـيـتُ الـشَّـرْبُ مِـنْ قُـبْـحِـهَـا يَـرَوْنَ فـي الـنـومِ الـتَّـهَـاوِيـلا

الشرب: الشاربون

لَـوْ حَـسُـنَـتْ مِـعْـشَـارَ مـا قُـبِّـحَـتْ خُـوِّلَـتِ الأَهْـوَاءَ تَـخْـوِيـلا

خُوِّلتْ: وُهِبتْ، الأهواء: جمع هوى

مـا أَحْـسَـنَ الأَرْقَـمَ طَـوْقـاً لـهـا وأَحْـسَـنَ الأَسْـوَدَ إِكْـلِـيـلا

الأرقم: الأفعى الذكر، الأسود: الحية الكبيرة وفيها سواد

لا تَـعْـبُـدُ الـلَّـهَ، ولـكِـنَّـهـا تَـعْـبُـدُ بِـالـلَّـيْـلِ الـغَـرَامِـيـلا

الغراميل: ذكور الذكور

٣٠٢ مساوئ البقل والنخل.. والمطل

وقال في أبي سهل بن نوبخت:

إذا أَنْـتَ أَزْمَـعْـتَ الـصَّـنِـيـعَـةَ مَـرَّةً فـلا تَـعْـتَـصِـرْ مـاءَ الـصَّـنِـيـعَـةِ بـالـمَـطْـلِ

الصنيعة: المعروف

ولا تَخْلِطِ الحُسْنَى بِسوُءٍ، فإنه   يُجَشِّمُنا أن نَخْلِطَ الشُّكْرَ بِالعَذْلِ

يجشمنا: يُتعبنا

أَنِفْتُ لِعُشَّاقِ المَكارِمِ أنْ تُرَى   مَواعِيدُهُمْ مثلَ البَوَارِقِ في المَحْلِ

البوارق: غيوم تبرق ولا تمطر

مَطَلْتَ مِطَالَ النَّخْلِ، فَاثْبُتْ ثَبَاتَهُ   وأَجْنِ جَنَاهُ، أَوْ فَدَعْ نَكَدَ النَّخْلِ

أجن: ليكن عندك جنىً أي محصول

ولا يَكُ مَا تُجْدِيهِ كالبَقْلِ خِسَّةً   وكالنَّخْلِ تَأْخِيراً، فمَا ذَاكَ بالعَدْلِ

تجديه: تعطيه

٣٠٣ قمة المجون

سُئِلَ الأَبْرُ: مَا تُرِيدُ إلى الكَعْـ   ـبِ؟ قالَ: الدُّخُولَ، قيلَ: أَلا ادْخُلْ

هذا حوار بين عضوين

قالَ: أَبْغِي الخروجَ، قيلَ: أَلا فَاخْـ   ـرُجْ، فقالَ: الخُرُوجُ ما لَيسَ يَسْهُلْ
إنَّمَا شَأْنِيَ التَّرَدُّدَ فِيهِ   داخلاً خارجاً أَغِيبُ وأَنْصُلْ

أنصل: أنسلّ خارجاً كما يخرج نصل السيف من غمده

شَهْوَةُ القَلْبِ لَبْثُهُ بينَ أَيْدٍ   وشِفَائِي تَرَدُّدِي بينَ أَرْجُلْ

القلب يشتهي أن يحتضه الحبيب بين يديه

هَمُّ ذَاكَ العِنَاقُ؛ والنَّبْكُ هَمِّي،   وكِلانَا في شأنِه ليسَ يَغْفُلْ

ذاك أي القلب

ولِيَ - الدهرَ - طَعْنَةٌ ذاتُ غَوْرٍ   غيرَ أنْ لَسْتُ حينَ أَطْعَنُ أَقْتُلْ
كلُّ حُبٍّ تَعَمُّلٌ، وهَوَى الحَسْـ   ـنَاءِ إِيَّايَ مِنْ خِلافِ التَّعَمُّلْ

تعمل: تصنع

ومَتَى طَاوَعَتْ فَذَاكَ طِبَاعٌ   ومتى مَانَعَتْ فذاكَ تَدَلُّلْ
وعَلَيْهَا تَجَمُّلٌ، فإذا مَا   عَايَنَتْنِي فما عليْها تَجَمُّلْ
ولَدَيْهَا تَبَتُّلٌ، فإذا مَا   غَابَ في الحَاقِ بَاقِ زَالَ التَّبَتُّلْ

تبتل: عفة، والحاق باق لم أجدها ولا أظنك تحتاج إلى تفسيرها (على أن في تاج العروس أبياتاً تجعل الحُوق اسماً لعضو الرجل، والخاقِ باقِ في اللسان صوت عضو المرأة عند الجماع)

وبَـهَـا تَـرْعَـوِي حَـيـاتـيِ إذا مُـتُّ ـ   وتَـشْـتَـدُّ قُـوَّتـيِ حـيـنَ أَذْبُـلْ

ترعوي: ترجع

٣٠٤ شامت بنفسه، شامت بغيره

هذا أبو الحسن علي بن العباس (ابن الرومي) يحدث نفسه:

أبـا حَسَـنٍ قـد قُلْـتَ لـو كَـانَ فَعَّـالُ   فـحَسْبُـكَ قـد سَـارَتْ بِـخَطْبِـكَ أَمثالُ

يخاطب نفسه، يقول يا أبا الحسن ابن الرومي قلت مدحاً كثيراً ولكن ليس هناك من يثيب عليه

وأصـبـحَ مـا قـد قُـلْـتَـه وثَـوَابُـه: عَـناؤُكَ والـحِرْمانُ والـقِيـلُ والـقَالُ

ظَـلَلْـتَ عـلى شَـرِّ الـحِجَـارَةِ عـاكِـفاً   ولـيْـسَـتْ لِـعُـبَّـادِ الـحِـجَـارَةِ أعـمَـالُ

كنت تمدح صنماً، أعمال: أعمال صالحة يلقى المرء بها ربه

ذهبتَ وإسـماعيـلَ فـي غـيرِ مَذْهَـبٍ   وأكـثـرُ تُـبَّـاعِ الـمَـطَـامِـعِ ضُـلَّالُ

ذهبت يا ابن الرومي مذاهب شتى مع إسماعيل بن بلبل، مدحاً وعتباً، طمعاً في عطائه

فَـمَـنَّـاكَ ظَـنٌّ أنْ تَـنَـالَ نـوالَـهُ   ومَـنَّـاهُ ظَـنٌّ أنْ تَـدُومَ لـه الـحَـالُ

كـأَنّـيِ بِـه فـي مَـحْـبِـسٍ وثـيـابُـه،   من العُـمْرِ والنَّعْـمَاءِ والعِزِّ، أَسْمَالُ

يتخيله وقد سُجن. أسمال: ثياب مهترئة

غَـلائِـلُـهُ الأَمْـسَـاحُ يـأْكُـلْـنَ جِـلْـدَهُ   وحِـلْـيَـتُـه أَقْـيَـادُ سُـخْـطٍ وأَغْـلالُ

الأمساح: المسوح، الثياب الخشنة المنسوجة من الشعر، أقياد: قيود

يُغَنِّيهِ، بعدَ المُسْمِعَاتِ، إذا مَشَى   حَـدِيـدٌ لـهَ مـنْـهُ سِـوَارٌ وخَـلْـخَـالُ

المسمعات: المغنيات

٣٠٥ لا بد لي من مقالة

يعاتب أبا عبد الله الباقطاني:

إلـيْـكَ أبـا عَـبْـدِ الإلَـهِ بـعَـثْـتُـهـا   على ثِقَـةٍ بـالـحِلـمِ منكَ وبـالـبَذْلِ

بعثتها: أرسلت القصيدة

جَـرَيْـتُ مـعَ الإدْلالِ شَـأْوَاً مُـغَـرِّبـاً   فإنْ قُلْتَ لِي مهلاً مَشَيْتُ على مَهْلِ

شأواً: شوطاً

ولـكـنـنـيِ لا بُدَّ لـي مِـنْ مَـقَـالَـةٍ أَقُولُ بِهَا لـيستْ بِظُلْمٍ ولا هَزْلِ
أَلَـسْـتَ الـذي أَمَّـلْـتُـهُ وادَّخَـرْتُـهُ فَمَا لِي وقَدْ أَمْرَعْتَ أَرْتَعُ في المَحْلِ؟

أمرعت: جاءك الخصب

أَتهجُرُنيِ والحبلُ في خَيْرِ مَعْقِدٍ وتحنُو وتدنُو عندَ مُضْطَرَبِ الحَبْلِ
تَـأَمَّـلْ: فـإِنَّـا والـبَـهَـائِـمَ أُسْـوَةٌ سِوَى عَدْلِنا في النَّقْضِ طَوْراً وفي الفَتْلِ

النقض: إرخاء فتائل الحبل

الحبل المفتول بشدة كناية عن ضيق الحال، والمرخى كناية عن الرخاء (زهير: على كل حال من سحيل ومبرم)

فَضَـلْـنَـا بِإِيثَـارِ الـجميـلِ وفِعْلِهِ ونـحـنُ سَـواءٌ والبَـهـائِـمَ في الأكْلِ

فضلنا: كنا مفضَّلين

ألـم تَـرَ أنَّ الـغَـدْرَ أَرْدَى ابْـنَ بُـلْـبُـلٍ وقد كان ذَا خَيْلٍ، وقد كان ذَا رَجْلِ؟
إلـى الله أشـكـو أن شـعـريِ مـظـلَّـمٌ وأَنّـيِ من الأَيامِ في مَنْهَلٍ ضَحْلِ

مظلَّم: مظلوم

ثَـنَـاؤُكُـمْ لِـلْـبُـحْـتُـرِيِّ ووُدُّكُـمْ ومَدْحيِ لَكُمْ، حَاشَا هَوَاكُمْ، مِنَ الخَبْلِ

الخبل: الجنون

ومَـا بِيَ قَـصْـبُ الـبُـحـتريِّ وثَـلْـبُـهُ وإنْ صَالَ فَحْلٌ ذاتَ يومٍ على فَحْلِ

قصب: شتم

شَهِدْتُ لهُ بِالعِتْقِ في الشِّعْرِ مُخْلِصاً ومَـا أَنَـا فـيـهِ بـالـهَـجِينَ ولا الـنَغْلِ

العتق: الجودة، الهجين والنغل: غير الأصيل

٣٠٦ مستفعلن فاعلن فعول

وقال يخاطب القاسم:

يـا سَـيِّـداً لـم تَـزَلْ فُـروعٌ مِـنْ رأيِـهِ تـحـتَـهـا أُصُـولُ

رأيك في الناس ليس سطحياً بل له أصول راسخة

أَمِـثْـلُ عَـمْـرٍو يَـسُـومُ مِـثْـلِـي خَـسْـفـاً، وأَيَّـامُـهُ تَـطُـولُ؟

يسومني الخسف: يظلمني

أَمِـثْـلُ عَـمْـروٍ يُـهِـيـنُ مِـثْـلـي عَـمْـداً ولا تُـنْـتَـضَـى الـنُّـصُـولُ؟
وَجْـهُـكَ يـا عَـمْـرُو فـيـهِ طُـولٌ وفـي وُجُـوهِ الـكِـلابِ طُـولُ
فـأَيْـنَ مـنـكَ الـحَـيَـاءُ قُـلْ لـي يـا كَـلْـبُ؟ والـكَـلْـبُ لا يَـقُـولُ
مَـقـابِـحُ الـكَـلْـبِ فـيـكَ طُـرّاً يَـزُولُ عـنـهـا ولا تَـزُولُ
وفـيـهِ أَشْـيَـاءُ صَـالِـحَـاتٌ حَـمَـاكَـهـا الـلَّـهُ والـرَّسُـولُ
فـيـهِ هَـرِيـرٌ وفـيـهِ نَـبْـحٌ وحَـظُّـه الـذُّلُّ والـخُـمُـولُ

نبح الكلب خير للتائهين في الصحراء إذ به يستدلون على وجود بشر، وهو لا ينال سوى الإهمال

والـكَـلْـبُ وَافٍ وفـيـكَ غَـدْرٌ فـفِـيـكَ عـن قَـدْرِهِ سُـفُـولُ
وقـد يُـحَـامـي عـنِ الـمَـواشـي ومـا تُـحَـامـي ولا تَـصُـولُ
وأنـتَ مـن أهـلِ بـيـتِ سُـوءٍ قِـصَّـتُـهُـمْ قِـصَّـةٌ تَـطُـولُ
وُجُـوهُـهُـمْ لِـلْـوَرَى عِـظَـاتٌ لـكِـنَّ أقْـفَـاءَهُـمْ طُـبُـولُ

المفارقة بين الشطرين غير واضحة تماماً: ربما جعل وجوههم جالبة للتقوى لأن الناس يتعظون برؤية قبحها، لكن أقفاءهم جديرة بالصفع فهي.. طبول

نَـسْـتَـغْـفِـرُ الـلَّـهَ قـد فَـعَـلْـنـا مـا يـفـعـلُ الـمَـائِـقُ الـجَـهـولُ

المائق: الأحمق

ومـا سَـأَلْـنَـاكَ مـا سَـأَلْـنـا إلّا كَـمَـا تُـسْـأَلُ الـطُّـلُـولُ

أي لا ننتظر جواباً، وكان الشعراء يقفون بالطلول ويسألونها أين ذهبت المحبوبة

وَجْـهٌ طَـويـلٌ يَـسـيـلُ فُـوهُ أَحْـسَـنُ مـنـهُ حِـرٌ يَـبُـولُ

حر: عضو المرأة

مـسـتـفـعـلٌ فـاعـلٌ فـعـولُ مـسـتـفـعـلٌ فـاعـلٌ فـعـولُ
بـيـتٌ كَـمَـعْـنَـاكَ، لـيـسَ فـيـهِ مَـعْـنـىً سِـوَى أنـه فُـضُـولُ

فضول: زيادة

٣٠٧ حبلي قصير

يمدح ابن مارِمَّة:

يـا عَـلِـيَّ الـعُـلَا ابـنَ قَـاسِـمِ الـقَـا سِـمِ فـي طَـالِـبـي الـنَّـوَالِ نَـوَالَـهْ

وابنَ مَارِمَّةَ الذي يَضْرِبُ المَجْـ ـدُ بِـهِ أو بِـمِـثْـلِـهِ أَمْـثَـالَـهْ
مَا تَرَى في اصْطِناعِ حُرٍّ شَكُورٍ قد أَرَاه الـرِّجَـالُ مَالَـكَ مالَـهْ؟

ما رأيك في اصطناع حر شكور (اتخاذه صنيعة أي حليفاً مقيداً بالمعروف) وهذا الرجل هو ابن الرومي طبعاً، وقد جعله الناس يشعر أنك كريم إلى درجة أن يصبح ما تملك ملكاً له هو أيضاً

سَاقَهُ نحوَكَ الزَّمانُ، وقَادَتْـ ـهُ أَفَاعِيلُ كَفِّكَ الفَعَّالَةْ
وعلى ظَهْرِهِ مِنَ الدَّيْنِ ثِقْلٌ يَرْتَجِي أن تَحُطَّهُ لا مَحَالَةْ
واعْتِقَادُ الرَّجَاءِ يُوجِبُ حَقّاً عندَ مَنْ هَذَّبَ الإلَهُ خِصَالَهْ

اعتقاد (عقد) الرجاء عليك يوجب عليك أن تحقق هذا الرجاء

وشَهِيدِي على رَجَائِكَ أنْ لم أَتَوَسَّلْ، وأنْ تَرَكْتُ الإطَالَةْ
وإذا المُسْتَقِي دَنَا مُسْتَقَاهُ فَحَقِيقٌ ألَّا يُطِيلَ حِبَالَهْ

٣٠٨ أحاديث الشيخ

يمدح محمد بن عبد الله:

وأَعْذَرُ شُرَّابِ المُدَامَةِ شَارِبٌ لِتَقْصِيرِ أيَّامِ المَشِيبِ الأَطَاوِلِ

أعذرهم: أوفرهم عذراً ذلك الذي يشرب لتقصير أيام الشيخوخة الطويلة

وحَدَّثْتُ نُدْمَانِي أحَادِيثَ مَا مَضَى من العيشِ أَقْفُوها بِأَنَّةِ ثَاكِلِ

أقفوها: أتبعها/التسويد: أ. عبد الرحيم

٣٠٩ بي عن عرضه كسل

وقال في أبي حفص الوراق:

قالوا: هَجَاكَ أبو حَفْصٍ، فقلتُ لَهُمْ: باللَّهِ أَدْفَعُ ما لا تَدْفَعُ الحِيَلُ

أدفع بالله، أي استعين به، عما لا تنفع فيه حيلتي

أَلَا لَئِيمٌ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً يَهجُوهُ عنِّي، فَبِي عَنْ عِرْضِهِ كَسَلُ

تعليق أ. عبد الرحيم: فظيع!

٣١٠ مدح الناقصين

إذا ما مَدَحْتَ النَّاقِصِينَ فَإِنَّمَا تُذَكِّرُهُمْ ما في سِوَاهُمْ من الفَضْلِ

فَتُهْدِي لَهُمْ حُزْناً طَوِيلاً وحَسْرَةً　　وإنْ مَنَعُوا مِنكَ النَّوَالَ فَبِالعَذْلِ

٣١١ مرجل القريض

وقال في أبي يوسف الدقاق:

ولقد وَزَعْتُ الشِّعْرَ عنكَ تَعَظُّماً　　وتَنَزُّهاً، وكَفَفْتُ غَرْبَ المِقْوَلِ

وَزَعْتُ: منعتُ، غرب المقول: حدُّ اللسان

فأَبَتْ جَوَامِحُ لِلْقَرِيضِ غَوَالِبٌ　　جَاشَ الضَّمِيرُ بِهِنَّ جَيْشَ المِرْجَلِ

تسويد أ. عبد الرحيم، وتعليقه: بيتان فخمان، فيهما روح الفرزدق!

٣١٢ كيف عاتبها

وقال في وهب بن سليمان:

حَيَّا أَبُو حَسَنٍ وَهْبٌ أَبَا حَسَنٍ　　بِضَرْطَةٍ طَيَّرَتْ عُثْنُونَهُ خُصَلا

هذا رجل ضرط في حضرة كنيّه الوزير، واتخذ الشعراء منها تكأة ليريحوا أشعارهم من عناء المدح

ثم استَمَرَّتْ فَصارَتْ في البلادِ لهُ　　كأَنَّها أُرْسِلَتْ مِنْ دُبْرِهِ مَثَلا

بِئْسَ التَّحِيَّةُ حَيَّاهَا الوَزِيرَ ضُحىً　　والحَفْلُ مِنْ سَرَوَاتِ القومِ قد حَفِلا

يا لَيْتَ شِعْرِيَ عنْ وَهْبٍ وفَقْحَتِهِ　　وكَيفَ عاتَبَها في الحُشِّ حينَ خَلا

فقحته: دبره، الحش: المرحاض

٣١٣ المال المصون

وقال في إسماعيل بن بلبل:

ولِلأَوْغَادِ أموالٌ تَراها　　مَصُونَاتٍ بِأَعْراضٍ مُذالَهْ

ولم يَكُ مَن نَمَاهُ أبٌ كريمٌ　　لِيَبْذُلَ عِرْضَهُ ويَصُونَ مَالَهْ

٣١٤ حسبي تصرمه

وقال في شهر رمضان:

إنِّي لَيُعْجِبُني تَمامُ هِلالِهِ　　وأُسَرُّ بعدَ تَمامِهِ بِنُحُولِهِ

شهرٌ يَصُدُّ المَرْءَ عن مَشْرُوبِهِ　　مِمَّا يَحِلُّ لَهُ وعَنْ مَأْكُولِهِ

لا أَسْتَثِيبُ على قَبولِ صِيامِه	حَسْبِي تَصَرُّمُه ثوابَ قَبُولِهِ

أستثيب: أطلب الثواب، تصرمه: انصرافه

٣١٥ ابحث عنها تجدْها

**إنَّ العُيُوبَ مَعَ التَّتَبُّعِ جَمَّةٌ	وكَثِيرُهُنَّ، إذا اغْتَفَرْتَ، قليلُ**

٣١٦ عائب الراح

وقال فيمن عاب شرب النبيذ:

يا منْ يَعيِبُ لدينَا الرَّاحَ مُجْتَهِداً	أَسَأْتَ قولاً وقد أَحْسَنْتَ في العملِ

تركتَها مُؤْثِراً للأَكْرمِينَ بِها	وعِبْتَها عَيْبَ ذي جَهْلٍ وذي خَطَلِ

فَبُؤْ بِحَمْدٍ وذَمٍّ تَسْتَحِقُّهُما	كما خَلَطْتَ الذي أَسْدَيْتَ بِالعَذَلِ

فبؤ (فارجع)

٣١٧ عقار ووظيفة ومعاش فقط

وقال وقيل هي آخر قصيدة قالها:

أَلَسْتُ أَصْلُحُ سِمْسَاراً لِبِرِّكُمُ	ولا وَكِيلاً ولا عَوْناً على عَمَلِ؟

إنـي لأَخْوَضُ لِلأَهْوالِ مِنْ أَسَدٍ	عَادٍ، وأَنْهَضُ بِالأَثْقَالِ من جَمَلِ

عادٍ: معتدٍ هاجم

فَهَبْ لِرَاجِيكَ إِذْناً مِنْكَ تَلْقَ بِهِ	مُؤَدَّباً غيرَ ذي جَهْلٍ ولا خَطَلِ

لا يَسْأَلُ الحَاجَةَ المُعْوَجَّ مَسْلَكُها	ولا يَحَاوِلُ أَمْراً بَيِّنَ الحَوَلِ

الحول: الاستحالة

بلْ كلَّ ما يُوجِبُ الإنْصَافَ مِنْكَ له	مَعَ الوَسَائِلِ والأَسْبَابِ والوُصَلِ

مِنَ ارتِجَاعِ عَقَارٍ لَجَّ غَاصِبُهُ	وَرَدِّ دَيْنٍ له بالظُّلْمِ مُعْتَقَلِ

وشُعْبَةٌ مِنْ مَعَاشٍ لا تُكَلِّفُهُ	مُرَّ السُّؤَالِ ولا مُسْتَثْقَلَ الرِّحَلِ

الرِّحَل: الرحلات

٣١٨ أعراضكم مناديلي

وقال في آل طاهر:

بَنِي طاهرٍ إمَّا مَنعتُمْ نَوالَكُمْ   فلا تَمنَعوا مني شِفاءَ غَليلي
دَعُونِي ألومُ النَّفسَ إذْ أَمَّلَتْكُمُ   وأَنْدُبُ مَدْحِي فِيكُمُ بِعَوِيلي
ولا تَبْخَلوا عنِّي بِعِرْضٍ، فَكُلُّكُمْ   بَنِي طَاهرٍ بِالعِرْضِ غيرُ بخيلِ
صِلُونِي بأَعْرَاضٍ لَكُمْ قد تَمزَّقَتْ   تَمَزُّقَ أَطْمَارٍ على ابنِ سَبِيلِ

أطمار: ملابس مهترئة

يَكُنَّ مَنادِيلي إذا ما تَنازَعَتْ   لُحُومَكُمُ كَفِّي وكَفُّ أَكيلي

أكيلي: شريكي في الأكل

٣١٩ مبارك عليك الشحم

وقال يمدح علي بن يحيى النديم ويعاتبه:

أيها العَائِبي بِخِفَّةِ لحمي   بَجَلي منهُ كُسْوَةُ الأَوْصَالِ

بجلي: يكفيني، الأوصال: جمع وُصْل، الأطراف

وهَنيئاً لكَ الفُضولُ منَ اللَّحْـ   ـمِ، فَفَاخِرْ بها ذَواتَ الحِجَالِ
قَلَّمَا توجَدُ الفَضَائِلُ إلَّا   في خِفَافِ الرِّجالِ دونَ الثِّقَالِ
يُنْظَمُ الدُّرُّ في السُّلوكِ، وتَأْبَى   عِزَّةُ الدُّرِّ نَظْمَهُ في الحِبَالِ

٣٢٠ وجه كآخر الصك

قال ابن الرومي (وجدتهما في ثمار القلوب للثعالبي وخلا منهما الديوان المطبوع):

لَكَ وجهٌ كآخِرِ الصَّكِّ، فيهِ   لَمَحَاتٌ كثيرةٌ مِنْ رِجَالِ
كَخُطوطِ الشُّهُودِ مُشْتَبِهَاتٌ   مُعْلِمَاتٍ أنْ لَسْتَ بِابْنِ حَلالِ

آخر صك البيع أو الإيجار فيه تواقيع الشهود بخطوط شتى وخرابيش، ووجه المهجو فيه معالم شتى فلا بد أن يكون اشترك في إنتاجه رجال عدة

٣٢١ إقرار

وقال يمدح أبا الصقر:

خُذْهَا إليكَ مُقِرَّةً بِمَعَايِبِ ... تَرْجُو تَغَمُّدَها لديكَ وتَأْمُلُ
وأَقَلُّ حَقِّكَ أنْ تُرَى مُتَجاوِزاً ... عن شاعرٍ في القولِ منه تَهَلْهُلُ
ما ضَرَّهُ ألَّا يُجِيدَ، ومَا لَهُ ... بِسِوَى نَداكَ إلى جَدَاكَ تَوَسُّلُ

٣٢٢ دع الظنون

وقال في القاسم بن عبيد الله:

أَقَاسِمُ لا تَسْدُدْ سَبيلِي إلى الرِّضَا ... فأنتَ المُوَلَّى فتحَ كلِّ سبيلِ
ولا تَجْعَلَنَّ الظنَّ ما عِشْتَ صاحباً ... فلستَ تَراهُ صَاحباً لِنَبِيلِ
أطالَ عليَّ الليلَ أنْ قد مَنَعْتَني ... رِضاكَ، وكانَ الليلُ غيرَ طويلِ
وأنَّكَ صدَّقْتَ الظُّنونَ؛ وما أَتَتْ ... على ما ادَّعَتْ من قِصَّتي بِدَليلِ

٣٢٣ إذن الوجه

وإِذْنُ الوَجْهِ، لا الحُجَّابِ، إِذْنٌ ... وفي الأَحْشَاءِ، لا الدارِ، الدُّخُولُ

٣٢٤ سألتَ عني

وقال في القاسم:

أتانِيَ أنَّكَ راعَيْتَني ... وساءلْتَ عنِّي سؤالاً طويلا
فأَكْبَرْتُ ذاكَ وأَعْظَمْتُهُ ... وإنْ كانَ - فيما تُسَدِّي - قليلا

فيما تسدِّي: بالقياس إلى ما تسديه من معروف

وأصبحتُ أَخْطِرُ ذا نَخْوَةٍ ... عزيزاً، وأضحَى عَدُوِّي ذَليلا
وأقسمتُ باللَّهِ أنْ لا يَزا ... لُ مِقْدارُ نفسيَ عندي جَليلا
ولَمْ لا يُجِلُّ امْرُؤٌ نفْسَهُ ... وأنتَ تَرَى فيهِ رأياً جميلا؟
أَيَطْلُبُني سَيِّدٌ لا أَزَا ... لُ أَبْغي بِجُهْدِي إليهِ سبيلا
لِيُمْطِرَني مَطْرَةً لا يَزا ... لُ عُوديَ منها وَرِيقاً ظَليلا
سَيَطْلُبُني فَضْلُه عائِداً ... كما يَتَتَبَّعُ سَيْلٌ مَسِيلا

عائداً: زائراً. التسويد: أ. عبد الرحيم

ولن أتقاضاهُ؛ حَسْبي بِه   على نفسِهِ لِلْمَعالي وَكِيلا

٣٢٥ بنت المجوس

وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله: (القصيدة في الديوان ٣٠٣ أبيات)

ورُبَّ مَهَاةٍ صِدْتُّها بينَ نَظْرَتي   ونَظْرَتِها، أيامَ رأْسِيَ أَسْحَمُ

أسحم: أسود

رَأَيْتُ سوادَ الرأسِ واللَّهْوَ تَحْتَهُ   كَلَيْلٍ وحُلْمٍ باتَ رائِيهِ يَنْعَمُ

فَلمَّا اضْمَحَلَّ الليلُ زالَ نعيمُه   فلم يَبْقَ إلَّا عَهْدُهُ المُتَوَهَّمُ

وصفراءَ بِكْرٍ لا قَذاها مُغَيَّبٌ   ولا سِرُّ من حَلَّتْ حَشاهُ مُكَتَّمُ

رب خمر صفراء بكر (لم يُنزَل دنها من قبل)، قذاها (ما بها من شائبة) ظاهر بوضوح لشدة صفائها، وهي تجعل المرء يبوح بأسراره

يَنِمُّ على الأمْرَيْنِ فَرْطُ صَفائِها   وسَوْرَتُها حتى يَبُوحَ المُجَمْجِمُ

المجمجم: المتلعثم في القول الذي لا يُبين

هِيَ الوَرْسُ في بِيضِ الكؤوسِ، وإن بَدَتْ   لِعيْنَيْكَ في بِيضِ الوَجُوهِ فَعَنْدَمُ

في الكؤوس البيضاء تكون الخمر ورساً (نباتاً أصفر معيناً)، فإذا شربها الناس صارت عَنْدماً (نباتاً أحمر معيناً) في وجوههم البيضاء التي تحمر بعد إذ يشربون

مَذاقٌ ومَسْرىً في العُرُوقِ كِلاهُما   أَلَذُّ من البُرْءِ الجديدِ وأَنْعَمُ

أقامَتْ بِبَيْتِ النارِ تسعينَ حِجَّةً   وعَشْراً يُصَلَّى حولَها ويُزَمْزَمُ

كانت مخزونة في معبد مجوسي مئة سنة، وقد شهدت صلواتهم وزمزماتهم (تلاوتهم غير المفهومة) كل هذا الزمن

سقتْنِي بها بيضاءُ، فُوها وكأْسُها   شَبيهَا مَذاقٍ عندَ من يَتَطَعَّمُ

يُعَدُّ رجائي فيكَ مالاً مُحَصَّلاً   أُدَنَّرُ في قومي به وأُدَرْهَمُ

فقط لأنني رجوتك أيها الأمير فإن قومي أخذوا ينسبونني للدنانير والدراهم فيقولون فلان أبو الدنانير وأبو الدراهم

ويُلْزِمُني فيه الزَّكاةَ معاشِرٌ   ولم يَحْوِهِ مِلْكي، وبالحَقِّ أَلْزَمُوا

بلغ من ثقتهم بعطائك إياي أن اعتقد قوم بوجوب أن أدفع زكاة هذا المال الذي لم آخذه بعد، لكنهم على حق فأنا واثق بأنك ستعطيني

مَنَحْتُكَها حَوْلِيَّةَ النَّسْجِ لم تَزَلْ   تُعَانَى مَدىً حَوْلٍ دَكِيكٍ وتُخْدَمُ

منحتك القصيدة حولية النسج (كتبت في عام كامل) فظلت حولاً دكيكاً (ربما قصد كاملاً) وهي تُعانى، أي يُعتَنى بها، وتُخدم بالتنقيح. من المؤكد أن ابن الرومي النظام الماهر نظمها في بضع ليال، لكنه يشبهها بحوليات زهير

يَرَى جَاهِلِيُّ الشعرِ تَبجيلَ قَدْرِها   بِحَقٍّ وإِسْلامِيُّهُ والمُخَضْرَمُ

٣٢٦ ثواب على السماع

وقال في كنيزة:

شاهدْتُ في بعضِ ما شاهدْتُ مُسْمِعَةً   كأنَّما يومُها يَومانِ في يَوْمِ

مسمعة: مغنية، يومها: اليوم الذي تحضرنا فيه

تَظَلُّ تُلْقي على مَنْ ضَمَّ مجلسَها   قولاً ثقيلاً على الأسماعِ كاللَّوْمِ

لها غناءٌ يُثيبُ اللَّهُ سامِعَهُ   ضِعْفَيْ ثوابِ صلاةِ الليلِ والصَّوْمِ

ظَلِلْتُ أشرَبُ بِالأرْطَالِ، لا طَرَباً   عليه، بل طَلَباً للسُّكْرِ والنَّوْمِ

٣٢٧ نتف السود

إذا رُمْتُ بِالمِنْقاشِ نَتْفَ أَشَاهِبِي   أُتِيحَ لَهُ مِنْ دُونِهِنَّ الأَدَاهِمُ

المنقاش: الملقاط، أشاهبي: شعراتي الشهباء البيضاء، الأداهم: السود

فَأَنْتِفُ ما أَهْوَى بِغَيرِ إرادتي   وأَتْرُكُ ما أَقْلي وأنفِيَ راغِمُ

أقلي: أكره

٣٢٨ أكلة الثوم

وقال يعيب من أكل ثوما وحضر مع القوم في مجلسهم:

تَرَى الأَفْدَامَ يَعْتَلِفونَ ثُوماً   ويَغْشَوْن المجالسَ كالهُمُومِ

الأفدام: الثقلاء الأغبياء

فَشَهْمُ القومِ مَأْثُومٌ بِخَمْرٍ   وفَدْمُ القومِ مَأْثومٌ بِثُومِ

٣٢٩ أنت لنا جنة ونار

وقال يصف إمرأة:

أُحِــــبُّ كُــــلَّ غَــــادَةٍ ... أَلْــحَــاظُــهــا تَــكَــلَّــمُ
فَــالــوَجْــهُ مــنــهــا جَــنَّــةٌ ... وَحِــرُهَــا جَــهَــنَّــمُ

الحر: عضو المرأة، ولا تقرأها «حَرُّها» كما فعل صاحب التحقيق، وكلاهما جائز في الوزن على متفعلن ومتعلن

٣٣٠ تقاسيم على منشار كهربائي

وقال في أبي سليمان المغني:

ومُـسْـمِـعٍ لا عَـدِمْـتُ فُـرْقَـتَـه ... فـإنَّـهـا نِـعـمـةٌ مـن الـنِّـعَـمِ

مسمع: مغنّ

كـأنـنـي طُـولَ مَـا أُشَـاهِـدُهُ ... أَشـرَبُ كـأسـي مـمـزُوجَـةً بِـدَمـي
يـشـدُو بـصـوتٍ يَـسُـوءُ سـامـعَـه ... تـبـاركَ الـلَّـهُ بَـارِئُ الـنِّـسَـمِ

النسم: الأرواح

أَبَـحَّ، فـيـهِ شُـذُورُ حَـشْـرَجَـةٍ ... مـنـظـومـةٍ فـي مَـقـاطِـعِ الـنَّـغَـمِ
لـو قُـدِّسَ الـلَّـهُ ذو الـجَـلالِ بـه ... لـم يَـرفـعِ الـلَّـهُ طَـيِّـبَ الـكَـلِـمِ
يُـفَـزِّعُ الـصِّـبْـيَـةُ الـصـغـارُ بـه ... إذا بَـكَـى بـعـضُـهُـمْ ولـم يَـنَـمِ

٣٣١ الشيب والكتاب حرَّماها

شرِبتَ، وقد كان الشَّبابُ محلِّلاً ... مِنَ الرَّاحِ ما كان الكتابُ مُحَرِّمَا

كنت أشرب وشبابي يحل لي ما حرم الكتاب (القرآن)

وقد طَابَقَ الشيبُ الكتابَ، فَحُرِّمَتْ ... على فيكَ تَحْرِيمَيْنِ إن كنتَ مُسْلِمَا
فَدَعْ شُربَها إذْ أَصْبَحَ الرأسُ مُشْرِقاً ... مُحَاذَرَةً أنْ يُصْبِحَ القلبُ مُظْلِمَا

٣٣٢ العودة إلى بغداد

وقال في المعتضد:

قَـدِمْـتَ قُـدومَ الـبُـرْءِ بـعـدَ سَـقَـامِ ... عــلــى دارِ إســلامٍ ودارِ سَــلامِ

مدينةِ بغدادَ التي كان جَدُّكُمْ تَخَيَّرَها لِلْمُلْكِ دارَ مُقَامِ
يُبَشِّرُنا النَّصْرُ الذي قد مُنِحْتَهُ بأنَّكَ عندَ اللَّهِ خَيْرُ إمامِ
ظَفِرْتَ بما تَبْغي وسَيْفُكَ مُغْمَدٌ وما كان، لو جَرَّدْتَهُ، بِكَهَامِ

كهام: مثلم

٣٣٣ أجرة الحمَّام

ولقد مُنِعْتُ مِنَ المرافِقِ كلِّها حتى مُنِعْتُ مَرافِقَ الأحلامِ
مِنْ ذَاكَ أنيَ ما أَرَانِيَ طَاعِمَاً في النَّوْمِ أو مُتَعَرِّضاً لِطَعامِ
إلّا رَأَيْتُ، من الشَّقاءِ، كأنني أُثْنَى وأُكْبَحُ دونَهُ بِلِجَامِ
وأرى الحبيبَ، إذا ألمَّ خيالُه، ومَرَامُ قُبْلَتِهِ أَعَزُّ مَرَامِ
إلّا مُنَازَعَةً تَجُرُّ جَنَابَةً وتُشِبُّ في الأحْشَاءِ أيَّ ضِرَامِ
فَأَهُبُّ قد وَجَبَ الطُّهُورُ، ولم أَنَلْ مِمَّنْ هَوَيْتُ سوى جَوىً وسَقَامِ
طَرَدَ الكَرَى عَنِّي ورَاغَ بِحَاجَتي وقَضَى عَلَيَّ بِأُجْرَةِ الحَمَّامِ

٣٣٤ غبار السنين

راعَ المَها شَيْبِي، وفيهِ أَمَانُها مِن أَنْ تَصِيدَ رَمِيَّهُنَّ سِهامي

رميهن: أهدافهن

وعَقَقْنَني لمَّا ادَّعَيْنَ عُمُومَتي ومِنَ النِّسَاءِ مَعَقَّةُ الأعْمَامِ
أَذْرَى غبارَ الشيبِ فوقَ مَفارِقي رَكْضُ السنينَ الرَّاكِضَاتِ أَمَامي

أذرى: رشَّ

وأَرَاهُ عَمَّمَني وعَمَّمَ زَوْجَتي واخْتَصَّني مِنْ دونِهَا بِلِثَامِ

فهو شابَ من لحيته أيضاً

٣٣٥ بنو اليونان

ونحنُ، بني اليونانِ، قومٌ لنا حِجاً ومَجْدٌ وعِيدَانٌ صِلابُ المَعاجِمِ

اليونان: الروم من ساكني آسيا الصغرى (تركيا الحديثة)، صلاب المعاجم: إذا عَجَمْنا المرء (اختبرنا) وجدنا صلاباً

ومـا تَـتَـراءَى فـي الـمَـرايَـا وجوهُـنـا   بَلَى في صِفَاحِ المُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ

نرى وجوهنا في نصال السيوف القاطعة لا في المرايا

إذا مـا انْـتَـضَـيْـنـاهـا لِـيَـوْمِ كَـرِيـهَـةٍ   أَرَتْنَـا وجوهَ الـمُـخْـدَرَاتِ الـضَّـرَاغِـمِ

إذا سللنا سيوفنا ليوم الكريهة (الحرب) فإننا نرى فيها وجوه المخدرات الضراغم (الأسود المختفية في عرينها)

٣٣٦ رثاء الأم

وإنِّي لأَسْتَحْيِيكِ يا أمِّ أن يُرَى   قَرِينِيَ إلَّا مِنْ بَكَى لكِ أو وَجَمْ

وأن أَتَلَهَّى بالحديثِ عن الأَسَى   وأَلْقَى جَلِيسِي بابتسامٍ إذا ابتَسَمْ

أأمْرَحُ فوق الأرضِ يا أمِّ والثَّرَى   عليكِ مَهِيلٌ قد تَطَابَقَ وارْتَكَمْ؟

عزيزٌ علَيْنا أن تموتي، وأنَّنا   نَعيشُ، ولكنْ حُكِّمَ الموتُ فاحْتَكَمْ

٣٣٧ المعضوضة والإيتيكيت

وقال يهجو رجلا عاب أكله:

كم جَارعٍ جُرَعَ الـمَكَارِهِ عالماً   أنَّ الـمَكَارِهَ يَكتَسِينَ مَكَارِمَا

يا صَاحباً رَضِيَ النَّذَالةَ صاحباً   وغَدا يَعُدُّ مُؤَاكِلِيهِ أَرَاقِمَا

الأراقم: الأفاعي

أَبْغَضْتَ مَنْ طَعِمَ الطَّعَامَ، فَرِيقُهُ   سُمٌّ لَدَيْكَ، فَما تُجَامِلُ طَاعِمَا

أَئِنِ اصْطَبَغْتُ ولُقْمَتِي مَعْضُوضَةٌ   أَنشَأْتَ تَهْجُونِي بِذلكَ ظَالِما؟

فقط لأنني اصطبغت (غمست خبزتي) بعد أن عضضتها بأسناني أنشأت (بدأت) تهجوني؟

عَيْبٌ لَعَمْرُكَ، غيرَ أَنْ لَمْ آتِهِ   عَمْداً، فَهَبْنِي هافِياً لا جَارِما

هذا في الواقع عيب في الإيتيكت، لكن هبني (افرض أنني) هفوت هفوة لا أنني ارتكبت جريمة

ولأَنْتَ إذْ رَاعَيْتَ كَفَّ مُؤَاكِلٍ   أَوْلَى بِأَنْ تُهْجَى وأَكْثَرُ لائِمَا

وأنت أولى بالهجاء لأنك تراعي (تراقب) يد المؤاكل (زميل الطعام)، ولائموك (الذين يلومونك) أكثر ممن يلومونني

قَبَحَ الإلَهُ مَعاشِراً لم يَسْلَمُوا   مِمَّا يَعِيبُهُمُ فَعابُوا السَّالِمَا

رَشَفُوا المَنِيَّ من الفِيَاشِ، وحَرَّمُوا   رِيقَ الصَّديقِ مُؤَاكِلاً ومُنَادِمَا

لـو كـان رِيـقـي مِـثْـلَ رِيـقِـكَ قـاتِـلاً ... أَلْـفَـيْـتَـنـي مُـتَـنَـبِّـهـاً لا نـائِـمـا

لو أن ريقي سام مثل ريقك لكنت حريصاً ألا أسم به الناس

وخَـشِـيـتُ رَبِّـيَ أن أَسُـمَّ مُـوَحِّـداً ... ظُـلْـمـاً فـأَكْـتَـسِـبَ الـعـذابَ الـدَّائِـمـا

لـكـنَّـه ريـقٌ وَثِـقْـتُ بِـطُـهْـرِهِ ... ثِـقَـةً سَـهَـوْتُ لَـهـا، فَـثُـرْتَ مُـخَـاصِـمَـا

هـلَّا لَـقِـيـتُـكَ عـنـدَ أَوَّلِ زَلَّـةٍ ... مِـنِّـي كـريـمَ الـعـفْـوِ أو مُـتَـكَـارِمـا

لـكِـنْ أَبَـى كـرمَ الـلِّـئَـامِ مُـدَبِّـرٌ ... مَـنَـعَ الـخَـوافـيَ أنْ تَـكُـونَ قَـوَادِمَـا

أبى الله مدبر الكون الذي جعل الخوافي (الريشات الصغار في جناح الطائر) صغاراً، والقوادم (الريشات الكبار) كباراً، أبى كرم اللئام (أن يكون اللئام كراماً)

٣٣٨ أنا والسلطان

وقال في القاسم:

لَعَمْري لقد غابَ الرِّضا فتَطاوَلَتْ ... بغَيْبَتِهِ البَلْوَى، فهلْ هُوَ قادِمَ؟

تَعَرَّفْتُ في أهلي وصَحْبي وخَادِمي ... هَوَاني عليْهِمْ مُذْ جَفانِيَ قَاسِمُ

وهَبْني جَفانِي الإذْنُ منكَ عُقُوبَةً ... على غيرِ جُرْمٍ لِمْ جَفَتْني الدَّرَاهِمُ؟

فَأَشْبِعْ وأَوْجِعْ بالبِعَادِ مُؤَدِّباً ... فقد يُعْدَمُ التَّقريبُ، والبِرُّ دائِمُ

وعاقِبْ بِمَحْمودِ العِقابِ، فإنَّه ... سيَكفِيكَ مَذْمُومَ العِقَابِ الألائِمُ

عاقبني عقاباً حميداً، فالعقاب الشديد يقوم به اللئام ويكفونك شره

وأَحْسَنُ مِنْ حُسْنِ العقابِ اطِّرَاحُهُ ... إذا قَلَّبَ الرأْيَ الرجالُ الأكارِمُ

أَمُسْتَأْثِرٌ بالحِلْمِ قَيْسُ بنُ عاصِمٍ ... عليكَ، ولم يَعْشُرْكَ قَيْسٌ وعاصِمُ

قيس بن عاصم: صحابي كان سيد قومه، يعشرك: يبلغ عشر ما عندك

متى تَنْظُرُ الدنيا إليَّ بِنظْرَةٍ ... بِعَيْنِكَ نَحْوي أيُّها المُتَناوِمُ

سيحمِيكَ أنْ تَلقَى لِسانِيَ صارِماً ... تَذَكُّرُ قلبي أن سيْفَكَ صارِمُ

لن أهجوك، لأنني أخاف سيفك

وإنِّي لأَعفُو عن رجالٍ، وأَتَّقي ... رِجالاً، وأَدْرِي أَيَّ قِرْنٍ أُصَادِمُ

قرن: خصم

وأُقْسِمُ أَنّي لم أُمِتْ لَكَ نِعْمَةً   عَلَيَّ، ولا أَحْيَيْتُ ما أنتَ كاتِمُ

أنا أشيد بذكر كل نعمة تغدقها علي ولا أجعلها تموت، وأكتم سرك

ولا حَارَبَتْ نَفسي عَليكَ، ولا اصْطَفَتْ   عِداكَ، ولا لاءَمْتُ مَنْ لا تُلائِمُ

وسَائِلْ بِمَا أُخْفيهِ عَيْني فإنَّها   تُتَرْجِمُ عنِّي، والعُيونُ تَراجِمُ

اسأل عيني عن ضميري فالعين فضاحة

ولَسْتُ بِشَتَّامِ الملوكِ، وإنْ حَمَوْا   جَدَاهُمْ، وهلْ لِي في الملوكِ مَشَاتِمُ؟

حموا جداهم: منعوا عطاءهم

عَدَانِيَ عن تلكَ العَرَامَةِ أنني   عَلِيمٌ بأنَّ السيفَ مِثْلِيَ عَارِمُ

العرامة: التهور

وإنَّ امْرَأً يُمْسي ويصبحُ سالماً   من الناسِ في دارِ البَلاءِ لَسَالِمُ

ومَنْ رامَ ثَلْمي وانتِقَاصي فإنَّني   لَمُنْتَقِصٌ ما اسْطَعْتُ منه وثَالِمُ

ولِلَّهِ في حَاوِي يَدَيْهِ وأَرْضِهِ   مَنَادِيحُ تَرْضَاها القِلاصُ الرَّوَاسِمُ

مناديح: بدائل، القلاص الرواسم: الأبل السريعة، يقول: لي عنك بديل ويمكنني أن أرحل

ومَا جَلْجَلَ الوَجْنَاءَ بينَ قُتُودِها   كَغَضْبَةِ حُرٍّ شَيَّعَتْها عَزَائِمُ

جلجل: حرك، الوجناء: الناقة القوية، قتودها: أخشاب سرجها

سودنا الأبيات السابقة لأنها في غاية الجزالة وفيها فحولة في سبك الكلام، وفوق ذلك لم نر القدماء والمحدثين يقتبسونها في كتبهم. على أن فيها فوق ذلك تعبير دقيق عن خلجات النفس وهي تمثل طريقة ونفسية ابن الرومي خير تمثيل

٣٣٩ الآن عرفنا قيمة الشبيبة

لا تَلْحُ من يبكي شبيبَتَه   إلَّا إذا لم يبكِها بِدَمِ

لا تلح: لا تلمْ

لسْنَا نَراها حقَّ رؤيتِها   إلَّا زمانَ الشيبِ والهَرَمِ

كالشمسِ لا تبدُو فضيلتُها   حتى تُغَشَّى الأرضُ بالظُّلَمِ

٣٤٠ نصائح قبل ركوب البحر

وقال في ابن الخبازة:

يـا قـاصـداً بُـورانَ! شـاوِرْ تَـسْـلَـمِ
واسـتَـثْـبِـتِ الـرأْيَ ولا تَـقَـحَّـمِ
قَـبـلَ الـنِّـدَامِ لاتَ حـيـنَ مَـنْـدَمِ
لا تـأتِـهَـا شَـائِـلَـةَ الـمُـخَـدَّمِ

شائلة المخدم: رافعة الساق التي فيها الخَدَمَة أي الخلخال

بـل دَانِ بـيـنَ الـفَـخِـذَيْـنِ واضْـمُـمِ
واقـبِـضْ عـلـى أَعـضَـادِهَـا واسْـتَـعْـصِـمِ
فـإنَّـمَـا تَـركَـبُ بـحـرَ الـقُـلْـزُمِ

بحر القلزم: البحر الأحمر

٣٤١ فارسي رومي عباسي

وقال يعاتب:

وكيفَ أُغْضِي على الدَّنِيَّةِ والـ ـفُرْسُ خُؤُولِي، والرُّومُ أَعْمامي
وقد تَتَوَّجْتُ مِنْ وَلاءِ بني الـ ـعَبَّاسِ تَاجاً يَسمُو به السَّامي

٣٤٢ البورانية الكبرى

وقال في ابن الخبازة:

يا ابنَ بُورانَ! ما نَجَوْتَ من الوَأْ دِ لـخيـرٍ، لـكِـنْ لِـشَـرٍّ عـظـيـمِ
لو تَبِعْتَ الأُلَى مَضَوْا مِنْ شهيدٍ ووَئـيـدٍ إلـى جِـنـانِ الـنـعـيـمِ
كـانَ خـيـراً مِـنَ الـبـقـاءِ لِـحَـربي، بـلْ أَبَـى شُـؤْمُ جَـدِّكَ الـمـشـؤومِ
أنا مَنْ أَذْعَنَتْ له الإنسُ والجِنُّ ـ جـمـيـعـاً بـالـقَـسْـرِ والـتَّـرْغِـيـمِ
واسعُ العفوِ لِلْمُنِيبِ، وعِندي نَـقَـمـاتٌ تَـدومُ لِـلْـمُـسْـتَـديـمِ

المنيب: التائب

شَـمِـلَ الـنـاسَ عـدلُ أُمِّـكَ حـتَّـى سـارَ فـيـهِـمْ كَـسَـيْـرِ جَـوْرِ سَـدُومِ

مثلما كان جور (ظلم) أهل سدوم (قوم لوط) شاملاً كل الناس (فكلهم فنوا بسببه) كذلك عدل أمك

كيفَ نَدْعُوهُمْ لآبائِهِمْ رَبِّـ ـ ـ ـيِ ومِنهُمْ أمْثالُ هذا الزَّنيمِ

الزنيم: الدعي المشكوك في نسبه

كلُّ فَحْلٍ أبوكَ، عَدْلاً مِنَ اللَّـ ـهِ، وعيسى بِلا أَبٍ كاليتيمِ

تَطْمِثُ الأرضُ من مَواطِئِ بُورا نَ وَلَوْ بينَ زَمْزَمٍ والحَطِيمِ

كلُّ عُضوٍ مِنْ جِسمِها فيهِ فَرْجٌ يَقتضِيها الزِّنا اقتِضاءَ الغَريمِ

اقتضاء الغريم: إلحاح الدائن في المطالبة

أَفْحَشُ القَذْفِ والهِجاءِ لِبُورا نَ طَهورٌ كالرَّجْمِ لِلْمَرْجُومِ

شتم بوران قد يطهرها مثلما يزيل الرجم الإثم عن المرجوم حيث يكون عقاب الدنيا بدلاً من عقاب الآخرة

كيفَ لا تسقُطُ السماءُ على الأر ضِ، ونُرْمَى من أجلِها بالرُّجُومِ

من أجلها: من أجل بوران وأفعالها، الرجوم: الشهب

كَثُرَتْ مُوبِقَاتُ بُورانَ حتَّى ضاقَ عنها عفوُ الغَفورِ الرَّحيمِ

غَلَبَتْهُ خَلاعةً ومجوناً يا لِقَوْمٍ لِلْشَّيْخَةِ المِغْلِيمِ

المغليم: الشبقة. يقصد غلبت زوجها بخلاعتها

ذَلَّلَتْ أنفَهُ، فَكَيْفَ أرادتْ صَرَّفَتْهُ كالكَوْدَنِ المَخْطُومِ

الكودن المخطوم: البغل المربوط

فإذا لِيمَ في تغاضيهِ عنها قالَ: مِنْ شَأْنِيَ اطِّرَاحُ الهُمُومِ

رَضيَ الشيخُ بالذي قدَّرَ اللَّـ ـهُ، فَأَلْقَى مَقالِدَ التَّسليمِ

مقالد التسليم: مفاتيح الاستسلام

غيرَ أنْ لم تَغْبُنْهُ طَرْفَةَ عينٍ بِفُجورٍ ولا زِناً مَكْتُومِ

بلْ بِسَحْنَاءِ وِجْهِ سَهْلٍ طَليقٍ وبِطِيبٍ من نفسِ سَمْحٍ كريمِ

لو أطاعَتْ كما عَصَتْ لاستَحَقَّتْ خُلَّةَ اللَّهِ دونَ إبراهيمِ

خُلَّة: محبة

ليسَ لي من هِجَاءِ بُورانَ إلَّا نَقْلُ مَنْثُورِهِ إلى المنظُومِ

ومَعَانِيَّ كُلُّهُنَّ اتِّبَاعٌ لا ابْتداعٌ، والعلمُ بالتَّعليمِ

هِـيَ تَـفْـري لِـيَ الـفَـرِيَّ فَـأَحْـذُو   حَـذْوَهـا كـالإمَـامِ والـمـأْمُـومِ

تفري الفري: تأتي بالأعاجيب، فأنا فقط ألاحق أفاعيلها بالوصف مثلما يفعل المصلي المأموم خلف الإمام

مـا أرانـيِ أُسَيِّـرُ الـشـعـرَ فـيـهـا   سَـيْرَهـا فـي سُـهـولِـهَـا والـحُـزُومِ

الحزوم: الحزون أي الوعور، فرغم أن شعري ينتشر ويسير في السهل والوعر، فهي خراجة ولاجة وأكثر منه سيراً

هِـيَ أهْـدَى مـن الـقَـوافـيِ وأَسْرَى   فـي دُجَـى الـليـلِ والـفَـلا الـدَّيْـمُـومِ

الديموم: لعله البر الممتد إلى ما لانهاية

حَـمَـلاهـا: الـنَّـهـارُ والـلـيـلُ دَأْبـاً   يُـعْـمِـلانِ الـرَّسِـيـمَ بـعـدَ الـرَّسِـيـمِ

الرسيم: سير الأبل السريع

ليـس يُخْـلـي منـهـا مَكـانٌ مَـكـانـاً   هِـيَ شـيءٌ خُـصُـوصُـهُ كـالـعُـمُـومِ

تَـتَـأَنَّـى مَـحِـيـضَـهـا ثـم تَـزْنـيِ   فـي الـمـحـاريـبِ طـاعـةً لـلـرَّجِـيـمِ

تنتظر انصراف الحيض بفارغ الصبر لتزني، وأين؟ في المحراب!

هِيَ طيْفُ الـخَـيالِ يَـطرُقُ أهـلَ الْـ   أَرْضِ مِـنْ بـيـنِ ظَـاعِـنٍ ومُـقـيـمِ

صَـمَـدَتْ فـي الـزِّنـا تُـنَـاسِـلُ حَـوَّا   ءَ، فَـحَـوَّاءُ عـنـدَهـا كـالـعَـقـيـمِ

ظلت تزني كأنها تناسل حواء، تباريها في النسل، فحواء أم البشرية لكنها بالنسبة إليها كالعاقر. وفي البيت ما يسمونه إحالة، أي استحالة وجود أي قدر من الحقيقة وراء المعنى، وفيه أيضاً خطأ في المعنى، فالزنا شيء والإنجاب شيء آخر.. لكن..
خاطر خطر لابن الرومي فلا بد أن يحشره في القصيدة

أيُّـهـا الـجَـالِـدو عُـمَـيْـرَةَ طُـرّاً   لا عَـدِمْـتُـمْ ظُـلامَـةً مِـنْ ظَـلُـومِ

أيها الجالدو عميرة (ممارسو العادة السرية) لا فاتتكم ظلامة (أرجو ألا يفوتكم حق مغصوب) عند امرأة ظلوم

كـيـفَ ضِـعْـتُـمْ وفَـرْجُ بُـورانَ مَـوْقُـو   فٌ عـلـى ابـنِ الـسـبـيـلِ والـمـحـرومِ

نَـزَعَ الـلَّـهُ غَـيْـرَةَ الـفَـحْـلِ مـنـهُ   فَـهْـوَ مـا شـئـتَ مـن فـؤادٍ سَـلِـيـمِ

يتكلم عن ابن بوران، فهو صاحب فؤاد سليم (أي مغفل)

يـا ابـنَ بُـورانَ قـد أَظَـلَّـكَ زَجْـرٌ   كـالـدُّخَـانِ الـمـذكـورِ فـي حَـامِـيـمِ

الدخان المبين الذي يغشى الناس ويكون عذاباً عظيماً مذكور في سورة الدخان، وتبدأ بـ حم

يـا ابـنَ بُـورانَ لا مَـفَـرَّ مِـنَ الـلَّــ ـهِ، ولا مـن قـضـائِـه الـمـحـتـومِ
كنتَ فيمَا أَرَى حَسِبْتَ هِجَائِيـ ـكَ هِـجَـاءً أَبْـقَـى مَـصَـحَّ أَدِيـمِ
مصح أديم: أديما (جلداً) سليماً

فَـتَـغَـاضَـيْـتَ خَـوْفَ أَعْـرَمَ مـنـهُ رَاضِـيـاً خُـطَّـةَ الـذَّلـيـلِ الـمَـضِـيـمِ
أعرم: أكثر تهوراً، المضيم: المظلوم

فـإذا الأمـرُ فـوقَ مـا كـنـتَ قـدَّرْ تَ، ولـيـس الـيـقـيـنُ كـالـتَّـرْجِـيـمِ
الترجيم: الظن

صَدَمَتْ مِسْمَعَيْكَ شُنْعُ القوافي صَـدْمَـةً غـادَرَتْـكَ كـالـمَـأْمُـومِ
مسمعيك: أذنيك، المأموم: المضروب على أم رأسه (وأم الرأس الدماغ)

لا تُـبَـالـي مَـنْ بَـاكَ أمَّـكَ جَـهْـراً مـن عَـدُوٍّ، ومِـنْ وَلِـيٍّ حَـمـيـمِ
أَفَـتَـرْضَـى بِـبَـيْـكِـهـا وتُـبَـالـي شَتْمَها، يا ضَلالَ حِلْمِ الحَليمِ؟
غيرَ أَنِّي أَنْضَجْتُ جلدَكَ كَيَّاً فَـتَـمَـلْـمَـلْ، فـأنـتَ غـيـرُ مَـلُـومِ
لـكَ عُـذْرٌ أنْ لا تـنـامَ، لَـعَـمْـري، أنـا أَدْهَـى مـن أنْ يَـنَـامَ سَـلـيـمي
سليمي: ملسوعي (وكانوا يسمون الذي لسعته الحية السليم تفاؤلاً بأنه سيسلم)

هَـاكَـهـا حُـلَّـةً، سَـيُـودي بِـكَ الـدَّهْـ ـرُ وفـيـهـا طَـرَائِـقُ الـتَّـشْـهِـيـمِ
طرائق التسهيم: الخطوط في الثوب المقلم المخطط

لا يَـرانـي الإلـهُ أَهْـجُـوكَ عُـمْـرِي، أنـتَ عِـنـدِي فـي حـالـةِ الـمَـرْحـومِ
لِلْقَـوافـي فـي وَصْـفِ أُمِّـكَ شُـغْـلٌ يـا ابـنَ بُورانَ عـن صِـفـاتِ الرُّسُـومِ
الرسوم: الأطلال

٣٤٣ العفَّة الإجبارية

وقال يمدح:

حَـرُمَـتْ بـالـمـشـيـبِ أشـيـاءُ حَـلَّـتْ لـي زمـانـاً بِـإِذْنِ جَـعْـدٍ سُـخَـامِ
جعد سخام: شعر أجعد أسود. أي أن شبابه وسواد شعره أحلّا له أموراً أصبحت الآن حراماً بسبب الشيب

لـم تُـحَـلَّـلْ لـمَـنْ أتـاهـا، ولـكـنْ لـم يكُـنْ دونَـهـا مـن الـشـيـبِ حَـامِ

سَوْأتي أَنْ أَطَعْتُ شيبيَ فِيمَا   لم أُطِعْ فيهِ حاكمَ الحُكَّامِ

حاكم الحكام: الله

وَعَظَ اللَّهُ والكتابُ، فَصَمَّمْـ   ـتُ وأقدَمْتُ أَيَّمَا إقدامِ
ونَهَى الشَّيْبُ بعدَ ذاكَ، فَسَلَّمْـ   ـتُ وأحْجَمْتُ أَيَّمَا إحْجَامِ
صُمْتُ عن كلِّ لَذَّةٍ لِمَشيبي   أَفَلا كانَ لِلإلهِ صِيامي؟
واحَيائي أنْ لا يكونَ من اللَّـ   ـهِ حَيائي، وليسَ منه احْتِشامي
كادَ هذا المَتَابُ يُعْتَدُّ إجْرَا   ماً، وبعضُ المَتَابِ كالإجرامِ

التوبة بسبب المشيب لا بسبب التحريم كالإجرام (ارتكاب الجرم)

كم بَدَا في الكتابِ لي من ضِياءٍ   كان من قبلُ دونَهُ كالقَتَامِ

الكتاب: القرآن، القتام: الغبار

هَتَكَ الشيبُ ذلكَ السِّتْرَ لي عنْـ   ـهُ، فَزَالَ العَمَى ورَاحَ التَّعَامي
وكِلا الشيبِ والكتابِ جميعاً   واعظٌ زاجِرٌ عنِ الآثامِ
غيرَ أنَّ الكتابَ يُكْتَبُ بالأقْـ   ـلامِ والشيبُ ليسَ بالأقلامِ
بلْ بِرَدْعِ الحوادِثِ المُصْمَئِلَّا   تِ ومَرِّ الشُّهُورِ والأعوامِ

المصمئلات: الشديدة

لن ترى مثلَه كتاباً مُبِيناً   لا بِشَكْلٍ له ولا إعْجَامِ

ليس هناك كتاب واضح مبين مثل الشيب، ووضوحه ليس بالتشكيل ولا بالإعجام (التنقيط)

خُطَّ غُفْلَ الحُروفِ، يَقْرَأُهُ الأُمِّـ   ـيُّ كالصُّبْحِ، غيرَ ذِي اسْتِعْجَامِ

استعجام: غموض

لَهْفَ نَفْسِي على الشبابِ الذي أصـ   ـبحَ خَلْفي، وذِكْرُهُ قُدَّامي
لَهْفَ نفسي على الظِّبَاءِ اللواتي   عاقَني عن قَنِيصِها إحْرَامي

الآن يعوقني عن صيدها إحرامي (لبسي للشيب)

لَهْفَ نفسي على احْتِكامِي على البِيـ   ـضِ، وإذْعَانِهِنَّ عندَ احتِكَامي
ودَعَتْني النساءُ عَمّاً، وقد كنـ   ـتُ لَدَيْهِنَّ مِنْ بَني الأَعمَامِ
مَلِكٌ حَلَّ في سَماءِ المَعالي   فوق شمسِ الضُّحَى وبَدْرِ الظَّلامِ

بدأ يمدح

وعَطايا كَوَامِنٌ في المواعِيـ ـدِ كُمُونَ الثِّمَارِ في الأكمامِ
سَاعِيَاتٌ إلى رجالٍ قُعُودِ ساريَاتٌ إلى أُنَاسٍ نِيَامِ
مُعْفِيَاتٌ من السُّؤَالِ، مُصَفَّا ةٌ، ألا هكذا عَطَاءُ الكِرامِ

تعفي الناس من السؤال، ومصفاة من المن

٣٤٤ واحيائي من النبي

وقال يرثي أهل البصرة ويذكر ما نالهم من الورزنيني صاحب الزنج:

ذَادَ عن مُقْلَتي لذيذَ المَنامِ شُغْلُها عنه بالدموعِ السِّجَامِ

ذاد (أبعدَ) عن عيني النوم اللذيذ انشغالها عنه بالدموع السجام (المنهمرة)

أيُّ نومٍ من بعدِ ما حَلَّ بالبَصْـ ـرَةِ مِنْ تِلْكُمُ الهَنَاتِ العِظَامِ؟

الهنات: الأحداث

أيُّ نوم من بعدِ ما انتَهَكَ الزَّنْـ ـجُ جَهاراً محارِمَ الإسلامِ؟
أَقْدَمَ الخائنُ اللعينُ عليها وعلى اللَّهِ أيَّمَا إقدام
لَهْفَ نفسي عليكِ أيَّتُها البَصْـ ـرَةُ لَهْفاً كَمِثْلِ لَهْبِ الضِّرَامِ
بينما أهلُها بأحسنِ حالٍ إذْ رَمَاهُمْ عبيدُهُمْ باصْطِلامِ

اصطلام: استئصال

دَخلوها كأنَّهُمْ قِطَعُ اللَّيْـ ـلِ إذا رَاحَ مُدْلَهِمُّ الظَّلامِ

دخلوا البصرة كأنهم قطع الليل عندما يروح (يعود ليلاً) الظلامُ المدلهم. كأن الظلام كان يشتغل طول النهار في حقله وراح (عاد مساء) إلى بيته

طَلَعُوا بالمُهَنَّداتِ جَهْراً، فألْقَتْ حَمْلَهُا الحامِلاتُ قبلَ التَّمامِ
كمْ ضَنينٍ بنفسِه رامَ مَنْجَىً فتَلَقَّوْا جبينَه بالحُسامِ
كم أخٍ قد رأى أخاهُ صَريعاً تَرِبَ الخَدِّ بينَ صَرْعَى كِرامِ
كم أبٍ قد رأى عزيزَ بَنِيهِ وَهْوَ يُعلَى بِصَارمٍ صَمْصَامِ
كم رَضيعٍ هناكَ قد فَطَمُوهُ بِشَبَا السَّيفِ قبلَ حينِ الفِطَامِ

شبا: حدّ

كم فتاةٍ بِخَاتِمِ اللَّهِ بِكْرٍ فَضَحُوها جَهْراً بِغيرِ اكتِتامِ

كم فتاةٍ مَصونةٍ قد سَبَوْها ... بَارِزاً وجهُها بِغيرِ لِثَامِ
صَبَّحُوهُمْ فَكابَدَ القومُ منْهُمْ ... طُولَ يومٍ كأنَّه ألفُ عَامِ
أَلْفُ أَلْفٍ في ساعةٍ قتَلوهُمْ ... ثم ساقُوا السِّبَاءَ كالأغنامِ

السباء: النساء المسبيات

من رَآهُنَّ يُتَّخَذْنَ إِمَاءً ... بعدَ مِلْكِ الإمَاءِ والخُدَّامِ؟
عَرِّجَا صاحِبَيَّ بالبصرةِ الزَّهْـ ... ـراءِ تَعْرِيجَ مُدْنَفٍ ذي سَقَامِ

مدنف: مريض

فاسْألاها، ولا جَوابَ لديْها ... لِسُؤالٍ، ومن لها بالكَلامِ
أينَ ضوْضاءُ ذلكَ الخَلْقِ فيها ... أينَ أسواقُها ذَوَاتُ الزِّحَامِ؟
أينَ فُلْكٌ منها وفُلْكٌ إليْها ... مُنْشَآتٌ في البحرِ كالأعْلامِ؟

فلك: سفن، منشآت: قال ابن كثير إنها السفن الشراعية وقال غيره غير ذلك، الأعلام: الجبال

أينَ تلكَ القُصورُ والدُّورُ فيها ... أين ذاكَ البُنْيانُ ذُو الإحْكَامِ؟
سُلِّطَ البَثْقُ والحَرِيقُ عليْهِمْ ... فَتَدَاعَتْ أركانُها بانهِدَامِ

البثق: الماء المنبثق

وخَلَتْ من حُلُولِهَا فَهْيَ قَفْرٌ ... لا تَرَى العَيْنُ بين تِلْكَ الأكَامِ..

حلولها: أهلها الذين يحلون فيها، الأكام: الأكوام، والأكمة التلة، وهي هنا تلال من ركام

غيرَ أَيْدٍ وأَرْجُلٍ بائِنَاتٍ ... نُبِذَتْ بَيْنَهُنَّ أَفْلاقُ هَامِ

بائنات: مفارقات الجسوم فهي أشلاء، أفلاق هام: رؤوس مفلقة

ووُجوهٍ قد رَمَّلَتْهَا دِمَاءٌ ... بِأَبِي تِلْكُمُ الوُجوهُ الدَّوَامي

الترميل يكون بالرمل ويكون بالدم، وهنا بالدم

وُطِئَتْ بالهَوَانِ والذُّلِّ قَسْراً ... بعدَ طولِ التَّبْجِيلِ والإعْظَامِ
فَتَراها تَسْفِي الرِّيَاحُ عليها ... جَارِيَاتٍ بِهَبْوَةٍ وقَتَامِ

هبوة: غبار، قتام: غبار

وانَدامي على التَّخَلُّفِ عنهُمْ ... وقليلٌ عَنْهُمْ غَنَاءُ نَدَامي
كيف تَرْضَى الحَوْرَاءُ بالمرءِ بَعْلاً ... وَهْوَ من دونِ حُرْمَةٍ لا يُحَامي؟

واحَيائي من النَّبيِّ إذا ما لامَني فيهِمُ أَشَدَّ المَلامِ
واانْقِطَاعِي إذا هُمُ خَاصَمُوني وتَوَلَّى النبيُّ عنهُمْ خِصَامي

انقطاعي: إفحامي، خاصموني: أخذوني للقاضي

مَثِّلُوا قولَه لَكُمْ أيُّها النَّا سُ إذا لامَكُمْ مَعَ اللُّوَّامِ:
أُمَّتي أينَ كُنْتُمُ إذْ دَعَتْني حُرَّةٌ من كَرائِمِ الأقْوامِ
صَرَخَتْ: «يا مُحَمَّدَاهُ»، فَهَلَّا قامَ فيها رُعَاةُ حَقِّي مَقَامي
اِنْفِرُوا أيها الكرامُ خِفَافاً وثِقَالاً إلى العبيدِ الطَّغامِ

الطغام: السِّفْلَة

أَبْرَمُوا أمرَهُمْ وأنتُمْ نِيَامٌ سَوْأَةً سَوْأَةً لِنَوْمِ النِّيَامِ
صَدِّقُوا ظَنَّ إخْوَةٍ أَمَّلُوكُمْ ورَجَوْكُمْ لِنَبْوَةِ الأيَّامِ
أدْرِكُوا ثَأْرَهُمْ فَذَاكَ لَدَيْهِمْ مِثْلُ رَدِّ الأرواحِ في الأجسامِ
لم تُقِرُّوا العُيونَ مِنْهُمْ بِنَصْرٍ فَأَقِرُّوا عُيُونَهُمْ بانتِقامِ
أَنْقِذُوا سَبْيَهُمْ، وقَلَّ لَهُمْ ذَا كَ، حِفَاظاً ورَعْيَةً لِلذِّمَامِ

٣٤٥ المدح والسؤال

وقال في الرجل لا يُطمع في رفده إلا بعد مدحه:

مَدِيحُكَ من تُطَالِبُه بِرِفْدٍ هجاءٌ منكَ فيهِ بِلا كَلامِ

بلا كلام: أي هو هجاء دون لفظ الهجاء

لأنَّكَ لم تَثِقْ منهُ بِمَجْدٍ فَتَقْنَعَ بِاللِّقَاءِ وبِالسَّلامِ

٣٤٦ لكنه يتكلم

وقال في بعض آل نوبخت:

يَقْري الضُّيُوفَ ولكنْ يَقْرِي الضيوفَ ويَنْدَمْ
وليسَ يَنْدَمُ سِرّاً لكِنَّهُ يَتَكَلَّمْ

٣٤٧ الشعراء غير نيام

وقال في علي بن محمد بن العباس:

ومَغَارِمُ الشُّعَراءِ في أَشْعَارِهِمْ   إنفاقُ أعْمارٍ وهَجْرُ مَنامِ

مغارم: مخاسر

وتَشاغُلٌ عن ذِكْرِ رَبٍّ لم يَزَلْ   حَسَنَ الصَّنائِعِ، سَابِغَ الإنْعَامِ

لم أَحْتَسِبْ فيكَ الثَّوابَ بِمِدْحَتي   إيَّاكَ، يا ابنَ أكَارِمِ الأقوامِ

أحتسب: أصنع الشيء لوجه الله، ليحسبه لي عنده

لو كانَ مَدْحي حِسْبَةً لم أَكْسُهُ   أَحَداً أَحَقَّ به من الأيْتامِ

فاقبلْ مديحاً والْقَهُ بِثَوابِهِ،   أَوْ لا، فَدَعْهُ لِغَارِمٍ غَنَّامِ

لا تَقْبَلَنَّ المَدْحَ ثُمَّ تَعُقَّهُ   وتَنامَ، والشُّعَراءُ غَيْرُ نِيامِ

واعلمْ بأنَّهُمُ إذا لم يُنْصَفُوا   حَكَمُوا لأنفسِهِمْ على الحُكَّامِ

وظُلامَةُ العَادي عليْهِمْ تَنْقَضي   وعِقَابُهُمْ يَبْقَى على الأيَّامِ

٣٤٨ ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت

إنْ أَقْبَلَتْ فالبدرُ لاحَ، وإنْ مَشَتْ   فالغصنُ رَاحَ، وإنْ رَنَتْ فالرِّيمُ

نَعِمَتْ بها عيني فَطَالَ عذابُها   ولَكَمْ عذابٍ قد جَنَاهُ نَعِيمُ

نَظَرَتْ فأَقْصَدَتِ الفُؤادَ بسهمِها   ثم انْثَنَتْ نَحْوي فَكِدْتُ أَهِيمُ

أقصدت: أصابت

وَيْلاهُ إنْ نَظَرَتْ وإنْ هِيَ أعرَضَتْ   وَقْعُ السهامِ ونَزْعُهُنَّ أَلِيمُ

٣٤٩ أدبني فأحسن تأديبي

وقال في القاسم بن عبيد الله:

لِلَّهِ دَرُّ ثِقَافٍ منهُ قَوَّمَني   لَئِنْ لَؤُمْتُ لقدْ أَبْقَى وما لَؤُمَا

ثقاف: تقويم وعقاب

ما زَال يَرْفُقُ في تقويمِه أَوَدي   حتَّى تَقَوَّمَ لي عُودي وما انْحَطَمَا

هذا الممدوح ظل يقوم أودي (اعوجاجي) برفق

٣٥٠ يا ضد عيسى

وقال يهجو خالدا القحطبي:

يـا ضِـدَّ عـيـسـى! جاءَ مـن لا أَبٍ   وجِـئْـتَـنـا أنـتَ مـن الـعـالَـمِ
يَـنْـزِلُ فـيـهِ كُـلُّ ذي غُـرْبَـةٍ   كَـأَنَّـهُ خـانُ بَـنـي عَـاصِـمِ

أي أن خالداً القحطبي قد نزل في خلقته كلُّ الآباء (تعريضاً بأن أمه لم تترك رجلاً إلا ومارسته)

٣٥١ التهنئة بسلامة المهزوم

وقال يهجو سليمان بن عبد الله الطاهري:

كَثُرَتْ فُتُوحُ أميرِنا وتَتَابَعَتْ   فَجَزَاهُ رَبُّ الناسِ دارَ كرامتِهْ
ما إنْ يزالُ مُعَزِّيَاً خلفاءَنا   عَنْ كُورَةٍ، ومُهَنِّئاً بِسَلامَتِهْ

كورة: إقليم

ضَرْطٌ كَتَشْقِيقِ الحَرِيرِ، وسَلْحَةٌ   في عَارِضَيْهِ، وفي مَفَارِقِ هَامَتِهْ

مثل صوت شق الحرير، سلحة: غائط، في عارضيه: في خديه. هذا البيت شتم بحت

٣٥٢ ما لم تتكلم

وقال يهجو (والأشهر أن البيتين قيلا في أبي تمام لحبسة كانت في لسانه، ونسبهما العباسي صاحب معاهد التنصيص لعبد الصمد بن المعذل أو لأبي العميثل، والشك منه):

يـا نَـبِـيَّ الـلَّـهِ فـي الـشِّـعْـ   ـرِ، ويـا عـيـسـى بْـنَ مَـرْيَـمْ

وعيسى تكلم في المهد

أنـتَ مـن أشـعَـرِ خَـلْـقِ الـلَّـ   ـهِ مـا لـم تَـتَـكَـلَّـمْ

٣٥٣ فتح بيولوجي

كـأنَّ أبـاهُ حـيـنَ وَاقَـعَ أمَّـهُ   أتَـاهـا، وفي إحْلِيلِهِ كُوزُ بَلْغَمِ

واقع: جامع، إحليل: عضو الرجل

فـجاءتْ بـه قِرْدَاً قـبيحاً مُقَبَّحاً   عـلـى مـا بِـهِ مـن قِـلَّـةٍ وتَـبَـظْـرُمِ

تبظرم: حمق

٣٥٤ النفس الخضراء

أقامَ مَشيبي عليَّ القِيامَةْ … وعَمَّمَني منه أَخزَى عِمَامَةْ
فَأَفْسَدَ بيْني وبينَ المِلاحِ … وأَوْحَشَ مني كُؤوسَ المُدَامَةْ
ظُلِمْتُ، ولا حَاكِمٌ عادِلٌ … على الشَّيْبِ يسمعُ مني الظُّلامَةْ
ولما رَأَيْتُ سِهامَ المشيبِ … جعلْتُ الخِضَابَ مِجَنّاً ولامَةْ

مجن: ترس، لامة: لأمة: درع

ومَا زِلْتُ أَلْطُفُ في حِيلَةٍ … تُعِيدُ الشَّبِيبةَ لي والوَسَامَةْ
تبيَّنْتُ منذُ خَضَبْتُ المشِيـ … ـبَ بعدَ اعْوِجَاجِ أُمُوري استِقامَةْ
وعادَتْ إليَّ خِلالُ الشبابِ … جَميعاً سوى فَتْكِهِ والعَرَامَةْ

خلال: صفات، الفتك: الجرأة على الغزل، العرامة: الاندفاع

سَوادُكَ فيه دَليلٌ على … شبابٍ، وفيه عليْهِ عَلامَةْ
سَتَنْدَمُ إن أنتَ لم تختَضِبْ … فَسَوِّدْ خِضَابَكَ قبلَ النَّدَامَةْ
ولا تَلْحُني في طِلابِ الشَّبابِ … فنفْسي به لم تَزَلْ مُسْتَهامَةْ

٣٥٥ الفطام الصعب

لن يَطِيبَ الهوى إذا لم تُنِرْهُ … وتُسَدِّي أثوابَهُ الآثَامُ

الهوى لا يطيب إلا بالذنوب تنيره وتسديه (تحكم نسجه عرضاً وطولاً)

لستُ مُسْتَعْذِباً وِصَالَ حَبيبٍ … أو تُرَى فيهِ لي ذنوبٌ عِظَامُ
فَحَلالُ الهوى نَبِيذٌ مُدَارٌ … وحَرَامُ الهوى شَمُولٌ مُدَامُ

ليس أن نبيذهم الحلال كان كالبيرة التي بدون كحول، بل إن بعض فقهاء العراق كانوا أحلوا أنواعاً من الخمر وجدوا في بعض كتب اللغة أنه لا يقع عليها لفظ الخمر

مَنْ أطالَ ارْتِضَاعَ أَخْلافِ لَهْوٍ … شَقَّ فيما أرى عليهِ الفِطَامُ

أخلاف: ضروع

فُتْ بِلَذَّاتِكَ العَواذِلَ والعذْ … لَ، وإلَّا فَاتَتْ بها الأيامُ
سَيُمَحِّي الذنوبَ منكَ صَلاةٌ … وخُضُوعٌ وخِيفَةٌ وصِيَامُ
لن تَمَسَّ الجَحِيمُ، ظَنِّيَ، جِلْداً … قد كَسَاهُ أثوابَهُ الإسلامُ

٣٥٦ الشبق والقرم

أَنْسَى نَصيبي من الفتاةِ سِوى نصيبِ أُذْني وناظِري وفَمي
ليسَ يُحِبُّ الكِرَامُ مِنْ شَبَقٍ ولا يَصِيدُ الملوكُ مِنْ قَرَمِ

القرم: اشتهاء أكل اللحم

٣٥٧ دار البطيخ

وقال يمدح إسماعيل بن بلبل:

أَجْنَتْ لكَ الوَجْدَ أغصانٌ وكُثْبانُ فِيهِنَّ نوعانِ تفاحٌ ورُمَّانُ

أجنت لك الوجد: سببت لك جني (قطف) الوجد نساء قدودهن أغصان وأردافهن كثبان، وخدودهن تفاح، ونهودهن رمان

هذه القصيدة نبزها أحد آل طاهر «دار البطيخ»، ودار البطيخ اسم دكان الفواكه في ذلك الزمن

وفوقَ ذَيْنِكَ أعنابٌ مُهَدَّلَةٌ سُودٌ لَهُنَّ من الظَلْمَاءِ ألوانُ

وفوق ذينك (هذين: أي الخدود والنهود) شعر كقطوف العنب الأسود

ومِنْ عجائِبِ ما يُمْنَى الرجالُ به مُسْتَضْعَفَاتٌ له مِنْهُنَّ أَقْرَانُ
مُناضِلاتٌ بِنَبْلٍ لا تَقُومُ له كتائبُ التُّرْكِ يُزْجِيهِنَّ خَاقَانُ

يزجيهن: يدفعهن، خاقان: أمير الترك

ولا يَدُمْنَ على عهدٍ لِمُعْتَقِدٍ أَنَّى، وَهُنَّ كما شُبِّهْنَ بُستانُ؟

معتقد: من عقد معهن عقداً على الوفاء

يَمِيلُ طَوْراً بِحِمْلٍ ثم يَعْدَمُهُ ويَكْتَسي ثم يُلْفَى وَهْوَ عُرْيَانُ
إنْ لم أَزُرْ مَلِكاً أُشْجي الخُطوبَ به فلم يَلِدْني أبو الأَمْلاكِ يُونَانُ

أُشجي الخطوب: أغيظ المصائب

بل إن تَعَدَّتْ فلم أُحْسِنْ سِياسَتَها فلم يَلِدْني أبو السُّوَّاسِ سَاسانُ

الخطوب إن تعدت علي ولم أحسن التحايل عليها فلا نُسبتُ إلى ساسان (يقصد الفرس، فأمه فارسية)

قالوا: أبو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ، قلتُ لَهُمْ: كَلَّا لَعَمْرِي ولكنْ منه شَيْبَانُ

قصت علينا الكتب القديمة حكاية غضب أبي الصقر من هذا البيت. العربي يرضى منك أن تمدح قبيلته وتنساه، أما أن تقول إن قبيلته عظيمة بسببه فتلك مسبة. وسعى القوم مع أبي الصقر، ولفتوا نظره إلى الأبيات التالية التي تمجد شيبان، ولكن بلا فائدة، وحرم ابن الرومي العطاء. وبالطبع سلق شاعرنا أبا الصقر بهجاء مر

وكَمْ أَبٍ قد عَلا بِابْنٍ ذُرَا شَرَفٍ ... كمـا عَلا برسُولِ اللّهِ عدنانُ
تَسْمُو الرِّجالُ بآباءٍ، وآونَةً ... تسمو الرجالُ بأبناءٍ وتَزْدَانُ
ولم أُقَصِّرْ بِشيْبَانَ التي بَلَغَتْ ... بِهَا المبالغَ أَعْرَاقٌ وأَغْصَانُ
لا يَرهَبُونَ، إذا الأبطالُ أرهَبَهُمْ ... يومٌ عصيبٌ، وَهُمْ في السِّلْمِ رُهْبَانُ
حَلُّوا الفَضَاءَ ولم يَبْنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ، ... إلا القَنا وإطارَ الأُفْقِ، حِيطَانُ

منزلهم الفضاء (البر)، وليس لهم حيطان تحميهم ـ اللهم إلا القنا (الرماح) والأفق. أي أن لهم كل أنحاء البلاد

٣٥٨ سقى الله أيام زمان

ذهبَ الذين تَهُزُّهُمْ مُدَّاحُهُمْ ... هَزَّ الكُمَاةِ عَوالِيَ المُرَّانِ

الكماة: المسلحون، عوالي المران: الرماح الصلبة والمرنة في الوقت نفسه

كانوا إذا امتُدِحُوا رَأَوْا ما فِيهِمُ ... فَالأَرْيَحِيَّةُ مِنْهُمُ بِمَكَانِ

الأريحية: خلق يتحلى به بعض الناس في بعض الظروف. يكون المرء مرتاحاً في مكانه واثقاً بنفسه فيكون أريحياً قادراً على الإعطاء، ثم يكون هذا الشخص نفسه في منصب كبير عليه، فتراه خائفاً هياباً لا يأخذ قراراً إلا بالرجوع إلى رئيسه، وليس مستعداً لحمل أية مسؤولية، فيفقد أريحيته. وقد عرفت امرأً كان مديراً على مئة شخص ويزيد، وكان قليل الأريحية؛ وكنت أظن أنه لو كان عاملاً بسيطاً لتجلت أريحيته وحسن تعامله مع الناس

والمدْحُ يَقْرَعُ قلبَ من هُوَ أَهْلُهُ ... قَرْعَ المَوَاعِظِ قلبَ ذي إيمانِ
فَدَعِ اللئامَ فما ثوابُ مديحِهِمْ ... إلّا ثوابُ عِبَادَةِ الأوثانِ

٣٥٩ الله أدرى بلوعة الحزن

وقال في بعض من كان يألفه ثم هجره:

حارَبَ أجفانَهُ الرُّقَادُ، فما ... يَسْكُنُ من ليلِه إلى سَكَنِ
لا تَنْفِسَا عَبْرَةً أجودُ بِها ... فَلَسْتُ أبكي بها على الدِّمَنِ

تنفسا: تحسدا، الدمن: الخرائب

لم يُخْلَقِ الدمعُ لامْرِئٍ عَبَثاً ... اللّهُ أدرى بِلَوْعَةِ الحَزَنِ

ليت أعثر على من يساعدني، على من يشرح لي سبب حبي الشديد لهذا البيت من الشعر. بيت كأنه الفتاة الفاتنة، اجتمع فيها الجمال والجاذبية، فلا تستطيع لها لا وصفاً ولا تشبيهاً

أساءَ بي ما أتَيْتَ من حَسَنٍ إليَّ فيما مضَى من الزمنِ
منعْتَني بعدَكَ العَزاءَ به يا ليتَ ما كانَ منكَ لم يَكُنِ

منعتني من نسيانك والتسلي عن فقدك لكثرة إحسانك في حياتك، فيا ليتك ما كنت محسناً

٣٦٠ الطبيب المجرم

وقال في إسماعيل اليهودي المتطبب وكان قد غلط عليه في علاج عالجه به:

إنَّ إسماعيلَ قِرْدٌ مجرمٌ إنْ سَقانيِ دَمَهُ اللَّهُ شَفاني
لو رأى آدمُ جَهْلي لَمْحَةً يومَ شَاوَرْتُ اليَهُوديَّ نَفَاني

نفاني: تبرأ مني

٣٦١ توصية لمنكر ونكير

وقال لما توفي أبو حسان الزيادي:

أقولُ إذْ هَتَفَ الدَّاعي بِمَصْرَعِهِ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ مِنْ داعٍ بِتَبْيينِ
نَعَيْتَ من جَمَدَتْ غُزْرُ العُيونِ له فلمْ تَفِضْ عَبْرَةٌ من عَيْنِ مَحْزُونِ

العيون الغزيرة بالدموع جمدت فلم تبك عليه

يا مُنْكَراً ونَكِيراً أَوْجِعَاهُ فَقَدْ خَلَوْتُمَا بِقليلِ الخيرِ مَلعونِ

٣٦٢ أرجوحة الحمائم

حَيَّتْكَ عنَّا شَمَالٌ طافَ طائِفُها بجنَّةٍ، فَجَرَتْ رَوْحاً ورَيْحانا

شمال (ريح شمالية) طافت بجنة (روضة) فأخذت تجري روْحاً (نسيماً) وريحاناً (عطراً) ثم جاءتك لكي تؤدي التحية بالنيابة عنا

هَبَّتْ سُحَيْراً فنَاجَى الغصنُ صاحبَه مُوَسْوِساً وتَنَادَى الطَّيْرُ إعْلانا

موسوساً: مصدراً صوتاً خفيفاً

وُرْقٌ تُغَنِّي على خُضْرٍ مُهَدَّلَةٍ تَسْمُو بها، وتَشَمُّ الأرضَ أَحيانا

ورق: حمام، وهي تغني على أغصان خضر متدلية، ترتفع حيناً بالحمام وتهبط، بهبوب الريح، فتشم الحمائم الأرض

تَخَالُ طائِرَها نَشوانَ من طَرَبٍ والغصنَ مِنْ هَزِّهِ عِطْفَيْهِ نَشوانَا

٣٦٣ الأعداء كامنة فينا

نَبني المَعاقِلَ، والأعداءُ كامنةٌ   فينا بِكُلّ طَريرِ الحَدِّ مَسْنُونِ

طرير الحد: قاطع الحد

ونَجْمَعُ المالَ نرجُو أن يُخَلِّدَنا   وقَبْلَنا قد أَبَى تَخْلِيدَ قارُونِ

٣٦٤ ذنب سألت الله ألا يغفره

وقال في خالد القحطبي:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ من ذنبي ومن خَطَإِي   إلّا هِجائي دَعِيَّ القَحْطَبِيّينا

فإنَّ ذلكَ ذَنْبٌ لَسْتُ أَحْفِلُهُ   لا يَغْفِرِ اللَّهُ ذاكَ الذَّنْبَ، آمِينا

أحفله: أحفل به، لا يغفرِ: بالكسر، أدعو الله ألا يغفر

٣٦٥ ثالثة الأثافي

كان لِلأرضِ مَرَّةً ثَقَلانِ   فَلَها اليومَ ثالِثٌ بِفُلانِ

الثقلان: الإنس والجن

أَتَّقي غُصَّةَ اسمِهِ عَلِمَ اللَّـ   ـهُ فَأَكْني عن ذِكرِهِ بالمَعاني

يا ثقيلَ الثِّقَالِ! أَقْذَيْتَ عَيْني   ليتَ أني كما أَراكَ تَراني

٣٦٦ آذان وشفاه

وقال في دريرة الجارية، وكان أبو العباس المرثدي يعشقها، وسأل ابنَ الرومي أن يصفها:

ذاتُ وجهٍ كأنما قيلَ: كُنْ فَرْ   داً بديعاً بلا نَظيرٍ، فَكانا

قد أَرَتْنَا وأَسْمَعَتْنا، ولكِنْ   تركَتْ كلَّ عاشقٍ ظَمْآنا

مَتِّعي هذهِ المَرَاشِفَ مِنْ ريـ   ـقِكِ يا مَنْ يُمَتِّعُ الآذانا

المراشف: الشفاه

واقْسِمي العدلَ في جَوارِحِ قومٍ   تَركَ الظلمُ بعضَها هَيْمَانا

العدل: بعدل، جوارح: أعضاء، أي أنك لا تعدلين بين آذاننا التي تسمع غناءك، وبين شفاهنا المحرومة من قبلاتك

أنَــا والــلَّـــهِ يـــا دُرَيْـــرَةُ أَهْـــوا ... كِ، وإنْ ذُقْتُ فـي هَـواكِ الـهَـوانـا
أَشْـتَـهِـي أنْ أَعَـضَّ مـنـكِ بَـنَـانـاً ... طَـالَ عَـضِّـي عـلـيـهِ مِنِّـي البَـنَـانـا

عضي البنان: غيظي، والمرء إذا اغتاظ أو ندم عض أصابعه، أو وجب أن يفعل

لـم أَنَـلْ منـكِ مُـذْ هَـوَيْـتُـكِ حَـظَّـاً ... مِــن نَــوَالٍ سِـــرَّاً ولا إعــلانــا
غـيـرَ أَنِّـي أَبِـيـتُ لَـيْـلِـيَ حَـيْـرا ... نَ، أُرَاعِـي مِـنْ نَـجْـمِـهِ حَـيْـرانـا

٣٦٧ امتزاج الروحين

أُعَانِقُـهـا والـنـفْـسُ بـعـدُ مَـشُـوقَـةٌ ... إلـيْـهـا، وهـلْ بـعـدَ الـعِـنـاقِ تَـدانِ؟

تدانٍ: اقتراب

فَـأَلْثِمُ فَـاهَـا كـيْ تـمـوتَ حَـرارَتـي ... فَـيَـشْـتَـدُّ مـا أَلْـقَـى مِـنَ الـهَـيَـمَـانِ

ألثم: أقبِّل

ومَا كان مِقْدَارُ الذي بِي مِنَ الجَوَى ... لِـيَـرْوِيَـهُ مـا تَـرْشُـفُ الـشَّـفَـتَـانِ
كـأنَّ فـؤادِي لـيـسَ يَـشْـفـي غـلـيـلَـه ... سوى أن يَرى الرُّوُحَيْنِ يَـمْـتَـزِجَانِ

٣٦٨ شعراء وكتاب

وقال في أبي الحسين كاتب أبي العباس بن أبي الإصبع:

فَـمَـنْ يَـكُ سـائـلاً مـا وَجْـهُ فَـخْـرِي ... فـإِنِّــي فَــاخِــرٌ؛ أَدَبِــي زَهَــانِــي
ونـحنُ، مَـعـاشِـرَ الـشُّـعَراءِ، نَـنْـمِـي ... إلــى نَــسَــبٍ مــن الــكُــتَّــابِ دَانِ
وإنْ كــانــوا أَحَــقَّ بِــكُــلِّ فَـضْــلٍ ... وأَبْــلَــغَ بِــالــلِّــســانِ وبــالــبَــنَــانِ
أَبُــونَــا عــنــدَ نِــسـبَـتِـنـا أَبُـوهُـمْ ... عُــطَــارِدُ الــسَّــمَــاوِيُّ الــمــكــانِ

قال الأزهري في التهذيب (٣/٣٤٦): عطارد كوكب الكُتَّاب، ونسخها عنه ابن منظور في اللسان منسوبة، والزبيدي في التاج. وهذا صدى لأقوال اليونان فيما يرمز إليه عطارد (الإله والكوكب)

٣٦٩ الموت اللذيذ في أحضان القيان

ولاحٍ فـي الـقِـيـانِ فـقـلْـتُ: مَـهْـلاً ... رُمِـيـتَ بِـنَـبْـلِ أَوْتَـارِ الـقِـيَـانِ
مِنَ الـسُّـمْـرِ الـلِّـدَانِ إذا اسْـبَـكَـرَّتْ ... وصِـرْفُ الـموتِ في الـسُّـمْـرِ الـلِّـدَانِ

السمر اللدان: الرماح، اسبكرت: اعتدل قوامها. والصرف بفتح الصاد الخطب، وبكسرها المحض الخالص

٣٧٠ ازرع الحَبّ

وقال في جحظة:

أَنفِقِ المالَ قبلَ إِنفاقِكَ العُمْـ ـرَ، ففي الدَّهْرِ رَيْبُهُ ومَنُونُهْ
اِزْرَعِ الحَبَّ تَسْتَدِمْهُ، فَمِمَّا رَدَّ مَزْرُوعُهُ أَتَى مَطْحُونُهْ

إنفاقك المال يعود عليك بالمال، مثل الحبوب تزرعها فتعود عليك بحبوب أكثر لتطحنها. لا تقرأها الحُبَّ، كما قرأها محقق الديوان، فلا يعود لها معنى

٣٧١ زراعة الحصى

وقال يتنجز وعداً:

قد حَالَ لِلْموعِدِ المأمولِ حَوْلانِ وقد تَلا ذَيْنِكَ الحَوْلَيْنِ شَهْرانِ
ولو زَرَعْتُ حَصىَ المَعْزاءِ أَثْمَرَ لي مُذْ ذَاكَ شيئاً، ولو في مَتْنِ صَفْوانِ

المعزاء: الأرض الصلبة، صفوان: صخر

٣٧٢ شبق غانية

قال ابن الرومي (على لسان غانية):

نحنُ الحِسَانُ اللَّواتِي ليس يُعْجِبُنا إلَّا الحِسانُ فَلا نَخْدَعْكَ بِالمَيْنِ

الحسان (النساء) يعجبهن الحسان (من الذكور) المين: الكذب

لا تَخْلِطِ الحُبَّ بالتَّقْوى لِتَعْطِفَنا على مُحِبٍّ أَذَقْناهُ الأَمَرَّيْنِ
فلم نَبِعْ قَطُّ دُنْيانا بِآخِرَةٍ، ومثلُنا لا يَبيعُ النَّقْدَ بالدَّيْنِ
نُحِبُّ كلَّ غلامٍ فيه مَيْعَتُهُ يَنْزُو إذا ما اسْتَبَكْنَاهُ بأبْرَيْنِ

ينزو: يثب

ذاكَ الذي يُخْلَصُ الودُّ الصحيحُ له ونَشْتَرِي بَيْكَةً منه بِألْفَيْنِ

٣٧٣ لم أطلبه كفناً

جُعِلْتُ فِداكَ لم أَسْأَلْـ ـكَ ذاكَ الثوبَ لِلْكَفَنِ
سَأَلْتُكُمُ لأَلْبَسَهُ ورُوحِي بعدُ في البَدَنِ
وقد طالَ المِطَالُ به وخِفْتُ حوادِثَ الزمنِ

٣٧٤ العيون تلوذ بأجفانها

وقال في ابن حريث:

إذا بـــدا وجـــهُـــهُ لِـــقـــوم لاذَتْ بـأَجْـفـانِـهَـا الـعـيـونُ
كـــأنـــه عـــنـــدَهُـــمْ غَـــريـــمٌ حَـــلَّـــت لـــه عِـــنـــدَهُـــمْ دُيُـــونُ

٣٧٥ أطفال في أحضان القيان

وقال يهنئ عبيد الله بن عبد الله بالمهرجان:

وقِـيـانٍ كـأنَّـهـا أُمَّـهَـاتٌ عَـاطِـفَـاتٌ عـلـى بَـنِـيـهـا حَـوانِ

عاطفات: مقبلات منحنيات، حوان: حانيات جسومهن حناناً ورحمة

مُـطْـفِـلاتٌ ومـا حَـمَـلْـنَ جَـنِـيـنـاً مُـرْضِـعَـاتٌ ولَـسْـنَ ذاتَ لِـبَـانِ

مطفلات: ذوات أطفال، يصف هيئة احتضان هؤلاء المغنيات لأعوادهن

مُـلْـقِـمَـاتٌ أَطْـفـالَـهُـنَّ ثُـدِيَّـاً نَـاهِـدَاتٍ كـأَحْـسَـنِ الـرُّمَّـانِ
كـلُّ طِـفْـلٍ يُـدْعَـى بِـأَسْـمَـاءَ شَـتَّـى بـيـنَ عـودٍ ومِـزْهَـرٍ وكِـرانِ

كران: عود (عن اللسان)

أُمُّـهُ دَهـرَهـا تُـتَـرْجِـمُ عـنـه وَهْـوَ بـادي الـغِـنَـى عن الـتَّـرْجُـمانِ

رأيت العازف القوي يقول النغم بتفاصيله بعفق جيد وعُرَبٍ واضحة، ورأيت العازف الضعيف يختبئ وراء صوت المطرب ويتركه يفسر النغم. وعازفاتنا مغنيات أيضاً لكن عزفهن قائم بذاته

أُوتِـيَ الـحُـكْـمَ والـبَـيـانَ صَـبِـيَّـاً مثلَ عيسى بنِ مَرْيَمٍ ذي الـحَـنـانِ

الحنان: الرحمة

فَـنَـفَـثْـنَ الـسَّـمَـاعَ فـي أُذْنِ خِـرْقٍ أَرْيَـحِـيٍّ عـلـيـه ثَـرٍّ الـبَـنَـانِ

السماع: الغناء، خرق: رجل سخي، أريحي عليه: كريم على الغناء يسمعه فيجود بالمال، ثر البنان: غزير اليد بالعطاء

وتَـغَـنَّـتْـهُ بـالـمَـدَائِـحِ فـيـهِ كـلُّ غَـيْـدَاءَ غَـادَةٍ مِـفْـتَـانِ
فـأقـامَ الأمـيـرُ فـي ظِـلِّ يـومٍ فـيـه مِـنْ كـلِّ نِـعْـمـةٍ زَوْجَـانِ
أَعْـجَـمِـيٌّ آيِـيـنُـهُ، عَـرَبـيٌّ مَـجْـدُهُ، يَـنـتـمـي إلـى عَـدنـانِ

آيين: إيتيكيت

هـاكَـهـا! لا أقـولُ ذاكَ مُـدِلّاً   قـولَ ذي نَـخْـوَةٍ بِـهَـا وامْـتِـنـانِ

مدلاً: مفتخراً، نخوة: هنا معناها افتخار

بـيـنَ أثـنـائِـهـا مـديـحٌ نـفـيـسٌ   مَـنْ لَـبُـوسِ الـمـلـوكِ والـفُـرْسـانِ

راقَ معنىً، ورَقَّ لفظاً فَيَحْكي   رَائِقَ الخمرِ في رقيقِ الصِّحَانِ

الصحان: الأقداح

إن تَكُنْ سَهْلَةَ القَوافي فليسَتْ   في المعاني بِسَهْلَةِ الوِجْدَانِ

قوافي هذه القصيدة سهلة، فالنون عليها كلام كثير، ولكن معانيها ليست سهلة الوجدان (ليس سهلاً إيجادها)

فابْتَذِلْها في يومِ لهوِكَ واعلَمْ   أنّها بعدُ من ثيابِ الصِّيَانِ

ثياب الصيان: الثياب التي تصان وتحفظ للمناسبات

وابْسُطِ العُذْرَ في ارتِخَاصِ القَوافي   واتِّبَاعي سُهُولَةَ الأوزانِ

أنتَ ألجأْتَني إلى ما تراهُ   بالذي فيكَ من فنونِ المعاني

أيُّ وَزْنٍ وأيُّ حَـــــرْفِ رَوِيٍّ   لهما بالمديحِ فيكَ يَدانِ؟

لهما فيك يدان: يستطيعان توفيتك حقك

ضاقَ عن مَأثُرَاتِكَ الشعرُ إلّا   فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلانِ

وهكذا فابن الرومي يرى البحر الخفيف وزناً سهلاً. ولعمري هذا الشاعر لم يصعب عليه وزن ولم تحرن بين يديه قافية

٣٧٦ سأغسلك بالصابون

وقال في إسماعيل بن بلبل:

أقلُّ ما يُوجِبُ الكريمُ لِمَنْ   يَحْرِمُ: ألّا يُذِيقَهُ الهُونَا

ورُبَّ هُونٍ لَقِيتُ منكَ ومِنْ   حَاجِبِكَ الدُّونِ لم يَكُنْ دُونَا

فَافْكُكْ لِساناً رهَنْتَهُ: بِجَداً   أو بِاعتِذارٍ، فَلَسْتَ قَارُونا

فك لساني الذي اتخذته رهينة، وذلك بتقديم جدا (عطاء)، أو باعتذار؛ وأنا مدرك أنك لست غنياً جداً

أَزْمَعْتَ مَنعي وأنتَ تُطْمِعُني   وليسَ ذَمِّي عليكَ مَأْمُونَا

فاصْدُقْ فإنِي أراكَ إنْ بَخِلْتَ   نفسُكَ بالصِّدْقِ رُحْتَ مَغْبُونا

أَمَـا رأيـتَ الـفِـجَـاجَ وَاسِـعَـةً   والـلَّـهَ حَـيَّـاً، والـرزقَ مَـضْـمُـونـا؟
أَظْهِرْ من الـمَـنْـعِ ما تُـجَـمْـجِـمُـهُ   فَـشَـرُّهُ مـا يَـكـونُ مَـكْـنُـونـا

تجمجمه: تتردد فيه

وانـفُـثْ مـن الـصَّـدْرِ ما يَـضُـرُّ بـه   لا تـتْـرُكِ الـدَّاءَ فـيـه مَـدْفُـونـا
قلِ: اعْفُ عني عَثَرْتُ في عِدَتي   بِـأْتِـكَ عَـفْـوي ولـيـسَ مَـمْـنُـونـا
ولا تـقـلْ لـيِ: نـعـمْ، وعَـزْمُـكَ لا،   فَـيَـلْـعَـنَ الـشـعـرُ منـكَ مَـلْـعُـونـا
إنــي امْــرُؤٌ إنْ أَرَادَ مَـيْـمَـنَـتـي   كـريـمُ قَـوْمٍ غَـدَوْتُ مَـيْـمُـونـا
وإن أرادَ الـلـئـيـمُ مَـشْـأَمَـتـي   كـنـتُ لـه طَـعْـنَـةً وطَـاعُـونـا
منْ دَنَّسَ العِرْضَ بالـمَـوَاعِدِ والـ   ـخُلْفِ جَعَلْتُ الهِجاءَ صَابُونا
ولـسـتُ أَرْمـي بِـنَـبْـلِ قـافـيـةٍ   ذَوي مَـعـاذِيـرَ لا يَـجُـودُونـا
لـكـنـنـي أَنْـتَـحـي بـهـا أَبـداً   ذَوي مَـواعِـيـدَ لا يُـنِـيـلُـونـا

أنتحي: أقصد نحوهم

قـد أَتْـعَـبُـونـا بِـحَـوْكِ مَـدْحِـهِـمُ   وبـالـتَّـقَـاضـي، ومَـا يُـرِيـحُـونـا

أتعبونا نحن بالنظم وبالمطالبة، وهم أنفسهم لا يُريحون (أي لا يستريحون)

٣٧٧ طاب لي الرحيل

وقال يرثي ابنه هبة الله:

أَبُـنَـيَّ إنَّـكَ والـعَـزاءَ مـعـاً   بـالأمـسِ لُـفَّ عـلـيـكُـمَـا كَـفَـنُ
تَـالـلَّـهِ لا تَـنْـفَـكُّ لـي شَـجَـنـاً   يَمْضي الـزمـانُ وأنـتَ لـيِ شَـجَـنُ
والآنَ حـيـنَ ظَـعَـنْـتَ عـن وَطَـنـي   سَـمُـجَ الـمُـقَـامُ وطَـابَ لـيِ الظَّعَنُ

وطني: بيتي

يـا حَـسْـرَتَـا فَـارَقْـتَـنـي فَـنَـنـاً   غَـضَّـاً، ولـم يُـثْـمِـرْ لـيَ الـفَـنَـنُ
أولادَنَـا! أنـتُـمْ لـنَـا فِـتَـنٌ   وتُـفَـارِقُـونَ، فَـأَنْـتُـمُ مِـحَـنُ

٣٧٨ كدت أسأله رد الشباب

يُعْطِي الرَّغائِبَ جُوداً مِن طَبِيعَتِه   لا كـالـمُـتَـاجِـرِ بـالـمَـعْـرُوفِ أَحيَانا

لا يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ولا تَرَاهُ بما أَسْدَاهُ مَنَّانا

لا يطلب ثواب المعروف مدحاً

سَأَلْتُهُ الحَاجَ حتَّى كِدْتُ أَسْأَلُه ردَّ الشبابِ جديداً كالذي كانا
فمَا تَجَهَّمَ حَاجَاتي لِكَثْرَتِها ولا تَلَوَّنَ منه الوَجْهُ أَلْوَانا

٣٧٩ عبوس ملول متلون ظالم

قَرأْتُ في وجهِكَ عُنْوانا آذَنَني بالغَدْرِ إِيذَانا
طَلَعْتَ من بُعْدٍ فأَوْهَمْتَني أَنَّكَ قد عايَنْتَ شَيْطانا
لاقَيْتَني ساعةَ لاقَيْتَني أَثْقَلَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْفَانا
كأنما كنتَ تَضَمَّنْتَ لي رَدَّ شَبابي كالذي كانا
أَوْ طَمَّ بَحْرِ الصِّينِ في طَرْفَةٍ أو كَسْحَ أَرْوَنْدٍ وثَهْلانا

أروند وثهلان: جبلان معلومان

أو كُلَّ ما لم يَسْتَطِعْ فعلَهُ عيسى ولا موسى بنُ عِمْرانا
يا حَسَنَ الوجْهِ لقد شِنْتَه فاضْمَنْ إلى حُسْنِكَ إِحْسَانا
أنتَ مَلُولٌ حَائِلٌ عَهْدُهُ تَصْبِغُكَ السَّاعَاتُ أَلْوَانا

حائل: متحول

تَصْرِمُ ذا الوَصْلِ، وتُضْحي إلى من يَجْتَوِي وَصْلَكَ ظَمْآنا

تصرم: تهجر، يجتوي: يكره

حتى إذا وَاصَلَ صَارَمْتَهُ أو سُمْتَهُ صَدّاً وهِجْرانا
وتَستَلِينُ الدَّهرَ ذا خُشْنَةٍ فَظّاً، وتَسْتَخْشِنُ مَنْ لانا
وتَعقِدُ الوَعْدَ، فإِنْجَازُهُ خُلْفٌ إذا إِنْجَازُهُ آنا
حتَّى إذا أَنْجَزْتَهُ مَرَّةً مَنَنْتَهُ سِرّاً وإِعْلانا
وما أُحِبُّ الوَاعِدِي مُخْلِفاً كَلَّا، ولا المُمْتَنَّ مَنَّانا
حَذَّرْتَنِي الناسَ، فقد أَصْبَحَتْ نَفْسِيَ لا تَأْلَفُ إِنْسَانا

حذرتني الناس: سلوكك جعلني أَحْذَرُ الناس

أَهَنْتَنِي جِدّاً، فَأَعْزَزْتَني رُبَّ امرئٍ عَزَّ بِأَنْ هَانَا

٣٨٠ استحسانه الحسنا

وقال يصف الكرم:

ليس الكريمُ الذي يُعطي عَطِيَّتَه   على الثَّناءِ، وإنْ أَغْلَى به الثَّمَنا
بلِ الكريمُ الذي يُعْطي عَطِيَّتَه   لِغَيْرِ شَيْءٍ سوى اسْتِحْسَانِه الحَسَنا

٣٨١ حتى الريان يتعطش إليها

فَضَّلَ الرَّاحَ أنَّها لَذَّةُ المَشْـ   ـرَبِ عندَ الظَّمْآنِ والرَّيَّانِ

لذة: لذيذة

وجَمِيعُ الشَّرابِ مِمَّا سِوَاها   غَيرُ لَذٍّ إلا لَدَى الظَّمْآنِ

٣٨٢ الشهيد

كَسَتْهُ القَنَا حُلَّةً مِنْ دَمٍ   فَأَضْحَتْ لدى اللَّهِ من أُرْجُوَانِ
حَذَتْهُ مُعَانَقَةُ الدَّارِعِينَ   مُعَانَقَةَ القاصِرَاتِ الحِسَانِ

حذته: منحته، الدارعون: لابسو الدروع، القاصرات: الحوريات

٣٨٣ غافل جاهل

وقال في البيهقي:

رَجُلٌ يَدَّعِي الصَّرامةَ والفَتْـ   ـكَ، وحَوْلاؤُهُ تُبَاكُ بِإِذْنِهْ

حولاؤه: يعني امرأته الحولاء

مِثْلَمَا يَدَّعِي من العِلْمِ بالنَّحْـ   ـوِ على جَهْلِهِ وكَثْرَةِ لَحْنِهْ

٣٨٤ «غناء» الطنبوري

وقال في أبي سليمان الطنبوري:

أبو سُلَيْمانَ لا تُرْضَى طَرِيقَتُه   لا في غِنَاءٍ ولا تَعليمِ صِبْيَانِ
عُوَاءُ كَلْبٍ على أَوْتَارِ مِنْدَفَةٍ   في قُبْحِ قِرْدٍ، وفي اسْتِكْبَارِ هَامَانِ
وتَحْسَبُ العينُ فَكَّيْهِ إذا اخْتَلَفَا   عندَ التَّنَغُّمِ فَكَّيْ بَغْلِ طَحَّانِ

٣٨٥ عجائب كيمياء الحظ

وقال في إسماعيل بن بلبل:

عَجِبَ الناسُ من أبي الصَّقْرِ إذْ وُلِّـ ـيَ بعدَ الإجَارَةِ الدِّيْوَانا

الإجارة: تأجير الفتى نفسه لجماعة من اللاطة يذهبون به يوماً ويتعاورونه. كلمة عباسية لا توردها القواميس لكن صاحب الأغاني أفادناها

ولَعَمْرِي ما ذَاكَ أَعْجَبُ من أنْ كان عِلْجَاً فصارَ مِنْ شَيْبَانا

إن لِلْجَدِّ كِيمِياءُ إذا مَا مَسَّ كَلْباً أَحَالَهُ إنسانا

الجد: الحظ، كيمياء: علم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب

يفعلُ اللَّهُ ما يشاءُ، كما شَا ءَ، متى شَاء، كائِناً ما كانا

٣٨٦ تطليق الهجاء

يا من قَسَا لمَّا شَكَوْ تُ إلى تَطَوُّلِهِ زَمانِي

واغْتَدَّنِي لما رَخُصْـ ـتُ عليه مِنْ سَقَطِ المعَانِي

سأَصُونُ مَالَكَ عن يَدِي وأَصُونُ عِرْضَكَ عن لساني

آلَيْتُ لا أهجو طَوا لَ الدَّهْرِ، إلَّا من هَجَانِي

لا بل سَأَطَّرِحُ الهجا ءَ، وإن رَمانِي من رَمانِي

أَمِنَ الخلائقُ كلُّهُمْ فَلْيَأْخُذُوا مِنِّي أَمَانِي

حِلْمِي أعزُّ عَلَيَّ مِنْ غضبِي، إذا غضبِي عَرانِي

فَلأَصْبِرَنَّ وأَكْظِمَنَّ وإن لَظَى غَيظِي كَوَانِي

لكنَّنِي سَأُحِبُّ نفـ ـسِي إذ قَلانيَ من قَلانِي

وأُرِيدُها كُلَّ الإرا دَةِ إذْ أَبَانِيَ من أَبَانِي

وأَرَى مَكَانِيَ إذ تَعَا مَهَ مَنْ تَعَامَهَ عَنْ مَكَانِي

تعامه: تجاهل

حتى يَرَانِي اللَّهُ كيـ ـفَ صِيانَتِي قَدْرِي وشَانِي

ويَعُولُنِي، فَعِيَالَتِي حَقٌّ عليه، كما بَرانِي

٣٨٧ صديق في الشدة، موبِّخ في الرخاء

وقال في أبي سهل بن نوبخت:

لـيِ صـديـقٌ إذا تُـنُـووِلَ عِـرضـي أو رأى يـومَ نَـوْبَـتـي ذَبَّ عـنـي

يوم نوبتي: يوم مصيبتي

فـإذا مـا رأى مُـشِـيـداً بِـذِكـري أو رأى يـومَ غِـبْـطَـتـي حَـطَّ مِـنّي

نَـفْـعُـهُ فـي شـدائِـدي لا رَخـائـي فَـهْـوَ لي كَـالطَّـبيبِ لا كـالمُـغَـنّي

ليس يُجْدي عليَّ في يومِ سِلْمي وَهْوَ في الحربِ مُنْصُلي ومِجَنّي

منصل: سيف، مجن: ترس

لـسـتُ أَنْـفَـكُّ بـيـنَ ضِـدَّيْـنِ مـنـهُ واعْـتِـدَادي بـه شـديـدٌ، وضَـنِّـي

سودنا أبيات هذه القطعة كي نلفت نظرك إلى هذا الوصف الدقيق لنوع نادر من البشر. وصف ابن الرومي هذا النوع وصفاً جعلني أتذكر من رأيت ممن ينطبق عليهم

٣٨٨ عانس عمرها مئتان

عُتِّقَتْ في الدِّنَانِ حتى استفادَتْ بـعـدَ حِـيـنٍ نَـسـيـمَ جنـةِ عَـدْنِ

يصف الخمر، استفادت: اكتسبت

عـانِـسٌ تَـقْـهَـرُ الـشـبـابَ عَـجُـوزٌ بِـنْـتُ قَـرْنٍ مـن الـزمـانِ وقَـرْنِ

٣٨٩ عزة نفس

قَـبَـحَ الإلَـهُ إِخَـاءَ ظُـلْـمٍ بـيـنَـنـا أرعـاكَ فـيـه وأنـتَ لا تَـرعـانـي

هيهاتَ قد حَلَفَتْ عليَّ حَزَامَتي أَلّا أَبِـيـعَ كَـرامَـتـي بِـهَـوانِ

الحزامة: الحزم

٣٩٠ اغفر جنوني وظنوني

يـا كـريـمـاً لـم يـزلْ مُـحْـتَـمِـلاً مِـحَـنـاً فـي عـبـدِهِ بـعـدَ مِـحَـنْ

يَـتَـلَـقّـى فـيَّ مَـا يـأْذَى بـه وأُكَـافِـيـهِ بِـأَنـواعِ الـظِّـنَـنْ

أُعْـفُ عـنّـي وأَقِـلْـنـي عَـثْـرَتـي يـا عِـيَـاذي لِـمُـلِـمَّـاتِ الـزمَـنْ

عياذي: ملجأي

لا تُعَاقِبْني، فقدْ عَاقَبَني ... نَدَمٌ أَقْلَقَ رُوحي في البَدَنْ
لا تُطَيِّرْ وَسَناً عن مُقْلَةٍ ... أنتَ أَهْدَيْتَ لها حُلْوَ الوَسَنْ
لَكَ سُلْطانٌ عزيزٌ، فإذا ... أنتَ لم تَعْفُ عن الجَاني وَهَنْ
كُنْ عَزيزاً بالتَّغاضي، إنَّه ... يَتْرُكُ الجَانيَ مَسْلُوبَ اللَّسَنْ

اجعل عزتك (قوتك) بالتغاضي (بالتجاوز) فهذا يترك المذنب مفحماً

ومتى لاحَظْتَهُ في مجلِسٍ ... ضَرَبَ الزَّوْرَ ذَليلاً بالذَّقَنْ

ضرب الزور بالذقن: كسر عينه وخفض رأسه فكأنما يضرب بذقنه أعلى صدره حيث الزور أي الحنجرة

هُوَ عِزٌّ غَامِضٌ فافْطِنْ له ... وذَكِيُّ القلبِ والعينِ فَطِنْ

ابن الرومي في الشعر العربي كله بطل المعنى. هو الشاعر الذي يحلل النفسيات ويغوص على المعاني، وهنا يعبر عن نفسيته هو تعبيراً بالغ الصدق والحساسية. أسرف القدماء في الإشادة باعتذاريات البحتري. ولم أر أحداً تكلم في اعتذاريات ابن الرومي، ربما لأنها تأتي قصيرة وسط حشد حاشد من الأبيات في قصائد تطول فتبلغ مئات الأبيات. ومن بعض همنا في هذا الكتاب أن نستخلص لك الذهب الإبريز من جبل التراب. فانظر إليه وتمتع، وردد معنا شعارنا في هذه الكتب التي نصدرها: الشاعر بجيده لا برديئه

٣٩١ حب من طرفين

مُطْلِعٌ من جَيْبِهِ شَمْـ ... ـساً بَدَتْ في يومِ دَجْنِ

مطلع من جيبه: مخرج من الشق في أعلى ثوبه، يوم دجن: يوم غائم

لائِثٌ مِئْزَرَهُ فو ... قَ كَثِيبٍ تحتَ غُصْنِ

لائث (لافٌّ) مئزره (ثوبه) فوق كثيب (كفل/ردفين) تحت غصن (قدّ)

رَشَأٌ قد جَاوَزَ الحُسْـ ... ـنُ به حَدَّ التَّمَنِّي

الرشأ: صغير الظبي

لَسْتُ عنهُ صَابِراً يو ... ماً، ولا يَصْبِرُ عنِّي

٣٩٢ مشهد في الجنة

يا فؤادي غلبْتَني عِصيانا ... فأطِعْني فقد عصيتَ زَمانا
مَثِّلِ الأوْلِياءَ في جَنَّةِ الخُلْـ ... ـدِ إذا ما تَقَابَلوا إخْوَانا

قـد تَـعَـالَـوْا عـلـى أَسِـرَّةِ دُرٍّ　　لابِـسِـيـنَ الـحَـرِيـرَ والأُرْجُـوَانـا
وعـلـيْـهِـمْ تـيـجـانُـهُـمْ، والأَكَـالـيـ　　ـلُ تُـبَـاهـي بِـحُـسْـنِـهـا الـتِّـيـجـانـا
يَـتَـعَـاطَـوْنَـهـا سُـلافـاً شَـمُـولاً　　فـي جِـنَـانٍ مُـجَـاوِرَاتٍ جِـنَـانـا
ثـم آبُـوا فـاسـتَـقْـبَـلَـتْـهُـمْ حِـسَـانٌ　　من بـنـاتِ الـنـعـيـمِ فُـقْـنَ الـحِـسـانـا
فَـتَـراهُـنَّ مُـقْـبِـلاتٍ عَـلَـيْـهِـمْ　　بـابْـتِـهَـاجٍ قـد عَـصْـفَـرُوا الأَلْـوَانـا

ذكروا أن خلفاء ذلك الزمن كانوا إذا نووا عقد مجلس مجون وشراب لبسوا، وألبسوا جلساءهم، الثياب الصفراء المعصفرة

رَاشِـفَـاتٍ أَفْـوَاهَـهُـمْ رَشْـفَـكَ الـمـا　　ءَ إذا مـا شَـرِبْـتَـهُ ظَـمْـآنـا
تَـارَةً بَـعْـضُـهُـمْ يَـزُورُونَ بَـعـضـاً　　ويَـزُورُونَ رَبَّـهُـمْ أحـيـانـا
ثـم يَـخْـلُـونَ بـعـد ذلـكَ بـالـحُـو　　رِ إذا مـا تَـشَـوَّقُـوا الأَوْطـانـا

الأوطان: البيوت. فبعد زيارتهم بعضهم بعضاً يشتاقون إلى بيوتهم وإلى.. ممم.. الحور

٣٩٣ مفتاح العود

وإنَّ امْرَءاً يَقْوَى على لَثْمِ ثَغْرِها　　على الضَّغْطِ والتَّعْذِيبِ في قبرِهِ يَقْوَى

من يصبر على تقبيل فمها سيكون قادراً على عذاب القبر

جَـفَـتْ هَـامَـةٌ مـنـهـا ودُقِّـقَ سـاقُـهـا　　فَـمـا صَـلَـحَـتْ إلَّا لِـبَـنْـجَـقِـهـا مَـلْـوَى

جفت: كبُرت هامتها (رأسها)، وأما ساقها فدقيقة رفيعة، فهي أشبه شي بملوى (مفتاح شد الوتر) في البنجق (بيت المفاتيح في العود، ويسميه المحدثون أيضاً بيت الملاوي). ومفتاح شد الوتر يكون رأسه مفلطحاً وبقيته رفيعة، بعكس خلقة الإنسان الذي رأسه أصغر من سائر جسمه

٣٩٤ كذب الشهوة

إذا مـا شِـئْـتَ أن تَـعْـرِ　　فَ يـومـاً كَـذِبَ الـشَّـهْـوَةْ
فَـكُـلْ مـا شِـئْـتَ يَـصْـدُدْكَ　　عـنِ الـعَـذْبَـةِ والـحُـلْـوَةْ
وطَـأْ مَـنْ شِـئْـتَ يَـصْـدُدْكَ　　عـنِ الـحـسـنـاءِ فـي الـذِّرْوَةْ
وكَـمْ أَسْـلاكَ مـا تَـهْـوا　　هُ نَـيْـلُ الـشَّـيْءِ لـم تَـهْـوَهْ

٣٩٥ شاور

اِفْزَعْ إلى شُورَى الرِّجَالِ، فإنَّها ... لِفَسادِ رأيِكَ حينَ يَفْسُدُ نَافِيَةْ
لا تَرْضَيَنَّ بِرَأْيِ نفسِكَ وحدَها ... فَلَرُبَّ خَافِيَةٍ عليكَ وخَافِيَةْ

٣٩٦ سهولة شتم الساقطين

وقال يهجو ابن حريث:

هِجَائِيكَ يَشفِيني وإنْ لم تُبَالِهِ ... وحَسْبُكَ داءً أنْ أَنَالَ شِفَائِيا
حَلَفْتُ لئنْ أَصْبَحْتَ تَضحَكُ هَازِئاً ... بِشِعري لقد أَمْسَى ضَمِيرُكَ بَاكِيا
عسى ابنُ حُرَيْثٍ تَسْتَريحُ ظُنونُه ... إلى أنني عَانَيْتُ فيهِ القَوافِيا
فَيَشْفَى جَوَاهُ أوْ يُنَفَّسَ كَرْبُهُ ... تَظَنِّيهِ أنْ قد شَقَّني وعَنَانِيا

شقني: شق علي وأرهقني

فلا يَتَخَيَّلْ فيَّ ذاكَ بِجَهْلِهِ ... فَلَسْتُ لما أُهْدي إليه مُعَانِيا
وأنَّى أُعَانِي فيه شِعْراً أقولُه ... وهَاجِيه لا يَبْغي إليهِ المَرَاقِيا؟

المراقي: الدرجات الصاعدة

وذاكَ لأنَّ الشَّتْمَ في كلِّ سَاقِطٍ ... يَجِيءُ مَجِيءَ السَّيْلِ يَطلُبُ وَادِيا

٣٩٧ ليتني أعور

تُغْضِي الجفونُ إذا بَدا ... من هَوْلِ منظرِهِ الكَريهِ
قد قلتُ إذ قَذِيَتْ به ... عَيني، وأَعْيُنُ مُبْصِريهِ:
يا لَيتَ لي بِصَحيحَتي ... عَوْرَاءَةً مِمَّا يَليهِ

ليت عيني الصحيحة مما يليه (من جهته) عوراء

٣٩٨ الهدم أسهل

يا قَابِلَ المدحِ فيهِ مِنَّا ... وبَاخِلاً منه بالعَطَايا

يا قابل مدحنا فيه (قولنا المدح فيه)

جُرْتَ علَيْنا، وكنتَ مِمَّنْ ... يجورُ في الحُكمِ والقَضَايا
نحن على هَدْمِ ما بَنَيْنا ... أَقْدَرُ مِنَّا على البِنَايَا

لَـيَـأْتِـيَـنْـكَ الـهِـجَـاءُ، فـيـهِ صَـوَاعِـقٌ تَـقْـدُمُ الـمَـنَـايـا
مَـثَـالِـبٌ لا يُـخَـافُ فـيـهـا إثْـمٌ، ولا تُـتَّـقَـى خَـطـايـا
يَـسـري بِـهَـا فـي الـبـلادِ شِـعْـرٌ تَـحْـمِـلُ أعـبَـاءَهُ الـمَـطـايـا

٣٩٩ الشهوة والقدرة

منْ مَاتَ ماتَتْ، كما قد قِيلَ، حاجَتُهُ إلَّا الـشـبـابَ، وحَـاجَـاتٍ يُـبَـقِّـيـهـا

قال القديم: تموت مع المرء حاجاته//وتبقى له حاجة ما بقي (من الحماسة) ويقول ابن الرومي:
يموت الشباب ولكن حاجاته تبقى

يَمضي الشبابُ، ويُبْقي من لُبَانَتِه شَجْواً على النفسِ يَشْجُوها ويُشْجِيها

لبانة: شهوة، الشجو: الهم، يشجو: يُحزن، يُشجي: يقهر

ليتَ اللُّبَانَةَ كانتْ تَنْقَضِي معَهُ أو كانَ يَبْقَى، ويبقَى الدهرَ بَاقِيها

سألت أبا عيسى (زميلاً شيخاً عملت معه في مؤسسة إعلامية قبل عشرين سنة): يا أبا عيسى! هل
تخف الشهوة مع العمر، فقال جازماً: أبداً، بل تبقى على حالها، وتقل القدرة

كـلَّا، ولـكـنَّه يَـمـضـي وقـد بَـقِـيَـتْ فـي الـنـفـسِ مـنه بَـقِـيَّـاتٌ تُـعَـنِّـيـهـا
وإنَّ أَبْـرَحَ مـا اسْـتَـوْدَعْـتَـهُ خَـلَـداً لُـبَـانَـةٌ لَـكَ، لا تَـسْـطِـيعُ تَـقْـضِـيـهـا
وكـانَـتِ الـنـفـسُ يَـنْـهَـاها إذا غَـوِيَـتْ نَـاهٍ سِـوَاهـا، فَـمِـنْـهـا الآنَ نَـاهِـيـهـا

٤٠٠ الشيب قنبلة ضوئية

أَمِنْ بعدِ إبْدَاءِ المشيبِ مَقَاتِلِي لِرَامي المنايا تَحْسَبِينِيَ نَاجيا؟
غدا الدهرُ يَرميني فَتَدْنُو سهامُه لِشَخصِي، ويُخْلِي ما يُصِيبُ سَوَادِيا

كان الدهر يرميني فيخلي (يخطئ) لأنني غير ظاهر له بشعري الأسود

وكانَ كَرَامي الليلِ، يَرمي ولا يَرى؛ فلما أضاءَ الشَّيبُ شَخْصي رَآنِيا

٤٠١ أسير الطيلسان

لـي طَـيْـلَـسَـانٌ أَنَـا فـي يَـدَيْـهِ
مَـثَـلُ الأسـيـرِ خَـانِـعٌ لَـدَيْـهِ
زَعَـزْعَـتِ الأيـامُ جـانِـبَـيْـهِ
قَـد هَـدَّمَـتْ أيـامُـهُ رُكْـنَـيْـهِ

تُـــسْــــرِعُ كـــلُّ آفَـــةٍ إلـــيــهِ
كَـــأَنَّ كـــلَّ صَـــيْـحَـــةٍ عَـــلَـــيْـــهِ

في سورة المنافقون «يحسبون كل صيحة عليهم»، وفسرها ابن كثير بأنهم لجبنهم يحسبون وراء كل صيحة مصيبة ستنزل بهم، وهذا الطيلسان ركيك ومهدم ومخلوع القلب

٤٠٢ الأيام تمضي علينا ثم تمضي بنا

ويـأتـي لِـلـفـتـى يـومٌ فَـيَـوْمٌ   ومـا يَـأتـي لـه يَـأُتـي عـلـيْـهِ

سيقولها الشريف الرضي بعد مئة سنة آنق: ما أسرع الأيام في طينا//تمضي علينا ثم تمضي بنا

٤٠٣ الشطيرة

يـا سائِلـي عـن مَـجْـمَـعِ الـلَّـذَّاتِ   سَـأَلْـتَ عـنـهُ أَنْـعَـتَ الـنُّـعَّـاتِ

الجامع لكل اللذات هو الساندويش، وها هو ابن الرومي ـ أوصف الوصافين ـ يصفه لنا

خُـذْ يَـا مُـريـدَ الـمَـأْكَـلِ الـلَّـذِيـذِ   جَـرْدَقَـتَـيْ خُـبْـزٍ مِـنَ الـسَّـمِـيـذِ

مريد: طالب، جردقتي خبز: رغيفين، السميذ: الطحين الخشن

لـم تَـرَ عَـيْـنـا نـاظِـرٍ شِـبْـهَـيْـهِـمـا   فاقْـتَـسِـرِ الـحَـرْفَـيْـنِ مِـنْ وَجْـهَـيْـهِـمـا

اختر رغيفين جميلين، واقتسر (اقطع) الحرف الخارجي الناتئ من كل رغيف

حتَّـى إذا مـا صَـارَتَـا صَـفَـاصِـفَـا   فـانْـتِـفْ عـلـى إحْـدَاهُـمـا نَـتَـائِـفا . .

فإذا صار الرغيفان صفاصف (مستويين) انتف على أحدهما فقط نتائف من . .

مـن لَـحْـمِ فَـرُّوجٍ ولَـحْـمِ فَـرْخِ   يَـدُورُ جُـوذَابُـهُـمَـا بِـالـفَـسْـخِ

. . من لحم الدجاج. والجوذاب: طعام من لحم وأرز. فافهم أن الرجل يأخذ من طبيخ يوم أمس ما فيه من لحم وينتفه فوق الرغيف

واجْـعَـلْ عـلـيْـهـا أَسْـطُـراً مـن لَـوْزِ   مُـعَـارِضَـاتٍ أَسْـطُـراً مـن جَـوْزِ

اجعل على هذه الخبزة اللوز والجوز: سطراً لوزاً يقاطعه سطرٌ جوزاً

إعـجَـامُـهَـا الـجُـبْـنُ والـزَّيْـتُـونُ   وشَـكْـلُـهـا الـنَّـعْـنَـعُ والـطَّـرْخُـونُ

وبما أننا جعلنا اللوز والجوز كالأسطر فلا بد الآن من الإعجام (التنقيط) لكلمات هذه الأسطر، فلتكن النقط من فتافيت الجبن وحبات الزيتون؛ ثم لا بد من تشكيل الكلمات، فليكن التشكيل بالنعنع والطرخون (وهو نبات عطري شبيه بالنعنع)

واعْمَدْ إلى البَيْضِ السَّلِيقِ الأَحْمَرِ   فَـدَرْهِـمِ الـجُـبْـنَ بِـهِ ودَنِّـرِ

وهات البيض المسلوق واقطعه أقماراً أقماراً، فوسطه كالدنانير تدنر بها سندويشك، وأطرافه البيضاء كالفضة تدرهم بها (تجعلها دراهم) الرغيف

وتَـرِّبِ الأَسْـطُـرَ بِـالـمِـلْـحِ، ولا   تُـكْـثِـرْ، ولـكـنْ قَـدَراً مُـعَـدَّلا

وضع ملحاً ولا تكثر، فسندويشك حتى الآن كفيل لك بالكوليسترول والدهون الثلاثية، ونصف دستة من الأمراض الأخرى، فلا داعي لكثرة الملح درءاً لضغط الدم

ورَدِّدِ الـعَـيْـنـيْـنِ فِـيـهـا لَـحْـظَـا   فـإنَّ لِـلـعـيـنـيـنِ مـنـهـا حَـظَّـا

لا تنس أن تتأمل المنظر

ومَـتِّـعِ الـعَـيْـنَ بـهـا مَـلِـيَّـا   وأَطْـبِـقِ الـخُـبْـزَ وكُـلْ هَـنِـيَّـا

ثم ضع الخبزة الثانية فوق الأولى ليصير السندويش سندويشاً

هَـيِّءْ ثَـنَـايـاكَ، وكَـدْمَـاً كَـدْمَـا   تُـسْـرِعُ فـيـمَـا قـد بَـنَـيْـتَ الـهَـدْمَـا

حضر ثناياك (أسنانك) وابدأ كدماً (عضاً/أمي تقول كزماً)، والنتيجة أنك تهدم ما بنيت

فهرس الأعلام

كل رقم هو رقم القطعة لا الصفحة

اجتهدنا في ضبط هذه الأسماء ما وسعنا. ورتبناها على اسم العائلة ـ مخالفين ما درج عليه الأكاديميون في رصف جداولهم ـ حتى يكون أبناء العائلة الواحدة معاً، ولا يخفى ما لهذا من فائدة. ثم إننا نلقى العنت من الترتيب بحسب الاسم الأول، فكل الناس اسمهم محمد وعلي وإبراهيم. لعل هذا الفهرس يعين من يريد تتبع سلوك شاعرنا مع أحد ممدوحيه أو مهجويه ضمن مختاراتنا هذه. فأما من أراد دراسة ابن الرومي دراسة تاريخية فعليه بالديوان، وقد صنع له محققه الفاضل حسين نصار فهارس جيدة.

فهرس الأغراض

الرقم هو رقم القطعة لا الصفحة

شتم وشماتة

مجون وخلاعة

بين المدح والقدح

زهد وقناعة

شكوى وضراعة

اجتماعيات

وصف وكاريكاتير

سياسة ورياسة

فنه الشعري

فهرس القوافي

(القافية، فرقم القطعة)

ابن المعتز

(٢٤٧هـ ـ ٢٩٦هـ)

المقدمة

في المقدمة شيء عن المرآة المهشمة، وشيء عن حياة ابن المعتز، وقدح في الأكاديميين.

عن شعره

شعر ابن المعتز مرآة مهشمة؛ ترى فيها عيناً جميلة هنا، وخدّاً نضراً هناك، وشفة لعساء ههناك. تتأمل فيعجبك ما ترى، ويظل في نفسك شوق أن ترى الوجه كاملاً في مرآة صحيحة.

قد فتنتْ لبَّه التشبيهات، فراح يجتهد في التقاطها، فغاب عن قصيدته اكتمال الوجه. على أن له من الأبيات ما سار مسير الشمس.

رووا أنه قال عن نفسه: «إن قلت «كأنَّ» ثم لم آتِ بتشبيه ففضَّ الله فايَ». وذكروا أنه قيل لابن الرومي: لم لا تشبِّه كتشبيهات ابن المعتز؟ فقال لهم: عندما يقول ماذا؟ فقالوا له إنه يشبه القمر بمنجل من فضة يحصد النجوم التي كالبنفسج، ويشبه القمر تارة أخرى بزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر. فصاح ابن الرومي: واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ذاك ابن خليفة يصف ماعون بيته.

ولا نمضي في تحليل شعر ابن المعتز فهذا نتركه للثقلاء من دكاترة الجامعات، وسنهتك أعراضهم الأكاديمية بعد صفحات، بل نعرض عليك عصارة شعره، ونشرحه لك بقدر. لكن، نقص عليك أولاً قصة حياته.

قصة حياته

ابن المعتز ابن خليفة حقاً. هو ابن الخليفة العباسي «المعتز بالله». ليس هذا فقط، بل إن جده المتوكل خليفة، وأبا المتوكل المعتصم خليفة، وأباه هرون الرشيد خليفة، وأباه المهدي خليفة، وأباه المنصور خليفة. فابن المعتز، شاعرنا، سليل ستة خلفاء متعاقبين. وسيأتيك أيضاً أنه هو نفسه كان خليفة.

هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب جد الرسول. وندعوه عبد الله كيلا نخلط بينه وبين أبيه المعتز.

كان لعبد الله ـ شاعرنا ـ من العمر شهران عندما قتل جده الخليفة المتوكل (٢٤٧هـ). قتله القادة الترك متآمرين مع ابنه المنتصر.

وتولى المنتصر الخلافة (٢٤٧هـ) بعد تآمره على أبيه. ودامت له ستة أشهر، مات بعدها، قيل مسموماً. وجاء بعده المستعين (٢٤٨هـ)، وتولى الخلافة أربع سنوات ثم ثار به جنده، وحملوه على خلع نفسه بعد معارك، فخلع نفسه فحبس.

ثم تولى الخلافة المعتز (٢٥٢هـ) والد شاعرنا عبد الله. كان المعتز في نحو الثالثة والعشرين من عمره، وكان لقي في صباه الذل والقهر على أيدي القادة الترك، وعلى أيدي أقاربه من البيت العباسي. فقد كان أمراء البيت العباسي يتعرضون للحبس أو القتل كلما انتقلت الخلافة من رجل إلى رجل، ونال المعتز نصيبه من الحبس والرعب. فلما تولى الخلافة كانت نفسه مشحونة بالعنف. كان المعتز شاعراً، وكان صاحب شطرنج ولهو، غير أنه لم يلق رقة عند أسلافه فيرثها، فنفى أخاً له، وقتل أخاً، وأرسل قائداً من قادته إلى عمه المستعين، الخليفة المخلوع، ليذبحه في سجنه. فذبحه، وجاءه برأسه. جاءه برأسه والمعتز يلعب الشطرنج، فقيل له: هذا رأس المستعين، فقال: ضعوه ناحيةً حتى أُتِمَّ دَستي، وما التفت إليه إلا بعد أن فرغ من دست الشطرنج.

كان شاعرنا عبد الله في الخامسة من عمره عندما تولى أبوه الخلافة. ولم نعرف شيئاً عن أمه سوى أنها كانت جارية رومية. نعرف أن جدته أم أبيه المعتز كانت حفيَّة به.

وهذه الجدة جارية رومية أيضاً واسمها قَبِيحة، سميت هكذا لفرط

جمالها، وكان لها تأثير كبير على ولدها الخليفة الشاب. كانت توعز إليه بتقتيل الناس. قيل أخرجتْ لولدها يوماً قميص أبيه المتوكل الذي قتله الترك، تحرضه على قتلهم، فقال لها: ارفعيه حتى لا يصير القميص قميصين. وكانت قبيحة تخزن الأموال الطائلة والجواهر النادرة.

كان العمال يجبون صنوف الضرائب من خراج وجزية وعشور من الأقاليم، يحتجنون شيئاً ويرسلون ما لا يستطيعون احتجانه إلى الخليفة في بغداد فيجعله في بيت المال، فينفق منه على لهوه وجواهره وجواهر أمه، وعلى شعرائه، وينال من ذلك ابن الجصاص تاجر المجوهرات نصيبه، وينال الجند أعطياتهم. فإن نفد ما في بيت المال ثار الجند بقادتهم، فثار قادتهم بالخليفة وطالبوه بالمال.

حدث هذا كثيراً في العصر العباسي.

وحدث هذا في شعبان من سنة (٢٥٥هـ) في سامراء، وبها كان الخليفة المعتز. جاءه القادة يطلبون المال، وكان بيت المال فارغاً. فطلب خمسين ألفاً من أمه قبيحة، فلم تعطه. فجره الترك وضربوه، وأعطشوه حتى مات. كان الابن، عبد الله، في الثامنة من عمره عندما قتل أبوه الخليفة المعتز. ولعله كان منزوياً مع مؤدب له في مكان ببغداد أو سامراء، يأخذ عنه الشعر والأدب. لكنه أحس أن الدنيا انقلبت. فهذا الصبي كان يلقى من والده الخليفة الحب والرعاية، إذ لم يبلغ من العمر ما يستوجب استعمال القسوة في تربيته. وجدته قبيحة كانت تحوطه برعايتها.

قتل أبوه فخبأت الجدة المال والجواهر، واختبأت هي أيضاً في سرداب. وجدَّ الترك في البحث عنها فوجدوها بعد شهر، ووجدوا في حوزتها مئات الألوف، وجواهر مخبوءة في زنابيل، فجردوها من مالها، وأوعزوا إلى الخليفة الجديد، المهتدي، بنفيها إلى مكة.

حملت قبيحة حفيدها عبد الله بن المعتز وهو في الثامنة من العمر إلى مكة. وملأت قبيحة الحرم المكي بالدعاء على من جردها من مالها وقتل ولدها. واستجيبت دعواتها. فلم تمض أشهر حتى قُتل صالح بن وصيف الذي أوعز بنفيها إلى مكة. وبعده بأشهر قتل الخليفة المهتدي (٢٥٦هـ) ولما يمكث في الخلافة سنة. وتولى الخلافة المعتمد.

مكثت قَبِيحة وحفيدها عبد الله بن المعتز في مكة بضع سنين، ثم أعادهما المعتمد إلى العراق. وماتت الجدة ولحفيدها ثلاثة عشر عاماً.

للقارئ أن يشعر الآن ببعض الاستقرار، فسوف تدوم خلافة المعتمد ثلاثاً وعشرين سنة (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ). ولا بد أن الشاعر الأمير استرد أنفاسه في هذه المدة، واسترخى.

والخليفة المعتمد أيضاً استرخى. كان رجلاً لاهياً يقرض الشعر، ويعيش حياة الترف. وترك لأخيه طلحة أن يدبر الجيوش. وكان لا بد من كثير من التدبير، ففي كل مكان ثورة وخروج. كان الزنج قد خرجوا على الخلافة في البصرة، وثاروا ثورة جياع، ولبثوا يَقتلون ويُقتلون خمس عشرة سنة. ورثى ابن الرومي البصرة ووصف ما حل بها من خراب وصفاً بليغاً.

كان عبد الله بن المعتز في هذه السنين صبياً فيافعاً فشاباً يرى الدنيا من بغداد وسامراء. فيقربه الخليفة المعتمد ويجالسه، ثم يبعده ويصرف وجهه عنه، والمعتمد نفسه لا يملك من أمره شيئاً، فالجيوش بيد أخيه طلحة، والحكم بيد أخيه، وهو يأخذ مصروفه من الخزانة معدوداً عليه ويشكو حاله بأشعار نقلها لنا المؤرخون. على أن ابن المعتز الشاب كان ينهل من علم كبار العلماء، ويسمع شعر كبار الشعراء، والبحتري في هذا الزمن ما زال يملأ بغداد وسامراء بأشعاره، وابن الرومي قاعد في بغداد لا يبرحها ويرسل القصائد في مدح الوزراء من آل وهب وآل ثوابة وآل طاهر، وابن المعتز يقترب من هذه الأسر التي كانت بمثابة المنابع الوزارية للخلافة العباسية في ذلك الزمن. ويتلقى عبد الله بن المعتز علوم العربية عن المبرد الذي كان يكثر صحبته، وثعلب الذي رآه مراراً وراسله مراراً، والبلاذري وأحمد بن سعيد الدمشقي مؤدبه الذي لم يكن يفارقه، ويلتقي بأعراب كانوا يلمون بسامراء كما قال لنا الصولي في «أوراقه». ليس أن عبد الله فتح عينيه على العلم يافعاً، لا بل هو كان يتلقى العلم صبياً صغيراً ووالده ما زال في الحياة. كان في نحو السابعة من عمره وهو يقرأ القرآن على محمد بن عمران الضبي. ولعله التقط جرثومة الشعر وأغرم به في هذه السن أو بعدها بقليل. ولا نعرف إن كان أخذ شيئاً من العلم في منفاه بمكة، غير أنه سمع القرآن والحديث في مكة. ويغلب على الظن أن جرثومة الشعر كانت قد تمكنت من نفسه قبل النفي وهو في الثامنة من العمر.

ظل الخليفة المعتمد يعيش في ظل أخيه طلحة، حتى مات طلحة فاستراح

منه. ولكن ابن طلحة تولى قيادة الجيوش بعد أبيه، فضيق على المعتمد. وفي سنة ٢٧٩هـ عزل الخليفة. وأشهَدَ على نفسه بالعزل. ثم مات في هذه السنة نفسها. عزله ابن أخيه طلحة ونصب نفسه خليفة باسم المعتضد بالله.

كان الشاب عبد الله بن المعتز في الثانية والثلاثين من عمره عندما تولى الخلافة المعتضد (٢٧٩هـ). وكان قد بلغ أشده، وسار في الناس أن البيت العباسي نبغ فيه شاعر كبير. ولم يكن شاعرنا حِلْس أشياخ. فالعصر عصر كتب أيضاً.

قبل مولده بسنتين كان قد مات الجاحظ، تاركاً في خزائن الأمراء والخلفاء كتبه الكثيرة التي أوعبها تراث أمته. وكان المبرد قد كتب «الكامل» وكتبه الأخرى، ولم تكن كتب الأصمعي وأبي عبيدة مفقودة في ذلك الزمن. وكان الوراقون ومن يوظفونهم من النُّساخ ينشرون الكتب والدواوين، ولا تكاد مكتبة وزير أو أمير تخلو من أمهات الكتب. وكان أبو بكر الصولي، صديق عبد الله بن المعتز وراويته، يجمع أشعار المحدثين في دواوين. فأما أشعار الأقدمين فكانت متيسرة قبل هذا الزمن، جمعها ابن حبيب والأصمعي وخلف والضبي.

أحب ابن المعتز الغناء، وقيل كانت له فيه صنعة. لكنه كان مغرماً بالشعر: يقرضه، ويتعمق في فهم أسراره. رأى ما في شعر أبي تمام وبشار من المحسنات من جناس وطباق وقلدهما واستحضر من محفوظه الواسع من الشعر والقرآن والحديث ما يشبه تلك المحسنات. فهي كانت موجودة إذن قبل هذا الزمن! وطفق ابن المعتز يضم الشيء إلى مثيله حتى خرج بكتاب «البديع». وبه قعَّد ابن المعتز هذا العلم الذي سيظل حِلْيَة وعِلَّة للأدب العربي ألف سنة.

ومنذ أن بلغ ابن المعتز العشرين أو نحوها أخذ يشرف على أملاكه، ويحاسب وكلاءه، ولم يكن ذا ثروة عريضة. له دار ببغداد غمرتها دجلة ذات سنة فأتلفت ما أتلفت، وله في سامراء دار أو قصر، وله من الأطيان ما يدر عليه مالاً يمكنه من العيش عيشة أمير له مجلس فيه شراب وسماع. قالوا تزوج وقالوا لم. وقالوا له ولد، وله بنت، وقالوا بل لم يكن له. وقيل لم يعاشر النساء. لعله عاش حياته يعابث جواريه ويحلم بالحب العميق، ولعل «شَرَّة» كانت الحبيبة الافتراضية، وهي في شعره شرٌّ حيناً وشُرَيْرةُ حيناً. ومن ربيَ في حجر قَبيحة لا غرابة أن يسمي حبيبته «الافتراضية» شرَّة. أم أنها كانت جارية من لحم ودم؟

كان الشعر العربي قد رحل عن موانئه الأولى مع استهلال الخلافة العباسية فجاء بشار بن برد بالجديد، وتبعه أبو العتاهية وأبو نواس ثم أبو تمام فالبحتري فابن الرومي. دخل الشعر عصر الصنعة. ورأى ابن المعتز الدارسين الشعرَ يؤرخون للشعراء القدماء، قرأ طبقات ابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة. وبذوقه الأدبي أدرك أن القدم ليس معيار الجودة. فصنع كتاب طبقاتٍ للشعراء المحدثين. ووصلنا هذا الكتاب الذي ضمنه أخباراً وأشعاراً تنبئ عن ذوق رفيع.

تركْنا ابن المعتز في الثالثة والعشرين من عمره وقد تولى الخلافة المعتضد (٢٧٩هـ). وكان المعتضد مختلفاً. كان صاحب جيوش، وذا همة عالية وقسوة، وكان حقَّانياً. لقبوه بالسفاح الثاني لأنه جدد الخلافة العباسية وأعاد للخليفة هيبته، فإن يكن الترك قادة جندٍ فهو أيضاً قائد، والناس تحب الزعيم القوي. وأحبت الناس المعتضد، وأحبه عبد الله بن المعتز.

نهاه المعتضد عن مجالس الشراب فانتهى أو ارعوى بعض الشيء، والمعتضد يكبره بخمس سنين، ثم إنه أمير المؤمنين. ومدح شاعرنا المعتضد بقصائد لم ننقل شيئاً منها، وقال في عهده أرجوزة مزدوجة طويلة نقلنا أبياتاً منها في ختام مختاراتنا. وعاش ابن المعتز في خلافة المعتضد آمناً بقدر ما يمكن لسليل ستة خلفاء أن يكون آمناً. وفي شعره ما يشي بأنه يتمنى شيئاً، ويرى يونس السامرائي الدارس المحقق، الذي درس شعر ابن المعتز وكتب فيه كتاباً جيداً، أن هذه الأمنية إنما كانت الخلافة، وليس ذلك ببعيد أبداً، بل بعيد ألا يكون ابن المعتز قد كان يعيش على هذا الأمل. وقد أخبرنا الصولي أن ابن المعتز قال يوماً إنه لو نال الخلافة فسوف يزوج كل عباسي بطالبية وكل طالبي بعباسية حتى ينهي إلى الأبد هذا الخلاف المستحكم بين بني علي بن أبي طالب وبني العباس. لكن شاعرنا رأى في المعتضد مثله الأعلى. واكتفى من السياسة بأن يجادل في بعض شعره الطالبيين الذين لا يفتأون يخرجون على الخلافة العباسية رائين أنهم أحق بالخلافة لمكان علي بن أبي طالب ومكان فاطمة.

ومات المعتضد على فراشه في عام ٢٨٩هـ. وبويع لابنه المكتفي بالخلافة وهو بالرَّقة، أخذ له البيعة ببغداد الوزير القاسم بن عبيد الله، وبادر الوزير فحبس ما تيسر له من الأمراء العباسيين احتراساً. وكان من بينهم ابن المعتز. وشق الحبس على شاعرنا، ونقل عنه أنه توجس شراً، فقد قيل إنه رأى في

حبسه طائراً في السحر فتمنى لو كان طليقاً كهذا الطائر. وقدم الخليفة الجديد إلى بغداد وأطلق الأمراء، ومنح كلاً منهم ألف دينار. فشكر ابن المعتز للمكتفي هذه اليد، وعاتب الوزير الذي حبسه بشعر ختمه بقوله:

فيا جود كفيه امح آثار بأسه فإن عليه أرش حبسي ولم أجنِ

وعاش ابن المعتز ست سنين يمدح الوزراء ويتقبل عطاياهم، ويمدح المكتفي. وكان مجلسه عامراً بأهل الأدب يطارحهم الشعر، وينقلون أشعاره.

ثم مات المكتفي في أواخر سنة ٢٩٥، وعهد بالخلافة لولده البالغ ثلاث عشرة سنة. وبايعه الناس وسمي المقتدر. وكان ولداً يلهو مع جواري في القصر، فاستصباه أهل الحل والعقد، واجتمع نفر منهم على خلعه بعد نحو أربعة أشهر من توليه الخلافة، وكلموا عبد الله بن المعتز فماشاهم، واشترط ألا يكون في الأمر دم. غير أن هذا الحِلف لم يكن قوياً، فقد تخاذل أطرافه. هذا ابن الفرات يقول للعباس بن الحسن الوزير عن عبد الله بن المعتز: «وأي شيء تعمل برجل متأدب قد تحنك وتدرب.. وحاسب وكلاءه على ما تولوه وضايقهم وناقشهم وعرف خياناتهم واقتطاعاتهم. أنسيت أنه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها، ويسألك في معاملاته فلا تمضيها، وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر، ويتوسل في الوصول إليك فلا تأذن؟» واتفق ابن الفرات والعباس بن الحسن على أن يخرجا من حلف ابن المعتز.

هذا نقلناه عن يونس السامرائي الذي نقله عن تحفة الأمراء لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي.

على أن ابن المعتز كان قد تورَّط، فعين قاضياً ووزيراً وتقبل البيعة من أنصاره، وصلَّى بهم في ٢٠ ربيع الأول عام ٢٩٦. ولقبوه بلقب اختلف فيه المؤرخون كثيراً. ودعا ابن المعتز الخليفة الصبي إلى ترك دار الخلافة، فأغلق الصبي الأبواب، وقعد يلعب مع جارية من جواري القصر. وجرت مناوشات قليلة تبين فيها أن الكثرة التي ناصرت ابن المعتز كانت متخاذلة، والقلة التي ناصرت الخليفة الصبي كانت مصممة. فالتجأ ابن المعتز إلى دار ابن الجصاص الجوهري، فوشى به خادم فأخذوه، وحبسوه. وبعد عشرة أيام سلموا جثمانه إلى من دفنه. فكانت خلافة شاعرنا يوماً وليلة. وعاد المقتدر إلى سدة الخلافة، وظل بها إلى أن قتل بعد أربع وعشرين سنة.

وهكذا مات عبد الله ابن المعتز في ربيع الآخِر سنة ٢٩٦هـ قتيل أمنيته التي عاش عليها، ولم يجعله المؤرخون ضمن الخلفاء العباسيين رغم مبايعته وتوليه يوماً وليلة، ذلك أن الخليفة القائم استرد الخلافة فلم ينقطع خيطها.

ما كان لشاعر حقٌّ أن يكون خليفة، هذا ليس في طبع الأشياء. منذ أفلاطون وحتى أول أمس والمثقفون يحلمون بأن يتولى الحكم عاقل، ولكن ربك شاء ألا يتولى الحكم إلا فظ أو أبله.

لم نختر لابن المعتز من شعره إلا ما يدخل في عيارنا لما هو شعر، فأما سيرته فرويناها هنا بما استطعنا من إيجاز، والمرجع في أخباره وأشعاره وما له من نثر جميل كتاب الأوراق لأبي بكر الصولي الذي عاصره ولازمه، فقد خصه بنحو مئتي صفحة في طبعة الصاوي ١٩٣٦.

الأكاديميون

بقي أن نسلق الأكاديميين ببعض ما تعودنا أن نسلقهم به.

هذا رجل زعم أنه حقق ديوان ابن المعتز، وذكر أنه استند إلى كذا وكذا من المخطوطات، ولسنا نكذبه في هذا. ثم صنع مقدمة جاءت في مئتي صفحة زعم فيها لابن المعتز العصمة في كل شيء، وراح ينافح عنه شاهراً سيفاً صقيلاً يلوح به في وجه كل من انتقد الشاعر من قدماء ومحدثين. وكاد يعلن ابن المعتز أميراً على شعراء العربية في كل تاريخها. وفي أثناء هذا كله لم يترك أحداً من المحققين إلا عابه، ولا غادر طبعة إلا ثلبها. وتاه تيهاً، ومدح نفسه. وهو في كل ذلك يكتب بلغة تكاد تتثنى غنجاً وقلة فائدة، ويغلط في الإملاء أغلاطاً لا تجوز من ابن المدرسة. وتداركه مصححو المطبعة فصنعوا جدولاً بالأغلاط وتصحيحها، ولا فائدة. فأغلاطه أضعاف ما جاء في جريدة التصحيح تلك.

وجاء إلى القصيدة الأولى بعد مقدمته النافلة تلك، فحشر فيها اثنتي عشرة غلطة، أشارت جريدة التصحيح إلى غلطتين منها فقط. ومضينا نقرأ «تحقيق» هذا الفهَّامة، وهو يقع في أكثر من ألف صفحة فإذا صاحبنا لا يقيم بيت الشعر، وإذا به يتذاكى فيقطع البيت في منتصف الكلمة فيصيب مرة ويخيب مرة، ويصر على أن يزيدنا من فوائده فيكتب في صدر القصيدة اسم بحرها، وما كان أغناه عن ذلك، فهو دخيل على العروض يغلط المرة تلو المرة من

الصفحة الأولى إلى الصفحة الألف. وما كنا لنتعرض لهذا «الدكتور» الفاضل لولا ما صدع به رؤوسنا من الزهو، وما أغثى به نفوسنا من ثلب من هم خير منه علماً وأدباً.

قد رأينا من أمثاله كثيرين. وخليق بمن يحمل شهادة الدكتوراه أن يكون أحنق مني على هؤلاء المدعين ممن يتزينون بلقب دكتور، فهم يسيئون إلى اللقب ويجعلونه أضحوكة. بل، قد أصبح لقب «الدكتور» أضحوكة فعلاً. أمُرُّ بالكتاب وعلى غلافه اسم المؤلف مسبوقاً بلقب الدكتور فتصدف نفسي عنه، فإذا راوغتُ نفسي عنه وفتحته فحَّت في وجهي أفاعي السقم الأكاديمي، وانبعثت روائح كريهة.

هذا الفساد في حياتنا الأكاديمية ابن شرعي للفساد في شتى مناحي حياتنا العربية. ولا يخطرْ ببالك أنني أكتب هذه الأسطر كي أصلح حالاً، أو أشن حملة. أنا رجل ناقم من طراز قد لا تكون ألفته.

كان لي قريب يجلس في المجلس من غروبها إلى ما بعد العشاء يقيء مرارة نفسه فتخرج الكلمات من فمه صفراء مخضوضرة كأنها سم الأفعى. لا يغادر زعيماً ولا عظيماً إلا مرغ بسيرته التراب، ولا يؤتى في محضره على ذكر شيء إيجابي إلا فلَّاه وأخرج منه قملاً. كان رَحِمَهُ اللَّهُ سلبياً، وكفى. وكان يريح صدره المليء ببلغم الاستياء بأن ينفث في وجوهنا.

طرازي أنا غير ذلك الطراز.

أنا مستاء غاية الاستياء من نفسي. فاجأتني الشيخوخة وأنا ألهو ببنيات الطريق. وأفقت على عمر ضاع وأنا أصانع الناس لغيرما غرض، وغيرما منفعة تعود علي من مصانعتهم. فقط أجاملهم وأوزع الابتسامات، وأحتمل دعاواهم العريضة، وأكبح نفسي فلا أسد منخريَّ إذ تنبعث من أفواههم روائح الزهو والعُجب. وانتهبت متأخراً، فإذا اللطف الزائد قد صار طبعاً فيَّ لا أملك له تغييراً.

وأنا مستاء من الزمن الذي وجدت نفسي فيه.

وكل هذا يشبه ما كان يعتلج في صدر ذلك الرجل من أقربائي. غير أنني من طراز مختلف. . أنا أنفث مرارة نفسي على الورق فقط. وهنا خيار للقارئ، فإن شاء قرأ وإن شاء قفز.

إن وصلت إلى هنا فاعلم أن ما سيأتيك بعد ذلك مجموعة صغيرة من أشعار ابن المعتز. وهي صغيرة لأنه لم يتميز في القصائد الكبيرة، وتميز كل التميز في التشبيهات اللطيفة التي عاشت مئات السنين على ألسنة وأقلام الناس، ودارت في مجالسهم، وكانت تحفاً أدبية أنيقة.

عاش ابن المعتز خمسين سنة هي أول عقود سقوط الخلافة العباسية وضياع هيبتها. وعندما اكتمل هذا السقوط، وقامت الدويلات في المشارق والمغارب، ولم يعد للخليفة إلا داره في بغداد يقيم فيها لاهياً أو غاضباً إلى أن يحين موعد قتله أو سمل عينيه، جاد الزمان بالمتنبي، ثم جاد الزمان مرة أخرى وأخيرة بالمعري. ثم أظلم وجه الأدب.

١ أعين في السماء تراقبنا

داوِ الهمومَ بقهوةٍ صفراءِ ... وامزُجْ بنارِ الرَّاحِ نورَ الماءِ

وتوقَّدتْ في ليلةٍ من قارِها ... كتوقُّدِ المِرِّيخِ في الظَّلماءِ

توهجت الخمر إذ خرجت من الدن المطلي بالقار (الزفت)، فهي كالمريخ متوهجاً وسط ظلام الليل

كم ليلةٍ شغَلَ الرقادُ عذولَها ... عن عاشقَيْنِ تواعَدا لِلِقاءِ

النوم شغل العذول عن العاشقين

عقدا عِناقاً طولَ ليلِهما معاً ... قد ألصقا الأحشاءَ بالأحشاءِ

ما راعَنا تحتَ الدُّجى شيءٌ سوى ... شَبَهِ النجومِ بأَعيُنِ الرُّقباءِ

٢ اتركوها لنا

ألا مَن لِعينٍ وتَسكابِها ... تَشَكَّى القذى وبُكاها بِها

تشتكي العين من القذى وإنما بكاها هو الذي بها (بها: تعني يؤلمها، كقولك بي ألم)

ويا رُبَّ ألسنةٍ كالسيو ... فِ تقطعُ أعناقَ أصحابِها

وما يَنتقِصْ من شبابِ الرجالِ ... يَزِدْ في نُهاها وألبابِها

النُّهى: العقول

دَعُوا الأُسْدَ تسكُنُ في غابِها ... ولا تدخُلوا بينَ أنيابِها

يخاطب العلويين الذين يسرون أو يعلنون أنهم أحق بالخلافة من أبناء عمومتهم العباسيين

ونـحـن ورِثـنـا ثـيـابَ الـنـبـيِّ فَـلِـمْ تـجـذِبـونَ بـأهـدابِـهـا
لـكُـمْ رَحِـمٌ يـا بـنـي بـنـتِـهِ، ولـكـنْ بـنـو الـعـمِّ أَوْلـى بِـهـا
فـمَـهـلاً بـنـي عـمِّـنـا، إنَّـهـا عـطـيَّـةُ ربٍّ حَـبـانـا بِـهـا
وأُقـسِـمُ أنـكُـمُ تَـعـلـمـونَ بِـأَنَّـا لـهـا خـيـرُ أربـابِـهـا

٣ تهين ثياب الوشي

وقمتُ إلى الكُومِ الصَّفايا بمُنصُلِي فصيَّرتُها مجداً لقوميِ وأَحسابا

قمت إلى الكوم (النياق ذوات الأسنمة العالية) الصفايا (النياق الغزيرة اللبن) بمنصلي (بسيفي) كي أذبح للأضياف، وأجعل من هذه المأدبة مجداً لقومي

وخِلْتُ نجومَ الليلِ في ظُلَمِ الدُّجى خِصاصاً أرى منها النهارَ وأَنقابا

كأن النجوم خصاص (ثقوب) وأنقاب (ثقوب) أرى من خلالها النهار. التشبيه طريف

وكأسٍ تلقَّيتُ الصباحَ بشُربِها وأَسقيتُها شَرْباً كِراماً وأصحابا

الشرْب: الشاربون

ثَوَتْ تحت ليلِ القارِ خمسينَ حِجَّةً تَرُدُّ مُهوراً غالياتٍ وخُطَّابا

ثوت (مكثت) هذه الخمر داخل الدن المطلي بالقار (الزفت) خمسين سنة، وهي تأبى أن تمنح نفسها لمن يدفعون فيها المال الكثير وترد هؤلاء الخطاب رداً

وكنتُ كما شاءَ النَّديمُ، ولم أكُنْ عليها سفيهاً يفرِسُ الناسَ صَخَّابا
وقُمْرِيَّةِ الأَصواتِ حُمْرٍ ثيابُها تُهينُ ثيابَ الوَشْيِ جَرّاً وتَسْحَابا

هذه المغنية لها صوت كالقمرية (الحمامة)، وثيابها حمر، والثياب الحمر دليل على الثروة عند البدو، قيل لغلاء الصباغ الأحمر، وهي تهين الثياب الموشاة بجر ذيولها وسحبها على الأرض

وتَلْقُطُ يُمْناها إذا ضَربَتْ به وتنثُرُ يُسْراها على العُودِ عُنَّابا

وتضرب العود بالتقاط أوتاره باليمين، وتنثر رؤوس أصابع يسراها الشبيهة بالعُنَّاب على أصل الأوتار بالضغط عليها

٤ الزفت في القاع

وشَـبـابٍ كـان يُـعـجِـبـنـي وبـهِ قـد كـنـتُ لَـعَّـابـا
جَـاهُ حُـسْـنٍ مـا رُدِدْتُ بـهِ وشـفـيـعٌ قَـطُّ مـا خَـابـا

الشباب جاه، لكنه جاهٌ ليس من نسب ولا حسب بل من حسن، وهو شفيعي إلى الحسان، ولم يكن يخيب

ثــمَّ أُدِّيــنــا إلــى شَــمَــطٍ   مُــسْــبِــلٍ فــي الــرأسِ أَهــدابــا

الشمط اختلاط بياض الشعر بسواده، والمعنى الملموح: كأن الشعرات البيض أهداب وسط هذا السواد

خَـضَـبَـتْ رأسِـي فـقـلـتُ لـهـا: إِخْـضِـبـي قَـلـبـي فـقـد شَـابـا
فـأَمــامـي الـمُـرُّ مِـنْ عُـمُـري   وورائــي مــنْــهُ مــا طَــابــا

٥ مرفق بالرسالة

لـيـتَ أنَّ الـرَّسـولَ كـان يُـؤَدِّي   لَـحْـظَ عـيـنـي كـمـا يُـؤَدِّي كـتـابـي

٦ للدمع لا للنوم

لاحَ لـــهُ بـــارِقٌ فَـــأَرَّقَـــهُ   فَـبـاتَ يَـرعَـى الـنـجـومَ مُـكـتـئِـبـا

البارق: غيمة يتخللها برق

يُـطـيـعُـهُ الـطَّـرفُ عـنـدَ دمـعـتِـه   حـتـى إذا حـاولَ الـرقـادَ أَبَـى

الطرف (العين) يطيعه بالبكاء، ويعصيه إذا أراد نوماً

٧ ميت فراقاً

لُمْتَني يا مُسيءُ، والذَّنْبُ ذنبُكْ   وَيحَ نفسي! حَسيبُكَ اللَّهُ ربُّكْ
لا تـحـاوِلْ بـحبْسِ كُتْبِكَ قتلي،   قد تولَّى الفراقُ قتلي، فَحسْبُكْ

٨ «قف يا زماني»

جـاء الـرسـولُ مـبـشِّـراً بـزيـارةٍ   مِـن بـعـدِ طـولِ تـهـجُّـرٍ وتَـغَـضُّـبِ
يـا لـيْـلـتـي بـالـكَـرْخِ دُومـي هـكـذا   يـا لـيـلـتـي لا تـذهـبـي، لا تـذهـبـي

هذا التكرار في آخر البيت يحمل دفقة فرح

٩ مواقعة الذنب

أَتـانـا بـهـا صـفـراءَ يَـزعُـمُ إِنَّـهـا   لَـتِـبْـرٌ، فَـصـدَّقْـنـاهُ، وَهْـو كـذوبُ

يشبه الخمر بالتبر، أي الذهب

ومـا هِـيَ إلَّا لـيـلـةٌ طابَ نـجـمُـهـا   أُواقِـعُ فـيـهـا الـذَّنْـبَ ثـم أتـوبُ

١٠ عناق الأرواح

يـا رُبَّ إخــوانٍ صـحـبـتُـهُـمُ لا يَـمـلِـكـون لِـسَـلْـوةٍ قَـلْـبـا

قلبهم لا يطاوعهم على نسيان الصداقة

لـو تـسـتـطـيـعُ نـفـوسُـهُـمْ فَـقَـدتْ أجـسـادَهـا، وتـعـانـقـتْ حُـبًّـا

١١ مدح علي بن أبي طالب

عـلـيٌّ! يَـظُـنُّـونَ بـيِ بُـغْـضَـهُ فـهـلَّا سِـوى الـكـفـرِ ظَـنُّـوهُ بـي

يوضح ابن المعتز موقفاً يجاهد كثيرون من أهل السنة في توضيحه حتى اليوم لإخوانهم الشيعة، وهو أنهم يحبون علياً

إذَنْ لا سَـقَـتْـنـي غَـداً كَـفُّـهُ مِـن الـحوضِ والـمَـشْـرَبِ الأَعْـذَبِ

فعلي سيكون على الحوض يوم القيامة مع النبي

وأَوَّلُ مَـنْ ظَـلَّ فـي مـوقـفٍ يُـصـلِّـي مـعَ الـطـاهـرِ الـطـيِّـبِ

يشير إلى سابقة علي في الإسلام

وفـي لـيـلـةِ الـغـارِ وقَّـى الـنـبـيَّ عِـشَـاءً إلـى الـفَـلَـقِ الأشـهَـبِ

علي بات في فراش الرسول ليلة هجرته السرية إلى يثرب ووقاه بنفسه حتى الفلق الأشهب (الفجر الأبيض)

١٢ اقعدوا يا جنادب

أَبى اللّهُ إلّا ما تَرَوْن، فما لكمْ عتابٌ على الأقدارِ، يا آلَ طالِبِ

ظل الطالبيون طوال الدولة العباسية يخرجون على السلطة استناداً إلى أنهم أحق بالخلافة، وظل العباسيون يقولون: الخلافة حقنا، فنحن ننتمي إلى العباس عم الرسول، وأنتم تنتمون إلى علي ابن عمه، وإلى الحسين ابن بنته، والعم أحق بالوراثة، فيما قالوا

تـركـنـاكُـمُ حـيـنـاً فـهـلَّا أخـذتُـمُ تـراثَ الـنـبـيِّ بـالـقَـنـا والـقَـواضِـبِ

تركناكم في زمن دولة بني أمية التي استمرت ٩٠ سنة، فلم تأخذوا إرث النبي منهم بالقنا (الرماح) والقواضب (السيوف)

زمانَ بني حربٍ ومروانَ مُمْسِكو أَعِنَّةِ مُلْكٍ جائرِ الحكمِ غاصبِ

بنو حرب: فرع معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد من الأمويين، بنو مروان: أبناء مروان بن الحكم، وهم الفرع الأموي الذي تولى الخلافة بعد بني حرب

ألا رُبَّ يوم قد كَسَوْكُمْ عمائماً مِنَ الضَّربِ في الهاماتِ، حُمْرَ الذَّوائبِ

كان الأمويون يضرِّبون هاماتكم (رؤوسكم) بالسيف فتصبح الدماء على رؤوسكم عمائم ذات ذوائب (أهداب) حمر

وليس يريدُ الناسُ أن تَملِكوهُمُ فلا تَثِبُوا فيهِمْ وُثوبَ الجنادبِ

كان الطالبيون ـ العلويون ـ يخرجون على السلطان باستمرار في العهد العباسي، والجندب حشرة بقدر عقلة الإصبع كثيرة الوثب

١٣ المجد والحساد

قد عَضَّنِي صَرْفُ النَّوائبْ ورأيتُ آمالي كَواذِبْ

وإذا مَلَكْتَ المَجدَ لم تَملِكْ مودَّاتِ الأَقارِبْ

والمَجدُ والحسَّادُ مَقْـ ـرونانِ، إنْ ذهبوا فذَاهِبْ

١٤ سفرة بغير إياب

آهِ مِنْ سَفْرَةٍ بِغيرِ إِيابِ آهِ مِنْ حسرةٍ على الأحبابِ

آهِ مِنْ مَضْجعي وحيداً فريداً فوقَ فَرْشٍ مِنْ الحَصَى والتُّرابِ

١٥ نقر العصافير

في «المصون» للعسكري البيتان لابن المعتز:

وكَمْ عِناقٍ لنا وكَمْ قُبَلٍ مُختَلَساتٍ حِذَارَ مرتَقِبِ

نَقْرَ العَصافيرِ، وهْيَ خائفةٌ مِنَ النَّواطيرِ، يانِعَ الرُّطَبِ

١٦ الكسروية المشكوك في وجودها

وقد يباكرُني السَّاقي فأشربُها راحاً تُريحُ مِنَ الأحزانِ والكُرَبِ

وأَمطَرَ الكأسَ ماءً مِن أَبارِقِه فَأَنْبَتَ الدُّرَّ في أرضٍ من الذَّهبِ

الساقي أمطر الكأس ماء من إبريقه فكأنه سقى هذه الأرض الذهبية فأنبت فيها الدر أي اللؤلؤ لما تولد على سطحها من فقاقيع

وسبَّحَ القومُ لما أنْ رأَوْا عجباً نوراً مِن الماءِ في نارٍ مِن العِنَبِ

لم يُبْقِ فيها البِلى شيئاً سِوى شبحٍ يُقيمُه الظَّنُّ بينَ الصِّدقِ والكَذِبِ

الخمر قد عتقت زمناً طويلاً فكأنها مدفونة في دنانها، وعلى هذا جاز عليها البِلى (تحلل الجسم)، ولم يبق منها سوى شبح. والواقع أن كمية عصير العنب لا تنقص كثيراً مع التخمير، ولكن العصير يصفو بالترقيد وبالتحول إلى خمر، فهي شبح من حالتها الأصلية

سُــلافَــةٌ ورِثَــتْــهــا عــادُ عــن إرَمٍ   كانتْ ذخيرةَ كِسرى عن أبٍ وأبِ

١٧ أمنيات

عَـرفـتُ زمـانـي: بـؤسَـه ورخـاءَهُ،   ولاقيتُ مكروهَ الخطوبِ وعانيْتُ
وأُمنِيَّةٌ لـم أَمنعِ النَّـفْـسَ رَوْمَـهـا   بلغتُ، وأُخرى بعدَها قد تمنَّيْتُ

رَوْمها: طلبها

وحربٍ عَوانٍ يُثْقِلُ الأرضَ حملُها   ويلمَعُ في أطرافِ أرماحِها الموتُ

حرب عوان: حرب ذات معارك يأتي بعضها بعد بعض

شـهـدتُ بـصـبـرٍ لا تُـوَلِّـي جنـودُه   فحَاسَيْتُ أكوابَ المنايا وساقَيْتُ

كان صبري ثابتاً لا تهرب جنوده، فكأنَّ صبري جيش، وقد اشتركت مع الأعداء في احتساء أكواب المنايا (الموت) وكان بعضنا يسقي بعضاً

وقالوا: مَشيبُ الرأسِ يحْدُو إلى الرَّدى   فقلتُ: أَراني قد قَرُبْتُ ودَانيْتُ

١٨ يلوم قلبه

لا تَلُمْني يا صاحِ في حُبِّ «مَكْتو   مَةَ»، نـفـسِـي لـهـا الـفِداءُ وأَنـتـا
هـاكَ قـلـبـي، قَطِّعْهُ لَوْماً فإنْ أنْـ   ـسَيْتَه حبَّها فقد أَحسنتا
أيُّها القلبُ هل تُطيقُ اصطبارا   طـالـمـا قـد أَطـقْـتَـنـي فَـصَـبـرتـا
طـالـمـا كـنـتَ حـائـداً قـبـلَ هـذا   عن حبالِ الهوى فكيفَ وقعتا
مـا أرى في الهوى لإبليسَ ذنباً   إنَّ عينـي قـادَتْ، وأنـت اتَّـبـعـتـا
فَذُقِ الحبَّ، قد نُهِيتَ فخالفْـ   ـتَ، أَلَسْتَ الذي عصيتَ ألستا؟

١٩ غسيل وتلويث

لِي في التصابي واللَّهوِ حاجاتُ   لـيـس لِـقـلـبـي مِـنْـهُـنَّ إفْـلاتُ
كَـمْ تـوبـةٍ قـد فَـضَـضْـتُ خَـاتِـمَـهـا   عـنِّـي، ولـلـتـائـبـيـنَ رَجْـعَـاتُ

كثيراً ما تبت ثم فضضت خاتم التوبة (كسرت توبتي)

٢٠ رثاء

أبـا حَـسَـنٍ قَـرَاكَ الـلَّـهُ حُـسْـنـاً   يَـعِـزُّ عـلـى الـمـكـارمِ أن تَـمـوتـا

يرثيه. قراك الله (أطعمك طعام الضيف) حسناً. المعنى الملموح أنه يدعو له بأن يحسن الله إليه، فقد كان صعباً على المكارم موته

٢١ مدح وزير

يا ثالِثَ الوُزَراءِ كَمْ مِن حَلْقَةٍ لِلكَرْبِ والأَحزانِ قد فرَّجْتَها
ويدٍ بِوجْهٍ مُطْلَقٍ شَيَّعتَها كَبُرَتْ على عافِيكَ، واستصغَرتَها

رب يد (منحة) شيعتها (بعثتها) بوجه طلق، وقد رآها عافيك (سائلك) كبيرة، ورأيتها أنت صغيرة

فنسيِتَها، وأَعدتَها، فنسيتَها، حتى مُدِحْتَ بِذِكرِها فذكرتَها
ولَرُبَّ معنَى حِكمَةٍ أفرَغْتَه في قَالَبٍ مِن لَفظَةٍ أَوْجزْتَها
ووِزارةٍ كانتْ عليك خَريصَةً حتى أَتتْك، فلم تَزِدْكَ، وزِدْتَها

٢٢ أنا كالمنيَّة

يا مَنْ يَدُسُّ ليَ العداوةَ صَنْعَةً أَسْرَيْتَ لِي فاصبِرْ على الإِدْلاجِ

يا من صارت صناعته أن يدس لي العداوة، لقد أسريت (سرت ليلاً)، فانتظر الإدلاج (التوغل في الليل)

أَنا كالمَنِيَّةِ سُقمُها قُدَّامَها طوراً، وطوراً تبتدي فتُفَاجي

أنا كالموت يأتي المرض قبله، ولكنه أحياناً يفاجئ

٢٣ شباب زائف

قَبُحَتْ طلعةُ المشيبِ كما أنَّ ـ الخِضابَ الكُمَيْتَ أيضاً قبيحُ

الخضاب الكميت: الصبغ الداكن

ذا شبابٌ مُلَفَّقٌ ليسَ يخفَى ومَضى ذلكَ الشبابُ الصحيحُ

٢٤ لا يرعوي

فتنَتْ قلبَكَ العيونُ المِلاحُ واغْتِباقٌ بِقَهْوةٍ واصْطِباحُ

الاغتباق: الشرب مساء، الاصطباح: الشرب صباحاً، والقهوة: الخمر

وقُدودٌ كأنَّهُنَّ غُصونٌ وخدودٌ كأنَّها التفاحُ
أنتَ في الأربَعينَ مِثلَكَ في العشـ ـرينَ، قُلْ لي متى يكونُ الفلاحُ؟

٢٥ طار نومي

طَارَ نَوْمِي وعَاوَدَ القلبَ عِيدُ   وأَبى لي الرُّقادَ حزنٌ شديدُ
جلَّ ما بي وقَلَّ صبري، ففي قلـ   ـبي جراحٌ، وحَشْوُ جَفْنِي السُّهودُ
سَهَرٌ يَفْتُقُ الجفونَ، ونيرا   نٌ تَلَظَّى، قلبي لهُنَّ وَقُودُ
لامَني صاحبي وقلبي عميدُ   أينَ ممَّا يريدُه ما أريدُ
شيَّبَتْنِي، وما يُشَيِّبُنِي السِّنُّ ـ   ، هُمومٌ تَتْرَى ودهرٌ مَريدُ

شيبتني الهموم المتابعة، والدهر المَريد: الشيطاني

٢٦ الرحيل

قالوا: الفراقُ غداً لا شَكَّ، قلتُ لهمْ:   بل موتُ نفسي مِنَ الفراقِ غَدَا
إنِّي إذنْ لَصبورٌ إنْ بقيتُ وقد   قالوا الرَّحيلَ، وإنْ لم يرحلوا أَبدا

سأعتبر نفسي صبوراً إذا عشت بعد قولهم سنرحل.. حتى لو لم يرحلوا أبداً

٢٧ اختلاس

أَرُدُّ الطَّرْفَ مِنْ حَذَرِي عليهِ   وأمنحُهُ التجنُّبَ والصدودا
وأَرصُدُ غَفْلَةَ الرُّقباءِ عنه   لِتَسرِقَ مقلتي نَظراً جديدا

٢٨ عن طول الليل وقصره

ما أقصرَ الليلَ على الرَّاقدِ   وأهونَ السُّقمَ على العائدِ

النائم لا يشعر بطول الليل، والعائد (زائر المريض) لا يتألم من المرض

يَفديكِ ما أبقيتِ مَنْ مهجتي   لستُ لِما أَوْلَيْتِ بالجاحدِ

القليل الذي تركتِه من مهجتي (نفسي) أفديك به، وعموماً لا أجحد (أنكر) ما أوليت (منحتِ)

٢٩ من صفات الليل

لا تَلْقَ إلَّا بِلَيْلٍ مَنْ تُواصلُه   فالشمسُ نَمَّامَةٌ، والليلُ قَوَّادُ

سودنا البيت لشهرته، وتشبيه الليل بالقواد طريف بعدُ

كَمْ عاشقٍ وظلامُ الليلِ يسترُه   لاقَى أحبَّتَه والناسُ رُقَّادُ

٣٠ صبَّاغ الحياء

يا مَنْ يَجودُ بموعدٍ مِن لحظِه، ويصُدُّ حينَ أقولُ: أينَ الموعدُ
ويظَلُّ صَبَّاغُ الحَياءِ بِخدِّه تَعِباً يُعَصْفِرُ تارةً ويُوَرِّدُ

جعل شاعرنا للحياء صبَّاغاً يعمل عمله في الخدود، فيصبغها بصفرة العصفر حيناً وبحمرة الورد حيناً

ماذا يضُرُّكَ لو رَثَيْتَ لعاشقٍ قَلِقٍ يقومُ به هواكَ ويَقعُدُ

٣١ تراب حارتي وحصاها

ليتَ شِعريِ أفي المنامِ أرى ذا: قمراً زارني على غيرِ وعدِ
صار تُرْبُ الصَّراةِ مسكاً، وكافُو راً حَصاها، وماؤُها ماءَ وردِ

شاطئ الصراة ببغداد، وفيه بيت لابن المعتز ورثه عن جدته

٣٢ تشرب عقلي

علِّلاني بصوتِ نايٍ وعودِ واسقياني دَمَ ابنةِ العُنقودِ
أَشرَبُ الراحَ وهْيَ تشربُ عقلي، وعلى ذاك كان قتْلُ الوليدِ

الوليد بن يزيد الخليفة الأموي الشاعر قتلوه بعد أن أسرف في الشراب والملاهي

٣٣ الشيب

قد أَرسَلَ الشيبُ في رأسِي ومَفْرِقِه بُزَاتَهُ البيضَ في غِربانِه السُّودِ

البزاة: شواهين الصيد البيض. وكلمة «مفرقه» حشو لإقامة الوزن، ولولا هي لسودنا البيت

٣٤ المجبوذ جبذاً

وخَليلٍ صافٍ هَنيٍّ مَريٍّ جَبَذَتْهُ الأيامُ مِنِّيَ جَبْذا

جبذ: جذب

سَرَّهُ اللَّهُ حيثُ كانَ، فما كا نَ أَسَرَّ الدنيا به وأَلَذَّا

كانت الدنيا بوجوده سارَّة ولذيذة

وأنا الواضحُ الذي إن تَبَدَّى يَعرِفُوهُ، ولا يقولونَ مَنْ ذا؟

يفتخر بنفسه

ومشى الشَّيبُ قبل عَقدِ الثلاثيـ ـنَ، فلـمَّـا انـتـهـى إلـيـهـا أغَـذَّا

قبل الثلاثين كان الشيب يمشي في رأسي فلما انتهى إليها (وصلها) أغذَّ (أسرع) في سيره

٣٥ نحن وبنو عمنا

ويـا رُبَّ يـومٍ لا تُـوَرِّي نـجـومُـه   مَددتُ إلى المظلومِ فيه يدَ النصرِ

أي لا تضيء نجومه، فهو يوم مظلم، وفيه نصرت المظلوم

فسبحانَ ربي ما لِقَومٍ أرى لهمْ   كَوامِنَ أضغانٍ عقارِبُها تَسري

إذا ما اجتمعنا في النَّدِيِّ تضاءَلوا   كما خَفِيَتْ مَرضَى الكواكِبِ في الفجرِ

كثيرون كانوا يشيعون عن ابن المعتز أنه يشتم علياً، ووكان يتأذى بذلك كثيراً، كما يفصل الصولي في كتاب «الأوراق». وابن المعتز كان يشكو أنه يدافع عن بني العباس بكلام متزن فيتأولون كلامه ويجعلونه انتقاصاً لعلي. وهؤلاء الأعداء يتضاءلون عندما يجتمع بهم في الندي (المجلس)، كأنهم الكواكب المريضة (الضئيلة) التي تكون أول ما يختفي فجراً

بنو العمِّ، لا بل هم بنو الغمِّ والأذى،   وأعوانُ دهري إن تظلَّمْتُ مِنْ دهري

بنو العم: أي الطالبين، فأبو طالب أخو العباس، وهما عمَّا النبي

نَـمتْـنـي إلـى عَـمِّ الـنـبـيِّ خَـلائِـقٌ   عَلَوْا فوقَ أفلاكِ الكواكبِ والبدرِ

خلائق: أفراد من خلق الله، هم أسلاف ابن المعتز الذي يرتفع نسبه إلى العباس عم النبي

ونحنُ رفعْنا سيفَ مروانَ عنكُمُ   فهلْ لكُمُ يا آلَ أحمَدَ في الشكرِ

نحن، بني العباس، أنهينا الدولة الأموية المروانية، فوجب أن تشكرونا يا آل النبي

٣٦ الباصق على الكوكب

ويـا عـائـبي والـعـيـبُ حشـوُ فـؤادِهِ   تـأمَّلْ رُويداً، لستَ مِمَّنْ أُحَاذِرُهْ

وكـنـتَ كَـرَامٍ كـوكـبـاً بِـبُـصـاقِـه   فَـرُدَّ عـلـيـه وَبْـلُـهُ ومَـوَاطِـرُهْ

٣٧ أنا الجيش

أنـا جـيـشٌ إذا غَـدوْتُ وحـيـداً   ووحـيـدٌ فـي الـجَـحـفـلِ الـجـرَّارِ

هو وحده عن جيش، وإذا كان ضمن الجيش فهو وحيد متميز بشجاعته

٣٨ ذلك دهر وهذا دهر

هِيَ الدَّارُ، إلَّا أنَّها منهمُ قَفْرُ وأنّي بها ثَاوٍ وأنَّهُمُ سَفْرُ

هذه دار الأحبة، وأنا واقف بإزائها، ولكنهم ارتحلوا عنها. ثاوٍ: مقيم، سفْر: مسافرون

حَبستُ بها لحظِي، وأطلقتُ عَبرتِي وما كان لِي في الصبرِ، لو كانَ لِي، عُذْرُ

تفسيير الشطر الثاني كما فهمته: وما كان لي عذر في الصبر.. هذا لو كان لي أصلاً صبر

فَدَعْ ذكرَ بَثْنَى قد مضى ليس راجعاً فذلكَ دهرٌ قد تولَّى، وذا دهرُ

٣٩ فخر

سقى الإلهُ «سُرَّ من را» القَطْرا
والكرخَ والخمسَ القرى والجِسرا

هذه قرى حول سامراء كانت فيها الحانات، والجسر قرية منها

قد عَجَموا عودِي وكنتُ مُرَّا
حرّاً إذا لم يَكُ حرٌّ حُرَّا
لا تأمَنوا مِنْ بعدِ حِلْمٍ شَرَّا
كَمْ غُصُنٍ أخضَرَ صارَ جَمرا

لا تظنوا حلمي سيدوم، فالغصن الأخضر يتحول إلى جمر بعد حين

٤٠ قف لنا

يا هلالاً يدورُ في فَلَكِ الما وَرْدِ رفقاً بأَعيُنِ النَّظَّارَةْ

أليست الجميلة العَطِرة تكتنفها هالة من الماورد (ماء الورد)؟

قفْ لنا في الطريقِ إن لم تَزُرْنا وَقْفَةٌ في الطريقِ نصفُ الزيارةْ

٤١ العاصرة نفسها

صَبوْتُ إلى النَّدامَى والعُقارِ وشُرْبٍ بالصِّغارِ وبِالكبارِ

وساقي حانةٍ يغْدُو علينا بزُنَّارٍ وأَقْبِيَةٍ صِغارِ

أقبية جمع قباء أي ثوب، والزنار كان يتخذه النصارى وهم أصحاب الحانات

ويَخجَلُ إذ يُلاقِيني كأنّي أُنَقِّطُ خدَّهُ بالجُلَّنارِ

الجلنار: زهر الرمان

وبَيضاءِ الخِمَارِ إذا اجْتَلَتْها عيونُ الشَّرْبِ، صَفراءِ الإزارِ

للخمر خمار (شال) أبيض هو الرغوة على وجه الكأس، ولكن إزارها (ثوبها) أصفر

فضضتُ خِتامَها عن رُوح راحٍ لها جَسَدانِ مِنْ خَزَفٍ وقَارِ

الخمر روح داخل جسد هو الدن، وجسد الدن جسدان: خزف (فخار)، وقار (زفت) يطلى به الخزف

تَلَقَّاها لِكِسْرى رَبُّ كَرْمٍ يُعَدُّ مِنَ الفلاسفةِ الكبارِ

زارع كرم العنب فيلسوف لا شك عند المدمنين

أَقَرَّ غِراسَها بِثَرىً وَطِيٍّ وأَنْهارٍ كَحَيَّاتٍ سَوَارِ

زرع الزارع كرومه في تراب سهلي، وبين أنهار تسري ملتوية كأنها الأفاعي

نَوَاعِمُ لا تَذِلُّ بِوَطْءِ رِجْلٍ وتَعصِرُ نفسَها قبل اعتِصَارِ

العناقيد ناعمة لا تتعرض لذل العصر بالأرجل، فهي ناضجة إلى حد أنها تعصر نفسها قبل اعتصارها، ذلك أنهم يضعون أكوام العناقيد في حوض، فيبدأ سريان العصير بفعل ثقل العناقيد قبل الدوس بالأرجل، وهذا الذي يأتي قبل الدوس يسمى السلافة، وقالوا هو أجود الخمر، فلا يصحبه الطعم المز الناشئ عن ضغط القشور والبزر والعراميش

٤٢ خيل الملاهي

شربنا بالصغيرِ وبالكبيرِ ولم نحفِلْ بأحداثِ الدُّهورِ
وقد ركضتْ بنا خيلُ الملاهيِ وقد طِرْنا بأجنحةِ السُّرورِ

٤٣ موعد في الدير

سَقَى المُطَيرَةَ ذاتَ الظَّلِّ والشَّجرِ وديرَ عَبدونَ هَطَّالٌ مِنَ المطرِ
فَطالما نَبَّهَتْني للصَّبوحِ بِها في غُرَّةِ الفجرِ والعُصفورُ لم يَطِرِ
أَصْواتُ رُهبانِ ديرٍ في صَلاتِهِمُ سُودِ المَدَارِعِ نَعَّارينَ في السَّحَرِ

نعارين: مصوِّتين في صلواتهم

مُزَنَّرينَ على الأوسَاطِ قد جَعَلوا على الرُّؤوسِ أَكَاليلاً مِنَ الشَّعَرِ

الرهبان حلقوا شعورهم، وتركوا أعاليها كأنها أكاليل فوق رؤوسهم

كَمْ فِيهِمُ مِنْ مَليحِ الوجهِ مُكتحِلٍ بالسِّحْرِ، يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ على حَوَرِ

لاحظْتُه بالهوى حتى استقادَ له طَوعاً، وأسْلَفني الميعادَ بالنَّظرِ

استقاد: استُدرج

وجاءني في قميصِ الليلِ مستتراً يستعجلُ الخَطْوَ مِنْ خوفٍ ومِنْ حَذَرِ
فقمتُ أَفْرُشُ خَدِّي في الطَّريقِ له ذُلّاً، وأَسْحَبُ أذيالي على الأَثَرِ

يسحب أذيال ثوبه على أثر الأقدام ليخفيها

ولاحَ ضَوْءُ هِلالٍ كادَ يفضحُنا مِثْلِ القُلامَةِ قد قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ
فكانَ ما كانَ مِمَّا لستُ أَذكُرُهُ فَظُنَّ خيْراً، ولا تسأَلْ عن الخبرِ

هذه القصيدة من أشهر ما قال ابن المعتز، وهي شديدة الشبه بشعر أبي نواس الذي مات قبل مولد شاعرنا بنحو خمسين سنة. ولعل أبا نواس يتقلب في قبره حسداً لابن المعتز على بيته الأخير

٤٤ زورق من فضة

أهلاً بِفِطْرٍ قد أَنارَ هلالُه فالآن فاغْدُ إلى المُدامِ وبَكِّرِ

قد بدا هلال شوال، وجاء عيد الفطر، فاغدُ (بكِّر) إلى الخمر

وانظرْ إليه كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قد أثقلَتْهُ حُمولَةٌ مِنْ عَنْبرِ

يشبه الهلال بزورق فضة والنجوم فيه بالعنبر، أو لعله يشبه ما بقي من القمر بالعنبر. عليَّ أن أشاهد الهلال كي أفسر البيت، ولكنني أكتب هذا في ١٥ رمضان ١٤٣٦، والقمر بدر ولا سبيل للفحص. من سيئات كتب المدارس أنها تكتفي بمثل هذا البيت لابن المعتز، فيظن التلميذ طول عمره أن ابن المعتز هو هذه الصورة المصنوعة فحسب. قد وصف كامل كيلاني هذا البيت بالسخيف وتعجب كيف أن كل من تعرض لابن المعتز قد ذكر هذا البيت. واستطراداً فقد نسب كيلاني لابن المعتز الموشحة المشهورة: «أيها الساقي إليك المشتكى» ولم نجدها في الديوان

٤٥ بوابة جهنم

كأَنَّما صَبَغَتْهُ وَجْنتا خَجِلٍ إذْ حَلَّ عَقْدَ سَراويلٍ، وأَزْرارا
فَلَوْ رآهُ حبيسٌ فوقَ صَوْمَعةٍ لَقالَ: في مِثلِ هذا فادخُلوا النارا

الحبيس: الراهب الحابس نفسه في صومعته على العبادة

٤٦ ليلة

يا ليلةً نَسِيَ الزمانُ بِها أحداثَه، كُوني بِلا فجرِ

راحَ الزمانُ ببدرِها، ووَشَتْ   فيها الصَّبا بِمَواقِعِ القَطْرِ

ريح الصبا وشت (أخبرت) بالأماكن التي نزل فيها المطر

ثمَّ انقضَتْ والفجرُ يتْبَعُها   في حيثُما سَقَطَتْ مِنَ الدهرِ

٤٧ رثاء

لستُ مُستسقياً لقبرِكَ غَيْثاً   كيف يَظْمَا وقد تَضَمَّنَ بَحْرا

٤٨ غبار وقائع الدهر

صَدَّتْ شُرَيْرُ وأَزمعتْ هَجري   وصَغَتْ ضمائرُها إلى الغدرِ

شُرير: صاحبته شَرَّة، صغت: مالت

قالتْ كَبِرتَ وشِبْتَ، قلتُ لها: هذا غُبارُ وقائِعِ الدهرِ

٤٩ منجل من فضة

انظُرْ إلى حُسْنِ هلالٍ بَدا   يهتِكُ مِنْ أنوارِهِ الحِنْدِسا

الحندس: الظلام

كَمِنجلٍ قد صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ   يَحْصُدُ مِنْ زهرِ الدُّجى نَرجِسا

٥٠ أسنان المشط

قُنِّعَ الرأسُ مَشيباً   واكتسى لونَ الشَّمَطْ

لا أَرى فيهِ سَواداً   غيرَ أَسنانِ المُشُطْ

٥١ السير والسر

أَبْطِ ما شئتَ، وسِرْ سيْراً وئيداً   إنَّ سيرَ الدهرِ بالمرءِ سريعْ

واكتُمِ السِّرَّ حبيباً وعدواً   فَهْوَ مِنْ هذا وهذاكَ يَشيعْ

٥٢ أنا والعاذل

يَتيهُ عندي وأَنا أخضَعُ   إن كانَ ذا بَخْتِي فماذا أَصنعُ

يا عاذلي! عذلُكَ لي ضائعٌ   أَسمعْتَني، والحُبُّ لا يَسمَعُ

٥٣ قلبي يراك

أَيَـا مَـنْ فـؤادي بـه مُـدْنَـفُ   حُـجِـبْـتَ فَـلـي دمـعـةٌ تُـذْرَفُ

مدنف: مريض

إذا مَـنـعُـوا مُـقـلـتـي أن تَـراكَ   فـقـلـبـي يَـراكَ ولا يَـطْـرِفُ

٥٤ كذبوا على عليّ

لـقـد قـالَ الـرَّوَافِـضُ فـي عَـلِـيٍّ   مَـقـالاً جـامِـعـاً كُـفْـراً ومُـوقـا

قال الروافض (المتشددون في التشيع) عن علي قولاً جارفاً فيه كفر وموق (حمق)

زَنَـادقَـةٌ أرادتْ كَـسْـبَ مـالٍ   مِـن الـجُـهَّـالِ فـاتَّـخـذتْـهُ سُـوقـا

وأَشْـهـدُ أنـهُ مـنـهُـمْ بَـرِيءٌ   وكـانَ بـأَنْ يُـقَـتِّـلَـهُـمْ خـلـيـقـا

كـمـا كَـذبـوا عـلـيـهِ وَهْـوَ حَـيٌّ   فـأَطْـعَـمَ نـارَه مِـنـهُـمْ فَـريـقـا

تقول بعض المصادر إن علياً حرَّق بعض الزنادقة

٥٥ هالك عند هالك

فَـلا جَـزَعٌ إنْ رَابَ دهـرٌ بِـصَـرفِـهِ   وبَـدَّلَ حـالاً، فـالـخُـطوبُ كَـذلِـكِ

ومَا الـعيشُ إلَّا مُدَّةٌ سوفَ تنقضي   ومـا الـمـالُ إلَّا هـالِكٌ عـنـد هـالِكِ

٥٦ أنت الخمر

أراكَ بـعـيـنِ قـلـبِ لا تَـراهـا   عـيونُ الـنـاسِ مِنْ حَذَرٍ عـلـيْـكـا

فـأنـتَ الـحُـسْـنُ لا صِـفَـةٌ بِـحُـسْـنٍ   وأنـتَ الـخَـمْـرُ لا مـا فـي يـديْـكـا

٥٧ قصيرة وإن طالت

أَلا عَلِّلاني، إنَّما العيشُ تَعليلُ   ومـا لِـحـيـاةٍ بـعـدَهـا مِـيـتَـةٌ طُـولُ

عللاني: سلِّياني

دعـانـي مِـنَ الـدنـيـا أَنَـلْ مِـن نـعيمِها   فـإِنِّـيَ عـنـهـا بـعـد ذلـكَ مـشـغُـولُ

٥٨ في وصف جبل يسير

قدِ استَوى الناسُ وماتَ الكمالْ   ونـادتِ الأيـامُ: أيـنَ الـرِّجـالْ

بموت المرثي أصبح الناس متساوين في نظري، فهو وحده كان المتفرد

هـذا أبـو الـقـاسِـمِ فـي نـعـشِـه قُوموا انظروا كيفَ تسيرُ الجبالْ

٥٩ النار تأكل بعضها

إصـبِـرْ عـلـى كَـيْـدِ الـحـسـو دِ فـإنَّ صـبـرَكَ قـاتِـلُـهْ
فـالـنـارُ تَـأْكُـلُ بـعـضَـهـا إن لـم تـجِـدْ مـا تـاكُـلُـهْ

هل بقي بعد هذين البيتين الشهيرين شك في أن ابن المعتز ملك التشبيهات في شعرنا العربي؟ واقرأ الكلمة الأخير «تاكله» بغير همزة حتى لا تقع فيما يسميه العروضيون سناد التأسيس

٦٠ بين شقي الرحى

دامَ كَرُّ الـنـهـارِ والـلـيـلِ مَحْثُو ثَـيْـنِ، ذا مُـنْـبِـهٌ وهـذا مُـنِـيـمُ

محثوثين: مدفوعين باستعجال

ورَحَـىً تـحـتَـنـا وأخـرى عـلـيـنـا كلُّ مَـرْءٍ فـيـهـا طَـحـيـنٌ هَـشِـيـمُ

طحين: مطحون

ومُـعَـافَـىً وذو سَـقـامٍ وحـيٌّ وحـبـيـسٌ تـحـت الـتُّـرابِ مُـقيمُ
وبَـخـيـلٌ وذو سَـخـاءٍ، ولـولا بُـخْـلُ هـذا مـا قـيـلَ هـذا كـريـمُ
ونَـرى صَـنْـعَـةً تُـخَـبِّـرُ عـن خَـا لِـقِـنـا أنَّـه لَـطـيـفٌ حـكـيـمُ
يـا بـنـي عـمِّـنـا إلـى كَـمْ وحـتَّـى، لـيـسَ مـا تَـطْـلُـبـونَـه يَـسـتـقـيـمُ

يخاطب العلويين المطالبين بالخلافة. وحتَّى: حتى متى. وحذفَ

أأبـو طَـالِـبٍ كـمِـثْـلِ أبـي الـفـضـ ـلِ، أَمَـا مـنـكُـمُ بـهـذا عـلـيـمُ

أبو طالب عم النبي، وأبو الفضل هو العباس عم النبي

سَـائِـلوا مـالِـكـاً ورِضْـوَانَ عـن ذا: أيـنَ هـذا، وأيـنَ هـذا مُـقـيـمُ

اسألوا مالكاً (خازن جهنم) ورضوان (حارس الجنة) عن هذا الأمر. ففي معتقد بعض أهل السنة أن أبا طالب لم يُسلِم فهو في النار، وأن العباس في الجنة. والشيعة يقولون بل أسلم أبو طالب وأخفى إسلامه كي يتمكن من حماية النبي. وقد جر هذا البيت على ابن المعتز لوماً شديداً من قبل الشيعة في زمنه وبعده

فَدَعُوا المُلْكَ، نحن بالمُلْكِ أوْلَى قـد أَقَـرَّتْ لـنـا بِـذاكَ الـخُـصُـومُ
واحـذَروا مَـاءَ غَـابَـةٍ لـم يـزَلْ طـا ئـرُ حِـرْصٍ عـلـيـه مـنـكُـمْ يَـحُـومُ

تحومون حول الخلافة التي هي مثل الغابة، وأنتم كطائر (والطائر هو الحرص والطمع)

إنَّ فيـهـا أُسْـداً ضَـراغِـمَ أشْبـا　　لَ رَعيـلٍ لم يَنْجُ منهـا كَـليمُ

في الغابة أسود لا ينجو كليمها (جريحها)، ولعله يقصد بالرعيل العباسيين الأوائل الذين أنهوا حكم بني أمية

وعَـزيـزٌ عَـلَـيَّ أن يـصـبِـغَ الأر　　ضَ دمٌ مـنـكُـمُ عـلـيَّ كـريـمُ

٦١ الشمس وقد مسخت

أقـولُ وقـد طـالَ لـيـلُ الـهُـمـومِ　　وقـاسـيـتُ حُـزنَ فـؤادٍ سـقـيـمِ

هـلِ الـشـمـسُ قـد مُسخـتْ كـوكـباً　　وقـد طَـلَـعـتْ فـي عِـدادِ الـنُّـجـومِ؟

٦٢ بات حبيبي معي

الـبَـرْقُ فـي مُـبْـتَـسَـمِـهْ　　والـخـمـرُ فـي مُـلْـتَـثَـمِـهْ

المبتسم: الابتسام، الملثم: التقبيل. ابتسامته ينبعث منها برق لبياض أسنانه

ووجـهُـه فـي شَـعْـرِهِ　　كَـقَـمَـرٍ فـي ظُـلَـمِـهْ

نَـامَ رقـيـبـي سَـكَـراً　　يَـحـرُسُـنـي فـي حُـلُـمِـهْ

الرقيب نائم، ويسخر منه قائلاً إنه يحرسني في أحلامه

وبـاتَ مَـن أهـوى مـعـي　　يُـذيـقُـنـي رِيـقَ فَـمِـهْ

٦٣ صرعى الخمارة

قَـتَـلَـتْـهُـمُ خَـمَّـارةٌ　　عَـمْـداً ولـم تُـؤْخَـذْ بِـدَمْ

صاحبة الحانة قتلتهم بخمرها ولم تؤخذ (لم تعاقَب) بدم (بقتل)

وسَـقَـتْـهُـمُ مَـشْـمُـولـةً　　ظَـلَّـتْ تُـحَـدِّثُ عـن إرَمْ

مشمولة: خمر. وهي قديمة وتروي قصة إرم ذات العماد

لـمـا أرتْـهُـمْ كـأسَـهـا　　شَـرِبُـوا، ومـا قـالـوا بِـكَـمْ

٦٤ الداء القديم

يـا رُبَّ يـومٍ قـد مَـضَـى　　بـالـقـادِسِـيَّـةِ لـو يَـدومُ

فـي ظِـلِّ كَـرْمٍ لا يـطـو　　فُ بـه الـهـجـيـرُ ولا السَّـمُـومُ

وسـمـاؤُه الـوَرَقُ الـجـديـ　　ـدُ، وأَرضُـهُ الـوَرَقُ الـقـديـمُ

إذن فالوقت آخر الخريف

ويـحُـثُّـنـي بـالـكـأسِ سَـا قٍ لَـحْـظُ مـقـلـتِـه سـقـيـمُ
أُغْـرَى بـقُـبـلـتِـه كـمَـا يُـغْـرَى بِـمُـرْضِـعَـةٍ يـتـيـمُ
يـا مَـن يـلـومُ عـلـى الـهـوى، دعـنـي فـذَا دَاءٌ قـديـمُ

٦٥ المال والنسب

إذا كـنـتَ ذا ثَـروةٍ مِـن غِـنَـىً فـأنـتَ الـمُـسَـوَّدُ فـي الـعَـالَـمِ
وحـسْـبُـكَ مِـن نَـسَـبٍ صـورةٌ تُـخَـبِّـرُ أنَّـكَ مِـن آدمِ

تكفيك من النسب صورة وجهك التي تثبت أنك من نسل آدم

٦٦ سهري ونومهم

أَسْرَرْتُ حُزْناً بِها والقلبُ مضْطَرِبٌ وراحَ يُنْبِي بِغيرِ الحقِّ إِعلاني
وقـد أَرِقْـتُ لِـبـرقٍ طـارَ طـائـرُه والنومُ قد خاطَ أجفاناً بأجفانِ

هو يأرق والنوم يخيط أجفان الناس فهم نائمون

٦٧ المجانين في نعيم

قالوا جُننتَ بلا شكٍّ، فقلتُ لهمْ: مـا لـذَّةُ الـعيشِ إلَّا لـلـمجـانـيـنِ

٦٨ أخرستنا قبلة

ولـمَّا التقيْنا بعد حينٍ مِنَ الحَيْنِ حَـلـفـنـا بـأنَّـا لا نـعـودُ إلـى الـبَـيْـنِ

بعد فترة من الحيْن (الموت/ يقصد الفراق المميت) التقينا، وحلفنا لا نعودُ للبين (الفراق)

وقـد أَخْرَسَتْنا قُبلةٌ عن حديثِنا إلى الصبحِ حتى غرَّدَ الديكُ صوْتينِ
وقـلـتُ تـعـالـيْ يـا شُـرَيْـرَةُ نـمـتـزجْ كمثلِ امتزاجِ الماءِ والخمرِ نِصفينِ
وطُولُ عتابٍ في التلاقي يُريبُني ويُـنْـبـي بـعـجـزٍ، أو تَـغَـيُّـرِ قـلـبيْـنِ

٦٩ جلاء الهم

مَـنْ عـائِـدي مِ الـهـمـومِ والـحَـزَنِ وذِكْـرِ مـا قـد مـضـى مِـنَ الـزَّمـنِ
وشُـرْبِ كـأسٍ فـي مـجـلـسٍ بَـهِـجٍ لـم أَرَ فـيـهِ هـمَّـاً ولـم يَـرَنـي
مِـنْ كـفِّ ظـبْـيٍ مُـقَـرْطَـقٍ غَـنِـجٍ يـعـشـقُـه مَـنْ عـلـيـهِ يَـعـذِلُـنـي

مقرطق: يلبس قُرْطُقاً أي بجامة. القرطق قميص كان يلبسه الصبية والبنات

٧٠ زيارة ليلية

صَحَوْتُ، ولكنْ بعدَ أيِّ فُتونِ ... فلا تسأليني صَبْوَةً ودَعيني

صبوة: عودة للهو الصبا

ودَبَّ مشيبي بعضُه فوقَ بعضِه ... وأخرجني مِنْ أَنْفُسٍ وعيونِ

وخَمَّارَةٍ، تَعْني المسيحَ بربِّها، ... طَرقتُ، وضَوْءُ الصبحِ غيرُ مُبينِ

طرقت (أتيت ليلاً) بائعة خمر نصرانية ممن يتماهى عندهم الرب والمسيح

فجاءتْ بها في كأسِها ذهبيَّةً ... لها حَدَقٌ لم تتَّصِلْ بجفونِ

للكأس عيون هي الفقاقيع، غير أنها عيون بلا جفون

٧١ إيقاع الزمان

إذا أحسستَ في خَطِّي فُتوراً ... وحَظِّي والبلاغةِ والبيانِ

فلا تَرْتَبْ بِفَهمي، إنَّ رقْصي ... على مِقدارِ إيقاعِ الزَّمانِ

٧٢ راحة الموت

يا شاكيَ الدهرِ إنَّ الدهرَ ألوانُ ... فيهِ لِصاحبِه بؤسٌ وأحزانُ

وفي المماتِ غِنَىً لِلمرءِ يستُرُه ... وليس مستغْنياً ما عاشَ إنسانُ

٧٣ قهقهة الإبريق

وكأنَّ إبريقَ المُدامَةِ بينَنا ... ظبيٌ على شَرَفٍ أنافَ مُدَلَّها..

يشبه الإبريق بظبي يقف على شرف (تلة) وقد أناف (أشرف) مدلهاً (عاشقاً)

لما استَحَثَّتْه السُّقاةُ حنَى لها ... فبكى على قدحِ النديمِ وقَهقها

لما استحثته (باشرته) السقاة حنى الإبريق رأسه فسالت منه الخمر فكأنه بكى، وصدر لجريان الخمر صوت فكأن الإبريق يقهقه. صورة مصنوعة.. لكن مصنوعة بإتقان

٧٤ يرِثُ نفسه

ألا مَنْ لِقلبٍ في الهوى غيرِ مُنْتَهِ ... وفي الغَيِّ مِطواعٍ، وفي الرُّشدِ مُكْرَهِ

أُشاوِرُه في توبةٍ فيقولُ: لا ... فإن قلتُ: تأتي فِتنةً؟ قال: أَينَ هِي

ويا ساقِيَيَّ اليومَ عُودَا وثَنِّيا بإبريقِ راحٍ في الكؤوسِ مُقَهْقِهِ
أُوَرِّثُ نفسي مالَها قبلَ وارِثي وأُنفقُهُ فيما تُحِبُّ وتشتهي

٧٥ حتى القبيحة

قال وقد عابَتْ جارية دميمة فسأله جليسه عن ذلك:

قلبيَ وَثَّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيَأباهُ
يَهيمُ بالحسنِ كما يَنبغي ويرحَمُ القبحَ فيهواهُ

كما ينبغي: كما هو معتاد

٧٦ لحية القاضي

ذا شَارِبٍ وظُفُرٍ طويلِ يُنغِّصُ الزَّادَ على الأكيلِ
تَخالُ تحتَ إبْطِهِ إذا عَرِقْ لِحيَةَ قاضٍ قد نجا مِنَ الغرَقْ

عندما يصبح التشبيه صناعة!

٧٧ أرجوزة في التاريخ

لابن المعتز أرجوزة طويلة من المزدوج، مدح فيها الخليفة أبا العباس المعتضد وحكى ما يحدث في ذلك الزمن:

باسمِ الإلهِ المَلِكِ الرَّحمنِ ذي العِزِّ والقدرةِ والسلطانِ
هذا كتابُ سِيَرِ الإمامِ مهذَّباً؛ مِنْ جوهرِ الكلامِ
أعني أبا العباسِ خيرَ الخلقِ للمُلْكِ، قَوْلَ عالِمٍ بالحقِّ
قامَ بأمرِ المُلْكِ لمَّا ضاعا وكان نَهْباً في الوَرى مُشاعا
مُذَلَّلاً ليستْ لهُ مَهابَةْ يَخافُ إن طَنَّتْ به ذبابَةْ
وكلَّ يومٍ مَلِكٌ مقتولُ أو خائفٌ مُرَوَّعٌ ذليلُ
وكلَّ يومٍ شَغَبٌ وغَضْبُ وأَنْفُسٌ مقتولةٌ وحربُ
ويَطلبونَ كلَّ يومٍ رِزْقا يَرَوْنَهُ دَيْناً لهمْ وحَقَّا
كذاكَ حتى أفقَرُوا الخِلافَةْ وعوَّدوها الرُّعْبَ والمخافَةْ

وكان الجند الأتراك طلبوا من والد شاعرنا، الخليفة المعتز، المال، فلم يعطهم فقتلوه. وتكرر ذلك قبل المعتز وبعده

فهرس القوافي

(القافية، فرقم القطعة)

أبو الطيب المتنبي
(٣٠٣هـ ـ ٣٥٤هـ)

انقضت ألف وإحدى وخمسون سنة شمسية على مقتل المتنبي، وما زال مالئها وشاغلهم. وقد صقلت شعرَه محاريبُ الأدب ومنابر الدرس فصار قرآن الشعر. ينشأ الفتى العربي وهو يحفظ منه عشرات الأبيات، ومئات أنصاف الأبيات، ويتَّكئ عليه كتاب المقالات لإقامة حججهم أو لتزيين كلامهم؛ ويغترف منه كل العرب، واعين أو غافلين، مواقفَ يقفونها من الأشياء. فهو ما زال مؤثراً في النفسية العربية.

هذه النفسية العربية التي تنتقل بسهولة ما بين التذمر والمكابرة، بين الشكوى والاعتزاز، بين التسليم برداءة الدنيا والتصميم على خلق الظروف، تجد تعبيراً قوياً عنها في أبيات المتنبي.

ولكن المتداوَل المفهوم من شعره قليل. ولغته صعبة، وكانت صعبة حتى في زمانه. كان يلتوي في تعبيره متعمداً، يباهي النحاة وأهل اللغة، ويتفاصح على الشعراء في بَلاطات أمراء طبرية وحلب والفسطاط وبغداد وشيراز.

انتقيت لك من شعر المتنبي ١٤٣٣ بيتاً هي العصارة. وتمثل ربع ديوانه. ثم شرحتها شرحاً وافياً، فما غادرت كلمة مهجورة أو عبارة ملتوية أو فكرة غامضة إلا فسَّرتها تفسيراً. وجعلت شرح كل بيت تحته، على طريقة القدماء. وجعلت الشرح بخط دقيق حتى ينماز عن الأبيات؛ فمن استقام له المعنى واستغنى عن الشرح هان عليه أن يقفز بعينيه إلى البيت الذي يليه.

اسمع كيف يقسِّم ابن الأثير في المثل السائر شعر المتنبي: «وجدتُهُ أقساماً خمسة: خُمسٌ في الغاية التي انفرد بها دون غيره، وخُمس من جيِّد الشعر الذي يساويه فيه غيرُه، وخُمس من متوسِّط الشعر، وخُمس دونَ ذلك، وخُمس في

الغايةِ المتقهقِرة التي لا يُعبأ بها، وعدمُها خيرٌ من وجودها، ولو لم يقُلْها أبو الطيب لوقاه الله شرَّها.» اهـ كلام ابن الأثير.

الشكوى المرة من الحاسدين، وامتهان إلقاء اللوم على الآخرين حاضران في شعر المتنبي حضورهما على ألسنة العرب اليوم. لكن المتنبي لم يخلد بهذا وحسب.

اجتمع العرب عليه كما لم يجتمعوا على شاعر. وظلت شهرته تزيد.

سأحاول في هذه المقدمة استكشاف أسباب خلوده. وبعد ذلك سأكتب ملخصاً لحياته.

وكتابة سيرة للمتنبي أهون من تجفيف الغسيل في جهنم. فهي وقائع محددة متفق عليها، ونكاد نعرف بدقة نسبة الأسطورة ونسبة الحق في كل عنصر من عناصر هذه الوقائع. لكنني سأظل أرجئها مثلما يرجئ التلميذ المذاكرة لامتحانه.

لا أستغرب أن العرب يعدونه أعظم شاعر. هو يشبهنا جداً. الزعامة طموح حياته، ولا يرضى أن يكون أي شيء سوى زعيم.

كان دونكيشوتاً؛ ولم يضحك منه العرب، بل أحبوه.

كل شعره عنتريات، وكل أخلاقياته تقوم على حماية الشرف بحد السيف. وما الشرف عنده؟ هو الأنا، ليس الأنا القبليَّة القديمة التي نعرفها جيداً، ولكن «أنا» جديدة علينا وعلى الشعر العربي، أنا الفرد. والفرد بمعنى من المعاني المعاصرة أيضاً. الفرد الوجودي الذي يتشهّى الانفصال عن جسم مجتمعه مثلما تجاهد دفقة اللهب كي تتخلص من أسر الشمس وتنطلق في الفضاء وحدها، لكنها تحمل في داخلها كل عناصر الأمّ، وتذهب وتفنى وتبرد في الفضاء، لكن بعد أن تشع إشعاعاً يدْفئ كرتنا الأرضية.

لهذا جعل المعاصرون ديوان المتنبي قرآن الشعر القديم؛ لأنهم رأوه مشبهاً ما قرأوه في الأدب الأوروبي (كافكا، دستوييفسكي، كامو، سارتر). وعلى هذا، فجزء من إعجاب المعاصرين بالمتنبي إنما هو اشتياق للصيغة التي وضعها الأديب الأوروبي لعلاقة الفرد المميز بمجتمعه.

عقيدة المتنبي الغزو. فحتى في ذلك الجزء الكبير من ديوانه، الذي وصف فيه حروب العرب والروم، لا نجد سوى إشارات ضئيلة إلى الدين. حتى تلك

الحروب كانت عنده غزواً. ليست عنده مواقف فروسية، بل هناك تنكيل، واحتقار للعدو، وتمجيد للسيوف التي تطيح بالجماجم، وهناك أنشودة ملحمية نادرة المثال في الضرب والقتل.. ليس فقط على جماجم الروم، فجماجم الأعراب نالت نصيبها من قوافي سيد القوافي.

يقول مظفر النواب: «لأمر يهاجر هذا الذي اسمه المتنبي، وتعشقه بالعذاب النساء». ولا نعرف أن امرأة عشقت المتنبي، ولا تخبرنا سيرته أنه عشق امرأة، ودع عنك ما كان يصدِّر به قصائده من غزل قد يأتي سمجاً. أما الهجرة فنعم. أرى مَشابه بين حياة المتنبي وحياة أولئك الرجال الشُّعث الذين انضموا إلى الجماعات المتشددة في الدين ورحلوا إلى أفغانستان فالبوسنة رحلة المثالي الذي استطاع أن يُغَلِّب الفكرة الحافرة نفسها في ذهنه كالدودة على مقتضيات المعيشة. هاجسهم فكرة، وهجرتهم ضياع، وخطتهم.. الفوضى. وكأن وضوح الفكرة الواحدة في ذهنهم - بغض النظر عن قيمتها - ناب مناب واقعيتها وقابليتها للتطبُّق.

المتنبي رجل يتكبر على الملوك ثم يمدحهم للمال، ثم يهجو، ثم يرحل.

رجل قلق.

كانت له طريقته في اعتداده بنفسه، وفي تيهه. كأنَّ العبقري لا بد أن يكون متغطرساً! كرهوه في كل محل، وكادوا له عند ذوي الأمر، وتوجَّعَ من المكائد. كان يريد أن يسحق الجميع تحت قدمه. لم يكتف بأن يكون أكبر وأهم شاعر في بلاط سيف الدولة، بل ظل يردد نغمة أن زملاءه، مداحي السلطان الآخرين، يسرقون معانيه. كان نكِداً، بارعاً في استقطاب العداوات. في كل محطة يجمع على نفسه الأعداء مثلما يجمع العسل الذباب؛ ولم يكن عسلاً ولا كانوا ذباباً. وكان إذا أحس أن الحصار النفسي بلغ مداه رحل. ثم يقول لك في شعره إنه يرحل إعزازاً لنفسه وصوناً لكرامته. ولا يقر أبداً بأنه كان كما يقولون «فاشلاً اجتماعياً». لكن، منذ متى كان شرطاً على الفنان أن يكون ناجحاً اجتماعياً؟

أحببناه لأنه آمن بشريعة الغاب؛ ونحن العرب فينا جينات تدفعنا دفعاً إلى الإيمان بشريعة الغاب. ولعل هذا سيكون سبب بقائنا أو فنائنا. لست متأكداً.

على أنني أحب المتنبي. ولا أرى شعراً أقوى من شعره.

فإذا أردت أن تحل هذه المعادلة الصعبة (بين هجوي المتقدم له، وبين إعجابي بشعره) فواصل القراءة لعلك أن تهتدي، ولعلني.

معجزته البارزة الإيجاز: يعطيك النتيجة النهائية في كُليمات، ويوفر عليك المقدمات. يفكر في المعنى كثيراً ويخرجه كالرصاصة. وأنت تتلذذ بالمفاجأة، وتفكر في البيت أو في نصف البيت، وتقول: ما أصدق ذلك!

أليس قد سألوه: كيف تنبَّأت؟ فأجاب: تنبأت على الشعراء. فقيل بماذا؟ فقال: بقولي: ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد.

هذا بيت يلخص تجربة في الحياة كبيرة، وكتبناه كما يكتب النثر لأننا نكره الاستشهاد بالشعر ونحن نتكلم على الشعراء. فمن أراد أن يقرأ الشعر فالصفحات المقبلة عامرة بأجمل وأقوى وأعظم ما قال أبو الطيب المتنبي. ولا تذهب إليها الآن، فثمة أفكار في هذه المقدمة لم تأتني إلا بعد كد، وأريدك أن تسمعها.

اشدد يدك على كلمة الإيجاز، ففيها سر من أسرار أبي الطيب. وقف معي ننظر فيما كُتِب عنه.

كلمة عن الكتب والشروح

فأما الكتب القديمة فلها شرف القدم، وما وصلنا منها طيب. لم ينل شاعر آخر مثل هذا الاهتمام. لن تقف كثيراً بعبارات صاحب «اليتيمة» المليئة بالمجاملات، وما كان أخلقه ـ وهو المعاصر لشاعرنا ـ أن يقول لنا أشياء ثمينة عنه كانت معروفة في ذلك الزمن ثم طوتها القرون. لن أترك الثعالبي قبل أن أنقل لك عبارة له في وصف المتنبي: «يدور حب الولاية في رأسه، ويُظهِرُ ما يضمر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان والاستيلاء على بعض الأطراف».

حقاً كان المتنبي «يظهر ما يضمر»، كان صدقه في التعبير عن عواطفه يغلب حكمته.

(الوساطة) كتاب طيب، وكاتبه قاضٍ أبى في كتابه أن يقضي. كان ككاتب المحضر: عرض لنا أقوال الادعاء والدفاع، وتهرب من الحكم.

و(الموضحة) كاسمها تصل العظم. ولن يعرف أحد إن كان ما قصَّه

الحاتمي عن لقائه بالمتنبي صحيحاً، فهو على مدى صفحات كثيرة يقول: قال لي المتنبي، وقلت له. على أن الرجل يعرف الشعر العربي معرفة نادرة. وكتابه مرجع في السرقات الشعرية. ومثله في الضغينة وفي قوة المعرفة بالشعر العربي ابن وكيع، ومثلهما العميدي. وألاحظ هنا أن الاختلاف على المتنبي، وما حرَّكته شخصيته القلقة وكِبْره من عداوات صيَّر موضوع السرقات الشعرية في النقد العربي القديم عِلماً قائماً برأسه؛ فقد تكالب أدباء مصر وبغداد والريِّ، في حياة المتنبي وبُعيد موته، على التأليف في سرقاته. وعادوا إلى ما كتبه الأقدمون ففصلوا أنواع السرقات، وأبانوا مستحسنها ومستقبحها، وضربوا لكل نوع أمثلة من شعر المتنبي ومن شعر غيره، وصنعوا سلسلة نسب لكل معنى. وأخذوا يدققون في المعاني ويحصونها، ويجمعون كل طائفة منها في ناحية.

ورسالة الصاحب «الكشف عن مساوئ المتنبي» لها لذع السُّخر، وفيها حلاوة التهكم، وروح العداء الصارخة. وفيها نظرات نقدية صائبة موجزة كقوله، يبكِّت المتنبي على البيت (إني على شغفي بما في خُمْرها/ لأعِفُّ عما في سراويلاتها)، «كثير من العهر أحسن من عفاف هذا الشاعر». وكوصفه المتنبي بـ (المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف)، وذلك تقريعاً للمتنبي على إيراده الألفاظ البدوية التي قد لا تكون معانيها متمكنة من نفسه بما يسوغ استخدامها؛ يقول الصاحب: «ومِن أَطَمِّ ما يتعاطاه التفاصُحُ بالألفاظ النافرة، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليدُ خِباء وغَذِيُّ لبن، ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر.» وعن بيت البوقات والطبول يقول الصاحب: «هذا التحاذق كغزل العجائز قُبحاً، ودلال الشيوخ سماجة.» وعن ضمائر متشابكة وردت في بيت للمتنبي يقول الصاحب: «لو وقع قوله هذا في عبارات الجنيد أو الشبلي لتنازعته الصوفية دهراً طويلاً.» والمتنبي عند الصاحب على الإجمال: «يأتي بالفقرة الغَرَّاء مشفوعةً بالكلمة العوراء.» وتعليقاً على بيت رثاء يقول: «وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي».

وإنما أوردنا كلام الصاحب تلذذاً باستعادته. وأهم من بلاغة الصاحب روحه الموتور.

ويُشْبهه صاحب المثل السائر في حرارته، وإن يكن ابن الأثير محباً للمتنبي، قادراً ـ لعدم العداوة ـ على أن يستمتع بشعره. وكنا نتمنى لو أنه كتب عن المتنبي أكثر. وصاحب العمدة ترك للناس كلمته المشهورة «ملأ الدنيا

وشغل الناس»، ومضى حميداً. والشيخ يوسف البديعي مؤلف متأخر، وهو أقرب إلى عصرنا منه إلى عصر المتنبي. ولكن كتابه «الصبح» سيظل خير كتاب قديم عن المتنبي رغم أنه ـ أو لأنه ـ محشو بالنقول. وفي «شرح المشكل» صنع ابن سيده ما يجدر بصاحب لغة أن يصنع. وكما تتوقع فهو قد استفرغ جهده في الأبيات العصيَّة التي ليس فيها رواء. وكذا الأصفهاني في كتابه عن أبيات المتنبي المشكِلة.

وأما الشروح الأربعون لديوان المتنبي، فاستعنتُ بستة منها مشهورة مطبوعة.

أبو العلاء المعرِّي، المولود بعد وفاة المتنبي بتسع سنين، صنع شرحاً مدهشاً عُمْقَ فهم وإفراطاً حميداً في إيراد الأوجه المختلفة. ومما يؤكد نسبة هذا الشرح، المطبوع في أربعة مجلدات، إلى زاهد المعرة أن له فيه طريقة وروحاً يشبهان ما تراه في رسائله وكتبه. فهو متحرِّز لا يقطع بشيء؛ يورد لك الأوجه المختلفة والأقوال المتضاربة، وقلما يغلِّب وجهاً على وجه؛ شِنشِنَة نعرفها من صاحب الغفران. لكن أبا العلاء محبٌّ للمتنبي، مقدِّم له على الأولين والآخِرين، والمعري عرف العربية كما لم يعرفها أحد. ولسعة علمه شرح بعمق، ولأنه أديب وصاحب قلم جميل كان يلتقط روح البيت ويلخصه بعد أن يشرحه، وسمَّى شرحَه «معجز أحمد» فظَرُف وأَمْتَع. ويبدو أن مخطوطات شرح المعري كانت بأيدي الناس قبل طبعه، فقد قال لنا شكيب أرسلان إنه امتلك النصف الثاني من نسخة، ورأينا اليازجيَّيْن ينقلان كثيراً عن أبي العلاء في شرحهما «العرف الطيب».

وقد درى الواحدي بشرح أبي العلاء، وقالها، ولا أتذكر إن كنت ضبطته ناقلاً عنه. على أن شرح الواحدي من الشروح الثمينة التي اتخذت اتجاهاً أدبياً واهتمت بالمعنى؛ والواحدي ضيق العطن، ملول؛ يرى الضمائر تشابكت في البيت فيكسل عن إحالة كل ضمير على صاحبه؛ وتراه في الحين بعد الحين يلخص المعنى برِماً بما في البيت من تعقيد؛ ولم أستعمل طبعته الأوروبية إلا قليلاً في زمن غابر، فلا تعليق لي عليها، وأما الطبعة اللبنانية فكثيرة الغلط، على أنها هي التي رافقتني وأنا أشرح ما اخترته.

وشرح العكبري ثمين، وفيه نحو كثير على طريقة الكوفيين.

وشرح البرقوقي رائق، وموجه لقارئ مهتم بالمعنى. وقد كتب البرقوقي

لشرحه مقدمة تُقرأ لجمالها وحلاوتها فضلاً عن جودتها. وقد صحبت مجلدي شرح البرقوقي في أول رحلاتي إلى صحراء الخليج، وكنت في العشرين من العمر، ولهذا الكتاب في قلبي موقع.

اليازَجِيّان برعا في الاندساس في تلافيف البيت، وفي ربط البيت بأخيه، حتى لو كان قبله بعدة أبيات. ولشرحهما ذيل فيه حديث طيب جداً عن أدب المتنبي ومنزلته.

وقد ظفرت ـ بعد فراغي من شرح ما اخترته من أبيات المتنبي ـ بشرح ابن جني المسمى «الفسر» في طبعة دمشقية تقع في بضعة آلاف من الصفحات يسَّرها لي مشكوراً أخي الأديب الشنقيطي محمد المختار، وهي صادرة عام ٢٠٠٤. وعرفت منها الكثير عن ابن جني، لكنها لم تزدني معرفة بالمتنبي. ربما لأن المؤلفين القدامى لم يغادروا موضعاً في شرح ابن جني فيه كلام عن لسان المتنبي إلا نقلوه ثم نقدوه. وقد أحسن محققها رضا رجب في ضبطها، وفي ضبط كتاب القشر على الفسر للزوزني الناقد لشرح ابن جني المطبوع في السنة نفسها.

أما الكتب التجارية التي صدرت وفيها شعر المتنبي كله أو بعضه فلم تضف شيئاً سوى مقادير من الأغلاط.

ما أشد سروري في هذا الزمن عندما أرى كتاباً مسروقاً بطريقة التصوير، ومطبوعاً بالأوفست. أو عندما أعثر به في الإنترنت على هيئة صورة طبق الأصل (بي دي إف). لا أعبأ بما في أحرفه من تنقير، وما في أسطره من اعوجاج. يكفي أنك تقرأ كلاماً صححه ناس كبار من جلة العلماء من أمثال عبد السلام هارون ومحمود شاكر. أما الصرعة الصارعة التي خرج بها علينا الناشرون، في زمن الكمبيوتر واليد الطابعة الرخيصة، فهي أن واحدهم يأتي بالفتيات اللائي يهطل وابل أصابعهن فوق لوحة المفاتيح، ويضع أمامهن الكتب القديمة لإعادة صف أحرفها؛ ولا ألوم أولئك الفتيات على كثرة الأغلاط، وإن كنت أرحمهن مما في النصوص القديمة من فحش. ثم يتخذ الناشر من أحد صبية الجامعات، ممن يحملون شهادة الدكتوراة في الأدب العربي، أجيراً يصحح الملازم. وجدير بمن خان العلم وهو يشتري شهادته أن يخونه أجيراً في مطبعة.

ولا أقول شيئاً عن تحقيق المحققين لشروح ديوان المتنبي، ولكل مجتهد

نصيب. غير أنني رأيت السقا وشلبي والأبياري أحسنوا للعكبري.

والكتب العربية المعاصرة التي درست المتنبي هي كتب شاكر وعزام وطه. وثلاثتها ثمينة، وكلها صدر في بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧، في غمرة الاحتفال بمرور ألف عام قمري على وفاة الرجل. وقد لاحى شاكرٌ طه أربعين سنة بعد صدور كتابيهما، ولكنهما جميعاً أسرفا في حراثة سبخة. وأنفقا جهداً كنت أحب لو كانا استثمراه فيما هو خير مما فعلا. فشاكر تعجبه نفسه كثيراً ـ ولا ألوم شاباً في الخامسة والعشرين يكتب بقلم جميل، وبفهم عميق للشعر العربي ـ أقول تعجبه نفسه إذ يفجِّر قنبلةَ صوت عندما يخبرنا أن أبا الطيب كان علوياً من الأشراف. فهل أراك قارئي العزيزي ستقوم عن مقعدك لو عرفت مثلاً أن السياب كان علوياً أو سنياً أو مسيحياً؟ أقول لك الحق: قد والله قرأت السياب، واهتممت به، ولست للآن أعرف دينه أو مذهبه؛ وها أنا أنتظر مذهَبَوِياً من حمقى الإنترنت ليخبرني بمذهب الرجل، فهؤلاء المذهبويون المرضى لا شغل لهم إلا تلك القشور، ومنهم ننتظر كل معلومة سامة.

راح طه يلوك النظريات عن القرامطة على نحو مرهق للأعصاب. وزاد عليها كلامه الطويل عن إجازته الصيفية فأمَلَّ وكاد يَصرِف، لولا ما حباه به الأزهر من عربية متينة، وما أملاه عليه الإملاء من التذاذ جرس الكلام. على أن لكتاب طه خصلة أخرى، فالاستطاعة بغيره جعلته يأخذ الشعر بأذنه فيَلَذُّه، ويعرفه في صورته الأصلية مسموعاً. وما أشد ما شاهت تلك الحالة الأصلية للشعر بما نفعله الآن من تلقي الشعر بالعين، فقد تعودنا إهمال صوت الكلمات. طه حسين يذوق الشعر، وهو بين الفينة والفينة في كتابه يحدثنا بكلام حلو ـ من مثل كلامه في حديث الأربعاء ـ عن شعر الرجل. وإذا شئت أن تضحك كثيراً، وأن تشمت بطه حسين، فاقرأ نقد مارون عبود (في كتابه «الرؤوس») لكتاب طه ولن تندم، ستقضي سويعة حلوة.

ولا أدع كتاب طه حسين قبل أن أستدرك بأن الرجل نابغة، وبأن في كتابه علماً وفناً وذوقاً. فلئن كنت أحب الفُرجة على مبارزات كبار أدبائنا ـ ومارون عبود من رؤوسهم ـ وأحب ما فيها من ضغينة وملاسنات لا يندر أن تهبط إلى ما دون السفح، فإنني حريص على ألا تنسيني تلك الفرجة قيمة كل واحد منهم.

وكتاب عزام ليس عندي الآن، ولكنني قرأته قبل خمس وعشرين سنة، في

طبعة مطبعة الجزيرة ببغداد، وأعجبت بما فيه من سهولة وسلاسة وقلة ادعاء، فنقلت منه نتفاً في أوراق حرصت على تجليدها في دفتر، وبقيت معي إلى يوم الناس هذا. ورغم أنني الآن فرغت من شرحي هذا لمختاراتي ـ فأنا أكتب المقدمة بعد الانتهاء من كل شيء سيأتيك بعدها ـ أقول رغم فراغي من الشرح و«اضطراري» بسببه إلى قراءة كل ما تيسر عن المتنبي، فما زالت تلك الأوراق التي نقلتها من كتاب عزام هادياً لي في معلوماتها. وإذا شئت أن تقضي سويعة ضاحكة أخرى فانظر في هجوم شاكر على عزام، في الطبعة المضخمة التي أصدرها لكتابه عن المتنبي.

وثمة كتاب رابع حديث عن المتنبي لأحمد علي محمد اسمه (المحور التجاوزي في شعر المتنبي)، وللاسم ذيل هو (دراسة في النقد التطبيقي). ولغة الكتاب كلغة عنوانه مسرفة في اصطناع المصطلح الأكاديمي الحديث. لكن المؤلف تذوق شعر المتنبي وأحبه، وأسرف في مدحه على طريقة شاكر في كتابه عن قصيدة (إن بالشعب الذي دون سلع)، وهي طريقة تخلو من السماحة، وتقدس النص تقديساً يوحش النفوس.

على أن المؤلف فسر لنا في قطعة صالحة من كتابه خلود شعر المتنبي في قلوب العرب، وسلط ضوءاً قوياً على نزوع المتنبي الدائم إلى الخروج عن المألوف في اللغة والتعبير. ويبدو أن الكتاب رسالة أكاديمية، فهو مقسم بالسكين. على أنني فرحت به بعد سبعين سنة كانت الدراسات المتنبئية فيها مضغة في أفواه الأكاديميين السطحيين ـ وأستثني من استثنى نفسه فصنع بحثاً عميقاً، ولا أزعم أن قد أحطت بكل ما كُتب، أو اطلعت على كل جهد أمين ـ، وراح كل ولد امتلك أبوه قرشين وأرسله بهما ليُحْضِر له شهادة ماجستير يكتب عن المتنبي غثاء أحوى. وكان أجدر بأولئك الفتية، وأجدى على آبائهم، لو جلسوا في دكاكينهم يبيعون ويشترون ويرتزقون بالحلال. وكهؤلاء السراق الذين يعششون في الجامعات في زمننا، أولئك الأدباء الذين دبجوا مقالات بالمئات عن المتنبي تفيض إعجاباً وتمتلئ بصرخات الاستحسان. فأما من كان من كتاب المقالات راسخ القدم، فأعطى فكرة جديدة ـ كمارون عبود والمقدسي والعقاد والمازني ـ فقد أفاد بما سمح به وقته. ولسنا نطالب أحداً بأن يعشق المتنبي. وأما أولئك الذواقون الذين أحبوا أبياتاً للمتنبي وكتبوا عنها بإعجاب فحسابهم حساب فتية منتديات الإنترنت الذين ينقلون ما يعجبهم من أشعار ويتبادلونها. هواية جميلة، ولا تخلو من فائدة.

وقد آذاني وأنا في معرض مطالعتي ما يتعلق بالمتنبي ظاهرة النقل والنقول. فنحن العرب منذ أن مات الجاحظ قبل ألف ومئتي سنة احترفنا النقل؛ وترى الناقل يذكر المصدر مرة ويغفله مرات. وفي الذكر إثم لا يقل عن إثم الإغفال، فهو يذكر المصدر مرة ليوهمك أنه في المرات التي لا يذكره فيها يكون أبا عذر الفكرة ومبدعها. أرى العرب بعامة قليلي الابتكار، مذهولين عن التفكير، خائفين من قول شيء لم يقله أحد قبلهم، خائفين من الفكرة الجديدة، يطلبون فتوى في كل أمر. وهذا جاءهم من قلة العلم، ومن سطوة القمع السياسي. وقد ساق الله غوغل عقوبة للسارقين.

أصلح الله حالنا. أقولها وما أملي في أن يأتي هذا الصلاح في عمري سوى أمل إبليس في الجنة.

وساق الله في المئتي سنة الماضية جماعة من المستشرقين فتحوا لنا النوافذ، واخذنا نقترب من ضوء الشمس وأيدينا على أعيننا، نرفض أن نحلل ونفهم، ونريد أن نظل نائمين في العسل. ونشط في العالم العربي والإسلامي أشخاص احترفوا المزاوجة بين تحليل المستشرقين الهادئ، وبين المسلمات الثقافية والدينية. وأصاب دراسة المتنبي من ذلك ما أصاب كل مناحي الحياة الثقافية القديمة.

درس المتنبي بلاشير وماسينيون، فروى لنا الأول قصة حياته وتحدث عن عصره فأثر كثيراً في الدارسين العرب، وحق له، وسأرجع إليه. وكتب الثاني قصة بوليسية عن عصر إسماعيلي. ولا ندري! لعلنا لو درسنا تاريخنا دراسة حقة نخرج بنتائج قريبة.

نحن في الوقت الحاضر تركنا المستشرقين بعد أن شتمناهم الشتمة الأخيرة، وخَلَدنا إلى انتقاء البقع المضيئة من تاريخنا بعناية وتوسيعها والإضافة إليها بالحق وبالباطل، وقررنا أن خير أمة أُخرجت للناس أَخرجت للبشرية تاريخاً نظيفاً هو بأساطير الأولين أشبه منه بتاريخ الأمم.

ولي على المستشرقين والعرب جميعاً مأخذ في إعادة كتابة تاريخنا. فهم يقرأون حوليات ابن الأثير في الكامل فيرون الرجل يحشر كل البلايا والمصائب في صفحاته ولا يورد غيرها، فيقعون أسرى انطباع مشوه بأن العصر كان مضطرباً أكثر مما على الحقيقة كان. فابن الأثير والطبري وكل أصحاب الحوليات هم كالقناة الإخبارية: تشاهدها أياماً فتحسب أن القيامة أوشكت. وتنصرف عنها أياماً فتحسب أن العالم نائم في سلام.

هو قلق وضعيف. ونحن نحب شكواه المتصلة من الدنيا. وهو قليل اليقين بالآخرة؛ ونحن كلنا نحاول جهدنا أن نؤمن بالآخرة، ونلوم أنفسنا على عدم الوصول إلى اليقين، فإذا رأينا من يشبهنا فرَّجَ ذلك عنا.

والمتنبي اختزن في عقله موسيقى الشعر العربي، وظل يدرسها درساً في أشعار الصائغين الذين سبقوه: أبي تمام والبحتري وابن الرومي. ظل يتفقد شعرهم بالدرس وظل يباريهم، سارقاً في طريقه كثيراً من معانيهم، متجاوزاً اعوجاج طريقتهم في الوصول إلى تلك المعاني، وملتمساً الطريق الأقصر. الأمر لا يقتصر على صوغ المعنى بكلمات أقل. المتنبي يجتهد كي يقول الشيء بعبارة أحلى وأقوى.

وهنا أشبهه بالملحن الذي يسهر الليالي وهو يبحث عن الجمل الموسيقية ـ الخواطر كما كان محمد عبد الوهاب يسميها ـ ثم يضعها جانباً بعد أن تتمكن من نفسه، وتتشربها أعصابه. فإذا قعد بعد أسابيع أو أشهر كي يلحن أغنية بدأت الجمل الموسيقية التي اختزنها تأخذ مواقعها داخل إطار اللحن. هكذا كان عبد الوهاب يشتغل. كان يشتغل بطريقة تشبه كثيراً طريقة المتنبي في الشعر.

كان المتنبي يدرس أشعار القدماء. ليس فقط مَن ذكرنا. بل لقد نُقل عنه أنه قال: «لا يغرب عليَّ بيت شعر قديم»، أو كما قال. ولو لم نصدق ما نقل عنه، فلنصدق مناظرته مع الحاتمي، وما تشي به من سعة اطلاعه. أو لنصدق القصص الكثيرة التي رويت عن قوة ذاكرته، وعن حفظه، وعن شرائه الكتب، وعن مطالعته الكتب في جوف الليل على شمعته.

ومن أسباب عظمة شعره التكريس. فهو لم يهتم بشيء من العلوم والفنون إلى جانب الشعر؛ وإن كان قارئاً، وإن كان مثقفاً. كان أبو الطيب من عبيد الشعر.

كانت قريحته طيبة، وكان صاحب ارتجال. ولكن كل شعره العظيم وليد الليالي الطوال. ولا أشك في أن كل قصيدة من خوالده كلفته شمعات كثيرات.

ومن أسباب قوة شعره أنه كان «كالملك الجبار» ـ والعبارة لناقد قديم ـ يهجم على المعنى ويسوقه أمامه سوقاً غير عابئ باللغة: لا بالنحو ولا بالصرف

ولا حتى بدقة المعاني الفرعية. كان يتجاوز الصواب في النحو والصرف. لكنه كان يغلط عن وعي كما أخبرنا ابن جني. وهذا أمر عرفه النقاد المحبون وقرروه. وقد يأخذ أضعف الأوجه، وقد يركب أخشن مركب في استعمال اللغة. كل ذلك وهو يوجه الجهد نحو إخراج معنى قوي في صيغة لغوية قوية. والنتيجة: صيغة غير معهودة في العربية، ولكنها تصبح جزءاً من اللغة لأن المتنبي استعملها، وقال فيها كلاماً بارعاً أصاب كبد المشاعر المشتركة بين أبناء هذه اللغة.

لكنه تعسف في استخدام الألفاظ، وتفاصح وتبدّى. وعندما سأله ابن جني عن شيء قال له أبو الطيب ما معناه: أوَتظن أنني أقول هذا الشعر لهؤلاء الملوك والأمراء، بل إنني أنظر فيما أقول إلى أولئك النحاة واللغويين. ولهم أقول ما أقول.

كانت نتيجة هذا التفاصح، والتحدي لأصحاب اللغة أن بضع مئات من أبيات المتنبي جاءت مرذولة مصطنعة لا روح فيها. وقد يسر هذا علينا الاختيار كثيراً.

المتنبي لص المعاني ليس كل المتنبي. ولو نظرت إليه من ثقب السرقات لما رأيت سوى جانب منه، وهذا ما صنعه جل منتقديه القدماء. هناك المتنبي الذاتي. وها قد دخلنا باباً جديداً يفضي إلى عظمته.

عاد المتنبي بالشعر العربي إلى عصر الذاتية الجاهلية. فالشاعر الجاهلي كان يقول الشعر متغنياً بنفسه وبقومه، حراً. وجاء المتنبي فكان جاهلي التفكير، أنانياً. ولم تكن له قبيلة يضطر إلى أن يدافع عنها. بل كان ما يحركه طمعه وحبه وغضبه وطموحه.

في عصر المتنبي استرخى عنان القصائد ولانت، وبدأت تسير كالقطيع المطيع في طريق ممهد. فالشعراء متعلمون، حضروا دروس الفقه والحديث، وشهدوا مناظرات النحاة والمتكلمين. أصبحوا مثقفين. وصار شعرهم مملوءاً بالمنطق. لم يعودوا مثل مجانين الجاهلية. وجاء المجنون الأكبر المتنبي فكان مثقفاً مثلهم، وأوسع وأعمق ثقافة منهم، لكنه كان مجنوناً في نفسيته، أقصد: كان متميزاً متفرداً غريباً.

أحسب أبا الطيب كان رجلاً قليل الكلام. هذا ما تنْبئ به مطارحاته

المبتسرة مع ابن جني ومع الحاتمي. وأحسبه كان يعاني جنون عظمة سريرياً؛ واقرأ ما اخترته لك من شعره ففيه البرهان. وأحسبه كان قليل الاحتفال بالنساء، ليس فقط لأنه قال ذلك كثيراً، ولأن معاصريه قالوا ذلك عنه، بل أيضاً لأننا نراه يفضل أن يستفرغ طاقته في الترحال وفي ملاحقة سراب آخر هو السلطة.

كان عطشان للمال وللسلطة. وظل إلى أن مات ـ عن خمسين سنة شمسية ـ طفلاً لا يرضى أن يلعب مع أقرانه إلا إذا كان زعيم اللعبة. وكان ذكياً. لقد سُرَّ بالشهرة الكبيرة، ولكنها زادته عطشاً. لم يستطع أن يترك السعي وراء السلطة، بمعنى التسلط والتحكم في أقدار الناس. كان قلقاً يريد الوصول بشخصه إلى التفوق في كل شيء.

محاولة لكتابة سيرته

ولد سنة ٣٠٣هـ.

نراه صبياً صغيراً في الكوفة، على حافة الصحراء، وهي بلدة عامرة ببقايا العلماء ومجالس العلم. أبوه سقاء، في أغلب الظن، يبيع الماء ويستأجر صبياناً يحملون الماء للبيوت ـ وهذا محض افتراض وافتراء من عندي ـ فهو من شريحة متدنية من الطبقة الوسطى؛ فلست أصدق أن الطبقة المدقعة تستطيع إنتاج شاعر أو أي فرد متميز. ولعله فعلاً كان من أسرة علوية محترمة النسب، فجدَّته تقرأ وتفك الحرف. وهي ترعاه وترسله إلى الكتاب. وفي الكتاب ينبغ صغيراً، ويلتقط سريعاً جرثومة الشعر. ويقرأ كثيراً ويرتاد دكاكين الوراقين.

ويضطرب الوضع السياسي كثيراً على الصعيد المحلي، فالفئات الخارجة على السلطان ـ من القرامطة ـ تغير على البلد مرة بعد مرة، والخلافة مفككة والدولة الإسلامية في هذه الفترة من العصر العباسي فيها فلتان أمني وسياسي.

وأريدك ألا تندهش من كلمة «قرامطة» اندهاش ماسينيون وبلاشير وطه حسين. ونحن قد شهدنا في جيلنا الشيوعيين والبعثيين والناصريين والفتحويين والإخوان المسلمين وعاشرناهم، فوجدنا العقيدة أقل الأوجه أهمية في نفسيات أهل تلك الشيع. ترى الشيوعي يحتفظ في مكتبته بالبيان الشيوعي لكارل ماركس، ولكنه يعيش حياته ويمارس تجارته ويتخذ الحزب الشيوعي عائلة أخرى له، أو قل جمعية يمارس فيها طموحه السلطوي، فإذا أمسك الشيوعيون

بالحكم تحسن وضع تجارته إن كان تاجراً، وضمن لولده وظيفة في الحكومة. وإذا ظلوا خارج السلطة فهو رجل معارض يدخل السجن مرة أو مرات ثم يعود لمواصلة حياته، ويتزوج من ابنة رفيق له، ويستفيد من العلاقات داخل هذه المنظومة الاجتماعية التي اسمها الحزب الشيوعي. وليعذرنا الشيوعيون على اتخاذهم مثلاً. ولك أن تضع مكانهم أياً من أهل الأحزاب التي ذكرناها آنفاً. هذه العقائد تفقد داخل أحزابها كل مضمونها الأيديولوجي ويبقى لها الجانب الاجتماعي ـ الاقتصادي. ومثل حزبيي جيلنا كان القرامطة. وكانوا قطاع طرق من بدو الصحراء، يغيرون على المدن التي على أطراف الصحراء للنهب، ويغلفون هذا الفعل الاقتصادي بغلاف عقائدي. وقد تنشأ علاقات بينهم وبين فقراء المدن المنكوبة بهم. ولعل أسرة المتنبي كانت فعلاً من الطبقة المتوسطة التي تنحدر بالتدريج ـ وهذا قدر الطبقة الوسطى: إما أن يكون الفرد فيها منحدراً ببطء نحو الفقر، أو صاعداً بسرعة نحو الثراء ـ، ولعل أبا المتنبي رحل به للصحراء مرافقاً القرامطة بعد غزوة من غزواتهم للكوفة.

يأخذ الأب ابنه إلى الصحراء وهو في سن الثالثة عشرة. ويعيش شظف العيش ويعرف شريعة الصحراء من كثب. ويتعلم الابن الكثير عن الصحراء: عن الخيل والإبل، وعن الطرق؛ ويتعلم الصبر على العطش، ويعرف الناقة والجمل معرفة ستنفعه في المستقبل عندما سيقطع سيناء هارباً من وجه كافور. ويقيم علاقات مع شبان وصبية قد يلتقي ببعضهم في رحلات كثيرة له بعد أن يبلغ.

يعود إلى الكوفة، ويعود إلى مدرسته. ويبدأ يقول شعراً. ويكبر، ويحس أكثر بمدى أهمية المال، وبمدى فداحة فقدانه. فأسرته لا تعيش في الجاهلية، بل في مجتمع حضري مادي يحترم الرجل على قاعدة معك قرش تساوي قرشاً.

المتنبي رأى الأرض تهتز من تحت قدميْ أبيه. رأى العائلة تنحدر. وشحَنه هذا بشِحنةِ قلق كبيرة. ولعل عدداً كبيراً من الأدباء القلقين يستمدون أسباب قلقهم من نشأتهم في أسرة تنحدر طبقياً.

كان واضحاً للمتنبي أن ذكاءه وقوة تحصيله الدراسي يعطيانه فرصة لما هو أفضل من وراثة صنعة أبيه أو وضعه الاجتماعي.

غادر العراق إلى الشام يافعاً. ولم يكن العراق عراقاً ولا الشام شاماً أيامئذ، بل كانت بادية الشام ـ العراق مساحة رمادية واسعة. وفي هذه البادية

وجد المتنبي مجالاً للمغامرة. فراح يغامر ويلعب مع البدو، واستغل سذاجتهم، وهو ابن الكوفة العارف بدهاء الحضر، وابن الصحراء المتمرس بها وهو صبي. ولعله اتخذ سمت الرجل الداعية إلى مذهب جديد، أو لعله شكل فرقة غازية تقطع الطرق وتتخذ لنفسها توليفة من الأفكار الإسماعيلية لتكون بمثابة فرقة سياسية دينية. فالغزو يرضي البدو لأنه يعود عليهم بالمال، والأفكار الغريبة في الدين لا تهم البدو كثيراً، لأن الدين في حياتهم ـ كان وما زال ـ حاشية قليلة الأهمية.

وعندما ألقى أمير حمص القبض عليه وجده فتى في العشرين أو تحتها، فحبسه. وكان في حاشية الأمير بعض الفقهاء الذين يذوقون الشعر فقالوا له: هذا يقول في قصيدته إنه مثل عيسى ومثل صالح نبي ثمود؛ هذا يدعي النبوة. وبعض الفقهاء يحبون تكفير الناس ـ هواية أزلية فيما يبدو، أو طريقة للحفاظ على موقعهم وإثبات أن هناك شغلاً يشتغلونه ـ، فكفَّروا المتنبي. يظهر أنَّ صغر سنه شفع له بعض الشفاعة، على أن الأمير حبسه سنتين. وقال المتنبي في حبسه شعراً جميلاً، وأعلن توبةً غيرَ نصوح. ولكنني لم أجد من الدارسين من تعمق في درس أثر هاتين السنتين في نفس المتنبي.

ليس عندي من الخبرة في هذا المجال ما يُعينني على درس كهذا. ولكنني أظن أن سنتي الحبس هاتين علمتاه الاحتياط؛ لكنهما زادتا من اشتعال روحه بالثورة والغضب واحتقار من هم أقل منه ذكاء وتحصيلاً. صار الرجل ذاتياً على طريقة نيتشة، يحتقر الضعيف والأقل قدرة وذكاء. أصابته لوثة جنون العظمة، وآمن بأن الغاية تبرر الواسطة.

بعد السجن طاف بالأمراء الصغار يمدحهم ويتزلف إليهم ويستعطيهم. وبدأ شعره ببطء يلفت الأنظار. وكان بدر بن عمار الأميرَ الذي فجر قريحته. وعلى جانب بحيرة طبرية عاش أبو الطيب المتنبي في حاشية بدر بن عمار يقول الشعر ويرافق الأمير.

مر به قبل بدر ولاة وحكام وقضاة وتجار حاول الوصول إليهم، فنجح قليلاً ولم يصب مالاً يذكر. كان يقيس نفسه بنفوسهم وعقله بعقولهم فيرى نفسه أذكى، وأوفر علماً على صغر سنه، ويجد نفسه أفصح منهم لساناً، وأقوى عزيمة. فكان بركان غضبه لا يكاد ينطفئ. وظل ينسى أن الحكم، وإدارة البشر، يحتاجان إلى هدوء نفس ومعالجةٍ للخَلْق وفهمٍ لتوازن القوى، وأناةٍ

وحصافةٍ وقدرةٍ على القرار السريع الجريء، وقدرةٍ على التمهل في اتخاذ القرار أيضاً. لم يفهم الفتى الغر ذلك، لأنه في أوائل العشرينات من عمره. كان ـ وسيظل ـ نزقاً شديد الاعتداد بنفسه. كان قدره أن يكون شاعراً لا أميراً.

ولم يكن ميسوراً له أن يعود إلى الكوفة ربما لعداوات خلَّفها هناك. فماتت جدته وهو بعيد عنها فحزن لموتها.

واتصل بأبي العشائر الحمداني ابنِ عم الأمير سيف الدولة، ومدحه في أنطاكية. ووصل إلى سيف الدولة الأمير الشاب، وهو لِدَته، فمدحه وحارب معه، ووصف معاركه مع الروم ومع الأعراب المتمردين، وظل عنده تسع سنين قال فيها شعراً عظيماً. ثم ازداد توتره، وطلبت نفسه التغيير. وصار يجد الذرائع لقلق نفسه فيزعم أنه لا يأخذ حقه مع أن سيف الدولة جعله شاعره المفضل وأفاء عليه مالاً وفيراً؛ ولكن نفسه القلقة، وعقله الذي لا يحب التكرار أمراه أمراً بأن يغادر، فأدخلته نفسه في شجارات، وصنعت له عداوات. وغادر المتنبي سيفَ الدولة بلا وداع ولا استئذان، والتمس دعوةً من كافورٍ حاكم مصر، فجاءته سريعاً فرحل إلى مصر، وأقام بها أربع سنوات ونصفاً يمدح كافوراً الإخشيدي، ويطالبه بتوليته بلداً أو ناحية. ولكن كافوراً ظل يمطله، ففر المتنبي من مصر، وقطع صحراء سيناء ثم بادية الشام في نحو ثلاثة أشهر، ووصل إلى الكوفة مسقط رأسه. وزار بغداد ومكث بها أشهراً، وانطلق إلى أرجان، وهي اليوم حصن خرب في غرب إيران، وكان ينتجعها آنذاك ابن العميد وزير ركن الدولة، فمدحه، وأقام عنده شهرين. ثم انطلق جنوباً إلى شيراز فمدح عضد الدولة ومكث عنده ثلاثة أشهر. ثم عاد إلى العراق. وقبل أن يصل إلى بغداد بمرحلة خرج عليه الأعراب فقتلوه وسلبوا ماله.

ديوانه

يضم ديوان المتنبي بحسب إحصاء شارحه الواحدي ٥٤٩٤ بيتاً. وقد قرئ عليه ديوانه في شيراز في شعبان قبل مقتله بشهر، وكان قرئ عليه في بغداد والكوفة. ولشهرة المتنبي الكبيرة ظل ديوانه بين الأيدي، ولم يكفَّ الناس عن انتساخه وروايته طوال الألف سنة المنصرمة. على أن عكوف عدد من أصدقائه ـ الذين قرأ عليهم ديوانه في أواخر حياته ـ على شرح الديوان والعناية به، وتوفر أعدائه ـ وكانوا كثراً، وناصبوه العداء حياً وميتاً ـ على الطعن في ديوانه

واقتباس أبياته في كتبهم، كل هذا أسهم في تخليد الديوان. ولم يختلف الرواة إلا على كلمة هنا وكلمة هناك. وديوان المتنبي الذي بين أيدينا من أصح الدواوين التي وصلتنا.

سيرة المتنبي في صياغة أخرى

ولد أحمد بن الحسين الجعفيّ الكِنْدِيّ الكوفيّ، المكنى بأبي الطيب، والملقب بالمتنبي، في عام ٣٠٣هـ وقتل في ٢٨ رمضان عام ٣٥٤هـ.

ولد في محلة كندة بالكوفة، ودخل الكتاب فتفتح ذهنه على المعارف صغيراً، وقال الشعر صغيراً. وخرج مع والده إلى الصحراء مرتين لاحقيْن بالبدو الذين أغاروا على الكوفة: مرة والصبي في التاسعة من عمره، ومرة وهو في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. وذهب المتنبي وهو في نحو السادسة عشرة إلى بغداد مرة أو أكثر، ولعله التقى ببعض علمائها. ومدح في العراق وهجا، وقال شعراً أثبته لنا في ديوانه، ربما من باب الاعتزاز بهذا الشعر الباكر. ثم رحل إلى شمال الشام وهو في الثامنة عشرة، ومر بمنبج. ثم ساح في الصحراء مع البدو، منخرطاً في نشاطات قد يكون من بينها قطع الطريق، ولكن من بينها ممارسة التطرف الفكري مع شبان ورجال سمعوا أطرافاً من الأفكار الدينية غير المألوفة في المدن الكبرى. وظفر به وبجماعة من صحبه أمير حمص لؤلؤ، الذي كان يتبع الإخشيد صاحب مصر. وحبسه لؤلؤ نحو سنتين.

خرج من الحبس وقد عرف وجوب التحلي بالحذر. وراح يمدح الأثرياء والقواد في منبج وأنطاكية واللاذقية وطبريا وطرابلس وطرسوس وجرش ودمشق والرملة. مدح منهم ٣٢ رجلاً. مدح عرباً تنوخيين وطائيين في شمال بلاد الشام، ثم صحب بدر بن عمار قائد الجند في طبرية زمناً وعانى من دسائس حاشيته، وعانوا هم من قلقه وعُجْبه. فانصرف إلى شمال بلاد الشام من جديد مادحاً القادة والكتاب والقضاة.

في عام ٣٣٦ اتصل المتنبي بأبي العشائر والي أنطاكية التابع لابن عمه سيف الدولة أمير الحمدانيين في حلب. ومدح المتنبي أبا العشائر. ثم انصرف إلى الرملة بفلسطين، ثم عاد في السنة التالية ٣٣٧ إلى أنطاكية فقدمه أبو العشائر إلى سيف الدولة الذي حل بأنطاكية سنتئذ.

مع سيف الدولة: انقطع المتنبي إلى سيف الدولة نحو تسع سنوات، قال

فيها قريباً من سبعين قصيدة وقطعة. وقد أكرمه سيف الدولة وأقطعه قرية اسمها سبعين ـ وجاء اسم القرية مع السبعين قصيدة في سطر واحد بمحض الصدفة، ولا أحس في نفسي نشاطاً لكي أفصل بينهما ـ، وأعطاه الأمير مالاً كثيراً وفضَّله على كل الشعراء، وكانوا في بلاط سيف الدولة كثراً. وحسده الشعراء والعلماء، وملوا من قلقه ومن اعتداده بنفسه، ومل سيف الدولة أيضاً، فكان بين الفينة والفينة يسمح لهم بالتطاول على المتنبي، فيتوتر شاعرنا ويشكو ويتألم، ويقول شعراً في ذلك كله. وكان المتنبي شجاعاً، وقد وكل به سيف الدولة من علمه ركوب الخيل واستخدام السلاح كأحسن ما كان يكون ذلك زمانئذ. وصحب المتنبي أميره في حملاته على الروم وعلى الأعراب. وكان المتنبي يحترم سيف الدولة لكرمه وشجاعته وحلمه، ولثقافته، وكان يحب فيه أيضاً تذوقه لشعره.

كان سيف الدولة يحكم شمال سوريا، بينما يحكم أخوه شمال العراق، وكان بينهما صلة ود في الغالب، وكانا يتبعان الخليفة العباسي في بغداد، ويحكمان باسمه مع استقلال ذاتي كبير جداً. والدولة الحمدانية الغربية في ظل سيف الدولة ـ وهي التي تعنينا هنا ـ كانت دولة حدودية تنفق قسطاً كبيراً من مالها في مناوشة الروم البيزنطيين شمالاً، ولا تدخر جهداً في حماية المدن والقرى من غارات البدو. ولعل مصدر الدخل الرئيسي للجيش والبلاط كان الإتاوات الكبيرة التي يفرضها سيف الدولة بوساطة ولاته على القرى والمدن المزدهرة في منطقة خصبة تمتد من حمص إلى حلب ومن شاطئ المتوسط إلى الجزيرة الفراتية.

عاش المتنبي في كنف سيف الدولة راضياً بالحرب والضرب سعيداً بهذا القلق الخارجي الذي يخفف من قلق داخلي كانت تعج به نفسه. كان الخطر أفيون روحه، وكان لعبته.

لقد رأى المتنبي في صباه وشبابه كيف تقوم الدول على أكتاف رجال عاديين مثله: رأى مؤنس الخادم يتولى الأمر في بغداد، ويتسمى بأمير الأمراء (وكان المتنبي في الرابعة عشرة)، وفي السنة نفسها رأى بني حمدان يؤسسون دولتهم في الموصل بشمال العراق. وعندما بلغ المتنبي السابعة عشرة سمع بتولي محمد بن طغج مصر وتأسيسه دولة فيها منفصلة إلى حد كبير عن دار الخلافة. وفي السنة نفسها (٣٢٠هـ) رأى دولة البويهيين تنشأ في فارس ثم تمتد

إلى العراق، وتتحكم في عاصمة الخلافة العباسية بغداد بعد سنوات قلائل. ورأى ابن العميد الأديب الكاتب يتولى الوزارة في ناحية بفارس للبويهيين (وكان ابن العميد آنذاك في الثامنة والعشرين من العمر بينما المتنبي في الخامسة والعشرين). وعندما بلغ المتنبي الثلاثين، وكان يمدح الكبراء في سوريا وفلسطين، رأى سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء الحمداني يستولي على حلب.

كان عصراً أسرع فيه التفكك إلى جسم الدولة العباسية. ليس أنها لم تشهد من قبل استقلال بعض الأمراء في المناطق البعيدة عن بغداد، ولكن الاستقلال الآن كان أكبر، وازدحمت الحركات الانفصالية الناجحة في فترة تشكُّل وعي أبي الطيب المتنبي. فكان طبيعياً أن يتجه طموحه إلى أن يكون أميراً أو وزيراً أو والياً.

قرأت في بعض كتب الإدارة أن شهوة التحكم في الناس، والتصرف بأرزاقهم وعزلهم وترقيتهم، شرط مهم للمدير الناجح.

ولا أكاد أشك في أن المتنبي امتلك نصيبه ونصيب عشرة آخرين من هذه الشهوة. وقد شهد أمثلة حية، في سنوات تكوينه، على نشوء الإمارات. لكنه لم يمتلك من الشروط الأخرى، للمدير الناجح أو للأمير الناجح، إلا القليل. فهو يقول إنه فاتك شديد البطش، وهذا سبب يدعونا لتكذيبه، فالفاتك البطاش لا يقول عن نفسه ذلك؛ وهو يقول إنه حليم وحكيم، فأما الحلم فلا نظن صاحبنا ذاقه أو أذاقه أحداً، وأما الحكمة فكانت تتدفق من فمه مع الشكوى كأثر جانبي. أو لعله كان يدرك الدرس بعد أن يخفق في مسعى من مساعيه. والحكيم من يتعلم من أخطاء غيره، لا الذي يتوجع من سقطاته. كانت له فلسفة في الحياة والموت معجونة عجناً بالتذمر، وهذا ـ أيضاً ـ شيء غير الحكمة. فإذا قرنت إلى كل تلك النواقص والعاهات في شخصيته ذكاءً حاداً، وعلماً غزيراً وفصاحة نادرة المثال، ونفساً قلقة خِلْقةً، فالنتيجة شاعر عظيم.

كنا نقول إن المتنبي حارب الروم والأعراب مع سيف الدولة. وعمل في الوقت نفسه وزيراً للإعلام عنده. كان كوزراء الإعلام في الدولة المتخلفة في زمننا الحاضر. يمجد زعيمه، ويصفه بكل ما يمكن وما لا يمكن أن يكون في البشر من محاسن، ويبالغ ما شاء له. ويبرر هزائمه، ويرافقه في جولاته، ويحضر مجلسه. وكان سيف الدولة يعرف أثر ذلك في تكبير صورته، وتعظيم أفعاله في عيون منافسيه وأعدائه وحلفائه. كان المتنبي موظف علاقات عامة

ممتازاً. وكانت شهرته قد توطدت، فلم يعد ينافسه أي شاعر في المشرق ولا في المغرب. كان يوجه وخزاته إلى بغداد وأمير أمرائها البويهي معز الدولة وخليفتها المطيع لله ويذكّر البغداديين الرافلين في حياتهم الهانئة بأن هناك قوماً في الثغور يصدون الروم، وأنه لولا سيف الدولة لربط الروم خيلهم بنخيل العراق وسدر مصر.

عاش المتنبي حياة حافلة في بلاط سيف الدولة، لكنها لم تكن هادئة ولا هانئة. فهو لا يحتمل حياة الاستقرار. ولولا ما كان يناله من سيف الدولة من مال جزيل، وما كان أبو الطيب يكنه لأميره من حب واحترام لما دامت إقامته في حلب التسع سنوات.

عند كافور: تفاقم شعور الحصار داخل نفس المتنبي، فرحل عن حلب دون استئذان. تسلل إلى ضيعته سبعين، ومنها انحدر جنوباً فوجد نفسه في دمشق التي تقع تحت حكم الدولة الإخشيدية بمصر. ثم انحدر جنوباً فوجد نفسه في الرملة بفلسطين وهي أيضاً تحت حكم المصريين، فمدح واليها ابن طغج، وفيها تلقى دعوة للالتحاق بعاصمة الأخاشدة الفسطاط، وهي القاهرة القديمة، فوصلها عام ٣٤٦هـ. وكان الحاكم في مصر كافوراً. وهو نوبي تدرج من العبودية إلى السلطة بعد موت الإخشيد عن ولدين صغيرين. كان كافور حكيماً رزيناً عاقلاً حليماً تقياً، أكسبته سنوات العبودية معرفة بالبشر وصلابة، وكان داهية. وقد أدرك قيمة المتنبي. وأراد أن يكسبه، وأن يسلب منافسه سيف الدولة هذا الصوت الرنان المؤثر.

بدأ المتنبي فوراً يطالب كافوراً بمنحه ولاية يديرها. وتحير الرجل في هذا الشاعر الأحمق الذي يريد الولاية مثلما يريد الصبي لعبة. ولعله وعده «خيراً»، دون تحديد طبيعة هذا الخير. أغدق عليه مالاً، ورفع عنه الحجاب، وحاول استرضاءه. ولكن المتنبي جاء كافوراً وفي نفسه اشمئزاز. لم يطق رؤية عبد سابق، أسود اللون يحكم بلاداً واسعة، فمدحه مدحاً فاتراً، وتأفف كثيراً وشكا الزمان شكوى مرة. وبعد سنتين مل انتظار كافور فاستأذنه في أن يمدح وزيره فاتكاً، الذي كان اختلف مع كافور فاعتصم بإقطاعيته الفيوم. فأذن له كافور فمدح فاتكاً. ولكن فاتكاً مات بعد أقل من سنتين. وبعد موته بشهرين دبر المتنبي أن يرحل عن مصر هارباً. فقد عرف أن كافوراً لن يأذن له بالرحيل، خاصة بعد أن جهر بتذمره من كافور، وبعد أن شاع أنه هجاه.

بعد أربع سنين ونصف مكثها في مصر رحل المتنبي، تاركاً فيها شعراً في هجاء كافور عند أصدقاء له كي يذيعوه بعد فراره. وكان المتنبي صنع شيئاً مشابهاً في طرابلس قبل سنين كثيرة. وفي الحالتين نجا من عواقب هجائه. وإن لثالث الحالين شأناً آخر، وسيأتيك خبره.

سار المتنبي سيراً حثيثاً قاطعاً سيناء. ثم قطع بادية الشام، متجنباً مدن فلسطين ودمشق التي كان يحكمها ولاة كافور. وبعد ثلاثة أشهر وصل إلى الكوفة مسقط رأسه. كان قد حمل معه من مصر كل ثروته، وكانت طائلة، رغم شكواه من أن كافوراً كان يأكل زاده بدل أن يطعمه. أراد أن يستقر في الكوفة التي غاب عنها ثلاثين سنة. وهو الآن رجل في الثامنة والأربعين وله شهرة عريضة وعنده مال وفير.

تسلى المتنبي في الكوفة بهجاء كافور. وهجا ضبة بن يزيد بقصيدة لاذعة بعد أن تعرض له ولأصحابه في طريقٍ وشتمهم. ومدح القائد دلير بن لشكروز الذي جاء على رأس جيش إلى الكوفة لصد غارة شنها البدو.

وزار أبو الطيب في هذه السنوات الثلاث التي قضاها في مسقط رأسه الكوفة، زار بغداد وأقام بها بضعة أشهر. لم يمدح الخليفة العباسي لأنه لم يعد أحد يمدح الخليفة. ولم يمدح أمير الأمراء البويهي معز الدولة لأنه فيما يظهر لم يكن يكترث للشعر. على أن شاعرنا لم يمدح أيضاً وزير المعز محمداً المهلبي. وتلك مسألة أخرى، فالمهلبي رجل أديب شاعر. تجاهله المتنبي، فحنق الوزير وأغرى من في حاشيته من الأدباء بنقد المتنبي والغض من شعره. وغمز شعراء بغداد عليه فشتموه، فلم يعبأ المتنبي بهم. والتقى في بغداد بعشاق شعره الذين قرأوا عليه ديوانه وحققوه. وكان ممن قرأه عليه ابن جني اللغوي المعروف.

وأرسل المتنبي إلى سيف الدولة بضع قصائد مدح، وقصيدة في رثاء أخته الكبرى. وأرسل إليه سيف الدولة الهدايا الثمينة، ووجه إليه دعوة مكتوبة بخطه للعودة إلى حلب. ولكن المتنبي تردد، ثم آثر عدم الذهاب متعللاً بأن الحاسدين ما زالوا يترصدونه. ولكن المتنبي ما كان ليعود إلى حلب، فهو كان تركها مللاً وقلقاً. كان الحاسدون الذريعة لا السبب وراء تركه حلب.

وفي سنة ٣٥٤ غادر المتنبي الكوفة وانطلق إلى الأهواز فأَرَّجان داخل بلاد فارس. وفي أرجان أقام شهرين عند أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة

البويهي. ومدحه بثلاث قصائد. وأراد القفول إلى الكوفة، ولكن أمير شيراز عضد الدولة البويهي، ابن عم معز الدولة أمير الأمراء في بغداد، استدعاه. وشيراز تبعد عن أرجان نحو ربع المسافة التي قطعها المتنبي من الكوفة إلى أرجان. فليذهب كي يمدح الأمير عضد الدولة.

أقام المتنبي في بلاط عضد الدولة ثلاثة أشهر قال فيها ست قصائد وقطعة وأرجوزة طريفة سجل لنا فيها خروجه ضمن حاشية عضد الدولة في رحلة صيد بمنطقة دشت الأرزن على بعد كيلومترات إلى الشمال الغربي من شيراز؛ كانت له المشاركة المتوقعة في حياة البلاط. ونال من عضد الدولة مالاً كثيراً. وفي شيراز قرئ عليه ديوانه. وفي شعبان من سنة ٣٥٤ استأذن عضد الدولة بالمغادرة على أمل عودة سريعة، ورحل.

وفي العراق، غير بعيد عن بغداد، خرج عليه فاتك الأسدي في جماعة من البدو، فقتله وقتل ابنه وغلمانه وسلب ماله.

وأوثق ما لدينا بشأن مقتله رساله كتبها أبو نصر محمد الجُبَّلِيُّ. وهذا رجل من معارف المتنبي في مدينة واسط. نزل به المتنبي في الطريق فحذَّره أبو نصر من أن فاتكاً الأسدي، خال ضبة الذي كان المتنبي هجاه هجاء مقذعاً، يترصده. ونصحه أبو نصر باصطحاب حرس. ولكن المتنبي أبى مستهيناً الخطر.

المتنبي والنقاد

مرت على رأس المتنبي أنماط من النقد كثيرة وهو حي، ومرت على جمجمته أنماط أكثر وهو ميت. فلم تبق نزعة نقدية، ولا طريقة تذوقية إلا وضعت ديوان المتنبي على منضدة التشريح.

ثمة الناقد المؤرخ، الذي يسجل مراحل حياة المتنبي، ويعقد الفصول الضافية لحياة ممدوحيه، وللسياسة في عصره، ويفتح الأبواب لدرس تطوره الفكري وعلاقاته بالرجال والنساء. وهذا نمط جاءنا من الغرب، من المستشرقين. وفتح أبوابه ريجيس بلاشير بكتاب له كبير ومهم عن المتنبي. وقد تُرجمت من هذا الكتاب فصول بُعيد صدوره عام ١٩٣٥، وانتظر بضعة عقود حتى ترجمه إبراهيم الكيلاني الحموي الدمشقي ترجمة كاملة ممتازة. اتكأ على بلاشير طه حسين الذي أصدر كتابه (مع المتنبي) بعده بسنة. وسار على هذا

النهج النقدي (التاريخي) محمود شاكر الذي نشر كتابه قبل طه وبعد بلاشير، على أنه لم يطلع على كتاب بلاشير لعدم معرفته بالفرنسية، وإن كان ألم بمنهج المستشرقين الذين عرف منهم في الجامعة المصرية اثنين على الأقل هما نلينو وجويدي، وعرف ثالثاً هو مرجوليوث الذي قرأه بالإنجليزية.

وثمة الناقد المشرِّح. وأول ما يفعله المشرح أنه يقتل الأرنب قبل البدء في تشريحها. ومن النقاد المشرحين معظم شراح المتنبي. ويختلفون في تشريحهم، فبعضهم ينقد اللغة كالعكبري، وبعضهم ينصرف إلى المعنى كالواحدي. وبعضهم يلتفت إلى المحسنات اللفظية والمعنوية. وكلهم مِجهريٌّ في نقده، ينظر إلى الكلمة والعبارة لا إلى القصيدة، ولا إلى روح الشاعر. وسترانا في شرحنا لهذه المختارات نصنع صنعهم، فنحل البيت حلاً، أي نقلبه إلى نثر، وبلغة معاصرة طلباً لإيصال معناه دون أي شيء آخر إلى القارئ المعاصر. والناقد المشرح دارس لناحية معينة، ولا لوم عليك إن أخرجته من جملة النقاد ووضعته في زمرة الشارحين.

وثمة الناقد صاحب الميزان. وهذا الناقد قد يكون حريصاً على ميزانه أكثر من حرصه على الحق. فهو مثل تلفزيون البي بي سي العالمي في حرب إسرائيل على غزة (٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩) إذ قتلت إسرائيل فوق الـ ١٤٠٠ فلسطيني جلُّهم مدنيون، وفقدت ستة جنود، ولكن تلفزيون البي بي سي خرج بعد انتهاء المذبحة متوازناً: أنحى باللائمة على الجلاد وعلى الضحية بالقدر نفسه. ترى الناقد صاحب الميزان يوازن بين شاعرين، فيزيد في حسنات المقصِّر ويقلل من حسنات المتفوق حتى تعتدل كفتا ميزانه. ويميل يمنة ويسرة، ويختبئ وراء ستار ثم يبدي لك نصف وجهه، ثم يخرج عليك خروجاً مسرحياً: كل ذلك لكي يزيد من الدراما ويجعل مسرحيته «تحرز» سعر بطاقة الدخول. فإن اخترت على هذا التشبيه أن تشبهه بالقرد الذي احتكم إليه الهِرَّان في قطعة جبن فقسمها قسمين وظل يقضم من هنا ومن هنا حتى أتى عليها، فلم تبتعد كثيراً.

وأشهر أمثلة ذلك كتاب الآمدي في الموازنة بين البحتري وأبي تمام. فقد أسرف فيما ذكرت لك حتى إنني حمدت كسل الناشر الذي أخرج جزأين، ونام عن الثالث زمناً، ثم جاء الثالث فلم نجده خيراً من أخويه. أما أبو الطيب فقد نال هذه المعاملة من القدماء كثيراً. كانوا يتسلون في مجالسهم بعقد المباريات والتصفيات بين الشعراء، وعندما جاء الجرجاني ليتوسط بين أبي الطيب

وخصومه لم يزد على أن عقد مباراة كبيرة. والخطورة في مثل هذا النقد أنه يميل إلى «حساب الكميات». وأبرز أركان هذا النوع من النقد كشوف السرقات. وقد نال المتنبي من هذه الكشوف عدداً كبيراً. ترى صاحب كشف السرقات يذكر بيت المتنبي ويذكر ما يشبهه من بيت قديم. ويسرد عليك الأدلة على أن المتنبي أخذ المعنى، أو اللفظ، أو كليهما من البيت القديم. ثم يوازن بينهما، ثم يحكم إن كانت سرقة أم لم تكن، ثم يحكم بمسامحة السارق - ولهذا شروط -، أو بلومه - ولهذا دركات -؛ وتخرج أنت من جلسة المحكمة هذه، وقد تبدد في نفسك روح البيت. لكنه نمط من النقد. ولست ضد اتباعه حتى في زمننا المعاصر. لكنني قد ذكرت عيوبه. وما أحبه في هذا النمط من النقد عند القدماء أنه يطوف بي على معاني الشعراء في رحلة سريعة أحس لها بإيقاع مطرب. لذا لم أكن شديد الاستياء من الحاتمي في رسالتيه ومن ابن وكيع، والبديعي وصاحب اليتيمة، وكثير من الشراح. كل القدماء أقاموا أبا الطيب على هذا النِّطع.

وثمة الناقد القادح. فهذا صاحب سفود يريد أن يشوي الشاعر لا غير. وفي نقده فائدة: للشاعر وشهرته أساساً، وللقارئ ثانياً. هذه أحسن وسيلةِ دعاية. ولم يعرف الشعر العربي شاعراً لقي من القدح النقدي مثلما لقي المتنبي. وقد أعطاه القادحون، بخلاف الشهرة، هدية ثمينة. لقد لفتوا النظر إلى محاسنه ببيانهم عيوبه. لكثرة كلامهم على عيوبه، يأخذ المرء يلتفت إلى شعره العالي فيقدره حق قدره. ولا تعدم، حتى عند أكبر القادحين، ومنهم الصاحب والحاتمي وابن وكيع، أقول لا تعدم عندهم التفاتة عدل. فتراهم يقرون في سطر مختبئ بين مئات سطور القدح بأن للرجل إحساناً. وترى هذا السطر يبرز بروزاً قد لا يكون مرضياً لهم. ولكن.. تلك شهادة الأعداء، تتوهج في ظلام نقدهم.

وثمة الناقد المادح. وهذا الناقد قد تأخذه الحال، فيصبح درويشاً للمتنبي، فلا يعود يرى له شيئاً يعاب. وقد ينزلق فيرى محاسن غير موجودة. وقد صنع مارون عبود هذا الصنيع عندما بدأ يغني على قيثارة عروبة المتنبي غناء في غاية الجمال، وانحرف فيه عن الحق كل الانحراف. على أنني - وقد ذكرت مارون عبود - لا بد أن أقول إن الصفحات التي كتبها عن المتنبي في (الرؤوس)، الصادر عام ١٩٤٥، من أعمق وأقوى ما كتب عن الرجل في قديم

وحديث. نعم قد خاض مارون خوضاً دونكيشوتياً في المحاماة عن الرجل، ولكنه صَدَر في فصوله تلك عن فهم عميق للمتنبي وللشعر العربي. ومن سوء حظ المتنبي أنه كبير جداً إلى درجة أن كثيرين من النقاد المحبين له كانوا يجتنبون تمجيده خوف أن يخرجهم القارئ من زمرة النقاد، وأن يسلكهم في زمرة المادحين. كان كثيرون يعبرون عن إعجابهم في الفلتة بعد الفلتة، ثم يفيئون إلى رصانة مصطنعة.. أليسوا نقاداً وأصحاب رأي؟ وأجد لهم العذر، كل العذر. فهم يهربون بسمعتهم من وصمة الناقد المصفق.

وقد قرأت كتابين صدرا في عامي ٢٠٠٥، و٢٠٠٦ يحتويان على كثير من التصفيق للمتنبي. وكلاهما وُضع تزلفاً لمن يملك المال، وكلاهما رديء. وقد غثيت نفسي بهما إلى درجة أنني انصرفت عن دراسة المتنبي وشعره بضعة أسابيع بعد أن قرأتهما. ولا أطيل عليك في الحديث عن شعوري بتأنيب الضمير على الساعات التي قضيتها فيهما، فقد عددت ذلك واجباً علي قبل أن أنجز شرح مختاراتي هذه. ألوم نفسي وأقول لي: أما كان يكفيك أن تقرأ صفحتين من كل كتاب؟ قد حرمني ذانك الكتابان أن أتلمظ بالبيت البديع للمتنبي علانية. صرت أصطنع الوقار والتناول الرصين. ألا لعنة الله على التفاهة.

وثمة الناقد الذي أسميه الخرمنجي. والخرمنجي هو المتذوق للمنتجات - ولا سيما التبغ - يتذوقها قبل طرحها في السوق. والخرمنجي يجمع من عيوب أنماط النقاد المختلفة الكثير. لكنه مضطر بحكم المهنة إلى العودة سريعاً، بعد كل انحرافة، ليذوق ذوقاً، وليغمض عينيه نصف إغماضة ويصدر رأياً. وقد صنعت كثيراً من ذلك. ولكنك ستشعر بجهدي هذا دون أن تراه. صنعت ذلك وأنا أختار الأبيات التي عرضتها عليك في هذا الباب؛ فكنت أتذوق البيت ثم القصيدة، ثم أختار الأطايب، وأطرح ما ليس بطيب. فما تراه من شعر المتنبي هنا هو نتيجة تذوقي لديوانه. وقد يفلت مني بيت طيب لأن معناه مرتبط بخمسة أبيات من الحَشَف. فلا أنا قادر على فصله عنها ولا على إيرادها كلها. ولولا هذا لكنت اقتطفت لك ثلاثة أرباع ديوان المتنبي، فلا يعود هذا كتاب مختارات، بل فضلة يغني عنها الغناءَ كلَّه ديوانُ الرجل. على أن ما تركته من الأبيات الحسنة ليس من اللامع العزيز، ولا المعجز الذي لا يتعلق بغباره أحد.

وأمضي في تصنيف النقاد درجة أخرى، ولعلي أجعلها أخيرة، فأذكر المحترف الهادئ المنزه عن الهوى. وقد نعمنا باثنين من هؤلاء. فقد نشر العقاد والمازني فصولاً عن المتنبي في العشرينات، وأجادا درس أسباب شهرته، ودفعا عنه تهماً كثيرة كالبخل (المازني ـ حصاد الهشيم)، وشبَّهاه بشخصيات عرفاها مما تثقفا به من ثقافة غربية. فكتب عنه العقاد فصلاً طيباً في البلاغ، أعاد نشره مع فصول أخرى عنه في كتابه مراجعات، يوازن بين فلسفته وفلسفة نيتشة. وينحو المازني أكثر نحو التذوق. ولكن ما حال بين الرجلين وبين الهوى في تناول المتنبي هو أن هواهما كان مع شاعر آخر هو ابن الرومي. فإذا قرأتهما وهما يتكلمان عن ابن الرومي فأنت بإزاء الناقد المادح. أما كلامهما عن المتنبي فكلام عن الجار البعيد، فيه رصانة.

والمحترف الهادئ، الذي كان إلى ذلك مؤرخاً وصاحب ذوق عالٍ في الشعر، عبد الوهاب عزام. كان في كتابه عن ذكرى أبي الطيب (١٩٣٦) مؤرخَ أدبٍ حقاً.

ولنذكر ختاماً عودة محمود شاكر إلى المتنبي بعد أربعين سنة. فقد عاد ليكتب كتاباً آخر (المتنبي: ليتني ما عرفته).

ليته ما كتبه.

على أن شاكراً يُقرأ لأسلوبه، فإن كنت ممن يحبون الفصحى، فلا يهمك إن قال شيئاً أو لم يقل. وكذلك طه حسين، يقرأ لأسلوبه. ولأسلوبه فقط احتمل الناس سبعمئة صفحة من صفحاته عن المتنبي كان يمكن إيجازها في مئة صفحة.

عملنا في هذه المجموعة

عند رقم تسعة وتسعين وقبل أن تصل إلى المربع الأخير هناك رأس حية قد يدحرجك إلى المربع رقم واحد. وأنت وحظك. اقرأ المعوذتين وارم نردك.

هكذا أنا في عملي على الحاسوب الشخصي، بي سي. أكتب الأبيات وأشكلها، وأنفق من ضوء عيني ما أُنفِق وأنا أصححها، مرة ومرة ومرة حتى لا يعود ثمة من غلطة؛ ثم أرسل الملف إلى الطابع فيرميه رمي الثمامة على برنامج الماك. وتنقلب الدنيا، ويتزلزل النص. وأعود بقلب مخلوع إلى التصحيح.

وازددت واحدة في معاناتي مع المتنبي. فقد كنت شرحت مختاراتي منه وطبعتها وشكلتها قبل ثماني سنوات، وعدت إليها فإذا برنامج الحاسوب قد تغير، وإذا الضمة والفتحة فوق الميم صارتا تحتها. فعدت إلى النص بكامله مرة أخرى مدققاً حركة حركة وحرفاً حرفاً وكلمة كلمة.

لكن الأبيات التي تراها في هذه المجموعة تظل - رغم كل ما سيفاجئنا به الطابع - هي ما اخترته لك من ديوان المتنبي. وهي تعبر عن تذوقي وفهمي لشعر الرجل. ولا تحزن لما فات هذه المجموعة من أبيات، فديوان المتنبي موجود في كل مكتبة، وعلى كل رصيف، فإن شئت الاستزادة فاقْتَنِ نسختك.

اخترت ربع شعر الرجل تقريباً. وشايعت معظم الشراح في ترتيب القصائد بحسب زمان قولها. فأنت تمضي من شعر الصبا إلى شعر الشباب فالكهولة، قصيدة بعد قصيدة. ولا يخلو أن تتقدم قصيدة أو تتأخر درجة أو درجتين، فعند الشراح في الترتيب الزمني بعض الاختلافات.

وقسمت المجموعة ثلاثة أقسام: الشاعر الشاب، فالسيفيات وهي ما قاله عند سيف الدولة، فوحي الأربعين وهو ما قاله بين سن الثانية والأربعين وسن الخمسين التي مات عنها.

كنت في اختياري أحرص على البيت الجميل كل الحرص، وأحرص على ربطه بالأبيات الجميلة الأخرى في القصيدة حتى لو كلفني ذلك اختيار أبيات أقل بهاء كي يبقى المعنى متسقاً، وكي يسلم للضمائر ما تعود إليه.

وقطعت كل بيت شطرين كما يجب أن يكون؛ وقطعت البيت في المكان الصحيح. فإن كنت تعرف الغلطة الشائعة في قسمة بيت المتقارب شطرين فاعلم أنني تنبهت إليها. وقد يقعد بين الكرسيين حرف مشدد فعندئذ أضع في الفراغ بين الشطرين شرطة (ـ). وفي الكلمات المنتهية بياء من قبيل (عنديِ) كنت أضع الكسرة تحت الياء نفسها، حتى تفرق بينها وبين (عنديَ) المفتوحة الياء. وكلتا الكلمتين صحيحة في كل موضع في النثر، ولكنهما في الشعر ليستا بمنزلة؛ فوزن الشعر قد يقتضي الفتحة لا غير، أو يقتضي الكسرة لا غير، أو يبيح أيهما. قد شكلت لك كل ياء أخيرة بحسب ما يقتضيه وزن البيت. وشكلت (منهمْ) بسكون على الميم إن اقتضى الوزن السكون، وبضمة على الميم (منهمُ) إن اقتضى الوزن الضمة. والشعراء قد وسعوا على أنفسهم كيما يزنوا فأشبعوا هذه الميم أحيانا لتنطق (منهمو)، ولم أكتب منهمو هذه بواو. لأنها ليست

الحرف الوحيد الذي يصادف إشباعاً في الشعر. مثل هذا الإشباع يرد في أحرف أخرى: فقد يجب على القارئ الشعرَ أن ينطق (فيه) بإشباع الهاء، فكأنها (فيهي). وقد يجب عليه أن يشبع ألف (أنا) اللينة في أحوال، وأن يخطفها خطفاً في أحوال. هذه مسألة في ضبط الخط والكتابة أتركها لمن يريد أن يسعى في حلها.

على أنني بذلت ما في وسعي، وما في وسع صندوق الأحرف المتاح، كي أرشدك إلى القراءة السليمة.

وكي تقرأ المعنى بعينيك وضعت لك الفواصل. فلا تقف في قراءتك الجهرية إن قرأت جهراً عند كل فاصلة، فما هكذا يقرأ الشعر؛ لكن، لَوِّن صوتك بحسب الفواصل. وإن كنت تقرأ قراءة صامتة فلعل الفواصل أن تعينك في فهم المعنى.

أقللت من الفواصل على أطراف الأشطر، فالفراغ بين الشطرين فاصل كاف، إلا أنني وضعتها هناك كلما شعرت أنها تقرِّب معنى أو تدرأ لبساً.

كما أخبرتك في موضع سابق من هذه الصفحات فإنني استعنت بستة من شروح ديوان المتنبي. قد رأيت الشارحين يمدون أيديهم إلى شرح أبي العلاء المعري، ويأخذون العبارة تلو العبارة؛ ولا تثريب عليهم. وإن لم أكن فعلت فعلهم فليس تعففاً. لكن، لأنني كتبت شرحي لقارئ معاصر. وقد ركِبت في عبارتي الركاكة ركوباً، ولم أربأ بنفسي عن تعبير عامي أو صحافي، كل ذلك في سبيل إيصال المعنى.

يقول المتنبي: (لُم الليالي) وأقول أنا شارحاً: (يجب أن تلوم الزمن). فأي شيء أركُّ من قولي! لكنه السعي إلى فضح المعنى.

والمتنبي صعب. والتعرض لنص قديم يكبِّدك غرم قراءة لغة أجنبية. فأنت منذ البدء في موقع المتعلم المتحفز لحل الألغاز. فإذا كان هذا النص القديم شعر أبي الطيب المتنبي فالغرم أفدح، لأن المتنبي صعب في لغته، وصعب في معانيه. وأراحنا أبو العلاء المعري في شرحه كثيراً. فهو من هو في اللغة، وهو من عصر المتنبي، ولد بعد موته بتسع سنين.

رأيت كثيراً من حكم المتنبي التي تأتي في الأشطر حشوات يستريح بها في النظم. وهي في جلها حشو اللوزينج. تعقبتها، وحرصت عليها.

قد يأتي مدحه بارداً سخيفاً. أليس معظم المدح هكذا؟ فكنت أتجنب ما هو بارد وسخيف، إلا أن يكون فيه فن كثير، فأحتمِله وأحمِّلك برده في سبيل فنه. والمتنبي كان في أحيان كثيرة ينظم تحت إلحاح الأمير. أرأيت أسخف من أمير يلح على الشاعر، ويقول له أسبوعاً بعد أسبوع: منذ زمن لم تمدحني، فمتى تكون قصيدتك المقبلة؟ هكذا كان يفعل سيف الدولة، وغيره. ذلك أن مدح المتنبي كان بمثابة تثبيت لصورة الزعيم في أذهان أنصاره ومنافسيه على حد سواء. والمادح والممدوح والسامعون جميعاً يعلمون أن الأمير ليس أسداً وليس بحراً. ولكن، هي الدعاية. وهل تؤمن أنت أن صابون (الحياة السعيدة) يسعدك حقاً؟ لكنك ترى الدعاية ثم تُهوي بيدك على الصابونة المذكورة وتلتقطها من على رف السوبرماركت. وقد رأيت في السنوات العشر المنصرمة (وأنا أكتب في ربيع ٢٠٠٩) ثلاثة من الزعماء العرب بدأوا عهدهم بالطلب إلى مساعديهم ألّا تُنشر صورهم في الميادين والصحف بشكل مبتذل. ورأيتهم جميعاً تخلوا عن هذا الطلب، وعادوا إلى سيرة أسلافهم، يحثون المداحين من مرتزقة الصحافة على إغداق الأوصاف عليهم، ونشر صورهم في كل مكان.

عرفوا قيمة الدعاية.

(ملاحظة في سنة ٢٠١٦: بعض أنصار هؤلاء الزعماء بلغ بهم أن يجبروا الناس على السجود لصورة الزعيم، وبعضهم وضع صورة الزعيم على ألواح الشوكولاتة).

من هذا الفهم لشعر المدح كنت أسعى إلى التقليل منه. لكن مدح أبي الطيب مخلوط بفن كثير، وبحديث صادق عن نفسه وعن همومه. وبعض هذا المدح صادر عن حب، ككثير من مدحه لسيف الدولة.

قصيدة المتنبي «متعددة الأغراض» كما يقولون في كتب المدارس. ولكنك تجده في داخل الغرض الواحد يأتي بالمعاني المتنافرة المتباعدة، فإذا أنعمت النظر وجدت البيت موصولَ المعنى بجيرانه إما بتيار يجري عميقاً تحت السطح، وإما بضمائر تشبك البيت ببيت قبله مباشرة أو قبله بعدة أبيات.

وعندما اخترنا واجتزأنا من هنا وهناك تعبنا كثيراً في الحفاظ على بنية القصيدة مع استبعادنا الكثير من أبياتها. وقد ترانا في أحوال كثيرة نأخذ من القصيدة بيتين أو ثلاثة ونهمل الباقي. ولا يندر أن نمر بالقصيدة مر الكرام فلا نأخذ منها شيئاً. ومن قال لك إن شعر المتنبي درر كله؟ لعل شوقي كان على

حق عندما قال: «وللمتنبي درة وحصاة». وما أكثر ما في شعر أبي الطيب من الحصى.

أنا ماض في شرح مختاراتي من اثنين وأربعين شاعراً، من امرئ القيس إلى إيليا أبو ماضي، يضاف إليها مختاراتي من ثمانية من كتب الشعر المهمة التي تضم أشعاراً لشعراء مغمورين أو قدماء لم تصنع لهم دواوين. فهذه في المجمل خمسون باباً، ستقع في خمسة أجزاء. ودون هذه الغاية أن يأذن صاحب الدهر ورب الكون الجليل، وأن يعطي فسحة في العمر، وأن يهبنا قدراً من القبول لدى القراء يقوم بتكلفة الطبع والتوزيع. فأما إن ظننت أنني أنتظر قرشك كي أخَضِّر به مائدتي فهذا لأنك لا تعرف حال التأليف والنشر في الوطن العربي.

وقد والله ـ ولست في حياتي الشفهية بحلاف؛ فقط إذ بيني وبينك ستر هذه الورقة ـ ناولني ناشر قبل سبع سنين مكافأتي عن كتاب عدة صفحاته ثلاثمئة وثمان وعشرون صفحة فما غربت شمس ذلك النهار إلا وكنت تصدقت بها، ولا أظن أنه حصل لي بها كبير ثواب.. لضآلتها.

قد بسطت لك القول في عملي في هذه المجموعة. وقد كلمتك بما هو من ثوب هذا الكتاب وبما هو من غير ثوبه. ولئن كنت أنوي ألا أمعن في الشرح والتشكيل فيما سيأتي من هذه السلسلة، فإنني رأيت المتنبي محتاجاً إلى الشرح المستفيض والتشكيل الكامل.

وفي ذيل هذا الباب عن المتنبي فهرس للقوافي، وفهرس للأغراض. فإن طلبت قصيدة تعرف قافيتها وجدتها، وإن أردت أن تعرف ما اخترته للمتنبي من أبيات عن (الشيب) أو عن (القلق والترحال) وجدته. وجعلت لكل قصيدة رقماً، واعتمدت أرقام القصائد لا أرقام الصفحات حتى لا يتغير الترقيم بانتقال النص من برنامج حاسوبي إلى آخر. ووضعت لكل قصيدة اسماً من عندي، فلم يكن شعراؤنا القدماء يسمون قصائدهم.

أشكر للصديق أحمد ولد الدين فال الشنقيطي أنه أعانني بوقته وبحبه الكبير للمتنبي، وبفهمه العميق لشعره. فقرأ المسودة وصحح أغلاطي، وقوم ما اعوجّ من لغتي، ومن تفسيري. ولم أكد أترك من ملاحظاته شيئاً إلا أخذت به، ومعظمه تصحيح لغلط صريح أو وهم ركبته؛ وبعضه تحسين لتعبيري، وهذا أخذت به أيضاً. فما بقي من خطأ أو وهم فعليَّ وحدي وزره.

كتبت المقدمة عام ٢٠٠٨، وحررت عام ٢٠١٦

المتنبي في شبابه

المختار من شعر المتنبي من البدايات حتى بلغ الرابعة والثلاثين، وقاله في العراق والشام

١ هاي.. باي

أول شعر نظمه المتنبي قوله وهو صبي: (المختار من القصيدة/عدد أبياتها) ٢/٢

بِأَبي مَنْ وَدِدْتُهُ، فافْتَرَقْنا　　وقَضى اللّهُ بعدَ ذاكَ اجْتِماعا

بأبي (أفدي بأبي) مَن أحببته، ثم افترقنا؛ ثم بعد ذلك قضى الله أن نجتمع

فافْتَرقْنا حَوْلاً، فلمَّا التَقَيْنا　　كانَ تَسْليمُهُ عليَّ وَدَاعا

قد افترقنا حولاً (عاماً)، وعندما التقينا كان تسليمه عليَّ وداعاً، وتمهيداً لفراق جديد

٢ المختفي عشقاً

قال المتنبي وهو صبي: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٣/٣

أَبْلَى الهَوى، أَسَفاً يومَ النَّوى، بَدَني　　وفَرَّقَ الهجرُ بينَ الجَفْنِ والوَسَنِ

أبلى (أنهك) الحب بدني لحزني في يوم النوى (الفراق) وفرَّق الهجر بين جفني وبين الوسن (النوم)، أي حرمني النوم

رُوحٌ تَرَدَّدُ في مِثْلِ الخيالِ، إذا　　أَطارَتِ الريحُ عنهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ

روحي تتردد (تضطرب) داخل جسم صار هزيلاً كأنه الخَيَال، ولو طيَّرَتِ الريحُ ثوبي عن جسمي لم يَبِن (لم يظهر) جسمي للعيان

كَفَى بِجِسْمي نُحُولاً أَنَّني رَجُلٌ　　لوْلا مُخاطَبَتي إِيَّاكَ لَمْ تَرَني

وصل نحول (هزال) جسمي إلى درجة أنك لم تعد تستطيع أن تراني، لولا أنك تستدل على وجودي بصوتي. المعنى ساذج كما ترى، ولكننا سوَّدنا البيت لشهرته، ولكي ترى كيف أن المبالغة الشديدة بدأت في شعر المتنبي وهو بعد صبي

٣ المنتعل ناقته

قال المتنبي في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب: ٦/ ٤٢

يـا عـاذِلَ الـعـاشِـقِـيـنَ دَعْ فِـئَـةً أَضَـلَّـهـا الـلَّـهُ، كـيـفَ تُـرْشِـدُهـا؟

يا عاذل (لائم) العاشقين دع هذه الفئة، فالذي أضلها هو الله، فكيف لك أن ترشدها؟

لـيـسَ يُـحِـيـكُ الـمَـلامُ فـي هِـمَـمٍ أقـرَبُـهـا مـنْـكَ، عَـنْـكَ أبْـعَـدُهـا

لا يُحيك (يؤثر) اللوم في همم (عزائم) أقربها منك جسماً، أبعدها عنك روحاً. نقل ابن جني عن المتنبي أن قال في شرح الشطر الثاني: (أقربها منك سمعاً، أبعدها عنك طاعةً)

بِئْسَ الـلـيـالـي سَـهِـدْتُ مِـنْ طَـرَبٍ شَـوقـاً إلـى مَـنْ يَـبِـيـتُ يَـرْقُـدُهـا

بئست الليالي التي سهدتها (سهرتها) من الطرب (الحزن) شوقاً إلى المحبوب الذي يبيت راقداً هذه الليالي

أَحْـيَـيْـتُـهـا والـدمـوعُ تُـنْـجِـدُنـي شُـؤونُـهـا، والـظَّـلامُ يُـنْـجِـدُهـا

أحييت الليالي (سهرتها) والدموع تساعدني شؤونها (مجاريها) في تخفيف حزني، والظلام يساعد الدموع في النزول لأنه يسترها

لا نـاقَـتـي تَـقْـبَـلُ الـرَّدِيـفَ، وَلا بـالـسَّـوْطِ يـومَ الـرِّهـانِ أُجْـهِـدُهـا

ناقتي لا تقبل الرديف (الراكب الإضافي)، ولا أنا أجهدها (أرهقها) بالسوط يوم السباق. وهذه الناقة ما هي إلا نعله، فهو فقير لا يملك مركوباً

شِـراكُـهـا كُـورُهـا، وَمِـشْـفَـرُهـا زِمـامُـهـا، والـشُّـسُـوعُ مِـقْـوَدُهـا

شراك نعلي (الشريط الجلدي لها) هو كورها (رحل/أو خرج الناقة)، وزمام النعل (مقدمة النعل) هو مشفر الناقة، والشسوع (الجلدات التي بين الإصبعين في النعل) هي مقود الناقة. يشبه كل جزء من نعله بشيء من لوازم الناقة، والخلاصة أنه رجل فقير ولا ناقة له، بل يمشي على قدميه وناقته هي نعله

٤ الفريد

قال المتنبي في صباه: ١/ ٥

أَمِطْ عَـنْـكَ تَـشـبـيـهـي بِـمـا وكَـأَنَّـهُ فـمـا أَحَـدٌ فَـوْقـي، وَلا أَحَـدٌ مِـثْـلِـي

أمِطْ (أبعِدْ) عنك تشبيهي بغيري مستخدماً كلمة «ما أشبهه بفلان»، أو كلمة «**كأنه فلان**»، فما أحد فوقي، بل لا أحد مثلي

٥ الفراق القاتل

قال المتنبي يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي: ٣/ ٢٥

أَحْيَا؛ وَأَيْسَرُ مَا قاسَيْتُ مَا قَتَلا والبَيْنُ جارَ على ضَعْفِي وما عَدَلا

أنا أعيش، بينما أيسر (أهون) ما قاسيته هو مما يقتل، والبين (الفراق) جار (جنى) على ضعفي ولم يكن عادلاً

والوَجْدُ يَقْوَى كَما تَقْوَى النَّوَى أَبَداً والصَّبْرُ يَنْحَلُ في جِسْمِي كَمَا نَحِلا

والوجد (الشوق) يقوى، مثلما تقوى النوى (الفراق)، وصبري ينحل (يضعف) في جسمي مثلما يهزل جسمي نفسه

لَوْلا مُفارَقَةُ الأَحْبابِ ما وَجَدتْ لها المنايا إلى أرْواحِنا سُبُلا

لولا مفارقة الأحباب ما قاسينا، ولا عرفت المنايا (الموت) طريقاً إلينا

٦ لا كرامة لنبي في وطنه

قال في صباه: ١٧/ ٣٦

ما مُقامِي بِأرضِ نَخْلَةَ إلَّا كمُقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ

ليست إقامتي في أرض نخلة (مكان بالكوفة) إلا كإقامة المسيح بين اليهود الذين كانوا له ظالمين. نقل المعري في شرحه «معجز أحمد» أن هذا البيت جرَّ على المتنبي لقبه

مَفرَشِي صَهوةُ الحصانِ، ولكنَّ - قَميصي مَسْرُودةٌ مِنْ حَديدِ

مفرشي (مكان نومي) هو صهوة (ظهر) الحصان، ولكن قميصي مسرودة (منسوجة) من حديد، فهي ليست قميصاً بل هي درع

لَأْمَةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلاصٌ أَحْكَمَتْ نسجَها يَدا داوُدِ

إنها لْأمة (درع) فاضة (واسعة)، أضاة (ملساء) دلاص (لامعة)، نسجتها بإحكام يدا داود النبي؛ وقيل إنه أول من صنع الدروع

أينَ فَضلِي إذا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْـ ـرِ بِعَيْشٍ مُعَجِّلِ التَّنْكيدِ

أين تميُّزي إذا قنعت من الزمن بعيشةٍ عاجَلَني النكد فيها من بدايتها

ضاقَ صدْرِي، وطالَ في طَلَبِ الرِّزْ قِ قِيامِي، وقلَّ عنْهُ قُعودي

ضاق صدري، وطال سعيي في طلب الرزق، وقلَّت راحتي

أبَـداً أقـطَـعُ الـبـلادَ، ونَـجْـمـي   فـي نُـحُـوسٍ، وهِـمَّـتـي فـي سُـعـودِ

باستمرار أتنقل في البلاد، ولكن نجمي (حظي) منحوس، وهمتي (طموحي) في سعود (محظوظة) لأنها كبيرة

عِـشْ عَـزيـزاً، أوْ مُـتْ وأنـتَ كـريـمٌ   بـيـنَ طـعْـنِ الـقَـنـا وخَـفْـقِ الـبُـنـودِ

القنا (الرماح)، البنود (رايات الحرب)

فَـرُؤوسُ الـرِّمـاح أذْهَـبُ لِـلْـغَـيْـ   ـظِ وأشْـفَـى لِـغِـلِّ صَـدْرِ الـحَـقُـودِ

فإذا أصابتك رؤوس الرماح وقتلتك فهذا أكثر إذهاباً لغيظك، وأكثر شفاء لغل (حقد) صدرك. في رواية (أذهب بالغيظ)، وهذه رواية ابن جني. على أن ديوان المتنبي قرئَ عليه أكثر من مرة. وما أوردناه هو الرواية الأشهر

لا كَـمَـا قـدْ حَـيِـيـتَ غـيـرَ حَـمـيـدٍ   وإذا مُـــتَّ مُـــتَّ غـيـــرَ فَـقـيـــدِ

هذا خير من حياتك حتى الآن وأنت غير محمود من الناس، وكذلك فلو مت على حالتك الحاضـرة فلن يفتقدك أحد

فاطْلُبِ العزَّ في لَظىً، وَدَعِ الذُّلَّ ـ   ولـوْ كـانَ فـي جِـنـانِ الـخُـلـودِ

أطلب العز ولو في جهنم، واترك الذل ولو في الجنة. صديقي أحمد فال وسم هذا البيت بوسم «السجدة» في المخطوطة لما رآه فيه من إعجاز

يُـقْـتَـلُ الـعـاجِـزُ الـجـبانُ، وقـدْ يَـعْـ   ـجِـزُ عـنْ قـطـعِ بُـخْـنُـقِ الـمـوْلـودِ

العاجز الجبان الذي لا يستطيع قطع بُخنُق (خرقة) المولود قد يكون مصيره أن يقتل..

ويُـوَقَّـى الـفَـتـى الـمِـخَـشُّ وقـدْ خـوَّ ـ   ضَ فـي مـاءِ لَـبَّـةِ الـصِّـنْـدِيـدِ

والفتى المخش (الجريء)، الذي خاض برمحه في ماء (دم) لَبَّة (عنق) الصنديد (الشجاع) قد يوقَّى (ينجو)، يقول: البعد عن مسرح القتال ليس ضامناً البقاء

لا بِقَوْمي شَرُفْتُ، بَلْ شَرُفُوا بي   وبِـنَـفْـسِـي فَـخَـرْتُ لا بِـجُـدُودي

ليس بسبب قومي شرفت (أصبحت شريفاً) بل هم شرفوا بي؛ وقد فخرت بنفسي لا بجدودي، وهنا خروج جامح عن إرث عربي راسخ يجعل الشرف كله في الفخر بالأجداد

وبِـهِـمْ فَـخْـرُ كُـلِّ مَـنْ نَـطَـقَ الـضَّـا   دَ وعَـوْذُ الـجـانِـي، وغـوْثُ الـطَّـريـدِ

ومع ذلك فإن قومي هم فخر كل من نطق الضاد (العرب)، وهم عوذ (ملجأ) الجاني المستجير بهم، وغوث (نجدة) الطريد (المطلوب بجناية)

إنْ أكُـنْ مُـعْـجَـبـاً فَـعُـجْـبُ عَـجـيـبٍ   لـم يـجِـدْ فـوقَ نـفـسِـه مِـنْ مَـزيـدِ

إن أكن معجباً بنفسي فهذا العُجْب (الافتخار) هو تيه رجل عجيب (مميز) لم يجد مجالاً لزيادة فضله، لأنه بلغ المنتهى

أنا تِرْبُ النَّدى، ورَبُّ القَوافِي وسِمامُ العِدَى، وغَيْظُ الحَسُودِ
أنا ترب الندى (قرين الكرم)، ورب (صاحب) القوافي، وسمام (سُمُّ) العدى (الأعداء)، وغيظ الحاسد

أنا في أُمَّةٍ، تَدارَكَها اللَّـ ـهُ، غريبٌ كَصالِحٍ في ثَمُودِ
أنا في أمة ـ أصلحها الله ـ غريب كالنبي صالح في قومه ثمود الذين ظلموه

٧ العاذل عاشقاً

قال المتنبي في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس الأزدي: ٢٥/١٥

أَرَقٌ على أَرَقٍ، ومِثْلِيَ يَأْرَقُ، وَجَوَىً يَزيدُ، وعَبْرَةٌ تَتَرقْرَقُ
حالتي سهر على سهر، ومن كان مثلي عاشقاً فهو يأرق (يسهر)؛ وحالتي جوى (لوعة) يزيد، وعبرة (دمعة) تترقرق

جَهْدُ الصَّبابَةِ أَنْ تَكونَ، كما أُرى: عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ، وقلبٌ يَخْفُقُ
جهد الصبابة (منتهى العشق) أن تكون (توجَدَ) ـ مثلما أُرى أنا ـ عينٌ مسهدةٌ (ساهرة) وقلب يخفق

ما لاحَ بَرْقٌ، أو تَرنَّمَ طائرٌ إلا انثَنَيْتُ ولِي فُؤادٌ شَيِّقُ
ما لاح لي برق ولا ترنم طائر إلا انثنيت (رجعت إلى نفسي) ولي قلب مشتاق. يرتبط البرق في ذهن العاشق البدوي بمحبوب ارتحل مع قومه لارتياد العشب الذي يأتي بعد برق ومطر. التسويد لصديقي اللغوي أحمد عبد الرحيم

جَرَّبْتُ مِنْ نارِ الهوى ما تَنْطَفِي نارُ الغَضَى، وتَكِلُّ عمَّا يُحْرِقُ
جربت من نار الحب ما تنطفئ نار الغضى (شجر حطبه صلب) دونه، وتكل (تعجز) عن إحراق ما تحرقه نار هذا الحب. التسويد أ. عبد الرحيم

وعَذَلْتُ أهلَ العِشقِ حتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كيفَ يموتُ مَنْ لا يَعْشَقُ
كنت قد عذلت (لمتُ) العشاق حتى ذقت العشق، فصرت أعجب كيف يموت من لا يعشق، فمن لا يعشق لا يعانِ شيئاً فَحَريٌّ به أن يعيش للأبد

وعَذَرْتُهُمْ، وعَرَفْتُ ذَنْبِيَ: أَنَّني عَيَّرْتُهُمْ، فَلَقِيتُ مِنْهُ ما لَقُوا
عندئذ عذرت العشاق، وعرفت ذنبي: لقد عيرتهم فلقيت من العشق مثلما لقوا

أَبَنيِ أَبِينا! نَحْنُ أهلُ مَنَازِلٍ أَبداً غُرابُ البَيْنِ فيها يَنْعَقُ
يا أهلي! في منازلنا دائماً غراب البين (الفراق) ينعق إيذاناً بفراق الأحبة

نَبْكي على الدُّنيا، وما مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدُّنيا فلَمْ يَتَفرَّقُوا
فعلام البكاء على الدنيا؟ وما اجتمع فيها معشر إلا فرقهم الموت

أيْـنَ الأكـاسِـرَةُ الـجـبـابِـرَةُ الأُلَـى   كَنَزُوا الكُنوزَ، فَما بَقِينَ ولا بَقُوا؟

أين الأكاسرة (حكام الفرس) الجبارون الألى (الذين) كنزوا الكنوز، فما بقيت الكنوز ولا هم بقوا

مِنْ كلِّ مَنْ ضاقَ الفَضاءُ بِجَيْشِهِ   حتَّى ثَوَى فَحَواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

الواحد من هؤلاء الأكاسرة كان يضيق الفضاء بجيشه المنشور على الأفق، ثم ثوى (استقر) فحواه لحد (قبر) ضيق

خُرْسٌ إذا نُودُوا، كَأَنْ لم يَعْلَمُوا   أنَّ الكَلامَ لَهُمْ حَلالٌ مُطْلَقُ

هؤلاء الأكاسرة خُرْس الآن، إذا ناديتهم لا يجيبون، أيظنون الكلام حراماً عليهم؟ بل هو حلال، ولكنهم موتى

فَالموتُ آتٍ، والنُّفوسُ نَفائِسٌ   والمستَعِزُّ بِما لديْهِ الأَحمَقُ

الموت قادم، والنفوس نفائس (درر ثمينة) يأتي الموت للاستيلاء عليها، والأحمق هو المستعز (المعتز) بما عنده من أموال، فالمطلوب روحه

والمرءُ يَأْمُلُ، والحياةُ شهيةٌ   والشَّيْبُ أوْقَرُ، والشبيبةُ أَنْزَقُ

لكن الإنسان دائماً على أمل، ويشتهي الحياة، والشيب وقار، والشباب نَزَق (طيش)

ولقدْ بكيتُ على الشبابِ ولِمَّتِي   مُسْوَدَّةٌ، ولِماءِ وَجهِيَ رَوْنَقُ

بكيت على الشباب حتى عندما كانت لمتي (شعري) سوداء، وفي وجهي طراوة

حَذَراً عَلَيْهِ قَبْلَ يومِ فِراقِهِ   حتَّى لَكِدْتُ بِماءِ جَفْنِيَ أَشْرَقُ

بكيت حَذَراً على الشباب قبل فراقه، وكدت أشرق (أغص) بدموعي لغزارتها

٨ موقف وداع

قال المتنبي في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي:
(نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة ٤/ ٣٠)

حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يومَ وَدَّعُوا   فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ

حشاشة نفسي (بقيتها) ودعتني يوم ودعوني ورحلوا، فلم أدرِ (لم أعرف) أي الظاعنيْن (الراحليْن) أشيع (أرافق مودِّعاً). يقول: روحي فارقتني عندما فارقوني، فتحيرت هل أودع روحي، أم أودعهم

أَشارُوا بِتَسْليمٍ، فَجُدْنا بِأَنْفُسٍ   تَسِيلُ مِنَ الآماقِ، والسِّمُ أَدْمُعُ

أشارت الحبيبة بتسليم (بتحية الوداع)، فجدنا بأنفسنا (بذلنا أرواحنا حزناً) وهذه الأرواح تسيل من الآماق (العيون)، والسم (الاسم) دموع، لكنها في الحقيقة روحي

حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ الهوى وَعيْنايَ في رَوْضٍ مِنَ الحُسنِ تَرْتَعُ

حشاي (قلبي) يتقلّى على جمر ذكي (متّقد) من الهوى، وأما عيناي فترتعان (تسرحان) في روض من الجمال هو وجه الحبيبة

ولو حُمِّلَتْ صُمُّ الجبالِ الذي بِنا غَداةَ افْتَرقْنا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ

ولو تم تحميل الجبال الصم (الصلبة) الحزن الذي حل بنا غداة الافتراق (صباحه) لأوشكت تتصدع

٩ نائب عزرائيل

قال المتنبي في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك: ٩/٥

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنّي الفَتى الـ ذي ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمانِ

قبيلة قضاعة تعلم أنني الفتى الذي ادَّخرته (خبَّأته) لصروف (لمصائب) الزمان

أنا ابْنُ اللِّقاءِ، أنا ابْنُ السَّخاءِ أنا ابْنُ الضِّرابِ، أنا ابْنُ الطِّعانِ

أنا ابن اللقاء (لقاء الأعداء) وابن السخاء، وابن الضراب (المبارزة بالسيوف)، وابن الطعان (الطعن بالرماح)

يُسَابِقُ سيْفي مَنايا العِبَادِ إلَيْهِمْ كأَنَّهُما في رِهانِ

سيفي يسابق منايا (ميتات) البشر إلى أجسامهم، فسيفي يسابق الموت ليخطف أرواحهم وكأنه والموتَ فرسا رهان

يَرى حَدُّهُ غامِضَاتِ القُلوبِ إذا كُنْتُ في هَبْوَةٍ لا أَراني

يرى حد سيفي غامضات القلوب (القلوب المختبئة) فيصل إلى قلوب الأعداء، في حين أنني أنا في هبوة (غبار المعركة) ولست أرى نفسي

سأَجْعَلُهُ حَكَماً في النُّفُوسِ ولو نابَ عنْهُ لِساني كَفَاني

سأجعل سيفي حكماً يقرر مصائر النفوس، مع أنني لو استعملت لساني لناب عنه وكفاني القتال

١٠ حياض الموت

قال المتنبي في صباه: ٣١/٨

لَيسَ التَّعَلُّلُ بالآمالِ مِنْ أَرَبي ولا القناعةُ بالإقْلالِ مِنْ شِيَمي

ليس التعلل (التصبُّر) بالآمال من أربي (شأني)، ولا القناعة بالإقلال (الفقر) من شيمي (خصالي).
يقول: لا أريد أن أعيش على أحلام اليقظة، ولست قنوعاً

ولا أظـنُّ بَـنـاتِ الـدَّهـرِ تَـتْـرُكُـنـي حتى تَـسُـدَّ عـلـيْـهـا طُـرْقَـهـا هِـمَـمِـي

لا أظن أن بنات الدهر (المصائب) ستركني إلا بعد أن أسدَّ عليها الطريق بهممي (بعزائمي وتصميمي)

لُـم اِللَّيالِي التي أَخْنَتْ على جِدَتِي بِـرِقَّـةِ الـحـالِ، واعْـذِرْنـي ولا تَـلُـمِ

بدل أن تلومني يجب أن تلوم الليالي (الزمن) التي أخنت علي (أرهقتني) برقة الحال (بالفقر)، ويجب أن تعذرني

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجلي خَبَرِي عنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ

سيصحب نصل السيف مني (إذ يصحبني) شخصاً مثل مضربه (حَدِّه)، فأنا حاد وماضٍ كالسيف، وسينجلي خبري (يتكشف) عن صمة الصمم (شجاع الشجعان)

لقـد تصبَّرْتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ فـالآنَ أَقْـحَـمُ حتـى لاتَ مُـقْـتَـحَـمِ

لقد صبرت حتى لات مصطبر (لم يعد مجال للصبر)، والآن سأقتحم اقتحاماً ما بعده اقتحام

لأَتْـرُكَـنَّ وُجـوهَ الـخـيـلِ سـاهـمـةً والـحـربُ أَقْوَمُ مِنْ ساقٍ على قَدَمِ

والله لأتركن وجوه الخيل ساهمة (مذهولة) لشدة بأسي إذ الحرب حامية وقائمة مثلما تقوم الساق فوق القدم

رِدِي حِياضَ الرَّدَى يا نفسُ، واتْرِكي حِياضَ خوفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ والنَّعَمِ

ردي (كوني واردةً) أحواض الردى (الموت) يا نفسي، واتركي أحواض الخوف من الموت للشاء (للأغنام) والنعم (الإبل). جعل للموت حوضاً وهذا معقول. فأما أن يجعل للخوف من الموت حوضاً فهذا هو المتنبي الذي درس أبا تمام جيداً

إنْ لـم أَذَرْكِ عـلـى الأرمـاحِ سـائِـلَـةً فَلا دُعِـيـتُ ابنَ أمِّ المجـدِ والكرمِ

والله إن لم أذرك (أتركك) يا نفسي تسيلين على الرماح فلا دُعيت (لقبت) ابن أم المجد والكرم

١١ اجتراء

قال المتنبي: ٣/٣

أيَّ مَـحَـلٍّ أَرتَـقِـي أيَّ عَـظـيـمٍ أَتَّـقـي؟

أرتقي: أصعد، أتَّقي: أخاف

وكُـلُّ مـا قـد خَـلَـقَ الـلَّـهُ، ومـا لـم يَـخْـلُـقِ

لكي يخرجه أبو العلاء المعري من الكفر جعل في تفسير البيت عبارة (ما لم يخلق الله بعد)، وكلمة (بعد) هي شهادة البراءة. والواحدي في شرحه جلا هذا الدفاع وأكده

مُـحْـتَـقَـرٌ فـي هِـمَّـتـي   كَـشَـعْـرَةٍ فـي مَـفْـرِقِـي

كل ما خلق الله وما لم يخلق «بعد» محتقر (صغير) بجانب همتي (طموحي) كشعرة في مفرقي (رأسي). لون جديد من الفخر بالذات: فخر ذاتي محض، لا بقبيلة ولا بعلم ولا بخلق. ولولا ما فسره لنا المعري لقلنا إن في هذه الأبيات الثلاثة «قلة أدب» تجاه الخالق، وننبه القارئ إلى أن كلمة «محتقر» معناها الأساسي «مستصغر»، ولم تكن تعني «المرذول» بنفس القدر الذي تعنيه في استعمالنا اليوم. وتأسِّياً بنقادنا القدماء، وفيهم الفقيه والعابد، الذين كانوا يقيسون جودة الشعر بمعزل عن رسالته، نقول: هذا شعر فاخر فيه قوة وعنفوان وفيه ذاتية لم يعرفها الشعر العربي من قبل. فإن أردت أن تعرف لماذا فتن المتنبي الناس ألف سنة فهذا مفتاح من مفاتيح الجواب

١٢ فيلق من حديد

وقال المتنبي يمدح جعفر بن كَيْغَلَغ (ولم ينشده إياها): ٣/ ٣٥

إذا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصٌ، لا خَلَتْ أبداً،   فـلا سَـقـاهَـا مِـنَ الـوَسْـمِـيِّ بـاكِـرُهُ

إذا كانت حمص خالية من وجودك، وأدعو ألا تخلو أبداً، فعندئذ لا سقاها ما ينزل مبكراً من الوسمي (أول المطر)

دَخَـلْـتَـهـا وشـعـاعُ الـشَّـمـسِ مُـتَّـقِـدٌ   ونورُ وجْهِكَ، بينَ الخَلْقِ، باهِرُهُ

دخلتَها أنت والشمس متوهجة، ولكن نور وجهك، من بين وجوه كل الناس، يغلب شعاع الشمس

في فَيْلَقٍ مِنْ حَديدٍ لوْ قَذَفْتَ بِهِ   صَـرْفَ الـزمـانِ لـمـا دارتْ دوائِـرُهُ

دخلتَ حمص في فيلق (عسكر) يراه الرائي فيرى حديداً؛ ولو قذفت بهذا العسكر صرف (قسوة) الزمان لما دارت دوائر الزمان (لما نفذت أحكامه)

١٣ مشغول بالعشق

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي: ٤/ ٢٩

عَزيزُ إسـاً مَنْ دَاؤهُ الـحَدَقُ الـنُّجْلُ   عَـيـاءٌ بِـهِ مـاتَ الـمُـحِـبُّونَ مِـنْ قَـبْـلُ

عزيزُ إساً (قليل دواء) ذلك الذي داؤه (مرضه) الحَدَق (العيون) النجل (الواسعة)، وهذا المرض عياء (يعيي الأطباء) وقد مات به من قبل المحبُّون

فَمَنْ شاءَ فَلْيَنْظُرْ إليَّ، فَمَنظَري   نَذِيرٌ إلى مَنْ ظَنَّ أنَّ الـهوى سَهْلُ

فمن شاء فلينظر إليَّ فمنظري نذير (إنذار) لمن ظن أن الهوى سهل

ومـا هِـيَ إلَّا لَـحْـظَـةٌ بَـعْـدَ لَـحْـظَـةٍ   إذا نَـزَلَـتْ فـي قَـلْـبِـهِ رَحَـلَ الـعَـقْـلُ

إن هي إلا لحظة (نظرة) بعد لحظة، فإذا نزلت النظرة في قلب المحب رحل عقله

جَرى حُبُّها مَجْرى دَمِي في مَفاصِلِي   فأصبحَ لِي، عَنْ كلِّ شُغْلٍ، بِها شُغْلُ

١٤ قلادة من دمي

قال المتنبي يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي: ٨/ ٤٠

إنَّ التي سَفَكَتْ دَمي بِجُفُونِها   لَمْ تَدْرِ أنَّ دَمِي الذي تَتَقَلَّدُ

إن التي سفكت دمي (يقصد قتلتني عشقاً) بجفونها، لم تدر (لم تعلم) أن القلادة التي تتقلدها (ولعلها من عقيق أحمر، أو من ذهب أحمر) إنما هي دمي، فدمي في رقبتها وهي تبوء به. الشارحون الستة الذين أنظر في شروحهم الآن (اليازجي والمعري والعكبري والواحدي والبرقوقي وابن جني) يقولون إن معنى البيت: «إن التي سفكت دمي تقلدت هذا الدم، أي باءت به،» وابن جني لم يشرحه أساساً. وهذا التفسير مقصِّر عن لفظ البيت. ولا أرى إلا أن أبا الطيب أراد بـ «تتقلد» معناها الحسي، أي تلبس في جيدها قلادة. وليست هذه المرة الوحيدة التي يصف فيها المتنبي حلي البدويات بالحمرة: مَنِ الجآذر في زي الأعاريب/**حمر الحلى** والمطايا والجلابيب.
ومفتاح اختلافي مع الشراح كلمة «الذي»

قالتْ، وقدْ رَأَتِ اصْفِرارِيَ: مَنْ بِهِ؟   وتَنَهَّدَتْ، فأجَبْتُها: المُتَنَهِّدُ

قالت المحبوبة وقد رأت اصفرار وجهي: من به (من صنع به ذلك؟) ثم تنهدت. فأجبتها: الذي صنع به ذلك هو المتنهد (أي أنتِ)

فَمَضَتْ، وقد صَبَغَ الحياءُ بَياضَها   لَوْني، كَما صَبَغَ الُلجَيْنَ العَسْجَدُ

فمضت وقد صبغ الخجل بياضها بلوني أنا الأصفر، مثلما يصبغ العسجد (الذهب) اللجين (الفضة) إذ تطلى بالذهب. يقول الشراح إن المحبوبة اصطبغت باللون الأصفر خوفاً. فاقتنِعْ بقولهم إن شئت

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ، مِنْ دونِها   سَلْبُ النُّفوسِ ونارُ حَرْبٍ تُوقَدُ

محبوبته عدوية (من بني عديّ) بدوية، ومِنْ دونها (قبل الوصول إليها) سلب النفوس (القتل) واتقاد نار الحرب

كُنْ حيثُ شئتَ تَسِرْ إلَيْكَ رِكابُنا   فَالأرضُ واحدةٌ، وأنْتَ الأوْحَدُ

يخاطب المنبجي الممدوح: كن حيث شئت فستصل إليك ركابنا (نياقنا)، فالأرض واحدة مهما بعدت المسافة، وأنت واحد لا مثيل لك في كرمك

وَصُنِ الحسامَ، ولا تُذِلْهُ فَإنَّهُ   يَشْكو يَمِينَكَ، والجَماجِمُ تَشْهَدُ

صن (احفظ) الحسام، ولا تذله (لا تمتهنه) فإنه يشكو يمينك لكثرة ما ضرَبَتْ به، وجماجم أعدائك تشهد بذلك

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ، وَهْوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ، وكأنَّما هُوَ مُغْمَدُ

يبس النجيع (الدم) على السيف وهو مجرد من غمده (قرابه)، فصار كأنه محفوظ داخل غمد من الدماء المتيبسة عليه

رَيَّانُ، لو قَذَفَ الذي أسْقَيْتَهُ لَجَرى مِنَ المُهَجاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ

سيفك ريَّان (مرتوٍ) من الدم، ولو قَذَفَ بالدم الذي أسقيتَه إياه لجرى مما عليه من المهجات (دماء القلوب) بحر مزبد (يعلوه الزبد)

١٥ قاتل الزمن

قال المتنبي وقد عذله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان شاهده من تهوره: ٦/٢

أمِثْلي تأخُذُ النَّكَباتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلاقاةِ الحِمَامِ؟

شخص مثلي.. هل تأخذ النكبات منه (من عزمه)؟ وهل يجزع (يرتبك) من ملاقاة الحمام (الموت)؟

ولو بَرَزَ الزَّمانُ إليَّ شَخْصاً لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي

ولو برز (ظهر) الزمان إلي شخصاً (في صورة إنسان) لخضَّب سيفي (صبغ بالدم) شعر مفرقه (رأسه)

١٦ بكاء الغيوم

قيل إن القصيدة قيلت سنة ٣٢١، ولم يظهرها المتنبي إلا بعد سنوات كثيرة: ٣٣/٧

ذِكَرُ الصِّبَا ومَرَاتِعِ الآرامِ جَلَبَتْ حِمَامي قَبلَ وقتِ حِمامي

ذِكَر (ذكريات) الصبا ومراتع (مراعي) الآرام (الغزلان البيض) جلبت حمامي (موتي) قبل وقته

دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الهُمومُ عَلَيَّ في عَرَصاتِها، كَتَكاثُرِ اللُّوَّامِ

تلك دمن (خرائب) أتيت أزورها فتكاثرت الهموم على في عرصاتها (ساحاتها) كتكاثر اللائمين، الذين يلومونني للإسراف في التوجع على أيام الأحبة

وكَأَنَّ كُلَّ سحَابةٍ، وَقَفَتْ بِها تَبْكي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ

وكأن كل سحابة قد وقفت تمطر فوق تلك الديار الخربة كأنها تبكي بعيني عروة بن حزام (العاشق الشاعر القديم)

ولَطالَمَا أفْنَيْتُ رِيقَ كَعَابِها فِيها، وأَفْنَتْ بِالعِتَابِ كَلامي

وكثيراً ما أفنيت (استنزفت) في هذه الديار ريق كعابها (فتياتها) بقبلاتي، وأخرستني أولئك الفتيات بكثرة عتابهن.

قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالفِرَاقِ مَجَانَةً   وتَجُرُّ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وعُرَامِ

كنت يا هذا ـ يخاطب نفسه ـ تهزأ بالفراق وأثره على سبيل المجانة (الاستخفاف) وتجر ذيل التهور والشراسة. يقول: إنه كان يهزأ بالفراق ويتصرف باستخفاف وتهور وشراسة

ليسَ القِبَابُ على الرِّكابِ، وإنَّما   هُنَّ الحياةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلامِ

والآن يرحل الأحبة، وما تراه ليس القباب (الهوادج) فوق الركاب (الإبل)، بل هذه حياتي ترحل عني برحيلهنّ. التسويد من أ. عبد الرحيم

ليتَ الذي خَلَقَ النَّوى جَعَلَ الحَصَى   لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلي وعِظَامي

ليت خالق النوى (الفراق) جعل بدل الحصى الذي تدوسه الإبل مفاصلي وعظامي لكي أموت وأتخلص من هذا العذاب

١٧ لا لشيء إلا لأني غريب

قال المتنبي وكتب بها إلى الوالي وقد طال اعتقاله: ٣/ ٤

بِيَدِي أَيُّهَا الأَمِيرُ الأَرِيبُ   لا لِشَيْءٍ، إلَّا لِأَنِّي غَرِيبُ

بيدي (أي خذ بيدي) أيها الأمير الأريب (الذكي)، لا لشيء إلا لأنني غريب. هذا بيت نادر: لن ترى المتنبي رقيقاً هذه الرقة أبداً بعد ذلك. كان، عندما قالها، فتىً ناشئاً

أو لِأُمٍّ لها إذا ذَكَرَتْنِي   دَمُ قَلْبٍ في دَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ

أو كرامةً لأمي، التي لها ـ عندما تتذكرني ـ دم قلب يختلط بدمع عينها إذ تبكي دماً

إنْ أَكُنْ قَبْلَ أنْ رَأَيْتُكَ أَخْطَأْ   تُ، فَإِنِّي عَلى يَدَيْكَ أَتُوبُ

إن كنت أخطأت قبل أن أراك فأعطني فرصة لأتوب على يديك

١٨ اضطرار الأسد

أهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص، فقبلها على الرغم من أن مهديها كان انتقص منه عند الوالي الذي اعتقله، فكتب المتنبي إليه من السجن: ٤/ ٤

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّواءِ والتَّلَفِ   والسِّجْنِ والقَيدِ يا أبا دُلَفِ

ما أهونَ طول الثواء (المكوث) والتلف (الإنهاك) والسجن والقيد يا أبا دلف

غيرَ اخْتِيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِي،   والجوعُ يُرْضِي الأُسودَ بالجِيَفِ

دون أن أكون مخيراً قبلتُ برَّك (إحسانك) بي، فالجوع يجعل الأسود ترضى أكل الجيف (الجثث)

كُنْ أيُّها السِّجنُ كَيْفَ شئتَ، فَقَدْ   وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نفسَ مُعْتَرِفِ

كن أيها السجن كيف شئت فإنني وطنت (هيَّأت) للموت نفسي معترفاً بالحقيقة المرة

لـو كـانَ سُكْـنَـايَ فـيـكَ مَـنْـقَـصَـةً   لـم يَـكُـنِ الـدُّرُّ سـاكـنَ الـصَّـدَفِ
أيها السجن لو كان سكناي (إقامتي) فيك منقصة (عيباً) لما كان الدر (اللؤلؤ) يقيم مسجوناً داخل الصدف

١٩ عند انقطاع الرجاء

كتب المتنبي من السجن يستعطف الوالي الذي حبسه:
(نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٨/ ٣٠

أمـالِـكَ رِقِّـي! وَمَـنْ شَـأْنُـهُ   هِـبـاتُ الـلُّـجَـيْـنِ وعِـتْـقُ الـعَـبـيـدِ
يا مالك رقي (عبوديتي)، ويا من شأنه (عادته) هبات اللجين (هدايا الفضة) وعتق العبيد..

دَعَـوْتُـكَ عِـنْـدَ انـقـطـاعِ الـرَّجـا   ءِ، والـمـوتُ مِـنِّـي كَـحَـبْـلِ الـوَرِيـدِ
دعوتك (ناديتك) عند انقطاع رجائي من الناس، وعندما صار الموت قريباً مني قرب الوريد

دعَـوْتُـكَ لـمـا بَـرانـي الـبَـلاءُ   وَأَوْهَـنَ رِجْـلَـيَّ ثِـقْـلُ الـحَـديـدِ
دعوتك (ناديتك) لما براني البلاء بَرْياً، وأوهن (أرهق) رجليَّ ثقل حديد القيود

وقـدْ كـان مَـشْـيُـهُـمـا فـي الـنِّـعـالِ   فَـقَـدْ صـارَ مَـشْـيُـهُـمـا فـي الـقُـيُـودِ
وقد كان مشي رجليَّ في النعال، وصارتا تمشيان في القيود

وكُـنْـتُ مِـنَ الـنَّـاسِ فـي مَـحْـفِـلٍ   فـهـا أنـا فـي مَـحْـفِـلٍ مِـنْ قُـرُودِ
وكنت أعاشر الناس في محافلهم (مجالسهم)، وانا الآن في مجلس من القرود (نزلاء السجن من الأشقياء والمجرمين)

فَـمَـا لَـكَ تَـقْـبَـلُ زُورَ الـكَـلامِ   وقَـدْرُ الـشَّـهـادَةِ قَـدْرُ الـشُّـهـودِ
فما لك تقبل زور الكلام (الكلام الباطل)، وقيمة الشهادة بحسب قيمة الشهود، والشهود مغرضون كاذبون

فَـلا تَـسْـمَـعَـنَّ مِـنَ الـكَـاشِـحِـيـنَ   ولا تَـعْـبَـأَنَّ بِـعِـجْـلِ الـيَـهُـودِ
فلا تسمع كلام الكاشحين (مضمري العداوة)، ولا تعبأ (لا تهتم) بعجل اليهود (أي بالباطل الذي يشبه عجل الذهب الذي عبده اليهود في غيبة موسى النبي)

وكُـنْ فـارِقـاً بـيـنَ دَعْـوى (أَرَدْتُ)   ودَعْـوَى (فَـعَـلْـتُ) بِـشَـأْوٍ بَـعـيـدِ
وكن فارقاً (مفرّقاً) بين دعوى تقول إنني «أردت» فعل شيء، ودعوى تقول إنني «فعلت» ذلك الشيء حقاً، بشأوٍ بعيد (بمسافة بعيدة). يقول: عليك أن تفرق بين زعمهم أنني (قلت) شيئاً وزعمهم أنني (فعلت) ذلك الشيء، فأنا برئ نُقل عني قول، ولكنني لم أفعل شيئاً

٢٠ شارب شرابها

قدم له بعضهم خمراً فقال المتنبي: ١/ ٢

إذا ما شَرِبْتَ الخَمْرَ صِرْفاً مُهَنَّأً   شَرِبْنا الذي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الكَرْمُ

إذا أنتَ شربتَ الخمر صرفاً (خالصةً غير ممزوجة) وأنت مهنأ (منشرح)، فنحن نشرب من الماء الذي شرب مثلة الكرم (بستان العنب). المتنبي يشرب الماء فقط

٢١ نهر الدموع

قال المتنبي يمدح محمد بن زريق الطرسوسي: ٢/ ٣٠

إنْ كنْتِ ظاعِنَةً فإنَّ مَدامِعِي   تَكْفِي مَزادَكُمُ وتَرْوِي العِيسَا

إن كنتِ ظاعنة (راحلة)، فإن مدامعي (دموعي) تكفي مزادكم (قِربَتَكُمْ)، وتروي العيس (الجمال). يقول: إن دمعه غزير برحيل المحبوبة

بَيْضَاءُ، يَمْنَعُهَا التَكَلُّمَ دَلُّها   تِيهاً، ويَمْنَعُها الحياءُ تَمِيسَا

المحبوبة بيضاء يمنعها دلها (دلالها) من التكلم تيهاً (فخراً)، ويمنعها الحياء من أن تميس (تتبختر). ولم ير شراح المتنبي تناقضاً بين التيه والحياء، ولا نحن نرى

٢٢ النسخة الأصلية للمجد

قال المتنبي يمدح عبد الله بن يحيى البحتري: ٣/ ١٦

أحْيَيْتَ للشُّعَراءِ الشِّعْرَ فامتَدَحُوا   جميعَ مَنْ مَدحُوهُ بالذي فِيكَا

أنت يا عبد الله بن يحيى أحييت للشعراء الشعر، إذ اهتدوا بسببك إلى الصفات الكريمة وصاروا يخلعونها على جميع الأمراء الذين مدحوهم

وعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ المجدَ، واقتَدَروا   على دقيقِ المعاني مِنْ مَعَانِيكَا

وعلَّم الشعراءُ الناسَ المجدَ بذكر صفاتك، وصاروا قادرين على صياغة المعاني الدقيقة لأنهم رأوها ممثلة فيك

فَكُنْ كَمَا شئتَ، يا مَنْ لاشبِيهَ لَهُ   وكيفَ شئتَ، فما خَلْقٌ يُدانِيكَا

فكن كما شئت، يا من لا يشبهه أحد، وكن كيف شئت، فليس هناك خلق (أحدٌ) يدانيك (يقرُبُ منك)

٢٣ شجر ينوح مع الحمام

قال المتنبي يمدح مساوِر بن محمد الرُّومي: ٣/ ٣٤

لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ، وغَادَرَتْ صَنَماً مِنَ الأَصنام لولا الروحُ

لعبت بمِشية المحبوب الشمول (الخمر)، وغادرته (تركته) بعد ذلك نشوان ساكناً، فهو كالصنم لولا أن فيه روحاً. وكانوا يصفون المرأة الجميلة بأنها كالصنم، وحماتي كانت تشبهها باللُّعبة

ما بالُهُ! لاحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَناتُهُ، وفُؤادِيَ المجروحُ

ما بال المحبوب! لاحظته (رمقته) فتضرجت (احمرَّت) وجناته (خدوده)، مع أن المجروح بحبه والأحق بالاحمرار قلبي

يَجِدُ الحَمامُ، ولو كَوَجْدِي لانْبَرى شَجَرُ الأَرَاكِ مَعَ الحَمامِ يَنوحُ

يَجِدُ (يتألم وَجْداً وعشقاً) الحَمام، ولو كان وجده مثل وجدي لانبرى (لتصدى) شجر الأراك للنواح مع الحمام

٢٤ التمادي في التمادي

قال المتنبي يمدح علي بن إبراهيم التنوخي: ١٢/ ٤٣

إلى كَمْ ذا التَّخلُّفُ والتَّواني وكَمْ هذا التَّمادِي في التَّمادِي

حتى متى أتخلف وأتوانى عن طلب المجد، وكم يطول بي التمادي في التمادي (يقصد الكسل)

وشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المَعَالي بِبَيْعِ الشِّعْرِ في سوقِ الكَسَادِ

وإلى متى أشغل نفسي عن المعالي ببيع الشعر في سوق كاسدة لا ينفق الشعر فيها

ومَا مَاضِي الشبابِ بِمُسْتَرَدٍّ ولا يومٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ

أَأَرْضَى أَنْ أعيشَ ولا أُكَافي على مَا لِلأميرِ مِنَ الأيادي

الأيادي: النِعَم

فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي وأَجْلَسَني على السَّبْعِ الشِّدَادِ

رفع الأمير محلي، وأجلسني فوق السبع الشداد (السماوات السبع)

تَهَلَّلَ قبلَ تَسْلِيمي عَلَيْهِ وأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الوِسَادِ

كان بشوشاً بي قبل أن ألقيَ السلام؛ وقبل أن يلقيَ لي وسادة أجلس عليها ألقى بماله وعطاياه

نَلُومُكَ يا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ لأَنَّكَ قد زَرَيْتَ على العِبادِ

نلومك وليس لك ذنب، فقط أنت زريت (حقرت) الناس لأن عظمتك أبرزت دناءتهم

كَـأَنَّ الـهَـامَ فـي الـهَـيْـجَـا عُـيـونٌ   وقـد طُـبِـعَـتْ سـيـوفُـكَ مِـنْ رُقَـادِ

كأن الهام (الرؤوس) في الهيجاء (الحرب) عيون، وسيوفك مطبوعة (مسبوكة) من الرقاد (النوم) فهي تدخل العيون

وقـد صُـغْـتَ الأَسِـنَّـةَ مِـنْ هُـمُـومٍ   فَـمـا يَـخْـطُـرْنَ إلا فـي الـفُـؤادِ

وقد صنعتَ أسنة رماحك من الهموم فلهذا نراها تخطر في الفؤاد، أي تطعن الأعداء في قلوبهم

فــلا تَــغْــرُرْكَ أَلْــسِــنَــةٌ مَــوَالٍ   تُــقَــلِّــبُــهُــنَّ أفْــئِــدَةٌ أَعَــادِ

فلا تغتر بألسنةٍ مَوَالٍ (أنصار) لأن القلوب التي تحرك هذه الألسنة قلوبٌ أعداء

وَكُـنْ كـالـموتِ، لا يَـرْثـي لِـبَـاكٍ   بَـكـى مِـنْـهُ، ويَـرْوَى وَهْـوَ صَـادِ

كن كالموت لا يحزن على الذين يبكون وهو مقبل عليهم، ويرتوي من البشر ويظل مع ذلك صادياً (عطشان)

فَـإِنَّ الـجُـرْحَ يَـنْـفِـرُ بَـعـدَ حِـيـنٍ   إذا كـانَ الـبِـنـاءُ عَـلـى فَـسَـادِ

فالجرح ينفر (ينفتح) بعد حين إذا كان مضمداً على فساد، وكذلك المراؤون فهم، على حلاوة في ألسنتهم، يحملون في قلوبهم الحقد القديم الذي لم يندمل

٢٥ داحي الأرض

قال المتنبي يمدح الحسين بن إسحق التنوخي: ٣/ ٣٩

يُـحـاذِرُنـي حَـتْـفِـي كـأَنِّـيَ حَـتْـفُـهُ   وتَـنْـكُـزُنـي الأَفْـعَـى فَـيَـقْـتُـلُـهَـا سُـمِّـي

يحذر حتفي (موتي) مني كأنني أنا حتفٌ له، وتنكزني (تلسعني) الأفعى فيقتلها سمي

طِـوَالُ الـرُّدَيْـنِـيَّـاتِ يَـقْـصِـفُـهـا دَمـي   وبِـيضُ الـسُّـرَيْـجِـيَّـاتِ يَـقْـطَـعُـهـا لَـحْـمِـي

طوال الردينيات (الرماح الطويلة) تتقصف في دمي إذ تصيبني، وبيض السريجيات (السيوف البيض) يقطعها لحمي

كَأَنِّي دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خِبْرَتِي بِهَا   كَأَنِّي بَنَى الإِسْكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمي

كأني أنا الذي دحوت (بسطت) الأرض من شدة خبرتي (معرفتي) بتضاريسها، وكأن الإسكندر بنى السد (بين يأجوج ومأجوج) من عزمي (تصميمي). كان في المتنبي، وربما في عصره أيضاً، اجتراء على الدين. فالقرآن يقول: «والأرض بعد ذلك دحاها»، والمتنبي يقول «كأني دحوت الأرض». وأما الشطر الثاني فمن فاخر الشعر، وجاء في القرآن أن ذا القرنين (الإسكندر) بنى سداً من الحديد والنحاس، وفسر المفسرون أن غرضه كان صد أقوامٍ نصفِ بشر

٢٦ سادة وعبيد

قال المتنبي يمدح علي بن إبراهيم التنوخي: ٧/ ٤٤

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الهِمَمُ   أَحْدَثُ شيءٍ عَهْداً بِها القِدَمُ

أحقُّ عافٍ (موقع متهدِّم) بدمعك هو الهمم (الطموحات)، فالهمم زالت منذ زمن بعيد وصار أحدث شيء بها عهداً القدم نفسه. يقول: الطموحات الكبيرة التي تجعل الناس يترفعون عن سفاسف الأمور زالت، حتى إن أقرب شيء لها زمناً هو القِدَم نفسه. طريقة غريبة في التعبير. وهذه الطموحات هي أجدر الأطلال بالدموع، فلنترك البكاء على أطلال المحبوبة في بداية هذه القصيدة كما يفعل الشعراء، ولنبك أطلال الهمم

وإنَّما النَّاسُ بالملوكِ، ومَا   تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلوكُها عَجَمُ

الناس بملوكهم، ولا يفلح العرب إذا كان ملوكهم عجم. لست متأكداً من صحة هذا. التقيت وزملاء لي برئيس الجامعة الأميركية بالقاهرة - وهو أميركي - ومعه عدد من مساعديه ضمن وفد. وتحادثنا حديث مؤسسات ومجاملات. لكنني لم أملك نفسي أن أسأله: لا أكاد أرى لامعاً في البلد إلا وهو أستاذ عندكم. يبدو أنكم تدفعون كثيراً! غمز الرجل بعينه بخبث وأجاب: بل لنا عين تلتقط المواهب. وأظن أنَّ كلَيْنا صادق. كلما رأيت الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأميركية في القاهرة وأختها في بيروت باركت لهما، وزادت نقمتي على جامعاتنا العربية التي تمولها الحكومات

لا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلا حَسَبٌ   ولا عُهُودٌ لَهُمْ، ولا ذِمَمُ

أولئك الملوك لا أدب عندهم ولا حسب (مجد موروث)، ولا كلمة لهم يحافظون عليها

بِكُلِّ أرْضٍ وَطِئْتُها أُمَمٌ   تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأنَّها غَنَمُ

في كل أرض وطئتها (دستها) أمم يرعاها (يسوسها) عبد، فكأنها غنم (ماعز)

يَسْتَخْشِنُ الخَزَّ حينَ يَلْمَسُهُ   وكانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ القَلَمُ

هذا الحاكم العبد يجد الخز (الحرير) الآن خشناً لطيب عيشه، لكنه في أيام العبودية كان هو نفسه خشناً إلى درجة أن القلم (عود القصب) كان يُبرى بظفره

إنِّي، وإنْ لُمْتُ حاسِدِيَّ، فَما   أُنْكِرُ أنِّي عُقوبَةٌ لَهُمُ

رغم أنني ألوم من يحسدونني فإنني لا أنكر أن مجرد وجودي هو عقوبة لهم

وكَيفَ لا يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ   لَهُ على كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ

وكيف لا يُحسَد شخص علم (مهم) ارتفع فصارت قدمه فوق كل هامة (رأس)

٢٧ نحو أنطاكية على ناقتين

قال المتنبي يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي: ٩/ ٣٩

هـامَ الـفُـؤادُ بـأَعـرابِـيَّـةٍ سَـكَـنَـتْ بَيْتاً مِنَ القَلْبِ، لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبا

هام الفؤاد بأعرابية جعلت من قلبي بيتاً لها، بيتاً لم تمدَّ هذه الحسناء له طنباً (حبل الخيمة)

مَظْلومةُ القَدِّ في تَشْبيهِهِ غُصُناً مَظْلومةُ الرِّيقِ في تَشبيهِه ضَرَبا

نظلم قدها إذا شبهناه بالغصن، ونظلم ريقها إذا شبهناه بالضَرَب (العسل)

بَيْضاءُ تُطْمِعُ في ما تَحتَ حُلَّتِها وعَـزَّ ذَلـكَ مَـطْـلـوبـاً إذا طُـلِـبـا

هذه الأعرابية بيضاء تُطمِع الناس (تجعلهم يطمعون) في ما تحت حلتها (ثوبها) ـ بدلالها تجعل الناس يطمعون في جسمها ـ، وهذا الجسم عزيز (صعب المنال)

لـمَّا أَقَـمْتَ بـأنْـطـاكِيَّةَ اختَـلَفَـتْ إليَّ بِالـخَبَرِ الرُّكْبانُ في حَـلَـبا

عندما أقمتَ أنت (مكثتَ) في أنطاكية أيها الممدوح اختلفت (توافدت) إليَّ الركبان (المسافرون) في حلب يحملون الخبر

فَسِرْتُ نَحوَكَ لا أَلْوِي على أَحَدٍ أَحُـثُّ راحِلَـتَـيَّ: الـفَـقْـرَ والأَدَبـا

فسرتُ نحوك لا ألوي (لا ألْتفتُ) على أحد، أحثُّ راحلتيَّ (ناقتيَّ): وهاتان الناقتان ما هما إلا فقري وأدبي، فهما الدافع الذي يدفعني نحوك. تسويد أ. عبد الرحيم

وإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ والِدَةً والسَّمْهَرِيَّ أَخاً، والمَشْرَفيَّ أَبا

وإن عمرت (عشت) فسوف أجعل الحرب أمِّي، وسأجعل السمهري (الرمح) أخي، والمشرفي (السيف) أبي

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الموتَ مُبْتَسِماً حـتـى كـأنَّ لـهُ فـي قَـتْـلِـهِ أَرَبـا

سأذهب للحرب مرافقاً كل شخص أشعث (مغبر) يلقى الموت مبتسماً حتى كأن له في قتل نفسه أرباً (هدفاً)

قُحٍّ يَكادُ صَهيلُ الخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ مَرَحاً بِالعِزِّ أَوْ طَرَبا

ورفيقي في القتال قحٌّ (عربي صميم) يكاد صهيل خيل المعركة يقذفه عن سرجه لكثرة مرحه وطربه بالعزّ

فالموتُ أَعْذَرُ لِي، والصَّبْرُ أَجْمَلُ بي والبَرُّ أَوْسَعُ، والدُّنْيا لِمَنْ غَلَبا

الموت عذر كافٍ لي إذا لم أحقق طموحاتي، والصبر أليَقُ بي، والبَر واسع لكي أفر من الذل، والنجاح في الدنيا لمن يحقق الغلبة

٢٨ ناس صغار

قال المتنبي يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي: ٤٣/١١

فـؤادٌ مـا تُـسَـلِّـيـهِ الـمُـدَامُ وعُـمْـرٌ مِـثْـلُ مـا تَـهَـبُ الـلِّـئـامُ

فؤادي فؤاد لا تسليه المدام (الخمر)، وعمري قصير ضئيل كضآلة ما تهب (تعطي) لئام الناس

ودَهْـرٌ نـاسُـهُ نـاسٌ صِـغَـارٌ وإنْ كـانـتْ لـهُـمْ جُـثَـثٌ ضِـخَـامُ

وهذا الدهر ناسه صغار النفوس، وإن كانت لهم جثث ضخمة

ومَـا أنـا مِـنْـهُـمُ بـالـعـيْـشِ فـيـهِـمْ ولَـكـنْ، مَـعْـدِنُ الـذَّهَـبِ الـرَّغـامُ

وما أنا جزء من هؤلاء الناس لكوني أعيش فيهم (بينهم)، فمعدن (خام) الذهب الرغام (التراب).
يقول: وجودي بين الناس اللئام كوجود الذهب الثمين في خام من التراب

أَرَانِـبُ، غـيـرَ أَنَّـهُـمُ مُـلـوكٌ مُـفَـتَّـحَـةٌ عُـيـونُـهُـمُ، نِـيَـامُ

هم كالأرانب ـ وقالوا الأرانب تنام مفتوحة الأعين ـ، فهم مغفلون وإن ظهر غير ذلك، ولكنهم مع ذلك ملوك

خَليلُكَ أَنْتَ، لا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وإنْ كَـثُـرَ الـتَّـجَـمُّـلُ والـكـلامُ

خليلك (صاحبك) هو نفسك، وليس من تظنه صاحبك، مهما كثر التجمل (التملق) من جانبه والكلام

ولـوْ حِـيـزَ الـحِـفَـاظُ بِـغَـيْـرِ عَـقْـلٍ تَـجَـنَّـبَ عُـنْـقَ صَـيْـقَـلِـهِ الـحُـسَـامُ

لو حيز (اكتُسب) الحفاظ (الشهامة) بدون عقل لكان السيف تجنب أن يقطع عنق صيقله (صانعه)

وشِـبْـهُ الـشـيءِ مُـنْـجَـذِبٌ إلـيـهِ وأَشْـبَـهُـنـا بِـدُنـيـانَـا الـطَّـغَـامُ

كل شيء منجذب إلى شبيهه، وأشبه الناس بالدنيا الطغام (السفلة). يقول: السفلة ينالون خير الدنيا لأنهم يشبهونها في سفالتها، وكل شيء منجذب إلى شبيهه

ولـو لـمْ يَـعْـلُ إلَّا ذُو مَـحَـلٍّ تَـعَـالـى الـجيْشُ، وانْـحَـطَّ الـقَـتَـامُ

ولو لم يعل (يصعد عالياً) إلا ذو محل (صاحب فضل)، لكان الجيش تعالى (ارتفع)، ولكان القتام (الغبار) انحط (هبط). يقول: الفاضلون يهبطون في هذه الدنيا، فليس كل مستحق ينال المكانة التي يستحقها، انظر إلى الغبار التافه في المعركة تره يرتفع، وأما الجيش فهو على الأرض

ومـا كُـلٌّ بِـمَـعْـذُورٍ بِـبُـخْـلٍ ولا كـلٌّ عـلـى بُـخْـلٍ يُـلامُ

ليس كل إنسان معذوراً على بخله، ولا كل إنسان يستحق اللوم. فاللئيم لا لوم عليه لأنه لئيم، أما الكريم أو ذو الأصل فلا عذر له على البخل

لقدْ حَسُنَتْ بِكَ الأوقاتُ، حتى كَـأنَّـكَ فـي فَـمِ الـزَّمَـنِ ابْـتِـسـامُ

يمدحه: حسنت (طابت) بوجودك الأوقات، فكأنك في فم الزمن ابتسام. تسويد أ. عبد الرحيم

وأُعـطِـيـتَ الـذي لـم يُـعْـطَ خَـلْـقٌ عـلـيـكَ صـلاةُ ربِّـكَ، والـسَّـلامُ

وأعطاك الله ما لم يعطه أحداً من الخصال الكريمة، فعليك صلاة الله (رحمته) وسلامه

٢٩ زخَّات المصائب

قال المتنبي يمدح علي بن منصور الحاجب: ٤٠/١٤

بأَبي الشمـوسُ الجانـحاتُ غَـوَارِبا الـلابِـسـاتُ مِـنَ الـحـريـرِ جَـلابِـبَـا

بأبي (أفدي بأبي) هؤلاء الحسان اللائي يشبهن الشموس الجانحة (المائلة) للغروب، فهن على وشك الرحيل، واللابسات جلابيب من الحرير

الـنَّـاعِـمَـاتُ الـقـاتِـلاتُ الـمُـحْـيِـيـا تُ الـمُـبْـدِيـاتُ مِـنَ الـدَّلالِ غَـرائِـبـا

أفدي بأبي الناعمات القاتلات المحييات المبديات من فنون الدلال كل غريب. التسويد لأحمد عبد الرحيم، وفوقه: «يا عيني!»

حـاوَلْـنَ تَـفْـدِيَـتـي، وخِـفْـنَ مُـراقِـبـا فَـوَضَـعْـنَ أَيْـدِيَـهُـنَّ فَـوْقَ تَـرائِـبَـا

حاولن القول «فديناك»، وخفن أن يراهن رقيب، فوضعن أيديهن فوق الترائب (أعلى الصدور)، فهن يقلن هذه العبارة بالإشارة

وبَـسَـمْـنَ عَـنْ بَـرَدٍ خَـشِـيـتُ أُذيـبُـهُ مِـنْ حَـرِّ أنـفـاسـي، فَـكُـنـتُ الـذَّائِـبـا

وابتسمن فظهرت أسنانهن التي تشبه البَرَد، وخشيت أن أذيب هذا البرد بحر أنفاسي، فكنت أنا الذائب ألماً لفراقهن

كيف الرجاءُ مِنَ الخُطوبِ تَخَلُّصاً مِـنْ بَـعْـدِ مـا أنْـشَـبْـنَ فِـيَّ مَـخـالِـبَـا

كيف أرجو أن أتخلص من الخطوب (المصائب) من بعد ما أنشبت (غرزت) المصائب فيَّ مخالبها

أَوْحَـدْنَـنـي، وَوَجَـدْنَ حُـزْنـاً واحِـداً مُـتَـنَـاهِـيـاً فَـجَـعَـلْـنَـهُ لِـيَ صـاحِـبَـا

المصائب أوحدنني (جعلنني واحداً منفرداً لا يختلط بي الناس)، ووجدن حزناً كبيراً متناهياً في الإيلام فجعلن هذا الحزن صاحباً ملازماً لي

وَنَـصَـبْـنَـنـي غَـرَضَ الـرُّمـاةِ تُـصـيـبُـنـي مِـحَـنٌ أَحَـدُّ مِـنَ الـسُّـيـوفِ مَـضَـارِبَـا

ونصبتني المصائب غرضاً (هدفاً) للرماة، فالمحن تصيبني، وهي أكثر حدَّة من مضارب (نصال) السيوف

أَظْـمَـتْـنِـيَ الـدُّنْـيـا، فَـلَـمَّـا جِـئْـتُـهـا مُـسْـتَـسْـقِـيـاً، مَـطَـرَتْ عَـلَـيَّ مَـصَـائِـبـا

أظمتني الدنيا (أعطشتني)، فلما جئتها مستسقياً (طالباً الشرب) أمطرت علي مصائبَ

حالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصورٍ بِها   جاءَ الزمانُ إليَّ مِنْها تائِبا

وهذه حال إذا علم بها ابن منصور، الممدوح، فإن الزمان سيأتيني تائباً. أي أن ابن منصور سيكافئني مكافأة تجعل الزمان يضحك لي مكفراً عن سالف ذنوبه

هذا الذي أَفْنَى النُّضارَ مَوَاهِباً   وَعِدَاهُ قَتْلاً، والزمانَ تَجارِبَا

هذا الرجل أفنى النضار (الذهب) مواهبَ (عطايا وهبات)، وأفنى عداه (أعداءه) قتلاً، وأفنى العمر تجارب

هذا الذي أبصرتُ مِنْهُ حاضِراً   مِثْلَ الذي أبصرتُ منهُ غائِبَا

هذا الشخص هو الذي رأيتُ خيره وأنا عنده مثلما رأيته وأنا غائب عنه، لشدة كرمه

كالبدرِ مِنْ حيثُ التفتَّ رأيتَهُ   يُهْدِي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِبَا

الثاقب: المتقد

كالبَحْرِ يقْذِفُ للقَرِيبِ جَوَاهِراً   جُوداً، ويبْعَثُ للبَعِيدِ سَحائِبَا

إنه كالبحر: يقذف الجواهر (اللؤلؤ) للقريب لشدة جوده، ويبعث للبعيد السحب الماطرة

كالشَّمسِ في كَبِدِ السماءِ، وضَوْؤُها   يَغْشى البلادَ، مَشارِقاً ومَغارِبَا

إنه كالشمس البعيدة في كبد السماء (وسطها)، ولكن ضوءها يغشى (يأتي) مشارق البلاد ومغاربها.
تسويد الأبيات الثلاثة الأخيرة أ. عبد الرحيم

٣٠ سره في جفنه

يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذٍ يتولى الفداء بين العرب والروم: ٨/ ٣٩

نَرَى عِظَمَاً بِالبَيْنِ، والصَّدُّ أعظَمُ   ونَتَّهِمُ الواشِينَ، والدَّمْعُ مِنْهُمُ

نستعظم البين (الفراق)، ولكن الصدَّ (الهجران المتعمد) أعظم منه، ونتهم الواشين (النمامين) بإفشاء أسرارنا، مع أن دمعنا هو أحد الواشين فهو يفشي ما بنا من شوق

ومَنْ لُبُّهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حالُهُ؟   ومَنْ سِرُّهُ في جَفْنِهِ، كيف يَكْتُمُ

ومن كان لبه (قلبه) مع غيره فكيف يكون حاله؟ ومن كان سره مملوكاً لجفنه فكيف يكتم ما به من حرقة (فالعين تكشف السر من خلال البكاء)

ولمَّا التقيْنا، والنَّوى ورَقيبُنا   غَفُولانِ عَنَّا، ظَلْتُ أَبْكِي وتَبْسِمُ

ولما التقيت مع المحبوبة، وكان النوى (الفراق) والرقيب غافلين عنا، ظلت (ظللت) أبكي وظلت هي تبتسم

ولم أرَ بَدْراً ضاحِكاً قبلَ وجهِها   ولم تَرَ قَبْلِي مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ

لم أر بدراً يضحك قبل وجهها (يريد أنها قمر)، ولم تر هي قبلي ميتاً يتكلم (فأنا ميت عليها، ميت منها)

فَلَوْ كان قَلبي دارَها كانَ خَالِيَاً ... ولكنَّ جَيْشَ الشَّوقِ فيهِ عَرَمْرَمُ

وهذه الحسناء، ككل حسان المتنبي، أعرابية وبيتها صار فارغاً لأن قومها رحلوا. ولو كان قلبي مثل بيتها لكان فارغاً من الهوى، ولكن جيش الشوق في قلبي عرمرم (كبير)

أثافِ بِها مَا بِالفُؤادِ مِنَ الصِّلَى ... ورَسْمٌ كَجِسْمي ناحِلٌ مُتَهَدِّمُ

ويصف بيتها الآن: أثاف (حجارة موقد) بها من آثار الصلى (الحَرْق) مثل ما بقلبي، ورسم (طلل) مثل جسمي ناحل (مهزول) ومتهدم

بَلَلْتُ بِها رُدْنَيَّ، والغَيْمُ مُسْعِدي ... وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ، وفي عَبْرَتي دَمُ

بللتُ ردني (كُمَّيْ ثوبي) من دموعي ومن المطر، فقد كان الغيم مسعدي (مساعداً لي) ولكن عبرته (دمعته) صرف (صافية)، أما دمعتي ففيها دم

بِنَفْسي الخيالُ الزَّائِرِي بعدَ هَجْعَةٍ ... وقَوْلَتُهُ لي: بَعْدَنَا الغَمْضَ تَطْعَمُ

أفدي بنفسي الخيال الذي يزورني في أحلامي بعد الهجعة (الإغفاءة)، وأفدي قوله لي معاتباً: نراك بعد فراقنا تَطْعَمُ (تذوق) الغمض (النوم)!

٣١ قمران وأربع ليال

قال المتنبي يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب: ٢/ ٣٧

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِنْ شَعْرِها ... في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيالِيَ أَرْبَعا

نشرت ثلاث ذوائب (خصلات) من شعرها الأسود في الليل، فأرتني بذلك أربع ليال، خصلاتها الثلاث والليل الحقيقي

واسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّماءِ بوجْهِها ... فَأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وَقْتٍ مَعَا

وبرزت بوجهها والقمر في السماء، فجعلتني أرى قمرين في وقت معاً

٣٢ معاهدة مع الأسود

اجتاز المتنبي بمكانٍ يعرف بالفراديس من أرض قنسرين فسمع زئير الأسد، فقال: ٤/ ٤

أَجارُكِ يا أُسْدَ الفَرَادِيسِ مُكْرَمُ ... فَتَسْكُنَ نَفْسي، أمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ؟

هل جارك (الملتجئ إليكِ) يا أسود منطقة الفراديس موضع تكريم، فبذلك تسكن (تهدأ) نفسي؟ أم هو مهان (معرض للهوان) ومسلَم (معرض لتسليمه لمن يطاردونه)؟

ورائي وقُدَّامي عُداةٌ كَثيرةٌ ... أُحاذِرُ مِنْ لِصٍّ، ومِنْكِ، ومِنْهُمُ

ورائي وقدامي عداة (أعداء) كثيرون، وأنا أحاذر (أخاف) من اللصوص، ومنكِ أيتها الأسود، ومن أعدائي

فهلْ لكِ في حِلْفي على ما أُريدُهُ   فإنّي بأَسْبابِ المعيشةِ أعْلَمُ

فهل لك في (هل تقبلين) حلفي (التحالف معي) لكي أحقق ما أريده، فإنني أخبر منك بأسباب (وسائل) المعيشة واكتساب الرزق..

إذن لأتاكِ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ   وأَثْرَيْتِ مما تَغْنَمِينَ وأَغْنَمُ

في هذه الحالة، إذا تم الحلف، سيأتيك الرزق من كل وجهة (جانب)، وستصبحين أيتها الأسود ثرية مما تحصلين عليه أنت وأنا من غنائم

٣٣ ركب مِ الجِنِّ

قال المتنبي يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي: ١٢/ ٣٧

صِلَةُ الهَجْرِ لي، وهَجْرُ الوِصَالِ   نَكَساني في السُّقْمِ نُكْسَ الهِلالِ

صلة الهجر (مصاحبة الهجر) لي، وهجر الوصال (اللقاء) نكساني في السقم (أرجعا إلي المرض) كما يعود القمر للهزال فيصبح هلالاً ويضمحل

فَغَدا الجِسْمُ ناقِصاً، والذي يَنْـ   ـقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ في بَلْبَالي

فجسمي ناقص ومهزول، وما ينقص من جسمي يتحول إلى بلبال (حزن)

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ مِنْ رَيَّـ   ـا، كَخَالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ

قف يا صاحبي بالدمنتين (الخِربتين) بالدوِّ (بالصحراء) وهما منزل المحبوبة ريا، وهما مثل الخال (الشامة) في الوجنة (الخد) الذي بجانبه خال آخر

بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ   في عِرَاصٍ كأنَّهُنَّ لَيَالِ

قف بطلول (خرائب) كأنها نجوم، وهي موجودة وسط عراص (ساحات) كأنها الليالي. ذلك أن الساحات مملوءة بالحجارة السود من أثر المواقد، ولكن الخرائب فيها بقايا عظام وما شابهها فهي بيضاء وسط هذا السواد

ونُؤيٍّ كأنَّهُنَّ عَلَيْهِنَّ   خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ

قف بالنؤيِّ (الخنادق المحفورة حول الخيام) وكأنها حول الخيام خِدام (خلاخيل) خرس بسوق (بسيقان) خدال (غلاظ). يشبه النؤيّ وهي تلك القنوات التي كان البدو يحفرونها حول الخيمة ليجري فيها ماء المطر ولا يدخل الخيمة، يشبهها بالخلاخيل الخرساء، وهي خرساء لأنها تحيط بسيقان سمينة. والعرب تحب ساق المرأة سمينة مملوءة، وتتغزل بالخلخال الأخرس الذي لا يتحرك ولا يصدر صوتاً

نَحْنُ رَكْبٌ مِ الجِنِّ في زِيِّ نَاسٍ   فوقَ طَيْرٍ لها شُخُوصُ الجِمَالِ

نحن ركب (مسافرون) من الجن ولكن لنا زي الناس، ونركب طيراً لكن شكلها شكل الجمال. يصف صحبه الهائمين في الصحارى

مِنْ بَنَاتِ الجَدِيلِ، تَمشي بِنا في الـ   ـبِيـدِ مَـشْـيَ الأَيَّـامِ فـي الآجـالِ

نياقنا من حفيدات الجديل (آدم الإبل)، وهي تمشي بنا في البيد (الصحارى) كما تمشي الأيام في الآجال (الأعمار). فالجمال تنهب الصحراء كما تنهب الأيام الأعمار

رَجُـلٌ طِـيـنُـهُ مِـنَ الـعَـنْـبَـرِ الـوَرْ   دِ وطِـيـنُ الـعِـبـادِ مِـنْ صَـلْـصَـالِ

الممدوح مخلوق من طين لكن طينه من العنبر الورد (الوردي اللون)، في حين الطين الذي خلق منه الناس من صلصال (طين الأرض)

فَـبَـقِـيَّـاتُ طـيـنِـهِ لاقَـتِ الـمـا   ءَ فَـصَـارَتْ عُـذُوبَـةً فـي الـزُّلالِ

وما تبقى من طينٍ عنبريٍّ بعد خلق هذا الرجل اختلط بماء الأنهار والينابيع، ومن هنا صار عندنا ماء عذب زلال

وبَـقَـايـا وقـارِهِ عـافـتِ الـنـا   سَ فَـصَـارَتْ رَكَـانَـةً فـي الـجِـبَـالِ

وقد خلق الممدوح من الوقار، وما تبقى من الوقار بعد خلقه لم يذهب للناس الآخرين بل عافهم (أنف منهم) وتحول إلى ركانة (رسوخ) في الجبال. هذا الخلط بين المادي والمعنوي شيء يحسنه أبو الطيب كما لم نشهد في كل ما سبقه من الشعر: هذا مفتاح آخر لعظمة المتنبي وغرابته وجدته، وهذا مفتاح من مفاتيح سر إعجاب المحدثين به

لَـسْـتُ مِـمَّـنْ يَـغُـرُّهُ حُـبُّـكَ الـسِّـلْـ   ـمَ، وأَنْ لا تَـرَى شُـهُـودَ الـقِـتـالِ

أنا لا أغتر بحبك السلم، وبأنك لا ترى (لا تقرر) شهود (حضور) القتال، فالأمر ليس تجنباً للقتال، بل..

ذاكَ شـيءٌ كَـفَـاكَـهُ عَـيْـشُ شَـانِـيـ   ـكَ ذَلِـيـلاً، وقِـلَّـةُ الأَشْـكَـالِ

إن القتال شيء كفاكه (جنبك إياه) عيش شانيك (كارهك) ذليلاً، وجنَّبك إياه أيضاً قلة الأشكال (الأنداد). فعدوك ذليل، ونظراؤك قليلون ولذا لا حاجة بك للقتال، ولكنك بالطبع بطل عظيم لو دعت الحاجة. وهكذا فالمتنبي يجد العذر للممدوح إن لم يكن قاتلاً فاتكاً، فكأن القتل والفتك هما المحمدة الكبرى

٣٤ بضدها تتبين الأشياء

قال المتنبي يمدح أبا عليٍ هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب، وكان يذهب إلى التصوف: ٦/ ٤٧

أَنَـا صَـخْـرَةُ الـوادِي اذا ما زُوحِـمَـتْ   وإذا نَـطَـقْـتُ فـإنَّـنـي الـجَـوْزَاءُ

أنا راسخ كصخرة الوادي (فالسيل يجرف كل الحجارة، أما الصخرة التي بقيت في الوادي فهي الراسخة) إذا ما زوحمت (تعرضت للمزاحمة والمدافعة) فهي تثبت بالطبع؛ وإذا نطقتُ فكلامي عالٍ كالجوزاء (نجوم برج الجوزاء)

وإذا خَفِيتُ على الغَبِيِّ فَعَاذِرٌ　　أَلّا تَرانِيَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ

وإذا خفيتُ (كنت مجهول القدر) على غبيّ، فأنا أجد عذراً للمقلة (العين) العمياء أن لا تراني

شِيَمُ اللَّيَالي أنْ تُشَكِّكَ نَاقَتي:　　صَدْرِي بِها أَفْضَى أمِ البَيْدَاءُ

شيم الليالي (طباع الزمن) أن تشكك ناقتي: هل صدري أفضى (أوسع) بها (بطباع الزمن) أم البيداء أوسع. فناقة أبي الطيب متعبة وهي تقطع الصحراء التي لا تنتهي، وهي تشك: هل الصحراء أوسع أم صدر هذا الرجل العنيد؟

بيْني وبَيْنَ أبي عَلِيٍّ مِثْلُهُ　　شُمُّ الجِبَالِ، ومِثْلُهُنَّ رَجاءُ

تفصل بيني وبين الممدوح أبي علي جبال شم (عالية) مثله، فهو عالي القدر، وبيني وبينه من رجائي في كرمه ما هو مثل الجبال في الضخامة

مَنْ يَظْلِمُ اللؤمَاءَ في تَكْليفِهِمْ　　أنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أَكْفَاءُ

أبو علي هو من (الذي) يظلم اللؤماء لو كلفهم (أجبرهم) أن يجاروه ليصبحوا أكفاءَ له (أنداداً له)

وَنَذِيمُهُمْ، وبِهِمْ عَرَفْنا فَضْلَهُ　　وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ

ونحن نذيم (نذم) اللؤماء، مع أننا بسببهم عرفنا فضله، فالأشياء تتبين (تصبح واضحة) بمقارنتها مع ضدها (عكسها)

٣٥ الحكم قبل المداولة

قال المتنبي يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني وهو يومئذٍ يتولى حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨: ٤/ ٢٠

كأنَّ نَوالَكَ بعضُ القَضَاءِ　　فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَجِدْهُ جُدُودَا

كأن نوالك (عطاءك) قضاء وقدر، فالذي نناله منك نجده (نعتبره) جدوداً (حظوظاً)

ورُبَّتَمَا حَمْلَةٍ في الوَغَى　　رَدَدْتَ بها الذُّبَّلَ السُّمْرَ سُودَا

وربتما (رب) حملة شننتَها أنت في الوغى (الحرب) رددت بها (حَوَّلتَ بها) الذُّبَّل السمر (الرماح السمراء) إلى اللون الأسود لما تجمد عليها من الدم

وهَوْلٍ كَشَفْتَ، وَنَصْلٍ قَصَفْتَ،　　ورُمْحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيدَا

ورب هول (كارثة) قد كشفته (أبعدته)، ونصل (سيف) قد قصفته، ورمح قد تركته مباداً (مكسوراً قد فنيَ) مبيداً (مبيداً للأعداء قبل أن ينكسر)

ومالٍ وَهَبْتَ بِلا مَوْعِدٍ　　وقِرْنٍ سَبَقْتَ إليْهِ الوَعِيدَا

ورب مال وهبته دون موعد (وعد)، ورب قرن (خصم) عاجلته بالقتل فسبقت إليه الوعيد (التهديد)

٣٦ كن نفسك

قال المتنبي في بدر بن عمار، وقد فصده الطبيب فغاص المِبضع في جسمه فأضرَّ به: ٧/ ٤٤

وَمَـهْـمَـهٍ جُـبْـتُـهُ عـلـى قَـدَمـي تَـعْـجِـزُ عـنْـهُ الـعَـرامِـسُ الـذُّلُـلُ

ومهمهٍ (رب صحراء) جبته (قطعته سيراً) على قدمي، مع أن العرامس الذلل (النياق الصلبة المروضة) تعجز عنه

بِـصَـارِمـي مُـرْتَـدٍ، بِـمَـخْـبَـرَتـي مُـجْـتَـزِئٌ، بـالـظَّـلام مُـشْـتَـمِـلُ

قطعت الصحراء مرتدياً صارمي (سيفي)، ومجتزئاً (مكتفياً) بمخبرتي (بمعرفتي) بتضاريس الأرض، ومشتملاً (محاطاً) بالظلام

إذا صَـديـقٌ نَـكِـرْتُ جـانِـبَـهُ لـم تُـعْـيِـنـي فـي فـراقِـهِ الـحِـيَـلُ

إذا نكرت جانب صديق (لمست تغيره علي) لم تعيني (لم تُعجزْني) الحيلة في فراقه، ووجدت طريقة لذلك

فـي سَعَـةِ الـخـافِقَـيْـنِ مُـضْـطَـرَبٌ وفـي بِـلادٍ مِـنْ أُخْـتِـهـا بَـدَلُ

في سعة الخافقين (الشرق والغرب) مضطرَب (مكان)، ولكل بلد بديل. تسويد أ. عبد الرحيم

مـددتَ فـي راحـةِ الـطـبـيـبِ يَـداً فـمـا دَرَى كـيـف يُـقـطَـعُ الأمـلُ

أيها الممدوح لقد مددتَ يدك (وهي أمل الناس لأنها معطاء) فأمسكها الطبيب براحته، يريد فصد الشريان، ولكنه عجز عن قطع الأمل

خـامَـرَهُ، إذ مَـدَدْتَـهـا، جَـزَعٌ كـأنَّـهُ مِـنْ حَـذَاقَـةٍ عَـجِـلُ

خامره (داخله) الجزع (الرهبة)، وصار مستعجلاً، فكأن عجلته دليل على الحذاقة (البراعة) لكنه في الواقع مضطرب

أَبْلَغُ ما يُطْلَبُ النَّجاحُ بِهِ الطَّـ ـبْـعُ، وعـنـدَ الـتَّـعَـمُّـقِ الـزَّلَـلُ

أبلغ (أقصى) شيء يطلب بواسطته النجاح الطبع (التصرف على الطبيعة)، وعندما يتعمق الإنسان (يبالغ ويخالف طبعه) فإن مصيره الزلل (الخطأ)، وكان الطبيب إذ فَصد الممدوح خرج عن طبعه لاضطرابه فزلّ

٣٧ الضائعات في شعورهن

قال المتنبي يمدح بدر بن عمار: ١٥/ ٤٦

بَـقـائـي شـاءَ، لَـيْـسَ هُـمُ، ارتِـحـالا وحُـسْـنَ الـصَّـبْـرِ زَمُّـوا لا الـجِـمَـالا

بقائي (وجودي في الحياة) أراد الرحيل وليس هم (أهل الحبيبة)، والذي زموه (ربطوا به الزمام) ليرحلوا ليس الجِمال بل حسن الصبر. يقول: برحيلهم رحل وجودي، ورحل أيضاً صبري

تَـوَلَّـوْا بَـغْـتَـةً، فَـكَـأَنَّ بَـيْـنـاً تَـهَـيَّـبَـنـي فَـفَـاجَـأَنـي اغـتِـيـالا

تولوا (ذهبوا) بغتة (فجأة)، فكأن البين (الفراق) تهيبني (خاف مني) ففاجأني واغتالني اغتيالاً

فـكـانَ مَـسـيِـرُ عـيـسِـهِـمُ ذَمِـيـلاً وسـيْـرُ الـدَّمْـعِ إِثْـرَهُـمُ انـهِـمـالا

فكان مسير عيسهم (إبلهم) ذميلاً (نوع من السير البطيء)، وأما سير دمعي إثرهم (بعدهم) فكان انهمالاً (هطولاً)

كـأَنَّ الـعِـيـسَ كـانَـتْ فَوْقَ جَـفْـنـي مُـنَـاخـاتٍ، فَـلَـمَّـا ثُـرْنَ سَـالا

كأنَّ العيس (الإبل) كانت مناخة (بارِكَة) فوق جفني، فلما ثرن (قمن) عن جفني بقصد الرحيل سال جفني بالدموع

وَحَـجَّـبَـتِ الـنَّـوى الـظَّـبَـيَـاتِ عـنِّـي فَـسَـاعَـدَتِ الـبَـراقِـعَ والـحِـجَـالا

حجبت النوى (الفراق) الظبيات (الغزالات/الحبيبات) عني، فساعد الفراق البراقع (أغطية الوجه) والحجال (الستور) في تحجيب الفتيات

لَـبِـسْـنَ الـوَشْـيَ، لا مُـتَـجَـمِّـلاتٍ ولـكِـنْ، كَـيْ يَـصُـنَّ بِـهِ الـجَـمـالا

الحبيبات لبسن الوشي (الثياب المَوْشِيَّة) لكن ليس للتجمل بل لصون جمالهن عن العيون

وضَـفَّـرْنَ الـغَـدائِـرَ، لا لِـحُـسْـنٍ ولـكِـنْ خِـفْـنَ في الـشَّـعَـرِ الـضَّـلالا

وضفرن غدائرهن (خصلات شعرهن) ليس لاجتلاب الحسن، ولكن خفنَ أن تضل (تضيع) وجوههن في الشعر الكثيف

بَـدَتْ قَـمَـراً، ومـالَـتْ خُـوطَ بَـانٍ وفَـاحَـتْ عَـنْـبَـراً، ورَنَـتْ غَـزَالا

حبيبتي بدت كالقمر، ومالت خوط بان (غصن بان)، وفاحت عنبراً، ورنت (نظرت) غزالاً

وَجَـارَتْ في الـحُـكُـومَـةِ، ثُـمَّ أَبْـدَتْ لـنـا مِـنْ حُـسْـنِ قَـامَـتِـهـا اعـتِـدَالا

وجارت (ظلمت) في الحكومة (الحكم)، ثم أظهرت لنا من حسن قامتها اعتدالاً.. فهي ظالمة لنا وعادلة في استقامة قدها

كـأَنَّ الـحُـزْنَ مَـشْـغُـوفٌ بِـقَـلْـبـي فَـسَـاعَـةَ هَـجْـرِهـا يَـجِـدُ الـوِصَـالا

كأن الحزن مشغوف (مغرم) بقلبي، وعندما تهجرني هي يجد الحزن لحظة للوصال فيحل في قلبي

أَلِـفْـتُ تَـرَحُّـلـي، وجَـعَـلْـتُ أَرْضـي قُـتُـودِيَ والـغُـرَيْـرِيَّ الـجُـلالا

ألفت (تعودتُ) على الترحال حتى لقد جعلتُ أرضي القتود (أخشاب سرج البعير) والغريري الجلال (البعير الكريم النسب، الضخم). يقول: إنه لشدة تعوده على الترحال صار ظهر الجمل أرضاً له

فَـمـا حَـاوَلْـتُ فـي أَرْضٍ مُـقـامَـاً ولا أَزْمَــعْــتُ عَــنْ أَرْضٍ زَوَالا

فما حاولت أن أقيم في أرض، ولا أزمعت (نويت) عن أرض رحيلاً لأنني أصلاً لا أقيم في أرض

عـلـى قَـلَـقٍ، كَـأَنَّ الـرِّيـحَ تَـحْـتـي أُوَجِّـهُـهـا جَـنُـوبـاً أَوْ شَـمَـالا

أنا على قلق (حركة مستمرة)، فكأن الريح هي التي تحملني وأنا أوجهها جنوباً أو شمالاً كما أوجه حصاني. يعجب الحداثيون جداً بهذا البيت لكلمة «قَلَق». على أن «قلقاً» هنا تعني الحركة الدائبة وليس القلق الوجودي. ومن الظلم للمتنبي أن نعجب به للسبب الخطأ. هو وجودي بطريقته، وليس لعبارة أساء أهل زمننا فهمها في سياق اللغة التاريخي. وها نحن سودنا البيت، وأحمد ولد الدين فال يَسِمُه بسجدة. وأحمد عبد الرحيم يناقش ويجد أن «قلق الروح» مما يحتمله نص البيت

أَرَى الـمُـتَـشـاعِـرِيـنَ غُـرُوا بِـذَمِّـي ومَـنْ ذا يَـحْـمَـدُ الـدَّاءَ الـعُـضَـالا

أرى المتشاعرين (مدَّعي الشعر) غُرُوا (وجدوا إغراء) بذمي، ومن هو الذي يحمد (يمدح) الداء العضال (الذي لا شفاء منه). يقول: المتشاعرون مغرمون بشتمي، ولست ألومهم فأنا بوصفي شاعراً حقيقياً أشبه الداء العضال بالنسبة لهم

ومَـنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ يَـجِـدْ مُـرّاً بِـهِ الـمـاءَ الـزُّلالا

من يكن في فمه مرارة بسبب المرض، فسيجد الماء الزلال (العذب) مراً. فالمتشاعرون لا يتذوقون شعري لأن أذواقهم فاسدة

٣٨ مواجهة مع الأسد

خرج بدر بن عمار إلى أسدٍ فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسدٍ آخر فهاجه عن بقرةٍ افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بالسوط ثم تكفل به الجيش، فقال المتنبي بادئاً بالنسيب، ثم واصفاً الأسد: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٣٦/ ٤٩

في الخَدِّ، أَنْ عَزَمَ الخَلِيطُ رَحِيلا، مَـطَـرٌ تَـزِيـدُ بِـه الـخُـدودُ مُـحُـولا

في خدي، بسبب نية الخليط (القوم) الرحيل، مطر من الدموع، ولكنه ـ خلافاً لكل مطر ـ يزيد الخدود محولاً (قحطاً). يقول: بسببِ رحيل قوم المحبوبة لانتجاع الكلأ الذي يأتي به مطر السماء، فإن في خديَّ مطراً، لكن هذا المطر يزيد خديَّ قحطا لا خصباً، فالدموع تزيد وجهي شحوباً

يـا نَـظـرةً نَـفَـتِ الـرُّقـادَ، وغَـادَرَتْ فـي حَـدِّ قَـلـبـيَ مَـا حَـيِـيـتُ فُـلُـولا

يا لها من نظرة صوبتها إلي الحبيبة! فقد نفت (أبعدت) الرقاد عني، وغادرت (تركت) في قلبي فلولاً (تثليماً). شبَّه قلبه بسيف تثلم حده من نظرته للحبيبة

أَجِدُ الجَفَاءَ، عَلى سِوَاكَ، مُرُوءَةً　　والصَّبْرَ، إلّا في نَواكَ، جَمِيلا

يبدأ بالمدح: أجد الجفاء (الابتعاد) مروءة (شرفاً) إلا عنك أيها الممدوح، وأجد الصبر جميلاً إلا الصبر عن نواك (فراقك). فالابتعاد عن الناس وعدم التقرب لهم من سمات الشرف، ولكن الأمر مع الممدوح مختلف

أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ　　لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولا

ينتقل إلى المدح: يا معفر (ممرِّغ) الهزبر (الأسد) عندما ألقاه أرضاً بسوطه (كرباجه)، قل لي: لمن ادخرت (أبقيت) الصارم المصقول (السيف)

وَقَعَتْ على الأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ　　نُضِدَتْ بِها هامُ الرِّفَاقِ تُلُولا

وقعت بلية (مصيبة) على وادي نهر الأردن من هذا الأسد نضدت (صُفَّتْ) بها (بسببها) هام الرفاق (رؤوس المترافقين في سفر) تلولاً (تلالاً). يقول: كان الأسد يفترس المسافرين المترافقين في ترحالهم ويترك جماجمهم تلالاً

وَرْدٌ، إذا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شَارِباً　　وَرَدَ الفُرَاتَ زَئِيرُهُ والنِّيلا

هذا ورد (والورد من أسماء الأسد)، وإذا ورد (جاء) بحيرة طبريا ليشرب، ورد (وصل) زئيره إلى الفرات وإلى النيل

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفَوارِسِ، لابِسٌ　　في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا

والأسد متخضب (مصبوغ) بدم الفرسان، ويلبس وهو في غيله (غابته) غابة أخرى ما هي سوى لبدتيه (الشعر على جانبي رأسه)

ما قُوبِلَتْ عَيناهُ إلّا ظُنَّتا　　تحتَ الدُّجى، نارَ الفَرِيقِ حُلُولا

ما قوبلت (شوهدت) عيناه إلا ظن المرء أنهما تحت الدجى (في الليل) نار الفريق (القوم) حلولاً (نازلين). يقول: إن عيني الأسد كأنهما النار التي يوقدها القوم عندما يحلون بالمكان

في وَحْدَةِ الرُّهْبانِ، إلّا أنَّهُ　　لا يَعْرِفُ التَّحرِيمَ والتَّحْلِيلا

الأسد منفرد كالراهب، لكنه لا يعرف الحرام والحلال

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ　　فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا

يطأ (يدوس) الأسد الثرى (التراب) مترفقاً (متأنياً) من تيهه (لتكبره)، وهو في هذا الترفق كالآسي (الطبيب) إذ يجس (يمس) جسم العليل (المريض)

وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إلى يَأْفُوخِهِ　　حتّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إكْلِيلا

يرد الأسد عفرته (شعر مؤخرة الرقبة) إلى يأفوخه (رأسه) حتى يصير على رأسه ما يشبه الإكليل

وتَظُنُّهُ، مِمّا يُزَمْجِرُ، نَفْسُهُ　　عَنها، لِشِدَّةِ غَيْظِهِ، مَشْغُولا

ونفس الأسد.. هذه النفس تظنه لكثرة زمجرته مشغولاً عنها لشدة الغيظ

قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الخُطَى، فَكَأَنَّما رَكِبَ الكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكُولا

الخوف من الأسد جعل خطوات المتجهين نحوه قصيرة، فكأنما قد ركب الكمي (المسلح) حصانه والحصان مشكول (مكبل)

أَلْقَى فَرِيسَتَهُ، وبَرْبَرَ دُونَها وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تَطْفِيلا

ألقى الأسد فريسته وبربر (همهم) دونها (بقربها)، وقربت أنت منه يا بدر بن عمار قرباً خاله (ظنه) الأسد تطفيلاً (تطفلاً على طعامه)

فَتَشابَهَ الخُلُقانِ في إِقْدَامِهِ وتَخالَفا في بَذْلِكَ المأْكُولا

فخلقك وخلق الأسد متشابهان في الإقدام (الشجاعة)، ومختلفان في أنك تبذل (تتخلى عن) المأكول (الفريسة)

أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِما: مَتْناً أَزَلَّ، وسَاعِداً مَفْتُولا

هذا الأسد يرى فيك عضوين يشبهان عضوين لديه: المتن الأزل (الظهر الرشيق)، والساعد المفتول

في سَرْجِ ظَامِئَةِ الفُصُوصِ طِمِرَّةٍ يَأْبى تَفَرُّدُها لها التَّمْثِيلا

وأنت اقتربت منه وأنت تركب سرج طمرة (فرس وثابة) ظامئة الفصوص (رشيقة الجسم)، ويأبى تفردها أن نشبهها بشيء آخر

نَيَّالَةِ الطَّلِباتِ، لَوْلا أَنَّها تُعْطِي مَكانَ لِجَامِها، ما نِيلا

هذه الفرس نيالة الطَّلِبات (تنال كل ما تلحقه)، ولولا أنها تخفض رأسها لكي يضعوا لها اللجام لما نيل رأسها

تندَى سوالِفُها إذا اسْتَحْضَرْتَها وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنانِها مَحْلُولا

تندى (تترطب) سوالف الفرس بالعرق إذا استحضرتها (رَكَضْتَها)، ولأنها مطواعة وأصيلة لا تحتاج إلى جذب مقودها، حتى ليظن المرء أن عقدة عِنانها (مقودها) محلولة

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ حتى حَسِبْتَ العَرْضَ منهُ الطُّولا

الأسد ظل يجمع كل جسمه في زوره (في رقبته)، حتى صار عرضه مثل طوله

ويَدُقُّ بِالصَّدْرِ الحِجَارَ كَأَنَّهُ يَبْغِي إلى مَا في الحَضِيضِ سَبِيلا

ويدق صدره بحجار الأرض غضباً وكأنه يريد الوصول إلى ما في حضيض الأرض

وكأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فادَّنَى لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَليلَ جَليلا

وكأنما غرته (خدعته) عينه فادنى (اقترب) وهو لا يبصر الخطب الجليل (الخطر الكبير) المقبل كبيراً

أَنَفُ الكَريمِ مِنَ الدَّنِيئَةِ تارِكٌ   في عينِهِ العَددَ الكثيرَ قليلا

أنف (ترفُّع) الكريم عن الدنيئة (العار) يجعله يرى العدد الكثير قليلاً، فلا يبالي بكثرة الأعداء لأنه يغضب لشرفه

والعارُ مَضّاضٌ، وليسَ بِخائِفٍ   مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خافَ مِمّا قِيلا

العار مضاض (مؤلم)، والذي يخاف على سمعته لا يخاف الموت

سَبَقَ التِقاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هاجِمٍ   لو لم تُصادِمْهُ لجازَكَ مِيلا

سبق الأسد اللقاء بينك وبينه بوثبة، وكانت قوية إلى درجة أنك لو لم تصادمه لجازك (لتجاوزك) بميل (ميل ذلك الزمان في ذلك المكان نحو ثلاثة كيلومترات)

خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وقد كافَحْتَهُ   فاسْتَنْصَرَ التَّسْليمَ والتَّجْدِيلا

خذلته قوته عندما كافحته (واجهته)، فاستنصر (استعان بـ) الاستسلام والتجديل (السقوط أرضاً)

قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ   فكأنَّما صادَفْتَهُ مَغْلُولا

كانت منيته (موته) مقدرة عليه فكأنما هذا القدر قبض يديه وعنقه، فأنت لقيته وكأنه مغلول (مكبل)

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وبِحالِهِ   فَنَجا يُهَرْوِلُ أَمْسِ مِنْكَ مَهُولا

بعد مقتل الأسد سمع أسد آخر (وأراده المتنبي أن يكون ابن عمته لأن ابن عمه تكسر وزن البيت) بما جرى له، فنجا منك مهرولاً ومهولاً (فزعاً)

وأَمَرُّ مِمّا فَرَّ مِنْهُ فِرارُهُ   وكَقَتْلِهِ أنْ لا يَموتَ قَتِيلا

وأمرُّ من الذي فر منه ذلك الأسد الثاني حقيقة أنه فر، ونجاته من القتل هي كالقتل نفسه لما في ذلك من العار

تَلَفُ الذي اتَّخَذَ الجَراءَةَ خُلَّةً   وَعَظَ الذي اتَّخَذَ الفِرارَ خَلِيلا

إن تلف (هلاك) الأسد الذي اتخذ من الجرأة خلة (طبعاً)، هذا الهلاك وعظ الأسد الثاني الذي اتخذ الفرار خليلاً (صديقاً)

لو كانَ عِلْمُكَ بالإلَهِ مُقَسَّماً   في الناس، ما بَعَثَ الإلهُ رَسُولا

يا بدر ابن عمار! لو كان علمك بالإله (بشؤون الدين) مقسماً بين الناس لما كانت هناك حاجة للرسل

لو كانَ لَفْظُكَ فِيهِمُ ما أَنْزَلَ الـ   ـفُرْقانَ والتَّوْراةَ والإنْجِيلا

ولو كان كلامك موجوداً بين الناس يتداولونه منذ القدم لما أنزل الإله الكتب السماوية

لو كانَ ما تُعْطِيهِمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيهِمُ لم يَعْرِفُوا التَّأْمِيلا

ولو كان المال الذي تعطيه للناس موجوداً بأيديهم قبل أن تعطيهم لما عرفوا معنى للأمل، فعطاؤك كثير يلبي كل الآمال ويزيلها إذ تتحول إلى واقع

فلقدْ عُرِفْتَ، وما عُرِفْتَ حَقِيقةً ولَقَدْ جُهِلْتَ، ومَا جُهِلْتَ خُمُولا

قد عرفناك، ولكننا لم نعرف حقيقة أخلاقك لأنها فوق تصور البشر، ولهذا جهلناك، لكننا لم نجهلك لخمولك (الخمول عكس الشهرة). التسويد لأحمد عبد الرحيم مع تعليق: «هذا عالٍ جداً!»

نَطَقَتْ بِسُؤْدَدِكَ الحَمامُ تَغَنِّياً، وبِما تُجَشِّمُها الجِيادُ صَهِيلا

نطق الحمام متغنياً بذكر سؤددك (كونك سيداً)، ونطقت الجياد (الخيول) صاهلة بكثرة ما تجشمها (تتعبها) في المعارك

ما كُلُّ مَنْ طَلَبَ المَعاليَ نَافِذاً فيها، ولا كلُّ الرِّجالِ فُحُولا

ليس كل شخص أراد المعالي (الأمجاد) نافذاً (واصلاً ومخترقاً)، وليس كل رجل فحلاً

٣٩ احذر عداوة الشعراء

سار بدر بن عمار إلى الساحل، ولم يسر أبو الطيب معه. ثم بلغه أن ابن كروَّس الأعور كتب إلى بدر يقول له إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبةً بنفسه عن المسير معك. ولما عاد بدر إلى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير فقال أبو الطيب المتنبي: ٤١/١٢

الحبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الألْسُنَا وألَذُّ شَكوى عاشِقٍ ما أعْلَنا

الحب الحقيقي هو ذلك الذي يمنع اللسان من الكلام، مع أن ألذ الشكوى بالنسبة للعاشق هي الشكوى العلنية لأنها تريح القلب

لَيْتَ الحبيبَ الهاجِرِي هَجْرَ الكَرَى، مِنْ غيرِ جُرْمٍ، وَاصِلِي صِلَةَ الضَّنى

ليت الحبيب الذي هجرني مثلما هجرني الكرى (النوم) بغير جرم (ذنب) من جانبي، ليته واصلي (منعم علي بالوصال) مثل صلة الضنى (العذاب) لي

بِتْنا، ولَوْ حَلَّيْتَنَا لم تَدْرِ مَا أَلوانُنا، مِمَّا اسْتُفَعْنَ تَلَوُّنَا

بت مع المحبوب ولو أنك حليتنا (أردت وصف حليتنا وملابسنا) لما عرفت ألواننا لكثرة ما استفعن (تغيرن) من العشق

وتَوَقَّدَتْ أنْفاسُنا حتى لقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ العواذِلُ بَيْنَنا

توقدت أنفاسنا حتى لقد أشفقت (خشيت) أن تصل حرارتها إلى العواذل (اللائمات) فتحرقهن

أَرِجَ الطَّريقُ، فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ إلّا أقامَ بِهِ الشَّذَا مُسْتَوْطِنا

أرج الطريق (تعطَّرَ بأريج طيب)، فلا تمر أيها الممدوح بموضع إلا استوطن فيه الشذا (العطر)

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ التي قابَلْتَها مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إليكَ الأَغْصُنَا

يمدح بدر بن عمار: لو كان الشجر عاقلاً لمد إليك أغصانه وأنت تمر محيياً

طَرِبَتْ مَراكِبُنَا، فَخِلنَا أنَّها، لولا حياءٌ عاقَها، رَقَصَتْ بِنا

طربت مراكبنا (نياقنا) فخلنا (ظننَّا) أنها كادت ترقص بنا لولا أن الحياء عاقها (منعها)

أقْبَلْتَ تَبْسِمُ والجِيادُ عَوَابِسٌ يَخْبُبْنَ بالحَلَقِ المُضَاعَفِ والقَنا

لقد أقبلت باسماً والجياد (الخيل) عوابس (مكشرات) من التعب وهن يخببن (يسرن سير الخبب المعتدل) وعليهن فرسان بدروع منسوجة من الحلقات المعدنية، وهم يحملون القنا (الرماح)

عَقَدَتْ سنابِكُها عَليها عِثْيَراً لو تَبْتَغِي عَنَقاً عليهِ لأَمْكَنَا

سنابك الخيل (حوافرها) أثارت العثير (الغبار) فانعقد فوق الرؤوس، ولكثافته فإنك لو شئت أن تمشي عليه عنقاً (سيراً سريعاً) لأمكنك ذلك

والأمرُ أمرُكَ، والقلوبُ خَوافِقٌ في مَوْقِفٍ بينَ المنِيَّةِ والمُنى

أمرك مطاع في موقف الحرب الذي فيه تخفق القلوب وهي بين المنية (الموت) وبين تحقيق الأماني

فَانْهَ المُشِيرَ عَليكَ فيَّ بِضِلَّةٍ فالحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلادِ الزِّنى

فَانْهَ (امنع/اجعله ينتهي) الذي يشير عليك بضلة (بدسيسة) في شأني، فأنا من الأحرار والله يختبرني بدسائس أولاد الزنى

ومَكَايِدُ السُّفَهاءِ واقِعَةٌ بِهِمْ وعَدَاوَةُ الشُّعَرَاءِ بِئسَ المُقْتَنَى

ومكايد (دسائس) السفهاء ستنقلب على رؤوسهم، وعداوة الشعراء أسوأ ما يقتنيه المرء

٤٠ من يهن يسهل الهوان عليه

خرج أبو الطيب إلى جبل جرش فنزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني، وكان بينهما مودة بطبرية فقال المتنبي يمدحه: ١٠/٤٣

لا افتخارٌ إلا لِمَنْ لا يُضَامُ مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لا يَنامُ

ليس الفخر إلا للرجل الذي لا يضام (لا يُظلم)، وهو دوماً إما مدركٌ (محصّل) ثأره، أو محارب في سبيله لا يتوانى ولا ينام عنه

ليسَ عَزْمَاً ما مَرَّضَ المَرْءُ فِيهِ ليسَ هَمَّاً ما عاقَ عنهُ الظَّلامُ

ليس العزم الحقُّ ما مرض (تردد) المرء فيه، وليس الهم (الطموح) الحقُّ ما حال دونه الظلام والعوائق. يقول: إن العزم الحقيقي لا يكون مربوطاً بالعلل والأسباب التي تفسر التقصير، والطموح الحقيقي لا يبالي بالظلام وسائر المعوقات

واحْتِمالُ الأذَى، ورؤْيَةُ جَانِبِـ ـهِ، غِذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الأجْسَامُ

احتمال (تحمُّل) الأذى، مع كونك ترى جانيه (مرتكبه) بحقك، هذا يشبه الطعام.. لكنه طعام تضوى (تهزل) به الأجسام بدل أن تنمو

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ

ذليل هو من يغبط (يحسد) الذليل على عيشته. فرب عيشة يكون الحمام (الموت) أهون منها

كلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لاجِئٌ إليْهَا اللِّئَامُ

الحلم (الصفح) الذي يأتي من شخص ليست عنده القوة ليس حلماً بل هو حجة اللئام. ترى الرجل يقول إنه سامح شخصاً، والواقع أنه لم يستطع تحصيل حقه منه

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

الذي يَهُون (يهين نفسه) يصبح الهوان (الذل) سهلاً عليه. مثل الميت الذي لا يؤلمه أن يصاب بجرح

ضاقَ ذَرْعاً بِأنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ عاً زَماني، واسْتَكْرَمَتْني الكِرَامُ

نفد صبر الزمن واستسلم من محاولته إنفاد صبري عليه، ووجدني الكرام كريماً. يقول: عجز الزمان عن أن يبتليني بأمر لا أحتمله، ووجدني الكرام كريم الخلق

واقِفاً تحتَ أَخْمَصَيْ قَدْرِ نَفْسي واقِفاً تحتَ أَخْمَصَيَّ الأنامُ

وأنا واقف عند مكانة متدنية جداً عما أستحق فكأنني واقف تحت أخمصيْ (أسفل قدميْ) قدري الحقيقي.. يكون الأنام (البشر) واقفين تحت قدميَّ أنا في القيمة

أَقَراراً أَلَذُّ فوقَ شَرَارٍ، ومَراماً أَبْغِي وظُلْمي يُرَامُ..

هل ألذ (أتمتع) بقرار (بهدوء) فوق الشرار (قدح اللهب)، وهل أطلب مراماً (هدفاً) وإلحاق الظلم بي يُرام (يُطلب)؟ يقول: كيف لي ان أعيش هانئاً وسط الأذى، وكيف أسعى لهدف والمطلوب إلحاق الظلم بي..

دُونَ أنْ يَشْرَقَ الحجازُ ونَجْدٌ والعِراقَانِ، بالقَنا، والشَّامُ

لن أستقر على حال الأذى والظلم دون (قبل) أن يشرق (يغص في حلقه) الحجاز ونجد وعراق العرب وعراق العجم والشام بالقنا (بالرماح). يقول: لن أهدأ إلا عندما أملأ كل هذه البلاد بالرماح لكثرة غزواتي وجيوشي

٤١ مشرد في البوادي

قال المتنبي يصف مسيره في البوادي، وما لقي في أسفاره، ويذم ابن كروَّس: ١٦/١٣

أَوَاناً في بُيوتِ البَدْوِ رَحْلي وآوِنَةً على قَتَدِ البَعيرِ

أواناً (أحياناً) أضع رحلي (متاع السفر) في بيوت البدو (والبيت في العربية القديمة هو الخيمة)، وأحياناً يكون متاعي فوق قتد البعير (خشب السرج)

أُعَرِّضُ لِلرِّماحِ الصُّمِّ نَحْرِي   وأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِيَ لِلْهَجِيرِ

أعرض نحري (ما بين العنق والصدر) للرماح الصم (الصلبة)، وأنصب حر وجهي (ما ظهر منه وتحرر من اللثام) للهجير (حر الظهيرة)

وأَسْرِي في ظَلامِ اللَّيلِ وَحْدي   كَأَنِّيَ مِنْهُ في قَمَرٍ مُنِيرِ

أسري (أسير ليلاً) في الظلام وحيداً، وكأنني أسير في قمر منير لأنني لا أبالي بالظلام وأعرف مجاهل الصحراء

فَقُلْ في حاجَةٍ لم أَقْضِ مِنْها،   على شَغَفي بِها، شَرْوَى نَقِيرِ

فقل (فما قولك؟) في حاجتي هذه التي لم أقض منها سوى شروى نقير (أقل القليل). شروى (مثل) نقير (نقرة في نواة التمرة): أي شيء تافه جداً

ونَفْسٍ لا تُجِيبُ إلى خَسيسٍ   وعَيْنٍ لا تُدَارُ على نَظِيرِ

وما قولك في نفسي التي لا تجيب (لا تستجيب) للخسيس (الأمر التافه)، وفي عيني التي لا أديرها على نظير (مشابه لي). يقول: نفسي لا تأبه بتحصيل الأهداف الصغيرة، وعندما أدير عيني في البشر لا أرى فيهم نظيراً لي

وكَفٍّ لا تُنَازِعُ مَنْ أَتَانِي   يُنازِعُنِي سِوى شَرَفي وخِيرِي

وما قولك في كَفِّي التي لا تنازع (تخاصم) من جاءني يريد أخذ ما بيدي، مع استثناء شرفي وخِيري (كَرَمي). يقول: إنه لا ينازع الناس في صغائر الأمور فليأخذوها منه كما شاءوا، ولكنه لا يسمح لأحد أن يمس شرفه ولا كرم أصله

وقِلَّةِ ناصِرٍ. جُوزِيتَ عَنِّي   بِشَرٍّ مِنْكَ، يا شَرَّ الدُّهورِ

وما قولك في قلة من يناصرني؟ ألا جازاك الله عني (أي بسبب ما فعلته بي) بشيء أكثر شرّاً منك يا شر الأزمان

عَدُوِّيَ كُلُّ شيءٍ فيكَ، حتى   لَخِلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدُورِ

كل شيء في هذا الزمن عدوي، حتى إنني خلت (ظننت) الأكم (التلال) موغرة (مشحونة) الصدور حقداً علي. تأمل هذا البيت: يرى المتنبي الناس كلهم ضده، وعندما يرى التلال منفوخة الصدور يحسبها مملوءة حقداً عليه. هذا النوع من الكلام كان جديداً على شعراء ذلك الزمن، وأحسوا بكل هذا الدفق من المشاعر والتعبير عنها بكل هذا الإيجاز. لا أكتمنك أنني ـ وأنا أشرح بعض الأبيات ـ أحس بإحباط كثير، وأقول في نفسي: يا رجل! تضيع وقتك في شرح كلام رجل ليس عنده سوى أن يقول أنا أنا، وهو يريد أن يغزو العالم. هذا كلام هتلرٍ أحمق. ثم يمر بي بيت كهذا البيت، وأحس ما فيه من وثبة خيال ومن دفق شعور ومن متانة لغة فأراجع نفسي، وأقول: وهل الشعر عقل ورزانة؟ أليس أحلى الشعر ما انبثق من شعور فياض، سواء أكان هذا الشعور شعور رجل عاقل أم شعور شخص مضطرب؟

فلو أنّي حُسِدْتُ على نَفيسٍ   لَجُدْتُ به لِذي الجَدِّ العَثُورِ
لو أن ما حسدوني عليه شيء نفيس (ثمين) لجدت به (تكرمت به) لصاحب الجد (الحظ) العثور (العاثر)

ولكنّي حُسِدْتُ على حَياتي   ومَا خَيْرُ الحياةِ بِلا سُرُورِ
ولكن ما يحسدونني عليه هو حياتي، وحياتي على كل حال لا خير فيها لأنها خالية من السرور

فيا ابنَ كَرَوَّسٍ! يا نِصْفَ أعمى   وإنْ تَفْخَرْ، فَيا نِصْفَ البَصِيرِ!
يا ابن كروس (وهو رجل أعور من مهجوّي المتنبي) يا نصف أعمى، وإن أردت أن تفاخر فأنت نصف بصير

تُعادِينا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ   وتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ
أنت تعادينا لأننا فصحاء غير لُكن (ثقال الألسنة)، وتكرهنا لأننا غير عور (جمع أعور)

فلَوْ كُنْتَ امْرَءاً يُهْجَى هَجَوْنا   ولكِنْ، ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ
لو كنت ممن يستحق الهجاء لهجوناك، ولكن أنت ذو نفس صغيرة تافهة، فمسافة الفتر (ما بين رأس الإبهام ورأس السبابة) لا مجال فيها للسير

٤٢ في سبيل التاج

قال المتنبي يمدح أبا عبدِ الله، محمدَ بنَ عبدِ الله بن محمد الخطيب الخصيبي، وهو يومئذٍ يتقلد القضاء بأنطاكية: ٨/ ٤٢

أَفاضِلُ النَّاسِ أَغْراضٌ لِذَا الزَّمَنِ   يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ
الناس الفضلاء أغراض (أهداف) لذا الزمن (لهذا الزمن)، وأكثرهم خلواً من الهموم أكثرهم خلواً من الفطن (الذكاء)

وإنَّما نَحْنُ في جِيلٍ سَواسِيَةٍ   شَرٍّ عَلى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ على بَدَنِ
ونحن نعيش في جيل كل من فيه متساوون في الدناءة، وهم أشرُّ على الشخص الحر من السقم (المرض) على البدن

حَوْلي بِكُلِّ مَكانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ   تُخْطِي إذا جِئْتَ في اسْتِفْهامِها بِمَنِ
أرى حولي في كل مكان خِلَقاً (مخلوقات) هم أقرب للمخلوقات غير العاقلة حتى إنك تخطئ في اللغة لو استعملت معهم كلمة «مَنْ» الاستفهامية. بل يجب أن تستعمل معهم أداة الاستفهام «ما» التي لغير العاقل

فَقْرُ الجَهولِ بِلا قلبٍ إلى أدبٍ   فَقْرُ الحِمارِ بِلا رأسٍ إلى رَسَنِ
الجهول المفتقر إلى قلب (عقل) من الطبيعي أن يفتقر إلى الأدب، فهو كحمار بلا رأس فمن الطبيعي ألا يكون له رسن (مقود)

وخَـلَّـةٍ فـي جَـلِـيـسٍ أَلْـتَـقِـيـهِ بِـهـا   كَـيْـما يَـرَى أَنَّـنـا مِثْـلانِ في الـوَهَـنِ

ورب خلة (صفةٍ) من صفات جليس ألتقيه أنا بها (أدعي وجودها عندي أنا أيضاً) وذلك كيما (كي) يشعر أننا مثلان (متماثلان) في الوهن (ضعف العقل). يقول: إنه يتظاهر بالحمق حتى لا يشعر جليسه بتفوقه

وكِلْـمَـةٍ في طَـرِيـقٍ خِفْـتُ أُعْـرِبُـهـا   فَيُهْتَدَى لي، فَلَمْ أَقْدِرْ على اللَّحَنِ

ورب كلمة قلتها في طريق (وأنا مسافر) وخفت أن أعربها بالحركات الصحيحة حتى لا يهتدي الناس إلى هويتي، إلا أنني لم أستطع اللحن (الغلط في اللغة) لفصاحتي سليقةً

قدْ هَـوَّنَ الـصَّـبْـرُ عـنـدي كُـلَّ نـازِلـةٍ   ولَـيَّـنَ الـعَـزْمُ حَـدَّ الـمَـرْكَـبِ الـخَـشِـنِ

الصبر هون عندي كل نازلة (مصيبة)، وعزمي جعلني أجد خشونة المركب (ما أركبه من المشقات) ليناً

لا يُـعْـجِـبَـنَّ مَـضِـيـمـاً حُـسْـنُ بِـزَّتِـهِ   وهَـلْ تَـرُوقُ دَفِـيـنـاً جُـوْدَةُ الـكَـفَـنِ

على المضيم (المظلوم) ألا يتباهى بحسن بزته (ثوبه)، فهو عندئذ كالميت الذي تروقه (تعجبه) جُودة الكفن

٤٣ رثاء الجدة

ورد على أبي الطيب المتنبي كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك. فانحدر إلى بغداد وكانت جدته قد يئست منه، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه، فقبَّلت كتابه وحُمَّت لوقتها سروراً به، وغلب الفرح على قلبها فقتلها، فقال يرثيها: ٣٤/٢٣

لـكِ الـلَّـهُ مِـنْ مَـفْـجـوعَـةٍ بِـحَـبِـيـبِـهـا   قَـتـيـلَـةِ شَـوْقٍ، غَـيْـرِ مُـلْـحِـقِـهـا وَصْـمَـا

لك الله يا جدتي، أيتها المفجوعة (المنكوبة) بحبيبها الذي هو أنا، والتي ذهبت قتيلة شوق، ولكنه شوق لم يلحق بها وصمة عار (فالحبيب هو حفيدها). والشاعر العربي القديم - كما رأيت - يرى شوق المرأة إلى حبيبها عاراً، وأما هو فيشتاق لحبيبته كما شاء ويتغزل كما شاء. لا شيء تغير!

أَحِنُّ إلى الـكـأسِ الـتـي شَـرِبَـتْ بِـهـا   وأَهْـوَى لِـمَـثْـوَاهَـا الـتُّـرابَ ومَـا ضَـمَّـا

أحن إلى كأس الموت التي شربت بها جدتي، وأحب التراب لأنها دفنت فيه، وأحب ما ضمه التراب من جثمانها

عَـرَفْـتُ الـلَّـيـالـي قَـبْـلَ مَـا صَـنَـعَـتْ بِـنـا   فَـلَـمَّـا دَهَـتْـنـي لـمْ تَـزِدْنـي بِـهـا عِـلْـمـا

لقد عرفت الليالي (بلوى الزمن) قبل ما حل بي وبجدتي من نكبة موتها، فلما دهتني الليالي (نكبتني) لم تزدني علماً بها

أَتَـاهـا كِتَـابـي بَـعْـدَ يَـأسٍ وتَـرْحَـةٍ   فَمَاتَتْ سُرُوراً بي، فَمُتُّ بِها غَمَّا

ورد على جدتي كتابي (خطابي) بعد اليأس من عودتي والترحة (الهم)، فأنعشها الخطاب فماتت به فرحاً، فكدت أنا أموت من الغم عليها. الهم والغم: الغم هو الحزن على ما مضى، والهم هو انشغال الفكر بما سيأتي، ومن هنا يكثر استعمال المتنبي لكلمة الهم بكل مشتقاتها (هموم/ همة/ هم/ ما يهمني، الخ) بمعنى الطموح إلى مستقبل كبير وعظيم وغامض

تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظِي وخَطِّي، كأنَّما   تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أغْرِبَةً عُصْمَا

تتعجب جدتي من كلماتي ومن خطي في الكتاب، فكأن الحروف غربان عصم (بيض) عجيبة. ولم تكن جدته تتوقع أنه حي ولا أنه سيعود إليها لكثرة ما سمعت عن مغامراته وسجنه وكثرة أعدائه

وتَـلْـثِـمُـهُ حَـتَّـى أَصَـارَ مِـدَادُهُ   مَحاجِرَ عَيْنَيْها، وأنْيَابَها، سُحْمَا

وتلثم جدتي (تقبل) الخطاب حتى أصار (جعل) مداده (حبره) محاجر عينيها (حلقة العظم حول العين) وأنيابها (أسنانها) سحماً (سوداً)

رَقَا دَمْعُها الجاري، وجَفَّتْ جُفُونُها   وفَـارَقَ حُبِّي قَـلْبَـهـا بَـعْـدَمَا أدْمَى

رقأ (انقطع) دمعها، وجفت جفونها بالموت، وبالموت ذهب حبي من قلبها بعد أن أدماها بسهمه

ولـم يُـسْـلِـهَـا إلا الـمـنَـايـا، وإنَّـمـا   أشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الذي أذْهَبَ السُّقْمَا

ولم يُسْلِها (يُنسِها) ذكري إلا الموت، وهكذا فالذي أذهب سقمها كان أشد من السقم

طَلَبْتُ لها حَظّاً، فَفاتَتْ، وفَاتَني   وقدْ رَضِيَتْ بي لو رَضِيتُ بِها قِسْمَا

طلبت لها حظاً (رزقاً ومكانة) ففاتت جدتي (ذهبت) وفاتني الحظ. وكان من شأنها أن ترضى بي على أنني قسمتها ونصيبها لو أنني كنت رضيت بنصيبي وتركت المغامرة

فأصبَحْتُ أَسْتَسْقِي الغَمامَ لِقَبرِها   وقد كُنْتُ أَسْتَسْقِي الوَغَى والقَنا الصُّمَّا

والآن أصبحت أستسقي الغمام لقبرها (أدعو بأن يبل مطر السحاب قبرها)، وكنت قبلئذ أثناء مغامراتي أطلب من الوغى (الحرب) ومن القنا الصم (الرماح الصلبة) أن تهطل، بالدم طبعاً

وكُنْتُ، قُبَيْلَ الموتِ، أستَعْظِمُ النَّوى   فقدْ صارتِ الصُّغْرى التي كانَتِ العُظْمَى

وقبل موتها كنت أستعظم النوى (أجد الفراق فظيعاً)، والآن صار الفراق صغيراً في عيني بعد موتها

هَبِيني أَخَذْتُ الثَّأْرَ فيكِ مِنَ العِدَى   فكيفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فيكِ مِنَ الحُمَّى

هبيني (افرضي أنني) أخذت الثأر لك من الأعادي الذين فرقونا، فكيف آخذ الثار من الحمى (المرض) الذي مت به؟

ومـا انْسَـدَّتِ الـدُّنْيَـا عَـلَيَّ لِضِـيقِهـا   ولـكِـنَّ طَـرْفَـاً لا أرَاكِ بِـه أعـمَـى

الدنيا مسدودة في وجهي ليس لضيقها، ولكن لأن الطرف (العين) الذي لا أراك به أعمى

فَـواأَسَـفـا أَلَّا أُكِـبَّ مُـقَـبِّـلاً   لِرَأْسِكِ والصَّدْرِ اللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا

يا أسفي أن لا أكب (أنحني بوجهي) وأنا أقبل رأسك وصدرك اللذين امتلآ بالحزم! يا أسفي لعدم وداعك!

وأَلَّا أُلاقِـيَ رُوحَـكِ الـطَّـيِّـبَ الـذي   كَأَنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ كـانَ لَهُ جِسْمَا

ويا أسفي أن لا ألاقي روحك الطيب الذي كان يسكن جسمك الطيب كأنه المسك

ولـو لـم تَـكُـونـي بِنتَ أكرَمِ والِـدٍ   لكانَ أباكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لي أُمَّا

لو لم تكوني بنت ناس كرام لكفاك نسباً كونك لي أماً (أي جدة)، فالحفيد العظيم بمثابة النسب الضخم (الشريف). كنت أشتغل في جريدة، وكان لا يكاد يمر أسبوع إلا وننشر إعلاناً لرجل ثري كثير التبرع للجمعيات، وكان الإعلان دائماً مصدَّراً بعبارة «المحسن الكبير فلان الفلاني»، وذات يوم أبدلت لفظ الكبير بلفظ «الضخم». وكانت ستكون فضيحة تُفقد الجريدة مورداً مهماً لولا أن ابن صاحب الجريدة تدارك حماقتي في المطبعة. دفعت التهمة عن نفسي ببيت أبي الطيب هذا، ولكن الرجل فهم بالطبع ما أبطنه من قصد التهكم، ثم رحم غرارتي، وفوتها لي وتغمدني. وظللت بعدها ثلاثاً وثلاثين سنة أتحرق غيظاً أن نجوت من عاقبة حماقتي. حياتي مملة

لَـئِـنْ لَـذَّ يَـوْمُ الـشَّـامِـتِـينَ بِـيَـومِـهـا   لـقـد وَلَـدَتْ مِـنِّـي لأَنْـفِـهِـمُ رَغْـمَـا

لئن لذ (طاب) يوم الشامتين بيوم موتها، فإنها ولدت بإنجابي رغماً لأنوفهم (مُمَرِّغاً لأنوفهم في التراب)

تَـغَـرَّبَ لا مُـسْـتَـعْـظِـمـاً غَـيْـرَ نَـفْـسِـهِ   ولا قـابِـلاً، إلَّا لِـخـالِـقِـهِ، حُـكْـمَـا

يتحدث عن نفسه: تغرب هذا الرجل الذي هو أنا وهو لا يجد عظيماً غير نفسه، ولا يقبل حكم بشر سوى حكم الله

ولا سـالِـكـاً إلَّا فـؤادَ عَـجَـاجَـةٍ   ولا واجِـداً، إلَّا لِـمَـكْـرُمَـةٍ، طَـعْـمَـا

ولا يسلك إلا قلب العجاجة (غبار الحرب)، ولا يجد طعماً إلا لمكارم الأمور

يَقولونَ لي: مَا أنتَ؟ في كُلِّ بَلْدَةٍ   ومَا تَبْتَغي؟ ما أَبْتَغي جَلَّ أَنْ يُسْمَى

في كل بلدة يسألونني: أي شيء أنت، وما هدفك؟ وهدفي خطير.. أخطر من أن يُسْمى (يذكر). هدف أبي الطيب كان المُلك، ولكن الله كتب على الشعراء والفلاسفة ألا يذوقوا طعم السلطة. وقد رأيت الباحثين يتخذون هذا البيت دليلاً على أن المتنبي كان صاحب دعوة باطنية، ولا أرى ذلك؛ نرى في زمننا هذا، وأكتب في عام ٢٠٠٨، رجلاً منتسباً إلى حزب، ويعرفه الناس بهذه الصفة فيتعاملون معه بحذر، ولا يرون فيه شيئاً من الإنسانية إلا أنه «فلانٌ الحزبيّ»، وهو يكون شخصاً عادياً له من المطامع والمطامح ما لكلِ أحد، يسعى لاهثاً للحصول على ترقية في عمله، ويريد أن يعلم أولاده، وأن يتسلّى بالنظر إلى الفاتنات، وأن يعيش، ولعله يوجه أولاده وجهة غير حزبية، ولعله يكون برماً بهذا الحزب. قرأت مرة أن فلاديمير إيليتش لينين

فكر، وهو طريد في سويسرا، في الهجرة إلى أميركا وترك البلاشفة والمناشفة وروسيا وكل القضية، وهذا لينين، فلماذا لا تفهمون المتنبي إلا من خلال الدعوات الباطنية والأسرار؟ والمتنبي، بعد، رجل شفاف لأنه شاعر؛ ولأنه شاعر كبير وشديد الذاتية كان يتدفق بعواطفه. كان ذاتياً إلى أبعد حد وصل إليه شاعر عربي بين امرئ القيس وبدر شاكر السياب؟ تعليق من أحمد عبد الرحيم: [غلا في هذا عبدالله العلايلي.. فاعتبر أن بيت المتنبي: «أنا الذي نظر الأعمى...» رسالة باطنية، تلقفها أبو العلاء، متأثرًا طريق أستاذه الباطني الأعظم الذي لم يلقه! لكنه يؤكد كثيرًا على أن باطنية كلٍّ منهما باطنية خاصة، لا تلك المألوفة حتى زمانيهما.

لكن.. بعيدًا عن الغلو: لا أنفك أفكر في أن جذور المذهب العلائي هي، بوضوح، لدى أبي الطيب! المرأة، الخمر، الدنيا، الدهر.. وربما: الشك! وبالطبع: اللعب اللغوي والفني!]

وإنّـي لَـمِـنْ قَـوْمٍ كَـأَنَّ نُـفـوسَـهُـمْ بِها أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ والعَظْمَا

أنا من قوم نفوسهم عالية وعظيمة فكأنها تأنف (تترفع) أن تكون ساكنة في الأجسام

كَذَا أَنا يَا دُنْيا، إذا شئتِ فاذهَبي ويا نَفْسِ زِيدي في كَرائِهِها قُدْمَا

هكذا أنا أيتها الدنيا، فإن شئت فاذهبي عني؛ ويا نفسي! زيدي قدماً (أكثر) في كرائِه الدنيا (مصائبها) بسبب طموحك

فَلَا عَـبَـرَتْ بـي سـاعـةٌ لا تُـعِـزُّنـي ولا صَحِبَتْني مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

أدعو ألا تعبر بي ساعة ليس لي فيها عز، وألا تصحبني مهجة (قلب) تقبل الظلم

٤٤ شهادة بالكمال

قال المتنبي يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسين الأنطاكي: ٤٣/١١

لِكِ يـا مَـنـازِلُ في القـلـوبِ مَـنازِلُ أَقْـفَـرْتِ أنـتِ، وهُـنَّ مـنـكِ أَوَاهِـلُ

يا منازل الحبيبة لك في القلوب منزلة كبيرة، وأنت قد أقفرت (خربت برحيلهم)، ولكن مكانتك في القلوب آهلة (عامرة)

وأنـا الـذي اجْـتَـلَـبَ الـمـنِـيَّـةَ طَرْفُـهُ فَـمَـنِ الـمُـطَـالَـبُ؟ والقـتـيـلُ القـاتِـلُ

طرفي (عيني) جلب لي المنية (الموت) عشقاً، فمن أطالب بالثأر، والذي قتلني هو نظري؟ تسويد أ. عبد الرحيم

تـخْـلُـو الـدِّيـارُ مِـنَ الـظِّـبـاءِ، وعـنـدَهُ مِـنْ كُـلِّ تَـابِـعَـةٍ خَـيَـالٌ خَـاذِلُ

الديار تخلو من الظباء (الحسان) لرحيل القوم، وعندي بدلاً من كل تابعة (غزالة صغيرة تتبع أمها) خيالها الخاذل (المتخلّف المتعوق عن بقية الركب) الذي يزورني في المنام

كَمْ وَقفةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقاً، بَعْدَما غَرِيَ الرَّقيبُ بِنا، وَلَجَّ العَاذِلُ

ما أكثر الوقفات التي سجرتك (ملأتك) بالشوق بعدما غري (تحمس) الرقيب بملاحقتنا، ولج (تمادى) العاذل في لومنا

دونَ التَّعانُقِ نَاحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ نَصْبٍ أَدَقَّهُما وَضَمَّ الشَّاكِلُ

وقفنا دون (قبل) العناق ناحلين (نحيفين من العشق) كشكلتي نصب ً)) جعلهما الذي يشكل الحروف دقيقتين ومتقاربتين

اِنْعَمْ ولَذَّ! فَلِلأمُورِ أَوَاخِرٌ أَبَداً إذا كانَتْ لَهُنَّ أوائِلُ

فلتنعم بالاً ولتلذ (لتطب نفساً)! فكل شيء له آخر إذا كان له أول، ولا بد لألم العشق من أن ينقضي

لِلَّهْوِ آونَةٌ تَمُرُّ كأنَّها قُبَلٌ يُزَوَّدُها حَبيبٌ رَاحِلُ

للهو آونة (أوقات) تمر سريعاً كأنه قبلات وداع يأخذها المرء من حبيب

جَمَحَ الزَّمانُ، فَلا لَذيذٌ خَالِصٌ مما يَشوبُ، ولا سُرورٌ كامِلُ

جمح (استعصى) الزمان، فلا يوجد شيء لذيذ خالص من الشوائب، ولا يوجد سرور كامل

لا تَجسُرُ الفُصَحاءُ تُنْشِدُ هَهُنا بَيْتاً، ولكنّي الهِزَبْرُ الباسِلُ

لا تجسر (تجرؤ) الفصحاء أن تنشد هنا بيت شعر، وأما أنا فالهزبر (الأسد) الشجاع، أنا جريء على الإنشاد لفصاحتي فلا أخشى نقداً ولا منافساً في الشعر

ما نالَ أهلُ الجاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْري، ولا سَمِعَتْ بِسِحْرِيَ بابِلُ

لم يبلغ أهل الجاهلية مستوى شعري، ولا عرفت بابل، المشهورة بالسحر، كسحر بياني

وإذا أَتَتْكَ مَذَمَّتي مِنْ ناقِصٍ فَهِيَ الشَّهادَةُ لي بِأَنّيَ كامِلُ

إذا أتتك مذمتي (ذمي) من شخص ناقص فهي شهادة لي بالكمال

٤٥ الغريب

قال المتنبي يمدح أبا سهل سعيد بن عبيد الله بن الحسن الأنطاكي: ٤١/٥

قد كنتُ أُشْفِقُ مِنْ دمعي على بَصَري فاليومَ كُلُّ عَزيزٍ بَعدَكُمْ هانَا

كنت أشفق (أخشى) من كثرة البكاء على بصري، واليوم بعد رحيلكم لم يعد يهمني شيء. لقد رحل قوم المحبوبة ـ وهي بالطبع بدوية ـ في طلب العشب

تُهدِي البَوارِقُ أَخلافَ المياهِ لَكُمْ   ولِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكارِ نِيرانَا

تهدي البوارق (الغيوم الماطرة التي يلمع فيها البرق) أخلاف (أثداء الناقة) المياه لكم، لكنها تهدي المحب الذي يتذكر عهدكم نار العشق. شبه الغيوم الماطرة بضروع أو أثداء الناقة، وهي تدر مطراً لأولئك القوم الرحل

أَبْدُو، فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُني   فَلا أُعاتِبُهُ صَفْحاً وإِهْوانَا

ينتقل لوصف حاله مع الناس: أظهر فيسجد الذي يشتمني إجلالاً لي ونفاقاً، ولا أعاتبه على ما سلف منه صفحاً عنه وإهواناً (استهانة به)

وهَكذا كنتُ في أهلِي وفي وَطني   إنَّ النَّفيسَ غريبٌ حيثُما كانَا

هكذا كان حالي بين أهلي وفي وطني، فأنا كنت غريباً في وطني وفي كل مكان، وهذا شأن النفيس من الرجال (الكبير القيمة)

لا أَشْرَئِبُّ إلى ما لم يَفُتْ طَمَعاً   ولا أَبِيتُ على ما فَاتَ حَسْرَانَا

لا أشرئب (أتطلع) إلى ما لم يفتني نيله، ولا أبيت حسراناً (متحسراً) على ما فاتني. يقول: إنه لا يطمع في تحصيل الممكن، ولا يتحسر على فقد الفائت من الفرص

٤٦ لا تخرج الأقمار عن هالاتها

قال المتنبي يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران: ٢٠/٤٠

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَواتِها   داني الصِّفاتِ، بَعيدُ مَوْصوفَاتِها

هذا سرب من الحسان، ومحاسن السرب أنا محروم من صاحباتها، والسرب داني (قريب) الصفات، ولكن الموصوفات بها بعيدات لا سبيل إليهن. يقول: أرى جمالهن قريباً، وأما الوصول إلى ذواتهن فشيء بعيد

أَوْفَى، فَكُنْتُ إذا رميتُ بِمُقلتي   بَشَراً رأيتُ أَرَقَّ مِنْ عَبَراتِها

أوفى السرب (اقترب)، فكنت أرمي بعيني بَشَرهن (جلدهن) فأراها أرق من عبرات (دموع) عيني. يقول: بشرة هؤلاء النسوة أرق من دموع عيني

يَسْتَاقُ عِيسَهُمُ أنينيَ خَلفَها؛   تَتَوَهَّمُ الزَّفَراتِ زَجْرَ حُدَاتِها

أنيني يستاق (يسوق) عيسهم (جمالهم) من خلفها، والجمال تتوهم زفراتي (تنهداتي) زجر حداتها (صوت سائقيها)

وكَأَنَّها شَجَرٌ بَدَتْ، لَكِنَّها   شَجَرٌ جَنَيْتُ الموتَ مِنْ ثَمَرَاتِها

كأن هذه الأبل عندما ظهرت شجر، لكنها شجرات جنيت (قطفت) الموت من ثمرها. فرحيل الأحبة بالنسبة لي مثل الموت

لا سِرْتِ مِنْ إِبِلٍ! لَوَ انِّيَ فَوقَها   لَمَحَتْ حَرارةُ مَدْمَعَيَّ سِمَاتِها

أدعو الله ألا تسير تلك الإبل التي لو كنت راكباً فوقها لامَّحت من حرارة مدمعيَّ (مجريي الدمع في العينين) سماتها (علاماتها المطبوعة على جلدها بالكيّ)

وَحَمَلْتُ ما حُمّلْتِ مِنْ هَذي المَها   وحَمَلْتِ ما حُمِّلْتُ مِنْ حَسَراتِها

ليتني حملتُ أنا ما تحملين أيتها الإبل من المها (الجميلات الشبيهات ببقر الوحش)، وليتك أيتها الإبل تحملين أنتِ ما أحمل في قلبي من الحسرات على فراقهن

وتَرَى المُرُوَّةَ والفُتُوَّةَ والأُبُوَّ ـ   ةَ فِيَّ كُلُّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِها

ترى كل مليحة (حسناء) مروءتي وفتوَّتي وشعور الأبوة الذي عندي بمثابة ضرات لها (منافسات). فهذه الأخلاق العفيفة تملأ قلبي، ولا تترك مكاناً للغرام، لذا فكل حسناء تحس بالغيرة من هذه الخصال الحميدة عندي

هَنَّ الثَلاثُ المانِعَاتِيَ لَذَّتي   في خَلْوَتي، لا الخَوْفُ مِنْ تَبِعاتِها

هذه الخصال الثلاث ـ المذكورة في البيت السابق ـ تمنعني من لذة أستطيع الحصول عليها في خلوة، وليس الذي يمنعني الخوف من التبعات (النتائج). البيتان السابقان من تسويد أحمد عبد الرحيم، وتعليقه «هذان عاليان جداً!»

ومَطَالِبٍ، فيها الهَلاكُ، أَتيتُها   ثَبْتَ الجَنَانِ، كأَنَّني لم آتِها

ورب مطالب (أهداف) تؤدي إلى الهلاك، ولكنني اقتحمتها ثبت الجنان (راسخ القلب) وكأنني لا أقتحمها

ومَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غادَرْتُها   أَقْواتَ وَحْشٍ، كُنَّ مِنْ أَقْواتِها

ورب مقانب (كتائب) واجهتها بكتائبي، وتركتها أقوات وحش (طعاماً للسباع)، فبعد أن كان جنود هذه الكتائب يصيدون السباع صاروا طعاماً لها

أَقْبَلْتُها غُرَرَ الجِيادِ، كأَنَّما   أَيْدِي بَني عِمْرَانَ في جَبَهاتِها

هذه الكتائب أقبلتها (جَبَهْتُها بـ) وجوه الخيل التي فيها بياض، وكأن هذا البياض في جبين كل فرس هو أيدي (أفضال) بني عمران

الثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِها   في ظَهْرِها، والطَّعْنُ في لَبَّاتِها

بنو عمران ثابتون لفروسيتهم فوق الخيل فكأنهم جلودها، لا ينزلون عنها بينما الطعن بالرماح متواصل في لبات الخيول (صدورها). يقول: بنو عمران ثابتون على ظهور الخيل لمهارتهم في الفروسية، رغم اشتداد المعركة واتصال الطعن في صدور الخيل

العارِفِينَ بِها كَما عَرَفَتْهُمُ   والرَّاكِبِينَ جُدُودُهُمْ أُمَّاتِها

وهم عارفون بها جيداً والخيل تعرفهم، وأجدادهم كانوا يركبون أمات (أمهات) هذه الخيول أيضاً

فَكَأَنَّما نُتِجَتْ قِيَاماً تَحْتَهُمْ   وكأنَّما وُلِدُوا على صَهَواتِها

ولشدة التصاقهم بالخيل والفروسية كأن الخيل نتجت (وُلدت) واقفة تحتهم، أو كأن بني عمران ولدوا هم أنفسهم على صهوات الخيول

تِلْكَ النُّفوسُ الغالِباتُ عَلى العُلا   والمجدُ يَغْلِبُها على شَهَواتِها

نفوس بني عمران تغلب الناس وتأخذ العلا (المكارم)، ولكن المجد يغلب بني عمران ويمنعهم من الشهوات. يقول: هم غالبون يأخذون المجد، والمجد يغلبهم فيجعلهم يترفعون عن الشهوات الدنيئة

سُقِيَتْ مَنابِتُها التي سَقَتِ الوَرى،   بِنَدى أبي أَيُّوبَ خَيْرِ نَباتِها

سُقيت منابت هذه النفوس، التي سقت الورى (الناس)، من ندى (كرم) أبي أيوب الذي هو خير نبات أنبتته منابت بني عمران

عَجَباً لَهُ! حَفِظَ العِنَانَ بِأَنْمُلٍ   ما حِفْظُها الأَشياءَ مِنْ عادَاتِها

عجباً كيف يمسك أبو أيوب العنان (مقود الفرس) بأنمل (بأنامل) لم تتعود الاحتفاظ بالأشياء، فأنامله تعطي كل شيء للناس لشدة كرمه

كَرَمٌ تَبَيَّنَ في كَلامِكَ ماثِلاً   وَيَبِينُ عِتْقُ الخيلِ في أَصْواتِها

كرم الخُلق بدا واضحاً في كلامك يا أبا أيوب، وعتق الخيل (أصالتها) يبين ويظهر في أصواتها

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نِلْتَهُ   لا تَخْرُجُ الأَقْمارُ عَنْ هالاتِها

أعيا (استحال) زوالك عن مكانتك التي نلتها، فأنت كالقمر والمكانة التي نلتها كهالة القمر، والقمر لا يخرج عن هالته. قل لي بربك من كان يحسن أن يقول «لا تخرج الأقمار عن هالاتها»؟ وأراك مشغولاً بالمفاضلة بين المتنبي وغيره من شعراء عصره!

ذُكِرَ الأنامُ لنَا، فكانَ قَصيدةً   كُنْتَ البَديعَ الفَرْدَ مِنْ أبياتِها

ذكر لنا الأنام (الناس) فكانوا قصيدة، وأنت في هذه القصيدة البيت البديع المنفرد بالحسن. وكما قال النقاد القدامى فهذا البيت الذي يتحدث عن بيت منفرد بالحسن هو البيت المنفرد بالحسن في هذه القصيدة

٤٧ أنا الجبال

قال المتنبي يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي: ١٥/ ٤١

أُطَاعِنُ خَيْلاً، مِنْ فَوارِسِها الدَّهْرُ   وَحِيداً؛ ومَا قَوْلِي كَذا! وَمَعِي الصَّبْرُ

أطاعن (أطعن) خيلاً فرسانها ليسوا سوى الدهر نفسه، أطعنها وحيداً.. لكن لماذا أقول هذا؟ أليس الصبر رفيقي؟ جعل الزمن فارساً راكباً حصاناً وهو يحاربه، لكن المتنبي ليس وحيداً في معركته مع الزمن فالصبر رفيقه

وأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَومٍ سَلامتـي   ومَـا ثَبَتَـتْ إلَّا وفـي نَفْسِهـا أَمْرُ

ولعل سلامتي التي ظلت ترافقني أشجع مني، فقد ثبتت للدهر، وما ثبتت إلا لأمر عظيم. هذا بالضبط شعور المصابين بجنون العظمة. يبدأون بالتعجب من سلامتهم من كل الأخطار، ويتسلل إليهم إحساس بأن الله ساقهم ليؤدوا رسالة علوية، وهو الذي يضمن سلامتهم. ويستمدون من هذا الشعور شجاعة كبيرة يستغربها من حولهم. موسوليني كان كذلك، وانتهى به الأمر معلقاً من كعبيه مقتولاً شر قتلة، وقل في هتلر الشيء نفسه. وميتة المتنبي من هذا الباب. مع أن شاعرنا المسكين أخفق في مسعاه للملك ورأى ثمرات الخيبة قبل موته وبدأ يستشعر ريح اليأس في سنواته الأخيرة، لكنه ظل يأبى الرضا بما حقق من مجد أدبي

تَمَرَّسْتُ بِالآفاتِ حتى تَرَكْتُها   تَقُولُ: أَماتَ الموتُ، أَم ذُعِرَ الذُّعْرُ؟

تمرست بالآفات (بالمشكلات) حتى تركتُ هذه المشكلات وهي تقول: هل مات الذعر (الخوف)، أم أن الخوف خاف من هذا الرجل ومن عزيمته؟

وأَقْدمتُ إقدامَ الأَتِيِّ، كَأَنَّ لـي   سِوى مُهْجَتِي، أو كانَ لي عِنْدَها وِتْرُ

وأقدمت إقدام الأتي (السيل) كأن لي روحاً ثانياً غير روحي، أو كأن لي عند روحي وتراً (ثأراً) فأنا أريد إزهاق روحي بكل وسيلة

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَها قَبْلَ بَيْنِها   فَمُفْتَرِقٌ جَارانِ دارُهُما العُمْرُ

ذر (اترك) النفس تأخذ وسعها (طاقتها) قبل بينها (فراقها)، فالجاران (الجسم والروح) اللذان يسكنان في «العمر» لا بد أن يفترقا عاجلاً أو آجلاً

ولا تَحْسَبَنَّ المجدَ زِقّاً وَقَيْنَةً   فما المجدُ إلَّا السَّيفُ والفَتْكَةُ البِكْرُ

ولا تظن المجد زقاً (قِربة خمر) وقينة (مغنية)، فالمجد هو السيف والفتكة البكر (البطش الذي لم يسبِق إليه أحد)

وتَضْريبُ أَعناقِ الملوكِ، وأَن تُرَى   لَكَ الهَبَواتُ السُّودُ والعَسْكَرُ المَجْرُ

والمجد هو ضرب أعناق الملوك، وهو أن يكون لك هبوات (سُحُب غبار) سود في المعارك، وعسكر مجرٌ (كبير)

وتَرْكُكَ في الدُّنْيا دَوِيّاً كأَنَّما   تَدَاوَلُ سَمْعَ المَرْءِ أَنْمُلُهُ العَشْرُ

والمجد هو أن تترك في الدنيا دوياً كالدوي الذي يسمعه من يسد أذنيه بأنملتين من أنامله، والمرء يسد أذنيه بإصبعين فقط فكيف لو سدهما بالأصابع العشر!

إذا الفَضْلُ لم يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ   على هِبَةٍ، فَالفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ

إذا لم يمكّنك فضلك من الترفع عن نيل هبة (هدية) رجل دنيء وشكره عليها فالفضل له لا لك

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعاتِ في جَمْعِ مالِهِ مَخافَةَ فَقْرٍ، فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

من ينفق وقته في جمع المال خوف الفقر فما يفعله هو الفقر بعينه لأنه يعيش حياته عيشة الفقراء، يجمع المال ولا ينفقه

وكَمْ مِنْ جِبالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّني الْـ ـجِبَالُ، وبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّني البَحْرُ

تشهد الجبال التي جبتها (قطعتها) أنني أنا الجبال، والبحر يشهد أنني أنا البحر. فالمتنبي كالجبال ثباتاً وكالبحر كرماً

وما قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكادُ بُيوتُهُ إذا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِها الحِبْرُ

شعري تكاد أبياته تحول الحبر الأسود إلى اللون الأبيض لما فيها من نور البيان

كأنَّ المعانيِ في فَصاحةِ لفظِها نجومُ الثُّرَيَّا، أو خلائِقُكَ الزُّهْرُ

كأن معاني شعري وألفاظه نجوم الثريا (مجموعة نجوم) أو خلائقك (خصالك) الزهر (النيرة)

وجَنَّبَني قُرْبَ السَّلاطينِ مَقْتُها ومَا يَقْتَضيني مِنْ جَمَاجِمِها النَّسْرُ

الذي جنبني قرب السلاطين مقتي لهم، وما يقتضيني النسر (يطالبني) من قطع جماجمهم، فالنسور تحب الجثث لأنها تتغذى بها

وإنِّي رأَيْتُ الضُّرَّ أحسنَ مَنظَراً وأَهْوَنَ مِنْ مَرأى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ

وقد رأيت الضر (الفقر) أهون على الإنسان من رؤية رجل صغير النفس به كبر (تكبُّر)

٤٨ المحسود الفقير

قال المتنبي يمدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه، وكان له وكيل يتعرض للشعر فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده فتلقاه وأجلسه في مجلسه، ثم كتب إلى علي يقول: ٤٣/٨

أَعَزْمِي! طالَ هذا الليلُ فانظُرْ أَمِنْكَ الصُّبحُ يَفْرَقُ أنْ يَؤوبا

يا عزمي (عزيمتي) قد طال هذا الليل فانظر لعل الصبح يفرق (يخاف) منك فهو لذلك ليس يؤوب (يرجع)

أُقَلِّبُ فيهِ أجفانيِ كأنِّي أَعُدُّ بِها على الدَّهرِ الذُّنوبا

أقلب أجفاني في الليل ساهراً فكأنني برمشات عيني أعد ذنوب الدهر التي ارتكبها بحقي

وما ليلٌ بِأَطولَ مِنْ نَهارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادي مَشُوبا

والليل بطوله وقسوته ليس أطول من نهار يظل مشوباً (مختلطاً) بلحظ (بنظرات) حسادي

وما مَـوْتٌ بِـأَبْـغَـضَ مِـنْ حَـيـاةٍ   أرى لَـهُـمُ مَـعــي فِـيـهـا نَـصـيـبـا

وما الموت عندي بأبغض (أسوأ) من حياة يعايشني فيها الحساد

عَـرَفْـتُ نَـوائِـبَ الـحَـدَثـانِ حتـى   لَـوِ انْـتَـسَـبَـتْ لَـكُـنْـتُ لـهـا نَـقِـيـبـا

عرفت نوائب (مصائب) الحدثان (الزمن) حتى لو أنها انتسبت (ذكرت لنفسها نسباً) لكنت أنا نقيبها (والنقيب رئيس العشيرة العارف نسبها)

ولـمَّـا قَـلَّـتِ الإبِـلُ امـتَـطَـيْـنـا   إلى ابْنِ أبي سُلَيمانَ الخُطُوبا

ولما صارت الإبل قليلة امتطينا (ركبنا) إلى ابن أبي سليمان الخطوبا (المشكلات).

يقول: اتخذنا من مشكلات الزمن مطية نركبها إلى الممدوح فنحن بسبب هذه المشكلات نلجأ إليه للمساعدة. تسويد أ. عبد الرحيم

مَـطَـايـا لا تَـذِلُّ لِـمَـنْ عَـلـيـهـا   ولا يَـبْـغـي لـهـا أَحَـدٌ رُكُـوبـا

وهذه المطايا (الإبل) لا تذل (لا تكون طيعة) لمن يركبها، ولا أحد يحب أن يركبها أصلاً

وَتَـرْتَـعُ دونَ نَـبْـتِ الأرضِ فِـيـنـا   فَـمـا فَـارَقْـتُـهـا إلَّا جَـدِيـبـا

وهي لا ترتع (ترعى) في الأرض بل ترتع في نفوسنا، فما أفارق هذه المشكلات إلا وأنا جديب (مجدب فقير). يقول المتسولون كلاماً كهذا على أبواب الجوامع كل يوم، لكن شاعرنا صاغه صياغة جعلتنا نختاره ونشرحه بعد أكثر من ألف سنة من موته. إن من البيان لسحراً

٤٩ ومن نكد الدنيا

قال المتنبي يمدح علي بن محمد التميمي: ٣٧/١٠

أَقَـلُّ فَـعَـالـي، بَـلْـهَ أَكْـثَـرَهُ، مَـجْـدُ   وذَا الجِدُّ فَيهِ، نِلْتُ أم لم أَنَلْ، جَدُّ

أقل فعالي (أفعالي)، بله (دع عنك) أكثره، مجيد؛ وذا (هذا) الجد (الاجتهاد) في تحقيقه ـ سواء نلت ما أريد أم لم أنل ـ جَد (سعد وحظ). يقول: أقل ما صنعت، ناهيك بالكثير منه، هو من المجد، ومجرد اجتهادي هو من حسن حظي بغض النظر إن نلت ما أريد أم أخفقت

سَـأَطْـلُـبُ حَـقِّـي بِـالـقَـنَـا ومَـشَـايِـخٍ   كَـأَنَّـهُـمُ مِـنْ طُـولِ ما الـتَـثَـمُـوا مُـرْدُ

سأطلب حقي بالقنا (بالرماح) وبمشايخ (رجال من السادة) الذين التثموا كثيراً (لثموا وجوههم في المعارك) ولهذا فوجوههم قليلة الشعر كأنهم مُرد (فتية لم تطلع لحاهم)

ثِـقَـالٍ إذا لَاقَـوْا، خِـفَـافٍ إذا دُعُـوا   كَـثِـيرٍ إذا اشْـتَـدُّوا، قَـلِـيـلٍ إذا عُـدُّوا

هم ثقال قساة عندما يلاقون العدو، ولكن إذا دُعوا للحرب كانوا خِفافاً سريعي الاستجابة، وهم كثر بشدة بأسهم، لكنك إذا عددتهم رأيت عددهم قليلاً

إذا شئتُ حَفَّتْ بي على كُلِّ سَابحٍ   رِجَالٌ كَأَنَّ الموتَ في فَمِها شَهْدُ

إذا شئت حفت بي (أحاطت بي) على ظهر كل سابح (فرس) رجال الموتُ شهد بالنسبة لهم

أَذُمُّ، إلى هذا الزَّمانِ، أُهَيْلَهُ   فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ، وأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ

أذم أهل هذا الزمان، فأكثرهم علماً فدم (غبي)، وأكثرهم حزماً وغد

وأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ، وأَبْصَرُهُمْ عَمٍ   وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ، وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ

وأكرم (أشرف) هؤلاء البشر كلب، وأحدهم بصراً أعمى، وأسهدهم (أكثرهم سَهَراً) فهد (والفهد مشهور بكثرة النوم)، وأشجعهم قرد

ومِنْ نَكَدِ الدُّنْيا على الحُرِّ أَنْ يَرَى   عَدُوّاً لَهُ، مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

من نكد هذه الدنيا على الرجل الحر أنه مجبر على التظاهر بصداقة من يعاديه. كنا في الصف الحادي عشر عندما درسنا هذه القصيدة في المدرسة. وخرجنا بعد الدرس إلى الساحة في فرصة الضحى، وقلت لصديقي نزار هل انتبهت إلى ذلك البيت؟ فقال لي: ومن نكد الدنيا؟ ونظر أحدنا في وجه الآخر. أستذكر هذا الموقف، وأسأل نفسي: هل الجيل الجديد مستعد لأن يتذوق المتنبي تذوقاً فطرياً كما تذوقناه؟ وهل يمكن لفتية لم يجربوا من الحياة شيئاً أن يحسوا بمثل هذه المعاني؟ عندي ثقة في أن شباب العرب لن يستمروا في إهمال هذا التراث الفاحش الثراء من الحكمة والأدب. نحن نبعث أولادنا وبناتنا إلى المدارس التي تدرسهم باللغات الأجنبية والتي تجعلهم يزدرون تراثهم، وهم هناك يدرسون قليلاً من شكسبير ومن قصص وروايات الشعوب المسيطرة علينا وعلى العالم. ولكنهم لا يتمكنون من النص الشكسبيري ولا يتمثلون الثقافات الأخرى. يخرجون من تلك المدارس مخلوقات مشوهة في وجدانها. ويصبح خريجو المدارس الأجنبية وزراء للمعارف، ويفرضون على كل طلبة هذا الوطن مناهج كالتي درسوها. وهذا الشيء قد بدأ فعلاً. ولست ضد هذه المدارس الأجنبية، لا بل أريد من كل مدرسة أن تعلم أبناء العرب اللغة الإنجليزية ومنذ سن مبكرة. لست ضدها، أنا ضد شعوبنا نفسها. إنها شعوب مستعجلة، تريد أن تتاجر فقط. ولا تريد أن تصنع ولا أن تزرع. ولذا فهي تدفع المال الكثير لتعليم أولادها في مدارس تقوم بتخريج طبقة من السماسرة. كنا في الماضي وسطاء بين الشرق والغرب بحكم موقعنا الجغرافي، واليوم صارت أوروبا تستورد من الصين والهند بدون المرور بأراضينا. فصرنا وسطاء بين ثروات أرضنا وبين الغربيين، ونحن نقوم بتهريب خيراتنا إليهم. وخير ما يدرسه أولاد السماسرة اللغة الأجنبية، والقليل القليل من تراث الأجانب. أما تذوق الشبان الصغار لمعاني المتنبي وحكمته فأمر يعود للغة وتذوقها. وليس كثيراً على فتى في السابعة عشرة من عمره أن يحس بمعنى بيت المتنبي. ولكن فتيان زمننا هذا ما عادوا يحسُّون باللغة العربية الفصحى إلا قليلاً

وإنِّي لتُغْنِيني مِنَ الماءِ نُغْبَةٌ   وأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَما تَصْبِرُ الرُّبْدُ

وتغنيني عن شرب الماء نغبة (جرعة) منه، وأصبر عن الماء صبر الربد (النَّعام)

وأَمضيِ كما يَمْضيِ السِّنَانُ لِطِيَّتِي   وأَطْوَى كما تَطْوَى المُجَلِّحَةُ العُقْدُ

وأمضي لطيتي (في سبيل هدفي) مثل السنان (سن الرمح)، وأطوى (أجوع) مثلما تجوع المجلحة (الذئاب) العُقْد (ذوات الأذناب التي فيها عُقَد)

وأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزاءٍ بِغِيبَةٍ   وكُلُّ اغْتِيابٍ جُهْدُ مَنْ ما لهُ جُهْدُ

وأكبر نفسي (أُجِلُّ نفسي) عن مجازاة أحد باغتيابه، وكل اغتياب هو جهد (أقصى استطاعة) من ليس له قوة

٥٠ لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى..

قال المتنبي يهجو ابن كَيْغَلَغ سنة ست وثلاثين وثلاثمئة، وكان يريد السير من الرملة إلى أنطاكية فأخذ ابن كيغلغ عليه الطرق ومنعه من الرحلة إلا أن يمدحه، فقال المتنبي يهجوه، وأملاها على من يثق به في طرابلس ثم سار وأفلت: ٣٧/٢٤

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ   عَرَضاً نَظَرْتُ، وخِلْتُ أَنِّيَ أَسْلَمُ

لهوى القلوب سريرة (سر) خفي، فقد نظرت لتلك الفاتنة عَرَضاً وخلت (ظننت) أني سأسلم من العشق

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ في الوَغَى!   لَأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وأَرْحَمُ

يا أخت معتنق الفوارس (الرجل الذي يشتبك مع خصمه وهما على الخيل) في الوغى (في الحرب)، والله لأخوك ثَمَّ (هناك، في الحرب) أرق منك قلباً. تسويد أ. عبد الرحيم

رَاعَتْكِ رَائِعَةُ البَيَاضِ بِمَفْرِقِي   وَلَوَ انَّهَا الأُولى، لَرَاعَ الأَسْحَمُ

راعتك (أخافتك) رائعة البياض (الشعرة البيضاء التي تروع الناظر) بمفرقي (برأسي)، ولو أن هذه هي الشعرات الأولى أيام الشباب لراعك الأسحم (الأسود)

ولقد رأَيْتُ الحادِثَاتِ، فَلَا أَرَى   يَقَقاً يُمِيتُ، ولا سَوَاداً يَعْصِمُ

قد رأيت أحداث الزمن، فلا أرى يققاً (أبيض) يميت، ولا سواداً يعصم (يحمي)

والهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً   ويُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَبِيِّ، ويُهْرِمُ

والهم يخترم (يهلك) الجسيم السمين فيجعله نحيفاً، ويُشيب ناصية (سالف) الصبي ويهرمه (يجعله هرماً)

ذُو العَقْلِ يَشْقَى في النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ   وأَخُو الجَهَالَةِ في الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

والنَّاسُ قد نَبَذُوا الحِفَاظَ، فَمُطْلَقٌ   يَنْسَى الذي يُولَى، وعَافٍ يَنْدَمُ

الناس نبذوا (تركوا) الحفاظ (حماية الشرف) فهم بين مطلق (أُطلق سراحه من حبس) ينسى الذي يولى (يُعطَى من إحسان)، وبين عاف (الذي عفا عنه) نادم لأنه عفا

لا يَـخْـدَعَـنَّـكَ مِـنْ عَـدُوٍّ دَمْـعُـهُ   وارْحَـمْ شَبَـابَـكَ مِنْ عَـدُوٍّ تَـرْحَـمُ

لا تنخدع بدمع العدو، وارحم شبابك من العدو الذي ترحمه وتشفق عليه

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأذَى   حـتـى يُـرَاقَ عـلـى جَـوانِـبِـهِ الـدَّمُ

تعليق أحمد عبد الرحيم: [رغم بشاعة بعض معاني الشعر.. إلا أنك تجد نفسك منساقًا، بقضاءٍ لا تدري كيف هو!، للإعجاب بقوي نظمه، أو بديع صوره، أو بعذوبة إيقاعه.. أو بها جميعًا! وكثير من هذا لدى صديقنا أبي الطيب!]

والظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ، فَإِنْ تَجِدْ   ذَا عِـفَّـةٍ، فَـلِـعِـلَّـةٍ لا يَـظْـلِـمُ

الظلم من شيم (طبائع) النفوس، فإن تجد ذا عفة (صاحب عفة)، فلِعِلةٍ (لسببٍ مّا) لا يظلم، وليس هناك عفة حقيقية

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ، وعِرْسُهُ   مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ

ابن كيغَلَغ يحمي الطريق (يمنعني من مغادرة البلد)، وعرسه (زوجته) تفتح الطريق للجميع. ينطق المتنبي اسم «ابن كيغلغ» بإسكان الياء، وستجده في قصيدة أخرى يفتح الياء وشكلنا الاسم بالطريقتين هنا ثم هناك

ومِنَ البَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لا يَرْعَوِي   عَنْ جَهْلِهِ، وخِطَابُ مَنْ لا يَفْهَمُ

من البلية (المصيبة) عذل (لوم) من لا يرعوي (يرتدع) عن جهله، والتحدث إلى من لا يفهم. تسويد أ. عبد الرحيم

فارفُقْ بِنَفْسِكَ، إنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ   واسْتُرْ أبَاكَ، فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ

فيا هذا ارفق بنفسك ولا تعرضها للشتم، فخلقك ناقص (عندك عاهات/ويرى أحمد عبد الرحيم أن المتنبي يومئ إلى أن الرجل يفتقد ذلك الشيء الذي يكون للرجل دون المرأة)، واستر أباك فإن أصلك مظلم (ليس نسبك معروفاً)

وجُـفـونُـهُ مَـا تَـسْـتَـقِـرُّ كَـأَنَّـهـا   مَـطْـرُوفَـةٌ، أَوْ فُـتَّ فـيـهـا حِـصْـرِمُ

جفون هذا المهجو لا تستقر فهو يرمش باستمرار، فكأنها مطروفة، أو فُتَّ فيها الحصرم (العنب الفجّ الحامض)

وإذا أَشَـارَ مُـحَـدِّثَـاً فَـكَـأَنَّـهُ   قِـرْدٌ يُـقَـهْـقِـهُ، أو عَـجُـوزٌ تَـلْـطِـمُ

وعندما يتكلم يلوح بيديه كأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وتَـرَاهُ أَصْـغَـرَ مَـا تَـرَاهُ نَـاطِـقَـاً   ويَـكُـونُ أَكْـذَبَ ما يَـكـونُ، ويُـقْـسِـمُ

يكون في أصغر (أحقر) حالاته متكلماً، وعندما يكذب الكذبة الكبيرة يقسم عليها

والـذُّلُّ يُـظْـهِـرُ فـي الـذَّلِـيـلِ مَـوَدَّةً   وأَوَدُّ مِـنْـهُ، لِـمَـنْ يَـوَدُّ، الأَرْقَـمُ

الذل يجعل الذليل يبدو ودوداً، ولكن وده ـ لمن يُظهر له الود ـ كَوُدِّ الأرقم (الثعبان)

وَمِنَ العَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

فَلَشَدَّمَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِداً ... وَلَشَدَّمَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأَنْجُمُ

ما أكثر ما جاوزت قدرك، وأنت تحاول أن أمدحك، وما أكثر ما ظننت النجوم قريبة من يدك

وأَرَغْتَ مَا لِأَبي العَشَائِرِ خَالِصاً ... إنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ

وأرغت (طلبت) المدح الذي هو خالص لأبي العشائر؛ إن المدح هو لمن نزوره فينعم علينا

ولِمَنْ يُهِينُ المَالَ، وَهْوَ مُكَرَّمٌ ... ولِمَنْ يَجُرُّ الجَيْشَ، وَهْوَ عَرَمْرَمُ

والمدح لمن يهين ماله ويكرم نفسه، ولمن يجر الجيش والجيش عرمرم (كبير)

ولِمَنْ إذا التَقَتِ الكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ ... فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الكَمِيُّ المُعْلَمُ

والمدح لمن إذا التقى الكماة (المدججون بالسلاح) في موضع ضيق، فهو يبارز المسلح المعلم (الشجاع الذي يضع ريشة أو علامة يعرف بها)

ولَرُبَّمَا أَطَرَ القَنَاةَ بِفَارِسٍ ... وثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ

وربما أطر القناة (قوّس الرمح) عندما يطعن فارساً، ثم ثنى (انعطف) وقوم الرمح بفارس آخر من الأعداء

أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الكِرَامُ كَرِيمَةٌ ... وفِعَالُ مَنْ تَلِدُ الأَعَاجِمُ أَعْجَمُ

أفعال الأصيلين أصيلة وأفعال الأعاجم أعجمية

٥١ حب يزيد ويشتد

قال المتنبي يمدح الحسين بن علي الهمذاني: ٨/ ٣٧

إذا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِها ... فَمِنْ عهدِها أنْ لا يَدُومَ لَها عَهْدُ

إذا غدرت الحسناء فهي توفي بعهدها الأنثوي، فعهد المرأة (عادتها) ألا يدوم لها عهد

وإنْ عَشِقَتْ كانتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ... وإنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَما فِرْكُها قَصْدُ

إن عشقت المرأة كانت أشد صبابة (شوقاً) من الرجل، وأما إن فركت (كرهتْ) فاذهب عنها فليس فركها (كراهيتها للرجل) قصداً (معتدلاً) بل متطرفاً

وإنْ حَقَدَتْ لم يَبْقَ في قَلْبِها رِضىً ... وإنْ رَضِيَتْ لم يبقَ في قَلْبِها حِقْدُ

كذلكَ أَخلاقُ النِّسَاءِ، ورُبَّما ... يَضِلُّ بِها الهَادي، ويَخْفَى بِها الرُّشْدُ

هكذا أخلاق (طبائع) النساء، والهادي (العاقل) ربما ضل طريقه في التعامل معهن، وربما خفي عليه الرشد (الصواب)

ولكِنَّ حُبّاً خَامَرَ القَلبَ في الصِّبَا يَزِيدُ على مَرِّ الزمانِ ويَشْتَدُّ

ولكن الحب الذي خامر (خالط) القلب منذ الصِّبا يزيد كلما مر الزمن

ومِنّي استفادَ الناسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ. فَجازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ، إنْ لم يَكُنْ حَمْدُ

لقد استفاد (أخذ) الشعراء مني كل المعاني الغريبة، ولهم أقول: جازوا (كافئوني) بأن تتركوا ذمي، إن لم يكن منكم الحمد لي

وَجَدْتُ عَلِيّاً وابْنَه خَيْرَ قَوْمِهِ وهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ، واسْتَوى الحُرُّ والعَبْدُ

ويمدح الحسين بن علي المنبجي بقوله إن علياً وابنه الحسين هما خير (أفضل) قومهما بني طيّء، وبنو طيّء هم أفضل الأقوام؛ وبقية الناس أدنى من طيء، والفارق بين طيء وبين كل الناس كبير إلى درجة أن يستوي بعدهم الحر والعبد (ألا ترى أنك إذا أدركت حجم الشمس وعظمتها تجد كل الكواكب السيارة سواء في الحقارة؟)

وأَصْبَحَ شِعْري مِنْهُمَا في مَكانِهِ وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يُسْتَحْسَنُ العِقْدُ

وقد أصبح شعري من علي وابنه في المكان الصحيح لأنهما يستحقان المدح، مثلما أن العقد جميل على المرأة الجميلة

٥٢ المزاحمة

قال المتنبي يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة: ٣٦/١٠

فَمَا لي ولِلدُّنْيا! طِلَابي نَجُومُها ومَسْعايَ مِنها في شُدُوقِ الأراقِمِ

ما لي ولهذه الدنيا! أنا أطلب الكثير فكأنني أريد نيل نجوم السماء، ومسعاي (مطلوبي) منها موجود في شدوق (أفواه) الأراقم (الأفاعي) لصعوبته

مِنَ الحِلْمِ أنْ تَسْتَعْمِلَ الجَهْلَ دُونَهُ إذا اتَّسَعَتْ في الحِلْمِ طُرْقُ المَظَالِمِ

جزء من الحلم (العقل) أن تستعمل الجهل (الغضب) دون الحلم (حراسة له)، ذلك مطلوب إذا كان الحلم يجر عليك الظلم

وأَنْ تَرِدَ الماءَ الذي شَطْرُهُ دَمٌ فَتُسْقَى، إذا لم يُسْقَ مَنْ لم يُزَاحِمِ

ومن العقل أن ترد (تأتي) الماء الذي شطره (نصفه) دم فتصر على أن تشرب عندما لا يكون ثمة سبيل للشرب إلا المزاحمة. صورة بديعة لصعوبة الحصول على أساسيات الحياة في الصحراء: الماء الذي يرده الناس نصفه دم بسبب القتال عليه

ومَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعْرِفَتي بِها وبِالنَّاسِ، رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ راحِمِ

من عرف الأيام (الدنيا) معرفتي بها وبناسها روَّى (سقى) رمحه من دمهم غير راحم إياهم

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إذا ظَفِرُوا بِهِ ولا في الرَّدى الجَاري عَلَيْهِمْ بِآثِمِ

فالمرء لا يجد رحمة إذا ظفر به الآخرون، وهو غير آثم (مذنب) إذا قتل أحداً، فالردى (الموت) جارٍ على الناس جميعاً ومصيرهم كلهم للموت

إذا صُلْتُ لم أتْرُكْ مَصَالاً لفَاتِكٍ وإنْ قُلْتُ لم أتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ

إذا صلت (هجمت) لم أترك فرصة هجوم لفاتك (شجاع قاتل)، وإن قلت كلاماً لم أترك مجالاً لعالم ينتقدني أو يجاريني

وذِي لَجَبٍ: لا ذُو الجَنَاحِ أمامَهُ بِنَاجٍ، ولا الوَحْشُ المُثَارُ بِسَالِمِ

ورب جيش ذي لجب (ضجة) لا ينجو أمامه الطير لكثرة ما يصيد جنوده الطيور، ولا الوحش المثار (الخارج من بيته) يسلم منه

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وهْيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ القَشَاعِمِ

تمر الشمس ضعيفة فوق هذا الجيش، وتتسلل من بين ريش القشاعم (النسور). والنسور ترافق الجيش لأنها تعرف أن القتلى سيسقطون بعد قليل وستأكل من جثثهم

إذا ضَوْءُها لاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ مِثْلَ الدَّراهِمِ

فإذا كان ضوء الشمس سعيد الحظ وتسلل من فرجة (فتحة) بين النسور، فإنه يشكل بقعاً مثل الدراهم على البَيْض (الخُوَذ التي على رؤوس الجنود)

ويَخْفَى عَلَيْكَ الرَّعْدُ والبَرْقُ فَوْقَهُ مِنَ اللَّمْعِ في حَافَاتِهِ والهَمَاهِمِ

ولا تميز صوت الرعد ولا صورة البرق فوق هذا الجيش لكثرة ما تلمع سيوفه ولكثرة الهماهم (همهمة الجنود وأصواتهم المختلطة)

٥٣ كمين في كفر عاقب

قال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي: ٨/ ٤٠

أَعِيدُوا صَبَاحي، فَهْوَ عِنْدَ الكَوَاعِبِ ورُدُّوا رُقَادِي، فَهْوَ لَحْظُ الحَبَائِبِ

أعيدوا إليّ صباحي الذي فقدته بسبب السهر الطويل، وصباحي موجود عند الكواعب (الفتيات اللائي برزت صدورهن أول بروز)، وردوا علي رقادي (نومي) ولا نوم لي إلا بلحظ (برؤية) الحبائب

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْني وبَيْنَ أَحِبَّتي مِنَ البُعْدِ ما بَيْني وبَيْنَ المَصَائِبِ

ليت البعد الذي بيني وبين الأحبة موجود بيني وبين المصائب

يَهُونُ عَلى مِثْلي إذا رَامَ حَاجَةً وُقوعُ العَوالي، دُونَها، والقَوَاضِبِ

يهون على من كان مثلي في الطموح إذا رام (طلب) حاجة وقوع العوالي (الرماح) والقواضب (السيوف) دون هذه الحاجة (بسببها)

كَثيرُ حَيَاةِ المَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِها   يَزولُ، وبَاقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ

طالت الحياة أم قصرت سيان فهي زائلة، وما بقي من عمرك لن يكون خيراً مما ذهب، فلا تأمل في الكثير

إِلَيْكِ! فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إذا اتَّقَى   عِضَاضَ الأفاعِي نامَ فوقَ العَقارِبِ

إليكِ! (كُفِّي عني يا لائمتي)، فإنني لست الذي يتقي عضاض (عض) الأفاعي ثم ينام فوق العقارب، فأنا جربت الحياة وتمرست بها

أتاني وَعِيدُ الأَدْعِياءِ، وأَنَّهُمْ   أَعَدُّوا لِيَ السُّودَانَ في كَفْرِ عَاقِبِ

جاءني وعيد (تهديد) الأدعياء (المنتسبين لغير آبائهم)، وعرفت أنهم أعدوا لي كميناً من السودان (الرجال السود) في قرية كفر عاقب وكان قوم، يزعمون أنهم من نسل علي بن أبي طالب، قد أعدوا له كميناً

ولَوْ صَدَقُوا في جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ   فَهَلْ فِيَّ وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ

لو صدقوا في نسبهم لكنت أخذت حذري من تهديدهم، فهل يكونون صادقين في هذا التهديد فقط؟

بِأَيِّ بِلادٍ لم أَجُرَّ ذُؤَابَتي؟   وأَيَّ مَكانٍ لم تَطَأْهُ رَكَائِبي؟

بأي بلاد لم أجر ذؤابتي (طرف نعلي)؟ لقد تجولت في كل البلاد؛ وأي بلد لم تطأه (تدسه) ركائبي (جِمالي)؟

٥٤ النجوم هدفي

هاجم الروم أنطاكِيَّةُ وهو فيها، فقال المتنبي: ٩/٦

إذا غَامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ   فلا تَقْنَعْ بِما دُونَ النُّجومِ

إذا غامرت في سبيل شرف مروم (مطلوب) فلا تقنع بما هو أقل من النجوم

فَطَعْمُ الموتِ في أَمْرٍ حَقيرٍ   كَطَعْمِ الموتِ في أَمْرٍ عظيمِ

يَرَى الجُبَنَاءُ أنَّ العَجْزَ عَقْلٌ   وتِلْكَ خَديعَةُ الطَّبْعِ اللئيمِ

الجبناء يرون العجز (القعود عن المغامرة) تعقلاً. لا، بل يخدعون أنفسهم لستر لؤمهم

وكُلُّ شَجَاعةٍ في المرءِ تُغْني   ولا مِثْلَ الشَّجاعَةِ في الحَكِيمِ

الشجاعة وحدها تكفي، ولا شيء أفضل من اجتماع الشجاعة والحكمة

وكَمْ مِنْ عائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً   وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

كثيرون يعيبون القول الصحيح (يقصد الشعر الجيد)، وآفتهم (مشكلتهم) أن فهمهم سقيم

ولَــكِــنْ تَــأْخُــذُ الآذانُ مِــنْــهُ عــلــى قَــدْرِ الـقَـرائـحِ والـعُـلـومِ
فالأذن تفهم الشعر بقدر ما عند المرء من قريحة (طبع) ومن معرفة

٥٥ ذليل قبل الهجاء

بلغه وهو بدمشق أن إسحق بن كَيَغْلَغ يتوعده في بلاد الروم، فقال المتنبي: ٦/٥

أَتَانـي كَلامُ الـجَـاهِـلِ ابْنِ كَـيَـغْـلَـغٍ يَـجُـوبُ حُـزُونـاً بَـيْـنَـنـا وسُـهُـولا
جاءني كلام ابن كَيَغْلغ قاطعاً حزوناً (تلالاً) وسهولاً. كان المتنبي سماه ابن كَيْغَلغ، بسكون على الياء، في قصيدة سابقة (رقم ٥٠) ولا نعرف أي الاسمين الصحيح. ولعل الرجل كان ينطق اسمه بطريقة ثالثة لم تصلنا. ويجوز للشاعر لكي يقيم الوزن ما لا يجوز لغيره

ولوْ لـم يَكُنْ بَيْنَ ابنِ صَفْراءَ حَائِلٌ وبَيْـنـي سِوَى رُمْحي لَـكَان طَـوِيـلا
ولكن، حتى لو كانت المسافة بين ابن صفراء (لقب ابن كيغلغ عند المتنبي) وبيني هي طول رمحي لكانت مسافة طويلة، فهو لا يقدر أن يصل إليّ

وإسحَـقُ مَـأْمُـونٌ عَـلـى مَـنْ أَهَـانَـهُ ولَـكِـنْ، تَـسَـلَّـى بِـالـبُـكَـاءِ قَـلِـيـلا
وإسحق بن كيغلغ مأمون ولا خطر منه على من وجّه إليه إهانة، فأكثر ما يفعله أن يبكي ليُنسي نفسه الإهانة

وَلَـيْـسَ جَـمِـيـلاً عِـرْضُـهُ فَـيَـصُـونَـهُ ولَـيْـسَ جَـمِـيـلاً أَنْ يَـكُـونَ جَـمِـيـلا
عرضه ليس جميلاً حتى يستحق الحفظ، وليس أمراً جميلاً ولا صحيحاً أن يكون عرضه جميلاً

ويَـكْـذِبُ؛ مَـا أَذْلَـلْـتُـهُ بِـهِـجَـائِـهِ لَـقَـدْ كـانَ مِـنْ قَـبْـلِ الـهِـجَـاءِ ذَلـيـلا
وهو كاذب، فأنا لم ألحق به الذل بهجائي له، فهو ذليل أصلاً

٥٦ نصرة بالرعب

قال يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدويّ: ٣٩/١٣

أَتُـراهـا لِـكَـثْـرَةِ الـعُـشَّـاقِ تَـحْـسَـبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المَآقي؟
هل هي لكثرة عشاقها، ورؤيتها لهم يبكون من ألم العشق، صارت تظن أن الدمع يترقرق في المآقي (العيون) خِلقةً وبشكل طبيعي؟

حُلْتِ دونَ الـمَـزارِ، فـالـيَـوْمَ لـوْ زُرْ تِ لَـحَـالَ الـنُّـحُـولُ دونَ الـعِـنَـاقِ
أيتها المحبوبة حُلتِ (وضعتِ حائلاً) بيني وبين زيارتك، والآن لو أمكنكِ أن تزوريني أنتِ لأصبح نحولي (هزالي) حائلاً دون معانقتي إياكِ

ثَاقِبُ الرَّأْيِ، ثَابِتُ الحِلْمِ، لا يَقْـ ـدِرُ أَمْـرٌ لَـهُ عـلـى إِقْـلاقِ

يصف ممدوحه بأنه ثاقب الرأي ثابت الحلم (التسامح) لا يقدر أمر أن يقلقه (يضعضعه)

يا بَنِي الحارِثِ بْنِ لُقْمانَ! لا تَعْـ ـدَمْكُمُ في الوَغَى مُتُونُ العِتَاقِ

يا بني الحارث بن لقمان أدعو أن لا تعدمكم (لا تخلو منكم) في الوغى (الحرب) متون (ظهور) العتاق (الخيل الأصيلة)

بَعَثُوا الرُّعْبَ في قُلُوبِ الأَعَادِي فَكَأَنَّ القِتَالَ قَبْلَ التَّلاقِي

لقد بعثوا الرعب في قلوب الأعداء فكأنهم حاربوهم قبل أن يلقوهم

وتَكَادُ الظُّبَى، لِمَا عَوَّدُوها، تَنْتَضِي نَفْسَها إلى الأَعْنَاقِ

وتكاد الظبى (شفرات السيوف) ـ لكثرة ما عودوها الضرب ـ تنتضي نفسها (تسحب نفسها من أغمادها) لتضرب الأعناق

قَلَّ نَفْعُ الحَدِيدِ فِيكَ، فَمَا يَلْـ ـقَاكَ إلَّا مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ

لا ينفع السيف الحديدي فيك (في مواجهتك)، لذا أصبح الأعداء يلاقونك بسيوف من النفاق، أي أنهم يسايرونك اتقاء بطشك

إِلْفُ هذا الهواءِ أَوْقَعَ في الأَنْـ ـفُسِ أنَّ الحِمَامَ مُرُّ المَذَاقِ

إلف (أُلفة) هذا الهواء الذي نتنفسه أوهم الناس أن الحمام (الموت) مر المذاق

والأَسَى، قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ، عَجْزٌ والأَسَى لا يَكُونُ بَعْدَ الفِرَاقِ

الأسى (الحزن) قبل مفارقة الروح للجسد عجز من المرء، والحزن بالطبع لا يحدث بعد الموت، إذن فلماذا الحزن أصلاً

كَمْ ثَرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ كانَ، مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ، في وِثَاقِ

كثيراً ما فرجت بالرمح ثراء (أطلقت سراحه) كان محبوساً في وثاقٍ (قيد) هو بخل أصحابه، فحاربتهم وأخذت مالهم

والغِنَى في يَدِ اللئيمِ قَبِيحٌ قَدْرَ قُبْحِ الكَرِيمِ في الإمْلاقِ

الغنى قبيح على البخيل قبح الإملاق (الفقر) على الكريم

شَاعِرُ المجدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـ ـظِ، كِلانَا رَبُّ المَعَانِي الدِّقَاقِ

أبو العشائر بمثابة شاعر، ولكن قصائده هي أمجاده، وخدنه (صديقه) أنا شاعر اللفظ، وكلانا له معان دقيقة وفنان في مجاله

لم تَزَلْ تَسْمَعُ المَدِيحَ، وَلَكِنَّ ـ صَهِيلَ الجِيَادِ غَيْرُ النُّهاقِ

أنت تسمع مديح الشعراء منذ زمن، ولكن الصهيل (شعري العظيم) مختلف عن النهاق (شعر غيري الرديء)

٥٧ الدرُّ درٌّ

قال المتنبي يمدح أبا العشائر أيضاً: ٥/٣٨

لا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ ولا طَلَلَهْ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ

لا تظنوا ربعكم (مكان نزولكم) ولا طلله (خرائبه بعد رحيلكم) أول الأحياء الذين قتلهم الرحيل، فرحيلكم قتلني أنا قبل أن يخرب المكان

قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ في هَوَاكُمُ العَذَلَهْ

وقبل الرحيل تلفت (هلكت) النفوس بكم (بسببكم)، وقالت العذلة (اللائمون) الكثير عن حبي لكم

إنَّ الكِذَابَ الذي أُكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدي مِنْهُ الذي نَقَلَهْ

الكِذَاب (الافتراء) الذي يوجه إلي كيداً أهون (أتفه) منه بالنسبه إليَّ الشخص الذي افتراه

وَرُبَّما يُشْهِدُ الطَّعَامَ مَعي مَنْ لا يُسَاوِي الخُبْزَ الذي أَكَلَهْ

وربما (كثيراً) ما يُشهد الأمير الطعام (يدعو إلى طعامه) شخصاً لا يساوي الخبز الذي أكله. وهو يعني ذلك الشخص الذي وشى به للأمير، وقيل اسمه المسعودي

ويُظْهِرُ الجَهْلَ بي، وأَعْرِفُهُ والدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ

هذا الشخص يدعي أنه يجهلني رغم شهرتي، وأنا أعرفه وأعرف وشاياته، والدر (اللؤلؤ) يبقى له قدره ولو جهل قدره الجاهلون

٥٨ نشيد الملابس

قال المتنبي يمدح أبا العشائر أيضاً: ٣/ ١٠

النَاسُ، ما لم يَرَوْكَ، أَشْبَاهُ والدَّهْرُ لَفْظٌ، وأَنْتَ مَعْنَاهُ

الناس كلهم متشابهون ولكن من رآك منهم فقد تميز عن بقية الخلق، فأنت بالنسبة لهذا الزمن جوهره، فكأن الزمن لفظ وأنت فيه المعنى

والجُودُ عَيْنٌ، وأَنْتَ ناظِرُها والبَأْسُ بَاعٌ، وأَنْتُ يُمْنَاهُ

الجود (الكرم) كالعين وأنت البصر لها، والبأس (الشجاعة) مثل الباع (امتداد الذراعين) وأنت اليمين منهما

تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْواهُ

هذا الممدوح يخلع علينا الثياب، نلبسها ويراها الناس فهي التي تمدحه بالكرم إذ يراها الناس علينا، تمدحه مجازاً بألسن ليست لها أفواه

المختار من شعر المتنبي وهو عند سيف الدولة الحمداني في حلب (٣٣٧ ـ ٣٤٦هـ)

٥٩ سر يسري في الصحراء

قال المتنبي يمدح سيف الدولة (أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان العدوي) عند منصَرَفِه من الظفر بحصن برزُوَيْهِ وعودته إلى أنطاكية وقد جلس في فازةٍ (خيمة) من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحشٍ وحيوان، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة: ١٦/ ٤٢

وَفَاؤُكُما كَالرَّبْعِ، أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ   بِأَن تُسْعِدَا، والدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

يا صاحبيَّ إن وفاءكما بأن تسعداني (تساعداني بالبكاء) مثل ربع (منزل) الحبيبة: فالربع أشجاه (أكثره تسبباً في الحزن) طاسمه (المطموس منه)، وكذا وفاؤكما فكلما ضعف كان حزني أكثر؛ وأكثر الدمع شفاء للنفس هو الدمع الساجم (المنسكب)

ومَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ. كُلُّ عَاشِقٍ   أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لائِمُهْ

لست سوى عاشق، والعاشق إذا كان له خليلان (صاحبان) صفيان (مخلصان) فالأكثر عقوقاً منهما هو الذي يلومه. في العربية أسلوب بائد جميل تقول مثلاً: «الغربة أصعب الموتين». والموت واحد، ولكنك جعلته موتين وجعلت أحدهما الغربة. وعليه ما جاء في هذا البيت

وقَدْ يَتَزَيَّا بِالهَوى غَيْرُ أَهْلِهِ   ويَسْتَصْحِبُ الإنسانُ مَنْ لا يُلائِمُهْ

وما أكثر ما يتزيا (يلبس) الهوى من ليس عاشقاً حقيقياً، وكثيراً ما يصاحب المرء من لا يوافقه

بَلِيتُ، بِلَى الأَطْلالِ، إنْ لم أَقِفْ بِها   وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتِمُهْ

محاني الله مثل بِلى (امّحاء) هذه الأطلال إن لم أقف عندها طويلاً كوقوف الشحيح (البخيل) الذي سقط خاتِمه في التراب فوقف طويلاً يبحث عنه. هذا بيت مشهور، وللشراح والنقاد كلام فيه كثير نعفيك منه، إلا كلمة للصاحب بن عباد الذي علق على الشطر الثاني: «هذا من أرذل ما يقع لصبيان الشعراء وولدان المكتب الأدباء»

كَئِيباً، تَوَقَّانِي العَوَاذِلُ في الهَوى   كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الخَيْلِ حَازِمُهْ

سأقف بالأطلال كئيباً والعواذل (اللائمات) يتجنبنني لشدة حزني مثلما يتجنب الحازم (المروض) الحصانَ الريِّض (الجامح)

وما اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ   ولا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ ما القَلْبُ عالِمُهْ

لا أستغرب الفراق، وعيني لا تعرِّفني بجديد، فقلبي أحس قبلها بالفراق

فلا يَتَّهِمْني الكَاشِحُونَ، فَإنَّني رَعَيْتُ الرَّدَى حتى حَلَتْ لي عَلاقِمُهْ

فليسكت الكاشحون (مضمرو العداوة) عن اتهامي بالجزع من الفراق، فلقد رعيت الموت في حقول الحرب حتى صارت علاقمه (طعمه المر) حلوة في حلقي

مُشِبُّ الذي يَبْكِي الشَّبابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ، وبَانِيهِ هَادِمُهْ

الذي أسبغ الشباب على باكي شبابه هو الذي أسبغ عليه الشيب، فكيف نتجنب الشيب؟ والذي يبني الشباب هو نفسه الذي يهدمه

ومَا خَضَبَ الناسُ البَياضَ لأنَّهُ قَبِيحٌ، ولكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ

لا يخضب (يصبغ) الناس بياض الشعر لقبح البياض، على أن أجمل الشعر ما كان أسود فاحماً

وأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبيبةِ كُلِّهِ حَيَا بَارِقٍ في فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ

وأجمل من ماء (رونق) الشباب حيا (مطر) سحاب بارق داخل فازة (خيمة) أنا شائمه (ناظر إليه). وما السحابة البارقة القاعدة داخل الخيمة سوى سيف الدولة الذي يرجو المتنبي أن يمطر عليه ذهباً، وقد فعل

عَلَيْها رِيَاضٌ لم تَحُكْها سَحَابَةٌ وأَغْصَانُ دَوْحٍ لم تُغَنِّ حَمَائِمُهْ

على قماش الخيمة رسوم رياض ولكنها ليست من حياكة السحب ككل الرياض، وعليها رسوم لأغصانِ دوح (شجر) لكن الحمام الذي على هذا الشجر لا يغني، فهو مجرد رسم

تَرَى حَيَوانَ البَرِّ مُصْطَلِحاً بِهِ يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ، ويُسَالِمُهْ

وترى حيوان البر مصطلحاً (مترافقاً) على هذا القماش، وترى الحيوانات متحاربة ومتسالمة

وفي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ لِأَبْلَجَ لا تِيجَانَ إلَّا عَمائِمُهْ

وترى صورة لملك الروم بتاجه، ولكنه ذليل أمام الأبلج (المشرق) الذي لا تاج له سوى العمامة. ما أرى ذلك القماش إلا من بعض البسط التي غنمها سيف الدولة من الروم وصنع منها خيمة، فالعرب لم يبرعوا في الرسم. والمتنبي يرى صورة الرومي على القماش ويقارنها بسيف الدولة بشخصه قاعداً داخل الخيمة

لَهُ عَسْكَرا خَيْلٍ وطَيْرٍ، إذا رَمَى بِها عَسْكَراً لم يَبْقَ إلَّا جَمَاجِمُهْ

له عسكران: خيل وطير، فالنسور ترافق الجيش لتأكل من الجثث بعد المعركة. وإذا رمى سيف الدولة بالخيل وبالطير عسكرَ الأعداء لم يَبْقَ منهم إلا الجماجم

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلا وَاصِفٍ، والشِّعْرُ تَهْذِي طَماطِمُهْ

غضبت لما رأيت صفات سيف الدولة العظيمة لا تجد من يصفها، بينما الشعر الذي يقال فيه تهذي طماطمه (رطانته) هذياناً

وكُنْتُ إذا يَمَّمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً سَرَيْتُ، فَكُنْتُ السِّرَّ، والليلُ كاتِمُهْ

كنت إذا يممت (قصدت) أرضاً بعيدة سريت (سرت ليلاً) فكنت مثل السر، وكان الليل يواريني فهو مثل كاتم السر. علق أبو العلاء المعري - وقلما يعلق في شرحه لديوان المتنبي الذي طبع في أربعة اجزاء - على هذا البيت بقوله: وهذا البيت من بدائع هذه القصيدة وسيدها، وواسطة قلادتها (أي الجوهرة التي في وسط العقد، وتكون أفخر جواهره)

٦٠ جسم أرهقته روحه

قال المتنبي يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية: ١٨/٤

أيْنَ أَزْمَعْتَ؟ أَيُّهَذا الهُمَامُ! نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى، وأَنْتَ الغَمَامُ

إلى أين أزمعت (نويت السفر) أيها الهمام (العظيم)؟ نحن كنبات الربى (الهضاب) وأنت بالنسبة لنا كالغمام (الغيم) فلا حياة لنا بدونك. ونبات الربى بالذات يستقي من الغيم وليس من نبع أو نهر. تسويد أ. عبد الرحيم

لَيْتَ أَنَّا، إذا ارْتَحَلْتَ، لَكَ الخَيْـ ـلُ، وأَنَّا، إذا نَزَلْتَ، الخِيَامُ

ليتنا خيل لك لا تفارقك في رحيلك، وليتنا خيام تكون معك في نزولك

كلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمالٌ جَدِيدٌ ومَسِيرٌ، لِلمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ

في كل يوم لك احتمال (تحميل المتاع فوق الخيل للرحيل) ومسير؛ ومسيرك هذا فيه ثبات للمجد، فأنت ترحل لكي تجاهد

وإذا كانَتِ النُّفوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ في مُرَادِها الأجْسَامُ

النفوس الكبيرة تتعب أجسامها في تحقيق مرادها (طموحها)

٦١ خوض الموت وخوض الوحل

وقال عند رحيل سيف الدولة من أنطاكية، وقد كثر المطر: ١٧/٢

إذا اعْتَادَ الفَتى خَوْضَ المَنَايَا فَأَهْوَنُ ما يَمُرُّ بِهِ الوُحُولُ

الذي يخوض الحروب ويلاقي المنايا (الموت) فإنه يجد خوض الوحول أمراً هيناً

وَمَنْ أَمَرَ الحُصُونَ، فَمَا عَصَتْهُ، أَطَاعَتْهُ الحُزُونَةُ والسُّهُولُ

والذي أمر الحصون بأن تنفتح له فما استطاعت أن تعصي أمره، فإن الحزونة (التلال) والسهول أحرى أن تطيعه

٦٢ تكسرت النصال على النصال

قال يرثي والدة سيف الدولة، ويعزيه بها في سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمئة: ١٨/ ٤٤

نُـعِـدُّ الـمَـشْـرَفِـيَّـةَ والـعَـوَالـي وتَـقْـتُـلُـنَـا الـمَـنُـونُ بِـلا قِـتَـالِ

نُعد المشرفية (السيوف) والعوالي (الرماح) ثم تقتلنا المنون (الموت) بلا قتال

ونَـرْتَـبِـطُ الـسَّـوابِـقَ مُـقْـرَبَـاتٍ ومَـا يُـنْـجِـينَ مِـنْ خَـبَـبِ الـلـيَـالـي

ونربط السوابق (الخيل السريعة) قريبة منا استعداداً للحرب، ولكن الخيل لا تُنجينا من خبب (ركض) الليالي (الزمن) التي تلاحقنا وتهددنا بالموت

ومَـنْ لـم يَـعْـشَـقِ الـدُّنْـيـا قَـدِيـمـاً! ولَـكِـنْ، لا سـبـيـلَ إلـى الـوِصَـالِ

لا أحد إلا قد عشق الحياة، ولكنها معشوقة لا سبيل لوصالها

نَصِيبُكَ في حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ في مَنامِكَ مِنْ خَيالِ

نصيبك في هذه الحياة من حبيبك قليل ووهميٌّ كنصيبك في المنام من الخيال (طيف الحبيب)

رَمـانـي الـدَّهْـرُ بـالأَرْزَاءِ، حـتـى فُـؤادِيَ فـي غِـشَـاءٍ مِـنْ نِـبَـالِ

رماني الزمن بالأرزاء (المصائب) حتى صار قلبي كأنه مغلف بغشاء من السهام

فَـصِـرْتُ إذا أَصَـابَـتْـنـي سِـهَـامٌ تَـكَـسَّـرَتِ الـنِّـصَـالُ عـلـى الـنِّـصَـالِ

وصرت إذا أصابني سهم من مصائب الزمن تكسر نصله على نصال السهام التي تغلف قلبي. هذا خيال حلو

وهَـانَ، فَـمـا أُبَـالـي بـالـرَّزَايـا لِأَنِّـي مَـا انْـتَـفَـعْـتُ بِـأَنْ أُبَـالـي

هان الدهر علي فصرت لا أبالي بالرزايا (المصائب) لقلة نفع المبالاة

كَـأَنَّ الـموتَ لـم يَـفْـجَـعْ بِـنَـفْـسٍ ولـم يَـخْـطُـرْ لِـمَـخْـلُـوقٍ بِـبَـالِ

جاءنا خبر موتها فكان مؤلماً حتى كأن الموت لم يفجعنا (ينكبنا) بنفس قبلها، وكأنه لم يخطر ببال أحد

صَلاةُ الـلَّـهِ، خَـالِـقِـنـا، حَـنُـوطٌ عَـلى الـوجهِ الـمُـكَـفَّـنِ بِـالـجَـمَـالِ

صلاة الله (رحمته) بمثابة الحنوط (مسحوق الطيب الذي يرش على الميت) على وجهها المكفن بالجمال. والجمال في الفصحى القديمة هو الوقار وهو الرزانة وهو أيضاً الحُسن.. فمن أراد ان ينتقد على المتنبي أنه وصف والدة الممدوح الميتة بالجمال فليعلم أن «جمال» القدماء غير جمالنا

على المدفونِ، قَبْلَ التُّرْبِ، صَوْناً وقَـبْـلِ الـلَّـحْـدِ، في كَـرَمِ الـخِـلالِ

رحمة الله على هذا الوجه الذي كان مدفوناً قبل التراب وقبل القبر في الخلال (الخصال) الكريمة صوناً (حفظاً) له

أَطَـابَ الـنَّـفْـسَ أَنَّـكِ مُـتِّ مَـوْتَـاً   تَـمَـنَّـتْـهُ الـبَـوَاقـي والـخَـوَالـي

أطاب النفس (جعلها تطيب) أنكِ مت ميتة تمنَّتها النساء البواقي (الأحياء) والخوالي (الماضيات)، فقد عشت كريمة ومت كريمة

وَزُلْـتِ، ولـم تَـرَيْ يَـوْمَـاً كَـرِيـهـاً   تُـسَـرُّ الـنَّـفْـسُ فِـيـه بِـالـزَّوَالِ

وزلت (متِّ) ولم تشاهدي مكروهاً من المكروهات التي تجعل الإنسان يتمنى الزوال (الموت)

رِواقُ الـعِـزِّ فَـوْقَـكِ مُـسْـبَـطِـرٌّ   ومُـلْـكُ عَـلِـيٍّ ابْـنِـكِ فـي كَـمَـالِ

متِّ ورواق (سقف) العز فوقك مسبطر (ممدود)، وملك ابنك علي (سيف الدولة) كامل

ولَـوْ كـانَ الـنِّـسـاءُ كَـمَـنْ فَـقَـدْنَـا   لَـفُـضِّـلَـتِ الـنِّـسَـاءُ عـلـى الـرِّجـالِ

لو كانت كل النساء مثلك لفضلناهن على الرجال

ومَـا الـتَّـأْنيثُ لاسمِ الشَّـمسِ عَيْبٌ   ولا الـتَّـذْكـيـرُ فَـخْـرٌ لِـلْـهِـلالِ

فالتأنيث بحد ذاته ليس معيباً، فاسم الشمس مؤنث في اللغة، وهي أعظم من القمر مع أن اسمه مذكر

يُـدَفِّـنُ بَـعْـضُـنَـا بَـعْـضَـاً، وتَـمْـشـي   أَوَاخِـرُنَـا عـلـى هَـامِ الأَوَالـي

يدفِّن (يدفن) بعضنا بعضاً، والأواخر (المعاصرون) يمشون على هام (رؤوس) الأوالي (الأوائل) التي اختلطت بتراب الأرض. يلاحظ طه حسين أن أبا العلاء أخذ هذا المعنى من المتنبي وصنع منه العجائب، وأشار إلى ذلك مارون عبود، ونقول إن عمر الخيام أخذ المعنى وبنى منه صرحاً في رباعياته

رَأَيْـتُـكَ، فـي الـذيـن أَرَى مُـلُـوكَـاً،   كَـأَنَّـكَ مُـسْـتَـقِـيـمٌ فـي مُـحَـالِ

يمدح سيف الدولة: رأيتك بالنسبة للملوك الآخرين كأنك مستقيم وسط المحال (الاعوجاج)

فَـإِنْ تَـفُـقِ الأَنَـامَ، وأنـتَ مِـنْـهُـمْ،   فَـإِنَّ الـمِـسْـكَ بَـعْـضُ دَمِ الـغَـزَالِ

فإذا فقت الأنام (تفوقت على الخلق) رغم أنك واحد منهم، فأنت كالمسك الطيب رغم أنه جزء من دم الغزال

٦٣ مشغول بالشوق

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٥/ ٥٢

إِلامَ طَـمَـاعِـيَـةُ الـعَـاذِلِ   ولا رَأْيَ فـي الـحُـبِّ لِـلْـعـاقِـلِ

إلى متى يطمع العاذل (اللائم) في أن أنصرف عن عشقي؟ والعاقل العاشق لا يملك لنفسه رأياً، فالحب يغلبه على رأيه

يُـرَادُ مِـنَ الـقَـلْـبِ نِـسْـيَـانُـكُـمْ   وتَـأْبَـى الـطِّـبَـاعُ عـلـى الـنَّـاقِـلِ

يريد العاذل من قلبي أن أنساكم، ولكن حبكم طبع من طباعي، والطباع تأبى مطاوعة الذي يريد أن يتحلى بها نقلاً لا أصلاً

وإنِّـي لأَعْـشَـقُ مِـنْ أَجْـلِـكُـمْ   نُـحُـولـيِ، وكُـلَّ امْـرِئٍ نَـاحِـلِ

ولأن نحولي (هزالي) بسببكم فأنا أعشقه، وأعشق كل شخص نحيل

وَهَـبْـتُ الـسُّـلُـوَّ لِـمَـنْ لامَـنـي   وَبِـتُّ مِـنَ الـشَّـوْقِ فـي شَـاغِـلِ

وهبت (أهديت) السلو (النسيان) لمن يلومني، وبت مشغولاً بكم

كَـأَنَّ الـجُـفُـونَ عـلـى مُـقْـلَـتـي   ثِـيَـابٌ شُـقِـقْـنَ عـلـى ثَـاكِـلِ

كأن جفوني وهي مفتوحة من السهر متقرحة من البكاء، كأنها ثياب شقتها ثاكل (فاقدة ولدها). تشبيه بعيد يحتاج إلى إعمال فكر

٦٤ أجْرِ الجياد

قال المتنبي عند مسير سيف الدولة لنصرة أخيه ناصر الدولة، لما قصده معز الدولة بن الحسين الديلمي، إلى الموصل، وذلك سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمئة: ٢٨/٥

أَعْلى المَمَالِكِ ما يُبْنَى على الأَسَلِ   والطَّعْنُ، عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ، كَالقُبَلِ

أعظم الممالك ما بني على الأسل (أسنة الرماح)، والطعن عند محبي الممالك والفتوح له طعم القبل

لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَـها   وَجَرَّدَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّوَلِ

كل عين وجدت أنك تملؤها، وخير دولة (الدولة العباسية) جردت خير سيف فكان سيف الدولة الحمداني، وكان سيف الدولة وأخوه ناصر الدولة نصرا الخليفة العباسي وأعاداه إلى بغداد بعد أن شرده أعداؤه عنها

وَكَـمْ رِجَـالٍ بِـلا أَرْضٍ لِـكَـثْـرَتِـهِـمْ   تَـرَكْـتَ جَـمْـعَـهُـمُ أَرْضاً بِـلا رَجُـلِ

كثيراً ما رأينا رجالاً ضاقت بكثرتهم الأرض، ثم تركتَهم أنت موتى والأرض خالية

إنَّ الـسَّـعَـادَةَ فِـيـمـا أَنْـتَ فَـاعِـلُـهُ   وُفِّـقْـتَ مُـرْتَـحِـلاً، أو غَـيْـرَ مُـرْتَـحِـلِ

إن السعادة (التوفيق) مرافق لك فيما تفعله، وفقك الله في ارتحالك وفي إقامتك

أَجْرِ الجِيَادَ على ما كُنْتَ مُجْرِيَهَا   وَخُذْ بِنَفْسِكَ في أَخْلاقِكَ الأُوَلِ

أجر الجياد (اجعل الخيل تجري) كما كنت تفعل، وابق على طباعك الأولى من الجهاد. وكان سيف الدولة توقف عن الجهاد حيناً فالمتنبي يحثه على مواصلته

٦٥ السارق الخفي

قال يرثي أبا الهيجاء، عبد الله بن سيف الدولة، بحلب. وقد توفي بميافارقين في صفر سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمئة: ٩/ ٣٢

بِنَا مِنْكَ، فَوْقَ الرَّمْلِ، ما بِكَ في الرَّمْلِ وهَذا الذي يُضْنِي كَذاكَ الذي يُبْلِي

بنا ـ ونحن فوق الأرض ـ منك (بسبب ما أصابك) مثل ما بك وأنت في بطن الأرض، والذي يضني (يرهق) يشبه الذي يبلي (يحلل الجسم)

تَرَكْتَ خُدُودَ الغَانِياتِ، وفَوْقَها دُموعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ في الأَعْيُنِ النُّجْلِ

بموتك تركت خدود الحسان وعليها دموع تذيب جمال العيون النجل (الواسعة)، فيسيل الكحل منها مزيلاً جمالها

فإِنْ تَكُ في قَبْرٍ فَإِنَّكَ في الحَشَا وإنْ تَكُ طِفْلاً فالأَسَى ليسَ بِالطِّفْلِ

أنت في قبرك ولكنك أيضاً في الحشا (القلوب)، ولئن كنت طفلاً صغيراً فالأسى (الحزن) عليك ليس صغيراً

ومِثْلُكَ لا يُبْكَى على قَدْرِ سِنِّهِ ولَكِنْ على قَدْرِ المَخِيلَةِ والأَصْلِ

ومثلك لا يبكى قليلاً لسنه الصغيرة، ولكن يبكى بقدر المخيلة (التأميل منه) والأصل (كرم النسب)

ومَا الموتُ إلَّا سارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلا كَفٍّ، ويَسْعَى بِلا رِجْلِ

الموت كالسارق الذي دق (صغر) شخصه (جسمه) فلا نراه، وهو يصول (يهجم) بلا كف، ويسعى (يمشي) بلا رجل

يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ ويُسْلِمُهُ عِنْدَ الوِلادَةِ لِلنَّمْلِ

يرد أبو الشبل (الأسد) الخميس (الجيش) عن ابنه الصغير، ولكن إذا داهم النملُ شبله عند ولادته فهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً. قيل إذا داهم النمل الشبل قبل خروج شعره قضى عليه

نُبَكِّي لِمَوْتَانَا على غَيْرِ رَغْبَةٍ تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيا، ولا مَوْهِبٍ جَزْلِ

نُبَكِّي (نبكي) على موتانا مع أنه لا توجد بنا رغبة في هذه الدنيا نخشى فوتها (زوالها)، ولا فيها موهب (غنيمة) جزل (عظيم)

إذا ما تَأَمَّلْتَ الزَّمانَ وصَرْفَهُ تَيَقَّنْتَ أنَّ الموتَ ضَرْبٌ مِنَ القَتْلِ

الزمان وصرفه (نكباته) يحارب الإنسان فالموت هو عملية قتل يقوم بها الزمان للإنسان

ومَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ حَياةٌ، وأنْ يُشْتَاقَ فيهِ إلى النَّسْلِ

وليس الدهر أهلاً (مستحقاً) أن نأمل عنده الحياة، ولا يستحق أن نشتاق فيه إلى النسل

٦٦ ما لنا عليك اختيار

سأل سيف الدولة المتنبي عن صفة فرسٍ يرسله إليه فقال ارتجالاً: ٣/٣

مَوْقِعُ الخيلِ مِنْ نَداكَ طَفِيفُ   وَلَوَ انَّ الجِيَادَ فِيها أُلوفُ

مكان الخيل من نداك (كرمك) طفيف، ولو أن الجياد (الخيل الأصيلة) ضمن ما عندك من خيل هي بالألوف

وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الوَصْـ   ـفَ: وذَاكَ المُطَهَّمُ المعروفُ

وهناك لفظة تجتمع فيها أوصاف الخيل الكريمة: وهي المطهم (الحصان التام الخَلْق، الذي كل عضو فيه كامل)

مَا لَنا في النَّدَى عليكَ اختيارٌ   كُلُّ ما يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ

ليس من حقنا أن نختار عليك، وكل ما تمنحنا أيها الشريف شريف مثلك. تسويد أ. عبد الرحيم

٦٧ سلاف الكلام

قال المتنبي يمدح سيف الدولة: ٨/ ٤١

لقدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الهَوَى، وأَذَقْتُهُ   مِنْ عِفَّتي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ

استقدت (انتقمت) من الهوى، وجعلته يذوق من عفتي مثلما أذاقني من بلباله (حزنه)

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أرضٍ ساعَةً   تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أشْبَالِهِ

ولقد ذخرت (ادخرت) لكل أرض ساعة أذيقها فيها الحرب والويل، وهذه الساعة تستجفل الضرغام (تجعل الأسد يجفل ويبتعد) عن أشباله

تَلقَى الوُجُوهُ بِها الوُجُوهَ، وبَيْنَها   ضَرْبٌ يَجُولُ الموتُ في أَجْوالِهِ

في هذه الساعة يتلاقى المحاربون وجهاً لوجه، وبين الوجه والوجه ضرب بالسيوف يتجول الموت في أجواله (نواحيه)

ولقدْ خَبَأْتُ مِنَ الكَلامِ سُلافَهُ   وسَقَيْتُ مَنْ نادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ

وقد خبأْتُ (خبَّأت) من الكلام سلافه (السلاف: أصفى الخمر)، وسقيت ندمائي بجريال الكلام (الجريال: الخمر العادية). فعنده شعر أعظم مما قاله حتى الآن. صَدَق

وإذا تَعَثَّرَتِ الجِيادُ بِسَهْلِهِ   بَرَّزْتُ، غَيْرَ مُعَثَّرٍ، بِجِبَالِهِ

إذا تعثرت الجياد (الشعراء) في سهول الكلام فإنني أبرز وأتميز ولا أتعثر في جبال الكلام

الجَيْشُ جَيْشُكَ، غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ   في قَلْبِهِ ويَمِينِهِ وشِمَالِهِ

يا سيف الدولة! الجيش جيشك ولكنك تحميه كأنك أنت جيشه، وأنت موجود في قلبه وفي الميمنة والميسرة منه

تَـرِدُ الـطِّـعَـانَ الـمُـرَّ عَـنْ فُـرْسـانِـهِ   وتُـنَـازِلُ الأَبْـطَـالَ عَـنْ أَبْـطَـالِـهِ

ترِد (تأتي) إلى المطاعنة المُرَّة بالرماح نيابة عن فرسان الجيش، وتنازل أبطال العدو نيابة عن أبطال جيشك

كُـلٌّ يُـرِيـدُ رِجَـالَـهُ لِـحَـيـاتِـهِ   يـا مَـنْ يُـرِيـدُ حَـيَـاتَـهُ لِـرِجَـالِـهِ

كل الزعماء يريدون رجالهم لحماية حياتهم، يا من يقف حياته على رجاله! تسويد أ. عبد الرحيم

٦٨ زنارٌ من عيون

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، وقد أمر له بفرس وجاريه: ١١/ ٤٠

أَيَـدْرِي الـرَّبْـعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَـا   وأَيَّ قُـلـوبِ هـذا الـرَّكْـبِ شَـاقَـا

هل يعلم الربع (منزل الحبيبة المهجور) أي دم قد سَفَك، وقلب أي شخص في هذا الركب قد حرك؟

لَـنَـا ولأَهْـلِـهِ أَبَـداً قُـلُـوبٌ   تَـلاقَـى، فـي جُـسُـومٍ مَـا تَـلاقَـى

لنا ولأهل هذا الربع قلوب تتلاقى في المشاعر ولكنها موجودة داخل جسوم لا تتلاقى في الواقع.
يقول: إن قلبه وقلب محبوبته يتلاقيان في الحب ولكن جسمه وجسمها دوماً مفترقان

فَـلَـيْـتَ هَـوَى الأَحِـبَّـةِ كـانَ عَـدْلاً   فَـحَـمَّـلَ كُـلَّ قَـلْـبٍ مَـا أَطَـاقَـا

ليت الحب كان عادلاً فحمل كل إنسان من الحزن ما يطيق فقط

وطَـرْفٌ، إنْ سَـقَـى الـعُـشَّـاقَ كَـأْسـاً   بِـهَـا نَـقْـصٌ، سَـقَـانِـيـهـا دِهَـاقَـا

وطرف (نَظَر) الحبيبة يسقي غيري من العشاق من الألم كأساً ناقصة، ولكنه يسقيني كأساً دهاقاً (مملوءة)

وَخَـصْـرٌ تَـثْـبُـتُ الأَبْـصَـارُ فِـيـهِ   كَـأَنَّ عَـلـيْـهِ مِـنْ حَـدَقٍ نِـطَـاقَـا

وخصرها ينظر إليه الجميع، فكأن الحدق (العيون) تشكل نطاقاً (زناراً) لهذا الخصر

تَـعَـجَّـبَـتِ الـمُـدامُ وقـد حَـسَـاهَـا   فَـلَـمْ يَـسْـكَـرْ، وجَـادَ، فَـمـا أَفَـاقَـا

المدام (الخمر) تعجبت عندما حساها (شربها) الممدوح فلم يسكر منها، ولكنه جاد (وهب المال) فلم يفق من سكرة الكرم. يقول: هذا رجل لا تسكره الخمر ولكنه مصاب بسكر الكرم فيعطي بلا تفكير وبلا تردد

ولـم تَـأْتِ الـجَـمِـيـلَ إِلَـيَّ سَـهْـواً   ولـم أَظْـفَـرْ بِـهِ مِـنْـكَ اسْـتِـرَاقَـا

وأنت أيها الممدوح لم تأت (تفعل) الجميل إليَّ سهواً (عشوائياً)، وأنا لم أظفر بالعطايا منك استراقاً (سرقةً ومخالسة)

فَأَبْلِغْ حاسِدِيَّ عليكَ أنِّي كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لَحَاقَا

فقل لمن يحسدونني على علاقتي بك أنني السريع في العلياء، وأنا الذي كبا (سقط) أي برق يحاول اللحاق بي

وهَلْ تُغْنِي الرَّسائِلُ في عَدُوٍّ إذا ما لم يَكُنَّ ظُبَىً رِقَاقَا

والرسائل لا تنفع في الأعداء إلا إذا كانت ظبى (نصالاً) رقاقاً (رقيقة). فالعدو لا يفهم رسالة سوى حد السيف

إذا ما النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ، وذَاقَا

إذا جرب اللبيب (العاقل) الناس، فأنا زدت عليه وأكلتهم أكلاً، بينما هو قد ذاقهم وحسب

فلمْ أَرَ وُدَّهُمْ إلَّا خِدَاعَاً ولم أَرَ دِينَهُمْ، إلَّا نِفَاقَا

فلم أجد ود الناس إلا خداعاً، ولم أجد دينهم (تدينهم) إلا نفاقاً

٦٩ ظلام المعركة

قال المتنبي يمدح علي بن عبد الله سيف الدولة الحمداني، وقد أمر غلمانه أن يلبسوا، وقصد ميافارقين في خمسة آلاف من الجند ليزور قبر والدته، وذلك في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة: ١٠/ ٤٢

إذا كانَ مَدْحٌ، فَالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ؟

كلما أراد شاعر أن يمدح كان النسيب (الغزل) مقدَّماً (موجوداً في مقدمة القصيدة)، فهل كل شاعر فصيح يجب أن يكون متيماً (عاشقاً)؟

لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ الله أَوْلَى، فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الجميلُ ويُخْتَمُ

لحب (والله إن حب) ابن عبد الله أولى بأن أبدأ به من العشق، فبذكره يُبدَأُ الكلام الجميل وبه يختم. تعليق أ. عبد الرحيم: [أحب، على طريقة أبي العلاء، أن أقول بعد هذا البيت: اللهم صلِّ على سيدنا محمد!]

تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ في أَوْصَالِهِ، ويُصَمِّمُ

تعرض (واجه) سيف الدولة الدهر كله يطبق (يصيب) في أوصاله (أطرافه) ويصمم (يعمق ضرباته). يقول: سيف الدولة يواجه الزمن محارباً إياه معملاً فيه سيفه

فَجَازَ لَهُ، حتى على الشمسِ، حُكْمُهُ وبَانَ لَهُ، حتى على البَدْرِ، مِيسَمُ

فجاز (فنَفَذ) أمره حتى على الشمس وبان ميسمه (ختمه) على صفحة البدر. يقول: سيف الدولة نافذ الكلمة يطيعه الجميع من أفراد ودول حتى إن الشمس تنزل عند حكمه وميسمه موجود على صفحة القمر

كَأَنَّ العِدَى في أَرْضِهِمْ خُلَفاؤُهُ فَإِنْ شاءَ حازُوها وإنْ شاءَ سَلَّمُوا

فالأعداء كأنهم خلفاؤه (مندوبوه) في أرضهم، فبحسب مشيئته يحوزونها (يملكونها) أو يسلمونها له

ولا كُتْبَ إلَّا المَشْرَفِيَّةَ عِنْدَهُ ولا رُسُلٌ إلَّا الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ

ولا كتب (رسائل) عند سيف الدولة يرسلها للأعداء سوى المشرفية (السيوف)، ولا رسل سوى الجيش العرمرم (الجرار)

فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ، مَنْ لَهُ يَدٌ ولم يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ، مَنْ لَهُ فَمُ

كل من له يد نصر سيف الدولة، وكل من له فم شكره، أي كل الناس

ولم يَخْلُ مِنْ أَسْمائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ ولم يَخْلُ دِينارٌ، ولم يَخْلُ دِرْهَمُ

وعلى كل منبر تراه مذكوراً بالتعظيم، وخطباء الجمعة يدعون للحاكم بالنصر والتوفيق، ولامتداد سلطته على البلاد صار كل دينار ودرهم يحمل اسمه

ضَرُوبٌ، ومَا بَيْنَ الحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ، ومَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ

ضروب (كثير الضرب) رغم أن ما بين السيفين ضيق للقرب بين المتبارزيْن، وبصير بما يجري رغم وجود ظلمة من غبار المعركة بين هذين الشجاعين. هذه الـ «وما بين الشجاعين مظلم» لا يعرف يقولها سوى أبي الطيب، فقف بها سويعة وردد البيت على نفسك فالشعر غناء، والكلام الحلو قليل، والحياة قصيرة

إذا نَحْنُ سَمَّيْناكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا مِنَ التِّيهِ في أَغْمادِها تَتَبَسَّمُ

إذا نحن ذكرنا اسمك (سيف الدولة) توهمنا أن سيوفنا تبتسم داخل أغمادها فخراً. والمرء إذا مدحته صادقاً أو كاذباً يبتسم: يكون مسروراً، وكل امرئ يحب المديح. ولقد والله يعرف الحكيم الأريب أن المديح الذي يسمعه رياء، وأن المادح كذاب، ولكنه يرتاح للمدح ويشعر أن قلبه يرقص على نغمة المديح، والكرام أكثر من ينخدع بالمديح كاذباً وصادقاً. وما أكثر من يعرفون هذه الخصلة في الناس فيستعملونها استعمالاً. وأنت تنظر في عين المادح المرائي، وتقول له بلسان ثابت فصيح: يا أخي إني والله أعرف حسناتي وعيوبي خيراً منك، أرجوك! كفى. وتراه لا يرمش ويواصل المديح. وفي النهاية يحصل، في الغالب، على ما يريد. هؤلاء هم الذين قال عنهم المتنبي إنهم يأتون وبأيديهم سيف من نفاق. كلنا نحب من يمدحنا صادقاً، والملوك والمدراء يفضلون المدح الكاذب، لأنه برهان خضوع

٧٠ النكسة

قال المتنبي في هزيمة مُني بها سيف الدولة على أيدي الروم، وقد خذله بعض جنده ورقدوا بين قتلى الروم طلباً للنجاة، فأسلمهم سيف الدولة، وتركهم لِيُؤسروا: ١٦/٤٩

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إنْ قاتَلُوا جَبُنُوا، أو حَدَّثُوا شَجُعُوا

غيري ينخدع بأكثر هؤلاء الناس، والحق أنهم جبناء في القتال شجعان في الكلام فقط

بِالجيشِ تَمْتَنِعُ السَّاداتُ كُلُّهُمُ   والجَيْشُ بِابْنِ أبي الهَيْجاءِ يَمْتَنِعُ

بالجيش يمتنع (يحتمي) السادة والزعماء، ولكن الجيش هو الذي يحتمي بابن أبي الهيجاء (سيف الدولة)

لقد أقامَ على أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ   تَشْقَى بِهِ الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبِيَعُ

لقد أقام (مكث) سيف الدولة على أرباض (أسوار) خرشنة (بلد من بلاد الروم) وكان الروم وصلبانهم وبيعهم (كنائسهم) تشقى (تتعب) بسببه. قد يتعب صديق لي مسيحي من هذا البيت، ولكنه يعرف أن المسألة في ذلك العصر كانت صراع أمتين لكل منهما رموز دينية، ولعله يجد بعض السعة عندما يعلم أن المتنبي لم يكن بالمتعصب دينياً، لا ولا بالمستمسك بعروة الدين؛ وقبله قال أبو تمام في الصلبان والكنائس ما قال ـ وأوردنا بعض ذلك في كتابنا «تجديد الشعر» ـ وما كان أبو تمام بصاحب صلاة، لا بل زعم بعضهم ـ وملنا إلى هذا الزعم ـ أن أهله كانوا مسيحيين. فأما إن أراد بعض أبناء زمننا هذا أن يقولوا عن رموز المسيحية وعن رموز أي دين آخر ما كان يقوله الناس قبل ألف سنة، فلا نتهمهم بشيء ولا نشتمهم، بل ندعو الله أن يخلصهم من هذا المرض النفسي. . العيش في الماضي. وإنك لترى الواحد من هؤلاء المرضى يتقرب إلى أصنامه الفكرية بسيل من قبائح الكلم ثم يذهب ليقف في الطابور سعياً وراء تأشيرة إلى دولة مسيحية. وسترانا في تحليل فكري لشعر أحمد شوقي ـ هذا عندما يصدر كتابنا الرابع في هذه السلسلة الخماسية ـ نقر بأن الغرب والشرق مستمران بعض الاستمرار في الحروب الصليبية. ليس أن إسباغ لبوس ديني على هذا الصراع مما نراه مفيداً، بل لأن في الغرب وفي الشرق ناساً يعانون من مرض التعصب والعنصرية

مُخْلَىً لَهُ المَرْجُ، مَنْصُوباً بِصَارِخَةٍ   لَهُ المَنَابِرُ، مَشْهُوداً بِها الجُمَعُ

مكث هناك والمرج (السهل) قد أخلاه الروم خوفاً، ومنابره منصوبة في مكان اسمه «صارخة»، وتقام هناك في أرض الروم صلاة الجمعة

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طولُ أَكْلِهِمُ   حتى تَكادُ على أحيَائِهِمْ تَقَعُ

الطير تطمع في الروم، ولكثرة ما تعودت النسور أن تقع عليهم وتأكل لحومهم وهم جثث فهي تكاد تقع عليهم وهم أحياء

ولو رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا   على مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الذي شَرَعُوا

لو رأى الحواريون (تلاميذ السيد المسيح) سيف الدولة لبنوا على محبته شريعتهم

قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ: إنَّ المُسْلَمِينَ لَكُمْ   خَانُوا الأميرَ، فَجَازاهُمْ بِما صَنَعُوا

قل للدمستق (قائد الروم) إن المسلَمين لكم (الذين سلمناهم لكم) هم ممن خانوا الأمير فجازاهم بذلك

وَجَدْتُموهُمْ نِيَامَاً في دِمَائِكُمُ   كَأَنَّ قَتْلاكُمُ إيَّاهُمُ فَجَعُوا

وجدتموهم نائمين قرب جثث قتلاكم، كأنهم يتمسحون بهذه الجثث حزينين على مصير أصحابها. وكان بعض جنود سيف الدولة ادعوا أنهم قتلى وارتموا قرب الجثث للنجاة من القتل.

لا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كانَ ذا رَمَقٍ   فَلَيْسَ يَأْكُلُ، إلّا، المَيْتَةَ، الضَّبُعُ

لا تظنوا أن الذين أسرتموهم كان فيهم رمق (بقية من حياة) فهم موتى بجبنهم، وأنتم بأسركم لهم مثل الضبع، وليس يأكل الميتة (الجثة) إلا الضبع

وإنَّما عَرَّضَ اللّهُ الجنودَ بِكُمْ   لِكَيْ يَكونُوا بِلا فَسْلٍ إذا رَجَعُوا

والله قد عرض (امتحن) جيش سيف الدولة بكم، حتى تقتلوا أو تأسروا الجبناء، وحتى يكون الجيش خالياً من أي فسل (ضعيف جبان) عندما يرجع

فَكُلُّ غَزْوٍ إلَيْكُمْ، بَعْدَ ذا، فَلَهُ   وكُلُّ غازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ

سيكون كل غزو لبلدكم بعد هذا الغزو لسيف الدولة (النصر فيه له)؛ وإن كل غاز هو مجرد تابع لسيف الدولة سيد الغزاة

تَمْشي الكِرَامُ على آثارِ غَيْرِهِمُ   وأنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتي، وتَبْتَدِعُ

الكرام من الناس يقلدون من سبقهم من الكرام، ولكنك يا سيف الدولة مبتدع في أفعالك. تسويد أ. عبد الرحيم

وهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فَارِسَهُ   وكَان غَيْرَكَ فِيهِ العَاجِزُ الضَّرَعُ

وهل يشينك (يعيبك) وقت كنتَ فيه الفارس وكان غيرك العاجز الضرع (الضعيف)؟

مَنْ كانَ فوقَ مَحَلِّ الشَّمسِ مَوْضِعُهُ   فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شيءٌ ولا يَضَعُ

أنت لست في معرض تقييم. مكانك فوق الشمس فلا شيء يرفعك ولا يضعك (يخفضك)

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ، والسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ   وأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ ومُرْتَبَعُ

الزمن يعتذر إليك ـ عن هذه الهزيمة التي لحقت بك ـ والسيف منتظر الغَزَاة المقبلة، وأرض الروم لك مصطاف (مكان اصطياف) ومرتبع (مكان قضاء الربيع). المتنبي في كل القصيدة لا يصرح بالهزيمة، ولكن التاريخ عرفنا بها، على أن جو القصيدة ينبئ عن أنها كانت هزيمة نكراء

إنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ الناسِ تَحْمِلُهُ   ولَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

كل شخص يحمل السلاح، وليس كل من له مخلب من الحيوان سبع. وما بعد ليس كلها خبرها واسمها ضمير الشأن. وقيل غير ذلك

٧١ هَلُمَّنَّا

عزم سيف الدولة على لقاء الروم في السَّنَبُوس سنة أربعين وثلاثمئة، وبلغه أن العدو في أربعين ألفاً فتهيبَتْهم أصحابه، فأنشد أبو الطيب: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٥/ ١٥

نَزُورُ دِيَاراً مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنَى   ونَسْأَلُ فِيها غَيْرَ ساكِنِها الإِذْنَا

نزور بلاد الروم غازين ونحن لا نحب مغاني (ربوع) تلك البلاد، ونستأذن في زيارتها قائدنا سيف الدولة لا سكانها

وقد عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أنّنا إذا ما تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا
وأَنَّا إذا مَا الموتُ صَرَّحَ في الوَغَى لَبِسْنَا إلى حَاجَاتِنا الضَّرْبَ والطَّعْنا

إذا الموت صرَّح (برز واضحاً) في الوغى (الحرب) اتخذنا الضرب بالسيوف والطعن بالرماح وسيلة لتحقيق حاجاتنا

قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الحَبيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنا، وقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمَّنَّا

قصدنا للموت كقصدنا للقاء شخص حبيب (محبوب) لقاؤه إلينا (إلى نفوسنا)، وقلنا للسيوف هلمَّ (هيا)

وما الخوفُ إلَّا ما تَخَوَّفَهُ الفَتَى وما الأمنُ إلَّا ما رَآهُ الفَتَى أَمْنَا

الأمر نسبي ويعتمد على نظرة الإنسان لما هو خطر ولما هو آمن

٧٢ مطاردة مع الليالي

قال المتنبي، وقد أراد سيف الدولة قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك: ٢٣/٤٣

عَوَاذِلُ ذَاتِ الخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ وإِنَّ ضَجِيعَ الخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ

عواذل (عاذلات) صاحبة الخال فيَّ (بسببي) ما هن إلا حاسدات لها، ولو كنت ضجيعاً (خليلاً) للخود (الفتاة الناعمة) لظفرتْ مني (أي ممثلاً بي) بخليل ماجد (شريف). يقول: لائمات تلك الفتاة في صلتها بي حاسدات لها، وإنني لخليل شريف لمن أعشق

يَرُدُّ يَداً عَنْ ثَوْبِها، وَهْوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الهَوى في طَيْفِها، وَهْوَ رَاقِدُ

هذا الخليل الشريف يرد يده عن جسم المحبوبة رغم قدرته على مباشرتها، ويعصي هواه (انجرافه) حتى عندما يرى طيفها في المنام؟ تسويد أ. عبد الرحيم

إذا كُنْتَ تَخْشَى العارَ في كُلِّ خَلْوَةٍ فَلِمْ تَتَصَبَّاكَ الحِسَانُ الخَرَائِدُ

يا أيها الرجل ـ يخاطب نفسه ـ أنت تتجنب العار (العلاقة الجنسية) في كل خلوة، فلماذا إذن تتصباك (تجتذبك) الحسان الخرائد (الناعمات)؟

أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حتى أَلِفْتُهُ ومَلَّ طَبِيبي جَانِبِي، والعَوَائِدُ

ألح علي السقم (مرض العشق) حتى صار مألوفاً لي، ومل طبيبي والعوائد (زائرات المريض) الجلوس بجانبي

مَرَرْتُ على دَارِ الحَبِيبِ، فَحَمْحَمَتْ جَوَادي، وهَلْ تُشْجي الجِيَادَ المَعَاهِدُ

مررت بدار الحبيب (خيامه) بعد أن هجرها القوم، فحمحمت (صهلت صهيلاً خفيفاً) جوادي (فرسي)، فهل تشجي (تُحزِن) المعاهد (الديار المتروكة) الجيادَ أيضاً؟

وما تُنْكِرُ الدَّهْماءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ سَقَتْهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فيهِ الوَلائِدُ

لا تنكر (تجهل) فرسي الدهماء (السوداء) رسم (بقايا) منزل كانت قد سقتها فيه الولائد (الفتيات) ضريب (حليب) الشول (النياق)

أَهُمُّ بِشَيءٍ، والليالي كَأَنَّها تُطَارِدُني عنْ كَوْنِهِ وأُطَارِدُ

أهم بتحقيق شيء عظيم ولكن الزمن يطاردني عن كونه (حصوله) وأطارده

وَحِيدٌ مِنَ الخُلَّانِ في كُلِّ بَلْدَةٍ إذا عَظُمَ المَطلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ

أنا وحيد بلا خلان (أصدقاء) في كل بلد. وإذا كان طموح المرء كبيراً لم يجد من يساعده. تعليق أحمد عبد الرحيم: [يقول العلايلي للمتنبي: قد وُلد مساعدك بعد وفاتك ببضع سنين!] يعني العلايلي أبا العلاء المعري

وتُسْعِدُني، في غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ، سَبُوحٌ، لها، مِنْها، عَلَيْها، شَوَاهِدُ

وتسعدني (تساعدني) في غمرة (مأزق) بعد غمرة سبوح (فرس) لها من جسمها شواهد (علامات) على أصالتها

تَثَنَّى على قَدْرِ الطِّعَانِ، كَأَنَّما مَفَاصِلُها تحتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ

تثنى فرسي بحسب الطعان (الطعن بالرماح) فكأن مفاصلها لليونتها مراود (حلقات اللجام التي تدور بحرية)

وأُورِدُ نَفْسِي، والمُهَنَّدُ في يَدِي، مَوارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لا يُجالِدُ

أورد نفسي (أرمي بنفسي)، وسيفي بيدي، موارد (أحواضاً) لا يصدرن (يُرجعنَ) من لا يجالد (يقاتل). والمرء «يرد» الماء ليستقي، ثم «يصدُر» عن الماء بعد أن يشرب. والمتنبي يورد نفسه موارد الحرب، وهذه الموارد لا تصدره (تعيده سالماً) إن لم يحارب بقوة

ولَكِنْ إذا لم يَحْمِلِ القَلْبُ كَفَّهُ على حَالَةٍ لم يَحْمِلِ الكَفَّ ساعِدُ

إذا قلب المرء (جرأته) لم يحمل كفه التي تقاتل فإن ذراعه لن تحمل هذه الكف، فالمرء يقاتل بقوة قلبه وليس بقوة جسمه

خَلِيلَيَّ! إِنِّي لا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ، فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى ومِنِّي القَصَائِدُ؟

يا صاحبيَّ! ما أراه هو شاعر واحد فقط، وهو أنا، فلمْ (فلماذا) نسمع منهم الدعوى (ادعاء الشعر) بينما مني أنا تأتي القصائد؟ وكان الشاعر أبو العباس النامي في بلاط سيف الدولة، وكان قوي الشعر، وكان بطيئاً لا يصف المعركة إلا بعد أشهر من وقوعها، ولسيف الدولة معه نوادر في هذا البطء

فلا تَعْجَبَا: إنَّ السُّيوفَ كَثيرَةٌ ولكِنَّ سيفَ الدولةِ اليومَ واحِدُ

لا تعجبا فسيف الدولة مثلي في التفرد، السيوف كثيرة ولكنه هو بينها المتفرد الحقيقي

ولـمَّـا رأيْـتُ الـنـاسَ دُونَ مَـحَـلِّـهِ تَـيَـقَّـنْـتُ أنَّ الـدَّهْـرَ لِـلـنَّـاسِ نَـاقِـدُ

وعندما رأيت الناس كلهم دون محله (أدنى منه مرتبة) تيقنت أن الزمن ينقد الناس (يفرزهم فرزاً ويبرز الجيد منهم)

أَحَقُّهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَى وبِالأمْنِ مَنْ هَانَتْ عليهِ الشَّدَائِدُ

أحق الناس بحمل السيف من ضرب به الطلى (الأعناق)، وأحقهم بالأمن من هانت عليه شدائد الحرب

وأشْقَى بِلادِ اللَّهِ ما الرُّومُ أهْلُها بِهَذا، وما فِيها لِمَجْدِكَ جَاحِدُ

أشقى (أتعس) البلاد بهذا (أي بالسيف) بلاد الروم، ومع ذلك فليس فيها من يجحد (ينكر) مجدك يا سيف الدولة

وتُضْحي الحُصُونُ المُشْمَخِرَّاتُ في الذُّرَا وخَيْلُكَ في أَعْنَاقِهِنَّ قَلائِدُ

وتصبح الحصون المشمخرة (العالية) في الذرا (القمم) وقد أحاطت بها خيولك كأنها قلائد (عقود في العنق)

فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مَنْ حَمَاها مِنَ الظُّبَى لَمَى شَفَتَيْها والثُّدِيُّ النَّواهِدُ

فلم يبق من الروم سالماً إلا من حماها من الظبى (نصال السيوف) لمى شفتيها (سمرة شفتيها) والثدي النواهد (الأثداء المشرئبة). يقول: قُتل رجال الروم وبقيت الفتيات المسبيات اللائي حمتهن أنوثتهن من القتل

تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ البَطَارِيقُ في الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ

تُبَكِّي (تَبْكي) على هؤلاء النسوة البطاريق (زعماء الروم) في الليل، ولكنهن ملقيات عندنا كواسد (كاسدات)

بِذَا قَضَتِ الأيَّامُ ما بَيْنَ أهْلِها مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

بذا: بهذا

وكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدى ولَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قائِدُ

كل شخص يبصر الطرق نحو الشجاعة والندى (الكرم)، ولكنه يعجز عن سلوكها إن لم يكن طبعه مواتياً، فالطبع يقود المرء لا مجرد الإدراك. تسويد أ. عبد الرحيم

نَهَبْتَ مِنَ الأعمَارِ ما لو حَوَيْتَهُ لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خالِدُ

يا سيف الدولة! نهبت أعمار الأعداء نهباً، ولو أنك حويت (ضممت) إلى عمرك ما نهبت من الأعمار لكانت بشارة للدنيا بأنك خالد لا تموت

٧٣ لو دامت لغيرك..

قال المتنبي يعزي سيف الدولة بعبده «يماك»، وقد توفي في شهر رمضان سنة أربعين وثلاثمئة: ٨/ ٣١

لا يُحْزِنِ اللَّهُ الأمِيرَ، فإنَّنِي لآخُذُ مِنْ حالاتِهِ بِنَصِيبِ

أدعو الله ألا يحزن الأمير، فأنا أحزن لحزنه. يقول: أدعو له بذلك وأنا مستفيد من هذا الدعاء لأنني أحزن لحزنه. وقد فهم بعضهم البيت على أن معناه: لا تحزن أيها الأمير، فأنا المتنبي بكل عظمته حزين مثلك. وهذا فهم من لم يُدِم النظر في البيت. وهدانا إلى مقصد المتنبي شرح المعري. وغلط الصاحب بن عباد غلطة أفدح في فهم البيت، ففهمه على أنه يعني: الله لن يجعل الأمير يحزن، لأنني أشاركه الحزن. ونبه الواحدي على غلط الصاحب. واهتدى اليازجي بشرح المعري آخذا بعض عبارته.
ولمن العروض من همه فالبيت فيه خرم في أوله، مطية قلما ركبها أبو الطيب. ولعله ما ركبها إلا تنبيهاً على عرفانه وجودَها

ومَنْ سَرَّ أهلَ الأرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسىً بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وقُلُوبِ

وسيف الدولة سَرَّ كل الناس، لذلك فعندما يبكي أسىً (حزناً) فهو يبكي بعيون وقلوب الناس

وإنِّي، وإنْ كانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ، حَبِيبٌ إلى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبي

وإنني حزين رغم أن المدفون حبيب لسيف الدولة لا لي، ولكن من كان حبيب حبيبي فهو حبيبي أيضاً

وقد فَارَقَ الناسَ الأحِبَّةُ قَبْلَنا وأَعْيَا دَواءُ الموتِ كلَّ طبيبِ

فارق الأحبةُ الناس من قبل، وأعيا (أعجز) الأطباء الحصول على دواء للموت

سُبِقْنَا إلى الدُّنيا، فَلَوْ عاشَ أهلُها مُنِعْنَا بِها مِنْ جِيئَةٍ وذُهُوبِ

سبقنا الكثيرون إلى هذه الدنيا، فلو ظل الذين سبقونا على قيد الحياة لما بقي لنا مكان نروح ونجيء فيه من الازدحام

تَمَلَّكَها الآتي تَمَلُّكَ سَالِبٍ وفَارَقَها الماضي فِرَاقَ سَلِيبِ

الآتي للدنيا يتملكها كأنه سلبها وصارت له، والماضي (الذاهب) يفارقها كأنها سلبت منه غصباً

ولا فَضْلَ فِيها لِلشَّجَاعَةِ والنَّدَى وصَبْرِ الفَتَى، لولا لِقَاءُ شَعُوبِ

ولو لم يكن هناك لقاء شعوب (الموت) لما كان لمفاهيم الشجاعة والندى (الكرم) والصبر أي قيمة

وأَوْفَى حياةِ الغَابِرِينَ لِصَاحِبٍ حَياةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ

وأكثر حياةٍ وفاءً لصاحبها هي حياة تخونه وتهجره بعد المشيب، فالإنسان المحظوظ من وصل إلى عمر يشيب فيه، هذا هو أفضل ما عند الدنيا للمرء

٧٤ الغنيمة الوخيمة

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر بناءه حصن مرعش في المحرم سنة ٣٤١:
٢٤/ ٤٥

فَدَيْنـاكَ مِنْ رَبْعٍ، وإنْ زِدْتَنَـا كَـرْبـا فَإنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ والغَرْبَا

فديناك يا ربع الحبيبة وإن زدتنا كرباً (حزناً) لأنك مهجور، فقد كنت بالنسبة لنا الدنيا كلها، وأيضاً الحبيبة كانت شمساً تشرق وتغرب فيك

وكيفَ عَرَفْنا رَسْمَ مَنْ لم يَدَعْ لنا فُـؤاداً لِعِـرْفـانِ الـرُّسُـومِ ولا لُـبَّـا؟

وكيف ميزنا رسم (بقايا) الحبيب الذي لم يترك لنا قلباً لعرفان (تميز) الرسوم الممحوة ولا لباً (عقلاً)

نَـزَلْـنـا عَـنِ الأَكْـوَارِ نَـمْـشـي كَـرَامـةً لِـمَـنْ بَـانَ عَـنْـهُ أنْ نُـلِـمَّ بِـهِ رَكْـبـا

نزلنا عن الأكوار (سروج النياق) وترجلنا كرامة (إجلالاً) للمحبوب الذي بان (ابتعد) عن الربع: نُجِلُّه أن نُلِمَّ به (نأتيه) ركباً (راكبين)

نَـذُمُّ الـسَّـحَابَ الـغُـرَّ في فِـعْـلِـهـا بِـهِ ونُـعْـرِضُ عـنـهـا كُـلَّـما طَـلَـعَـتْ عَـتْـبـا

نذم السحب الغر (البيض الماطرة) لأنها أمطرت وغيرت معالم الربع، وكلما رأينا سحباً في السماء أَشَحْنَا بوجوهنا عنها عاتبين عليها

ومَنْ صَحِبَ الدُّنْيا طَويلاً تَقَلَّبَتْ على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَها كِذْبَا

من يعش طويلاً تتقلب الدنيا أمامه فيعرف من حقائق الأمور ما يجعله يرى الصدق كذباً

وكيف التِذَاذي بالأَصَائِلِ والضُّحَى إذا لم يَعُدْ ذاكَ النَّسِيمُ الذي هَبَّا

وكيف استمتع بالأصائل (أوقات الغروب) والضحى وأنا لم أعد أشم نسيم الأحبة

ذَكَـرْتُ بِـهِ وَصْـلاً كَـأَنْ لـم أَفُـزْ بِـهِ وعَـيْـشـاً كَـأَنِّـي كُـنْـتُ أَقْـطَـعُـهُ وَثْـبـا

وأنا أزور الربع المهجور تذكرت وصلاً (علاقة) مضى وصار بعيداً كأنني ما كنت فزت به، وتذكرت عيشاً أيام الشباب مر سريعاً كأنني كنت أقطعه قفزاً

وفَـتَّـانَـةِ الـعَـيْـنَـيْـنِ قَـتَّـالَـةِ الـهَـوى إذا نَـفَـحَـتْ شَـيْـخـاً رَوائِـحُـهـا شَـبَّـا

ورب فتاة فتانة العينين قتالة الهوى إذا هبت روائحها على شيخ شب (عاد لشبابه). تسويد الثلاثة السابقة لأحمد عبد الرحيم

لقد لَـعِـبَ الـبَـيْـنُ الـمُـشِـتُّ بِـهـا وَبـي وزَوَّدَنـي فـي الـسَّـيْـرِ مـا زَوَّدَ الـضَّـبَّـا

لعب البين (الفراق) المشت (المشتت) بها وبي، فهي رحلت وأنا رحلت، ولم أتزود من فراقها لا نظرة ولا قبلة بل تزودت لسيري ما يتزود الضب (من زواحف الصحراء) وهو الحيرة؛ وقالوا إن الضب يبتعد عن جحره فيضلُّ ولا يهتدي إليه

ومَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّواري جُدودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً، ومَطْعَمُهُ غَصْبا

من كانت جدوده كالأسود الضارية أي أنه من قوم أشداء، فإن ليله بهيج كالصبح، وينال ما يناله من مطعم (طعام) غصباً (بالقوة)

ولسْتُ أُبالي بَعْدَ إدْراكِيَ العُلى أكَانَ تُراثاً ما تَناولْتُ أم كَسْبا

بعد أن أُدرِكَ المجد لا يهمني إن كان ما أحرزته موروثاً أم من كسب يدي

فَرُبَّ غُلامٍ عَلَّمَ المجدَ نفسَهُ كتَعليمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ والضَّرْبا

فهناك من يصنع المجد بيده كما فعل سيف الدولة إذ تعلم الطعن والضرب وحده

تُهَابُ سيوفُ الهندِ، وَهْيَ حَدَائِدٌ فكيفَ إذا كانتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا

يهاب الناس السيوف وهي مجرد حدائد (من حديد)، فكيف عندما تكون السيوف ناساً عرباً من نزار (جد العرب)، يعني سيف الدولة. والحمدانيون من تغلب، وتغلب من قبائل ربيعة، و«ربيعة» الجد الأكبر ابن نزار وأخوه مضر، فبعد نزار تفترق قبائل ربيعة عن قبائل مضر. ومدح التغلبيين بأنهم «نزارية» يجعلهم ضمن النطاق الذي يضم قريشاً والرسول

ويُرْهَبُ نابُ الليثِ، والليثُ وَحْدَهُ فكيفَ إذا كانَ اللُّيوثُ لَهُ صَحْبَا

وناب الليث مرهوب والليث وحده، فكيف والليوث تصاحبه، يعني جنود سيف الدولة

عَلِيمٌ بِأسْرارِ الدِّياناتِ واللُّغَى لَهُ خَطَراتٌ تَفْضَحُ الناسَ والكُتْبا

سيف الدولة عالم متبحر بأسرار الديانات واللغات (أي الأوجه المختلفة للكلمات في اللغة العربية)، وله خطرات (أفكار) تفضح جهل الناس وقلة ما في الكتب من عمق

فبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ، كأن جُلُودَنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ والوَشْيَ والعَصْبَا

بوركت يا سيف الدولة أيها الغيث (المطر) الذي يهطل على أجسامنا فتنبت الحرير والوشي (القماش المنقوش) والعَصب (قماش يمني)، أي أن سيف الدولة يكسوهم كل هذا. والقماش في الماضي غالٍ وعزيز لأنه نسج يدوي، ولذا كان الخليفة إذا سر من شاعر أو قائد خلع رداءه ورماه إليه، ومن هنا تسميتنا الهدية بالخِلعة

هَنِيئاً لأهْلِ الثَّغْرِ رأيُكَ فِيهِمُ وأنَّكَ ـ حِزْبَ اللَّهِ ـ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبا

نهنئ أهل الثغر (الموقع الحدودي) لأنك سررت منهم، ولأنك ـ يا حزب الله (أي المنتصر بالله) ـ صرت ناصراً لهم

فَيَوماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ ويَوماً بِجُودٍ تَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدْبا

فأنت يوماً تأتي بخيلك وتطرد الروم عن بلدهم، ويوماً تأتي بجودك (كرمك) وتطرد الفقر والجدب (القحط)

سَراياكَ تَتْرَى، والدُّمُسْتُقُ هَاربٌ   وأصحابُهُ قَتْلى، وأموالُهُ نَهْبَى

سراياك تترى (متابعة)، والدمستق (قائد الروم) هارب وأصحابه قتلى وأمواله منهوبة

كَذَا يَتْرُكُ الأعداءَ مَنْ يَكْرَهُ القَنا   ويَقْفُلُ مَنْ كانتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبا

هكذا يترك الأعداء وشأنهم الجبان الذي يكره القنا (الرماح)، ويقفل راجعاً من كانت غنيمته من الحرب أن يحمل رعباً في قلبه

مَضَى بعدَمَا التَفَّ الرِّماحانِ سَاعةً   كما يَتَلَقَّى الهُدْبُ في الرَّقْدَةِ الهُدْبا

فر قائد الروم بعد أن تشابكت الرماح ساعة، وكأن تشابكها التقاء الرمش بالرمش

ولكنَّهُ وَلَّى ولِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ   إذا ذَكَرَتْها نَفْسُهُ لَمَسَ الجَنْبَا

ولكنه عندما ولى (ذهب) كان للطعن سورة (هجمة) وكلما ذكرها لمس جنبه خوفاً ليطمئن أنه لم يصب بأذى

أرَى كُلَّنَا يَبْغي الحَيَاةَ لِنَفْسِهِ   حَرِيصاً عَليها مُسْتَهَاماً بِها، صَبَّا

أرى كل واحد فينا يبغي الحياة ويحرص عليها مستهاماً بها (هائماً بها) صباً (محباً)

فَحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أوْرَدَهُ التُّقَى   وحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أوْرَدَهُ الحَرْبَا

فحب الجبان لنفسه جعله يرد (يأتي) التقى (التجنُّب)، وحب الشجاع لنفسه جعله يأتي الحرب، فالشجاع لا يرى لنفسه حياة مع الجبن

٧٥ واحَرَّ قلباه

قال المتنبي وقد جرى له خطاب مع قوم متشاعرين وظن الحيف عليه والتحامل: ٣٨/ ٣٧!

عبارة اليازجي: «كان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدح المتنبي شق عليه، وأكثر أذاه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم له بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء، فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتمادى أبو الطيب على ترك قول الشعر، ويلِجُّ سيف الدولة فيما كان يفعله إلى أن زاد الأمر وكثر عليه، فقال هذه القصيدة»

واحَرَّ قَلْبَاهُ! مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ   ومَنْ بِجِسْمي وحَالِي عندَهُ سَقَمُ

واحر قلباه (يا لحرقة قلبي) من الذي قلبه شبم (بارد)، والذي لحق بجسمي وأحوالي وأنا مقيم عنده سقم (مرض)

مَا لي أُكَتِّمُ حُبّاً قد بَرَى جَسَدي   وتَدَّعِي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأُمَمُ؟

مالي أكتم حبي الذي برى جسدي برياً لسيف الدولة، بينما تدَّعي أمم من الناس أنها تحبه

إنْ كانَ يَجْمَعُنا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ   فَلَيْتَ أَنّا بِقَدْرِ الحُبِّ نَقْتَسِمُ

إن كان القاسم المشترك بيني وبينهم هو حبنا لغرته (لطلعته)، فليتنا نقتسم عطاياه بقدر ما عندنا له من حب

قد زُرْتُهُ، وسيوفُ الهندِ مُغْمَدَةٌ،   وقد نَظَرْتُ إليْهِ، والسُّيوفُ دَمُ

لقد عرفته في حال السلم بينما السيوف في أغمادها، وقد شهدت مواقعه والسيوف يقطر منها الدم

فكانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللّهِ كُلِّهِمُ   وكانَ أَحْسَنَ ما في الأَحْسَنِ الشِّيَمُ

فكان دائماً أحسن خلق الله، وأحسن ما فيه الشيم (الأخلاق)

فَوْتُ العَدُوِّ الذي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ   في طَيِّهِ أَسَفٌ في طَيِّهِ نِعَمُ

إن فوت (إفلات) العدو الذي يممته (قصدته) هو ظفر (نصر) لك، وفي طي (بضمن) هذا النصر أسف على إفلاته، ونعمة لثبوت الدليل على التفوق عليه

قد نابَ عنكَ شَدِيدُ الخوفِ، واصْطَنَعَتْ   لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ

الخوف منك كان نائباً عن وجودك في مواجهة العدو، وقد اصطنعت (صنعت) لك المهابة (الهيبة) ما لا تصنعه البهم (الأبطال). يقول هزمت العدو بالرعب، وهيبتك قامت مقام جنودك البواسل

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيئاً ليسَ يَلْزَمُها: أنْ لا تُوارِيَهُمْ أَرْضٌ ولا عَلَمُ

ألزمت نفسك بأكثر مما يجب إذ أقسمت ألا تواري (تخفي) العدو أرض منبسطة ولا جبل، فأنت تلاحقهم دوماً

أَكُلَّما رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً   تَصَرَّفَتْ بِكَ في آثارِهِ الهِمَمُ

هل كلما رمت (طلبت) جيشاً فانثنى (انكفأ) هارباً منك تصرفت بك (ألزمتك) هممك (عزائمك) للحاق به؟

عَليكَ هَزْمُهُمُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ   وما عَليكَ بِهِمْ عارٌ إذا انْهَزَمُوا

عليك (لزام عليك) أن تهزمهم في كل معركة، ولكن ليس عليك عار إذا هم انهزموا ولم تتبعهم.. لكنك تتبعهم حتى يكون النصر تاماً

أما تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوى ظَفَرٍ   تَصافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الهندِ واللِّمَمُ

ألا ترى الظفر (النصر) حلواً إلا إذا تصافحت فيه بيض الهند (السيوف الهندية) مع اللمم (الرؤوس)

يا أَعْدَلَ النَّاسِ، إلا في مُعَامَلَتِي،   فيكَ الخِصَامُ، وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

كما في كل بلاط كانت الحاشية تتنافس على رضا الأمير. وخصامهم كله فيمن يكون مقرباً أكثر

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً أنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

العياذ بالله أن تغلط نظراتك الصادقة فتحسب شحماً في الذي شحمه ورم. والشحم صحة على المرء والورم مرض، وبعض الناس متنفخ ولكنه فارغ

وما انتِفَاعُ أخي الدُّنيا بِنَاظِرِهِ إذا استَوَتْ عِندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

وما نفع أخي الدنيا (الإنسان) بناظره (ببصره) إذا تساوى عنده النور والظلمة؟

سَيَعْلَمُ الجَمْعُ، مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنا، بِأنَّني خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ

سيعلم الجمع، ممن ضمهم هذا المجلس، أنني خير من يمشي على قدمين. (البيت ساقط من شرح أبي العلاء، لهذا فعدد أبيات ما اخترناه يزيد عن عدد أبيات القصيدة كلها عند أبي العلاء ببيت واحد. فنحن ـ كما لا يخفى ـ اخترنا القصيدة برمتها)

أَنا الذي نَظَرَ الأَعمَى إلى أدبي وأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أنامُ مِلْءَ جُفُونِي عنْ شَوَارِدِها ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاها ويَخْتَصِمُ

أنام ملء جفوني (مرتاحاً) غير مفكر في شوارد اللغة (كلماتها الشاردة الغريبة التي أستعملها في شعري)، ويسهر خلق الله جراها (بسببها) ويختصم هذا الخلق وكان من طبع المتنبي ألا يشرح شعره، على كثرة غوامضه. وكان إذا سئل، وهو بالعراق وبفارس، عن معنى أحال الناس على ابن جني

وجَاهِلٍ مَدَّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي حتى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ، وفَمُ

رب جاهل مده في جهله (جعله يتمادى) ضحكي، حتى فاجأته بيد مفترسة وفم ينهشه

إذا رَأَيْتَ نُيوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلا تَظُنَّنَّ أنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

ومُهْجَةٍ، مُهْجَتي مِنْ هَمِّ صاحِبِها، أَدْرَكْتُها بِجَوادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ

ورب مهجة (نفس) صاحبُها يريد إهلاك مهجتي، لكنني أدركتها بجواد سريع، ظهره حرم (آمن). فجواده يعطي راكبه الأمان لأنه لا يلحق به عدو

رِجْلَاهُ في الرَّكْضِ رِجْلٌ، واليَدَانِ يَدٌ وفِعْلُهُ ما تُرِيدُ الكَفُّ والقَدَمُ

رجلا الجواد كأنهما رجل واحدة في ركضه، ويفعل الجواد ما تريد كفي وقدمي منه أن يفعل لاستجابته السريعة لأوامري التي أعطيها له بنخسة الكعب أو تحريك المقود

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحْفَلَيْنِ بِهِ حتى ضَرَبْتُ، ومَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

ورب سيف مرهف (حاد) سرت وأنا أشهره بين الجحفلين (الجيشين) حتى آنست فرصة للضرب به بينما كان موج الموت يتلاطم في المعركة

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تَعْرِفُني والسيفُ والرمحُ والقِرْطَاسُ والقلمُ

القرطاس: الورق

صَحِبْتُ في الفَلَوَاتِ الوَحْشَ مُنْفَرِداً   حتى تَعَجَّبَ مِنِّي القُورُ والأَكَمُ

صحبت في الفلوات (الصحارى) الوحش وأنا وحدي، حتى تعجبت مني القُور (المنخفضات) والأكم (التلال)

يا مَنْ يَعِزُّ علينا أنْ نُفَارِقَهُمْ!   وِجْدَانُنَا كُلَّ شيءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ

يا من يعز علينا فراقهم - تهديد بأنه سيفارق سيف الدولة - إن وجداننا كل شيء (حصولنا على كل ما نطلب) بعد فراقكم هو مثل العدم

ما كانَ أَخْلَقَنا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ   لو أنَّ أمْرَكُمُ مِنْ أمْرِنَا أَمَمُ

ما كان أخلقنا (أجدرنا) بتكريم منكم لو أن شأننا من شأنكم أمم (قريب). أرى أن المتنبي هنا يعبر عن شعوره بالنقص لأنه مجرد شاعر، ويقصد إلى القول: لو كنت والياً أو أميراً صغيراً لكان شأني قريباً من شأنك يا سيف الدولة ولكنت كرمتني، ولكنني بالنسبة إليك مجرد شاعر من شعراء بلاطك

إنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا   فما لِجُرْحٍ إذا أرْضَاكُمُ ألَمُ

وبَيْنَنا، لو رَعَيْتُمْ ذاكَ، مَعْرِفَةٌ   إنَّ المَعَارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

بيني وبينك، لو كنت تحفظ ذلك، طول عشرة ومعرفة، والمعرفة عند أهل النهى (أصحاب العقول) ذمم (عهود)

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنا عَيْباً فَيُعْجِزُكُم   ويَكْرَهُ اللَّهُ ما تَأْتُونَ، والكَرَمُ

كثيراً ما تبحثون عن عيب لي فتعجزون، والله يكره التفتيش عن المعايب، وكرم الأخلاق يأبى ذلك أيضاً

ما أَبْعَدَ العَيْبَ والنُّقْصَانَ مِنْ شَرَفي   أَنا الثُّرَيَّا، وذَانِ الشَّيْبُ والهَرَمُ

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي! فأنا مثل نجوم الثريا وذان (هذان/ أي العيب والنقصان) مثل الثرى (التراب)

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عِنْدي صَوَاعِقُهُ   يُزِيلُهُنَّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

ليت الغمام (السحاب/ يقصد سيف الدولة) الذي يرميني بصواعقه، ليته يزيل الصواعق عني ويرمي بها من ينال الديم (المطر). يقول: سيف الدولة سحاب وهو يرميني بالصواعق ويعطي غيري المطر، فليته يعطي الصواعق لمن ينال المطر

أرَى النَّوى تَقْتَضِيني كُلَّ مَرْحَلَةٍ   لا تَسْتَقِلُّ بِها الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ

أرى النوى (الفراق) تقتضيني (تكلفني) كل مرحلة (مسافة بين استراحتين) لا تستقل بها (تتكفل بقطعها) الوخادة (الإبل السريعة) الرسم (الإبل). يقول إن الفراق سيكلفني قطع مراحل الطريق الطويلة التي تعجز عنها الإبل السريعة

لَئِنْ تَرَكْنَ «ضُمَيْراً» عَنْ مَيَامِنِنا   لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ

إذا تركت الإبل جبل ضُمير عن يميني وتوجهت بعيداً عنك فسوف يشعر من تركتهم وودعتهم بالندم

إذا تَرَحَّلْتَ عنْ قَوْمٍ، وقَدْ قَدَرُوا أنْ لا تُفَارِقَهُمْ، فالرَّاحِلُونَ هُمُ

إذا رحلتَ عن قوم وهم قادرون على إرضائك وجعلك تبقى، فالراحلون هم هؤلاء القوم لا أنت، أي أنهم هم الذين قرروا الفراق فلا لوم عليك

شَرُّ البِلادِ مَكَانٌ لا صَدِيقَ بِهِ وشَرُّ ما يَكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

يصم: يعيب

وشَرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ البُزَاةِ سَوَاءٌ فيهِ والرَّخَمُ

شر ما قنصته (صادته) راحتي (يدي) صيد تتساوى فيه شهب البزاة (الجوارح البيض/ وهي من أكرم الطير) والرخم (نوع ضعيف من النسور). يقول: إنه لا يرضى بأن يتساوى مع غيره في العطاء والمعاملة، لأنه متميز

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ، لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ

ما هذه الألفاظ التي يستعملها شاعر زعنفة (ساقط) يجوز عندك (يُقبَل لديك)، وهو ليس من العرب ولا من العجم

هـذا عِتَابُكَ، إلَّا أنَّهُ مِقَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ، إلا أنَّهُ كَلِمُ

هذا هو عتابي لك إلا أنه مقة (محبة)، وقد ضمنته الدر (اللؤلؤ) غير أنه كلام

٧٦ محاولة اغتيال

اجتمع على المتنبي غضب سيف الدولة وغضب أبي العشائر. أرسل أبو العشائر غلماناً له ليوقعوا بالمتنبي فلحقوه بظاهر حلب ليلاً، فرماه أحدهم بسهم، وقال: خذه وأنا غلام أبي العشائر، فقال أبو الطيب: ٤/ ٥

ومُنتَسِبٍ عندي إلى مَنْ أُحِبُّهُ ولِلنَّبْلِ حَوْلي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ

رب شخص نسب نفسه إلى شخص أحبه في وقت كان فيه للنبل (للسهام) التي يرميها حفيف (صوت خافت) حولي

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي، ومَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ، ولَكِنَّ الكَرِيمَ أَلُوفُ

فهيج بذكره لسيده شوقي إلى أبي العشائر، ولم يكن حنيني لأنني ذليل، لكن الكريم عنده ألفة ووفاء

وكُلُّ وِدَادٍ، لا يَدُومُ عَلى الأَذَى دَوَامَ وِدَادِي لِلحُسَيْنِ، ضَعِيفُ

والوداد الذي لا يستمر برغم الأذى استمرار ودادي للحسين (أبي العشائر) هو وداد ضعيف

فَإِنْ يَكُنِ الفِعْلُ الذي سَاءَ وَاحِداً فَأَفْعالُهُ اللائي سَرَرْنَ أُلُوفُ

فإذا كان فعله الذي ساءني (أحزنني) واحداً فإن له ألوف الأفعال التي سرتني

٧٧ كأنك ما صغرت عن الهجاء

لما أنشد المتنبي قصيدة (واحر قلباه) وانصرف، اضطرب المجلس. وكان فيه نبطي من كبراء كتاب سيف الدولة يقال له أبو الفرج السامَرِّي، فقال له: دعني أسعى في دمه، فرخص له في ذلك. وفيه يقول أبو الطيب: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٢/٢

أسَامَرِّيُّ! ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءٍ، فَطِنْتَ، وكُنْتَ أَغْبَى الأَغْبِيَاءِ

أيها السامري (المنسوب إلى مدينة سامَراء) أنت ضحكة كل من يراك، والآن فطنت إلى الشجاعة، وقد كنت غبياً

صَغُرْتَ عنِ المَدِيحِ، فَقُلْتَ: أُهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عنِ الهِجَاءِ

أنت أصغر من أن تمدح، فقلتَ لنفسك: حسناً، فلأتعرض للهجاء. كأنك ما صغرت عن أن تهجى أيضاً. أقول، لن تراني يوماً أصف بيت هجاء بأنه أقوى من هذا البيت. هذا هجاء فادح فداحةً. وقد فتشت عن كلمة تقدير لبيت الهجاء هذا عند الشراح الستة الذين أديم النظر في شروحهم وأنا أشتغل في هذا الكتاب، وعدمتها

٧٨ الحالمة بالجمل

رضي سيف الدولة عن المتنبي بعد الجفوة، فقال المتنبي يمدحه: ٤٨/٢١

أجابَ دَمْعِي، ومَا الدَّاعِي سِوى طَلَلٍ دَعَا، فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ والإبِلِ

أجاب (لبى) دمعي الدعوة فنزل، وليس الذي دعاه سوى طلل (خربة)، وقد لبى الدمع النداء قبل الركب (الرفاق) وقبل الإبل. فالرفاق تأخروا عن النزول والإبل تأخرت عن الوقوف ولكن دمعي نزل فور رؤيتي طلل الأحبة

ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أُكَفْكِفُهُ وظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العُذْرِ والعَذَلِ

ظللت بين أصحابي أكفكف الدمع، وظل يسفح (يسيل) بين إبدائهم العذر لي والعذل (اللوم)

ومَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ على أَمَلٍ مِنَ اللِّقَاءِ، كَمُشْتَاقٍ بِلا أَمَلِ

وصبابة (حرقة) المشتاق الذي له أمل في اللقاء تختلف عن حرقة من لا أمل له

مَتى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوى زِيَارَتَها لا يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ البِيضِ والأَسَلِ

لا أمل لي في اللقاء لأنني إن زرت قوم المحبوبة لا يتحفُوني (بمعناها المعاصر) إلا بالبِيض (السيوف) والأسل (الرماح)

والهَجْرُ أَقْتَلُ لي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أَنَا الغَرِيقُ فَما خَوْفِي مِنَ البَلَلِ

والهجر أشد قتلاً لي مما أراقبه (أحذره) من سيوف قومها، فأنا مقتول على كل حال كالغريق الذي لا يخاف البلل (التبلل بالماء) لأن ما يحف به أشد من مجرد البلل

مـا بَـالُ كُـلِّ فُـؤادٍ فـي عَـشِـيـرَتِـهـا بِـهِ الـذي بـي، ومَـا بـي غَـيْـرُ مُـنْـتَـقِـلِ

ما لي أرى كل قلوب شبان عشيرتها مغرمين بها، وبهم مثل الذي بي منها؛ ومع أنهم يشاركونني في حبها فالذي بي من حبها لا ينتقل (لا يزول)

قَـدْ ذُقْـتُ شِـدَّةَ أَيَّـامـي ولَـذَّتَـهـا فَـمـا حَـصَـلْـتُ عـلى صَـابٍ ولا عَـسَـلِ

ذقت الشدة واللذة في زمني، ولكنني لم أحصل على شيء يبقى معي، فالصاب (الشجر المر) زال والعسل زال أيضاً

وقـد طَـرَقْـتُ فَـتَـاةَ الـحَـيِّ مُـرْتَـدِيَـاً بِـصَـاحِـبٍ غَـيْـرِ عِـزْهَـاةٍ ولا غَـزِلِ

وقد طرقت (زرت ليلاً) المحبوبة مرتدياً سيفي وهو صاحب لا يوصف بأنه عزهاة (كاره للنساء) ولا بأنه غزِل (نسوانيّ)، ذلك أنه سيف

فَـبَـاتَ بَـيْـنَ تَـرَاقِـيـنـا نُـدَفِّـعُـهُ ولـيسَ يَـعْـلَـمُ بِـالشَّـكْـوى، ولا الـقُـبَـلِ

وبات سيفي بين تراقينا (عظام أعلى الصدر) ندفّعه (ننحيه مرة بعد أخرى) وهو لا يعلم بشكوانا التي نتبادلها.. ولا بالقبلات

ضَاقَ الزَّمانُ، ووَجْهُ الأرضِ عَنْ مَلِكٍ مِلءِ الزَّمانِ، وملءِ السَّهْلِ والجَبَلِ

الزمان والمكان لا يتسعان لهذا الملك الذي ملأ الزمان والأرض، سهلها وجبلها، بذكره وأفعاله

فَنَحْنُ في جَذَلٍ، والرُّومُ في وَجَلٍ والبَرُّ في شُغُلٍ، والبَحْرُ في خَجَلِ

فنحن في جذل (فرح) والروم في وجل (خوف)، والبر مشغول بخيلنا وجيوشنا، والبحر خجلان لأن سيف الدولة فاقه كرماً. هذا أبو الطيب يقلد أبا تمام.. تدبير معتصم إلخ

لَـيْـتَ الـمَـدَائِـحَ تَـسْـتَـوفـي مَـنَـاقِـبَـهُ فَـمـا كُـلَـيْـبٌ، وأَهْـلُ الأَعْـصُـرِ الأُوَلِ؟

ليت المدائح (قصائد المدح) تكفي لتعداد مناقبه (محاسنه) وحده، فلماذا نذكر كليباً (البطل العزيز الكريم من قبيلة تغلب وهي قبيلة سيف الدولة) والقدماء؟ يقول: المدائح لا تكاد تأتي على محاسن سيف الدولة فلماذا نذكر آباءه في العصور القديمة؟ وكان بعض الشعراء في بلاط سيف الدولة فعلوا ذلك

خُذْ ما تَراهُ، ودَعْ شيئاً سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَةِ البَدْرِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

خذ ما تراه بعينيك ودع الذي قيل عن الزمن القديم، فعندما يطلع البدر يستغني المرء به عن كوكب بعيد مثل زحل

وقَـد وَجَـدْتَ مَـكـانَ الـقَـوْلِ ذا سَـعَـةٍ فَـإِنْ وَجَـدْتَ لِـسَـانـاً قَـائِـلا فَـقُـلِ

وقد وجدتَ أيها الشاعر مجالاً واسعاً للمدح، فإن كان عندك لسان فصيح فقل شعراً

تُمْسِي الأمانيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ   فَما يَقُولُ لِشيءٍ لَيْتَ ذَلكَ لِي

الأماني تصبح صرعى (هالكة) دون (قبل) البلوغ إليه، فهو إذا تمنى شيئاً حققه فوراً قبل أن يقول: ليته لي، لذلك فالأماني تنتهي بتحقيقها قبل أن تصبح أمانيَّ

جازَ الدُّرُوبَ إلى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ   وزَالَ عَنْها، وذاكَ الرَّوْعُ لم يَزُلِ

جاز (قطع) الدروب (الطرق المؤدية إلى بلاد الروم) وتجاوز حصن خرشنة، ثم زال (رجع) عن الدروب ولكن الروع (الخوف) الذي تركه في قلوب الروم ظل موجوداً

فَكُلَّما حَلَمَتْ عَذْراءُ عِنْدَهُمُ   فَإنَّما حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ والجَمَلِ

والفتاة من بنات الروم عندما تحلم في نومها تحلم بالسبي وبالجمل العربي يحملها مسبية بعيداً عن أهلها

إنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأنْ يُعْطُوا الجِزَى بَذَلُوا   مِنْها رِضَاكَ، ومَنْ لِلْعُورِ بالحَوَلِ

إن كنت يا سيف الدولة ترضى بالجزية فهم يبذلون (يعطون) منها ما يرضيك، وهم محظوظون إن تركتهم مقابل جزية، والعور (ذوو العين الواحدة) يتمنون الحول بدل العور فالحول أخف وطأة

ومَا سَمِعْتُ، ولا غَيْرِي، بِمُقْتَدِرٍ   أذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ القَوْلِ عَنْ رَجُلِ

لم أسمع، ولم يسمع غيري، بشخص مقتدر أكثر ذباً منك (أكثر رداً) لكلام الزور (الافتراء) عن رجل، هو أنا. يقول: أنت أكثر الناس تكذيباً لما يقال عني من افتراءات

لِأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ   ليسَ التَّكَحُّلُ في العَيْنَينِ كَالكَحَلِ

ذلك أن حلمك (سماحتك) ليس فيه تكلف بل هو طبع فيك، والتكحل ليس في جمال الكَحَل (الكحل الرباني)

وما ثَنَاكَ كَلامُ الناسِ عَنْ كَرَمٍ   ومَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ العَارِضِ الهَطِلِ

كلام الناس لم يثنك (لم يمنعك) عن كرمك، فأنت كالعارض (السحاب) الهاطل الذي لا يمنعه من الهطول شيء

٧٩ موتوا حسداً

قال المتنبي وقد استحسنت قصيدته السابقة (أجاب دمعي): ٣/٣

إنَّ هَذا الشِّعْرَ في الشِّعْرِ مَلَكْ   سَارَ، فَهْوَ الشمسُ، والدُّنيا فَلَكْ

شعري بالنسبة لشعر الآخرين هو مثل الملاك بالنسبة للبشر، وهو قد سار (انتشر) فكان كالشمس وفلكه (مداره) هو الدنيا كلها

عَدَلَ الرَّحْمنُ فيهِ بَيْنَنا   فَقَضَى بِاللَّفْظِ لي، والحَمْدِ لَكْ

الله وزع الأمر بالعدل بيننا، فاللفظ لي، ولكن الحمد في هذا الشعر هو لك

فـإذا مَـرَّ بِـأُذْنَـيْ حَـاسِـدٍ صَارَ مِمَّنْ كانَ حَيّاً، فَهَلَكْ

فإذا مر شعري بأذنيْ حاسد وسمعه، مات من حسرته

٨٠ افهم ما يقال

قال وقد عجز قوم عن فهم بيت له: ٢/ ٤

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأصيلِ وكانَ بِقَدْرِ ما عَايَنْتُ قِيلِي

أنا قلت كلاماً فصيحاً، وكان قيلي (كلامي) مطابقاً للواقع الذي عاينته

وليسَ يَصِحُّ في الأَفْهَامِ شيءٌ إذا احْتَاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

ولا يعود شيء في الدنيا صحيحاً وتنقلب موازين المنطق إذا احتاج المرء إلى دليل في ضوء النهار

٨١ من يزحم البحر يغرق

قال المتنبي، وقد كاتَبَ الرومُ سيفَ الدولة يطلبون الصلح: ١٥/ ٤٣

لِعَيْنَيْكِ ما يَلْقَى الفُؤادُ، وما لَقِي وِلِلحُبِّ ما لم يَبْقَ مِنِّي، وما بَقِي

لأجل عينيك ما يلقى قلبي، وما لقي، من عذاب؛ ومنذور للحب كل ما بقي من روحي، والذي ذهب إنما ذهب في سبيل الحب

وما كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قَلْبَهُ ولَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ

وبَيْنَ الرِّضَى والسُّخْطِ والقُرْبِ والنَّوَى مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقْرِقِ

هذه الحالات المختلفة تفتح مجالاً لدمع المقلة (العين)

وأَحْلَى الهَوى ما شَكَّ في الوَصْلِ رَبُّهُ وفي الهَجْرِ، فَهْوَ الدَّهْرَ يَرجُو ويَتَّقي

أحلى الهوى الذي يشك ربه (صاحبه) في الوصل والهجر، فهو الدهرَ (طولَ الدهرِ) على رجاء اللقاء واتقاء (حذر) الفراق

وغَضْبَى مِنَ الإدْلالِ، سَكْرَى مِنَ الصِّبَا شَفَعْتُ إلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ

ورب فتاة غاضبة غضب دلال، ومنتشية بصباها، شفعت إليها (توسطت لديها) وجعلت واسطتي رَيِّق شبابي (مطلع شبابي)

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِياحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ المُجْتَدي المُتَمَلِّقِ

رأى ملك الروم ارتياحك (اريحيتك) للندى (للعطاء)، فوقف منك موقف المجتدي (المتوسل) المتملق لينال رضاكَ عليه

وخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِراً   لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانِ وأَحْذَقِ

وترك الرماح السمهرية (المنسوبة إلى مقوم الرماح القديم سمهر) وهو صاغر (ذليل)، تركها لمن هو أكثر دربة وحذقاً منه في الطعن

وكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُها   قَرِيبٍ على خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ

وراسلك من أرض بعيد مرامها (بعيدة على من طلبها)، ولكن مرامها قريب على الخيل السُّبَّق (السابقة) التي عندك يا سيف الدولة

وقد سَارَ في مَسْراكَ مِنْها رَسُولُه   فَما سَارَ إلا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ

وقد سار في نفس مسراك (طريقك) داخل هذه البلاد رسول ملك الروم آتياً إليك في حلب، وفي طريقه كان يسير فوق هام (رؤوس) مفلوقة بسبب معاركك داخل أرضهم

ولم يَثْنِكَ الأعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ   بِمِثْلِ خُضُوعٍ في كَلامٍ مُنَمَّقِ

ولا يثنيك (يمنعك) الأعداء عن مهجاتهم (نفوسهم) بشيء أفضل من خضوع لك يُسَاق في كلام منمق

وكُنْتَ، إذا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ،   كَتَبْتَ إلَيْهِ في قَذَالِ الدُمُسْتُقِ

وأما أنت فكنت إذا أردت الكتابة لملك الروم جعلت رسالتك في قذال (قفا) الدمستق (قائد جيش الروم)، أي أنك كنت تأسره ثم تعيده إلى مليكه مصفوعاً على قفاه أي مهاناً

فإنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأمانَ فَسَائِلٌ   وإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الحُسَامِ فَأَخْلِقِ

فإذا أعطيت ملك الروم الأمان فأنت كأنك تعطي سائلاً (متسولاً) وإن قررت إعطاءه حد السيف فأخلِقْ بك (فما أجدرك بهذا)

بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً   أَنَرْتُ بِها مَا بَيْنَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ

بلغتُ أنا ـ المتنبي ـ باتصالي بسيف الدولة، الموصوف بالنور، رتبة صار فيها ذكري ينير بين الشرق والغرب

إذا شَاءَ أنْ يَلْهُوْ بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ   أَرَاهُ غُبَارِي، ثُم قَالَ لَهُ: الْحَقِ

فسيف الدولة إذا أراد أن يلهو برجل أحمق، أراه غباري (غبار حصاني) وقال له: الحق به. يقول: سيف الدولة يقول للشعراء ها هو شعر المتنبي! فهل من يستطيع التفوق عليه؟

وَمَا كَمَدُ الحُسَّادِ شيءٌ قَصَدْتُهُ   ولَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ البَحْرَ يَغْرَقِ

وأنا لم أقصد كمد (غيظ) الحساد، ولكنهم هم زاحموني، ومن يزاحم البحر يغرق

٨٢ ليل العاشقين

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، وقد انتصر على الروم وأسر قسطنطين ابن رئيس الروم الدمستق: ٦٦/٢٧

لَيالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ، ولَيْلُ العَاشِقِينَ طَويلُ

ليالِيَّ بعد الظاعنين (الراحلين) شكول (متشاكلة، متماثلة)، وهي طويلة، وليل العاشقين دائماً طويل

يُبِنَّ لِيَ البَدْرَ الذي لا أُرِيدُهُ ويُخْفِينَ بَدْراً ما إلَيْهِ سَبِيلُ

يبنَّ (يظهرن) لي البدر الذي لا أريده وهو بدر السماء، ويخفين البدر الثاني الذي لا سبيل للوصول إليه أي الحبيبة

وما عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً ولكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ

ولم أبق على قيد الحياة بعد رحيل الحبيبة سلوة (نسياناً لها)، ولكنني حمول للنائبات (المصائب)

وإنَّ رَحيلاً واحِداً حالَ بَيْنَنا وفي الموتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحيلِ رَحيلُ

رحيلها حال بيني وبين لقائها، وسيكون هناك على كل حال رحيل آخر هو الموت

إذا كانَ شَمُّ الرَّوْحِ أدْنَى إلَيْكُمُ فَلا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وقَبولُ

إذا كان شم الروْح (الريح) القادمة من مكانكم يدنيني إليكم، فلا برحتني (لا فارقتني) روضة أشم فيها القبول (الريح القِبلية). احتفل بهذا البيت ابن جني أيما احتفال، وتعجب من جمال عبارة «لا برحتني». وأنا أراها كقول من قال: «أنفي يحُكّني»، بدل أن يقول «أحكُّ أنفي»

ومَا شَرَقي بِالماءِ إلا تَذَكُّراً لِمَاءٍ بِهِ أهْلُ الحَبيبِ نُزُولُ

وإذا شرقت وأنا أشرب الماء فما ذلك إلا لأنني أتذكر الماء الذي به أهل الحبيب نزول (نازلون)

يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأسِنَّةِ فَوقَهُ فَلَيسَ لِظَمْآنٍ إلَيْهِ وُصُولُ

وهذا الماء محرم وروده لأن أسنة رماح قومك تلمع فوقه، فلا يصله الظمآن

أمَا في النُّجومِ السَّائِراتِ وغَيْرِها لِعَيْنِي عَلى ضَوْءِ الصَّباحِ دَليلُ

أليس في النجوم السيارة وغيرها (الثابتة/ وكذا كانوا يعتقدون) ما يدلني على وشك طلوع الفجر؟ يتشوق لانتهاء ليله ويراقب نجمة الصباح

ألم يَرَ هذا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتي فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ ونُحُولُ

ألم ير هذا الليل الطويل عينيك كما رأيتهما أنا.فيصبح نحيلاً مثلي فينقضي ويزول

لَقِيتُ بِدَرْبِ القُلَّةِ الفَجْرَ لَقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِي، والليلُ فيهِ قَتيلُ

لقد لقيت في درب القلة (اسم مكان ببلاد الروم) الفجر لقيةً شفت كمدي (غيظي) من الليل إذ رأيت الليل قتيلاً بطلوع الفجر. وكان المتنبي مصاحباً في ذلك المكان لجيش سيف الدولة

ويَوماً كَأَنَّ الحُسْنَ فيهِ عَلامَةٌ ... بَعَثْتِ بِها، والشمسُ مِنْكِ رَسُولُ

ولقيت يوماً كأن حسنه (جماله) علامة بعثتِ بها، وكان رسولك الشمس

وما قَبْلَ سيفِ الدَّولةِ اثَّارَ عَاشِقٌ ... ولا طُلِبَتْ عندَ الظَّلامِ ذُحُولُ

ولم يحدث قبل سيف الدولة أن اثّار عاشق (أخذ ثأره من الدهر الذي عذبه بالعشق)، ولم يحدث أن طُلبت ذحول (ثارات) من الظلام

ولَكِنَّهُ يَأتي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ ... تَرُوقُ على اسْتِغْرَابِها وتَهُولُ

ولكن سيف الدولة يأتي بكل أمر غريب يروق الناس رغم استغرابهم له ويهولهم (يدهشهم)

رَمَى الدَّرْبَ بِالجُرْدِ الجِيادِ إلى العِدَى ... وما عَلِمُوا أنَّ السِّهَامَ خُيولُ

رمى سيف الدولة الدرب (درب القلة: مكان ببلاد الروم) بالجرد (الخيول القصيرة الشعر) الجياد (الأصيلة) بسرعة فائقة كما يرمي المرء سهماً، وما كان الروم يعلمون أن السهام يمكن أن تكون على هيئة خيول

شَوَائِلَ، تَشْوَالَ العَقَارِبِ، بِالقَنَا ... لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وصَهِيلُ

رمى الخيل وهي شوائل بالقنا (رافعات بالرماح) مثل تشوال (رفع) العقرب بذنبها، والخيل تمرح (تنشط) وتصهل تحت القنا

تَمَلُّ الحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا ... فَتُلْقِي إلَيْنا أَهْلَها وتَزُولُ

تمل الحصون الشم (العالية) طول نزالنا (حربنا) فصارت تلقي إلينا ساكنيها ثم تنهدم وتزول

فلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ ... دَرَوْا أنَّ كُلَّ العَالَمِينَ فُضُولُ

عندما رأوا سيف الدولة وحده قبل لحاق الجيش به عرفوا أنه خير الناس، وأن كل العالمين فضول (زيادة لا حاجة لها)

وأنَّ رِماحَ الخَطِّ عنهُ قَصِيرةٌ ... وأنَّ حَدِيدَ الهِندِ عنهُ كَلِيلُ

وعرفوا أن رماح الخط (المنسوبة إلى «الخط» بالبحرين) قصيرة لا تصل إليه، وأن حديد الهند (السيوف الهندية) كليل عنه (ضعيف لا يقوى عليه)

على قَلْبِ قُسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ... وإنْ كانَ في سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ

متعجب قسطنطين (ابن الدمستق قائد الروم) من سيف الدولة، وفي ساقيه من سيف الدولة كبول (قيود)، فهو أسير

لَعَلَّكَ يَوْماً يا دُمُسْتُقُ عائِدٌ　　فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إلَيْهِ يَؤُولُ

لعلك يوماً تعود للحرب يا دمستق بعد أن هربت منها، فكثيراً ما يهرب المرء من شيء سيؤول إليه أخيراً

نَجَوْتَ بِإحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً　　وخَلَّفْتَ إحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ

لقد نجوت بإحدى روحيك مجروحة، وخلفت روحك الأخرى (أي ابنك) وهي تسيل عندنا في الأسر

أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِباً　　ويَسْكُنَ في الدُّنْيا إلَيْكَ خَلِيلُ؟

أتظن أنك تسلم للخطية (الرماح) ابنك وتهرب، ثم بعد ذلك يسكن (يطمئن) إليك خليل؟ فمن يسلم ابنه سيسلم ولا شك أي صديق

أنَا السَّابِقُ الهادِي إلى مَا أقولُهُ　　إذِ القَوْلُ قَبْلَ القائِلينَ مَقُولُ

أنا الشاعر السباق الذي يهتدي للمعاني، وغيري من الشعراء يقولون قولاً قد قيل من قبل، ويسرقون المعاني

أُعَادَى على مَا يُوجِبُ الحُبَّ لِلْفَتى　　وأَهْدَأُ، والأفكارُ فِيَّ تَجُولُ

يعادونني على أمور تستدعي الحب للفتى لا العداوة، وأنا أهدأ ولا أعاديهم ولكن أفكارهم مشغولة بي

سِوَى وَجَعِ الحُسَّادِ دَاوِ فَإنَّهُ　　إذا حَلَّ في قَلْبٍ، فَلَيْسَ يَحُولُ

داوِ أي شيء سوى هذا الوجع الموجود في قلوب الحساد، فهو لن يحول (يزول)

ولا تَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ في مَوَدَّةٍ　　وإنْ كُنتَ تُبْدِيهَا لَهُ، وتُنِيلُ

لا تطمع في المودة من حاسدٍ لك، حتى لو كنت تظهر المودة له وتنيله إياها (تعطيه إياها)

يَهُونُ علينا أنْ تُصَابَ جُسُومُنا　　وتَسْلَمَ أعرَاضٌ لنا وعُقُولُ

نحتمل مصاب الجسم شرط أن تسلم أعراضنا وعقولنا

٨٣ المجد عوفي

وقال المتنبي، وقد عوفي سيف الدولة من مرض: ٢/٨

المجدُ عُوفِيَ، إذْ عُوفِيتَ، والكَرَمُ　　وزَالَ عنكَ، إلى أَعدائِكَ، الألَمُ

لست أنت فقط من عوفي (شفي) بل المجد والكرم، وأدعو الله أن يزول عنك الألم ويرحل إلى جسوم أعدائك

ومَا أَخُصُّكَ في بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ　　إذا سَلِمْتَ فَكُلُّ الناسِ قد سَلِمُوا

ولا أهنئك وحدك في البرء (الشفاء)، فسلامتك هي سلامة لكل الناس

٨٤ الازورار

قال المتنبي، وقد استبطأ سيفُ الدولة مدحه، وتنكَّر لذلك: ١٥/ ١٥

أَرَى ذلِكَ القُرْبَ صارَ ازْوِرَارا وصَارَ طَوِيلُ السَّلامِ اخْتِصارَا

أرى قربك مني صار ازوراراً (إشاحةً عني)، وصار سلامك الطويل مختصراً

تَرَكْتَنِيَ اليومَ في خَجْلَةٍ أَمُوتُ مِرَاراً، وأحْيا مِرَارا

تركتني خجلان من الناس لإعراضك عني، أموت مراراً وأحيا مراراً مع معاشرتي لهم

أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيَاً وأَزْجُرُ في الخَيْلِ مُهْرِي سِرَارا

أسترق النظر إليك بخجل، وإذا زجرتُ أنا مهري (صحت به) وسط الخيل ـ وكان المتنبي يركب مع سيف الدولة في ميادين حلب ـ فعلت ذلك سراراً (بالسر)

وأَعْلَمُ أنِّي إذا ما اعْتَذَرْتُ إليكَ، أرادَ اعتِذَارِي اعْتِذارا

كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ البَاهِرَا تِ إنْ كانَ ذلكَ مِنِّي اخْتِيارا

كفرت (جحدت) مكارمك الباهرة إن كنت أبطأت في مدحك عمداً

ولَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ، إلا القَلِيـ ـلَ، هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إلا غِرَارا

ولكن، حمى (منع) الشعر عني، سوى قليل منه، همٌّ منع أيضاً النوم، سوى غراراً (خطفاً)

وما أنا أَسْقَمْتُ جِسْمي بِهِ ولا أنا أضْرَمْتُ في القَلْبِ نَارا

ولست أنا الذي أسقمتُ جسمي بذلك الهمّ، ولست أنا الذي أضرم (أوقد) في القلب ناراً

فَلا تُلْزِمَنِّي ذُنُوبَ الزَّمانِ إِلَيَّ أَسَاءَ، وإِيَّايَ ضَارا

فلا تلزمني (لا تجعلني مسؤولاً عن) ذنوب الزمان، فالزمان أساء إلي وضارني (ضرني)

وعِندي لَكَ الشُّرَّدُ السَّائِرَا تُ لا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأرضِ دَارا

وعندي لك القوافي الشرد (الأشعار السائرة) التي لا تختص ببلد دون غيره، بل يتناقلها الناس في كل مكان

قَوَافٍ إذا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلي وَثَبْنَ الجِبَالَ وخُضْنَ البِحَارا

هذه القوافي (الأشعار) إذا خرجت عن مقولي (لساني) تثب فوق الجبال وتخوض البحار

ولي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وما لم يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارا

فَلَوْ خُلِقَ الناسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لكانُوا الظَّلامَ، وكُنْتَ النَّهارا

الدهر مقسوم إلى نهار وليل، ولو كان الناس مخلوقين من الدهر لكانوا مخلوقين من الليل، وأنت وحدك من النهار

أَشَــدُّهُــمُ فــي الــنَّــدَى هِــزَّةً وأَبْــعَــدُهُــمْ فــي عَــدُوٍّ مُــغَــارَا

أنت أشدهم في الندى (الكرم) اهتزازاً (تحمساً)، وأكثرهم إيغالاً في الغارة على العدو

سَــمَــا بِــكَ هَــمِّــيَ فَــوْقَ الــهُــمــومِ فَــلَــسْــتُ أَعُــدُّ يَــسَــاراً يَــسَــارا

ارتفع بك همي (طموحي) فوق كل طموح، فما عدت أعتبر اليسار (الغنى) العادي يساراً لكثرة ما أعطيتني

ومَــنْ كُــنْــتَ بَــحْــراً لَــهُ يَــا عَــلِــيُّ - لــم يَــقْــبَــلِ الــدُّرَّ إلَّا كِــبَــارا

من كنت بحراً له صار طامعاً، ولا يقبل من اللؤلؤ إلا الكبيرة

٨٥ إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة، وأنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما: ١٩/ ٤٢

لِـكُـلِّ امْـرِئٍ مِـنْ دَهْـرِهِ مَـا تَـعَـوَّدَا وعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ في العِدَا

ينال كل شخص من زمنه ما تعود عليه، وعادة سيف الدولة هي أن يطعن الأعداء

ذَكِـيٌّ، تَـظَـنِّـيـهِ طَـلِـيـعَـةُ عَـيْـنِـهِ، يَـرَى قَـلْـبُـهُ في يَـوْمِـهِ ما تَـرَى غَـدَا

سيف الدولة ذكي، وتظنيه (حدسه) بمثابة الطليعة (كتيبة الاستكشاف) لعينه، وقلبه (عقله) يرى اليوم الأشياء التي ستراها عينه غداً. هذا أحسن وصف للفطنة

فَـيَـا عَـجَـبـاً مِـنْ دَائِـلٍ أنـتَ سَـيْـفُـهُ أَمَـا يَـتَـوَقَّـى شَـفْـرَتَـيْ مَـا تَـقَـلَّـدَا

عجيب الدائل (صاحب الدولة/الخليفة ببغداد) الذي أنت سيف له، أما يتوقى (يحذر) شفرتي (حدي) السيف الذي تقلده (اتخذه)

ومَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ تَـصَـيَّـدَهُ الـضِّـرْغـامُ فِـيـمـا تَـصَـيَّـدَا

والذي يجعل الأسد بمثابة باز (صقر) يصيد بواسطته صاده الأسد ضمن ما يصيد. وهذه حكمة يعرفها المدراء الضعاف، فهم لا يعينون إلا الموظف الضعيف حتى لا يكشف ضعفهم ولا يطمع في الحلول محلهم، ولذلك نرى الشركات والدوائر الحكومية التي فيها أمثال هؤلاء تنحدر، وقد عرفتُ بعض هؤلاء وغَثِيَتْ نفسي بهم

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ في مَحْضِ قُدْرَةٍ ولو شئتَ كانَ الحِلْمُ مِنْكَ المُهَنَّدَا

رأيتك محض الحلم (أي الحلم المحض: التسامح الخالص) مصحوباً باقتدار خالص على الانتقام، ولو أنت شئت لأبدلت بالحلم السيف، لكنك عفوت قادراً

وَمَا قَتَلَ الأحْرارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُ ... وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الذي يَحْفَظُ اليَدَا؟

والعفو يقتل الأحرار (المقصود يزيل كل شر من جانبهم، ويقتل عداوتهم لك)، ولكن من أين لك بِحُرٍّ حقيقي يحفظ اليد (النعمة)؟

إذا أَنْتَ أكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وإنْ أنتَ أكرَمْتَ اللئيمَ تَمَرَّدَا

إذا أكرمت الكريم ملكت ولاءه، وأما اللئيم فإذا أكرمته تمرد عليك. قال المثل: كل شيء زرعته قلعته، إلا ابن آدم تزرعه فيقلعك

ووَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ، بِالعُلَى ... مُضِرٌّ، كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى

ولكن استعمال الندى (كرم الأخلاق) بدل السيف مضر بالعلى (بالمجد)، تماماً كضرر استعمال السيف في المواقف التي يحسن فيها استعمال كرم الأخلاق

ولكِنْ، تَفُوقُ الناسَ رأياً وحِكْمَةً ... كما فُقْتَهُمْ حَالاً ونَفْساً ومَحْتِدَا

ولكنك يا سيف الدولة تفوق الناس رأياً وحكمة، كما فقتهم في أحوالك وإنجازاتك وفي عظمة نفسك وفي محتدك (أصلك)

يَدِقُّ على الأَفْكَارِ ما أنتَ فاعِلٌ ... فَيُتْرَكُ ما يَخْفَى، ويُؤْخَذُ مَا بَدَا

يدق على الأفكار (يصعب على العقول) ما تفعله، فالناس لا تفهم القصد الخفي منه وترى ما يظهر من فعلك فقط. يقول: لك تدبير دقيق وتخطيط لا يعلم الناس منتهاه، فيرون الظاهر لهم فقط. ما أكثر الحكام والمدراء والأزواج الذين يخفون مقاصدهم عن الآخرين، لا لشيء إلا للحفاظ على سيطرتهم؛ يبرعون في إبقاء الآخرين في الظلام، فيحسب الآخرون أن تصرفات أولئك المتسلطين جاءتهم بوحي

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الذي صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا

أزل (امحُ) حسد حسادي بأن تكبتهم (تذلهم)، فبسببك حسدوني

إذا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ في يَدِي ... ضَرَبْتُ بِسَيفٍ يَقْطَعُ الهامَ مُغْمَدَا

إذا قوّى ذراعي حسن رأيك في يدي (ثقتك بثبات يدي) فإنني سأضرب بسيف يقطع الهام (الرؤوس) وهو لم يخرج من غمده بعد. يقول: ثقتك بي تقويني

وما أنَا إلا سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ ... فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً، وراعَ مُسَدَّدَا

وما أنا إلا سمهري (رمح) بيدك أنت، وهو زينة لك وهو معروض يراه الناس، وهو أداة تروعهم (تخيفهم) إذا سددته (صوبته). يقول: أنا زينة لمجلسك ساكتاً، ومرعب لأعدائك إن قلت الشعر

وما الدَّهرُ إلا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي ... إذا قُلْتُ شِعْراً أصبحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

ليس الدهر إلا راوياً لشعري، فأنا أقول الشعر والدهر ينشده. بعد ألف سنة ونيف نقول له: صدقت. قيل: «ما خلق الله الكون إلا ليأتي بيتهوفن ويؤلف السيمفونية التاسعة»، وقول المتنبي عن شعره يشبه هذا

فَسَارَ بِهِ مَنْ لا يَسِيرُ مُشَمِّراً   وغَنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَنِّي مُغَرِّدَا

فسار بشعري مشمراً (مُجِدّاً) من لم يكن يسير، وغنى به من لم يكن يغني. كان المتنبي في الشهرة كنزار قباني في النصف الثاني من القرن العشرين. فقد جعل كثيرين ممن لا يقرأون الشعر يقبلون على الشعر، لجدة معاني شعره، وللشهرة التي نالها بما حصل عليه من مدح وقدح (الكلام يصدق على كلا الشاعرين)

أَجِزْنِي إذا أُنْشِدْتَ شِعْراً، فَإِنَّما   بِشِعْرِي أَتَاكَ المادِحُونَ، مُرَدَّدَا

أجزني بالجوائز والعطايا إذا أنشدك الآخرون شعراً، فشعرهم مسروق من شعري، وهم يرددون ما كنت قلته أنا من دقيق المعاني

ودَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي، فَإِنَّنِي   أَنَا الطَّائِرُ المحْكِيُّ، والآخَرُ الصَّدَى

اترُكْ كل صوت سوى صوتي فأنا الطائر الذي يحاكونه (يقلدونه)، والآخرون صدى لصوتي

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ   وأَنْعَلْتُ أَفْراسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدا

تركت السرى (سير الليل) خلف ظهري لمن كان فقيراً ويريد السفر لمدح الأمراء، ومكثت عندك وجعلت لخيولي نعالاً من العسجد (الذهب) من النعمى (الإحسان) التي نلتها عندك

وقَيَّدْتُ نَفْسِي في ذَرَاكَ مَحَبَّةً   ومَنْ وجَدَ الإحسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

وقيدت نفسي في ذراك (حمايتك) ولكن بقيد المحبة، والإحسان خير قيد

٨٦ وأتعب من ناداك من لا تجيبه

قال المتنبي يمدح سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ١٠/٤٣

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هَذِي الرَّسائِلُ   يَرُدُّ بَها عن نَفْسِهِ، ويُشَاغِلُ

هذه الرسائل التي يرسلها ملك الروم لك هي دروع يحتمي بها ويشاغلك كسباً للوقت

وأَنَّى اهتدَى هذا الرَّسولُ بِأَرْضِهِ   وما سَكَنَتْ، مُذْ سِرْتَ فِيها، القَسَاطِلُ

ليت شعري كيف اهتدى رسول ملك الروم ورأى الطريق وهو يسير داخل أرض الروم، فما سكنت (هدأت) منذ سرتَ في أرضهم غازياً القساطل (سحب الغبار)

ومِنْ أَيِّ مَاءٍ كانَ يَسْقِي جِيَادَهُ   ولم تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ المَنَاهِلُ

وكيف كان يسقي خيوله وجميع المناهل (عيون الماء) معكرة بالدم، لم تصف بعدُ لكثرة ما قتلتَ منهم

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إلَيْكَ مَصِيرُهُ   كأَنَّكَ بَحْرٌ، والمُلُوكُ جَدَاوِلُ

كل صاحب ملك مصيره أن يأتي إليك، فأنت كالبحر وهم كجداول الماء التي تصب في البحر

أَذَا الجُودِ! أعْطِ النَّاسَ مَا أنتَ مالِكٌ   ولا تُعْطِيَنَّ النـاسَ مـا أنَا قـائِلُ

يا ذا الجود (صاحب الجود) أعط الناس ما تملك من مال، ولكن لا تعطهم شعري الذي يسرقون معانيه

أَفي كُلِّ يوم تَحْتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ   ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي، قَصيرٌ يُطَاوِلُ

أظلُّ كلَّ يومٍ أرى تحت ضبني (إبطي) شويعراً ضعيفاً في الشعر يقاويني (يبارزني)، وقصيراً يطاولني (يباريني في الطول)

لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عنه، عَادِلٌ   وقَلبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ منهُ هَازِلُ

لساني عندما أنطق يكون في الواقع صامتاً عنه، عادلاً (مبتعداً)، وقلبي إذا صَمَتُّ ضاحك منه هازئ به

وأَتْعَبُ مَنْ نَاداكَ مَنْ لا تُجِيبُهُ   وأَغْيَظُ مَنْ عَاداكَ مَنْ لا تُشَاكِلُ

وأكثر من يناديك تعباً مَنْ تهملُه ولا تجيبه؛ وأكثر الذين يعادونك شعوراً بالغيظ من يكونون على غير شاكلتك؛ فهم جادُّون في العداوة، ولكن هم في واد وأنت في واد

ومَا التِّيهُ طِبِّي فِيهِمُ، غَيْرَ أَنَّنِي   بَغِيضٌ إليَّ الجَاهِلُ المُتَعاقِلُ

والتيه (التكبر) ليس طبي (طريقتي) في معاملتهم، ولكن الجاهل الذي يزعم أنه عاقل بغيض (كريه) إلى نفسي

وأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّنِي بِكَ واثِقٌ   وأَكْثَرُ مالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلُ

وأكبر تيهي (افتخاري) ثقتي بك، وأكثر مالي أملي فيك. تعليق أحمد عبد الرحيم، مع التسويد: [تألُّهٌ عالٍ.. على المذهب العلائي]

٨٧ جواب الصحراء

أحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي (بالس) وسار سيف الدولة خلفهم، وأبو الطيب معه، فأدركهم بعد ليلَةٍ بين مائين يعرفان بالغبَّارات والخرَّارات فأوقع بهم، ومَلَكَ الحريم فأبقى عليهن. فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة، وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمئة: ١٦/٤٢

بِغَيرِكَ رَاعِياً عَبِثَ الذِّئابُ   وغَيْرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرابُ

الذئاب لا تعبث بك يا راعي الرعية بل بغيرك من الرعاة، وأيها السيف الصارم (القاطع) لا يثلمك (يفسد حدك) الضراب (الضرب بالسيف) بل يفل سيوفاً أخرى

وما تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً، ولَكِنْ   يُعَافُ الوِرْدُ، والموتُ الشَّرابُ

وما تركوك وفرُّوا من وجهك عصياناً لك، ولكن يُعاف الورد (ورود الماء) إذا كان ما سيشربه المرء موتاً

طَـلَـبْـتَـهُـمُ عـلـى الأَمْـوَاهِ، حـتـى   تَـخَـوَّفَ أنْ تُـفَـتِّـشَـهُ الـسَّـحَـابُ

لقد لاحقتهم على الأمواه (المياه، يقصد المواقع التي فيها آبار) حتى لقد خاف السحاب أن تفتشه

فَـبِـتَّ لَـيَـالِـيَـاً لا نَـوْمَ فِـيـهـا   تَـخُـبُّ بِـكَ الـمُـسَـوَّمَـةُ الـعِـرابُ

لقد بتَّ يا سيف الدولة عدة ليال ساهراً، والمسومة العراب (الخيل الأصيلة المعلَّمة بعلامات) تخب (تسرع) بك في طلبهم

يَـهُـزُّ الـجَـيْـشُ حـولَـكَ جـانِـبَـيْـهِ   كَـمـا نَـفَـضَـتْ جَـنـاحَـيْـهـا الـعُـقَـابُ

العقاب: طير من الجوارح

وتَـسْـأَلُ عَـنْـهُـمُ الـفَـلَـواتِ حـتـى   أَجَـابَـكَ بَـعْـضُـهـا، وَهُـمُ الـجَـوَابُ

سألت عنهم الفلوات (الصحارى)، ثم أجابتك واحدة منها، فكان بنو كلاب هم الجواب. يقول: بحثت عنهم حتى عثرت عليهم

إذا مــا سِــرْتَ فــي آثــارِ قَــوْمٍ   تَـخَـاذَلَـتِ الـجَـمَـاجِـمُ والـرِّقَـابُ

إذا ما لاحقت قوماً فإن رقابهم وجماجمهم تتخاذل (يخون بعضها بعضاً: فتخون الرقبة الجمجمة فتسقط الجمجمة بضربة السيف)

وكَـيـف يَـتِـمُّ بَـأْسُـكَ فـي أُنَـاسٍ   تُـصِـيـبُـهُـمُ فَـيُـؤْلِـمُـكَ الـمُـصَـابُ؟

ولكن، كيف يتم بأسك (تكتمل شدَّتك) في ناس تصيبهم فتتألم لنكبتهم لأنهم عرب مثلك؟

تَـرَفَّـقْ أيُّـهـا الـمَـوْلَـى عَـلَـيْـهِـمْ   فـإنَّ الـرِّفْـقَ بِـالـجَـانـي عِـتَـابُ

فارفق بهم أيها المولى (السيد)، فالرفق بالجاني بمثابة عتاب له

وإنَّـهُـمُ عـبـيـدُكَ حـيـثُ كـانـوا   إذا تَـدْعُـو لِـحَـادِثَـةٍ أجـابُـوا

وهم عبيدك ويجيبونك إذا دعوتهم لأمر

ومـا جَـهِـلَـتْ أَيَـادِيَـكَ الـبَـوادِي   ولَـكِـنْ، رُبَّـمَـا خَـفِـيَ الـصَّـوَابُ

وما أنكرت البوادي أياديك (نِعمك)، ولكن ربما كانت مجرد غلطة من أولئك القوم

وكَــمْ ذَنْــبٍ مُــوَلِّــدُهُ دَلالٌ   وكَـمْ بُـعْـدٍ مُـوَلِّـدُهُ اقْـتِـرابُ

وكثيراً ما يكون سبب الذنب الدلال (الإحساس بعلو المنزلة لدى الشخص والتدلل عليه) وكثيراً ما يكون سبب البعد شدة الاقتراب. تعليق أحمد عبد الرحيم: [يقول بعض كبار الصوفية: التصوُّن حالَ البسط أصعب منه حالَ القبض! ولا يثْبُت على البسط إلا موفَّق!]

وجُــرْمٍ جَــرَّهُ سُــفَــهَــاءُ قَــوْمٍ   وحَـلَّ بِـغَـيْـرِ جَـارِمِـهِ الـعَـذَابُ

وربَّ جرم كان السبب فيه سفهاء القومٍ، ولكن العقاب حل بغير من ارتكب الجرم

رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ ... لَهُ في البَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ

لقد رميتهم ببحر من حديد (جيشك المدجج)، ولهذا البحر عباب (هدير الموج) ولكن في البر

فَمَسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ... وصَبَّحَهُمْ وبُسْطُهُمُ تُرَابُ

لقد مساهم سيف الدولة (جاءهم مساء) وبسطهم التي فرشوها في خيامهم من الحرير، وطلع عليهم الصبح وبسطهم من التراب بعد سلب أموالهم

ومَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ... كَمَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

وصار من في كفه قناة (رمح) مثل الذي في كفه خضاب (حناء)، أي صار رجالهم كنسائهم فهم لا يحاربون ولا جدوى من سلاحهم أمام جيشك القاهر

٨٨ على قدر أهل العزم

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر بناءه حصن الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة: ٣٨/٤٦

على قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تَأتي العَزَائِمُ ... وتَأتي، على قَدْرِ الكرامِ، المَكَارِمُ

وتَعْظُمُ في عينِ الصغيرِ صِغَارُها ... وتَصْغُرُ في عينِ العَظيمِ العَظَائِمُ

الصغير الهمة يرى الأمور الصغيرة عظيمة، والعظيم يستصغر الأمور العظيمة

يُكَلِّفُ سيفُ الدولةِ الجَيْشَ هَمَّهُ ... وقد عَجَزَتْ عنه الجُيوشُ الخَضَارِمُ

يكلف سيف الدولة الجيش مشقة بقدر همه (طموحه)، وقد عجزت عن تحقيق هذا الطموح الجيوش الخضارم (الكبيرة)

ويَطْلُبُ عِندَ الناسِ ما عِندَ نفسِهِ ... وذلكَ ما لا تَدَّعيهِ الضَّراغِمُ

ويطالب الناس بأن يكونوا مثله في العزم والشجاعة، وهذا شيء لا تدعيه لنفسها حتى الضراغم (الأسود)

يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْراً سِلاحَهُ ... نُسُورُ الفَلا: أَحداثُها والقَشَاعِمُ

يقول أتم الطير عمراً (النسور، وهي طويلة الأعمار): نفدي سلاحك يا سيف الدولة؛ تقول ذلك أحداثها (صغارها)، والقشاعم (النسور المسنَّة)

وما ضَرَّها خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وقد خُلِقَتْ أَسْيافُهُ والقَوائِمُ

ولو كانت النسور قد خلقت بلا مخالب لما ضرها ذلك، فقد خلق الله أسياف هذا الأمير وقوائمها (مقابضها). فسيف الدولة يقتل الأعداء والنسور تقتات بجثثهم فهي له شاكرة. علق أبو العلاء بقوله: (القوائم) فضلة لا فائدة فيها إلا إتمام القافية

هلِ الحَدَثُ الحَمْراءُ تَعْرِفُ لونَها وتَعْلَمُ أيُّ السَّاقِيَيْنِ الغَمائِمُ

هل قلعة الحدث (ببلاد الروم) الحمراء (من الدم) تميِّزُ لونَها؟ وهل تعلم أي المصدرين اللذين سقياها هو السحاب: هل سقتها السحب أم سيوف العرب؟

سَقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْها سَقَتْها الجَمَاجِمُ

لقد سقتها السحب الغر (البيض) قبل مجيء سيف الدولة، فلما اقترب منها سقتها جماجم الروم بالدم

بَنَاها فأَعْلَى، والقَنَا يَقْرَعُ القَنَا ومَوْجُ المَنَايَا حَوْلَها مُتَلاطِمُ

بنى سيف الدولة القلعة وجعل أسوارها عالية في الوقت الذي كانت فيه أمواج المنايا (الموت) تتلاطم حولها

وكَانَ بِها مِثْلُ الجُنُونِ، فَأَصْبَحَتْ ومِنْ جُثَثِ القَتْلَى عليها تَمائِمُ

كان بالقلعة حال أشبه بحال الجنون إذ هدمت، ثم أصبحت جثث القتلى بالنسبة لها كالتمائم (التعويذات التي تعلق بصدر المجنون ليشفى) فهدأت

طَرِيدَةَ دَهْرٍ، سَاقَها فَرَدَدْتَها على الدِّينِ بالخَطِّيِّ، والدَّهْرُ راغِمُ

هذه القلعة هاربة من الزمن الذي يطاردها، وقد ساقها الزمن للروم فرددتها أنت إلى حظيرة الدين بالخطي (الرماح) رغم أنف هذا الزمن

تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شيءٍ أَخَذْتَهُ وهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوارِمُ

أنت تفيت (تحرم) الليالي (الزمن) استرجاع كل شيء أخذْتَهُ منها، والزمن إذا أخذ منك شيئاً فهو له غارم (مدين) وعليه أن يرجعه إليك

إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قبلَ أنْ تُلْقَى عليه الجَوَازِمُ

إذا كان ما تنوي فعله بصيغة الفعل المضارع (مثل ينتصر) مضى (أصبح فعلاً ماضياً مثل: انتصر) قبل أن يأتي قبله حرف جزم (مثل: لم ينتصر). يقول: أنت تحول الفعل المضارع إلى فعل ماض بتحقيقك إياه، ولا تسمح له بالتحول إلى النفي وعدم التحقق. هكذا كان يتنطع مثقفو ذلك الزمن

وكيف تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَهَا وذا الطَّعْنُ آسَاسٌ لها، ودَعَائِمُ

وكيف للروم والروس أن يأملوا هدم قلعة الحدث وآساسها (أسسها) ودعائمها من الطعن والحرب

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ، كأَنَّما سَرَوْا بِجِيادٍ ما لَهُنَّ قَوائِمُ

لقد جاءوك وهم يجرون الحديد، وخيولهم عليها حمايات من دروع الخيل التي تجلل جسم الحصان، فكأنهم سروا (مشوا) بخيول ليست لها قوائم

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الأرضِ والغَرْبِ زَحْفُهُ　　وفـي أُذُنِ الـجَـوْزَاءِ مِـنْـهُ زَمَـازِمُ

هذا خميس (جيش) يزحف على مساحة واسعة تمتد بين المشرق والمغرب، وتصل أصوات زمازمه (صخبه غير المفهوم) إلى أذن نجوم الجوزاء

تَـجَـمَّـعَ فـيـهِ كُـلُّ لِـسْـنٍ وأُمَّـةٍ　　فَـمَا يُـفْـهِـمُ الحُـدَّاثَ إلَّا التَّـرَاجِـمُ

لقد اجتمع في جيشهم كل لسن (لغة) وكل أمة، فما يتفاهم جنوده المتحادثون إلا بواسطة التراجم (المترجمين)

تَقَطَّعَ ما لا يَقْطَعُ الدِّرْعَ، والقَنَا،　　وَفَـرَّ مِـنَ الـفُـرْسـانِ مَـنْ لا يُـصَـادِمُ

كل سيف لا يستطيع قطع الدرع تكسَّر، والقنا (الرماح) كلها تكسرت، وفر كل فارس لا يصادم

وَقَفْتَ، وما في الموتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ　　كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى، وَهْوَ نَائِمُ

وقفت وسط الخطر فكأنك في داخل جفن الموت، ولكن الموت كان نائماً عنك

تَـمُرُّ بِـكَ الأبْـطَالُ كَـلْمَـى هَـزِيـمَـةً　　وَوَجْـهُـكَ وَضَّـاحٌ، وثَـغْـرُكَ بَـاسِـمُ

تمر بك الأبطال كلمى (جرحى) هزيمة (مهزومة)، ووجهك وضاح (مشرق) وثغرك (فمك) باسم. صاغ أصحاب القصص من النقاد الذين يعانون من الفراغ في القديم قصة نقدية طويلة حول البيتين السابقين، وهي مصنوعة باردة حميناكها، اقرأ هذا الشعر العظيم وتمتع به، فإن طلبت قصة ترويها في مجلس ـ وتلك القصص ما كانوا يضعونها إلا للتفكه في المجالس، عارفين، قائلاً وسامعاً، أنها محض اختلاق ـ فعليك الشيخَ غوغل فاقصده

تَجاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجاعَةِ والنُّهَى　　إلى قَوْلِ قومٍ: أنْتَ بِالغَيْبِ عَالِمُ

تجاوزت كل حدود الشجاعة والنهى (التعقل) حتى لقد قال بعضهم إنك تعلم الغيب، وتعرف أنك ستبلغ السلامة ولهذا فقد وقفت بكل رباطة الجأش تلك

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلى القَلْبِ ضَمَّةً　　تَمُوتُ الخَوَافي تَحْتَها والقَوَادِمُ

لقد ضممت جناحي جيشهم على قلبه (وأقسام الجيش خمسة: جناحان وقلب ومقدمة ومؤخرة، ولذا سمي خميساً) وهذه الضمة تموت تحتها الخوافي (الريش المخفي) والقوادم (الريش البارز في جناح الطائر)

بِضَرْبٍ أَتَى الهاماتِ والنَّصْرُ غائِبٌ　　وصَارَ إلى اللبَّاتِ والنَّصْرُ قَادِمُ

ضممت الجناحين بضرب بالسيوف على الهامات (الرؤوس) والنصر مشكوك فيه، وما وصل الضرب إلى اللبات (الرقاب) حتى كان النصر قادماً مؤكداً

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حتى طَرَحْتَها　　وحتى كأنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ

احتقرت الردينيات (الرماح) حتى رميتها جانباً، وحتى كأن السيف يشتم الرمح ويعيره بالجبن. فالسيف سلاح المقاتل الجريء، لأن المقاتل باستعماله يكون قريباً من الخصم، والرمح يطعن من بعيد وصاحبه في أمان نسبي

ومَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَلِيلَ فَإِنَّما مَفاتِيحُهُ البِيضُ الخِفَافُ الصَّوارِمُ

مفاتيح الفتح الكبير البيض (السيوف) الخفيفة الصوارم (القاطعة)

نَثَرْتَهُمُ فوقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ كَمَا نُثِرَتْ فوقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

نثرت جنودهم فوق الأحيدب (اسم الجبل الذي فوقه القلعة) كما تنثرُ فوق العروس (الرجل عروس والمرأة عروس) الدراهم (نسميها في فلسطين النقوط)

تَدُوسُ بِكَ الخَيْلُ الوُكورَ على الذُّرَا وقد كَثُرَتْ حولَ الوُكورِ المَطَاعِمُ

تدوس خيلك، وأنت فوقها، وكور (أعشاش) الطيور على الذرا (القمم)، وقد كثرت حول الأعشاش المطاعم (الجثث التي ستصبح طعاماً للنسور)

تَظُنُّ فِرَاخُ الفُتْخِ أنَّكَ زُرْتَهَا بِأُمَّاتِها؛ وَهْيَ العِتَاقُ الصَّلادِمُ

فراخ الفتخ (الجوارح) تظن أنك زرتها ومعك أماتها (أمهات ما لا يعقل)، وما هذه الأمات إلا العتاق (الخيل الأصيلة) الصلادم (الصلبة)

إذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطونِها كما تَتَمَشَّى في الصَّعِيدِ الأراقِمُ

إذا انزلقت حوافر الخيل جعلتها تمشي فوق الجبل على بطونها كما تمشي على الصعيد (التراب) الأراقم (الحيات)

أفي كُلِّ يومٍ ذا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ قَفَاهُ على الإقْدَامِ لِلوَجْهِ لائِمُ

أفي كل يوم نرى هذا الدمستق (قائد الروم) مقدماً (هاجماً) وقفاه يلوم وجهه على الهجوم، لأنه سيهرب عما قليل ويتلقى الطعن في قفاه

أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حتى يَذُوقَهُ وقد عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ البَهَائِمُ

أهو يغالط نفسه فيجهل ريح (رائحة) الأسد حتى يذوق أنيابه، مع أن البهائم نفسها تشم رائحة الأسد وتهرب قبل لقائه

وقد فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وابْنِ صِهْرِهِ وبِالصِّهْرِ، حَمْلاتُ الأميرِ الغَوَاشِمُ

وقد فجعتْه (نكبته) في ابنه وفي ابن صهره وفي صهره حملات الأمير الغاشمة (العشوائية التي لا تبالي بمن قتلت)

مَضَى يَشْكُرُ الأصْحَابَ في فَوْتِهِ الظُّبَى لِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ والمَعَاصِمُ

صار الدمستق يشكر أصحابه الجرحى لفوته (تجنبه) الظبى (نصال السيوف)، وذلك لأن هامهم (رؤوسهم) ومعاصمهم شغلت السيوف عنه

ويَفْهَمُ صَوتَ المَشْرَفِيَّةِ فِيهِمُ على أنَّ أصْوَاتَ السُّيوفِ أَعَاجِمُ

ويفهم صوت المشرفية (السيوف) وهي تثخن في أصحابه فيهرب وينجو، مع أن أصوات السيوف أعاجم (غير فصيحة)

يُسَرُّ بِمَا أعطاكَ، لا عنْ جَهَالَةٍ ... ولكنَّ مَغْنُومَاً نَجَا مِنْكَ غَانِمُ

وهو مسرور بما أعطاك من جماجم صحبه ليس لأنه جاهل، ولكن المغنوم (المغلوب) الذي نجا منك غانم (فائز)

ولَسْتَ مَلِيكَاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ ... ولَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ

ولست مجرد ملك هزم نظيراً له، بل أنت التوحيد يهزم الشرك

لَكَ الحمدُ في الدُّرِّ الذي ليَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ، وإِنِّيَ نَاظِمُ

الحمد الذي ورد في هذه الدرر التي أنظمها هو من نصيبك، فأنت تعطيني المعاني وأنا فقط أنظمها

وإنِّي لَتَعْدُوْ بي عَطَايَاكَ في الوَغَى ... فلا أنَا مَذْمُومٌ، ولا أنتَ نَادِمُ

وتعطيني أيضاً الخيل التي تركض بي في الوغى (الحرب)، وأنا في أخذ عطاياك غير مذموم لأنني أحارب بها أعداءك، وأنت لا تندم لأنني أستحقها

٨٩ شر الحمامين

قال المتنبي، وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة من سيف الدولة، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من محرم افتتاح سنة أربع وأربعين وثلاثمئة: ٣١/٦

تَنامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْنَاً وغِبْطَةً ... وأَجْفانُ رَبِّ الرُّسْلِ ليسَ تَنامُ

الرسل الذين يحملون رسالة ملك الروم ينامون في حلب عندك بأمان وسرور، ولكن أجفان (عيون) رب الرسل (صاحب الرسل) لا تنام خوفاً منك

حِذَاراً لِمُعْرَوْرِي الجِيَادِ فُجَاءَةً ... إلى الطَّعْنِ قُبْلاً، مَا لَهُنَّ لِجَامُ

ملك الروم يحذر سيف الدولة معروري الجياد (راكب الخيول عارية بلا سروج)، يركبها فُجاءةً ذاهباً بها للطعن وهي مقبلة على هدفها بدون لُجُم لسرعة الإعداد للهجوم

تَعَطَّفُ فيهِ، والأَعِنَّةُ شَعْرُهَا ... وتُضْرَبُ فيهِ، والسِّيَاطُ كَلامُ

تتعطف الخيل وتتثنى في الطعن وليس للفارس من عنان (لجام) يمسكها به سوى شعر رقبتها، ولا يضربها الفارس أثناء الطعن إلا بسياط من كلام، لأنها أصيلة ومتعودة على الحرب

وما تَنْفَعُ الخيلُ الكرامُ، ولا القَنا ... إذا لم يَكُنْ فوقَ الكِرامِ كِرَامُ

الخيل الكرام: الكريمة الأصيلة، القنا: الرماح

وشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ ... يَذِلُّ الذي يَخْتَارُها ويُضَامُ

لو افترضنا وجود حمامين (موتين) زؤامين (سريعين) فشرهما العيشة التي يذل من يختارها ويضام (يظلَم). يقول: إن خيرت بين موت حقيقي، وموت آخر هو العيش بذلة، فالحياة بذلة هي الموت الأصعب

ورُبَّ جَوَابٍ عنْ كِتابٍ بَعَثْتَهُ ... وعُنْوانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ

ورب جواب أرسلته على خطاب جاءك، ولكن جوابك عنوانه قتام (غبار). يقول: أنت ترد على مراسلات الأعداء بشن غارة عليهم، فيكون غبار خيلك هو عنوان جوابك

٩٠ صحبة

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر قصة حربٍ جرت: ٤٧/٦

تَذَكَّرْتُ ما بَيْنَ العُذَيْبِ وبَارِقِ ... مَجَرَّ عَوَالِينا، ومَجْرَى السَّوَابِقِ

تذكرت المكان بين العذيب وبارق (وهما مكانان)، وهناك كان مجر عوالينا (حيث كنا نجر رماحنا) ومجرى السوابق (حيث كانت تجري خيولنا السريعة)

وصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ ... بِفَضْلَةِ ما قد كَسَّرُوا في المَفَارِقِ

وتذكرت صحبة قوم كانوا يذبحون قنيصهم (صيدهم) بفضلة (بقية) السيوف التي كسروها في مفارق (رؤوس) الأعداء

وأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عاقِلٍ ... عَفِيفٍ، ويَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقِ

وهذا شاب أغيد (ناعم) يهوى روحه كل رجل عاقل عفيف، ويهوى جسمه الرجل الفاسق

وما الحُسْنُ في وَجْهِ الفَتى شَرَفاً لَهُ ... إذا لم يَكُنْ في فِعْلِهِ والخَلائِقِ

والجمال في وجه الفتى ليس شرفاً له، بل الشرف الفعل والخلائق (الطبائع)

وما بَلَدُ الإنْسَانِ غَيْرُ المُوافِقِ ... ولا أَهْلُهُ الأَدْنَوْنَ غَيْرُ الأَصَادِقِ

بلدك هو البلد الذي يوافقك، وأهلك الأدنون (الأقربون) هم الصادقون في ودهم

وجَائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبَّةِ والهَوَى ... وإنْ كانَ لا يَخْفَى كَلامُ المُنَافِقِ

وجائزة (ممكنة) دعوى (ادعاء) المحبة والهوى، ولكن كلام المنافق لا يخفى

٩١ الموت اضطرار

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، وقد أوقع بقبائل ثارت عليه، ولم يكن المتنبي حضر الواقعة فشرحها له سيف الدولة: ٦٦/٩

تُرِيقُ سيوفُهُ مُهَجَ الأَعادِي ... وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ

تريق سيوف سيف الدولة الحمداني مهج (أرواح) الأعداء، وكل دم تريقه جبار (يذهب هدراً/ لا ثأر له)

إذا فَاتُوا الرِّماحَ تَناوَلَتْهُمْ، بِأَرْمَاحٍ مِنَ العَطَشِ، القِفَارُ

إذا فاتوا (فروا من) الرماح تناولتهم القفار (الصحارى) برماح أخرى هي العطش

يَرَوْنَ المَوْتَ قُدَّامَاً وخَلْفاً فَيَخْتَارُونَ، والموتُ اضْطِرارُ

يرون الموت أمامهم وخلفهم، فيختارون إحدى الميتتين

إذا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ فَقَتْلاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ

فإذا مشى في صحراء السماوة رجل وضل طريقه فهو يهتدي بقتلاهم التي تكون بمثابة منار له

وأَجْفَلَ بِالفُراتِ بَنو نُمَيْرٍ وَزَأْرُهُمُ الذي زَأَرُوا خُوَارُ

أجفل (ذعر وفر) بمنطقة الفرات بنو نمير، وكل الزئير الذي زأروا تبين أنه كان خواراً (صوت الثور)

فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ في الصُّبْحِ مَالٌ ولم تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَيْلِ نَارُ

فلم تسرح ماشيتهم في الصبح، ولا أوقدوا نارهم ليلا على عادتهم، إمعاناً في إخفاء مكانهم..

حِذَارَ فَتىً إذا لم يَرْضَ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الحِذَارُ

وذلك حذراً من أن يكشف مكانهم فتى (سيف الدولة) إذا لم يرض عنهم فلن ينفعهم الحذر

تَبِيتُ وُفودُهُمْ تَسْرِي إِلَيْهِ وجَدْوَاهُ التي سَأَلُوا اغْتِفَارُ

يبعثون الوفود إليه، وكل ما يطلبون أن يغتفر ذنبهم

ومَا في سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ ولا في ذِلَّةِ العُبْدَانِ عَارُ

ولا عيب في أن يسطو الأرباب (السادة)، ولا عار على العبيد في أن يكونوا أذلاء، فهذا هو المتوقع

٩٢ آلة العيش صحة وشباب

قال المتنبي يرثي أخت سيف الدولة الصغرى ويسلّيه ببقاء الكبرى، وأنشده إياها يوم الأربعاء، النصفَ من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمئة: ١٠/٤٢

إنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرَّزِيئَةِ فَضْلا تَكُنِ الأَفْضَلَ الأَعَزَّ الأَجَلَّا

إن يكن الصبر على هذه الرزيئة (المصيبة) فضلاً (حسنة) فأنت الأفضل الأعز الأجل لقوة صبرك

أنْتَ، يَا فَوْقَ أنْ تُعَزَّى عَنِ الأَحْـ ـبَابِ، فَوقَ الذي يُعَزِّيكَ عَقْلا

يا من أنت فوق التعزية عن أحبابك، أنت أكبر عقلاً من الذين يعزونك

وإذا لم تَجِدْ مِنَ الناسِ كُفْئَاً ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ الموتَ بَعْلا

وذات الخدر (صاحبة الستر: المرأة) إذا لم تجد كفئاً يتزوجها رضيت بالموت بعلاً لها

وَلَذِيذُ الحَياةِ أَنفَسُ في النَّفْـ ـسِ، وأَشْهَى مِنْ أنْ يُمَلَّ، وأحْلَى

يستدرك الشاعر ويراجع نفسه فيقول: لكن لذيذ الحياة (الحياة السهلة) ألذ في النفس من أن يملها المرء

وإذا الشَّيْخُ قالَ: أُفٍّ! فَمَا ملَّ ـ حَيَاةً، وإنَّما الضَّعْفَ مَلَّا

والشيخ العجوز عندما يقول أف فليس معنى ذلك أنه مل الحياة، وإنما مل الضعف

آلَةُ العَيْشِ صِحَّةٌ وشَبابٌ فإذا وَلَّيَا عَنِ المَرْءِ وَلَّى

آلة العيش (عُدَّة الحياة) الصحة والشباب، فإذا ذهبا عن الإنسان ذهب

أَبَداً تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْـ ـيَا، فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كانَ بُخْلا

دائماً وأبداً تسترد الدنيا ما تهب (تمنح)، فيا ليت كرمها كان بخلاً، ولم تمنحنا الحياة أصلا

وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ، على الغَدْرِ، لا تَحْـ ـفَظُ عَهْداً، ولا تُتَمِّمُ وَصْلا

والدنيا معشوقة رغم غدرها، ولا يكتمل وصالها فهي تقطعه بالموت

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنها عَليها، وبِفَكِّ اليَدَيْنِ عنها تُخَلَّى

كل بكائنا منها (من شرور الدنيا) هو بكاء عليها (حزن لفراقها المقبل)، والمرء متشبث بها فلا يخليها من بين يديه إلا بأن تُفَكَّ يداه بالقوة عنها. يقول: المرء يفقد حياته غصباً عنه، ويتمسك بها لآخر رَمَق

شِيَمُ الغَانِياتِ فيها، فَمَا أَدْ رِي لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا الناسُ، أمْ لا

الدنيا لها شيم (طبائع) الغانيات (الحسان)، وما أدري ألهذا جعلوا اسمها مؤنثاً؟

٩٣ شريعة الغاب

قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به، وذلك في جمادى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة: ١٨/ ٤٥

ذِي المعالِي، فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعالَى هَكَذا هَكَذا، وإلَّا فَلَا لا

هذه هي المعالي فليعلُ من شاء أن يعلو؛ هكذا يكون العلو، وإلا فليس علواً

شَرَفٌ يَنْطَحُ النجومَ بِرَوْقَيْـ ـهِ، وعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْبالا

هذا هو الشرف الذي ينطح النجوم بروقيه (بقرنيه)، وهذا هو العز الذي يزعزع الجبال

حالُ أعدائِنا عَظيمٌ، وسيفُ الدَّ ـ ولةِ ابنُ السُّيوفِ أعظمُ حالا

حال أعدائنا عظيم، ولكن سيف الدولة أعظم منهم حالاً

كـلَّـمـا أَعْـجَـلُـوا الـنَّـذيـرَ مَـسِـيـراً أَعْـجَـلَـتْـهُـمْ جِـيَـادُهُ الإعْـجَـالا

كلما أعجلوا (سبقوا) نذير سيف الدولة (طليعة الاستكشاف لديه) وهجموا قبل أن يوصِل الخبر، سبقت خيول سيف الدولة سَبْقَهم فركضت إليهم ولاقتهم

فَـأَتَـتْـهُـمْ خَـوارِقَ الأرضِ، مَـا تَـحْـ ـمِـلُ إلّا الـحـديـدَ والأبْـطَـالا

فأتتهم خيول سيف الدولة خارقة الأرض (قاطعةً البلاد) وعليها الأبطال المدججين بالحديد (السلاح)

خَـافِـيَـاتِ الألـوانِ، قـد نَـسَـجَ الـنَـقْـ ـعُ عَـلَـيـهـا بَـرَاقِـعـاً وجِـلَالا

وألوان الخيل خافية (غير واضحة) فقد نسج النقع (الغبار) عليها البراقع (الأقنعة) والجلال (الأغطية)

لا أَلُـومُ ابْـنَ لَاوُنٍ، مَـلِـكَ الـرُّو مِ، وإنْ كـانَ مـا تَـمَـنَّـى مُـحَـالا

لا ألوم ملك الروم ابن لاون على أمنيته بأن يهدم القلعة، وإن كانت أمنية مستحيلة

أَقْـلَـقَـتْـهُ بَـنِـيَّـةٌ بَـيْـنَ أُذْنَـيْـ ـهِ، وبَـانٍ بَـغَـى الـسَّـمـاءَ فَـنَـالا

أزعجته بنية (بناء)، والبناء كأنه مبني على رأسه بين أذنيه، وأزعجه بانٍ أراد أن ينال السماء ففعل

كـلَّـمـا رامَ حَـطَّـهـا اتَّـسَـعَ الـبَـنْـ ـيُ، فَـغَـطَّـى جَـبـيـنَـهُ والـقَـذَالا

كلما رام (أراد) ملك الروم حطها (هدمها) اتسع البناء فغطى جبينه وقذاله (قفاه)

أَخَـذُوا الـطُّـرْقَ يَـقْـطَـعونَ بِـهـا الـرُّسْـ ـلَ، فـكـانَ انـقِـطَـاعُـهـا إرْسَـالا

استولوا على الطرق فانقطع قدوم الرسل إلى سيف الدولة، فعرف من انقطاعهم أن الروم فعلوا ذلك؛ فكأنَّ انقطاع الرسل كان بمثابة الإرسال للأخبار

مـا مَـضَـوْا لـم يُـقَـاتِـلُـوكَ، ولَـكِـنَّ ـ الـقِـتَـالَ الـذي كَـفَـاكَ الـقِـتَـالا

لم يمض الروم وينسحبوا بدون أن يقاتلوك هكذا ببساطة؛ ولكن قتالك السابق لهم علمهم درساً فانسحبوا وكفوك القتال هذه المرة

يَـنْـفُـضُ الـرَّوْعُ أَيْـدِيَـاً لَـيس تَـدْرِي: أَسُـيـوفـاً حَـمَـلْـنَ، أم أغْـلالا

ينفض الروع (الخوف) أيديَهم التي لا تعود تعرف لشدة الذعر أهي تحمل سيوفاً أم أغلالاً (قيوداً) تشل حركتها

وَوُجـوهـاً أَخَـافَـهـا مِـنْـكَ وَجْـهٌ تَـرَكَـتْ حُـسْـنَـهـا لَـهُ والـجَـمَـالا

ووجوههم أخافها وجهك، وزال عنها كل جمال لبشاعة الخوف، والجمال كله حل بوجهك أنت

والعِيَانُ الجَلِيُّ يُحْدِثُ للظَّنِّ ـ زَوالاً، ولِلمُرَادِ انتِقالا

والعيان الجلي (الرؤية الواضحة) يزيل الظن، ويسبب انتقال (تحول) المراد (المقصد). يقول: عندما رأوا بأسك عياناً زالت ظنونهم بنصر سهل، وتحول مقصدهم إلى الانسحاب

وإذا ما خَلَا الجبانُ بِأَرضٍ طَلَبَ الطَّعنَ وحدَهُ والنِّزالا

والجبان عندما يكون وحده يتخيل المواجهة سهلة، ويطلب الطعن والنزال (المبارزة)

إنَّما أَنْفُسُ الأنيسِ سِبَاعٌ يَتَفارَسْنَ جَهْرَةً واغتِيالا

نفوس الأنيس (البشر) مثل السباع (الوحوش المفترسة)، وهي تتفارس (يفترس بعضها بعضاً) جهرة (علانية) واغتيالا (غدراً)

مَنْ أطاقَ التِمَاسَ شيءٍ غِلاباً واغتِصَاباً، لم يَلْتَمِسْهُ سُؤالا

ومن أطاق (استطاع) التماس (طلب) شيء غلاباً (بالقوة) والاغتصاب لم يطلبه بالتراضي

كُلُّ غادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أنْ يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالا

كل غادٍ (ذاهب) لتحقيق حاجة يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبال (الأسد)

٩٤ الإبصار بالآذان

قال المتنبي يمدح سيف الدولة وأنشده إيَّاها بآمد، وكان منصرفاً من بلاد الروم. وذلك في شهر صفر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة: ١٢/٤٩

الرَّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشُّجْعانِ هُوَ أوَّلٌ، وَهِيَ المَحَلُّ الثَّاني

الرأي (الفهم العميق) مهم قبل الشجاعة

فإذا هُما اجتَمَعا لِنَفْسٍ حَرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كُلَّ مَكانِ

ولَرُبَّما طَعَنَ الفتى أقرَانَهُ بِالرَّأيِ، قَبْلَ تَطَاعُنِ الأقْرانِ

ربما تغلب المرء على أقرانه (أنداده) قبل أن يصل الأمر إلى الاحتكام للقوة

لولا العقولُ لَكانَ أدْنَى ضَيْغَمٍ أدْنَى إلى شرفٍ مِنَ الإنسانِ

لولا العقول التي يتحلى بها البشر لكان أدنى (أقل) ضيغم (أسد) أدنى (أقرب) للشرف من الإنسان، فالإنسان أفضل من الأسد بعقله لا بشيء آخر

قادَ الجِيَادَ إلى الطِّعانِ، ولم يَقُدْ إلَّا إلى العَاداتِ والأوطانِ

قاد سيف الدولة الخيل إلى الطعان (الحرب)، وما قادها إلا إلى ما تعودته، حتى لكأن الحرب وطن لها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّما يُبْصِرْنَ بِالآذانِ

الخيل موجودة ضمن جحفل (جيش) غباره ستر عيونها، فكأن الخيل تبصر بآذانها، وتتحرك داخل الجيش بحسب ما تسمع من ضجيجه

حتى عَبَرْنَ بِأَرْسَناسَ سَوَابِحاً يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الفُرْسَانِ

حتى عبرت الخيل نهر أرسناس سباحة، ولسرعتها كانت عمائم فرسانها تنحل عن الرؤوس وتنتشر

والماءُ بَيْنَ عَجاجَتَيْنِ مُخَلِّصٌ تَتَفَرَّقانِ بِهِ، وتَلْتَقِيانِ

ومجرى النهر مخلص (فاصل) بين عجاجتين (غبارين) تتفرقان عنده، ثم تلتقيان فوقه.
قالوا لأبي الطيب: ما هكذا يثور الغبار في الشتاء (والقصيدة تصف غزوة شتوية)، فقال: إنما وصفتُ ما عايَنْت

إنَّ السيوفَ مَعَ الذينَ قُلوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إذا الْتَقَى الجَمْعَانِ

السيوف مع (نصيرة لـ) الذين قلوبهم قوية كقلوب السيوف عندما يلتقي الجمعان في الحرب

تَلْقَى الحُسامَ، على جَراءَةِ حَدِّهِ، مِثْلَ الجَبانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبانِ

والسيف في يد الجبان جبان، رغم حده المرهف

يا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أرادَ بِسَيْفِهِ أصبحتُ مِنْ قَتْلاكَ بِالإحْسانِ

يا سيف الدولة، يا من يقتل من شاء بسيفه، أنا قتلتني بإحسانك

فإذا رأيْتُكَ حارَ دونَكَ نَاظِري وإذا مَدَحْتُكَ حارَ فيكَ لِسَاني

أراك فيتحير نظري أين يذهب أمامك لهيبتك، وإذا مدحتك تحير لساني ماذا يقول

٩٥ عقبى اليمين

قال المتنبي، وقد قيل بحضرة سيف الدولة إن البطريق أقسم عند مليكه أن يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أن ينجده ببطارقته وعُدَدِه ففعل. ثم خاب ظنه. أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمئة وهي آخر ما أنشده بحلب: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٩/ ٥٥

عُقْبَى اليَمِينِ، على عُقْبَى الوَغَى، نَدَمُ مَاذا يَزِيدُكَ في إقدامِكَ القَسَمُ

عقبى (نتيجة) حلف اليمين بالنظر إلى عقبى (نتيجة) الوغى (المعركة) هي الندم، وهل زادك القَسَم شجاعةً؟ يقول: أقسمت يا قائد الروم أنْ ستنتصر، فانهزمت فكانت النتيجة السيئة مضاعفة: هزيمة ونكثاً باليمين

وفَاعِلٌ ما اشتَهَى يُغْنيِهِ عَنْ حَلِفٍ   على الفِعَالِ حُضُورُ الفِعْلِ والكَرَمُ

والذي يكون فاعلاً كل ما اشتهى ـ وهو سيف الدولة ـ يغنيه فعله وكرمه الحاضران، لا الموعودان، عن الحلف بأن يفعل كذا وكذا، فالفعل حاضر

كُلُّ السيوفِ إذا طَالَ الضِّرَابُ بِها   يَمَسُّها، غَيْرَ سَيـفِ الدولةِ، السَّأَمُ

كل السيوف التي يطول الضرب بها يمسها السأم (والسأم للسيف التثلم) ولكن سيف الدولة لا يصيبه سأم من الحرب

صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أنتَ غُرَّتُهُ   وسَـمْـهَـرِيَّـتُـهُ فـي وَجْـهِـهِ غَـمَـمُ

صدمت الروم بخميس (جيش) أنت غرته (طليعته)، وسمهرية الجيش (رماحه) في مقدمته مثل الغمم (شعر رأس الفرس). شبه الجيش بفرس: فسيف الدولة غرته (البياض في جبينه)، والرماح المشرعة كالشعر على رقبته وأعلى رأسه

فكانَ أثْبَتُ ما فِيهِمْ جُسومَهُمُ،   يَسْقُطْنَ حَوْلَك، والأرواحُ تَنْهَزِمُ

كان أثبت شيء فيهم أجسامهم ومع ذلك كانت تسقط حولك أرضاً، أما أرواحهم فتنهزم قبل موتهم بالرعب

أَلْقَتْ إليكَ دِمَاءُ الرومِ طاعَتَها   فَلَوْ دعَوْتَ بِلا ضَرْبٍ أجابَ دَمُ

دماء الروم صارت لكثرة ما تسفكها مطيعة لك، فلو أنك قلت لها انسفكي لانسفكت بدون ضرب بالسيوف

يُسَابِقُ القَتْلُ فيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ   فَما يُصِيبُهُمُ موتٌ ولا هَرَمُ

يسبق القتل كل الحوادث إليهم، فلا يأتي عليهم موت طبيعي ولا هرم (شيخوخة)

لا تَطْلُبَنَّ كريماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ   إنَّ الكِرَامَ بِأَسخاهُمْ يَدَاً خُتِمُوا

بعد أن ترى سيف الدولة لا تطلب أن ترى كريماً غيره، فهو خاتم الكرام وأسخاهم

ولا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شاعِرِهِ   قدْ أُفْسِدَ القولُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

ولا تبال بأي شعر بعد شاعره ـ المتنبي ـ فقد فسد القول (الشعر) حتى صار المرء يحمد (يشكر) الصمم. وعن هذه القصيدة قال ابن جني: قلت لأبي الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه إنه ليس في جميع شعرك أعلى من هذه القصيدة، فاعترف بذلك وقال: كانت وداعاً

وحي الأربعين

المختار من شعر المتنبي منذ اتصاله بكافور في مصر حتى وفاته (٣٤٦ ـ ٣٥٤هـ)

٩٦ قواصد كافور توارك غيره

تَشاجر المتنبي في مجلس سيف الدولة الحمْداني في حلب مع ابن خالويه النحوي. فشج ابن خالويه رأسه بمفتاح كان في يده، فلم ينصره سيف الدولة، فرحل المتنبي إلى دمشق ثم الرملة بفلسطين، ثم إليَّ مصر بدعوة من حاكمها كافور الذي كان عبداً لحكام مصر من بني الإخشيد ثم صار حاكماً لا ينازَع. فلما ورد المتنبي كافوراً أخلى له داراً وخلع عليه، وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال يمدحه، وذلك سنة ست وأربعين وثلاثمئة: ٢٥/ ٤٧

كَفَى بِكَ داءً أنْ تَرَى الموتَ شَافِيا وحَسْبُ المَنايَا أنْ يَكُنَّ أَمَانِيا

يخاطب المتنبي نفسه: كفاك من الداء أنك وصلت درجة أن ترى الموت نفسه شفاء مما أنت فيه، ويكفي أن تتحول المنايا (الموت) إلى أمنية

تَمَنَّيْتَها لمَّا تَمَنَّيْتَ أنْ تَرَى صَدِيقاً فَأَعْيا، أو عَدُوّاً مُداجِيا

تمنيتَ المنية يا هذا ـ يخاطب نفسه ـ عندما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ذلك (استحال)؛ وبلغ بك أن تتمنى أن ترى عدواً مداجياً (مخفياً عداوته) فحتى هذا استحال، فأعداؤك يواجهونك بالعداء السافر

إذا كنتَ تَرضَى أنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسامَ اليَمَانِيا

إذا رضيت العيش بذلة فلا تستعدن (تتخذنَّ عُدَّةً) الحسام اليماني

ولا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّماحَ لِغَارَةٍ ولا تَسْتَجِيدَنَّ العِتَاقَ المَذَاكِيا

ولا تستطيلن الرماح (لا تختر الرماح الطويلة) لشن الغارة، ولا تختر الجيد من العتاق (الخيل الأصيلة) المذاكي (التامة الأسنان)

فَمَا يَنْفَعُ الأُسْدَ الحياءُ مِنَ الطَّوَى ولا تُتَّقَى حَتى تَكُونَ ضَوارِيا

فالأسود لا يحميها الخجل من الطوى (الجوع)، ولا تُتَّقى الأسود (تُهاب) حتى تكون ضواريَ (مفترسة)

حَبَبْتُكَ قَلْبِي، قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وقد كانَ غَدَّاراً، فَكُنْ أنتَ وافِيا

حببتك (أحببتك) يا قلبي قبل أن تحب أنت من نأى (ابتعد/يعني سيف الدولة)، وقد كان غداراً بي، فكن أنت وافياً لي. تسويد أ. عبد الرحيم، وتعليقه «ما أرقَّ هذا وأعذبه!»

وأَعْلَمُ أنَّ البَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فُؤادِي إنْ رأيتُكَ شَاكِيا

وأعلم يا قلبي أن البين (الفراق) يشكيك (يؤلمك ويجعلك تشكو) بعد فراقه، ولن أعتبرك قلبي إن رأيتك شاكياً

فَـإنَّ دُمُـوعَ الـعـيـنِ غُـدْرٌ بِـرَبِّـهـا إذا كُـنَّ إِثْـرَ الـغَـادِرِيـنَ جَـوَارِيـا
فدموع العين غدر (غدارة) بربها (بصاحبها) إذا كانت إثر (على) الغادرين جواريَ (جارية)

إذا الجُودُ لمْ يُرْزَقْ خَلاصَاً مِنَ الأذى فَلا الحمْدُ مَكْسُوبَاً، ولا المالُ بَاقِيا
إذا الجود لم يكن خالصاً من الأذى والمنّ فلا يأتي لمن يجود بحمد، ولا المال الذي جاد به سيبقى لمن أخذه

ولِلنَّفْسِ أخلاقٌ تَدُلُّ على الفَتى أكـانَ سَـخَـاءً مـا أَتَـى أم تَـسَـاخِـيـا
وأخلاق الإنسان تدل إن كان سخاؤه حقيقياً أم كان تساخياً (ادعاء للسخاء)

أَقِلَّ اشْتِيـاقَـاً أيُّـهـا الـقـلـبُ، ربَّـمـا رَأيتُكَ تُصْفي الوُدَّ مَنْ ليسَ صافِيا
قلل من اشتياقك يا قلبي، فربما (كثيراً مَّا) ما رأيتك تخلص في ودك لمن لم يكن مخلصاً

خُلِقْتُ أَلُوفَاً، لو رَجَعْتُ إلى الصِّبَا لَفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القَلْبِ بَاكِيا
خلقت ألوفاً (شديد الألفة) إلى درجة أنني لو رجعت إلى صباي وفارقت شيبي لتوجع قلبي على فراق الشيب

ولَـكِـنَّ بِـالـفُـسْـطـاطِ بَـحْـراً أَزَرْتُـهُ حياتي ونُصْحِي والهوى والقَوَافِيا
ورغم ألفتي فإن هناك في الفسطاط (القاهرة القديمة) بحراً أزرته حياتي ونصحي وحبي وشعري (جعلتها كلها تزوره)

وجُـرْداً مَـدَدْنـا بَـيْـنَ آذانِـهـا الـقَـنـا فَـبِـتْـنَ خِـفَـافـاً يَـتَّـبِـعْـنَ الـعَـوَالِـيـا
ورب جرد (خيول قصيرة الشعر) مددنا بين آذانها القنا (الرماح) فباتت الخيول خفيفة الحركة تتابع حركة العوالي (الرماح) وتمشي بحسبها متجهة إلى الممدوح

تَمَاشَى بِأَيْدٍ، كُلَّما وَافَتِ الصَّفَا نَـقَـشْـنَ بِـهِ صَـدْرَ الـبُـزَاةِ حَـوَافِـيـا
تتماشى الخيول بأيديها التي كلما وافت (وصلت) الصفا (الصخر) نقشت عليه وهي حوافٍ (بلا حذوات) نقوشاً كصدر البزاة (الصقور). يقول: الخيل لتصميمها على الوصول تحفى وتذوب نعالها الحديدية، ومع ذلك فهي تنقش على الصخر بحوافرها نقوشاً مرقطة تشبه صدور الصقور

وتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوادَقَ في الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيداتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيا
وتنظر بعيون سود تصدُقُها الرؤية في الدجى (الليل)، وترى بها الشخوص البعيدة بدقة

وتَـنْـصِبُ لِلْجَرْسِ الخَفِيِّ سَوَامِعاً يَـخَـلْـنَ مُـنَـاجَـاةَ الـضَّـمـيـرِ تَـنَـادِيـا
وتنصب للجرس (الصوت) الخفي سوامع (آذاناً) يخلن (يحسبن) مناجاة المرء لضميره مناداة بصوت عالٍ

تُـجَـاذِبُ فُـرْسَـانَ الـصَّـبـاحِ أَعِـنَّـةً	كـأَنَّ عـلـى الأعْـنـاقِ مِـنْـهـا أَفَـاعِـيـا

وخيولنا تجاذب (تجذب) فرسان الصباح (المتأهبين للإغارة صباحاً) أعنتها (مقاودها) التي تتلوى على أعناقها كالأفاعي

بِعَزْمٍ يَسِيرُ الجِسْمُ في السَّرْجِ رَاكِباً	بِهِ، ويَسِيرُ القلبُ في الجِسْمِ مَاشِيا

لقد سرنا بعزم قوي يجعل الجسم يسير بهذا العزم فوق سرج الحصان، والقلب يتمشى داخل الجسم ماشياً

قَـوَاصِـدَ كـافـورٍ، تَـوَارِكَ غَـيْـرِهِ	ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقِيا

وهذه الخيل قواصد (قاصدة) كافورٍ وتوارك (تاركة) غيره، والذي يقصد البحر يجد السواقي (القنوات) قليلة النفع

فَـجاءَتْ بِـنـا إنْـسَـانَ عَـيْـنِ زَمـانِـهِ	وخَـلَّـتْ بَـيَـاضـاً خَـلْـفَـهـا ومَـآقِـيـا

فجاءت الخيل بنا رجلاً هو إنسان (بؤبؤ) عين زمانه، وتركت بياض العين والمآقي (مجاري الدمع) خلفها. فكافور هو الأهم مثلما بؤبؤ العين أهم جزء فيها

نَجُوزُ عليْها المُحْسِنينَ إلى الذي	نَـرَى عِـنْـدَهُـمْ إحـسـانَـهُ والأيَـادِيـا

نجوز (نجتاز) على الخيل المحسنين العاديين ونمر بهم (يقصد سيف الدولة) قاصدين الشخص الذي نرى أن ما عند سيف الدولة من خير هو من إحسانه وأياديه (أفضاله). يقول: نذهب إلى من هو منبع الخير الذي يستقي منه سيف الدولة. كانت العلاقة بين دولة الحمدانيين والأخشيديين علاقة شد وجذب، وكانت فلسطين والشام تروحان وتجيئان بين مصر وحلب، واستمر هذا الوضع طويلاً بعد زوال الدولة الإخشيدية وقدوم الفاطميين، وبعد زوال الحمدانيين وقدوم المرداسيين

فتىً ما سَرَيْنَا في ظُهورِ جُدُودِنَا	إلـى عَـصْـرِهِ، إلَّا نُـرَجِّـي الـتَّـلاقِـيـا

هذا الفتى ما سرينا (سرنا) في ظهور جدودنا إلى عصره (ما سارت نطفنا في أصلاب الأجداد، ولا خلَقَنا الله وأوصلنا إلى زمنه) إلا نرجِّي التلاقي (إلا أملاً في لقائه)

تَـرَفَّـعَ عَـنْ عُـونِ الـمَـكَـارِمِ قَـدْرُهُ	فَـمَـا يَـفْـعَـلُ الـفَـعْـلاتِ إلا عَـذَارِيـا

ترفع قدر كافور عن عون المكارم (المكارم التي سُبِق إليها) فهو لا يفعل الفعلات (المكارم) إلا عذاريا (مبتكرة لم يفعلها أحد قبل)

أبا المِسْكِ! ذا الوجْهُ الذي كنتُ تَائِقاً	إليه، وذا اليومُ الذي كنتُ رَاجِيا

يا أبا المسك (كنية كافور)! هذا هو الوجه الذي كنت أتوق إليه، وهذا هو اليوم الذي كنت أرجوه

٩٧ قلب ملك ولسان شاعر

بنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى، وطالب أبا الطيب المتنبي بذكرها فقال يهنته بها: ٢٤/١٥

إنَّمـا الـتَّـهْـنِـئـاتُ لـلأكْـفَـاءِ ۝ ولِـمَـنْ يَـدَّنـي مِـنَ الـبُـعَـدَاءِ

تكون التهنئات للأكفاء (النظراء)، ولمن يدَّني (يكون مقرباً) من البعداء (غير النظراء، والبعيدين في القيمة)

وأنـا مِـنْـكَ، لا يُـهَـنِّـئُ عُـضْـوٌ ۝ بِـالـمَـسَـرَّاتِ سـائـرَ الأعْـضَـاءِ

ولكنني أنا منك (جزء منك)، والعضو في الجسم لا يهنئ بقية الأعضاء بالمسرات (بالأفراح)، فكيف أهنئك

مُـسْـتَـقِـلٌّ لَـكَ الـدِّيـارَ، ولـو كَـا ۝ نَ نُـجُـومَـاً آجُـرُّ هـذا الـبِـنَـاءِ

مستقل لك الديار (أجدها قليلةً عليك)، حتى لو كان آجر (طابوق/طوب) هذا البناء من النجوم

أَنْـتَ أعـلـى مَـحَـلَّـةً أنْ تُـهَـنَّـا ۝ بِمَكانٍ في الأرضِ أو في السَّماءِ

أنت أعلى محلة (مقاماً) من أن تهنأ بمكان (قصر) في الأرض أو في السماء (في الجنة التي فيها قصور للمتقين)

ولَـكَ الـنـاسُ، والـبـلادُ، ومـا يَـسْـ ۝ ـرَحُ بـيـنَ الـغَـبْـراءِ والـخَـضْـراءِ

والناس لك والبلاد لك، ولك كل ما يسرح من طير وحيوان بين الخضراء (السماء) والغبراء (الأرض)

وبَـسـاتِـيـنُـكَ الـجِـيـادُ، ومـا تَـحْـ ۝ ـمِـلُ مِـنْ سَـمْـهَـرِيَّـةٍ سَـمْـراءِ

وصهوات الجياد (الخيول) هي بساتينك الحقيقية، وما في هذه البساتين من شجر وثمر هو في الحقيقة سمهرية (رماح) سمراء

إنَّـمـا يَـفْـخَـرُ الـكـريـمُ أبـو الـمِـسْـ ۝ ـكِ بِـمـا يَـبْـتَـنـي مِـنَ الـعَـلْـيـاءِ

وفخر كافور هو بما يبني من العلياء (المجد) لا بالقصور

وبِـأيَّـامِـهِ الـتـي انْـسَـلَـخَـتْ عَـنْـ ۝ ـهُ، وَمَـا دارُهُ سِـوَى الـهَـيْـجَـاءِ

وفخره بأيامه التي انسلخت (مضت) ولم تكن داره فيها سوى الهيجاء (الحرب)

وبِـمَـا أثَّـرَتْ صَـوارِمُـهُ الـبِـيـ ۝ ـضُ لَـهُ فـي جَـمـاجِـمِ الأعْـدَاءِ

وفخره بالأثر الذي تركته صوارمه (سيوفه) البيض اللامعة في جماجم الأعداء

وبِـمِـسْـكٍ يُـكْـنَـى بِـهِ، لَـيْـسَ بِـالـمِـسْـ ۝ ـكِ، ولَـكِـنَّـهُ أرِيـجُ الـثَّـنَـاءِ

وفخره بمسك يكنى به، وهو ليس مسكاً حقيقياً بل هو أريج (عطر) الثناء (الحمد الذي يتلقاه من الجميع)

تَفْضَحُ الشَّمسَ، كلَّما ذَرَّتِ الشَّمْـ ـسُ، بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ

يا كافور أنت تفضح الشمس كلما ذرت (طلعت) بشمس أخرى منيرة سوداء هي وجهك

يَا رَجَاءَ العُيُونِ في كُلِّ أرْضٍ لم يَكُنْ غَيْرَ أنْ أرَاكَ رَجَائي

ولقد أفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلي قَبْلَ أنْ نَلْتَقي، وزَادي ومَائي

أفنت (أهلكت) المفاوز (الصحارى) خيلي وأنا قادم إليك، ونفد زادي ومائي

فَارْمِ بي مَا أرَدْتَ مِنّي، فَإنّي أسَدُ القَلْبِ، آدَمِيُّ الرُّوَاءِ

اجعلني كالسهم طوع يمينك، وارم بي أي شيء تريده من المهامّ، فإنني أسد القلب، وإن كنتُ بَشَريَّ الرواء (المنظر)

وفُؤادي مِنَ المُلُوكِ، وإنْ كا نَ لِسَاني يُرَى مِنَ الشُّعَراءِ

وفؤادي فؤاد ملك (نفسيتي نفسية حاكم)، وإن كان لساني لسان شاعر

٩٨ حنين للأعرابيات

قال المتنبي يمدح كافوراً، وأنشده إياها في رمضان سنة ست وأربعين وثلاثمئة: ١٧/ ٤٦

مَنِ الجَآذِرُ في زِيِّ الأعَارِيبِ حُمْرَ الحُلَى والمَطَايا والجَلابِيبِ؟

مَن هؤلاء الجآذر (صغار بقر الوحش) اللائي في زي الأعرابيات؟ إنهن يلبسن الحُلَى الحمر (الحُلِيّ التي من الذهب الأحمر) ويركبن المطايا الحمر (النياق الحمر/أغلى النياق) ويرتدين الجلابيب الحمر (الأحمر لون ملابس الأشراف)

إنْ كُنْتَ تَسْألُ شَكّاً في مَعَارِفِها فَمَنْ بَلاكَ بِتَسْهِيدٍ وتَعْذِيبِ؟

يخاطب نفسه: إن كنت يا هذا تسأل لأنك شاكٌّ في معارفها (معرفة نفسك بهن) فالأجدر أن تسأل: من ذا الذي ابتلاك بتسهيد (سهر) وتعذيب؟ أليس هؤلاء الأعرابيات؟

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأعْرابِ خافِيَةٍ أدْهَى، وقد رَقَدُوا، مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ

ما أكثر ما كانت لك زورات (زيارات) للأعراب خافية (سرية)، وكانت ـ بعد رقاد القوم ـ أدهى (أخبث) من تسلل الذئب

أزُورُهُمْ، وسَوادُ اللّيْلِ يَشْفَعُ لي وأنْثَني، وبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْري بي

سواد الليل يشفع لي (يحميني) في الزيارة، وأنثني (أعود) وبياض الصبح يغريهم بملاحقتي، لأن الصبح يكشفني

مَا أوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأوْجُهِ البَدَوِيّاتِ الرَّعَابِيبِ

ليست وجوه الحضريات (بنات المدن) المستحسنة به (بالحضر) مثل أوجه البدويات الرعابيب (الممتلئات)

حُسْنُ الحَضَارَةِ مَجلوبٌ بِتَطْرِيَةٍ وفي البَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجلوبِ

حسن (جمال) الحضارة (التمدن) مجلوب جلباً بتطرية (بتدليك وتجميل)، وفي البداوة يوجد جمال غير مجلوب بل طبيعي

أَيْنَ المَعِيزُ مِنَ الآرامِ، نَاظِرَةً وغَيْرَ نَاظِرَةٍ، في الحُسْنِ والطِّيبِ

الفرق شاسع بين المعيز (حيوان القرى ومدن ذلك الزمن) وبين الآرام (الغزلان البيض) من حيوان الصحراء سواء أكانت مقبلة تنظر إليك أم مدبرة عنك، ثمة فرق في الحسن وفي الطيب (الرائحة)

أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضْغَ الكَلامِ، ولا صَبْغَ الحَوَاجِيبِ

أفدي بنفسي ظباء فلاة (غزلان صحراء) ما عرفن فيها مضع الكلام ولا صبغ الحواجب (تشقير الحواجب كان معروفاً آنذاك إذن؟ لكن لعله كان تسويداً)

لَيْتَ الحوادثَ بَاعَتْني الذي أَخَذَتْ مِنِّي، بِحِلْمِي الذي أَعْطَتْ وتَجْرِيبي

ليت حوادث الزمن أعطتني شبابي الذي أخذته مني، ولتأخذ ما أكسبتني من حلم (تسامح) وتجريب

فَما الحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ، قد يُوجَدُ الحِلْمُ في الشُّبَّانِ والشِّيبِ

فالحداثة (صغر السن) لا تمنع كون المرء حليماً، فالحلم موجود في الشبان والشائبين؛ ولذلك فلست أقر بأن الحلم كان نتيجة لمرور الزمن

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأُسْتاذُ، مُكْتَهِلاً قَبلَ اكْتِهَالٍ، أَدِيباً قَبْلَ تأدِيبِ

ترعرع الملك الأستاذ (كافور، وكان يلقب الأستاذ، والأستاذ كلمة عاميتها الأسطى) مكتهلاً (واصلاً نضج الكهولة) وذلك قبل وصوله فعلاً سن الكهولة، وترعرع أديباً قبل التأديب (التعليم)

يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ إلى العِراقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ

النوب: أرض النوبة بين مصر والسودان

إذا أَتَتْها الرِّياحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ فَمَا تَهُبُّ بِهَا إلَّا بِتَرتِيبِ

حتى الريح تتبع أمرة وتدبيره، فإذا جاءت الرياح النُكب (غير المنتظمة) إلى بلاده من بلد آخر فلا تهب إلا بترتيب

يُصَرِّفُ الأمْرَ فيها طِينُ خَاتِمِهِ ولو تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ

يصرف الأمر في بلاده ختمه (وكانوا يختمون بخاتم من معدن على شيء طري كالطين) حتى وإن تطلس (امَّحى) الكلام المكتوب في الختم، فمجرد رؤية ختمه تجعل الأمر يتحقق

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ في مَسَامِعِهِ قَميصُ يُوسُفَ في أَجْفَانِ يَعْقُوبِ

وهو يجيب كل سائل أي متسول؛ وكل سؤال للسائلين في مسامعه (أذنيه) لذيذ عنده مثل قميص يوسف في عيني يعقوب (وقميص يوسف عندما ألقي على وجه أبيه يعقوب أعاد إليه بصره)

إذا غَـزَتْـهُ أَعَـادِيـهِ بِـمَـسْـأَلَـةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلوبِ

أعداؤه لو غزوه بمسألة (باستعطاء) بدل الحرب فهم منتصرون، لأنه يلبي حاجتهم

قَالوا: هَجَرْتَ إِلَيْهِ الغَيْث، قلتُ لَهُمْ: إِلـى غُـيـوثٍ يَـدَيْـهِ والـشَّـآبِـيـبِ

يقولون لي: هجرت الغيث (المطر/سيف الدولة) وجئت إليه، فقلت لهم: جئت إلى الغيوث التي تنهمر من يديه والشآبيب (الزخات)

٩٩ المال والمجد

قال المتنبي يمدح كافوراً في ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمئة: ٨/٤٨

أَوَدُّ مِـنَ الأَيَّـامِ مَـا لا تَـوَدُّهُ وأَشْكُو إِلَيْها بَيْنَنَا، وَهْيَ جُنْدُهُ

أود من الأيام أن تفعل شيئاً، ولكن هي لا تود ذلك، وأشكو إليها بيننا (فراقنا) مع أنها جند الفراق (الزمن جندي في خدمة الفراق)

أَبَى خُلُقُ الدُّنيا حَبِيبَاً تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبي مِنْها حَبِيباً تَرُدُّهُ

أبى خلق (طبع) الدنيا أن تديم حبيباً (تجعله يدوم) وتتركه على حاله، فكيف أطلب منها (من الدنيا) أن تردَّه بعد فراق

وأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً تَكَلُّفُ شيءٍ، في طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

وأسرع شيء فعلته إلى التغير هو تكلف تصرف ضد طبعك؛ فأنت تتكلف الشيء ولكنك بسرعة تعود إلى طبعك

رَعَى اللَّهُ عِيساً فَارَقَتْنا وفَوْقَها مَهاً، كُلُّها يُولَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ

حمى الله عيساً (جِمالاً) فارقتنا وفوقها مها (بقر الوحش) وجميعها يولى (يمطَر) بجفنيه خده؛ يقول: المحبوبات كن يبكين وتمطر جفونهن الدمع على خدودهن

بِـوَادٍ بِـهِ مَـا بِـالـقُـلـوبِ، كَـأَنَّـهُ، وقَدْ رَحَلُوا، جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ

فارقننا في واد به قحط كما في قلوبنا، وكأنَّ الوادي عند رحيل القوم جيد (عنق) تناثر العقد الذي يزينه. يقول: فارق الأعراب المكان بسبب القحط، كعادتهم، فالوادي ماحِلٌ كقلبي، وشكل جمالهم وهي تسير متفرقة في الوادي مثل العقد الذي انتثر على العنق

فَلَا مَجْدَ في الدُّنْيا لِمَنْ قَلَّ مالُهُ ولا مَالَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

لا مجد لمن لا مال له، والعكس بالعكس

وفي النَّاس مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ ومَرْكُوبُهُ رِجْلاهُ، والثَّوْبُ جِلْدُهُ

هناك من يرضى باليسير، ويركب رجليه لأنه لا يملك مركوباً؛ وثوبه هو جلده، إذ لا ثوب لديه

وَلـكِـنَّ قَـلْـبـاً بَـيْـنَ جَـنْـبَـيَّ مَـا لَـهُ   مَـدىً يَـنْـتَـهِـي بِـي فِـي مُـرَادٍ أَحُـدُّهُ

ولكن قلبي طماع ولا حد لمراده (مطلبه)

١٠٠ إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

قاد كافور إلى المتنبي فرساً فقال يمدحه: ٤١/١٤

فِـرَاقٌ، ومَـنْ فَـارَقْـتُ غَـيْـرُ مُـذَمَّـمِ   وأَمٌّ، ومَـنْ يَـمَّـمْـتُ خَـيْـرُ مُـيَـمَّـمِ

كان فراقاً لسيف الدولة، ولست أذم الرجل؛ وكان أمٌّ (ذهاب) لكافور، وهو خير ميمم (مقصود)

وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ   إذا لـم أُبَـجَّـلْ عِـنْـدَهُ، وأُكَـرَّمِ

وليس المنزل الذي تتاح فيه لي كل اللذات منزلاً مناسباً إذا لم أحصل على التكريم والتبجيل

رَحَلْتُ، فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ   عَلَيَّ، وَكَمْ بَاكٍ بِأجفَانِ ضَيْغَمِ

برحيلي ما كان أكثر الباكين علي بأجفان شادن (ولد الغزال)، وما أكثر الباكين بأجفان ضيغم (أسد). يقول: بكت علي إذ رحلت نساء ورجال كثر

فَلَوْ كانَ مَا بي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ   عَذَرْتُ، ولَكِنْ مِنْ حَبِيـبٍ مُعَمَّمِ

لو كان ما بي من الشعور بالظلم سببه حبيب مقنع (امرأة) لعذرت، ولكنه من حبيب معمم (من رجل يلبس عمامة). فهو رحل غاضباً من سيف الدولة

رمَى واتَّقَى رَمْيِي، وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى   هَوىً كَاسِرٌ كَفِّي وقوْسِي وأَسْهُمِي

لقد رماني بسهم ظلمه، واتقى رميي (كان محمياً مني)، فمن دون ما اتقى (حالَ دون ما احتمى منه) هوىً كسر كفي وقوسي وأسهي. يقول: هو أساء إلي موقناً أنني لا أستطيع أن أسيء إليه، لأن حبي له يمنعني ويكسر كفي

إذَا سَاءَ فِعْلُ الـمَرْءِ سَاءَتْ ظُنونُهُ   وصَـدَّقَ مَـا يَـعْـتَـادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـمِ

المرء عندما يسيء للناس تسوء ظنونه بهم، لأنه يحس أنهم حقدوا عليه؛ وهو إذ يسيء لهم يصدق ما يعتاده (يراوده) من أوهام بأنهم سيسيئون إليه

وعَـادَى مُـحِـبِّـيـهِ بِـقَـوْلِ عُـدَاتِـهِ   وأَصْبَحَ في لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

والمسيء للناس يعادي المحبين له بسبب أقوال يسمعها من أعدائه، فهو يصدق عدوه ولا يميز صديقاً من عدو، ويصبح حكمه مضطرباً على الأشياء فكأنه في ليل مظلم من شكوكه. تحليل نفسي دقيق وعميق في إيجاز مذهل. في الإيجاز عبقرية المتنبي. أما التحليل النفسي ففيه كلامان: العبقرية فيه أن هذا الشاعر جاء في زمن بدأ فيه انحدار الشعر وتقولبه في قوالب جامدة، فقال شعراً ذاتياً عبر به عن خلجات فؤاده بقوة وصدق وحرارة. والكلام الثاني: أن كل موظف خائب، وكل تلميذ خائب يقول هذا الكلام، ويحلل هذا التحليل. ولست أشك لحظة في أن سيف الدولة تحمل المتنبي بكل غروره وطمعه وحمقه أكثر مما ينبغي

أُصَادِقُ نَفْسَ المَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ   وأَعْـرِفُـهَـا فـي فِـعْـلِـهِ والتَّـكَـلُّـمِ

وأَحْـلُـمُ عَـنْ خِـلِّـي، وأَعْـلَـمُ أنَّـهُ   مَتَى أَجْزِهِ حِلْمَاً عَلى الجَهْلِ يَنْدَمِ

أكون حليما (متسامحاً) عن خلي (صديقي)، عالماً أنني إذا جزيته على الجهل (التعدي) بالحلم سيندم

وإنْ بَذَلَ الإنْـسَـانُ لي جُودَ عَابِسٍ   جَـزَيْـتُ بِجُـودِ التَّـارِكِ الـمُـتَبَسِّمِ

وإذا أعطاني أحدهم عطية وهو عابس، جازيته بتركها وأنا مبتسم

ومَـا كُـلُّ هَـاوٍ لِـلْـجَـمِـيـلِ بِفَـاعِـلٍ   ولا كُـلُّ فَـعَّـالٍ لَـهُ بِـمُـتَـمِّـمِ

وليس كل هاو (محب) للجميل فاعلاً له، ولا كل من يفعل الجميل يكمله

قد اخْتَرْتُكَ الأَمْلَاكَ، فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا   حَدِيثَاً، وقد حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ

يخاطب كافوراً: اخترتك الأملاكَ (من بين الملوك)، ومؤكد أنهم سيعلمون بما جرى لي معك، وسيتحدثون به، فاختر لهم حديثاً. يقول: أعطني عطاء جزيلاً يكون حديث الجميع، وقد تركت لك الحكم في ذلك فافعل ما يليق بك

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيا إذا لم تُرِدْ بِهَا   سُـرُورَ مُـحِـبٍّ، أو مَـسَـاءَةَ مُـجْـرِمِ

لمن تطلب الدنيا والمال إذا لم يكن قصدك أن تسر المحب وتغيظ المسيء؟ يقول: خير ما يصنعه المرء بماله أن يكافئ المحب ويعاقب المجرم

ولو كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا   وصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ، فاعْلَمِ

ولو كنت أعلم كم ستطول حياتي لخصصت ثلثيها لانتظار وفائك بوعدك، فاعلمْ ذلك. ويزعم المتنبي في شعره أن كافوراً وعده بأن يوليه ولاية يحكمها. وأغلب الظن أن كافوراً وعده نصف وعد

١٠١ إذا صادفَتْ هوى في الفؤاد

جرت وحشة بين الأستاذ كافور والأمير أبي القاسم مدة ثم اصطلحا، فقال المتنبي: ٩/ ٣٦

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأعَادِي   وأَذَاعَـتْـهُ أَلْـسُـنُ الـحُـسَّـادِ

حسم الصلحُ الخلافَ الذي اشتهت الأعادي وقوعه، والذي أذاعت ألسن الحساد أنه وقع فعلاً

وكَلامُ الوُشَاةِ لَيسَ عَلى الأَحْـ   ـبَابِ، سُلْطَانُهُ عَلى الأَضْدَادِ

كلام الوشاة لا ينطلي على المتحابين، وسلطانه (تأثيره) على الأضداد (المتنافرين) فقط

إنَّـمَا تُـنْجِـحُ الـمَـقَـالَـةُ فـي الـمَـرْ   ءِ إذا وافَـقَـتْ هَـوىً فـي الـفُـؤَادِ

المقالة (القول) تُنْجِح (تثمر) في نفس المرء إذا صادفت هوى في فؤاده، بغض النظر عن صدق القول أو كذبه

وَلَعَمْرِي لقد هُزِزْتَ بِمَا قِيـ ـلَ، فأُلْفِيتَ أَوْثَقَ الأَطْوَادِ

وواللهِ لقد حاولوا هزَّك بما نقلوا من أقوال، فأُلفيت (وُجدت) أوثق الأطواد (أرسخ الجبال)

وأشارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْها إلى الإِرْشَادِ

وأشار عليك بعضهم بمشورة ضد نيتك، فكنت أكثر اهتداء منهم إلى الرشد

أنتُما، ما اتَّفَقْتُما، الجِسْمُ والرُّو حُ، فَلا احْتَجْتُما إلى العُوَّادِ

أنت وأبو القاسم، ما اتفقتما (ما دام اتفاقكما)، كالجسم والروح، فلا أحوجكما الله إلى زيارة العواد (زائري المريض)

مَنَعَ الوُدُّ والرِّعَايَةُ والسُّؤْ دَدُ أَنْ تَبْلُغَا إلى الأَحْقَادِ

الود بينكما، ورعاية أحدكما لحقوق الآخر، ووجود السؤدد (السيادة)، منعتكم جميعها من الوصول إلى الأحقاد

هذِهِ دَوْلَةُ المَكَارِمِ والرَّأْ فَةِ والمجدِ والنَّدَى والأَيَادِي

الأيادي: النِعَم

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْـ ـسُ، وعَادَتْ ونُورُها في ازْدِيادِ

هذه الدولة كَسفت (انكسفت) قليلاً ككسوف الشمس، ثم عاد نورها وقد ازداد. أطال طه حسين الوقوف عند هذه القصيدة، وهذا من شغفه بأمر المؤامرات والدسائس، ومن خوضه المعارك والتصاقه بساسة عصره

١٠٢ فإني أغني منذ حين وتشرب

قال المتنبي يمدح كافوراً في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمئة: ٢٥/ ٤٧

أُغَالِبُ فيكَ الشَّوْقَ، والشَّوْقُ أَغْلَبُ وأَعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ، والوَصْلُ أَعْجَبُ

أصارع بسببك الشوق ولكنه يغلبني؛ وأتعجب من هذا الهجر ولكن الوصل كان سيكون أعجب، لندرة وقوعه

أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضاً تُنَائي، أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ

ألا تغلط الأيام في شأني فتُنائي بغيضاً (تُبعد شخصاً كريهاً) وتقرب حبيباً

وَيَوْمٍ كَلَيْلِ العَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ

ربَّ يوم مثل ليل العاشقين في الطول كمنت فيه وأنا أراقب الشمس أيان (متى) تغرب. قال المتنبي لصاحبه وشارحه ابن جني إن كافوراً عندما سمع هذا البيت علق بقوله: غيرك يستطيل الليل! وقال المتنبي: قبحاً له، كيف عرف معناه؟

وعَيْني إلى أُذْنَيْ أَغَرَّ، كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ

وعيني مصوبة إلى أذنيْ حصاني الأغر (ذي الغرة البيضاء في جبينه) الذي كأنه بقي من الليل كوكب مضيء بين عينيه. إنني أنظر إلى أذنيه لأستدل بحركتهما على ما يجري حولي فهو يحركهما لأي استشعار بخطر

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ في إهَابِهِ تَجيءُ عَلى صَدْرٍ رَحِيبٍ وتَذْهَبُ

في إهابه (جلده) فضلة عن جسمه (يزيد جلده عن حجم جسمه) ولذا فجلده يروح ويجيء بحرية على صدره الرحيب (الواسع)

شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْني عِنَانَهُ فَيَطْغَى، وأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ

شققت بحصاني الظلماء وأنا أقرب عنانه (مقوده) فيطغى (يهز رأسه بقوة)، وأرخي المقود فيلعب الحصان بحرية

وأَصْرَعُ أَيَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

وأصرع أي وحش قفيته به (ألحقته به) لأن الحصان أسرع من أي وحش؛ وأنزل عن الحصان وهو مرتاح كحالته عندما ركبته

ومَا الخيلُ إلَّا، كَالصديقِ، قَليلةٌ وإنْ كَثُرَتْ في عينِ مَنْ لا يُجَرِّبُ

الخيل الأصيلة كالصديق (كالأصدقاء) قليلة، وإن ظنها غير المجرب كثيرة

إذا لم تُشَاهِدْ غيرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا وأَعضَائِها، فَالحُسْنُ عنكَ مُغَيَّبُ

إذا لم تشاهد يا هذا غير جمال شياتها (ألوانها) وحسن أعضائِها فقد غاب عنك الجمال الحقيقي

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنيا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ

لحى الله (قبح الله) هذه الدنيا من مناخ (منزل) ينزل فيه الراكب، فكل شخص بعيد الهم (كبير الطموح) معذب فيها

ألا لَيتَ شِعْرِي! هلْ أقولُ قَصِيدةً فَلا أَشْتَكي فِيها، ولا أَتَعَتَّبُ؟

هل تُراني أقول قصيدة بدون شكوى وعتاب؟

وبي مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّي أَقَلُّهُ ولَكِنَّ قَلْبِي، يَا ابْنَةَ القَوْمِ، قُلَّبُ

وبي همٌّ أقله يذود (يطرد) الشعر عني، ولكن قلبي، يا بنت الناس، قُلَّب (مجرب) وصبور

وأَخْلاقُ كافُورٍ، إذا شئتُ مَدْحَهُ وإنْ لم أَشَأْ، تُمْلي عَلَيَّ وأَكْتُبُ

وما يجعلني أقول الشعر أيضاً، سوى صبري وحنكتي، أن أخلاق كافور تملي علي إملاءً، سواء شئت مدحه أم لم أشأ، فهي تفرض علي الشعر لعظمتها

إذا تَـرَكَ الإنـسـانُ أهْـلاً وراءَهُ وَيَمَّمَ كـافـوراً فَـمَـا يَـتَـغَـرَّبُ

يمم: قصد

أبَا المِسْكِ! هَلْ في الكأسِ فَضْلٌ أَنالُهُ فَإنّي أُغَنّي مُنْذُ حينٍ وتَشْرَبُ

يا أبا المسك (كافور) هل في كأسك فضل (بقية) أناله؟ فإنني أغني لك (أقول الشعر) منذ حين وأنت تشرب وحدك

إذا لم تَنُطْ بي ضَيْعَةً أو وِلايَةً فَجُودُكَ يَكْسُوني وشُغْلُكَ يَسْلُبُ

إذا لم تَنُط بي (تكلفني) ضيعة أو ولاية فجودك (كرمك) يكسوني، بينما شغلك (انشغالك عن شأني) يسلبني

يُضَاحِكُ في ذا العِيدِ كُلٌّ حَبيبَهُ حِذَائي، وأَبْكي مَنْ أُحِبُّ وأَنْدُبُ

حذائي: بقربي

أَحِنُّ إلى أَهْلي، وأَهوَى لِقَاءَهُمْ وأَيْنَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ

عنقاء مغرب: طير خرافي، وقيل إنه موجود ولكن لا سبيل إلى صيده

فإنْ لم يَكُنْ إلَّا: أَبُو المِسْكِ أَوْ هُمُ فَإنَّكَ أَحْلَى في فُؤادي وأَعْذَبُ

فإن كان علي الاختيار بينك وبين أهلي فإنك أحلى في قلبي وأعذب

وكُلُّ امْرِئٍ يُولي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

وكل امرئ يولي الجميل (يُحسن) محبب، وكل مكان فيه عز للمرء طيب

وأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدَاً لِمَنْ بَاتَ في نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

وأكثر الظالمين ظلماً مَنْ حسد شخصاً وهو يتقلب في نعماء ذلك الشخص. يقول: أنا لا أحسدك على مكانتك وملكك، وأكون ظالماً لو فعلت، فأنا أتقلب في نعمتك

وأَنْتَ الذي رَبَّيْتَ ذا المُلْكِ مُرْضَعاً ولَيسَ لَهُ أمٌّ سِوَاكَ، ولا أَبُ

وأنت الذي ربى ذا الملك (صاحب الملك/ابن الإخشيد) وهو مرضَع (رضيع) فكنت له الأم والأب. تعليق أحمد عبد الرحيم: [لم يزد على أن جعله مرضعًا أو جليس أطفال!]

ومَا طَرَبي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لقد كنتُ أرجو أنْ أراكَ فَأَطْرَبُ

وليس طربي عندما رأيتك بدعة (أمراً غريباً) فقد كنت أرجو أن أراك فأطرب بلقائك. قال أبو العلاء في شرحه «معجز أحمد»: «هذا، وإن كان ظاهره مدحاً، فإن باطنه إلى الهزء أقرب»

وتَعْذِلُني فيكَ القَوافي وهِمَّتي كَأَنّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ

تلومني القصائد وتلومني همتي (طموحي) لأنني رضيت أن أمدح من هو أقل منك شأناً، فكأنني مذنب بمدحه

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ، وَلَمْ أَزَلْ أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الكَلامِ، وَيُنْهَبُ

ولكنه طال الطريق إليك، ولم أزل (ظللت) أفتش عن أقوى الكلام فأمدح الملوك به، وينهبه الشعراء مني. المثل القديم يقول: «رمتني بدائها وانسلت»، والمتنبي لا يمل من الزعم بأن الشعراء يسرقون شعره. ولو نظرت في شعره لرأيته من أسرق خلق الله، ولكنه فاتك شرير يسرق معاني المتقدمين ويضعه في كلام أقوى من كلامهم، وهي سرقة حلال في عرف النقاد القدامى. ألق نظرة على رسالة الحاتمي، أو على الوساطة، أو الصبح المنبي، أو ما شئت من كتب الأقدمين النقدية ترهم لم يسلِّموا للمتنبي ببيت. هم يظلمونه في أحيان، لكنهم محقون في الغالب

١٠٣ بما لا تشتهي السفن..

اتصل بأبي الطيب، وهو بمصر، أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب فقال، ولم ينشدها كافوراً: ١٨/ ٢٥

بِمَ التَّعَلُّلُ؟ لا أَهْلٌ ولا وَطَنُ ولا نَدِيمٌ ولا كَأْسٌ ولا سَكَنُ

بماذا أتعلل (أصبِّر نفسي)؟ فلا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن (زوجة)

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذا أَنْ يُبَلِّغَنِي ما ليسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ

أريد من زمني ذا (هذا) أن يبلغني (يوصلني) للاستقرار، والزمن لا يحقق هذا المطلب حتى لنفسه لأنه متقلب

لا تَلْقَ دهرَكَ إلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدَنُ

لا تواجه الزمن إلا وأنت غير مكترث، ما دام جسمك وروحك مصطحبان وأنت على قيد الحياة

مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ العِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا، ومَا عَرَفُوا الدُّنيا ومَا فَطِنُوا

أهل العشق غرقوا في العشق وآلامه، وهم لا يعرفون الدنيا ولا يفطنون لتفاهتها. لو قرأتها «هَوَوْا» كما فعلنا في التسجيل الصوتي فلها وجه إذ تعني سقطوا، ولكن «هَوُوا» بمعنى عشقوا أصح، فأنا أستدرك على نفسي بعد ثماني سنوات، وأصحح هذا الآن في سنة ٢٠١٦

تَفْنَى عُيُوُنُهُمُ دَمْعاً، وأَنْفُسُهُمْ في إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ

تفنى عُيُوُنُهُمُ (وضعتُ ست ضمات على الكلمة كي أَسْعد برؤيتها ليس أكثر) بينما نفوسهم تلاحق كل محبوب قبيح الفعل حسن الوجه

يا مَنْ نُعِيتُ على بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

يا سيف الدولة، يا من ذُكر خبر موتي في مجلسه وأنا بعيد، كل إنسان مرتهن (رهن) بما ذكروا من خبر موتي: كلنا سنموت

كَمْ قد قُتِلْتُ، وكَمْ قد مُتُّ عِنْدَكُمُ   ثُمَّ انْتَفَضْتُ، فَزَالَ القَبْرُ والكَفَنُ

كثيراً ما قتلت، وكثيراً ما مت وأنا عندكم بما كان يشيعه الحاسدون عني، ثم انتفضتُ فزال القبر والكفن المزعومان

قد كانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمُ   جَمَاعَةٌ، ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا

لقد شاهد دفني جماعة آخرون قبل هذه الشائعة الأخيرة، ثم ماتوا هم قبل الذي زعموا أنهم دفنوه

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ   تَجْرِي الرِّيَاحُ بِما لا تَشْتَهِي السُّفُنُ

رَأَيْتُكُمْ لا يَصُونُ العِرْضَ جَارُكُمُ   ولا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ

رأيتك يا سيف الدولة لا يصون العرض جارك (مجاوروك، وأهل مجلسك)، والذي يرعى في مرعاكم لا يدر لبنه. الموجودون عندك الآن لا يصونون عرض الناس، وليس في عطائك بركة، فهو كالمرعى الذي ترعى فيه الإبل ولا يدر حليبها عليه

جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ   وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ

كل من يقترب منكم جزاؤه أن تملوا منه، وكل من يحبكم حظه (نصيبه) منكم الضغن (الحقد)

وتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ   حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ والمِنَنُ

تغضبون على من تعطونه رفدكم (عطاءكم) فيكون عقابه أنكم نغصتم عليه ومننتم عليه (أذللتموه بالنعمة)

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحْشَةً لَكُمُ   ثم اسْتَمَرَّ مَرِيرِي، وارْعَوَى الوَسَنُ

بعد رحيلي عنك يا سيف الدولة سهرت وأنا أحس بوحشة لفراقك، ثم استمر مريري (قَوِيتُ)، وارعوى (عاد) لي الوسن (النوم)

وإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ   فَإِنَّنِي بِفِرَاقِ مِثْلِهِ قَمِنُ

طبعي أنني إذا ابتُليتُ بود مثل ودكم فإنني قمن (جدير) بمعالجته بفراق كفراقي إياكم

أَبْلَى الأَجِلَّةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمُ   وبُدِّلَ العُذْرُ بِالفُسْطَاطِ، والرَّسَنُ

أبلى مهري الأجلة (أتلف حصاني السروج)، وبُدِّلت العذر (اللُّجُم) والرسن وأنا بالفسطاط (القاهرة القديمة) عند غيركم، يقول: طالت إقامتي عند غيركم لأنهم أكرموني، واهترأ سرج حصاني، وبدلت لجامه لطول إقامتي

عندَ الهُمَامِ أبِي المِسْكِ الذي غَرِقَتْ   في جُودِهِ مُضَرُ الحَمْرَاءُ واليَمَنُ

أنا مقيم عند الهمام (السيد) أبي المسك (كافور) الذي غرقت في جوده (كرمه) مضر الحمراء (قبيلة مضر وارثة الذهب الأحمر) واليمن، يقول: أغرق هذا الرجل بكرمه كل العرب من مضرية ويمنية

وإنْ تَـأَخَّـرَ عَـنِّـي بَـعْـضُ مَـوْعِـدِهِ   فَـمَـا تَـأَخَّـرُ آمَـالـي ولا تَـهِـنُ

وإذا تأخر عني في وعده فآمالي لا تتأخر ولا تهن (تضعف)، فالمتنبي يظن أنه موعود بولاية عند كافور

هُـوَ الـوَفِـيُّ، ولَـكِـنِّـي ذَكَـرْتُ لَـهُ   مَـوَدَّةً، فَـهْـوَ يَـبْـلُـوهَـا، ويَـمْـتَـحِـنُ

كافور وفيٌّ بوعده، ولكنني كنت قد ذَكَرْتُ له مودتي فهو يتأخر ليبلوها (يختبرها) ويمتحنها

١٠٤ غدار يا زمن

مما قال المتنبي بمصر ولم ينشدها كافوراً، ولم يذكره فيها: ١٠/١٠

صَـحِـبَ الـنَّـاسُ قَـبْـلَـنَـا ذَا الـزَّمَـانَـا   وعَـنَـاهُـمْ مِـنْ شَـأْنِـهِ مـا عَـنَـانـا

قبلنا صحب الناس ذا (هذا) الزمان، وكان يعنيهم من شأنه ما يعنينا

وتَـوَلَّـوْا بِـغُـصَّـةٍ كُـلُّـهُـمْ مِـنْـ   ـهُ، وإِنْ سَـرَّ بَـعْـضَـهُـمْ أَحْـيَـانـا

وتولوا (انصرفوا) كلهم بغصة في الحلق من غدر الزمان، وإن سَرَّ الزمانُ بعضهم حيناً

رُبَّـمَـا تُـحْـسِـنُ الـصَّـنِـيعَ لَـيَـالِـيـ   ـهِ، ولَـكِـنْ تُـكَـدِّرُ الإِحْـسَـانـا

تحسن ليالي هذا الزمان، ولكنها تكدر إحسانها بالنكبات

وكَـأَنّـا لـم يَـرْضَ فِـيـنَـا بِـرَيْـبِ الـدَّ   هْـرِ حَـتَّـى أعـانَـهُ مَـنْ أَعـانـا

وكأن غدر الزمان لا يكفي، فجاء بعض البشر وأعانوه في الشر

كُـلَّـمَـا أَنْـبَـتَ الـزَّمَـانُ قَـنـاةً   رَكَّـبَ الـمرءُ في الـقَـنـاةِ سِـنَـانـا

كلما أنبت الزمان قناة (غصناً) ركب الإنسان في رأس الغصن سناناً حاداً ليصبح رمحاً

ومُـرَادُ الـنُّـفـوسِ أَصْـغَـرُ مِـنْ أَنْ   تَـتَـعَـادَى فِـيـهِ، وأَنْ تَـتَـفَـانـى

ومراد النفوس (هدفها) أصغر من أن تتعادى فيه (بسببه) وأن يفني بعضها بعضاً

غَـيْـرَ أَنَّ الـفَـتَـى يُـلاقِـي الـمَـنَـايَـا   كَـالِـحَـاتٍ، ولا يُـلَاقِـي الـهَـوَانـا

لكن الفتى يفضل أن يلاقي المنايا كالحات (الميتات وهي عابسات) على أن يلاقي الهوان (الذل)

وَلَـوَ انَّ الـحَـيَـاةَ تَـبْـقَـى لِـحَـيٍّ   لَـعَـدَدْنَـا أَضَـلَّـنَـا الـشُّـجْـعَـانـا

ولو أن الحياة تبقى لأي من الأحياء لاعتبرنا الشجعان أضل الناس (أجهل الناس). فلو كان المرء لا يموت إلا إن قتل قتلاً، فعندئذ يكون الشجاع ضالاً إذ يعرض نفسه لموت كان يمكن أن يتجنبه أبد الآبدين

وإذا لـم يَـكُـنْ مِـنَ الـمـوتِ بُـدٌّ   فَـمِـنَ الـعَـجْـزِ أنْ تَـكُـونَ جَـبَـانـا

ولكننا سنموت جميعاً على أي حال، لهذا فمن التقصير أن تكون جباناً

كُلُّ مَا لم يَكُنْ، مِنَ الصَّعْبِ في الأَنْـ   ـفُـسِ، سَـهْـلٌ فِـيـهـا إذا هُـوَ كـانـا

كل شيء لم يكن (يحدث) بعدُ صعب على النفس، فإذا كان (وقع) صار سهلاً

١٠٥ المتحكم في الأفلاك

قال المتنبي يذكر قيام شبيب العقيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمئة: ٤/ ٢٧

عَـدُوُّكَ مَـذْمُـومٌ بِـكُـلِّ لِـسَـانِ   ولـوْ كـانَ مِـنْ أعـدائِـكَ الـقَـمَـرانِ

عدوك يذمه الجميع، حتى لو كان القمر والشمس، لأنك محبوب جداً

ولِـلَّـهِ سِـرٌّ فـي عُـلاكَ، وإنَّـمـا   كَـلامُ الـعِـدَى ضَـرْبٌ مِـنَ الـهَـذَيـانِ

لله سر في علاك (مجدك) وكلام أعدائك هذيان

أَرِدْ لي جَمِيلاً، جُدْتَ أو لم تَجُدْ بِهِ   فَـإنَّـكَ مَـا أَحْـبَـبْـتَ فِـيَّ أَتَـانـي

أرد لي (انوِ لي) جميلاً (معروفاً) سواء جدت به (تكرمت به) أم لم تجد، فإن نيتك بمثابة القدر وهي تتحقق، وكل شيء أحببت أن تراه بشأني سيأتيني

لَوِ الفَلَكُ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ   لَـعَـوَّقَـهُ شـيءٌ عَـنِ الـدَّوَرانِ

لو أنك كرهت سعي الفلك الدائر لعوقه شيء وتوقف

١٠٦ الزائرة الخجول

نالت أبا الطيب بمصر حمى، فقال يصفها ويعرِّض بالرحيل عن مصر، وذلك في ذي الحجة سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمئة: ٤٢/٤٢

مَـلُـومُـكُـمَـا يَـجِـلُّ عَـنِ الـمَـلامِ   وَوَقْـعُ فَـعَـالِـهِ فَـوْقَ الـكَـلَامِ

ملومكما (الذي تلومانه) يجل (يرتفع) عن الملام (اللوم) ووقع (أثر) أفعاله فوق (أعلى مستوى) من كلام اللائمين

ذَرَانـي والـفَـلاةَ، بِـلا دَلِـيـلٍ   وَوَجْـهـيَ والـهَـجِـيـرَ، بِـلا لِـثَـامِ

اتركاني والصحراء بلا دليل، واتركا وجهي والهجير (حر الظهيرة) بلا لثام

فَـإنِّـي أَسْـتَـرِيـحُ بِـذِي وهَـذَا   وأَتْـعَـبُ بِـالإنَـاخَـةِ والـمُـقَـامِ

فإنني أستريح بذي (بهذه: أي الصحراء) وهذا (الهجير: حر الظهيرة)، وأتعب بالإناخة (الحلول بالمكان)

عُيُونُ رَوَاحِلِي إنْ حِرْتُ عَيْنِي وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي

عيون رواحلي (إبلي) إن حرت (ضللت الطريق وتحيرت) هي عيني، وكل بغام (الأنين المتقطع للناقة) رازحة (ناقة متعبة) هو صوتي، يقول: إنه متوحد مع إبله يهتدي بها، أو يهديها، وأنينها يمثل ما في نفسه من مشاعر. وقد ضرب الشراح في هذا البيت في كل واد، ويبقى المعنى في بطن الشاعر

فقد أَرِدُ المِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقَ الغَمَام

فقد أرد (آتي) المياه بغير هاد (دليل) سوى عدِّي بروق الغمام (السحب)، وهي طريقة لمعرفة مكان هطول المطر

يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وسَيْفِي إذا احْتَاجَ الوَحِيدُ إلى الذِّمَام

يذم (يحفظ العهد والذمة) لمهجتي (لقلبي) ربي وسيفي، هذا إذا احتاج الوحيد إلى ذمام (عهد بالحماية)

ولا أُمْسِي لأَهْلِ البُخْلِ ضَيْفاً وليسَ قِرَىً سِوَى مُخِّ النَّعَامِ

ولا أنزل ضيفاً على البخلاء، حتى وإن كان القرى (الطعام) الوحيد لدي هو مخ النعام (ومخه كرأسه صغير جداً). يقول: لا أنزل على البخيل حتى وإن عدمت كل زاد

ولَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبَّاً جَزَيْتُ عَلى ابْتِسامٍ بِابْتِسَامِ

عندما صار ود الناس خباً (غشاً)، جزيت (كافأت) على الابتسام الخادع بمثله

وصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ

وصرت أشك فيمن أصطفيه (أختاره) لأنني أعلم أنه بعض الأنام (الخلق) فهو إذن مثلهم

يُحِبُّ العَاقِلُونَ على التَّصافي وحُبُّ الجَاهِلِينَ عَلى الوَسَامِ

يحب العاقلون بسبب تصافي القلوب، والجاهلون يحبون على الوسام (المظهر)

وآنَفُ مِنْ أخِي لأَبِي وأُمِّي إذا مَا لم أَجِدْهُ مِنَ الكِرَامِ

آنف من (أترفع عن) أخي الشقيق إذا لم يكن كريم الخلق

أَرَى الأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً عَلى الأوْلادِ أخْلاقُ اللِّئامِ

أخلاق الأجداد تغلبها في أحفادهم ما اكتسبه الأحفاد من أخلاق اللئام

ولَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِأَنْ أُعْزَى إلى جَدٍّ هُمَامِ

لست مكتفياً من الفضل بأن أعزى (أنتسِبُ) إلى جد همام (سيد كريم)

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ويَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهَامِ

عجبت لمن له قد (قامة) وحد (قوة)، ثم ينبو (يخطئ) نبوة القضم الكهام (السيف المتثلم غير القاطع)

وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إلى المَعَالي فَلا يَذَرُ المَطِيَّ بِلا سَنَامِ

وعجبت ممن يجد طريق المعالي (الأمجاد) فلا يسلكها ولا يترك مطيته (ناقته) وقد ذاب سنامها من طول السير. يقول: من وجد طريق المجد فليمش فيه، وليبذل كل شيء وليتعب ناقته وليترك سنامها يذوب

ولم أَرَ في عُيُوبِ النَّاسِ شَيئاً كَنَقْصِ القَادِرِينَ على التَّمام

أكبر عيب في البشر قلة القادرين على إكمال المعروف، فهم يحسنون للمرء إحساناً ناقصاً

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ، فَلا وَرَائي تَخُبُّ بِيَ الرِّكَابُ، ولا أَمَامي

أقمت في مصر فلا أمامي ولا ورائي تخب الركاب (تسير الأبل). أي: حالي واقفة بمصر

ومَلَّنِيَ الفِرَاشُ، وكانَ جَنْبي يَمَلُّ لِقَاءَهُ في كُلِّ عَامِ

ملني الفراش وكان جنبي يمل من الفراش ويكرهه رغم أنني لا أنام عليه إلا مرة في العام، فقد كان نومي متقطعاً وأنا أسير في البوادي

قَلِيلٌ عَائِدي، سَقِمٌ فُؤادي كَثِيرٌ حَاسِدِي، صَعْبٌ مَرَامي

قليل عائدي (زواري في مرضي قليلون)، سقم (مريض) قلبي من إحباطه، وحسادي كثيرون، ومرامي (هدفي) صعب

عَلِيلُ الجِسْمِ، مُمْتَنِعُ القِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ المُدَامِ

جسمي عليل ولا أقوى على القيام، وسكري شديد لكن بغير المدام (الخمر)

وزَائِرَتي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إلَّا في الظَّلامِ

وزائرتي (الحمى، السخونة التي تعتاده) كأنها خجلة، فلا تزورني إلا في الظلام

بَذَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ والحَشَايَا فَعَافَتْهَا، وبَاتَتْ في عِظَامي

بذلت لها (أعطيتها) المطارف (الملابس) والحشايا (المساند المحشوة)، فعافتها (رفضتها) وباتت داخل جسمي وفي عظامي

يَضِيقُ الجِلْدُ عَنْ نَفَسي وعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ

جلدي يضيق فهو لا يتسع لتنفسي وللحمى، لذا فتنفسي ضعيف، ولكن الحمى مع ذلك توسع (تملأ) جسمي بأنواع السقام (المرض)

كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُها، فَتَجْري مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ

كأن الصبح يطردها عني، فتتألم لفراقي فتجري مدامعها بأربعة (أطراف العينين الأربعة) سجام (جارية). ودموعها العرق الذي يسيل منه صباحاً

إذا ما فـارَقَـتْـنـي، غَـسَّـلَـتْـنـي   كـأنَّـا عـاكِـفَـانِ عـلـى حَـرَامِ

عندما تفارقني الحمى تغمرني بالعَرَق، فكأن ذلك اغتسال بعد ممارسة محرمة مع تلك الزائرة

أُرَاقِـبُ وقْـتَـهَـا (مِـنْ غَـيْـرِ شَـوْقٍ)   مُـرَاقَـبَـةَ الـمَـشُـوقِ الـمُـسْـتَـهَـامِ

أراقب وقتها (أنتظر زيارتها) كانتظار المشتاق المستهام (الهائم) لعشيقته لكنْ مع فارق.. أراقب الحمى بدون شوق

ويَـصْـدُقُ وَعْـدُهَـا، والـصِّـدْقُ شَـرٌّ   إذا أَلْـقَـاكَ فـي الـكُـرَبِ الـعِـظَـامِ

ويصدق وعد الحمَّى فتجيء، والصدق شر إذا رماك في الكرب (المصائب) العظام (العظيمة)

أَبِـنْـتَ الـدَّهْـرِ! عِـنْـدي كُـلُّ بِـنْـتٍ   فَـكَـيـفَ وَصَـلْـتِ أَنْـتِ مِـنَ الـزِّحَـامِ

يا بنت الدهر (أيتها المصيبة)! أنا عندي كل مصيبة، فكيف وصلت أنت في زحمة المصائب المجتمعة على قلبي؟

جَـرَحْـتِ مُـجَـرَّحَـاً لـم يَـبْـقَ فـيـهِ   مَـكَـانٌ لِـلـسُّـيُـوفِ ولا الـسِّـهَـامِ

ألا يَـا لَـيْـتَ شِـعْـرَ يَـدِي أَتُـمْـسـي   تَـصَـرَّفُ فـي عِـنَـانٍ أو زِمَـامِ

متى تصبح يدي متصرفة في عنان (مقود الفرس) أو زمام (مقود الناقة) فأرحل عن هذا المكان؟

وهَـلْ أَرْمـي هَـوَايَ بِـرَاقِـصَـاتٍ   مُـحَـلَّاةِ الـمَـقَـاوِدِ بـالـلُّـغَـامِ

وهل سيأتي يوم أكلف فيه النياق الراقصات فوق الرمل التي تتزين مقاودها (أعنتها) باللغام (الزَّبَد) بتحقيق رغبتي في الرحيل؟ يتلذذ بتخيل النياق ترقص به وهو يغادر مصر، ويرى الزبد الذي يخرج من أفواهها ويسيل على أزمتها زينة لها. يحسن بنا أن نفهم «الراقصات» على أنها راقصات فالصورة جميلة؛ وأما الرقص في المعجم القديم فهو (ضرب من سير النياق)

فَـرُبَّـتَـمَـا شَـفَـيْـتُ غَـلِـيـلَ صَـدْري   بِـسَـيْـرٍ، أو قَـنَـاةٍ أو حُـسَـامِ

فربتما (ربما) شفيت غليل (عطش) صدري بسير في الصحراء أو بقناة (رمح) أو حسام، فهذا هو ما أحب

وضَـاقَـتْ خُـطَّـةٌ فَـخَـلَـصْـتُ مِـنْـهَـا   خَـلاصَ الـخَـمْـرِ مِـنْ نَـسْـجِ الـفِـدَامِ

وربما ضاقت علي خطة (أمر)، فخلصت منها كما يخلص الخمر من نسج الفدام (قماشة المصفاة)

وفَـارَقْـتُ الـحَـبِـيـبَ بِـلا وَدَاعٍ   ووَدَّعْـتُ الـبِـلادَ، بِـلا سَـلامِ

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ: أَكَلْتَ شَيْئاً؟   ودَاؤُكَ فـي شَـرَابِـكَ والـطَّـعَـامِ

يسألني طبيبي إن كنتُ أكلتُ شيئاً، ويقول إن الداء أصله من الأكل والشرب

وَمَــا فــي طِـبِّــهِ أَنِّــي جَــوَادٌ   أَضَــرَّ بِـجِـسْـمِـهِ طُـولُ الـجَـمَـامِ

وليس موجوداً في طبه أنني حصان أصيل ألحق الضرر بجسمه طول الجمام (الاستراحة)

تَـعَـوَّدَ أنْ يُـغَـبِّـرَ فـي الـسَّـرايَـا   ويَـدْخُـلَ مِـنْ قَـتَـامٍ فـي قَـتَـامِ

تعود هذا الحصان أن يغبر في السرايا (الكتائب)، ويدخل من قتام (غبار) في قتام (غبار)

فَـأُمْـسِـكَ، لا يُـطَـالُ لَـهُ فَـيَـرْعَـى   ولا هُـوَ في الـعَـلِـيـقِ ولا الـلِّـجَـامِ

ثم أُمسك هذا الحصان، فلا يطال له الحبل ليرعى، ولا وُضع رأسه في العليق (المخلاة المعلقة برأس الحصان) ولا في اللجام استعداداً للسفر

فَإِنْ أَمْرَضْ، فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي   وإنْ أُحْـمَـمْ، فَـمَـا حُـمَّ اعْـتِـزَامِـي

فإن مرضت فإن صبري لم يمرض، وإن حُممت فعزمي لم يصب بالحمى

وإنْ أَسْـلَـمْ فَـمَـا أَبْـقَـى، ولَـكِـنْ   سَلِمْتُ مِنَ الحِمَامِ إلى الحِمَامِ

فإذا سلمت بعد هذا المرض وعشت فلن أخلد، سلمت من الموت إلى الموت

تَـمَـتَّـعْ مِـنْ سُـهَـادٍ أوْ رُقَـادٍ   ولا تَـأْمَـلْ كَـرىً تَـحْـتَ الـرِّجَـامِ

تمتع يا هذا من السهاد (السهر والنعاس) والرقاد، فلا كرى (نوم) تحت الرجام (حجارة القبر)

فَـإِنَّ لِـثَـالِـثِ الـحَـالَـيْـنِ مَـعْـنـىً   سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ والـمَـنَـامِ

فثالث الحالين، سوى السهاد والرقاد، وهو الموت له معنى مختلف تماماً عن الانتباه (اليقظة) والنوم

١٠٧ خير جليس

قال المتنبي يمدح كافوراً، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمئة، وهي آخر ما أنشده، ولم يلقه بعدها: ٢٦/ ٤٣

مُنَىً كُنَّ لي أَنَّ البَيَاضَ خِضَابُ   فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ القُرُونِ شَبَابُ

منى (أمنيات) كانت لي في سن الشباب أن يكون هناك خضاب (صبغ) أبيض للشعر، فأصبغ شعري به لتبييض القرون (الخصلات) وإخفاء صغر السن

لَـيَالِيَ عَـنْـدَ الـبِـيضِ فَوْدَايَ فِتْنَةٌ   وفَخْرٌ، وذَاكَ الـفَـخْـرُ عِـنْـدِيَ عَـابُ

هذا الشعور خالجني لياليَ (في زمن) كان فوداي (سالفايَ) فيه فتنة عند البيض (النساء البيض) وفخراً لأي شاب، ولكنني كنت أرى سواد السوالف عاباً (عيباً)

وفي الجِسْمِ نَفْسٌ لا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ   ولـو أَنَّ مـا فـي الـوَجْـهِ مِنْهُ حِرَابُ

نفسي لا تشيب بشيب شعري، حتى لو انغرست في الوجه، بدل الشعرات البيض، الحراب (السكاكين)

لـهَـا ظُـفُـرٌ، إنْ كَـلَّ ظُـفْـرٌ أُعِـدُّهُ، وَنَـابٌ، إذا لـم يَـبْـقَ في الـفَـمِ نـابُ

لنفسي ظُفُرٌ إن كلَّ (ضعف) ظفر أُعِدُّه (أهيئه للمواجهة)، ولها ناب إذا لم يبق في فمي أنياب. يقول: في نفسي من العزم ما يعوض فقدي قوة الجسم

يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ ما شاءَ، غَيْرَهـا وأَبْلُغُ أَقْصَى الـعُـمْـرِ وَهْـيَ كَـعَـابُ

يغير الدهر مني ما يشاء، إلا نفسي، فأنا أبلغ أقصى العمر وهي كَعَاب (شابة)

وإنِّي لَـنَـجْـمٌ تَـهْـتَـدِي صُحْبَتِي بِـهِ إذا حَـالَ مِـنْ دونِ الـنُّـجُومِ سَـحَـابُ

أنا أهدي أصحابي برأيي عندما تختفي طرق الهداية الأخرى، فكأنني النجم يهتدون به عندما تحول السحب دون رؤية النجوم التي يستدلون بها في الصحراء

غَنِيٌّ عَنِ الأوطانِ، لا يَسْتَخِفُّني إلـى بَـلَـدٍ سَـافَـرْتُ عَـنْـهُ إِيـابُ

غني (مستغنٍ) أنا عن الأوطان، ولا يستخفني (يستهويني) الإياب (الرجوع) إلى بلد كنت سافرت عنه

وأَصْدَى، فَلا أُبْدِي إلى الماءِ حَاجَةً ولِلـشَّـمْـسِ فَـوْقَ الـيَـعْـمَلاتِ لُـعَـابُ

وأصدى (أعطش) فلا أبدي حاجة للماء، بينما الشمس تلقي على اليعملات (النياق) لعابها (خيوطاً يراها من يمشي في القيظ نازلةً من الشمس)

ولِـلـسِـرِّ مِـنِّـي مَـوْضِـعٌ لا يَـنـالُـهُ نَـدِيـمٌ، ولا يُـفْـضِـي إلـيـهِ شَـرَابُ

لا ينال النديم الذي يجالسني ما عندي من سر، ولا الشراب (الخمر) يفضي (يؤدي) إلى كشف السر

ولِـلْـخَـوْدِ مِـنِّـي سَـاعَـةٌ، ثـم بَـيْـنَـنَـا فَـلاةٌ إلـى غَـيْـرِ الـلِّـقَـاءِ تُـجَـابُ

وللخود (المرأة الناعمة) مني ساعة ثم تكون بيننا فلاة (صحراء) أجوبها (أقطعها) فلا يكون لقاء بعدها

ومَـا الـعِـشْـقُ إلا غِـرَّةٌ وطَـمَـاعَـةٌ يُـعَـرِّضُ قَـلْـبٌ نَـفْـسَـهُ فَـيُـصَـابُ

العشق غرة (خداع) وطماعة (طمع)، والقلب هو الذي يعرِّض نفسه فيصاب بالعشق

وغَـيْـرُ فُـؤادِي لِـلْـغَـوانـي رَمِـيَّـةٌ وغَـيْـرُ بَـنَـانـي لـلـزُّجَـاجِ رِكَـابُ

غير فؤادي للغواني (الجميلات) رمية (هدف)، وغير بناني (أصابعي) للزجاج (يعني الكأس) ركاب (مطية). يقول: فؤادي ليس هدفاً يصاب بسهام ترميها الحسان، وأصابعي لا تحمل كأس خمر

تَـرَكْـنَـا لِأَطْـرَافِ الـقَـنَـا كُـلَّ شَـهْـوَةٍ فَـلَـيْـسَ لَـنَـا، إلَّا بِـهِـنَّ، لِـعَـابُ

تركنا كل الشهوات لكي نتفرغ لأطراف القنا (الرماح)، فنحن لا لعاب (لعب) لنا إلا بالسلاح

أَعَزُّ مَكَانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ وخَيْرُ جَلِيسٍ في الزَّمانِ كِتَابُ

أعز (أمنع وأحصن) مكان في الدنى (الدنياوات/ يعني الدنيا) سرج سابح (فرس)، وخير جليس كتاب

وبَحْرُ أبي المِسْكِ الخِضَمُّ الذي لَهُ   على كُلِّ بَحْرٍ، زَخْرَةٌ وعُبَابُ

بحر أبي المسك (كافور) هو البحر الخضم (الكثير الماء) الذي له، أكثر من كل بحر آخر، زخرة (تدافُعُ الماء) وعباب (ارتفاع الموج)

أَرَى لي، بِقُرْبِي مِنْكَ، عَيْنَاً قَرِيرَةً   وإنْ كانَ قُرْباً بِالبِعَادِ يُشَابُ

عيني قريرة (باردة بلا دمع) بقربك، وإن كان القرب منك يشاب (يخلط) بالبعاد لعدم تلبيتك مطلبي

وهَلْ نَافِعِي أنْ تُرْفَعَ الحُجْبُ بَيْنَنَا   ودُونَ الذي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ

هل ينفعني أن تسمح لي بالدخول عليك كما أشاء، بينما يحول دون ما أؤمله منك حجاب هو تقاعسك عن تلبية طلبي؟

أُقِلُّ سَلامي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمُ   وأَسْكُتُ، كَيْمَا لا يَكونَ جَوَابُ

أقلل من القدوم للتسليم حباً في التخفيف عنكم، وأسكت كيما (كي) لا أكلفكم الجواب

وفي النَّفْسِ حاجاتٌ، وفِيكَ فَطَانَةٌ   سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَها وخِطَابُ

وفي نفسي حاجات، وفيك فطانة (ذكاء)، وسكوتي هو بمثابة بيان (إفصاح) وخطاب (كلام) يشرح حاجاتي

ومَا أَنَا بِالبَاغِي على الحُبِّ رِشْوَةً   ضَعِيفُ هَوىً يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ

لست أبغي (أريد) رشوة منك لأنني أحبك، فالحب الضعيف هو الذي يُطلَبُ عليه الثواب (المكافأة)، أي أن حبي لك خالص من المصلحة. تسويد البيتين لأحمد عبد الرحيم

ومَا شِئْتُ إلَّا أنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي   على أنَّ رَأْيِي في هَوَاكَ صَوابُ

وكل ما أريده هو أن أثبت لعواذلي (حاسداتي) أنني كنت على صواب عندما وضعت أملي فيك

وأُعْلِمَ قَوْماً خَالَفُونِي فَشَرَّقُوا   وغَرَّبْتُ، أَنِّي قد ظَفِرْتُ، وخَابُوا

وأردت أن أُفهم الناس الذين خالفوني، فرحلوا شرقاً بينما انا رحلت غرباً إلى مصر، أنني ظفرت (نجحت) وخابوا هم

جَرَى الخُلْفُ إلَّا فِيكَ: أَنَّكَ وَاحِدٌ   وأَنَّكَ لَيْثٌ، والمُلوكُ ذِئَابُ

الخلف (اختلاف الرأي) موجود في كل شيء إلا في حقيقة أنك متفرد متميز، وأنك ليث (أسد) والملوك الآخرين ذئاب

إذا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فَالمالُ هَيِّنٌ   وكُلُّ الذي فَوْقَ التُّرَابِ تُرابُ

إذا نلت ودك فالمال هين (تافه)، وكل ما فوق التراب تافه كالتراب. تسويد أ. عبد الرحيم

ومَا كُنْتُ، لَوْلا أَنْتَ، إلَّا مُهَاجِراً   لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وصِحَابُ

ولولا أنت لما كنتُ أنا إلا مهاجراً، في كل يوم له بلد جديد وأصحاب جدد

ولَـكِـنَّـكَ الـدُّنـيـا، إلَـيَّ حَـبِـيـبـةٌ فَـمَـا عَـنْـكَ لـي إلّا إلـيـكَ ذَهَـابُ

ولكنك أنت الدنيا، وهي حبيبة إلى نفسي، فليس لي أن أذهب عنك إلا إليك، والدنيا لا يسع أحداً أن يخرج منها

١٠٨ لولا المشقة ساد الناس كلهم

قدِم أبو شجاع فاتك، المعروف بالمجنون، من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب، وحمل إليه هديةً قيمتها ألف دينار، فقال يمدحه: ٩/ ٤٦

لا خَـيْـلَ عِـنْـدَكَ تُـهْـدِيـهَـا ولا مَـالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ، إنْ لم تُسْعِدِ الحَالُ

يخاطب المتنبي نفسه: لا خيل عندك تهديها أيها الشاعر ولا مال، فليسعدك (ليساعدك) النطق إن لم تساعدك حالتك المادية

واجْزِ الأَميرَ الـذي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ، ونُعْمَى النَّاسِ أقوالُ

واجز (كافئ) الأمير الذي نعماه فاجئة جاءت بغير قول (مكرمته تلقائية بلا وعد مسبق)، بينما مكرمات الناس أقوال. تعريض بكافور الذي يعد ولا يفي

ومَـا شَـكَـرْتُ لِأنَّ الـمـالَ فَـرَّحَـنـي سِـيَّـانَ عِـنْـدِيَ إكْـثَـارٌ وإقْـلالُ

لـكِـنْ رَأَيْـتُ قَـبِـيـحَـاً أَنْ يُـجَـادَ لَـنـا وأنَّـنَـا بِـقَـضَـاءِ الـحَـقِّ بُـخَّـالُ

قبيح أن يجاد لنا (يبذل لنا المال) ونكون بُخّالاً بقضاء حق الشكر

لا يُـدْرِكُ الـمـجـدَ إلَّا سَـيِّـدٌ فَـطِـنٌ، لِـمَـا يَـشُـقُّ عـلـى الـسَّـادَاتِ فَـعَّـالُ

لا يحقق المجد إلا سيد فطن (نبيه) فعالٌ لما يشق (يصعب) حتى على السادات

لَـوْلا الـمَـشَـقَّـةُ سـادَ الـنَّـاسُ كُـلُّـهُـمُ الـجـودُ يُـفْـقِـرُ، والإقْـدَامُ قَـتَّـالُ

لولا المشقة (الصعوبة) لأصبح كل الناس أسياداً، فالجود يفقر المرء والإقدام (الشجاعة) تؤدي إلى القتل

وإنَّـمَـا يَـبْـلُـغُ الإنـسـانُ طـاقَـتَـهُ مَـا كُـلُّ مَـاشِـيَـةٍ بِـالـرَّحْـلِ شِـمْـلالُ

وكل إنسان يبلغ من السيادة بقدر ما يطيق، وليست كل ناقة ماشية وفوقها الرحل (الخرج) شملال (خفيفة سريعة).

إنَّـا لَـفِـي زَمَـنٍ تَـرْكُ الـقَـبِـيـحِ بِـهِ مِـنْ أَكْـثَـرِ الـنَّـاسِ إحْـسَـانٌ وإجْـمَـالُ

نحن في زمن رديء، ومجرد ترك الفعل القبيح، من جانب معظم الناس، هو إحسان وإجمال (صنع الجميل)

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي، وحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ، وفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ

سمعة الفتى هي العمر الثاني له بعد موته، وحاجته تقتصر على ما يقوته من أكل، وفضول العيش (الكماليات) هي انشغالات لا ضرورة لها

١٠٩ ويزيدني غضب الأعادي قسوة

توفي أبو شجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاثمئة، فقال المتنبي يرثيه بعد خروجه منها: ٢٤/٤١

الحُزْنُ يُقْلِقُ، والتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ ... والدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

أحس توتراً من الحزن ثم يردعني التجمل (التصبر)، وبين الحالين فدمعي عصي (ممتنع) وطيع (سهل النزول)

يَتَنازَعانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ ... هَذا يَجِيءُ بِها، وهَذا يَرْجِعُ

هاتان الحالان تتنازعان دموع عين رجل مسهد (ساهر)، حال تجيء بالدموع وحال تَرجعها إلى مكانها داخل العين

النَّوْمُ بَعْدَ أبي شُجَاعٍ نَافِرٌ ... واللَّيْلُ مُعْيٍ، والكَوَاكِبُ ظُلَّعُ

النوم نفر مني بعد موت أبي شجاع، والليل مُعْيٍ (متعب، يسبب الإعياء)، والكواكب ظلع (عرجاء) تسير ببطء والليل لا ينتهي

إنِّي لَأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أَحِبَّتي ... وتُحِسُّ نَفْسي بِالحِمَامِ فَأَشْجُعُ

أحس بالجبن عن فراق الأحبة، وإذا أحسست بدنوي أنا من الحمام (الموت) أشجُع (أكون شجاعاً)

ويَزِيدُني غَضَبُ الأعَادي قَسْوَةً ... ويُلِمُّ بي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ

يزيدني غضب الأعداء علي قسوة في الطباع، ولكن عندما يعاتبني الصديق أجزع (أخاف) من إغضابه

تَصْفُو الحَياةُ لِجَاهِلٍ أو غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى فيها، ومَا يُتَوَقَّعُ

ولِمَنْ يُغالِطُ في الحَقَائِقِ نَفْسَهُ ... ويَسُومُها طَلَبَ المُحَالِ فَتَطْمَعُ

تصفو الحياة أيضاً لمن يغالط نفسه ويسومها (يكلفها) المحال (المستحيل) فتطمع النفس في الخلود، ويعيش هو دائماً على أمل متجدد وكأنه لا يقر بأن كل هذا السعي عبث

أيْنَ الذي الهَرَمانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ، مَا يَوْمُهُ، ما المَصْرَعُ

أين مَن بنى الهرمين، وما شأن قومه، ويومه (يوم موته) ومصرعه (طريقة موته)؟

تَتَخَلَّفُ الآثارُ عنْ أصْحَابِها ... حِيناً، ويُدْرِكُها الفَناءُ فَتَتْبَعُ

تتخلف (تتأخر) الآثار عن أصحابها حيناً (زمناً)، ثم يدركها (يلحقها) الفناء فتتبعهم

لم يُرْضِ قَلْبَ أبي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ ... قَبْلَ المَمَاتِ، ولم يَسَعْهُ مَوْضِعُ

لم يكن يرضي قلب أبي شجاع قبل موته مبلغ (هدف) لشدة طموحه، ولم يكن أي موضع يسع نفسه الكبيرة.

كُـنَّـا نَـظُـنُّ دِيـارَهُ مَـمْـلُـوءَةً ذَهَـبـاً، فَـمَـاتَ وكُـلُّ دَارٍ بَـلْـقَـعُ

ظنناه غنياً، فإذا داره بعد موته بلقع (خالية)

وإذا الـمَـكَـارِمُ والـصَّـوَارِمُ والـقَـنَـا وبَـنَـاتُ أَعْـوَجَ كُـلُّ شـيءٍ يَـجْـمَـعُ

ورأينا المكارم والصوارم (السيوف) والقنا (الرماح) وبنات أعوج (الخيل) هي كل ما جمعه

الـمَـجْـدُ أَخْـسَـرُ والـمكـارِمُ صَـفْـقَـةً مِـنْ أَنْ يَـعِـيـشَ لَـهَـا الـهُـمَـامُ الأَرْوَعُ

المجد والمكارم أخسر صفقة (أتعس حظاً) من أن يعيش لها الهمام (السيد) الأروع (المهيب)

والـنَّـاسُ أَنْـزَلُ فـي زَمَـانِـكَ مَـنْـزِلاً مِـنْ أنْ تُـعَـايِـشَـهُـمْ، وقَـدْرُكَ أَرْفَـعُ

الناس أحط من أن تعيش بينهم

بَـرِّدْ حَـشَـايَ إِنِ اسـتَـطَـعْـتَ بِـلَـفْـظَـةٍ فَـلَـقَـدْ تَـضُـرُّ إذا تَـشَـاءُ وتَـنْـفَـعُ

برد حشاي (قلبي) بكلمة لو تستطيعها، فأنت من كان يضر وينفع. السيد عند العرب ممدوح بأن في يديه النفع والضرر أيضاً، وترسخت هذه الفكرة عندما صار السيد والياً أو أميراً

يَـا مَـنْ يُـبَـدِّلُ كُـلَّ يَـوْمٍ حُـلَّـةً أَنَّـى رَضِـيـتَ بِـحُـلَّـةٍ لا تُـنْـزَعُ؟

يا من كنت تبدل في كل يوم حلةً (ثوباً)! أنى (كيف) رضيت بثوب لا تنزعه (يقصد الكفن)

ما زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلى مَنْ شَاءَهَا حتى لَبِسْتَ الـيومَ مَـا لا تَـخْـلَعُ

ظللت تخلع ثوبك وتعطيه لمن طلبه، حتى لبست اليوم ثوباً لن تخلعه أبداً، وهو الكفن

مـا زِلْـتَ تَـدْفَـعُ كُـلَّ أَمْـرٍ فَـادِحٍ حَـتَّـى أَتَـى الأَمْـرُ الـذي لا يُـدْفَـعُ

ظللت تدفع كل أمر فادح (مصيبة) حتى أتاك أمر لا سبيل إلى دفعه (الموت)

فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ، لا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ فـيـمَـا عَـرَاكَ، ولا سـيـوفُـكَ قُـطَّـعُ

فظللت تنظر والموت يقترب منك، فلا رماحك شرع (مُشرعة مسددة) في الأمر الذي عراك (انتابك)، ولا سيوفك قطّع (قاطعة) فيه

ومَنِ اتَّخَذْتَ عَلى الضُّيوفِ خَلِيفَةً ضَـاعـوا، ومِـثْـلُـكَ لا يَـكَـادُ يُـضَـيِّـعُ

من جعلت بعد موتك خليفة ليكرم الضيوف؟ لقد ضاع الضيوف، وكنت لا تضيع أحداً

قُـبْـحَـاً لِـوَجْـهِـكَ يَـا زَمَـانُ! فَـإِنَّـهُ وَجْـهٌ لَـهُ مِـنْ كُـلِّ قُـبْـحٍ بُـرْقُـعُ

قبحا لوجه الزمان فله من كل القبائح برقع (قناع)

أَيَـمُـوتُ مِـثْـلُ أَبـي شُـجَـاعٍ فَـاتِـكٍ ويَـعِـيـشُ حـاسِـدُهُ الـخَـصِـيُّ الأَوْكَـعُ

أيموت مثل أبي شجاع ويعيش حاسده الخصي (المستأصَل الخصيتين) الأوكع (المنحرف إصبع القدم نحو الداخل/ وتلك صفة أقدام العبيد والإماء لكثرة الكدح)، يهجو كافوراً

أَيْـدٍ مُـقَـطَّـعَـةٌ حَـوَالَـيْ رَأْسِـهِ وَقَفَاً يَصِيحُ بِهَا: أَلَا مَنْ يَصْفَعُ؟

الأيدي حول رأس كافور كأنها مقطوعة لأنها لا تستطيع صفعه، بينما قفا عنقه يصيح: هيا اصفعوني؛ فكافور بمصر متحكم بالبلد، وكبار أهل مصر مقطوعو الأيدي، لا يفعلون ما يجب فعله لتنحيته عن السلطة

أَبْـقَـيْـتَ أَكْـذَبَ كَـاذِبٍ أَبْـقَـيْـتَـهُ وأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقولُ ويَسْمَعُ

أبقيت أيها الزمان أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم على قيد الحياة، وأخذت أصدق إنسان

١١٠ أتينا زماننا في شيخوخته

قال المتنبي بالكوفة يرثي أبا شجاع فاتكاً، ويذكر مسيره عن مصر: ١٨/ ٣٩

حتَّامَ نَحْنُ نُسَاري النَّجْمَ في الظُّلَمِ وَمَـا سُـرَاهُ عَـلـى خُـفٍّ ولا قَـدَمِ

حتى متى نساري النجم (نصاحب النجم في سير الليل) وليس سراه (سيره الليلي) على خف (قدم البعير) ولا على قدم، فالنجم لا يتعب ونحن نتعب من السير

تُسَوِّدُ الشمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ولا تُـسَـوِّدُ بِـيضَ الـعُـذْرِ والـلِّـمَـمِ

في سير النهار تسود الشمس وجوهنا البيض، ولكنها لا تسود العذر (السوالف) واللمم (الشعر) التي وَخَطها الشيب

لا أُبْغِضُ العِيسَ، لَكِنِّي وَقَيْتُ بِها قَلْبِي مِنَ الحُزْنِ، أو جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ

لست أُتْعِب العيس (الإبل) لأنني أبغضها، ولكنني بواسطتها وقيت (حميت) قلبي من الحزن، وحميت جسمي من السقم (المرض). فالمتنبي يمرض إذا طالت إقامته بمكان

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ والعَلَمِ

طردت من مصر أيدي العيس (الإبل) بأرجلها (جعلتها تسرع فكأن قوائمها الخلفية تطرد نحو الأمام قوائمها الأمامية)، حتى مرقت بنا (مرت بسرعة) من جوش والعلم (من هذين المكانين)

لا فَـاتِـكٌ آخَـرٌ في مِـصْـرَ نَـقْـصِـدُهُ ولا لَـهُ خَـلَـفٌ في الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمِ

لم يعد في مصر فاتك آخر، بعد موت فاتك الأسدي، حتى نقصده؛ وليس لفاتك خلف (بديل) في الناس جميعاً

مَنْ لا تُـشَـابِـهُـهُ الأَحْـيَـاءُ في شِـيَـمٍ أَمْسَى تُشَابِهُهُ الأمواتُ في الرِّمَمِ

فاتك الذي لم يكن يشابهه أحد من الأحياء في الشيم (الأخلاق) أصبح وقد شابهه الأموات في الرمم (العظام النخرة)

ما زِلْتُ أُضْحِكُ إبْلِي كُلَّمَا نَظَرَتْ إلى مَنِ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ

ظللت أُضحك إبلي كلما نظرت الإبل إلى الشخص الذي اختضبت (اصطبغت) أخفافها (أقدامها) بدم.. وهي تمشي للوصول إليه. يقول: إبلي تضحك مني إذ أرهقها وأدمي أخفافها للوصول إلى أمير لا يستحق مشقة الرحلة

أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ: أُشَاهِدُهَا ولا أُشَاهِدُ فيها عِفَّةَ الصَّنَمِ

أُسير إبلي بين أمراء كالأصنام، أراهم ولا أرى فيهم عفة الصنم (فالصنم عفيف لا يأتي ذنباً) والحكام معبودون كالأصنام لكنهم يرتكبون الموبقات

حتَّى رَجَعْتُ وأَقْلامِي قَوَائِلُ لِي: المَجْدُ لِلسَّيفِ، ليس المجدُ للقلمِ

حتى رجعت وأقلامي تقول لي: المجد للسيف وحده لا لأصحاب القلم، فالقلم لا يأتي بمجد

أُكْتُبْ بِنَا أَبَدَاً، بَعْدَ الكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالخَدَمِ

تقول الأقلام: أكتب بنا بعد الكتاب (الكتابة) به (بالسيف)، فالقلم يخدم السيف

ولم تَزَلْ قِلَّةُ الإنصافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ، ولوْ كانُوا ذَوِي رَحِمِ

قلة الإنصاف لم تزل (هي دائماً) قاطعة الوداد بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم (أقارب)

هَوِّنْ عَلى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقَظَاتُ العَيْنِ كَالحُلُمِ

هون على بصرك ما شق منظره (صعُبت رؤيته) من أحوال الناس، فيقظة العين (الحياة الحقيقية) كالحلم، وكل شيء تافه في هذه الدنيا

ولا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ، فَتُشْمِتَهُ، شَكْوَى الجَرِيحِ إلى الغِرْبَانِ والرَّخَمِ

ولا تشكَّ (لا تشتكِ) إلى أي مخلوق فيشمت بك، فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الغربان والرخم (النسور) التي تنتظر موته لتأكل لحمه وهو قاعد يشكو إليها حاله. وتريد أقوى من هذا البيت؟ نقول الكثير عن المتنبي ونشتكي من حمقه ومن تناقضه، ويأتينا ببيت كهذا البيت فماذا نقول؟ قرأت قبل سويعة قول ابن شرف القيرواني وهو يصف أبا تمام والبحتري ثم يرفعهما رفعاً عن صاحبنا، والآن أتمنى لو يكون ذلك الناقد القديم حياً لأدس هذا البيت تحت أنفه وأقول له: انظر يا هذا. يا ابن شرف! يشكو المرء ما حل به من سوء حال إلى زملاء له في العمل، فيهزون رؤوسهم رياء، ويُظهرون التوجع لحاله؛ ولسان ضميرهم يقول: زادك الله مما بك، ولتذهب في داهية حتى نحسِّن وضعنا بعدك. فهو يشكو حاله إليهم شكوى الجريح حاله إلى النسور التي تنتظر الانقضاض على جثته

وكُنْ عَلى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ولا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ

احذر الناس واستر حذرك، ولا تغتر منهم بثغر (فم) مبتسم لك

غَـاضَ الـوَفَـاءُ، فَـمَـا تَلْـقَـاهُ في عِـدَةٍ   وأَعْوَزَ الصِّدْقُ في الإخْبَارِ والقَسَمِ

غاض (اضمحل) الوفاء فما تلقاه في عدة (وعد)، وأعوز (انعدم) الصدق في نقل الخبر وفي القسم

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسي! كيفَ لَذَّتُهَا   فِـيـمَـا الـنُّـفُـوسُ تَـرَاهُ غَـايَـةَ الألَـمِ

سبحان من خلقني، وكيف أن لذة نفسي هي في الأمور التي تراها النفوس الأخرى مؤلمة غاية الألم

وَقْـتٌ يَـضِـيـعُ، وعُـمْـرٌ لَـيْـتَ مُـدَّتَـهُ   فـي غَـيْـرِ أُمَّـتِـهِ مِـنْ سَـالِـفِ الأُمَـمِ

هذا وقت يضيع، وعمر يذهب سدى، فليتني أنفقت عمري في أمة من الأمم السالفة غير هذه الأمة

أَتَـى الـزَّمَـانَ بَـنُـوهُ فـي شَـبِـيـبَـتِـهِ   فَـسَـرَّهُـمْ، وأَتَـيْـنَـاهُ عـلـى الـهَـرَمِ

الماضون من أبناء الزمن (البشر) جاءوا إلى الزمن وهو في شبابه فعاشوا عيشة كريمة وسرهم الزمان، ونحن أتيناه وهو هرم (شيخ فانٍ)

١١١ ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة

قال المتنبي يهجو كافوراً، وكان قد نظر إلى شقوقٍ في رجليه: ٩/ ١٠

أُرِيكَ الرِّضَى، لَوْ أَخْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا   ومَا أَنَا عَنْ نَفْسِي ولا عَنْكَ رَاضِيَا

أظهر لك الرضا، هذا لو قدرت نفسي على إخفاء حقيقة مشاعري، ولكنني لست راضياً عن نفسي ولا عنك

أَمَـيْـنَـاً وإِخْـلافَـاً وغَـدْرَاً وخِـسَّـةً   وجُبْنَاً؟ أَشَخْصَاً لُحْتَ لي، أَمْ مَخَازِيَا

أميناً (كذباً) وإخلافاً للوعد وغدراً وخسة وجبناً؟ وكل هذه الصفات فيك. هل أنت إنسان لحت لي (ظهرت لي) أم أنت مجموعة من المخازي؟

تَـظُـنُّ ابْـتِـسَـامَـاتِـي رَجَـاءً وَغِـبْـطَـةً   ومـا أَنَـا إلَّا ضَـاحِـكٌ مِـنْ رَجَـائِـيَـا

تظن ابتساماتي رجاء لكرمك وغبطة بحضوري مجلسك، وما أنا في الواقع إلا ضاحك من هذا الرجاء

وتُعْجِبُني رِجْلاكَ في النَّعْلِ، إنني   رَأَيْـتُـكَ ذا نَـعْـلٍ إذا كُـنْـتَ حَـافِـيَـا

تعجبني رؤية رجليك في النعل، أراهما وأتخيل منظرك حافياً فأراك كأنك منتعل لأن جلد قدميك غليظ كالنعل

وإنَّـكَ لا تَـدْرِي: أَلَـوْنُـكَ أَسْـوَدٌ،   مِنَ الجَهْلِ، أم قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا

ولجهلك لست تدري أأنت أسود أم قد صرت أبيض لمجرد وصولك للحكم

وَيُـذْكِـرُنـي تَـخْـيِـيطُ كَـعْـبِـكَ شَـقَّـهُ ومَشْيَكَ في ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا

يذكرني كعبك المخيَّط ما به من شقوق، وأتذكرك وأنت تمشي عارياً وتحمل الزيت لمالكك تاجر الزيت، والزيت يتصبب على جسمك، فكأنك تلبس ثوباً من الزيت

ولـولا فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحَاً بِمَا كُنْتُ في سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا

ولولا فضول الناس (تدخلهم فيما ليس من شأنهم) لجئتك مادحاً بالصفات التي كنت أهجوك بها في ضميري، فأنت لن تفهم شيئاً من قولي، لكنني لم أفعل لأن الناس قد يبلغونك بما أعنيه

فَإنْ كُنْتُ لا خَيْرَاً أَفَدْتُ، فَإنَّـنـي أَفَدْتُ، بِلَحْظي مِشْفَرَيْكَ، المَلاهِيَا

فإن كنت لم أستفد منك شيئاً، فعلى الأقل استفدت الملاهي (اللهو) بلحظي (بمشاهدتي) مشفريك (شفتيك الغليظتين/ والمشفر للبعير)

ومِـثْـلُـكَ يُـؤْتـى مِـنْ بِـلادٍ بَـعِـيـدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدَادِ البَوَاكِيَا

ومثلك يأتيه الناس من بلاد بعيدة، ولا سيما ربات الحجال (ربات الستور/ النساء) الباكيات كي يضحكن

١١٢ يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

قال المتنبي يهجو كافوراً: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٤/٨

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الكَرَمُ؟ أيْنَ المَحَاجِمُ يا كـافُورُ والجَلَمُ؟

من أي طريق سيأتيك الكرم (علو المنزلة)؟ قل لي: أين المحاجم (قوارير الحجامة) وأين الجلم (المقص)؟ يقال إن الذي كان يملك رق كافور كان حجاماً، وقيل كان زياتاً

جازَ الأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ؛ فَعُرِّفُوا، بِكَ، أنَّ الكَلْبَ فَوقَهُمُ

الذين ملكتهم بكفيك من الناس تجاوزوا قدرهم وتجبروا وظلموا؛ فجاءهم الله بك لكي يعرِّفهم أن الكلب فوقهم قيمة

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمُ وسَادَةُ المُسْلِمِينَ الأَعْبُدُ القَزَمُ

كل قوم ساداتهم منهم، والمسلمون سادتهم العبيد القزم (السفلة)

أَغَايَةُ الدِّينِ أنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ؟ يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الأُمَمُ

يمضي في مخاطبة المسلمين: هل منتهى الدين بالنسبة لكم حَفْوُ الشاربين (أي حَفُّ الشاربين وقصُّهما)؟ يا أمة..

١١٣ الحر يتيم

قال المتنبي يهجو كافوراً: ١٠/١٠

أَمـا فـي هَـذِهِ الـدُّنـيـا كَـرِيـمُ تَـزُولُ بِـهِ عَـنِ الـقَـلْـبِ الـهُـمُـومُ

أَمـا فـي هَـذِهِ الـدُّنـيـا مَـكـانٌ يُـسَـرُّ بِـأَهْـلِـهِ الـجـارُ الـمُـقِـيـمُ

تَشَابَهَتِ البَهَائِمُ والعِبِدَّى عَلَيْنا، والمَوَالِي والصَّمِيمُ

تشابهت (اختلطت) علينا البهائم والعِبِدَّى (العباد)، واختلط الموالي (العبيد) بالصميم (بالأصيلي النسب)

ومَا أَدْرِي: أَذا دَاءٌ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أم داءٌ قَدِيمُ؟

أذا: أهذا

حَصَلْتُ، بِأَرْضِ مِصْرَ، عَلى عَبِيدٍ كَأَنَّ الحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ

كَأَنَّ الأَسْوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ

كأن الأسود اللابي (المنسوب إلى بلدة اللاب بالنوبة) بينهم غراب وحوله الرخم (طيور جارحة خسيسة) وطيور البوم

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ، فَرَأَيْتُ لَهْواً مَقَالِي لِلأُحَيْمِقِ يا حَلِيمُ

بدأت بمدحه فرأيت أنني أمارس ضرباً من اللهو بقولي للأحمق يا حليم

ولَمَّا أنْ هَجَوْتُ، رَأَيْتُ عِيًّاً مَقَالِي لابْنِ آوَى يا لَئِيمُ

ولما هجوته رأيت عياً (نقصاً في الفصاحة) أن أقول لابن آوى: يا لئيم، وأي فصاحة في هجاء رجل بكلام لا يعبر سوى عن بعض ما فيه من لؤم

فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِي ذا وفِي ذا فَمَدْفُوعٌ إلى السَّقَمِ السَّقِيمُ

فهل هناك من يعذرني في الحالين، في مدحه وفي هجائه؟ فأنا كنت مضطراً، والسقيم مدفوع (مجبر) إلى سقمه

إذا أَتَتِ الإسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ ولم أَلُمِ المُسِيءَ، فَمَنْ أَلُومُ؟

وإذا صدرت الإساءة عن شخص وضيع (حقير) ولم أوجه إليه اللوم فمن ألوم إذن؟

١١٤ مرت يد النخاس في رأسه

خرج المتنبي من عند كافور يوماً فقال: ٢/ ١٠

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ ومِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ العَبْدَ عَلى نَفْسِهِ

أنوَك (أشد حمقاً) من العبد ومن عرسه (زوجته/يقصد الأمَة) الذي حكَّم العبد على نفسه، يلوم المتنبي نفسه لأنه قصد كافوراً

فَلا تُرَجِّ الخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ

لا ترجِّ (لا ترجُ) خيراً عند شخص مرت على رأسه يد النخاس (تاجر العبيد)

١١٥ محال ضيمي

استأذن المتنبي كافوراً في الخروج إلى الرملة ليقضي مالاً كتب له به، وإنَّما أراد أن يعرف ما عند كافور في مسيره، فمنعه وحلف عليه أن لا يخرج، وقال: نحن نوجِّهُ من يقضيه لك، فقال في ذلك: ٢/ ٤

إذا سِرْنَا عَنِ الفُسْطَاطِ يَوْماً   فَلَقِّنِيَ الفَوَارِسَ والرِّجَالا

إذا رحلنا عن الفسطاط فلتحاول ما تشاء أن تُتبعني بالرجال والفرسان ليلاقوني ويُرجعوني إليك

لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّي   وأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِي مُحَالا

فسترى أن من المستحيل على أحد أن يلحقني، وستعلم قدر من فارقت مني (بمفارقتك إياي)، وأنك رمت (طلبت) من ظلمي المستحيل

١١٦ أعانه الله وإيانا

قال المتنبي في كافور: ٣/٣

لَوْ كَانَ ذا الآكِلُ أَزْوَادَنَا   ضَيْفَاً لأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا

لو كان هذا الذي يأكل الزاد الذي جئنا به ضيفاً علينا لأوسعناه (لملأناه) إحسانا

لَكِنَّنَا، في العَيْنِ، أضْيَافُهُ   يُوسِعُنَا زُوراً وبُهْتَانَا

لكننا فيما يرى الرائي ضيوفه، وهو يوسعنا (يملأُنا) زوراً (كذباً) وبهتانا (كذباً)

فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا طُرْقَنَا   أَعَانَهُ اللَّهُ، وإيَّانَا

ليته ترك لنا الطريق مفتوحة فنغادره، ويكون كل منا متوكلاً على الله عندئذ

١١٧ لا تشتر العبد إلا والعصا معه

قال المتنبي قبل خروجه من مصر بيوم واحد: ٢٨/ ٣٠

عِيدٌ! بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يا عِيدُ؟   بِمَا مَضَى، أَمْ، لأَمْرٍ، فِيكَ تَجْدِيدُ

إنه عيدٌ! فبأية حال عدت يا عيد! أعدت بما مضى لتتكرر الأحداث، أم لسبب ما، فيك تجديد؟ والسبب الغامض هو رحيل المتنبي سراً في اليوم التالي عن مصر. هذا البيت، الذي يكثر الاستشهاد به كلما جاء العيد، يحمل في صوغه شحنة براءة.. بدأ المتنبي بكلمة عيد.. فهي أول ما يخطر بالبال ليلة العيد، وتنهد بعدها، وسأل: بأية حال عدت إلينا يا عيد؟ هل عدت بالحال الماضية التي نعرفها، وهي البقاء في شبه سجن في مصر؟ أم أنه، لأمر مًّا من الأمور، سيكون لديك تجديد على الحال في هذه المرة، فيمكنني أن أفر من مصر؟

أَمَّا الأَحِبَّةُ، فالبَيْدَاءُ دُونَهُمُ، فَلَيْتَ دُونَكَ بِيداً دُونَها بِيدُ

أما أحبابي فالبيداء (الصحراء) دونهم (بيني وبينهم)، فليت دونك يا أيها العيد بيداً (صحارى) دونها صحارى أخرى. يقول: ليتك يا عيد بعيد عني لأنني لا أفرح بك لبعدي عن أحبتي

لَولا العُلَى لم تَجُبْ بي مَا أجوبُ بِها وَجْنَاءُ حَرْفٌ، ولا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ

لولا السعي للعلى (للمجد) لم تجب (تقطع) بي ما أقطعه أنا بواسطتها من مسافات هذه الوجناء (الناقة الكبيرة الوجنات) الحرف (الناقة القوية)، ولا تلك الجرداء (الفرس القصيرة الشعر) القيدود (الفرس الطويلة). يقول: لولا سعيي للمجد لما قطعت المسافات

وكانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفي مُعَانَقَةً أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الأَمَالِيدُ

وكان يكون أطيب لي من مضاجعة سيفي (النوم وهو بجانبي) مضاجعة من يشبهن رونقه (صفاءه) من الغيد (الجميلات) الأماليد (النواعم)

لم يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلبي ولا كَبِدِي شَيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ، ولا جِيدُ

تتيمه: تلوعه، جيد: عنق

يَا سَاقِيَيَّ! أَخَمْرٌ في كُؤوسِكُمَا أَمْ في كُؤوسِكُمَا هَمٌّ وتَسْهِيدُ

يا ساقيي! هل هذا الذي في الكؤوس خمر أم هم وتسهيد (سهر)؟

أَصَخْرَةٌ أَنا؟ مَا لي لا تُحَرِّكُني هَذِي المُدامُ، ولا هذِي الأَغَارِيدُ

المدام: الخمر، الأغاريد: الأغاني

إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا، وحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ

إذا أردت كميت اللون صافية (الخمر الداكنة ليس لعكورة بل مع كونها صافية) فإنني أجدها، ولكن حبيب النفس مفقود

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيا؟ وأَعْجَبُهُ أَنّي بِمَا أَنا شَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

ما هذا البلاء الذي لقيته من الدنيا؟ وأعجب البلاء أنني محسود على أمور أنا أشكو منها

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ: خَازِناً ويَداً، أَنا الغَنِيُّ، وأَمْوَالي المَوَاعِيدُ

صرت أروح مثر (أكثر الأغنياء راحة): خازني (مُحاسِبي بلغة عصرنا) ويدي مرتاحان، فأنا غني ولكن أموالي هي مجرد مواعيد (وعود)

إنّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ، عَنِ القِرَى وعَنِ التَّرْحَالِ، مَحْدُودُ

حللت بكذابين ضيفهم محدود (ممنوع) من القِرى (طعام الضيف) ومن الترحال

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي، وجودُهُمُ مِنَ اللِّسانِ؛ فَلا كانُوا ولا الجُودُ

كرم الرجال يكون من الأيدي، وأما هؤلاء فكرمهم من اللسان؛ فلا كانوا ولا كان الجود

ما يَقْبِضُ الموتُ نَفْساً مِنْ نُفُوسِهِمُ إلَّا وفي يَدِهِ، مِنْ نَتْنِها، عُودُ

لا يقبض ملاك الموت نفساً من نفوس هؤلاء إلا وبيده عود يتناول به نفوسهم النتنة

أَكُلَّما اغتالَ عبدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ، أو خانَهُ، فَلَهُ في مِصْرَ تَمْهِيدُ

أكلما اغتال العبد سيده أو خانه فله في مصر تمهيد (ترتيب لحكمه بإبداء الطاعة له)؟

صَارَ الخَصِيُّ إِمَامَ الآبِقِينَ بِها فَالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ، والعَبْدُ مَعْبُودُ

صار الخصي إمام (رئيس) العبيد الآبقين (الهاربين) بها (بمصر)، وغدا الحر مستعبداً والعبد معبوداً

نَامَتْ نَواطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ، ومَا تَفْنَى العَنَاقِيدُ

نامت نواطير مصر (أشرافها/ يشبههم بحراس البساتين) وتركت ثعالب البلد تنهب، وبَشِمَت الثعالب (أتخمت)، والعناقيد لا تنفد والنهب مستمر

العَبْدُ لَيسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ في ثِيابِ الحُرِّ مَوْلُودُ

العبد لا يصلح أن يكون أخاً لرجل حر، لو أن هذا الحر مولود حقاً في ثياب الحر (أصيل في حريته)

لا تَشْتَرِ العَبْدَ، إلَّا والعَصَا مَعَهُ إِنَّ العَبِيدَ لأَنْجَاسٌ مَناكِيدُ

أنجاس: قذرون، مناكيد: لا خير عندهم

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بي فِيهِ عَبْدٌ، وَهْوَ مَحْمُودُ
ولا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا وأَنَّ مِثْلَ أَبِي البَيْضَاءِ مَوْجُودُ

ما خطر ببالي أن تخلو البلد من الأشراف، وأن يكون مثل أبي البيضاء (يتهكم بكافور) موجوداً

وأَنَّ ذا الأَسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي العَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ

وما خطر ببالي أن ذا (هذا) الأسود المثقوب مشفره (المشفر: شفة البعير) تطيعه ذي (هذه) العضاريط (الخدم الذين يخدمون مقابل أكلهم) الرعاديد (الجبناء)

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي، ويُمْسِكُنِي لِكَيْ يُقَالَ: عَظِيمُ القَدْرِ مَقْصُودُ

كافور جوعان (كما يقال عن الذي نشأ في الفقر إنه «جوعان» أي طماع)، وهو يأكل من زادي الذي أتيت به، ومع ذلك يمسكني ويمنعني الرحيل لكي يقال إنه عظيم القدر تقصده الشعراء

وَيْلُـمِّـهِا خُـطَّـةً، وَيْـلُـمِّ قَـابِـلِـهَـا لِـمِـثْـلِـهَـا خُـلِـقَ الـمَـهْـرِيَّـةُ الـقُـودُ

ويلمها (وَيْل لأمها) من خطة (حالة)، والويل لأم قابلها (من يقبل بها)، وللفرار من مثل هذه الحالة خلق الله المهرية القود (الأبل الأصيلة الطويلة)

وعِـنْـدَهـا لَـذَّ طَـعْـمَ الـموتِ شَـارِبُـهُ إنَّ الـمَـنِـيَّـةَ عِـنْـدَ الـذُّلِّ قِـنْـدِيـدُ

عندها (بإزاء حالة كهذه) لذ الشخص الشارب طعم الموت (تلذذ به). طعم المنية (الموت) قنديد (عسل القصب) عند حصول الذل

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَـوْمُـهُ الـبِـيـضُ، أَمْ آبَـاؤُهُ الـصِّـيـدُ

من أين للأسود المخصي بالمكارم؟ من قومه البيض (يتهكم بكافور) أم من آبائه الصيد (أجداده الأسياد)؟

أَمْ أُذْنُـهُ فـي يَـدِ الـنَّـخَّـاسِ دَامِـيَـةً أَمْ قَـدْرُهُ، وَهْـوَ بِـالـفَـلْـسَـيْـنِ مَـرْدُودُ

أم علمته المكارم أذنه وهي في يد النخاس (تاجر العبيد) دامية (لكثرة ما يعركها النخاس، أو لأنه يثقبها)، أم علمه المكارم قدره الحقير إذ يساوِمُ فيه المشتري وبسبب زيادة فلسين على الثمن يرده ويرفض شراءه؟

أَوْلَـى الـلِّـئَـامِ كُـوَيْـفِـيـرٌ بِـمَـعْـذِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ، وبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ

أحق اللئام بالعذر في كل لؤم كويفير (كافور)، فهو عبد ولا يلام على ما بدر منه، ولكن بعض العذر تفنيد (توبيخ)، فأنا أعذره لأنه لئيم وليس هذا عذراً حقيقياً

وذَاكَ أَنَّ الـفُـحُـولَ الـبِـيـضَ عَـاجِـزَةٌ عَنِ الجَمِيلِ، فَكَيفَ الخِصْيَةُ السُّودُ

ويفسر لنا كيف يلتمس لكافور عذراً: الفحول (غير المخصيين) البيض (غير العبيد) عاجزون عن الجميل (المكارم)، فكيف بالخصية (المخصيين) السود؟ وكافور رجل ذو همة عالية وذو فهم عميق للبشر، وقد حكم مصر وقطعة من الشام عشرين سنة، وكان عادلاً، ولم يكن متوحشاً كعصره، بل كان ميالاً إلى الحلول الوسط، وكان ذكياً. ورأينا المتنبي يعود لهجائه مرة بعد مرة، في شعر من أقوى الشعر، وهذا الشعر صادق في التعبير عما في نفس المتنبي من تناقضات، وما المتنبي عليه من قلة المبدأ، ولكنه كاذب فيما ادعاه من جهل كافور ومن خسته. ونحن اخترنا هذه القصيدة وكثيراً غيرها لأنها شعر قوي. ولكننا لا نختار أن ندرسها لأطفالنا. قد كنتُ في الصف الثالث الابتدائي عندما كتب لنا معلم الخط على اللوح بيت: «لا تشتر العبد إلا والعصا معه»، فهمت معنى البيت؛ ورأيت ـ حتى في تلك السن الغضة ـ التناقض بين ما كنت عرفته من أن العبيد ناس مظلومون فقدوا حريتهم بالإكراه، والإسلام يقول إن كل الناس ولدوا أحراراً، وبين ما كتبه معلم الخط. لعل الأجدر بنا، ونحن نعرض للطلبة الكبار في السن شعرنا القديم، أن نضعه في إطاره التاريخي والنفسي، فلا نكتفي ببيان ما في الشعر من بلاغة وقوة، بل نلفت النظر إلى ما فيه من تهافت أخلاقي. نقادنا القدامى كانوا أقل احتفالاً بالفصل بين الحق والباطل في نقدهم الشعر. كانوا يدرسونه فنياً لا أخلاقياً

١١٨ ولكنه ضحك كالبكا

قال المتنبي عند وروده إلى الكوفة يصف منازل طريقه، ويهجو كافوراً في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة: ١٨/ ٣٥

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الخَيْزَلَى ... فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الهَيْذَبَى

لتكن كل ناقة تمشي الخيزلى (مشية ثقيلة) فدى لكل ناقة تمشي الهيذبى (مشية سريعة). يقول: فديت الناقة السريعة بالبطيئة، يريد أن يسرع

وكُلِّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ ... خَنُوفٍ، ومَا بِيَ حُسْنُ المِشَى

وفديت كل نجاة (الناقة السريعة التي ينجو بها الإنسان) بجاوية (من بجاوة بالنوبة) خنوف (تقلب خفها في المشي)، وهذا ليس لأنني أحب حُسْن مشي النياق..

ولَكِنَّهُنَّ حِبَالُ الحياةِ ... وكَيْدُ العُدَاةِ، وَمَيْطُ الأَذَى

.. ولكن النياق حبال الحياة، وبهن أكيد العدى بالرحيل عن البلد الظالم، وأميط (أزيل) الأذى الذي يلحق بي

ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ القِما ... رِ، إمَّا لِهَذا وإِمَّا لِذَا

ضربت بالنياق التيه (صحراء سيناء) ضرب القمار (مقامراً)، فإما الفوز وإما الهلاك

فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا ... حَ بَيْنَ مَكَارِمِنَا والعُلَى

فلما أنخنا (نزلنا) ركزنا رماحنا في الأرض مستريحين، قد ركزناها وإلى جانبها المكارم والعلى (المجد) الذي حققناه بالفرار من ظلم كافور

وبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ... ونَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ العِدَى

وصرنا نقبل سيوفنا، ونمسحها من دماء الأعداء الذين قاتلناهم في الطريق

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالعِرَاقِ ... ومَنْ بِالعَوَاصِمِ أَنِّي الفَتَى

كي تعلم مصر وأهل العراق والعواصم (منطقة بشمال سوريا/وهي منطقة سيف الدولة) أنني أنا الفتى

وأَنِّي وَفَيْتُ وأَنِّي أَبَيْتُ ... وأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

.. وأنني وفيت بما عاهدت عليه نفسي من ترك كافور، وأبيْت (رفضت الظلم) وأني عتوت (تجبرت) على من عتا (تجبر)

ومَا كُلُّ مَنْ قَال قَوْلاً وَفَى ... وَلَا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفاً أَبَى

ليس كل من قال وفى، ولا كل من سيم خسفاً (كُلِّف قهراً) رفض القهر

وكــلُّ طَــرِيــقٍ أَتَــاهُ الــفَــتَــى   عَــلى قَــدَرِ الرِّجْلِ فيـهِ الـخُـطَى

بحسب عزم المرء يمضي في تحقيق طموحه

ونَــامَ الــخُــوَيْــدِمُ عَــنْ لَــيْــلِــنَــا   وقــد نَــامَ، قَــبْــلُ، عَــمَــىً لا كَــرَى

فررنا من مصر وقد كان الخويدم (الخادم/كافور) نائماً عنا، وقبل ذلك كان نائماً من عماه (جهله) لا من الكرى (النعاس)

وكــانَ، عــلــى قُــرْبِــنَــا، بَــيْــنَــنــا   مَــهَــامِــهُ مِــنْ جَــهْــلِــهِ والــعَــمَــى

وكان بيني وبين كافور، رغم قربنا، مهامه (صحارى) من جهله وعماه

ومَاذَا بِمَصْرَ مِنَ المُضْحِكَاتِ؟   ولَـكِـنَّـهُ ضَـحِـكٌ كَـالـبُـكَـا..

ماذا يوجد بمصر من المضحكات؟ (الجواب في الأبيات المقبلة). لكن الضحك عليها كالبكاء لأنها من شر البلية

بِــهَــا نَــبَــطِــيٌّ مِــنَ اهْــلِ الــسَّــوَادِ   يُــدَرِّسُ أَنْــسَــابَ أَهْــلِ الــعُــلَا

بمصر نبطي (من النبط الذين كانوا أقناناً/المقصود ابن حنزابة وزير كافور وكان عالماً بأنساب العرب، وهو بغدادي) من أهل السواد (سواد العراق/المنطقة الخصبة بين النهرين وفيها النبط أقنان الأرض) يدرس أنساب أهل العلا (الأشراف)

وأَسْــوَدُ مِــشْــفَــرُهُ نِــصْــفُــهُ   يُــقَــالُ لَــهُ: أنــتَ بَــدْرُ الــدُّجَــى

وبمصر رجل أسود مشفره (شفتاه) نصف جسمه، ويقول له الناس: أنت بدر الدجى

وشِــعْــرٍ مَــدَحْــتُ بِــهِ الــكَــرْكَــدَنَّ ـ   بَــيْــنَ الــقَــرِيــضِ وبَــيْــنَ الــرُّقَــى

ورب شعر مدحت به هذا الكركدن (وحيد القرن/يقصد كافوراً) هو شيء بين القريض (الشعر) والرقى (التعاويذ)، فشعره في كافور كان تعاويذ لتحقيق المصالح

فَــمَــا كــانَ ذَلــكَ مَــدْحــاً لَــهُ   ولَــكِــنَّــهُ كــانَ هَــجْــوَ الــوَرَى

لم يكن شعري فيه مدحاً له بل هجاء للورى (للبشر) الذين يُلجئون شاعراً مثلي لمثل هذا الموقف

ومَــنْ جَــهِــلَــتْ نَــفْــسُــهُ قَــدْرَهُ   رَأَى غَــيْــرُهُ مِــنْــهُ مَــا لا يَــرَى

من اغتر بنفسه عمِيَ عن عيوبه، ورأى الناس فيه خصالاً لا يراها

١١٩ أعددت للغادرين أسيافا

نزل أبو الطيب في أرض حِسْمَى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي، فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب، فجعلوا يسرقون من أمتعته، فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه، وقال في العبد الذي قتله: ٢/٨

أَعْــدَدْتُ لِــلْــغَــادِرِيــنَ أَسْــيَــافَــا   أَجْــدَعُ مِــنْــهُــمْ، بِــهِــنَّ، آنَــافَــا

أعددت للغادرين سيوفاً أجدع (أقطع) بها أنوفهم

إذا امْـرُؤٌ رَاعَـنـي بِـغَـدْرَتِـهِ　　أَوْرَدْتُـهُ الـغَـايَـةَ الـتـي خَـافَـا

إذا فاجأني شخص بغدرة، أوردته (أرسلته) إلى الغاية التي يخاف منها وهي الموت

١٢٠ ولا بد دون الشهد من إبر النحل

قال يمدح أبا الفوارس دِلِّير بن لَشْكَرَوَزّ، وكان قد أتى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب، وانصرف الخارجي قبل وصول دلير إليها: ٩/ ٤٠

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ العَقْلِ　　ومَنْ ذَا الذي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ

أيتها اللائمة دعواك (ادعاؤك) صحة العقل يدعيه كل الناس، ومن الذي يعرف ما لديه من جهل؟

تَقُولِينَ: مَا في الناسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ　　جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ، تَجِدِي مِثْلِي

جدي: اعثري على

مُحِبٌّ كَنَى بِالبِيضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ　　وبِالحُسْنِ في أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ

أنا محب كنى (عبر كنايةً) بلفظ «البيض» عن المرهفات (السيوف الحادة)، وبالحسن في أجسام الجميلات عن صقل السيف. يقول: عندما أتغزل «بالبيض» فإنما أعني السيوف، وعندما أصفهن بالحسن فإنما أعني الصقل في السيوف

وبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ القَنَا، غَيْرَ أَنَّنِي　　جَنَاهَا أَحِبَّائي، وأَطْرَافُهَا رُسْلِي

وعبرت بكلمة «السمر» عن القنا (الرماح) السمر، ولكن أحبائي الحقيقيين هم جنى الرماح (ثمرتها)، وثمرة الرماح المجد، ورسلي إلى المجد هي أطراف الرماح المدببة

عَدِمْتُ فُؤادَاً لم تَبِتْ فِيهِ فَضْلَةٌ　　لِغَيْرِ الثَّنَايَا الغُرِّ، والحَدَقِ النُّجْلِ

عدمت القلب الذي لم تعد فيه فضلة (بقية) إلا للثنايا الغر (الأسنان البيض) والحدق النجل (العيون الواسعة). يقول: ليتني أعدم قلبي إن كان لا يحب إلا النساء

ذَرِينِي أَنَلْ مَا لا يُنَالُ مِنَ العُلَى　　فَصَعْبُ العُلَى في الصَّعْبِ والسَّهْلُ في السَّهْلِ

اتركيني أيتها اللائمة أنال ما لا يقدر أحد أن يناله من العلى (المجد)، فالأمجاد الكبيرة صعبة، والصغيرة سهلة

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ المَعَالِي رَخِيصَةً　　ولا بُدَّ، دُونَ الشَّهْدِ، مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ

تريدين مني لقيان (الحصول على) المعالي (الأمجاد) رخيصةً! ولكن لا بد للحصول على الشهد من احتمال لسعات النحل

أَرَادَتْ كِــلابٌ أنْ تَـفُــوزَ بِــدَوْلَــةٍ   لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشُّوَيْهاتِ والإبْلِ

أرادت قبيلة كلاب أن تكون لها دولة وأن تستقل بشؤونها. بالله عليكم لمن تركت هذه القبيلة رعي الشويهات (الماعز) والإبل؟ يسخر من الأعراب وهو يمدح رجلاً فارسياً. وسنراه يكرر هذا في مدحه لفارسي آخر هو ابن العميد. فرويدكم أيها المحبونَ المتنبي للعروبة! لا تقولوا إنه عربي شامخ معتز بعروبته. هذا الرجل شاعر عظيم، ولكنه عديم المبادئ؛ ويكفيه أنه مدح كافوراً واستجداه طويلاً، ثم هجاه بأقبح هجاء. فكان في مدحه منافقاً، وفي هجائه عنصرياً، وكاذباً. تعقيب أحمد عبد الرحيم: [أؤيدك تمامًا. كتبتُ مرةً عن أبي حيان التوحيدي: «هو مثقف عظيم، وإنسان وضيع». وشيء من هذا يصح مع المتنبي!]

أَبَى رَبُّهَا أنْ يَتْرُكَ الوَحْشَ وَحْدَهَا   وأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الخَبِيثَ مِنَ الأكْلِ

يأبى رب كليب (الله) أن يترك الوحش بأمان في الصحراء، وأن يجعل الضب الخبيث (من زواحف الصحراء وكان الأعراب يأكلونه) في أمان من أن يؤكل، لذلك حرمهم الدولة. يقول: مشيئة الله أن تبقى قبيلة «كلاب» في الصحراء لتصيد الوحوش وتأكل الضباب

١٢١ وكثير من السؤال اشتياق

أنفذ سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة، ومعه هدية للمتنبي، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقته لكافور، فقال يمدحه، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة. وفي البداية يتغزل ويصف كيف أن رسوله أتى المحبوبة فعشقها فخانه فيها، ثم يصف الشمس، ثم يمدح: ٢٦/ ٤٢

مــا لَـنَــا! كُـلُّـنــا جَـوٍ يَــا رســولُ   أنــا أهْــوى، وقــلــبُــكَ الــمَــتْــبُــولُ

ما لنا كلانا جوٍ (مصاب بالجوى/وجع العشق) أيها الرسول الذي أرسلته أنا لمعشوقتي. أنا أهواها، وقلبك متبول (هائم) بها أيضاً

كــلَّــمــا عــادَ مَــنْ بَــعَــثْــتُ إلــيــهــا   غَــارَ مِــنِّــي، وخَــانَ فــيــمــا يَــقُــولُ

كلما عاد رسولي من عندها كان مصاباً بالغيرة فخان في أداء جوابها

أَفْـسَـدَتْ بَـيْـنَـنـا الأمـانـاتِ عَـيْـنـا   هـا، وخَـانَـتْ قُـلُـوبَـهُـنَّ الـعُـقـولُ

أفسدت أمانة الصداقة بيننا عيناها وخانت العقول قلوب أصحابها، فصار عقل الرسول الذي يفكر بسرقة المعشوقة يخون قلبه الذي يحضه على الأمانة

تَشْتَكِي ما اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْ   قِ إليْها، والشَّوْقُ حيثُ النُّحولُ

أنت أيها الرسول تشتكي مثلما اشتكيت أنا من ألم الشوق إليها، ولكن الشوق الحقيقي موجود عند الشخص الذي يعاني نحولاً (هزالاً) بسببها وهو أنا

وإذا خَامَرَ الهوى قَلْبَ صَبٍّ فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَليلُ

إذا خامر (خالط) الهوى قلب صب (عاشق) فعلى العاشق دليل واضح تراه كل عين

زَوِّدِينا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ ما دا مَ، فَحُسْنُ الوُجُوهِ حالٌ تَحُولُ

زودينا من جمالك مدة دوامه، فجمال الوجه حال تحول (تتحول)

وَصِلِينا نَصِلْكِ في هذهِ الدُّنْـ ـيَا، فَإِنَّ المُقَامَ فيها قَليلُ

وصلينا (اعشقينا) نعشقك في الدنيا، فالإقامة فيها محدودة

مَنْ رَآها بِعَيْنِها شَاقَهُ القُطَّـ ـانُ فيها، كَما تَشُوقُ الحُمُولُ

من رأى الدنيا بعينها (وضع نفسه مكانها) فسوف يشوقه (يمتعه) النظر إلى القاطنين (الساكنين) فيها مثلما نستمتع نحن برؤية الحمول (الإبل المحملة بالهوادج). يقول: الإقامة في الدنيا قليلة، والدنيا نفسها ترى سكانها يموتون ويرحلون بسرعة، مثلما نرى نحن الأقوام يرحلون، فالمسألة نسبية

إنْ تَرَيْني أَدِمْتُ بَعْدَ بَياضٍ فَحَميدٌ مِنَ القَناةِ الذُّبُولُ

إن رأيتِ أيتها المحبوبة أنني أدمت (أصبحت أسمر) بعد بياض، فحميد (ممدوح) من القناة (الرمح) الذبول، فالرمح عندما تجف عصاه يصبح أسمر وذلك أجود له

صَحِبَتْني، على الفَلاةِ، فَتَاةٌ عَادَةُ اللونِ عِنْدَها التَّبْدِيلُ

صحبتي في الفلاة (الصحراء) فتاة (الشمس) عادتها في الألوان تبديلها فهي تجعل المرء أسمر

سَتَرَتْكِ الحِجَالُ عنها، ولَكِنْ بِكِ مِنْها مِنَ اللَّمَى تَقْبيلُ

وأنتِ أيتها المحبوبة مستورة عن الشمس بالحجال (الستور)، ولكن بك تقبيل من الشمس هو اللمى (وهو سمرة محببة في الشفتين)

مِثْلُها أَنْتِ: لَوَّحَتْني وأَسْقَمْـ ـتِ، وزَادتْ أَبْهَاكُما العُطْبُولُ

أنت مثل الشمس: هي لوحتني (غيرت لوني) وأنت أسقمتني (أمرضتني)، ولكن العطبول (الجميلة) وهي أبهاكما (أجملكما) زادت في فعلها عن الشمس

نَحْنُ أَدْرَى، وقدْ سَأَلْنا بِنَجْدٍ: أَطَويلٌ طَرِيقُنا أَمْ يَطُولُ؟

كنا أدرى بالجواب عندما سألنا في صحراء نجد: هل طريقنا طويل حقاً أم نحن فقط نراه طويلاً؟

وكَثيرٌ مِنَ السُّؤالِ اشتياقٌ وكَثيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ

وكثيرٌ من الأسئلة إنما يلقيها المرء لا ليعرف شيئاً بل لكثرة اشتياقه، وكثير من الردود تكون للتعليل (للتصبير). تعليق أحمد عبد الرحيم: «ما أرقَّ وأعذب!». تعقيبي: كأنني كسلت وأنا أشرح فلم أقف بهذا البيت لأصرخ صرخات الاستحسان المعهودة. هذا البيت وسابقه تحفة من تحف الشعر العربي

لا أَقَمْنا على مَكَانٍ، وإنْ طَا ب، ولا يُمْكِنُ المكانَ الرَّحيلُ

لم نتوقف في مكان حتى وإن طاب (كان طيباً) لأننا في عجلة، وللأسف لا يمكن للمكان الطيب أن يرحل معنا

كلَّما رَحَّبَتْ بِنا الرَّوْضُ قُلْنا: حلَبٌ قَصْدُنا، وأَنْتِ السَّبيلُ

كلما رحبت بنا الروض (البساتين) قلنا لها: حلب قصدنا (هدفنا) وأنتِ فقط السبيل (الطريق) نحو الهدف

فِيكِ مَرْعَى جِيادِنا والمَطَايا وإليْها وَجِيفُنا والذَّمِيلُ

فيك أيتها الرياض مرعى جيادنا (خيولنا) والمطايا (الإبل)، وإليها (إلى حلب) وجيفنا (ركض خيولنا) والذميل (سير إبلنا)

والمُسَمَّوْنَ بالأمِيرِ كَثيرٌ والأميرُ الذي بِها المَأمُولُ
الذي زُلْتُ عنهُ شَرْقاً وغَرْباً ونَداهُ مُقابِلِي ما يَزُولُ

نداه: كرمه

كيفَ لا تَأْمَنُ العِرَاقُ ومِصْرٌ وسَرَاياكَ دونَها والخُيولُ

سراياك دونها: كتائبك أمامها تحميها

لوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَريقِ الأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ والنَّخيلُ

لو تحرفت (ابتعدت) عن طريق الأعداء (الروم) لَرَبَطَ السدر (شجر النبق) بمصر والنخيل بالعراق خيلَهم (يقصد لربطوا خيلهم بأشجار مصر والعراق)

أنتَ طولَ الحياةِ للرُّومِ غَازٍ فَمَتى الوَعْدُ أنْ يَكونَ القُفُولُ

طول حياتك وأنت تغزو الروم، فمتى أنت موعود بالقفول (الرجوع)؟

وسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ فَعَلى أيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ

وهناك روم آخرون خلف ظهرك (هم الأعراب الذين يشنون الغزوات)، فعلى أي الجانبين تميل؟
تعليق أحمد عبد الرحيم: «من معجز أحمد!»

قَعَدَ الناسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيـ ـكَ، وقامتْ بِها القَنَا والنُّصُولُ

قعد (جبن) الناس عن أن يفعلوا مثل مساعيك (جهودك)، والذي قام بهذه المساعي القنا (الرماح) والنصول (السيوف)

نَغَّصَ البُعْدُ عنكَ قُرْبَ العَطَايا مَرْتَعِي مُخْصِبٌ، وجِسْمِي هَزِيلُ

بُعدي عنك نغص علي الاستمتاع بعطاياك القريبة التي ترسلها إلي، فمرتعي (مرعاي) خصب لكن جسمي هزيل (هداياك تصلني، لكنني من وحشة البعد نحيل مهزول)

مِنْ عَبيدِي، إنْ عِشْتَ لي، أَلْفُ كَافُو   رِ، وَلـي مِـنْ نَـدَاكَ رِيـفٌ وَنِـيـلُ

إن عشتَ لي يا سيف الدولة فإنه سيصبح عندي من العبيد ألف من أمثال كافور، ولي من كرمك ريف كريف مصر ونيل كنيلها

١٢٢ خيراخ.. وخيراب

توفيت أخت سيف الدولة بميافارقين، وورد خبرها إلى الكوفة فقال أبو الطيب يرثيها ويعزيه بها، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ١٨/ ٤٤

يا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ! يا بِنْتَ خَيْرِ أَبِ!   كِـنَـايَـةً بِـهِـما عَنْ أشـرَفِ الـنَّـسَـبِ

يا أخت خير الإخوة، ويا بنت خير الآباء، وبقولي هذا كنيت كناية (تلميحاً) عن أشرف نسب، ولم أذكر اسمك. كلما مررت بهذا البيت تذكرت قصة رواها لي أخي حسين صالح عن نادل بمقهى في بغداد كان يحدث زبائنه عن عظمة المتنبي، ويروي هذا البيت شاهداً.. يغمض عيناً نصف إغماضة ويميل برأسه ويقول: «يا أخت خَيْرَاخْ.. يا بنت خَيْرَابْ» كأن كلاً منهما كلمة واحدة، ويتعجب من فصاحة ذلك الشاعر. ونقيض ذلك أذكر أيضاً سيدة في الأردن قالت لي، وسمعتني أقرأ على التلفزيون شعراً للمتنبي، إنها لا تفهم المتنبي إلا قليلاً. وأنا لا ألوم ذلك النادل فهو حر في ذوقه، وللمرء أن يحب الشعر لأي سبب أراد. وأما السيدة فهي الشخص الذي أخاطبه وأنا أكتب شرح كل بيت

طَوَى الجَزِيرَةَ، حَتى جَاءَني، خَبَرٌ   فَزِعْـتُ فـيـهِ بِآمالي إلى الكَـذِبِ

طوى (قطع) الجزيرة (منطقة بين الشام والعراق) حتى وصل إلي خبرٌ فزعت (التجأت) فيه (في شأنه) بآمالي إلى أن يكونَ كِذْبةً. تعليق أحمد عبد الرحيم: [لا أظن المتنبي إلا أنه بدأ ينظم القصيدة بهذا البيت (هو فيها السادس).. ففيه كل شِحنته العاطفية!]

حـتـى إذا لـم يَـدَعْ لـي صِـدْقُهُ أَمَـلاً   شَرِقْتُ بالدَّمْعِ، حتى كادَ يَشْرَقُ بي

فلما لم يترك لي صدق الخبر مجالاً لتكذيبه بكيت حتى شرقت بدمعي، وسال دمعي نهراً حتى كاد الدمع نفسه يضيق بوجود جسمي وسط هذا التدفق

كـأنَّ فَـعْـلَـةَ لـم تَـمْـلأْ مَـواكِـبُـهـا   دِيارَ بَكْـرٍ، ولـم تـخْـلَـعْ ولـم تَـهَـبِ

كأن فعلة (يقصد خولة، وصنع صنيع أهل الصرف فجاء بوزن اسمها، والمرأة العربية الحرة يجب أن تكون بلا وجه وبلا اسم، حتى وهي ميتة!) كأنها، وقد ماتت الآن، لم تكن مواكبُها تملأ بلدة ديار بكر، وكأنها لم تكن تخلع (تمنح) ولم تكن تعطي الناس الأموال. تعليق آخر على «فعلة»: يا لسماجتك!

أَرَى العِرَاقَ طَويلَ الليلِ مُذْ نُعِيَتْ   فَكَيْفَ لَيْلُ فَتى الفِتْيَانِ في حَلَبِ

ليل العراق كله طويل منذ جاء خبر موتها، فكيف ليل سيف الدولة بحلب؟

يَظُنُّ أنَّ فُؤَادي غَيْرُ مُلْتَهِبٍ   وأنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ
بَلَى! وحُرْمَةِ مَنْ كانتْ مُرَاعِيَةً   لِحُرْمَةِ المَجْدِ والقُصَّادِ والأدَبِ

بلى فؤادي ملتهب ودمعي منسكب وحرمة (وحق) من كانت ترعى حرمة من يقصدونها من الأدباء

وإنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثى لقد خُلِقَتْ   كَرِيمَةً، غَيْرَ أُنثى العقلِ والحَسَبِ

تعليق أحمد عبد الرحيم: [معنى مرذول! تبقى الأنوثة سُبَّةً!]

وإنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَها   فَإِنَّ في الخمرِ معنىً ليسَ في العِنَبِ

إن تكن قبيلة تغلب الغلباء (الغليظة الرقبة المشهورة بالقسوة) هي أصل خولة فإن الحمدانيين فيهم كرم خصال يفوق ما في تغلب وإن كانوا منها، كالخمر التي فيها خواص غير موجودة في العنب الذي هو أصلها

فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ   ولَيْتَ غائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لم تَغِبِ

خولة كانت شمساً أخرى بجانب شمس السماء، فليت الشمس الطالعة الآن غائبة، وليت خولة لم تغب

قد كانَ كُلُّ حِجَابٍ دونَ رُؤْيَتِها   فما قَنِعْتِ لها يا أَرْضُ بِالحُجُبِ

كان كل حجاب منصوباً لمنع رؤيتها، فهي سيدة مصونة، فما قنعت لها الأرض بكل هذه الحجب فضمتها في بطنها فكان التراب الحجاب الأكبر

يا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى القُلوبِ بِها   وقُلْ لِصَاحِبِهِ: يا أَنْفَعَ السُّحُبِ

يدعو الصبر أن يزور قلب سيف الدولة، ليقول الصبر للرجل: يا أنفع السحب (لما يهطل من يده من عطايا)

وأَكْرَمَ الناسِ، لا مُسْتَثْنِياً أحداً   مِنَ الكرامِ سِوَى آبائِكَ النُّجُبِ

وقل له: يا أكرم الناس، ولا أستثني أحداً سوى آبائك النجب (الكرام)

قد كانَ قاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُما   وعاشَ دُرُّهُما المَفْدِيُّ بالذَّهَبِ

كان الدهر قد قاسمك الشخصين (أختيك) فأخذ أختاً هي كالذهب وأبقى أختاً هي كالدر (اللؤلؤ)، فكأن الذهب افتدى اللؤلؤ بنفسه. وكانت أخت أخرى لسيف الدولة ماتت قبل خولة، ورثاها المتنبي. يقول: إن الزمن قاسمك فأخذ أختاً وأبقى أختاً..

وعادَ في طَلَبِ المَتْرُوكِ تَارِكُهُ   إنَّا لَنَغْفُلُ، والأيَّامُ في الطَّلَبِ

وعاد الدهر يطلب الشخص المتروك. نحن نغفل (نسهو) ولكن الأيام (الزمن) لا تسهو عنا وتجدُّ في طلبنا وملاحقتنا

تَخالَفَ الناسُ، حتَّى لا اتِّفَاقَ لَهُمْ   إلَّا على شَجَبٍ، والخُلْفُ في الشَّجَبِ

الناس تخالفوا (اختلفوا) في كل شيء، إلا على الشجب (الموت) فحصوله مؤكد. ثم وقع الخلف (الاختلاف) في حقيقة الموت

فَقِيلَ: تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً   وقِيلَ: تَشْرَكُ جِسْمَ المرءِ في العَطَبِ

قال قوم إن نفس الإنسان تبقى سالمة بعد الموت، وقال آخرون: بل تشارك الجسم في العطب (التلف)

ومَنْ تَفَكَّرَ في الدُّنيا، ومُهْجَتِهِ   أقَامَهُ الفِكْرُ بَيْنَ العَجْزِ والتَّعَبِ

ومن فكر ملياً في الدنيا وفي مهجته (روحه) وقف محتاراً بين العجز عن الإدراك والتعب من التفكير

١٢٣ الثور والجواد

أنفذ سيف الدولة إلى المتنبي كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه، فأجابه بهذه القصيدة، وأنفذها اليه في ميافارقين، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة: ٧/ ٤٤

فَهِمْتُ الكتابَ، أبَرَّ الكُتُبْ   فَسَمْعاً لأمرِ أميرِ العربْ

فهمت مغزى رسالتك وهي أكثر الرسائل براً بما فيها من وعد، فسمعاً لأمر أمير العرب

وطَوْعاً لَهُ، وابْتِهاجاً بِهِ   وإنْ قَصَّرَ الفعلُ عمَّا وَجَبْ

أعدك بالطاعة، وإني لمبتهج بكتابك، وإن قصرت عما وجب علي من القدوم عليك

وما عَاقَني غَيْرُ خوفِ الوُشاةِ   وإنَّ الوِشاياتِ طُرْقُ الكَذِبْ

والذي عاقني خوف الوشاة (ناقلي الكلام)، والوشايات تفتح الطريق للافتراء

وتَكْثيرُ قومٍ وتَقْليلُهُمْ   وتَقْرِيبُهُمْ بَيْنَنا والخَبَبْ

ويعوقني عن القدوم إليك نقل القوم الكلام وزيادتهم وتقليلهم فيه (تحريفه) وتقريبهم (سعيهم/ التقريب نوع من سير الأبل) بيننا والخبب (نوع آخر من سير الإبل)، يقول: الناس ووشاياتهم وسعيهم بيني وبينك بالفساد.. كل هذا يعوقني

وقد كانَ يَنْصُرُهم سَمْعُهُ   ويَنْصُرُني قَلْبُهُ والحَسَبْ

وكان سَمْع سيف الدولة ينصرهم (فقد كان يرخي أذنه للوشاة)، وكان ينصرني أنا قلبه وحسبه (كرم أصله)

ومَا لَاقَني بلدٌ بَعْدَكُمْ   ولا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمايَ رَبّ

وما لاقني (أمسكني) بلد بعدكم، ولا اعتضت (استبدلت) من رب (صاحب) نعماي رباً آخر

وَمَـنْ رَكِـبَ الـثَّـوْرَ بَـعْـدَ الـجَـوا دِ، أَنْـكَـرَ أَظْـلافَـهُ والـغَـبَـبْ

والذي يركب الثور (كافوراً) بعد الجواد (سيف الدولة) سينكر (يستهجن) أظلافه (أقدام الثور المشقوقة) والغبب (الجلد المتدلي تحت رقبة الثور). المتنبي ذكي ولا يركب حماقة كهذه، بأن يقول لسيف الدولة إنه كان يركبه ثم ركب ثوراً، إلا وهو يعرف ما يقول. لكن، غلبه حبه لفنه، ولم يستطع تفويت هذه الصورة. على أنه بلا شك أحمق وفنان

١٢٤ وأراد لي.. فأردْتُ أن أتخيرا

خرج أبو الطيب من الكوفة إلى العراق، فراسله ابن العميد، أبو الفضل محمد بن الحسين، وزير ركن الدولة من أرجان، فسار إليه وقال يمدحه: ٤٧/١٤

بـادٍ هَـوَاكَ، صَـبَـرْتَ أم لـم تَـصْـبِـرَا وبُكَاكَ، إنْ لم يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

هواك ظاهر سواء أصبرت أم لم تصبرْ، وبكاؤك ظاهر حتى لو لم يجر دمعك

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وابْتِسَامُكَ صَاحِبَاً لَمَّا رَآهُ، وفي الحَشَا مَا لا يُرَى

وكثيراً ما غر صبرك وابتسامك صاحباً لك رآك تبتسم على أن في حشاك (قلبك) ما لا يُرى بالعين

ولـو اسْـتَـطَـعْـتُ، إذِ اغْـتَـدَتْ رُوَّادُهُـمْ لَـمَـنَـعْـتُ كُـلَّ سَـحَـابَـةٍ أَنْ تَـقْـطُـرَا

لو استطعت عندما خرج رواد قبيلة المحبوبة صباحاً للبحث عن العشب تمهيداً للرحيل، لو استطعت لمنعت السحاب من أن يمطر على الأرض البعيدة حتى لا يرحلوا إليها

فَإِذَا الـسَّـحَـابُ أَخُـو غُـرَابِ فِـرَاقِـهِـمْ جَـعَـلَ الـصِّـيَـاحَ بِـبَـيْـنِـهِـمْ أَنْ يُـمْـطِـرَا

فإذا بالسحاب يشابه غراب البين، فظهوره ينذر بأنهم سيفارقون ويتبعون المطر. وقد جعل السحاب إنزال المطر طريقته في الصياح والنعيق إيذاناً بالرحيل

وإِذا الـحَـمَـائِـلُ مَـا يَـخِـدْنَ بِـنَـفْـنَـفٍ إلّا شَـقَـقْـنَ عَـلَـيْـهِ ثَـوْبَـاً أَخْـضَـرَا

وإذا بالحمائل (الهوادج) ما يخدن (يمشين) بنفنف (بوادٍ) إلا شققن ثوبه الأخضر (فالإبل ترعى وهي تمشي فتصبح الأرض الخضراء مشقوقة في وسطها لغياب العشب الذي رعته الإبل)

أَعْطَى الزَّمانُ، فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وأَرَادَ لـي، فَـأَرَدْتُ أَنْ أَتَـخَـيَّـرَا

أعطاني الزمان فرصاً فلم أقبلها، وأراد لي، سمح لي، بأن أحصل على الرزق من عدة أوجه، لكنني وقفت أتأمل كي أختار الأفضل

أَنْـتَ الـوَحِـيـدُ إذا رَكِـبْـتَ طَـرِيـقَـةً وَمَـنِ الـرَّدِيـفُ وقـدْ رَكِـبْـتَ غَـضَـنْـفَـرَا

يا ابن العميد أنت متفرد إذا انتهجت نهجاً، ومن ذا يكون رديفك (الراكب خلفك) وأنت قد ركبت أسداً، وانتهجت طريقاً صعباً

قَطَفَ الرِّجَالُ القَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ   وقَطَفْتَ أنتَ القَولَ لَمَّا نَوَّرَا

الناس يقولون كلاماً عادياً، وأنت تأتي بالمعاني المبتكرة. فالنبت وقت نضجه رخيص في السوق تأكل منه كل الناس، ولكن البواكير لا تتاح إلا للقلة. تسويد أ. عبد الرحيم

فَهُوَ المُشَيَّعُ بِالمَسَامِعِ إنْ مَضَى   وَهُوَ المُضَاعَفُ حُسْنُهُ إنْ كُرِّرَا

فكلامك مشيع (متبوع) بالمسامع (الآذان) إن مضى (انتهى) فكأن الآذان تواصل متابعتها لكلامك اشتهاء للمزيد منه، وجمال كلامك يتضاعف إذا تكرر

وإذَا سَكَتَّ، فَإنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ   قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الأنَامِلَ مِنْبَرا

وإذا سكت فإن أبلغ الخطباء هو قلمك الذي اتخذ من أصابعك منبراً له

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أَنّيَ بَعْدَهَا   جَالَسْتُ رِسْطَالِيسَ والإسْكَنْدَرَا

من ذا يبلغ الأعراب الذين عاشرتهم حيناً أنني جالست أرسطوطاليس والإسكندر المقدوني في شخص ابن العميد، فهو فيلسوف كالأول، وقائد ناجح كالثاني

ومَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا، فَأَضَافَنِي   مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى

وأنني مللت من نحر (ذبح) عشار الإبل (الإبل الحامل لعشرة أشهر)، فأضافني (أنزلني ضيفاً) هذا الذي ينحر بدل الجمال البدر النضار (أكياس الذهب الخالص) لمن قرى (لمن أطعم من ضيوف)

وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ، دَارِسَ كُتْبِهِ   مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّرَا

وسمعت بطليموس (عالم الفلك اليوناني صاحب كتاب المجسطي)، سمعته من خلال دارس كتبه (ابن العميد). وابن العميد صاحب ملك، وعارف بالبداوة، وعارف بالحضارة

ولَقِيتُ كُلَّ الفَاضِلِينَ، كَأَنَّمَا   رَدَّ الإلَهُ نُفُوسَهُمْ والأعْصُرَا

ولقيت في شخص ابن العميد كل الفضلاء، فكأنما رد الله نفوسهم وعصورهم في شخص هذا الرجل

١٢٥ غريب الوجه واليد واللسان

قال المتنبي يصف شعب بوَّان، وهو وادٍ قَطَعه في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز: ٤٨/١٥

مَغَانِي الشِّعْبِ، طِيِباً، في المَغَانِي   بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

مغاني (بساتين) الشعب (الوادي) هي في الطيب بالنسبة للمغاني الأخرى بمنزلة الربيع من الزمان. يقول: إن جمال مغاني شعب بوان بالنسبة للمغاني كلها، مثل جمال الربيع بالنسبة للفصول كلها

ولَكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا   غَرِيبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسَانِ

لكنني أنا الفتى العربي غريب الوجه بين سكانها، فوجهي أسمر؛ وغريب اليد لأنه ليس في ملك يدي هنا شيء؛ وغريب اللسان لأنهم يتكلمون الفارسية

مَـلاعِـبُ جِـنَّـةٍ، لـو سَـارَ فِـيـهـا سُـلَـيْـمـانٌ لَـسَـارَ بِـتَـرْجُـمـانِ

هذه ملاعب للجِنَّة (الجن)، ولو سار فيها سليمان الحكيم الذي يعرف كل اللغات حتى لغات الطير لاحتاج لترجمان لكثرة ما فيها من أصناف الحيوان، وربما أيضاً لأن أهلها يتكلمون بكلام غريب لا يفهم المتنبي منه حرفاً

طَـبَـتْ فُرْسـانَـنَـا والـخَـيْـلَ حـتـى خَشِيتُ، وإنْ كَرُمْنَ، مِنَ الحِرَانِ

طبت (استمالت) هذه المغاني فرساننا وما يركبون من خيل، حتى لقد خشيت ـ وإن كانت الخيول كريمة ـ من حرانها (وقوفها وعصيانها الأمر بالسير)

غَـدَوْنَـا تَـنْـفُـضُ الأَغْـصَـانُ فِـيـهـا عـلـى أَعْـرَافِـهـا مِـثْـلَ الـجُـمَـانِ

غدونا في الصباح بينما الأغصان تنفض على أعراف الخيل (شعر أعناقها) ما يشبه اللؤلؤ من ضوء يتسلل بين الأغصان

فَسِرْتُ، وقـد حَـجَـبْـنَ الـحَـرَّ عَـنِّـي وجِـئْـنَ مِـنَ الـضِّـيـاءِ بِـمـا كَـفَـانـي

فسرت وقد حجبت الأغصان الحر، ولكنها سمحت من الضوء بما يكفي

وأَلْـقَـى الـشَّـرْقُ مِـنْـهـا فـي ثِـيَـابـي دَنَـانِـيـراً تَـفِـرُّ مِـنَ الـبَـنَـانِ

ورمى الشرق من الشمس على ثيابي دنانير (يشبه بقع الضوء المدورة بالدنانير) تفر من البنان (الأصابع)

لَـهَـا ثَـمَـرٌ تُـشِـيـرُ إِلَـيْـكَ مِـنْـهُ بِـأَشْـرِبَـةٍ وَقَـفْـنَ بِـلا أَوَانِ

للأغصان ثمر تلفت نظرك إليه بأشربة (عصائر) وقفت بدون الأواني. يقول: إن هذا الثمر من عنب وغيره رقيق القشر ويبدو عصيره ضافياً، واقفاً هكذا دون وجود الأواني

وأَمْـواهٌ تَـصِـلُّ بِـهَـا حَـصَـاهَـا صَلِيلَ الحَلْيِ في أَيْدِي الغَوَانـي

وفيها مياه تصل (تخرج صوتاً كصوت الأساور) بها الحصى، مثل صليل الحَلْي (الحُلِيّ) في أيدي الغواني (الجميلات)

ولـو كـانـتْ دمـشـقَ ثَـنَـى عِـنَـانـي لَـبِـيـقُ الـثُّـرْدِ صِـيـنـيُّ الـجِـفَـانِ

لو كانت هذه دمشق لأمسك بعناني (مقود فرسي) وساقه إلى بيته رجل لبيق الثرد (بارع في صنع الثريد) صيني الجفان (أوعية داره من الخزف الصيني)

إذا غَـنَّـى الـحَـمَـامُ الـوُرْقُ فِـيـهـا أَجَـابَـتْـهُ أَغَـانِـيُّ الـقِـيَـانِ

في دمشق إذا غنى الحمام الورق (الحمام) أجابته القيان (المغنيات) بأغانيهن

ومَـنْ بِـالـشِّـعْـبِ أَحْـوَجُ مِـنْ حَـمَـامٍ إذا غَـنَّـى ونَـاحَ إِلـى الـبَـيَـانِ

ولكن الناس الذين في شعب بوان في فارس أحوج في غنائهم أو نوحهم إلى المترجم من حاجة الحَمام إليه (فكلامهم أغمض على الفهم من غناء الحمام)

وقد يَتَقَارَبُ الوَصْفَانِ جِدّاً   وَمَوْصُوفَاهُما مُتَباعِدَانِ

ففي دمشق غناء وهنا غناء، ولكن ما أبعد الفرق بينهما، قد يتقارب الوصفان لكن الشيئين الموصوفين متباعدان

يَقُولُ بِشِعْبِ بَوّانٍ حِصَانِي: أَعَنْ هذا يُسَارُ إلى الطِّعَانِ

يقول حصاني وهو في شعب بوان: أمعقول أن نسير ونترك هذه البساتين ونذهب للطعان (الحرب)؟

أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَّ المَعاصي   وعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الجِنانِ

أيها البشر ـ يقول الحصان ـ أبوكم آدم سن (بدأ) المعاصي (بأن أكل التفاحة وخرج من الجنة) وعلمكم كيف تفارقون الجنان، فظللتم تفعلون فعله: تتركون مكاناً كشعب بوان وتنطلقون إلى الحرب

١٢٦ لأن رحيلي كان عن حلب غدرا

قال صاحب «الصبح المنبي»: وقد وَجدتُ له قصيدتين في هجاء كافور ومدح سيف الدولة نقلتهما من خط أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري وذكر أنهما وجدتا في رحله لما قتل وكان قد نظمهما بواسط، وهذه إحداهما: ١٦/ ٣١

أَفِيقَا، خُمَارُ الهَمِّ بَغَّضَني الخَمْرَا   وسُكْرِي مِنَ الأيَّامِ جَنَّبَني السُّكْرَا

يا صاحبيَّ أفيقا من سكركما فخمار الهم (صداع السكران في اليوم التالي) ـ وخمار المتنبي من الهموم لا من الخمر ـ جعلني أكره الخمر، وسكري من مصائب الزمن جنبني السكر الحقيقي

تَسُرُّ خَلِيلَيَّ المُدَامَةُ، والذي   بِقَلْبِيَ يَأْبَى أَنْ أُسَرَّ كَمَا سُرَّا

صاحباي يشعران بالسرور بشرب المدامة (الخمر)، وما بقلبي من هم يأبى علي السرور كما سُرَّا هما

لَبِسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَخْشَنَ مَلْبَسٍ   فَعَرَّقْنَني نَاباً، ومَزَّقْنَني ظُفْرا

لبست صروف (مصائب) الدهر فكانت أخشن ملبس، لقد عرقتني المصائب (نزعت لحمي عن عظامي) بأنيابها، ومزقتني بأظفارها

سَدِكْتُ بِصَرْفِ الدَّهْرِ طِفْلاً ويَافِعاً   فَأَفْنَيْتُهُ عَزْمَاً، ولم يُفْنِني صَبْرَا

سدكت (لزمت) بمصائب الدهر طفلاً وشاباً، فأفنيت الدهر بعزمي، ولم يُفْنِ الدهر صبري

أُريدُ مِنَ الأيامِ مَا لا يُرِيدُهُ   سِوَايَ، ولا يَجْري بِخَاطِرِهِ فِكْرَا

أريد من الزمن ما لا يريده سواي، ولا يجري حتى في خاطره

ومَنْ كانَ عَزْمِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَثَّهُ   وخَيَّلَ طُولَ الأَرْضِ في عَيْنِهِ شِبْرَا

من كان له عزم كعزمي بين جنبيه (في قلبه) فالعزم سيحثه على السعي، وسيجعل طول الأرض شبراً في عينه

وَمِصْرُ، لَعَمْرِي، أَهْلُ كُلِّ عَجِيبَةٍ ولا مِثْلَ ذَا المَخْصِيِّ أُعْجُوبَةً بِكْرَا

مصر بلد كل العجائب، ولكن لا أعجوبة فيها مثل هذا المخصي فهو أعجوبة بكر (لا مثيل لها)

يُعَدُّ إذا عُدَّ العَجَائِبُ أَوّلاً كَمَا يُبْتَدَا في العَدِّ بِالإصْبَعِ الصُّغْرَى

ويعد كافور ـ إذا عددنا العجائب ـ في المقام الأول، ليس لعلو شأنه.. فنحن نبدأ العد على أصابعنا بالإصبع الصغرى

فَيَا هِرْمِلَ الدُّنْيَا، ويَا عِبْرَةَ الوَرَى ويَا أَيُّها المَخْصِيُّ! مَنْ أُمُّكَ البَظْرَا

يا هرمل (المرأة العجوز) الدنيا ويا عبرة الورى (البشر)، ويا أيها المخصي من هي أمك البظراء (ذات البظر المسترخي)

نُوَيْبِيَّةٌ لم تَدْرِ أَنَّ بُنَيَّهَا النُّـ ـوَيْبِيَّ، دونَ اللَّهِ، يُعْبَدُ في مِصْرَا

إنها نويبية (نوبية/من بلاد النوبة) لا تدري أن ابنها النوبي يعبد في مصر قبل الله

ولِلَّهِ آياتٌ، ولَيسَ كَهذِهِ فَإنَّكَ، يا كافورُ، آيَتُهُ الكُبْرَى

لله آيات (معجزات)، وأنت في وضعك هذا معجزة كبرى

وأَكْفُرُ يا كافورُ حينَ تَلُوحُ لي فَفَارَقْتُ، مُذْ فارَقْتُكَ، الشِّرْكَ والكُفْرَا

حين أراك كنت أكفر (إذ أرى الله أعطاك الملك بلا استحقاق)، والآن بعد أن فارقتك فارقت الشرك والكفر

عَثَرْتُ بِسَيْرِي نَحْوَ مِصْرَ، فَلَا لَعاً بِهَا، ولَعاً بِالسَّيْرِ عَنْها، ولا عَثْرَا

ذهابي إلى مصر كان عثرة (غلطة) فلا لعاً (لا قومة منها) ـ يقولون للمتعثر «لعاً» كما نقول اليوم «الله» ـ، وليساعدني الزمن في السير عن مصر ولا أتعثر

وفَارَقْتُ خَيْرَ النَّاسِ قَاصِدَ شَرِّهِمْ وأَكْرَمَهُمْ طُرّاً لِألأَمِهِمْ طُرَّا

لقد فارقت سيف الدولة وهو خير الناس، وقصدت شرهم، فارقت أكرمهم طراً (جميعاً) لألأمهم طراً

فَعَاقَبَني المَخْصِيُّ بِالغَدْرِ جَازِياً لِأَنَّ رَحِيلي كانَ عَنْ حَلَبٍ غَدْرَا

فعاقبني كافور بأن غدر بي، وهذا جزائي لأن رحيلي عن حلب كان غدراً بسيف الدولة

وقَدْ أُرِيَ الخِنْزِيرُ أَنِّي مَدَحْتُهُ ولو عَلِمُوا، قد كانَ يُهْجَى بِمَا يُطْرَى

وقد أرى الناس كافوراً أنني مدحته، فهو لا يفهم مدحاً من قدح، ولكن الناس كانوا يفسرون له، ولو علم هؤلاء الناس مغزى كلامي لعلموا أنني كنت أهجوه بما كان يطرى (يمدَح) به

١٢٧ القاتلة

قال المتنبي يهجو ضبة العتبى، وكان أبو الطيب اجتاز بالطف فنزل بأصدقاء له، وسارت خيلهم إلى ضبة فدخل حصنه وشتمهم. وضبة هذا قُتل أبوه وسبيت أمه ثم ولدته وهي في السبي، فقال أبو الطيب في جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة: ١٣/ ٣٩

مَـا أَنْـصَـفَ الـقَـوْمُ ضَـبَّـةْ وأُمَّـهُ الـطُّـرْطُـبَّـةْ

لم ينصف الناس ضبة هذا، ولا انصفوا أمه الطرطبة (المسترخية الثديين)

ومَـا عَـلَـيْـكَ مِـنَ الـقَـتْـلِ إِنَّـمَـا هِـيَ ضَـرْبَـةْ

يا ضبة! لماذا أنت مغتاظ لقتلهم أباك؟ إنها مجرد ضربة سيف (يسخر منه، قائلاً إن ضبَّة لا يعرف معنى الثأر للحفاظ على الشرف)

ومَـا عَـلَـيْـكَ مِـنَ الـغَـدْرِ، إِنَّـمَـا هِـيَ سُـبَّـةْ

ولماذا تخاف أن يقال إنك غادر، هي مجرد سبة (عار)

ومَـا يَـشُـقُّ عـلـى الـكَـلْـبِ أَنْ يَـكُـونَ ابْـنَ كَـلْـبَـةْ

وليس يشق (يصعب) على الكلب أن يكون ابن كلبة، فذلك وضع طبيعي

مَـا ضَـرَّهَـا مَـنْ أَتَـاهَـا وإِنَّـمَـا ضَـرَّ صُـلْـبَـهْ

وأمك لا يضرها من أتاها من الناس، بل يضر صلبه

ولَـيْـسَ بَـيْـنَ هَـلُـوكٍ وحُـرَّةٍ غَـيْـرُ خِـطْـبَـةْ

والفارق بين الهلوك (العاهرة) وبين المرأة الحرة خطبة

وكُـنْـتَ تَـنْـخُـرُ تِـيـهَـاً فَـصِـرْتَ تَـضْـرِطُ رَهْـبَـةْ

كنت تنخر (تخرج صوتاً من أنفك) تيها (تكبراً) فالآن تضرط رهبة (خوفاً)

وإِنْ بَـعُـدْنَـا قَـلِـيـلاً حَـمَـلْـتَ رُمْـحَـاً وحَـرْبَـةْ

إنْ أَوْحَـشَـتْـكَ الـمَـعَـالِـي فَـإِنَّـهَـا دَارُ غُـرْبَـهْ

المعالي (الأمجاد) موحشة لك لأنك غريب فيها

أَوْ آنَـسَـتْـكَ الـمَـخَـازِي فَـإِنَّـهـا لَـكَ نِـسْـبَـةْ

وأنت تأنس بالمخازي لأنها هي نسبك

وإِنْ عَـرَفْـتَ مُـرَادِي تَـكَـشَّـفَـتْ عَـنْـكَ كُـرْبَـةْ

إن فهمت شعري انكشفت كربتك (ضيقك) فأنت لا تبالي بالشتم

فَـمَـنْ يُـبَـالـي بِـذَمٍّ إذا تَـعَـوَّدَ كَـسْـبَـهْ
وإِنْ جَـهِـلْـتَ مُـرَادي فَـإِنَّـهُ بِـكَ أَشْـبَـهْ

وإن جهلت مرادي بهذا الشعر فهذا أشبه بك (أليق بك) لأنك جاهل

١٢٨ ما أجدر الأيام والليالي

قال المتنبي يمدح عضد الدولة ويذكر خروجه للصيد في منطقة دَشْت الأَرْزَن شمال غرب شيراز: ١١٨/٢١

مـا أَجـدَرَ الأيـامَ والـلـيـالـي
بـأَنْ تـقـولَ: مَـا لَـهُ، ومَـا لـي

ما أجدر الزمن بأن يقول: مالي وللمتنبي ولماذا أعانده؟

لا أنْ يـكـونَ هَـكـذا مَـقَـالـي

أما أنا فلا أقول ذلك، ولا أشكو من الزمن لقوتي وقوة صبري

فَـتـىً بِـنِـيـرانِ الـحـروبِ صـالِ
مِـنـهـا شـرابـي وبِـهَـا اغـتِـسَـالـي

أنا فتي اصطلى بنار الحرب فمنها أشرب ومنها أغتسل

وكـيـفَ لا، وإنَّـمـا إِدْلالـي
بِـفَـارسِ «الـمـجـروحِ» و«الـشَّـمـالِ»
أبـي شُـجَـاعٍ قـاتِـلِ الأبْـطـالِ

كيف لا يكون ذلك وإدلالي (استنادي) هو بفارس المجروح والشمال (اسم فرسين لعضد الدولة)

فَـوَحْـشُ نَـجْـدٍ مِـنْـهُ فـي بَـلْـبَـالِ
يَـخَـفْـنَ فـي سَـلْـمَـى، وفـي قِـيَـالِ

الحيوانات البرية في نجد في بلبال (خوف) من عضد الدولة رغم بعد بلادها عنه، وهي تخاف في سلمى وفي قيال (اسم جبلين في بلاد العرب)

يَـسْـمَـعْـنَ مِـنْ أخـبـارِهِ الأَزْوَالِ
مـا يَـبْـعَـثُ الـخُـرْسَ عـلـى الـسُّـؤالِ
فُـحـولُـهـا والـعُـوذُ والـمَـتَـالـي

تسمع الحيوانات أخباره الأزوال (العجيبة) مما يبعثها، وهي الخرساء، على السؤال عن سره: فحول الإبل تسأل والعوذ (النياق الصغيرة) تسأل، والمتالي (النياق الأمات التي تتلوها وتلحقها صغارها) تسأل

تَـــوَدُّ لـــو يُـــتْـــحِـــفُـــهـــا بِـــوَالِ
يَـــرْكَـــبُـــهـــا بِـــالـــخُـــطْـــمِ والـــرِّحَـــالِ
يُـــؤْمِـــنُـــهـــا مِـــنْ هـــذِه الأهْـــوالِ
ويَـــخْـــمُـــسُ الـــعُـــشْـــبَ، ولا تُـــبَـــالـــي

تود هذه الحيوانات لو يبعث عضد الدولة إليها والياً يجعلها مركوبة ومذللة بالخطم (اللجم) والرحال (السروج)، فتعيش آمنة من أهوال الصيد، والوالي يخمس (يفرض ضريبة الخمس) حتى على العشب، ولكنها لا تبالي بذلك

لـو شـئـتَ صِـدْتَ الأُسْـدَ بِـالـثَّـعالـي
أو شـئـتَ غَـرَّقْـتَ الـعِـدَى بِـالآلِ

لو شئت أيها الأمير لصدت الأسود بالثعالي (بالثعالب) فأنت قادر حتى على المستحيلات، ولو شئت غرقت الأعداء بالآل (بالسراب) رغم أن السراب ليس ماء بل وهم

فَـخْـرُ الـفَـتَـى بِـالـنَّـفْـسِ والأفـعـالِ
مِـــنْ قَـــبْـــلِـــهِ بِـــالـــعَـــمِّ والأخْـــوالِ

وفخر الإنسان بأفعاله هو قبل افتخاره بعمه وخاله

١٢٩ نحن بنو الموتى

توفيت عمة عضد الدولة ببغداد، فقال المتنبي يرثيها ويعزيه بها: (نسبة ما اخترناه إلى عدد أبيات القصيدة) ٣٥/١٣

آخِـرُ مَـا الـمَـلْـكُ مُـعَـزَّىً بِـهِ هَـذا الـذي أَثَّـرَ فـي قَـلْـبِـهِ

ليكن هذا آخر الأحزان التي يعزَّى بها الملك، وهو حزن أثر في قلبه

لا جَـزَعـاً، بَـلْ أَنَـفـاً؛ شَـابَـهُ أَنْ يَـقْـدِرَ الـدَّهْـرُ عـلـى غَـضْـبِـهِ

ولم يؤثر الحزن فيه جزعاً (خوفاً وارتباكاً) بل أنفاً (ترفعاً)، وقد شابه (أقلقه) أن يكون الدهر قد استطاع غصبه (قهره)

لا بُـدَّ لِـلإنْـسـانِ مِـنْ ضَـجْـعَـةٍ لا تَـقْـلِـبُ الـمُـضْـجَـعَ عَـنْ جَـنْـبِـهِ

لا بد للإنسان من نومة لا يتقلب فيها المضجع (المتمدد) عن جنبه

يَـنْـسَـى بِـهَـا مَـا كـانَ مِـنْ عُـجْـبِـهِ ومَـا أَذَاقَ الـمـوتُ مِـنْ كَـرْبِـهِ

نومة ينسى بها ما كان من عجبه (تكبره) وينسى أيضاً ما أذاقه الموت من الكرب

نَحْنُ بَنُو الموْتَى، فَمَا بَالُنَا   نَعَافُ مَا لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

نحن بنو الموتى فكل أجدادنا ماتوا، فلماذا نعاف الموت الذي لا بد من شربه

تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا   على زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ

أيدينا تبخل بأرواحنا ولا تعطيها للزمان، ولكن أرواحنا هي من كسب الزمان (ملك للزمان)

فَهَذِهِ الأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ   وهذهِ الأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ

فالأرواح هي من جو هذا الزمان، والأجسام هي من ترابه. ما أخلق دارساً أن يفحص نظرة المتنبي للزمان، فهو يكاد يماهي بين الزمان والمكان على النحو الذي يصنعه الفلاسفة والعلماء أيضاً، ويكاد في نظرته للروح يكون من الفلاسفة الماديين. ليس بالصدفة، ولا بمحض الفطرة؛ فالمتنبي قارئ كُتُب، وقد مرت به كتابات فلاسفة العرب وما نقلوه عن فلاسفة الإغريق، ولكنه تمثل ذلك وصاغه صياغة شاعر عربي قح

لو فَكَّرَ العَاشِقُ في مُنْتَهَى   حُسْنِ الذي يَسبِيهِ لم يَسْبِهِ

لو فكر العاشق في منتهى (مصير) جمال معشوقه ـ والمصير هو الموت وتحلل الجسم ـ لما سباه (سرق عقله) هذا المعشوق. تسويد أ. عبد الرحيم

لم يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ في شَرْقِهِ   فَشَكَّتِ الأَنْفُسُ في غَرْبِهِ

لم يظهر قرن الشمس في شروقها إلا وتأكد الناس أنها ستغرب بعد حين، فكيف نشك في أن الحياة ستنتهي بالموت؟ نعم، معظم الناس يعيشون كأنهم خالدون في الدنيا

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ في جَهْلِهِ   مِيتَةَ جَالِينُوسَ في طِبِّهِ

يموت راعي الضأن (ويضرب به المثل في الجهل) ميتة جالينوس طبيب اليونان

ورُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ   وزَادَ في الأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ

وربما عاش راعي الضأن أكثر من جالينوس، وربما كان آمناً على سربه (نفسه) أكثر من إحساس جالينوس بالأمان

وغَايَةُ المُفْرِطِ في سِلْمِهِ   كَغَايَةِ المُفْرِطِ في حَرْبِهِ

ومصير المسالم كمصير الكثير الحروب، فلماذا المهادنة؟

فلا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ   فُؤادُهُ يَخْفُقُ مِنْ رُعْبِهِ

أدعو أن لا تتحقق حاجةٌ لجبان يخفق قلبه من الرعب

١٣٠ أذاة أو نجاة أو هلاكا

قال المتنبي عند وداعه لعضد الدولة في أول شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة، وهي آخر شعرٍ قاله: ٧/ ٤٤

إذا التَّوْدِيعُ أعْرَضَ، قَالَ قَلْبي: عَليْكَ الصَّمْتَ، لا صَاحَبْتَ فَاكَا!

إذا أعرض (ظهر) التوديع قال قلبي: عليك بالصمت، لا بقي معك فمك! أي أمره قلبه بالسكوت، وعدم مدح أحد بعد عضد الدولة

إذا اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ فَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا

يا قلبي إذا طلبت الشفاء من الشوق للأهل بمفارقة الممدوح فإن أقتل ما أعلك (أمرضك) هو هذا الذي طلبتَ به الشفاء

فَأَسْتُرُ مِنْكَ نَجْوانَا، وأُخْفي هُمُوماً قد أَطَلْتُ لَهَا العِرَاكَا

أنا أستر منك يا عضد الدولة نجوانا (حديثنا الهامس) أنا وقلبي، وأخفي هموماً كثيراً ما عاركتها في ذهني

وفي الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ وآخَرُ يَدَّعي مَعَهُ اشْتِرَاكَا

المعنى الملموح: ومن الأحباب من يكون الوجد (الحزن) لاصقاً به وحده، وهناك آخر يدَّعي أنه يشاركه الحزن

إذا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ في خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

إذا اشتبهت (تشابهت) الدموع فإن من بكى بحرقة يختلف عمن تباكى (ادعى البكاء)

فَزُلْ يا بُعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقْعُ الأَسِنَّةِ في حَشَاكَا

فابتعد أيها البعد عن أيدي نياقنا، فوقع أيديها وهي تفارق الممدوح مثل وقع أسنَّة الرماح في الحشا (القلب)

وأَنَّى شئتِ يَا طُرُقي فَكُوني أَذَاةً، أو نَجَاةً، أو هَلاكَا

كوني كيفما شئت يا طرقي: كوني أذاة (أذى)، أو نجاة، أو حتى هلاكاً (موتاً). هذه آخر قصيدة للمتنبي وبعدها قُتل، فكانت (نبوءته) الأخيرة صحيحة

كشّاف الأغراض

(الأرقام هي أرقام القصائد لا الصفحات)

لا أعرف مدى فائدة هذا الكشاف. ولكنني صنعته متزيِّداً ومجرباً. فإن تقرَّى طالب علم أرقامه، ووصل به إلى التعمق في فهم ناحية محددة من نواحي شعر أبي الطيب فهذا خير. وإن اكتفى القارئ العجِل بنظرة سريعة تعطيه فكرة عن موضوعات أبي الطيب ففي هذا نفع. وإلَّا.. يكنْ ما أنفقته من ساعات كثيرة في تنضيد هذا الكشاف قد ذهب سدى؛ فلتذهب سدىً أيضاً بضع صفحات ميتة في ذيل هذا الباب. وليكن غرمٌ يحتمل القارئ شطره وأحتمل شطراً

العشق والغزل وتوابعهما

عذاب العاشق: ٢/ ٣/ ٥/ ٧/ ٨/ ١٤/ ١٦/ ٢٣/ ٣٠/ ٣٣/ ٣٧/ ٣٩/ ٤٤/ ٤٥/ ٤٦/ ٥٠/ ٥٦/ ٥٩/ ٦٣/ ٦٨/ ٧٢/ ٧٨
/ ٨١/ ٨٢/ ٩٨/ ١٢١/ ١٢٤

النحيب على الأطلال: ١٦/ ٢٦/ ٣٠/ ٣٣/ ٤٤/ ٥٧/ ٥٩/ ٦٨/ ٦٩/ ٧٢/ ٧٤/ ٧٨/ ١٢٤

عفة العاشق، والزهد في المرأة: ٤٦/ ٦٧/ ٧٢/ ١٠٧/ ١١٧/ ١٢٠

الفراق: ٢/ ٥/ ٢١/ ٣٠/ ٣٧/ ٣٨/ ٤٤/ ٤٥/ ٥١/ ٥٣/ ٦٨/ ٧٨/ ٨٢/ ١٠٢

الغرام والوصل: ٣٩/ ٧٨/ ٩٨/ ١٠٧

غربة وحنين: ٩٩/ ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٦/ ١٢٥

غزل: ٢٣/ ٢٧/ ٢٩/ ٣١/ ٣٧/ ٧٤/ ٩٠/ ١٢١

غزل في البدويات: ١٤/ ٢١/ ٢٧/ ٢٩/ ٣٧/ ٤٦/ ٩٨/ ٩٩

عشيرة المحبوبة: ٧٨/ ٨٢

طبع النساء: ٥١

وصف المرأة: ٦٨/ ٨١

مكانة المرأة: ٦٢/ ١٢٢/ ١٢٧

طبائع ومشاعر

النفس القلقة

المدح

الرثاء

الهجاء

الوصف

فهرس القوافي، المتنبي

(القافية، فرقم القطعة)

أبو فراس الحَمْداني
(٣٢٠هـ ـــ ٣٥٧هـ)

أبو فراس ولد مدلل، كثير الافتخار بنفسه وبنسبه، وهو ضعيف الشخصية لكن يتقاوى، ويلهو بملذاته، ويخوض وقائع دونكيشوتية مع الأعراب، ويشكو من ابن عمه سيف الدولة شكوى الولد المدلل المفسَد المتهور. وكان أبو فراس متهوراً. وأسره الروم، فأخذ يرسل بأشعار بالغ فيها من الدلال والتوجع. ولكنه كان فصيحاً، وكان مملوءاً بالمشاعر.. وكان يعرف كيف يعبر عنها، كان شاعراً تطيعه اللغة، وكان يعرف كيف يصور أعماق نفسه في كلمات قلائل.

ما أكثر ما يتدفق الشعر من ثقوب الشخصية. وفارسنا الآن أبو فراس الحمْداني.

فلماذا يصر الناس على أنه الحَمَداني بفتح الميم؟ الناس يقيسون. فقد اشتدت ألفتهم بوزن فَعَلان، لما قر في الجزء الخاص باللغة من أمخاخهم من كلمات كالفَيَضان والفَوَران والخَفَقان، وأكثر من ذلك «المثنى» ومنه جَمَلان وحَمَلان ووَلَدان. وحَمْدان ينسبون إليها حَمَداني، يجرهم ما برمجوا عليه من الابتدار إلى القياس. فإذا جاءتهم كلمة مضمومة كنُعْمان نسبوها نسبة صحيحة فقالوا نُعْماني، أو مكسورة كإنسان نسوبها نسبة صحيحة فقالوا إنساني. وحتى حمْدان نفسها فالناس لا تخطئ فيها إلا إذا وضعت ياء النسبة، ولا أدري لماذا. ثمة أسباب غائرة في العيار الصرفي الموجود في عقولنا.

رجعٌ إلى أبي فراس

الثقوب في شخصية أبي فراس الحَمْداني كثيرة.

هو نفاج، أي فخَّار بأكثر مما فيه، ويستمد مكارم الإخلاق مما سمع من

أقوال الشعراء أكثر مما يستمدها من كرم حقيقي كامن في نفسه. تقول لي: وكيف عرفت كل هذا؟ وأقول: ويحك! أبو فراس شاعر عظيم، وكلامه يشف عن شخصيته. هو يشجُعُ كي يَقولَ في شعره إنه شجاع، وكي يُقال إنه شجاع. هو يطلق سبايا العرب، ويستر عليهن كي يقال إنه ذو نخوة، وهو شديد الجزع، ورقيق المشاعر، وهو طفل مدلل، ويحسن الشكوى والتبرم، ويحسن أن يخلط التذلل والضراعة بالأنفة والكبرياء في مزيج مألوف في ضعاف الشخصية لا أقويائها.

وقد تدفق شعره من عيوب شخصيته وثقوبها. عندما كان أميراً في بلاط ابن عمه سيف الدولة عرفنا نصف عيوبه، وعندما وقع في أسر الروم وقعد يبكي على حاله عرفنا النصف الآخر. وفي الحالين أنتج لنا شعراً جميلاً.

أبو فراس الحمْداني (الحارث بن سعيد بن حمدان)

كان أبوه (أبو العلاء سعيد) صاحب حرب وضرب وله مآثر في نصرة الخليفة العباسي ببغداد، وله وقائع في الروم.. وخاف نفوذه ابن أخيه (ناصر الدولة) أمير الموصل فاغتاله، ولم يكن ذلك غريباً على الأسرة الحمدانية، وهي عربية تغلبية. فقد كان يقتل الأخ فيها أخاه، ويسجن الابن أباه.. (هذا بالضبط ما سيفعله عُدَّة الدولة ابن القاتل ناصر الدولة، فبعد خمس وثلاثين سنة سجن أباه الشيخ حتى الموت). وقد رأينا (أبا عبد الله الحسين) أحد إخوة أبي فراس الثلاثة، وكلهم أكبر منه، يتولى عملاً لقاتل أبيه. عادي. السياسة والمصلحة لا تعرفان المشاعر.

أما شاعرنا أبو فراس فقد كان في الثالثة من العمر عندما اغتيل أبوه. أخذته أمه إلى شمال سوريا مترددة بطفلها بين المدن التي للحمدانيين فيها سطوة، ثم كفل أبا فراس ابن عمه سيف الدولة الذي تولى إمارة حلب ولشاعرنا من العمر ثلاث عشرة سنة.

كان أبو فراس في السابعة عشرة عندما قدِم أبو الطيب المتنبي إلى بلاط سيف الدولة في حلب. رأى أبو فراس هذا الشاعر الكبير المشهور الذي بلغ الرابعة والثلاثين من العمر، ضعف عمره هو، يمدح سيف الدولة ويصف معاركه. ومكث المتنبي تسع سنين في بلاط سيف الدولة والمتأدبون في حلب يحفظون أشعاره ويتعقبونها بالنقد، وكانت للمتنبي صداقة مع بعضهم كأبي

الطيب النحوي، وعداوة مع معظمهم كابن خالويه النحوي. وكانت أبو فراس صديقاً لابن خالويه، وكان في صف خصوم المتنبي، ولا نكاد نشك في أنه حسده، لكنه كان يافعاً (فإن كنت سمعت بتلك الخرافة عن الملاسنة الأدبية المفتراة بين المتنبي وأبي فراس. . فضع ذلك في جراب الأكاذيب). وقد عاش ابن خالويه طويلاً وجمع لنا ديوان أبي فراس بعد موته، فقد كان أبو فراس يستودع أستاذه ابن خالويه كل شعر يقوله.

صارع أمير حلب، سيف الدولة، الروم طويلاً، ولكنه صارع غيرهم: «وسوى الروم خلف ظهرك روم، فعلى أي جانبيك تميل؟» كما قال المتنبي. وهؤلاء الروم الآخرون هم الأخشيديون الذين أخذ منهم سيف الدولة حلب، وهم أيضاً قبائل العرب، كلب وكلاب، ـ وفي وقعة كبيرة اجتمعت عليه النزارية واليمانية ـ، وجابه سيف الدولة وأخوه البويهيين الذين ملكوا الأمر ببغداد، وجابها القرامطة.

في هذه المعمعة كان أبو فراس حاضراً، وولاه سيف الدولة منبج وهو فتى. وقد غزا شاعرنا الروم مع ابن عمه سيف الدولة مراراً.

كان من حسن حظ الأدب العربي أن وقع أبو فراس في أسر الروم. قيل أسر مرة وقيل بل مرتين، وقيل أسر وهو في رحلة صيد، وقيل دام أسره سبع سنين، وقيل بل أربع. على أننا رزقنا من وراء أسره شعراً جميلاً حقاً.

تأخر سيف الدولة في افتداء أبي فراس. قالوا إن سيف الدولة أراد التمكين لولده ليتولى الحكم بعده فتلكأ في افتداء ابن عمه الشاعر الطموح، وقال بعضهم إن تلك السنين كانت عجافاً على سيف الدولة، وكان فيهن يحارب على أكثر من جبهة، وكان مضيقاً عليه في المال، وفدية أمير تستنزف المال.

في سنة ٣٥٥ افتُدي أبو فراس وعاد إلى حلب، فولاه سيف الدولة حمص. ومات سيف الدولة في السنة الموالية ٣٥٦ وتولى الحكم بعده ولده (سعد الدولة)، وكأنَّ أبا فراس حاول الاستقلال بحمص، فوقعت معركة بينه وبين جيش أمير حلب الجديد. وقتل أبو فراس عام ٣٥٧ وهو في السابعة والثلاثين من العمر.

لأبي فراس القصيدة المشهورة «أراك عصي الدمع»، التي غنتها أم كلثوم ثلاث مرات بثلاثة ألحان مختلفة. لكن له غيرها شعر كثير ثمين.

الشعر الذي سيرد عليك في الصفحات المقبلة شعر استطاع أن يعيش مع شعر المتنبي.

١ أنفذنا كتابا

وما قَصَّرْتُ في تَسْآلِ رَبْعٍ ولكنّي سألتُ فما أجابا
رأيتُ الشيبَ لاحَ فقلتُ أهلاً، وودعتُ الغَوايةَ والشبابا
وما إن شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ ولكنْ، رأيتُ مِنَ الأحبةِ ما أشابا

تسويد أ. عبد الرحيم

ألم تَرَنا أعزَّ الناسِ جاراً وأمْرَعَهُمْ وأمنَعَهُمْ جَنابا؟

أمرعهم: أكثرهم خصباً، أمنعهم جناباً: أكثرهم عزاً وحماية لأنفسهم ولمن يجاورهم

ولَمَّا أن طغَتْ سفهاءُ كعبٍ فتحْنا بيننا لِلحربِ بابا
فلمَّا اشتدَّتِ الهيجاءُ كُنَّا أشدَّ مخالِباً وأحَدَّ نابا
ويأمُرُنا، فنكفِيه الأعاديِ، هُمامٌ، لو يشاءُ كَفَى ونابا

يأمرنا سيف الدولة الهمام، والهمام هو الزعيم، فنحارب الأعداء ونكفيه شرهم، ولو شاء لفعل ذلك وناب عن مساعينا

فلمَّا أيْقَنوا أنْ لا غِياثٌ دَعَوْهُ لِلمَغُوثَةِ فاستَجابا

لما أيقن الأعداء أنْ لن يغيثهم أحد دعوا سيف الدولة لإغاثتهم ففعل

وعادَ إلى الجميلِ لَهُمْ، فعادُوا وقد مَدُّوا لِصَارِمِهِ الرِّقابا

عاد عليهم بالمودة فعادوا ولكن بعد أن بلغ صارمه، أي سيفه، رقابهم

أَحَلَّهُمُ الجزيرةَ بعد يأسٍ أخو حِلْمٍ إذا مَلَكَ العِقابا

أسكنهم في منطقة الجزيرة بين الفرات ودجلة وهو صاحب حلم إذا صار قادراً ومالكاً أن يوقع العقاب

ودَارُهُمُ انتزعنَاها انتزاعاً وأرضُهُمُ اغتصبناها اغتصابا
إذا ما أنْهَضَ الأمراءُ جيشاً إلى الأعداءِ أنْفَذْنا كِتابا

إذا اضطر الأمراء إلى إنهاض جيش وتجريده على أعدائهم فنحن يكفي أن ننفذ، نرسل، كتاباً، أي خطاباً، حتى يخافوا من تهديدنا

٢ هذبتني التجارب

غَريبٌ وأهلي حيثُما كان ناظِري وحيدٌ وحوْلي مِن رجالي عَصائِبُ

عصائب: جماعات

وشَرُّ عَدُوَّيْكَ الذي لا تُحارِبُ وخيرُ خَليلَيْكَ الذي لا تُنَاسِبُ

أسوأ أعدائك من لم تحاربهم بعد، لأنك لا تدري ما الذي تتوقعه منهم، وخير أصدقائك من لا يكون بينك وبينهم تناسب وعلاقة وطيدة فمثل هذه العلاقة تكشف لك عن مساوئ شتى

لقد زِدْتُ بالأيامِ والناسِ خِبرةً وجَرَّبْتُ حتى هذَّبتْني التَّجارِبُ

ومَن كانَ غيرَ السيفِ كافِلُ رزقِهِ فَلِلذُّلِّ منهُ لا مَحالَةَ جانِبُ

من كان يكفل لنفسه الرزق بزراعة وصناعة فلا بد أن يتعرض للذل، والعزة لمن يكفل رزقه بالقوة غازياً ومدافعاً

٣ ليتك تحلو

قال ابن خالويه، قال أبو فراس: امتنع سيف الدولة من إخراج ملك الروم الأسير إلا بفداء عام، فحُملتُ إلى القسطنطينية، وكتبت في ذلك:

أمَا لِجَميلٍ عندَكُنَّ ثوابُ ولا لِمُسيءٍ عندكُنَّ مَتابُ؟

أيتها الفتيات ألا تعطين وصلاً لمن يصنع جميلاً، وألا تسمحن لمن أساء بالتوبة؟

لقد ضَلَّ مَنْ تَحوي هَواهُ خَريدَةٌ وقد ذَلَّ مَن تَقضي عليهِ كَعَابُ

خريدة: فتاة منعمة، كعاب: الفتاة الشابة قد تكور صدرها

ولكنني، والحمدُ للَّه، حازِمٌ أعِزُّ إذا ذَلَّتْ لهُنَّ رِقَابُ

ولا تَمْلِكُ الحَسناءُ قَلبيَ كلَّهُ وإن شَمِلَتْها رِقَّةٌ وشَبابُ

وأَجري فَلا أُعطِي الهوى فَضْلَ مِقْوَدي وأَهْفُو فلا يَخْفَى عليَّ صَوابُ

إذا جريت، كما يجري المرء بحصانه، فأنا لا أترك مقود الحصان بيد الهوى، أي أنني لا أتهور مع أهوائي، وأهفو وأخطئ ولكنني أعرف الصواب

إذا الخِلُّ لم يَهجُرْكَ إلّا مَلالَةً فليسَ له إلّا الفِراقَ عِتَابُ

إذا لم أَجِدْ مِنْ خُلَّةٍ ما أريدُه فعندي لأُخرى عَزْمَةٌ ورِكَابُ

إن لم أحظ عند فتاة فأنا أعزم وأمضي لغيرها. والخُلَّة هي الصديقة وهي الزوجة

صَبورٌ وإنْ لم تبقَ مني بَقيَّةٌ قَؤُولٌ ولو أنَّ السيوفَ جَوابُ

وَقُورٌ وأحداثُ الزمانِ تَنُوشُني ... ولِلموتِ حَوْلي جيئَةٌ وذَهابُ

تنوشني: تنهشني من كل جانب

وأَلْحَظُ أحوالَ الزمانِ بِمُقْلَةٍ ... بها الصِّدْقُ صِدْقٌ، والكِذَابُ كِذَابُ

بِمَنْ يَثِقُ الإنسانُ فيما ينوبُه ... ومِنْ أينَ لِلحُرِّ الكريمِ صِحَابُ؟

وقد صارَ هذا الناسُ، إلّا أقلَّهُمْ، ... ذئاباً على أجسادِهِنَّ ثيابُ

تَغابَيْتُ عن قومي فَظَنُّوا غباوَتي؛ ... بِمَفْرِقِ أَغْبانا حَصىً وتُرابُ

ولو عَرَفوني حقَّ معرِفَتي بِهِمْ ... إذنْ عَلِمُوا أنّي شهدتُ وغابوا

لو عرفوني لعلموا أنني مدرك للأمور كمن عاينها وشهدها، أما هم فكمن غاب عنها وسمع بها سمعاً لا غير

وما كُلُّ فَعَّالٍ يُجازَى بِفِعْلِهِ ... ولا كُلُّ قَوَّالٍ لديَّ يُجابُ

ورُبَّ كَلامٍ مَرَّ فوقَ مَسامِعي ... كما طَنَّ في لُوحِ الهَجِيرِ ذُبابُ

اللوح: الهواء بين السماء والأرض، والهجير: شدة الحر

إلى اللّهِ أشكو أنّنا بِمنازِلٍ ... تَحَكَّمُ في آسَادِهِنَّ كِلابُ

تَمُرُّ اللَّيالي ليس للنفْعِ مَوْضِعٌ ... لَدَيَّ ولا لِلمُعْتَفِينَ جَنابُ

وأنا أسيرٌ تمر الليالي وليس لي ما تعودته من أن أنفع الناس، وليس للمعتفين، الفقراء، من جناب عندي أي جوار

ولا شُدَّ لي سَرْجٌ على ظَهْرِ سابِحٍ ... ولا ضُرِبَتْ لي بِالعَراءِ قِبابُ

سابح: حصان، قباب: خيام

ولا بَرَقَتْ لي في اللقاءِ قَواطِعٌ ... ولا لَمَعَتْ لي في الحروبِ حِرَابُ

قواطع: سيوف، حراب: خناجر

ستَذْكُرُ أيّامي نُمَيْرٌ وعامِرٌ ... وكَعْبٌ على عِلّاتِها وكِلَابُ

أنا الجارُ لا زَادي بَطِيءٌ عليْهِمُ ... ولا دونَ مالي لِلحوادثِ بابُ

ولا أَطْلُبُ العَوْرَاءَ منهُمْ أُصيبُها ... ولا عَوْرَتي للطَّالِبينَ تُصَابُ

لا أتقصى عوارءهم، عيبهم، ولا يصيب، أي ينال، عيباً لي من يطلب هذا العيب ويبحث عنه

وأَسْطُو وحُبّي ثابتٌ في صُدورِهِمْ ... وأَحْلُمُ عن جُهَّالِهِمْ، وأُهَابُ

بَني عَمِّنا ما يصنعُ السيفُ في الوَغَى ... إذا فُلَّ منهُ مَضْرِبٌ وذُبابُ

يا بني عمنا ـ وسيف الدولة هو ابن عمه ـ، ما يصنع السيف إذا فل مضربه، أي تثلم حده، وذبابه، أي حده أيضاً

بنيِ عَمِّنَا لا تُنكِرُوا الحقَّ، إنَّنا   شِدادٌ، ولا نرضى الهَوانَ، صِلابُ
بنيِ عَمِّنَا نحنُ السَّواعِدُ والظُّبَى   ويُوشِكُ يوماً أن يكونَ ضِرابُ

نحن السواعد والظبى، أي شفرات السيوف، وسيكون هناك وشيكاً ضراب، أي عراك، فلا غنى لكم عنا

وما أدَّعي ما يعلمُ اللّهُ غيرَهُ   رِحَابُ عَليٍّ لِلْعُفَاةِ رِحَابُ

رحاب علي، ساحات سيف الدولة واسمه علي، رحاب، أي واسعات، للعفاة، أي الفقراء

وأفعالُهُ للراغِبِينَ كَريمةٌ   وأموالُهُ للطَّالِبِينَ نِهابُ
ولكنْ نَبَا منْهُ بِكَفِّيَ صَارِمٌ   وأَظْلَمَ في عينيَّ منهُ شِهابُ

لكن أخطأ من سيف الدولة سيف بكفي أنا، أي أنه خذلني، وصار مظلماً في عينيَّ مع أنه شهاب ساطع، أي أن نوره لغيري ليس لي

وأبطأَ عنِّي، والمَنايا سريعةٌ   ولِلموتِ ظُفْرٌ قد أَطَلَّ ونَابُ

أبطأ في افتدائي، والمنايا سريعة فقد يلحق بي الموت قبل الافتداء

ولكنني راضٍ على كلِّ حَالةٍ   لِيُعْلَمَ أيُّ الحَالَتَيْنِ سَرابُ

أنا راض فستكشف الأيام ما هو السراب، أي الوهم، أهو وجودي أم عدمه

وما زِلْتُ أرضَى بالقليلِ محبَّةً   لديكَ، وما دونَ الكثيرِ حِجابُ

تعليق أحمد عبد الرحيم: «عالٍ صوفيًا!»

كذاكَ الوِدَادُ المَحْضُ لا يُرْتَجَى لهُ   ثوابٌ، ولا يُخْشَى عليهِ عِقَابُ
وقد كُنْتُ أَخْشَى الهجرَ والشَّمْلُ جامِعٌ   وفي كلِّ يوم لَفْتَةٌ وخِطابُ..

كنت أخشى أن تصد عني وأنا معك وأراك كل يوم وتلتفتً إلي وتكلمني..

فكيفَ وفيما بينَنا مُلْكُ قيصرٍ   ولِلبَحْرِ حولي زَخْرَةٌ وعُبابُ

فكيف الآن وأنا في قبضة الروم، وفي القسطنطينية وحولي البحر الزاخر، ولعله كان في الجانب الغربي منها مفصولاً بمضيق البسفور

أَمِنْ بعدِ بَذْلِ النفسِ فيما تُريدُهُ   أُثَابُ بِمُرِّ العَتْبِ حينَ أُثَابُ؟

أتكون مكافأتي العتاب المر بعد أن بذلت نفسي في طاعتك؟

فَلَيْتَكَ تَحلُو والحياةُ مَريرةٌ   ولَيْتَكَ تَرضَى والأنامُ غِضابُ
وليتَ الذي بيني وبينَكَ عامِرٌ   وبيني وبينَ العَالَمِينَ خَرابُ

آخر بيتين ليس لهما شرح، هما من فاخر الشعر. يضيف أ. عبد الرحيم «عاليان جدًا صوفيًا!»

٤ أنا مشهور

نقل لسيف الدولة أن أبا فراس قال: «إنْ ثَقُل هذا المال على سيف الدولة كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره من أصحاب البلدان، وخففنا عن الأمير». فقال سيف الدولة: ومن أين لأبي فراس أن يعرفه أهل خراسان؟ فكتب إليه أبو فراس:

أَسيفَ الهُدَى وقَريعَ العَرَبْ ... عَلامَ الجَفاءُ؟ وفِيمَ الغَضَبْ؟

القريع: السيد

وفِيمَ يُقَرِّعُنِي بالخُمُو ... لِ، مَولىً بِهِ نِلْتُ أعلى الرُّتَبْ؟

كيف يوبخني بأنني خامل الذكر غير معروف هذا المولى، السيد وهو سيف الدولة، الذي نلت بقربي منه الرتبة العالية

وكانَ عَتِيداً لديَّ الجوابُ ... ولكنْ، لِهَيْبَتِهِ لم أُجِبْ

عتيداً: حاضراً

فلا تَنْسُبَنَّ إليَّ الخُمولَ ... عليكَ أَقَمْتُ، فلَمْ أَغْتَرِبْ

لا تتهمني بخمول الذكر، فقد التزمت بك ولم أغترب

وأَصبحتُ مِنكَ، فإن كانَ فَضْلٌ ... وإن كانَ نَقْصٌ، فأنتَ السَّبَبْ

أصبحت جزءاً منك بما في ذلك مما هو إيجابي أو سلبي

وإنَّ خُراسانَ إنْ أَنْكَرَتْ ... عُلايَ، فقد عَرَفَتْها حَلَبْ

ومِن أينَ يُنْكِرنِي الأَبْعَدُونَ ... أَمِنْ نقصِ جَدٍّ؟ أَمِنْ نَقْصِ أَبْ؟

وكنتَ الحَبيبَ وكنتَ القَريبَ ... ليالِيَ أدعوُكَ مِن عَنْ كَثَبْ

فلمَّا بَعُدْتُ بَدَتْ جَفْوَةٌ ... ولاحَ مِنَ الأمرِ ما لا أُحِبْ

فلو لم أَكُنْ بِكَ ذا خِبرةٍ ... لقلتُ: صَديقُكَ مَنْ لم يَغِبْ

لولا معرفتي بكرم طباعك لقلت إن الصديق يبقى صديقاً ما كنت حاضراً فإن غبت تحول عنك

٥ لماذا تغتابني؟

يجيب سيف الدولة على عتبه، وهو في الأسر:

زَمانِيَ كُلُّهُ غَضَبٌ وعَتْبُ ... وأنتَ عَلَيَّ والأَيّامُ إِلْبُ

إلب: حلف

إلى كَمْ ذا العقابُ وليسَ جُرْمٌ   وكم ذا الاعتِذَارُ وليسَ ذَنْبُ؟
فلا بِالشامِ لَذَّ لَدَيَّ شُرْبٌ   ولا في الأَسْرِ رَقَّ عليَّ قلبُ
أمِثْلي تُقبَلُ الأقوالُ فيهِ   ومِثْلُكَ يَستَمِرُّ عليهِ كِذْبُ؟
وزَنْدي، وَهْوَ زَنْدُكَ، ليس يَكْبُو   ونَاري، وَهْيَ نارُكَ، ليسَ تَخْبُو

الزند: أداة قدح الشرر لإشعال النار، يكبو: يخفق

وفَرْعي فَرْعُكَ السامي المُعَلَّى   وأَصْلي أَصلُكَ الزَّاكي وحَسْبُ
فَدَتْ نفسي الأميرَ، كأنَّ حَظِّي   وقُربي عِندَهُ مَا دامَ قُرْبُ

كأن حظي الحسن وقربي من الأمير مستمران فقط ما دمت قريباً بجسدي منه، فإن نأى بي الأسر فلا حظ لي ولا قرب

فلمَّا حالَتِ الأعداءُ دُوني   وأَصبحَ بينَنا بحرٌ ودَرْبُ
ظَلِلْتَ تَبَدَّلُ الأقوالُ بَعدي   ويَبْلُغُني اغْتِيابُكَ ما يُغِبُّ

ما يغب: ما يتأخر

فَقُلْ ما شئتَ فِيَّ فَلي لِسانٌ   مَلِيٌّ بِالثَّناءِ عليكَ رَطْبُ

ملي: جدير

وعَامِلْني بإِنصافٍ وظُلْمٍ   تَجِدْني في الجميعِ كما تُحِبُّ

٦ الحرب طعامي

قال بعد أن شفي من جرح السهم الذي أصابه في فخذه، وكان سبب أسره:

فلا تَصِفَنَّ الحَربَ عِندي فإنَّها   طَعَاميَ مُذْ بِعْتُ الصِّبا وشَرابي
وقد عَرَفَتْ وقعَ المَسامِيرِ مُهجَتي   وشُقِّقَ عن زُرْقِ النُّصولِ إهَابي

المسامير: تباشيم حديدية في الدروع، أي مسامير غير ناتئة، إهابي: جلدي

ولَجَّجْتُ في حُلْوِ الزمانِ ومُرِّهِ   وأنفقتُ مِن عُمري بِغيرِ حِسابِ

لججت: خضت في لجج البحر. تسويد أ. عبد الرحيم

٧ عيد كئيب

وافاه العيد وهو في الأسر فقال:

يا عيدُ، ما عُدْتَ بِمَحْبوبِ   على مُعَنَّى القلبِ مَكْروبِ

يا عيدُ، قد عُدْتَ على نَاظِرٍ ... عن كلِّ حُسْنٍ فيكَ مَحْجُوبِ

ناظر: عين

مَا لي ولِلدهرِ وأَحْدَاثِهِ ... لقد رَمَانِي بِالأَعَاجِيبِ

٨ للناس فيما يعشقون..

كتب إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد بعدما لحقه عند أسره من الجزع، ويذكُرُ قوماً عجّزوا رأيه في الثبات يوم أسره، ويفتخر:

عليَّ لِرَبْعِ العَامِرِيَّةِ وَقْفَةٌ ... تُمِلُّ عليَّ الشوقَ، والدَّمْع كُاتبُ

تمل: تملي

ومِن مَذهَبي حُبُّ الدِّيارِ لأَهلِها ... ولِلناسِ فيما يَعشَقُونَ مَذاهِبُ

تَكاثَرَ لُوَّامي عَلى مَا أَصَابَني ... كأنْ لم تَكُنْ إلَّا لأَسْري النَّوائِبُ

أَرى مِلْءَ عَيْنَيَّ الرَّدى فَأَخُوضُهُ ... إذِ الموتُ قُدَّامي وخَلْفي المَعَايِبُ

وأَعْلَمُ قَوماً لو تَتَعْتَعْتُ دونَها ... لأَجْهَضَني بِالذَّمِّ منْهُمْ عَصَائِبُ

تتعتعت: ترددت، أجهضني: أسقطني، عصائب: جماعات

ومُضْطَغِنٍ لم يَحْمِلِ السِّرَّ قَلبُهُ ... **تَلَفَّتَ ثم اغْتَابَني وَهْوَ هَائِبُ**

مضطغن: حاقد

تَرَدَّى رداءَ الذُّلِّ لَمَّا لَقيتُه ... كما تَتَردَّى بِالغُبارِ العَناكِبُ

لبس لباس الذلة والمسكنة لما رآني، مثل العناكب التي تلبس نسيجها وسط غبار البيوت الخربة

رَمَتْني عُيونُ الناسِ حتى أَظُنُّها ... سَتَحْسُدني في الحَاسِدِينَ الكَواكِبُ

هُمُ يُطْفِئُونَ المَجْدَ واللَّهُ مُوقِدٌ ... وكمْ يَنقُصُونَ الفضلَ واللَّهُ واهبُ

ويَرْجُونَ إدراكَ العُلا بِنُفُوسِهِمْ ... ولم يَعلَمُوا أنَّ المَعَالي مَواهِبُ

المعالي مواهب، عطايا من الله لا تكتسب

وهل يَدفَعُ الإنسانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ ... وهل يَعلَمُ الإنسانُ مَا هُوَ كَاسِبُ؟

وهل لِقضاءِ اللَّهِ في الناسِ غالِبٌ ... وهل مِنْ قَضاءِ اللَّهِ في الناسِ هارِبُ؟

عَلَيَّ طِلابُ المَجْدِ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ ... ولا ذَنْبَ لي إنْ حَارَبَتْني المَطَالِبُ

وهل يُرْتَجى لِلأَمْرِ إلَّا رِجَالُه ... ويأْتي بِصَوْبِ المُزْنِ إلَّا السَّحَائِبُ

صوب المزن: مطر السحاب

إذا كانَ سيفُ الدَّولةِ المَلْكُ كَافِلِي فلا الحَزْمُ مَغْلُوبٌ ولا الخَصْمُ غَالِبُ
فلا تَخْشَ سَيفَ الدَّولَةِ القَرْمَ أَنَّنِي سِوَاكَ إلى خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ رَاغِبُ

القرم: السيد الشجاع

٩ خوف العار

وكتب إليه أبو الحسن محمد بن محمد الأسمر يوصيه بالصبر، فكتب إليه:

جَشَّمْتُ خوفَ العارِ أَعظَمَ خُطَّةٍ وأَمَّلْتُ نَصراً كانَ غَيرَ قَريبِ
ولِلعَارِ خَلَّى رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ وفَارقَ دِينَ اللَّهِ غيرَ مُصِيبِ

هذا جبلة بن الأيهم الغساني الذي فارق المسلمين والتحق بالروم فراراً من لطمة أوجبها عليه عمر بن الخطاب قصاصاً

١٠ بأقلامنا أم بسيوفنا؟

وقعت مناظرة بين أبي فراس والدمستق، وهو في أسره، فقال له الدمستق: إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب، فرد عليه أبو فراس: نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟ ثم قال:

أَتَزْعُمُ يا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ أَنَّنا ونحنُ أُسودُ الحربِ لا نَعرفُ الحَربا؟

اللغاديد: الغباغب، وهي فضلات جلد تتدلى من الرقبة عند الرجل الهرم السمين، وعند الثور

فويْلَكَ! مَنْ لِلحربِ إن لم نَكُنْ لَها ومَنْ ذا الذي يُمْسِي ويُضْحِي لَها تِرْبا؟

ترب: خدين وحليف، والترب في الأصل صديقك المقارب لك في العمر، الجمع أتراب

وَوَيْلَكَ مَنْ أَرْدَى أَخاكَ بِمَرعَشٍ وجَلَّلَ ضَرْباً وَجْهَ وَالِدِكَ العَضْبا؟

ويلك، من أردى، أي قتل، أخاك ومن الذي جلل بالعضب، بالسيف، وجه أبيك ضرباً

لقد جَمَعَتْنا الحربُ مِنْ قبلِ هَذهِ فكنَّا بِها أُسْداً وكنتَ بِها كَلْبا
بِأَقْلامِنا أُجْحِرْتَ أم بِسُيوفِنا وأُسْدَ الشَّرى قُدْنا إِلَيْكَ أمِ الكُتْبا؟

أجحرت: أدخلت في جحرك

١١ لا ذنب للجميلة

أَساءَ فَزَادَتْهُ الإِسَاءَةُ حُظْوَةً حبيبٌ، على ما كانَ مِنه، حبيبُ

على ما كان منه: رغم ما كان منه

يَعُدُّ عَلَيَّ العَاذِلُونَ ذُنُوبَهُ ومِنْ أينَ لِلوجْهِ المَليحِ ذُنوبُ؟

١٢ ليلة ناجحة

لَبِسْنا رداءَ الليلِ والليلُ رَاضِعٌ إلى أن تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشِيبِ

مكثنا في الليل فكأننا لبسنا رداءه، وهو راضع، في بدايته صغير رضيع، وبقينا كذلك إلى أن طلع الصبح فكأنه ببياضه كان رداء من الشيب على رأس الليل

وَبِتْنا كَغُصْنَيْ بَانَةٍ عَابَثَتْهُما إلى الصُّبْحِ رِيحَا شَمْأَلٍ وجَنُوبِ

كنا يميل أحدنا على الآخر كغصني شجيرة بان تهب عليهما الريح من اتجاهين متضادين

إلى أنْ بَدا ضَوْءُ الصَّباحِ كَأَنَّهُ مَبَادِي نُصُولٍ في عِذَارِ خَضِيبِ

بدا ضوء الصباح كأنه مبادي، بدايات، نصول الصبغ إذ يطول الشعر ويبدو البياض تحت الصبغ الأسود في عذار، سالف، شخص خضيب الشعر

فيا لَيْلُ قد فَارَقْتَ غيرَ مُذَمَّمٍ ويا صُبْحُ قد أَقْبَلْتَ غيرَ حبيبِ

١٣ رثاء الأخت

قال يرثي أخته، ويحدث نفسه:

أَتَزْعُمُ أنَّكَ خِدْنُ الوَفَاءِ وقدْ حَجَبَ التُّرْبُ مَنْ قد حَجَبْ

يخاطب نفسه: أتدعي يا أبا فراس أنك خدن وفاء، أي صاحب وفاء، أي وفيّ، بعد أن ماتت أختك؟

فإن كنتَ تَصْدُق فيما تقولُ فَمُتْ قبلَ مَوْتِكَ مَعْ مَنْ تُحِبْ

يُعَزُّونَ عَنْكِ وأينَ العَزَاءُ؟ ولكنَّها سُنَّةٌ تُسْتَحَبّ

١٤ ثأر بالنيابة

لقد عَلِمَتْ قيسُ بنُ عَيْلانَ أَنَّنا بِنا يُدْرَكُ الثأرُ الذي قَلَّ طَالِبُهْ

وأنَّا فَتَكْنَا بِالأَغَرِّ ابنِ رَائِقٍ عَشِيَّةَ دَبَّتْ بِالفَسادِ عَقَارِبُهْ

أَخَذْنا لَكُمْ بِالثَّأْرِ ثأْرِ عُمَارَةٍ وقد نامَ لم يَنْهَدْ إلى الثأرِ صَاحِبُهْ

ينهد: ينهض

١٥ فارس العرب

ولا أعودُ بِرمْحي غيرَ مُنْحَطِمٍ ولا أَروحُ بِسيْفي غيرَ مُخْتَضِبِ

لا أعود من المعركة إلا وقد كسرتُ رمحي في الأعداء، وخضبت سيفي بدمهم

حتى تقولَ لَكَ الأعداءُ رَاغِمَةً   أَضْحَى ابْنُ عَمِّكَ هذا فَارِسَ العَرَبِ

يا مَنْ يُحاذِرُ أن تَمضي عَلَيَّ يَدٌ   مَا لِي أَرَاكَ لِبِيضِ الهندِ تَسْمَحُ بي

حسبتك تخاف علي أن تمسني يد، فإذا بك تسمح بي وتعرضني لسيوف الهند

وأنتَ بي مِنْ أَضَنِّ الناسِ كُلِّهِمُ   فكيفَ تَبْذُلُني لِلسُّمْرِ والقُضُبِ؟

كيف تعرضني للسمر، الرماح، والقضب، السيوف؟

مَا زلتُ أَجْهَلُهُ فضلاً وأُنْكِرُهُ   وأُوسِعُ النفسَ مِنْ عُذْرٍ ومِنْ عَجَبِ

كنت أجهل فضلك في هذا وأنكر تصرفك، وأحاول العثور على عذر لك وأنا متعجب

حتى رأَيْتُكَ بينَ الناسِ مُجْتَنِباً   تُثْني عَلَيَّ بِوَجْهٍ غيرِ مُتَّئِبِ

حتى رأيتك وأنا واقف بعيداً مجتنباً.. وكنت تثني علي بوجه غير متئب، غير متحسب ولا محترس بل كنت متحمساً لي

فعِنْدَها، وعيونُ الناسِ تَرمُقُني،   عَلِمْتُ أنَّكَ لم تُخْطِئْ ولم أُصِبِ

عندئذ رأيت نظرات الناس تتركز علي وأنا واقف بعيداً، فعلمت أنك كنت مصيباً في تعريضك لي للقتال وفنونه

١٦ زين الشباب

قال في اليوم الذي فيه قتل، يخاطب ابنته:

أَبُنَيَّتي لا تجزَعي   كلُّ الأَنامِ إلى ذَهَابِ

أَبُنَيَّتي صَبراً جميـ   ـلاً لِلجليلِ مِنَ المُصَابِ

نُوحي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ   مِنْ خَلْفِ سِتْرِكِ والحِجَابِ

قُولي إذا نادَيْتِني   وعَيِيتُ عن رَدِّ الجَوابِ

زَيْنُ الشبابِ أبو فِرا   سٍ لم يُمَتَّعْ بالشبابِ

١٧ فهمتها

يا ليلُ مَا أَغْفُلُ عمَّا بي   حَبائِبي فيكَ وأَحْبابي

يا ليلُ نامُ الناسُ عن مُوجَعٍ   ناءٍ، على مَضْجَعِهِ نَابِ

نابِ على مضجعه: غير مستقر في فراشه من الألم

هَبَّتْ لهُ ريحٌ شَآمِيَّةٌ   مَتَّتْ إلى القَلْبِ بِأَسبابِ

متت: تعلقت

أَدَّتْ رِسـالاتِ حَـبـيـبٍ لَـنـا فَـهِمْـتُـهـا مِـنْ بـيـنِ أَصْحَـابـي

آخر بيتين كان يرددهما الصاحب بن عباد معجباً بهما

١٨ لا نجوتُ إن نجا

قـامـتْ إلـى جَـاراتِـهـا تَـشْـكُـو بِـذُلٍّ وشَـجَـا

أمَـا تَـرَيْـنَ ذا الـفَـتـى مَـرَّ بِـنـا مَـا عَـرَّجَـا

إن كـانَ مـا ذَاقَ الـهَـوى فَـلا نَـجَـوْتُ إنْ نَـجَـا

١٩ بحر من سلاح

يَفتخِرُ بجيش سيف الدولة وسلاحه:

عَـلَـوْنـا جَـوْشَـنـاً بِـأَشَـدَّ مـنـهُ وأَثْـبَـتَ عـنـدَ مُـشْـتَـجَـرِ الـرِّمَـاحِ

اعتلينا حصن جوشن بجيش هو أشد من الحصن عند مشتجر، اشتباك، الرماح

بِـجَـيْـشٍ جَـاشَ بِـالـفُـرسـانِ حتى ظَـنـنـتَ الـبَـرَّ بَـحْـراً مِـنْ سِـلاحِ

جاش: تدفق

٢٠ لا عتاب

لـم أُؤَاخِـذْكَ بِـالـجَـفَـاءِ لِأَنِّـي واثِـقٌ مـنـكَ بِـالـوفَـاءِ الـصَّـحـيـحِ

فـجـمـيـلُ الـعَـدُوِّ غـيـرُ جـمـيـلٍ وقـبـيـحُ الـصـديـقِ غـيـرُ قـبـيـحِ

٢١ أوصيك بعدم الصبر

كتب إلى سيف الدولة يعزيه عن أخته، سنة ٣٥٣ وهو أسير بالقسطنطينية:

أُوصيكَ بالحُزْنِ لا أُوصيكَ بالجَلَدِ جَلَّ المُصَابُ عنِ التَّعْنِيفِ والفَنَدِ

الفند: الخطأ

بي مِثلُ مَا بِكَ مِنْ حُزْنٍ ومِنْ جَزَعٍ وقـد لَـجَأْتُ إلى صبـرٍ فـلم أَجِدِ

تسويد أ. عبد الرحيم

٢٢ جهل العشائر

قال يصف الصفح عن بني نمير وكلاب ويحذرهم:

إلى اللَّهِ أَشْكُو ما أَرى مِنْ عَشائِرٍ إذا ما دَنَوْنا زادَ جَاهِلُهُمْ بُعْدا
وإنَّا لَتَثْنِينا عَواطِفُ حِلْمِنا عليْهِمْ، وإن ساءَتْ طَرائِقُهُمْ جِدًّا
ويَمْنَعُنا ظُلْمَ العَشيرةِ أنَّنا إلى ضُرِّهَا لو نَبتَغي ضُرَّهَا أَهْدَى

يمنعنا من ظلمهم أننا نعرف كيف نهتدي إلى أمور تضر بهم لو أردنا ذلك

ولو عَرَفَتْ هذي العشائِرُ رُشْدَهَا إذنْ جَعَلَتْنا دونَ أَعدَائِها سَدًّا

٢٣ لله الإرادة

قال لبعض المنجمين:

يا مُعْجَباً بِنجُومِهِ لا النَّحْسُ مِنكَ ولا السَّعَادَةْ

أيها المنجم النحس والسعادة، أي السعد والفأل الحسن ليسا منك

اللَّهُ يَنْقُصُ ما يَشا ءُ، وفي يَدِ اللَّهِ الزيادَةْ
دَعْ ما أُرِيدُ ومَا تُريـ ـدُ، فَإنَّ لِلَّهِ الإرادَةْ

٢٤ لا تقعد عني

خرج ابن أخت ملك الروم في ألف من وجوه الروم والأرمن إلى نواحي منبج فصادف أبا فراس يتصيد في سبعين فارساً، فأراد أصحاب أبي فراس له الفرار، فأبى وقاتل حتى جرح وأسر. فكتب أبو فراس إلى سيف الدولة يطلب أن يفديه بأسير رومي من الأمراء:

دَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ القَريحِ المُسَهَّدِ لَدَيَّ، ولِلنَّوْمِ القَليلِ المُشَرَّدِ

القريح: المتقرح المشقق، المسهد: الساهر

ومَا أنا إلَّا بينَ أَمْرٍ وضِدِّهُ يُجَدِّدُ لي في كلِّ يومٍ مُجَدَّدِ

أنا متلاطم المشاعر منتبشر يوماً، يائس يوماً مع كل يوم جديد

فمِنْ حسنِ صبرٍ بِالسَّلامَةِ وَاعِدي ومِنْ رَيْبِ دهرٍ بِالرَّدَى مُتَوَعِّدي

الصبر يعدني بالسلامة، وريب الدهر ومصائبه تتوعدني بالموت

أُقَلِّبُ طَرْفي بينَ خِلٍّ مُكَبَّلٍ وبينَ صَفِيٍّ بِالحَديدِ مُصَفَّدِ

مكبل ومصفد: مقيد، والصفي: الصديق

فلا تَتْرُكِ الأعداءَ حَوْلي لِيَفْرَحُوا ولا تقْطَعِ التَّسْآلَ عَنِّي وتَقْعُدِ
فإنْ مُتُّ بعدَ اليومِ عَابَكَ مَهْلَكي مَعَابَ النِّزَارِيِّينَ مَهْلَكُ مَعْبَدِ

إن مت في الأسر سيكون ذلك عاراً عليك كما كان موت معبد بن زرارة في الأسر بعد تلكؤ أهله في افتدائه عاراً عليهم

ولم يَكُ بِدْعاً هُلْكُهُ، غير أنَّهُمْ يُعَابُونَ إذْ سِيمَ الفِدَاءُ ومَا فُدي

يعابون لأن الفداء سيم، تمت المساومة عليه بأربعمئة بعير، ولكنهم لم يفتدوه

وإنَّكَ لَلمَولَى الذي بِكَ أَقْتَدي وإنَّكَ لَلنَّجْمُ الذي بِكَ أَهْتَدي
وأنْتَ الذي بَلَّغْتَني كلَّ رُتْبَةٍ مَشيْتُ إليها فوقَ أعناقِ حُسَّدي
فيَا مُلْبِسي النُّعْمَى التي جَلَّ قَدْرُها لقد أَخْلَقَتْ تِلكَ الثِّيابُ فَجَدِّدِ

أخلقت: اهترأت

ولا يَحْرِمَنِّي اللَّهُ قُرْبَكَ إنَّه مُرادي مِنَ الدُّنيا وحَظِّي وسُؤْدَدي

٢٥ ابن الأماجد

قال يصف أسره:

لِمَنْ جَاهَدَ الحُسَّادَ أَجْرُ المجاهِدِ وأعجَزُ ما حَاوَلْتَ إرضاءُ حَاسِدِ
أيا جَاهِداً في نَيْلِ ما نِلْتُ مِنْ عُلاً رُوَيْدَكَ إنِّي نِلْتُها غَيْرَ جَاهِدِ
ويا سَاهِدَ العَيْنَيْنِ فيما يَريبُني ألَا إنَّ طَرْفي في الأذى غيرُ سَاهِدِ

يا ساهراً يفكر في مكائد يوقعني فيها إن طرفي، عيني، غير ساهر بل نائم غير مهتم بك رغم الأذى الذي أعانيه

إذا كانَ غيرُ اللَّهِ لِلمرءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرَّزايا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ
فقد جَرَّتِ الحَنْفَاءُ حَتْفَ حُذَيْفَةٍ وكانَ يَراها عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ

الحنفاء فرس لحذيفة بن بدر، وقد سبقتها الغبراء.. وقامت حرب داحس والغبراء وفيها قتل حذيفة

وجَرَّتْ مَنايا مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةٍ عَقيلَتُهُ الحَسناءُ أيَّامَ خَالِدِ

مالك بن نويرة قتله خالد بن الوليد في حروب الردة ثم تزوج من زوجته الحسناء، وانتُقد على ذلك

عسَى اللَّهُ أنْ يَأتِي بِخيرٍ فَإنَّ لي عَوائِدَ مِنْ نُعْمَاهُ غيرَ بَوائِدِ

غير بوائد: لا تفنى ولا تبيد

فكمْ شَالَني مِنْ قَعْرِ ظَلْمَاء لم يَكُنْ لِيُنْقِذَني مِنْ قَعْرِها حَشْدُ حَاشِدِ
مَنَعْتُ حِمَى قَومِي وسُدْتُ عَشيرتِي وقَلَّدْتُ أَهْلِي غُرَّ هَذي القَلائِدِ

القلائد: العقود، يعني القصائد

خَلائِقُ لا يُوجَدْنَ في كلِّ مَاجِدٍ ولكنَّها في المَاجِدِ ابْنِ الأَمَاجِدِ

٢٦ إسكار الحبيب

بَاتَ الحبيبُ إلى الصبا حِ مُعانِقي خَدّاً لِخَدّ
قد كانَ مَوْلايَ الأجلَّ - فَصَيَّرَتْهُ الرَّاحُ عَبْدي

مولاي: سيدي

لَيْسَتْ بِأَوَّلِ مِنَّةٍ مَشْكُورَةٍ لِلرَّاحِ عِنْدي

منة: نعمة

٢٧ الصديق الصدوق

كتب أبو فراس للقاضي أبي حصين علي بن عبد الملك، وقد عزم على المضي إلى الرقة:

يَا طُولَ شَوْقِيَ إنْ قَالوا الرحيلُ غَدا لا فَرَّقَ اللَّهُ فيما بينَنا أبدا
يَا مَنْ أُصَافِيهِ في قُرْبٍ وفي بُعُدٍ ومَنْ أُخَالِصُهُ إن غَابَ أو شَهِدا
راعَ الفِراقُ فؤاداً كنتَ تُؤْنِسُهُ وذَرَّ بينَ الجُفُونِ الدَّمْعَ والسُّهُدَا
ما زالَ يَنْظِمُ في الشعرَ مُجتهداً فضْلاً وأَنْظِمُ فيه الشعرَ مُجْتَهِدا
حتى اعتَرَفْتُ وعَزَّتْني فَضائِلُهُ وفَاتَ سَبْقاً وحازَ الفضلَ مُنْفَرِدا

عزتني: تغلبت عليّ

إنْ قَصَّرَ الجُهْدُ عن إدراكِ غايَتِهِ فَأَعْذَرُ الناسِ مَنْ أَعطَاكَ مَا وَجَدا

إن قصر جهدي عن إدراك الغاية التي بلغها في جودة شعره فإن أفضل الناس عذراً من أعطى بقدر ما وجد لديه

الحمدُ للَّهِ حمْداً دائِماً أبدا أَعْطَانِيَ الدهرُ مَا لم يُعْطِهِ أَحَدَا

٢٨ جملة القول

نَــبْــوَةُ الإِدْلالِ لــيــســتْ عــنــدَنــا ذَنــبــاً يُــعَــدُّ

نبوة الإدلال: صدود الدلال

جُـمْـلَـةٌ تُـغْـنـي عـن الـتـفــ ـصـيـلِ: مَـا لـي عَـنْـكَ بُـدُّ

٢٩ نتاجر بالسيوف

قال يهنئ سيف الدولة بإيقاعه بالقبائل، ويفخر بنفسه وبقومه الوائليين:

أَقُولُ وقد ضَجَّ الحُلِيُّ وأَشْرَفَتْ، ولم أَرْوَ منْها، لِلصَّباحِ بَشائِرُ:

أقول وقد سُمع لحليها صوت واقتربت بشائر الصبح، ولم أرتو من الحبيبة:

أَيا رَبِّ حَتَّى الحَلْيُ مِمَّا نَخافُهُ وحتى بَياضُ الصبحِ مِمَّا نُحاذِرُ

ولي فيكِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ آمِرٌ ودُونَكِ مِنْ حُسْنِ الصِّيانَةِ زَاجِرُ

تأمرني صبابتي وتعلقي بك بشيء ولكن حسن الصيانة، أي مراعاة العفة، تزجرنا عن التمادي

عَفافُكِ غَيٌّ، إِنَّما عِفَّةُ الفَتى إذا عَفَّ عن لَذَّاتِهِ وَهْوَ قادِرُ

عفافك غي، ليس بالعفاف الصحيح، فالعفة هي عفة من يمتنع وهو قادر، وأما أنت فتمتنعين خوفاً

أولئِكَ أَعْمامي ووالِدِيَ الذي حَمَى جَنَباتِ المُلْكِ، والمُلْكُ شَاغِرُ

أهل أبي فراس حموا الخليفة العباسي وأعادوه بجيشهم إلى بغداد بعد فراره منها وبعد أن ظل سرير الحكم شاغراً زمناً

ومُسْتَرْدَفَاتٍ مِنْ نِساءٍ وصِبْيَةٍ تَثَنَّى على أَكْتَافِهِنَّ الضَّفَائِرُ

رب فتيات مستردَفات، قد أردفهن رجالنا خلفهم على المطايا بعد السبي، وضفائرهن على الأكتاف فهن حاسرات

بُنَيَّاتِ أَمْلاكٍ أُتينَ فُجَاءَةً فُهِرْنَ وفي أَعْنَاقِهِنَّ الجَواهِرُ

فإنْ تَمْضِ أَشْيَاخِي فلم يَمْضِ مَجْدُها ولا دَثَرَتْ تلكَ العُلا والمَآثِرُ

أشياخي: أسلافي

ففِينا لِدينِ اللَّهِ عِزٌّ ومَنْعَةٌ وفِينا لِدينِ اللَّهِ سيفٌ ونَاصِرُ

سيف الدولة وأخوه ناصر الدولة ردا الخليفة بالقوة لبغداد

هُما، وأَميرُ المؤمنينَ مُشَرَّدٌ، أَجَارَاهُ لَمَّا لم يَجِدْ مَنْ يُجَاوِرُ

وردّاهُ حتّى ملّكاهُ سَريرَهُ بِعشْرِينَ أَلْفاً بينها الموتُ سَافِرُ
وسَاسَا أُمورَ المُسْلِمينَ سِياسَةً لَها اللّهُ والإسلامُ والدينُ شاكرُ
أَلا قُلْ لِسيفِ الدولةِ القَرْمِ إنّني على كلِّ شيءٍ، غيرَ وَصْفِكَ، قَادِرُ

القرم: السيد

سَقَى أَرْسَناسَاً مِثْلَهُ مِنْ دِمَائِهِمْ عَشِيَّةَ غَصَّتْ بِالقُلُوبِ الحَناجِرُ

أرسناس: نهر في بلاد الروم، وسقاه سيف الدولة بمثل مائه من دم الروم

وبَاتَ يُدِيرُ الأمرَ مِنْ كلِّ وِجْهَةٍ وذُو الحزمِ نَاهِيهِ وذُو العَزْمِ آمِرُ

الحازم من رجاله ينهاه عن التوغل، والعازم منهم يشير عليه بالتقدم

وقد يَكْبُرُ الخَطْبُ اليَسيرُ وتَجْتَني أَكَابِرُ قومٍ ما جَناهُ الأَصَاغِرُ

قد يستطير الشر ويجني، ويحصد، سادة القوم العناء الشديد بسبب ما يجنيه صغارهم

كما أَهْلَكَتْ كَلْباً غُوَاةُ جُنَاتِها وعَمَّ كِلاباً ما جَنَتْهُ الجَعَافِرُ
شَرَيْنا وبِعْنَا بِالسيوفِ نُفوسَهُمْ ونحن أُناسٌ بِالسيوفِ نُتَاجِرُ

٣٠ فراق

وكتب إلى صديق جواباً عن قصيدة له:

وأَشْرَفُ الناسِ أهلُ الحبِّ مَنزِلَةً وأَشْرَفُ الحُبِّ ما عَفَّتْ سَرائِرُهُ

سرائره: نواياه

ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ البَيْنِ مَوقِفَنا والشوقُ يَنهَى البُكا عَنِّي ويَامُرُهُ

يامره: يأمره، ولو قرأنا بهمزة لوقعنا في سناد التأسيس

وقَولَها، ودموعُ العينِ وَاكِفَةٌ هذا الفراقُ الذي كنَّا نُحَاذِرُهُ

٣١ نحن رعاياك

وكانَ إذا دَعانا الأمرُ حَقَّتْ بِنا الفِتيَانُ تَبْتَدِرُ ابْتِدَارا

تبتدر: تسارع

بِخَيلٍ لا تُعانِدُ مَنْ عليها وقومٍ لا يَرَوْنَ الموتَ عَارا
إذا بَقِيَ الأميرُ قَريرَ عينٍ فَدَيْنَاهُ اختِياراً لا اضْطِرارا

أَبٌ بَـرٌّ ومَـوْلـىً وابْـنُ عَـمٍّ ومُسْتَنَدٌ إذا مَا الخَطْبُ جَارا
يَـمُـدُّ عـلـى أكـابِـرِنـا جَـنـاحـاً ويَكْفُلُ في مواطِنِنا الصِّغَارا

٣٢ ريق كالخمر

سَأُثْني على تلكَ الثَّنَايا لِأَنَّني أقولُ على علمٍ، وأَنْطِقُ عنْ خُبْرِ
الثنايا: الأسنان في مقدم الفم

وأُنْصِفُها، لا أَكْذِبُ اللَّهَ، أَنَّني رَشَفْتُ بِها رِيقاً أَلَذَّ مِنَ الخَمْرِ

٣٣ استبقاء الصديق

وخَبَرْتُ هذا الدهرَ خِبرةَ نَاقِدٍ حتى أَنِسْتُ بِخيرِهِ وبِشَرِّهِ
والمَرءُ ليس بِبالِغٍ في أَرْضِهِ كالصَّقْرِ ليس بِصائِدٍ في وَكْرِهِ
لا يبلغ المرء العز إذا بقي في بلده فلا بد من الترحال، وكذا الصقر لا يصيد إلا إذا ابتعد عن وكره

لا أَشْتري بعد التَّجَرُّبِ صَاحباً إلَّا وَدِدْتُ بِأَنَّني لم أَشْرِهِ
فصبرتُ لم أَقْطَعْ حِبالَ وِدَادِهِ وسَتَرْتُ منهُ ما اسْتَطَعْتُ بِسَتْرِهِ
أَنْفِقْ مِنَ الصَّبْرِ الجَميلِ فإنَّهُ لم يَخْشَ فَقْراً مُنْفِقٌ مِنْ صبرِهِ
يا رُبَّ مُضْطَغِنُ الفؤادِ لَقِيتُهُ بِطَلاقَةٍ فَسَلَلْتُ مَا في صَدْرِهِ
مضطغن: حاقد

٣٤ الإغضاء

إنْ لم تَجَافَ عَنِ الذُّنُو بِ وجَدْتَها فينَا كثيرةْ
تجافَ: تتجافى وتغضي

لكنَّ عَادَتَكَ الجَميـ ـلةَ أنْ تَغُضَّ على بَصِيرَةْ

٣٥ الصدور أو القبور

قال في خرشنة لما اقتيد إليها أسيراً جريحاً، وقبل أن يحمل إلى القسطنطينية:

إنْ زُرْتُ خَرْشَنَةٍ أسيرا فَلَكَمْ أَحَطْتُ بِها مُغيرا
ولقد رَأَيْتُ النَّارَ تَنْـ ـتَهِبُ المنازلَ والقُصورا

ولـقـد رأيـتُ الـسَّـبْـيَ يُـجْـ ـلَـبُ نَـحْـوَنـا حُـوَّاً وحُـورَا

الحو من النساء: من في شفاههن سمرة، والحور: من اشتد سواد عيونهن في اشتداد بياضها

نَـخْـتَـارُ مـنـهُ الـغَـادَةَ الـ ـحَـسْـنـاءَ والـظَّـبـيَ الـغَـريـرا

الغرير: البريء

إن طـالَ لَـيْـلـي فـي ذَرا كِ فـقـد نَـعِـمْـتُ بـه قَـصـيـرا

في ذراكِ: في كنفك، بقربك، وهو يخاطب بلدة خرشنة

ولَـئـنْ لَـقـيـتُ الـحـزنَ فـيـ ـكِ فـقـد لَـقـيـتُ بِـكِ الـسُّـرورا

ولـئـن رُمـيـتُ بِـحـادِثٍ فَـلأُلْـفَـيَـنَّ لـه صَـبُـورا

مِـنْ كـانَ مِـثْـلـي لـم يَـبِـتْ إلّا أسـيـراً أو أمـيـرا

لـيـسَـتْ تَـحُـلُّ سَـراتُـنـا إلّا الـصُّـدُورَ أوِ الـقُـبـورا

سراتنا، أي سادتنا، لا تحل إلا صدور المجالس أو القبور

٣٦ أراك عصي الدمع

قال وهو في الأسر:

أَراكَ عَصِيَّ الدمعِ شيمَتُكَ الصبرُ أما لِلهوى نَهيٌ عليكَ ولا أمرُ؟

يسأل نفسه: أراك عصي الدمع، صعب الدمعة لا تبكي بسهولة، وشيمتك وطبعك الصبر، ألا يؤثر فيك الحب ناهياً وآمراً؟

بَلَى، أنا مُشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ ولكنَّ مِثلي لا يُذاعُ له سرُّ

يجيب نفسه: بلى، مشتاق وملتاع، ولكن مثلي في شموخه لا يبوح بما في ضميره من لوعة العاشق

إذا الليلُ أَضْوَاني بَسطْتُ يدَ الهوى وأَذْلَلْتُ دمعاً مِنْ خَلائِقِهِ الكِبْرُ

إذا أضواني الليل، أنحل جسمي وأهزلني طول السهر، سمحت للهوى بالتدفق وبسطت له يداً، وأذللت الدمع بإسالته مع أن من طباع دمعي الكبر والأنفة

تكادُ تُضيءُ النارُ بين جوانحي إذا هيَ أذكتْها الصبابةُ والفِكْرُ

أذكتها: أشعلتها

مُعَلِّلَتي بالوصْلِ والموتُ دونَه إذا مُتُّ ظَمآناً فلا نزلَ القَطْرُ

يا معللتي بالوصل، يا من تهدئني بوعد بالوصل، قد يأتي الموت قبل الوصل، وإن مت ظمآناً فلا نزل المطر

حفِظتُ وضَيَّعْتِ المودَّةَ بينَنا وأحسنُ مِن بَعضِ الوفاءِ لَكِ الغَدْرُ

حفظتُ المودة وأنت ضيعتها، والغدر أحسن من وفائي لك لأنك غادرة

وحارَبْتُ قومي في هواكِ، وإنَّهُمْ وإِيَّايَ لولا حبُّكِ الماءُ والخمرُ

لولا حبك لكنت مع أهلي سمناً على عسل

وفَيْتُ وفي بعضِ الوفاءِ مَذَلَّةٌ لإنسانَةٍ في الحيِّ شيِمَتُها الغَدْرُ

تُسائِلُني مَنْ أنتَ، وَهْيَ عَليمَةٌ وهلْ بِفَتىً مثلي على حَالِهِ نُكْرُ

أنا مشهور لا سبيل إلى أن ينكرني منكر، وهي تسألني من أنا تيهاً ودلالاً

فقلتُ كما شاءتْ وشاءَ لها الهوى: قتيلُكِ. قالتْ: أيُّهُمْ، فهُمُ كُثْرُ

فقلتُ لها لو شئتِ لم تَتَعَنَّتي ولم تسألي عني وعندَكِ بي خُبْرُ

فقالتْ: لقد أَزْرَى بِكَ الدَّهرُ بعدَنا فقلتُ: معاذَ اللَّهِ، بل أنتِ لا الدهرُ

أزرى بك: بَهْدَلَكَ

وقَلَّبْتُ أمري لا أَرى لِيَ راحةً، إذا البَيْنُ أَنْساني ألحَّ بِيَ الهجرُ

البين، أي الفراق، ينسيني العشق، ولكن كون الحبيبة هاجرة لي يلح علي

فَعُدْتَ إلى حُكْمِ الزمانِ وحُكْمِها لها الذنبُ لا تُجْزَى به، ولِيَ العُذْرُ

أنا معذور في البعد لأنني أسير، وهي مذنبة لأنها صادة عني، ولا تسأل، وهذا حكم الزمن . . وحكمها

فلا تُنكِريني يا ابنةَ العَمِّ إنَّه لَيَعرِفُ مَنْ أنكرتِهِ البَدْوُ والحَضْرُ

ولا تُنكِريني إنَّني غيرُ مُنْكَرٍ إذا زَلَّتِ الأقدامُ، واسْتُنْزِلَ النصرُ

أنا غير منكر، بل معروف وخصوصاً عندما تزل القدم، يضطرب الموقف، ويستنزل النصر، يدعو الناس الله أن ينجدهم وينزل عليهم النصر

وإنــي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كثيرٍ إلى نُزَّالِها النَّظَرُ الشَّزْرُ

أنزل بكل موقعة يخافها الناس، وينظرون إلى النازل بها شزراً منكرين ذلك لخطورتها

فَأَظْمَأُ حتى تَرتَوِي البِيضُ والقَنا وأَسْغَبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنَّسْرُ

أظل ظمآن حتى ترتوي البيض والقنا، الرماح والسيوف، من دم الأعداء، وأسغب، أجوعُ، حتى يشبع الذئب والنسر من أشلائهم

ولا أُصْبِحُ الحَيَّ الخُلُوفَ بِغارةٍ ولا الجيشَ ما لم تَأْتِهِ قَبْلِيَ النُّذْرُ

لا أغير صباحاً على القوم الخلوف، الذي تخلف رجالهم وبقيت النساء، ولا أغير حتى على الجيش إلا بعد أن أرسل من ينذره بقدومي ثقة بقوة رجالي وبشجاعتي

ويا رُبَّ دارٍ لم تُخِفْني مَنيعَةٍ — طَلَعْتُ عليها بِالرَّدى أنا والفجرُ
وحيٍّ رددْتُ الخيلَ حَتَّى مَلَكْتُهُ — هَزيماً ورَدَّتْني البَراقِعُ والخُمْرُ

ورب حي، أي قوم، رددت خيلهم مهزومة.. ولكن ردتني دون أن أكمل الغزوة براقع النساء وخمرهن متعففاً عنهن

وساحِبَةِ الأذيالِ نَحْوي لَقيتُها — فلم يَلْقَها جَافي اللقاءِ ولا وَعْرُ

ورب فتاة جاءت نحوي تسحب ذيل ثوبها، وتطلب العفو عن قومها، ولم يلقها مني رجل وعر جافٍ شرس

وهبْتُ لها ما حَازَهُ الجيشُ كلَّه — ورُحْتُ ولم يُكْشَفْ لِأبياتِها سِتْرُ
ولا راحَ يُطْغيني بِأثوابِهِ الغِنَى — ولا باتَ يَثنيني عن الكَرَمِ الفقرُ

لا يطغيني، يجعلني طاغياً متجبراً، الغنى بما يسبغه علي من أثواب النعمة، ولا يمنعني الفقر من الكرم

أُسِرْتُ وما صَحبي بِعُزْلٍ لدى الوَغَى — ولا فرسي مُهْرٌ ولا رَبُّهُ غَمْرُ

فرسي مهر: صغير لم يصل حد استحكام القوة، ربه: صاحبه، غمر: غشيم غير مجرب

ولكنْ، إذا حُمَّ القضاءُ على امْرِئٍ — فليس له بَرٌّ يَقيهِ ولا بَحْرُ
وقالَ أُصَيْحَابي: الفِرارُ أو الرَّدَى؟ — فقلتُ: هما أمرانِ أحلاهُما مُرُّ
ولكنَّني أمضي لِمَا لا يَعيبُني — وحَسْبُكَ مِنْ أمرينِ خَيرُهُما الأَسْرُ
ولا خيرَ في دَفْعِ الأذى بِمَذَلَّةٍ — كما رَدَّها يوماً بِسَوْأتِه عَمْرُو

لا خير في التخلص من الأذى بمذلة الفرار.. مثلما كشف عمرو بن العاص عورته عندما غلبه علي بن أبي طالب في المبارزة فكف عنه علي وتركه

يَمُنُّونَ أن خَلَّوْا ثِيابي، وإنَّما — عَلَيَّ ثيابٌ مِنْ دِمائِهِمُ حُمْرُ

يمنون علي بأن تركوا ثيابي ولم ينزعوها عني، ولكنها حمر من دمهم

سَيَذْكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ — وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ
فإن عِشْتُ فالطَّعْنُ الذي يَعْرِفُونَهُ — وتلكَ القَنا والبيضُ والضُّمَّرُ الشُّقْرُ

القنا والبيض: الرماح والسيوف، الضمر الشقر: الخيل الضامرة الشقراء

وإن مُتُّ فالإنسانُ لا بدَّ مَيِّتٌ — وإن طَالَتِ الأيامُ وانفَسَحَ العُمرُ
ولو سَدَّ غيري ما سَدَدْتُ اكتَفَوْا به — وما كانَ يَغْلُو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ

ما كان التبر، أي الذهب، ليغلو سعره لو نفق الصفر، النحاس الأصفر، وسد مسده

وَنحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِندنا لنا الصَّدْرُ دونَ العَالَمِينَ أو القَبْرُ
تَهونُ علينا في المَعالي نفوسُنا ومَنْ خَطَبَ الحَسناءَ لم يُغْلِها المَهْرُ

لم يغلها المهر: لم يكن المهر غالياً عليها لأنها تستحقه

أَعَزُّ بَنِي الدنيا وأَعْلَى ذَوِي العُلا وأكرمُ مَنْ فوقَ الترابِ، ولا فَخْرُ

٣٧ رثاء الأم

قال في أسره وقد بلغه خبر موت أمه:

أَيَا أمَّ الأسيرِ سَقاكِ غيثٌ بِكُرْهٍ منكِ ما لَقِيَ الأسيرُ
إذا ابْنُكِ سَارَ في بَرٍّ وبَحرٍ فَمَنْ يَدعُو له أو يَستَجِيرُ
حَرامٌ أن يَبيتَ قَريرَ عينٍ ولؤْمٌ أن يُلِمَّ به السُّرورُ
وقد ذُقْتِ الرَّزايا والمنايا ولا ولدٌ لديكِ ولا عَشيرُ
أَيا أُمَّاهُ كم بُشْرَى بِقُربي أَتَتْكِ ودُونَها الأجلُ القصيرُ

قبل البشرى بافتدائي جاء أجلك سريعاً

إلى مَنْ أَشْتَكي؟ ولِمَنْ أُناجي إذا ضَاقَتْ بِما فيها الصدورُ
نُسَلَّى عنكِ أَنَّا عن قَليلٍ إلى ما صِرتِ في الأُخرى نَصيرُ

عن قليل: قريباً

٣٨ تَرحال

تَلاعَبُ بي على هُوجِ المَطايا خَلائِقُ لا تَقَرُّ على الصَّغارِ

تتلاعب بي فوق الإبل الهوجاء المسرعة وتحثني على الارتحال أخلاق لا تقر على الصغار، لا ترضى بالصغائر

وما يُغنيكَ مِنْ هِمَمٍ طِوالٍ إذا قُرِنَتْ بِأَعْمارٍ قِصَارِ؟

ما نفع الطموحات الكبيرة إذا كان العمر قصيراً ولا يسعها

يقولُ لِيَ انتظرْ فَرجاً، ومَنْ لي بأَنَّ الموتَ يَنتظِرُ انتِظَاري
عزيزٌ حيثُ حَطَّ السيرُ رَحلي تُدارِيني الأَنامُ ولا أُداري

أنا عزيز في كل مكان أنزل فيه، والناس يلتمسون رضاي ولا ألتمس رضاهم

وأَهْلِي مَنْ أَنَخْتُ إليهِ عِيسي وداري حيثُ كنتُ مِنَ الدِّيارِ

٣٩ عند خمَّار

تَـــوَاعَـــــدْنــــا بِـــآذارِ   لِـمَـسْـعـىً غـيـرِ مُـخـتـارِ

آذار: مارس، تواعدنا فيه لغرض لا يختاره الوقور من الناس

وقُـمْـنـا نَـسْـحَـبُ الـرَّيْـطَ   إلـى حَـانَـةِ خَـمَّـارِ

الريط: الثوب

فـلـم نَـدْرِ وقـد فَـاحَـتْ   لـنـا مِـنْ جـانـبِ الـدارِ..

فاحت رائحة الخمر طيبة عطر فما عرفنا..

بِـخَـمَّـارٍ مِـنَ الـقـومِ   نَـزَلْـنـا أم بِـعَـطَّـارِ؟

.. هل نزلنا بخمار أن بعطار؟

فـلـمَّـا أُلـبِـسَ الـلـيـلُ   لـنـا ثـوبـاً مِـنَ الـقَـارِ

لما اشتد سواد الليل فكأنه لبس ثوباً من القار، الزفت.. كمثل الزفت الذي يطلون به دنان الخمر

وقُـلـنـا أَوْقِـدَ الـنـارَ   لِـطُـرَّاقٍ وزُوَّارِ

وَجَـا خَـاصِـرَةَ الـدَّنِّ   فَـأَغْـنـانـا عـن الـنَّـارِ

وجا: وجأ أي طعن.. طعن صاحب الخمارة الدن في جنبه.. فنزلت خمر حمراء أضاءت المكان فأغنتنا عن النار.. أو أننا شربناها فشعرنا بحرارة في أجسامنا فلم نحتج إلى نار للاستدفاء.. وآذار/مارس في شمال سوريا بارد ليلاً

ومَـا فـي طـلـبِ الـلَّـهْـوِ   عـلـى الـفـتـيـانِ مِـنْ عـارِ

٤٠ المعجل والمؤجل

الـمـرءُ رَهْـنَ مَـصـائـبٍ لا تَـنْـقَـضـي   حـتـى يُـوارَى جـسـمُـهُ فـي رَمْـسِـهِ

رمسه: قبره

فَـمُـؤَجَّـلٌ يـلـقَـى الـرَّدَى فـي أهـلِـهِ   ومُـعَـجَّـلٌ يـلـقَـى الـرَّدَى فـي نَـفْـسِـهِ

٤١ وهبت شبابي

وَهَبْتُ شَبـابِي، والشَّبـابُ مَضِنَّةٌ   لِأَبْـلَـجَ مِـنْ أبـنـاءِ عَـمِّـيَ أَرْوَعـا

وهبت شبابي والشباب مضنة، ثمين يضن به المرء، لأبلج، لشخص مشرق، من أبناء عمي أروعَ، بهي الطلعة شجاع

أَبِيتُ مُعَنًّى مِنْ مَخَافَةِ عَتْبِهِ وأُصبِحُ مَحزُوناً وأُمْسي مُرَوَّعا
فلمَّا مَضَى عصرُ الشبيبةِ كلُّه وفارَقَني شَرْخُ الشبابِ مُوَدَّعا

شرخ الشباب: أوله

تَطَلَّبْتُ بين الهجرِ والعَتْبِ فُرْجَةً فحَاوَلْتُ أمراً لا يُرامُ، مُمَنَّعا

ابن عمي ـ سيف الدولة ـ إما أنه هاجر لي أو معاتب.. وبين هاتين الحالتين أبحث عن فسحة من الرضا.. لكن عبثاً

وصِرْتُ إذا ما رُمْتُ في الخيرِ لَذَّةً تَتَبَّعْتُها بينَ الهُمومِ تَتَبُّعا

أقتنص لحظة سعادة من بين الهموم المتابعة

وهَا أنا قد حَلَّى الزمانُ مَفَارِقِي وتَوَّجَني بِالشيبِ تاجاً مُرَصَّعا
فلو أَنَّني مُكِّنْتُ مِمَّا أُرِيدُه مِنَ العيشِ يوماً لم يَجِدْ فِيَّ مَوْضِعا

لو تمكنت من تحقيق مبتغاي من الراحة واللذة لم يكن فيَّ موضع لذلك بسبب ذهاب الشباب

أمَا لَيلةٌ تَمضي ولا بعضُ ليلةٍ أَسُرُّ بها هذا الفؤادَ المُفَجَّعَا
أمَا صاحبٌ فردٌ يدومُ وَفاؤُهُ فَيُصْفي لِمَنْ أَصْفَى ويَرعَى لِمَنْ رَعَى
أفي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أَوَدُّهُ إذا ما تَفارَقْنا حفِظتُ وضَيَّعا
وإنْ أَوْجَعَتْني مِنْ أَعَادِيَّ شيمةٌ لَقِيتُ مِنَ الأَحْبَابِ أَدْهَى وأَوْجَعا
تَنَكَّرَ سيفُ الدينِ لَمَّا عَتَبْتُهُ وعَرَّضَ بي تحتَ الكلامِ وقَرَّعَا
فقُولا له: مِنْ أَصدقِ الوُدِّ أَنَّني جعلتُكَ مِمَّا رابَني الدَّهْرَ مَفْزَعا

الدليل على أصدق الود أنني جعلتك طول الدهر ملجأي من المصائب

٤٢ يا جبل

قال يعزي سيف الدولة في ولد مات له:

يَبكي الرِّجَالُ وسيفُ اللَّهِ مُبْتَسِمٌ حتَّى على ابنِكَ تُعطَى الصبرَ يا جَبَلُ؟
يا مَنْ أَتَتْهُ المَنايا غيرَ حافِلَةٍ أينَ العَبيدُ وأين الخيلُ والخَوَلُ؟

يخاطب الصبي المتوفَّى: أين الخول، أي الخدم والخيل والعبيد؟ كيف لم تستطع كلها حمايتك من الموت؟

أين اللُّيوثُ التي حَوْلَيْكَ رَابِضَةٌ أين الصنائعُ أين الأهلُ ما فعلوا؟

الصنائع: الأنصار

٤٣ الخيل تعرف من عليها

مَـمـالِـكُـنـا مَـكـاسِـبُـنـا إذا مـا تَــوارَثَــهــا رجــالٌ عــن رجــالِ

مماالكنا كسبناها بأنفسنا في حين يتوارث غيرنا الممالك عن آبائهم

إذا لــم تُــمْــسِ لــي نــارٌ فـإنــي أبـيـتُ لِـنـارِ غَـيـري غـيـرَ صَـالِ

كـأنَّ الـخـيـلَ تـعـرِفُ مَـنْ عـلـيـهـا فـفـي بـعـضٍ عـلـى بـعـضٍ تَـعـالِ

كأن الحصان يشعر بقيمة راكبه، فالخيول يفتخر ويتعالى بعضها على بعض بحسب الراكب

عــلــيــنــا أن نُــعــاوِدَ كــلَّ يــوم رخـيـصٍ عـنـدَهُ الـمُـهَـجُ الـغَـوالـي

نعود مرة بعد مرة على يوم، أيٍّ معركة، ترخص فيها النفوس الغالية

فـإن عِـشْـنـا ذَخَـرنـاهـا لِأُخـرى وإن مُـتْـنـا فَـمَـوْتـاتُ الـرجـالِ

فإن عشنا ادخرنا نفوسنا لمعركة مقبلة، وإن متنا فكالرجال

٤٤ القِلَّة الكثيرة

أَيـا عَـجَـبـاً لِأَمْـرِ بـنـي قُـشَـيْـرٍ أَرَاعُـونـا وقـالـوا: الـقـومُ قُـلُّ

أراعونا، هجموا علينا، وقالوا إننا قلٌّ، أي أننا قليلو العدد

وكـانـوا الـكُـثْـرَ يَـومـئـذٍ، ولـكـنْ كَـثُـرْنـا إذ تَـعَـارَكْـنـا وقَـلُّـوا

كانوا فعلاً أكثر منا عدداً، وعندما تعاركنا صرنا أكثر منهم بشجاعتنا.. وبفرار كثيرين منهم

٤٥ ارتباك

أرامِيَـتـي! كـلُّ الـسِّـهـامِ مُـصـيـبَـةٌ وأَنـتِ لِـيَ الـرامـي، وكُـلِّـي مَـقـاتِـلُ

أيتها المحبوبة التي ترميني بسهامها، كل موضع فيَّ هو مقتل لسهامك الصائبة

وإنـي لَـمِـقْـدامٌ وعـنـدَكِ هَـائِـبٌ وفي الـحيِّ سَحْبَانٌ، وعندَكِ بَاقِلُ

أنا شجاع، لكنني معك هائب، وعند قومي فصيح كالخطيب سحبان، وعندك عيي ألكن كباقل المشهور بقلة حظه من الفصاحة

يَضِلُّ عَلَيَّ الـقـولُ إن زُرْتُ دارَهـا ويـعـزُبُ عـنِّـي وجْـهُ مَـا أنـا فَـاعِـلُ

يعزب: يغرب ويبتعد

وحُـجَّـتُـهـا الـعـليـا، عـلـى كـلِّ حَـالَـةٍ فَـبـاطِـلُـهـا حـقٌّ وحَـقِّـيَ بَـاطِـلُ

واللّهِ ما قصَّرْتُ في طلبِ العُلا ولكنْ، كأنَّ الدهرَ عَنِّيَ غافلُ
وما كلُّ طَلَّابٍ مِنَ الناسِ بَالِغٌ ولا كلُّ سَيَّارٍ إلى المجدِ وَاصِلُ
وما المرءُ إلَّا حيثُ يَجْعَلُ نفسَهُ وإنِّي لها بينَ السِّمَاكَيْنِ جَاعِلُ

السماكان: نجمان

٤٦ بين الروم والأعراب

قد ضَجَّ جيشُكَ مِنْ طولِ القِتالِ به وقد شَكَتْكَ إلينا الخيلُ والإبِلُ
وقد دَرَى الرُّومُ مُذْ جَاوَرْتَ أرضَهُمُ أن ليسَ يَعْصِمُهُمْ سهلٌ ولا جبلُ
في كلِّ يومٍ تَزورُ الثَّغْرَ لا ضَجَرٌ يَثنيكَ عنهُ، ولا شُغْلٌ ولا مَلَلُ

الثغر: الموضع الحدودي

توهَّمَتْكَ كِلابٌ غيرَ قاصِدِها وقد تَكَنَّفَكَ الأعداءُ والشُّغُلُ

توهم الأعراب من قبيلة كلاب أنك منشغل عنهم لأن الأعداء أحاطوا بك

حتَّى رَأَوْكَ أمامَ الجيشِ تَقْدُمُهُ وقد طَلَعْتَ عليْهِمْ دونَ مَا أمَلُوا
فاستقبَلُوكَ بِفرسانٍ أَسِنَّتُها سُودُ البَراقِعِ، والأكوارُ، والكِلَلُ

استقبلوك ليس بفرسان وأسنة رماح.. بل كان سلاحهم نساؤهم.. فقد خرجت إليك النسوة ببراقعهن السود وبعضهن يجلسن على أكوار الإبل وعليهن الكلل، أي الستور

٤٧ لأمر ما..

وعَطَّافٍ على الغَمَراتِ نَحْوِيٍ تَحُفُّ به المُثَقَّفَةُ الطِّوالُ

رب محارب يميل بحصانه نحوى في غمرة المعركة وتحيط به المثقفة العوالي من رماح قومه

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَخْطِرُ في حَشاهُ له مَا بينَ أَضْلُعِهِ مَجالُ

جعلت رمحي يمشي في جوفه بين أضلاعه

يقولُ وقد تَعَدَّلَ فيهِ رُمْحي: لِأَمْرٍ ما تَحامَاكَ الرِّجالُ

هذا فخر فاخر، وشعر فاخر. لأبيات كثيرة كهذا البيت الأخير عاش أبو فراس على ألسنة الفصحاء ألف سنة رغم أنه جاء في زمن المتنبي. فأما عند العامة فقد عاش أبو فراس لأنه قال شعراً رقيقاً في الأسر

٤٨ يأس متأخر

الـدهـرُ يـومـانِ: ذَا ثَـبْـتٌ وذا زَلَـلُ　　والعيشُ طَعْمانِ: ذا صَابٌ وذا عَسَلُ

الصاب: عصارة من شجر المر

فمَـا الأَسَـى لِهُـمـومٍ لا بـقـاءَ لـهـا　　وما السرورُ بِنُعْمَى سوف تَنتقِلُ؟

لـكـنَّ في الـنـاسِ مَغـروراً بـنـعـمَـتِـهِ　　ما جاءَه اليأسُ حتَّى جاءَهُ الأَجَلُ

٤٩ تعسف

ومُـغْـضٍ لِـلـمَـهـابَـةِ عـن جَـوابـي　　وإن لـسـانَـهُ الـعـضْـبُ الـصَّـقـيـلُ

العضب: السيف

أَطَـلْـتُ عِـتـابَـهُ عَـنَـتـاً وظُـلْـمـاً　　فـجَـمْـجَـمَ ثـم قـالَ: كـمـا تَـقُـولُ

جمجم: تمتم

٥٠ اصبري

قال يصبِّر أمه وهو أسير قد ثقلت عليه جراحه:

مُـصابـيِ جَـليـلٌ والـعـزاءُ جَـمـيـلُ　　وظَـنِّـيِ بِـأَنَّ الـلَّـهَ سـوفَ يُـديـلُ

يديل: يغير الحال

جِـراحٌ تَـحـامَـاهـا الأُسَـاةُ مَـخُـوفَـةٌ　　وسُـقْـمـانِ: بَـادٍ مـنـهُـمـا ودَخـيـلُ

مصاب بجراح تحاماها الأساة، أي يتجنبها الأطباء، لصعوبتها.. ومريض جسدياً ونفسياً

وأَسْـرٌ أُقـاسِـيـهِ ولـيـلٌ نـجـومُـهُ　　أَرى كـلَّ شـيءٍ غـيـرَهُـنَّ يَـزُولُ

تَـطُولُ بِيَ الـسـاعـاتُ وَهْيَ قـصـيـرةٌ　　وفـي كـلِّ دهـرٍ لا يَـسُـرُّكَ طُـولُ

أُقَلِّبُ طَرْفِي لا أَرى غيرَ صاحبٍ　　يَميلُ مع النَّعْماءِ حيثُ تَميلُ

نَعَمْ، دَعَتِ الدنيا إلى الغَدْرِ دَعوةً　　أجـابَ إلـيـهـا عـالِـمٌ وجَـهُـولُ

وفَـارَقَ عَـمْـرُو بـنُ الـزُّبَـيْـرِ شـقـيـقَـهُ　　وخَـلَّـى أَمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ عَـقـيـلُ

عمرو أخو عبد الله بن الزبير تخلى عن أخيه، وكذا عقيل أخو علي بن أبي طالب فقد انحاز إلى معاوية

فيـا حَسْـرَتـا مَـنْ لـيِ بِـخِـلٍّ مُـوافِـقٍ　　أَقـولُ بِـشَـجْـوي مَـرَّةً ويـقـولُ

وإنَّ وَراءَ السِّتْرِ أُمّاً بُكاؤُها عليَّ، وإن طالَ الزمانُ، طويلُ
ويَا أُمَّتَا لا تُخْطِئي الأجرَ إنه على قَدَرِ الصبرِ الجميلِ جَزيلُ
أمَا لَكِ في ذاتِ النِّطاقَيْنِ أُسْوَةٌ بِمَكَّةَ والحربُ العَوَانُ تَجُولُ

ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر جاءها ابنها عبد الله بن الزبير وهي عجوز وكان محاصراً فأشارت عليه بأن يقاتل حتى النهاية

أَرادَ ابنُها أَخْذَ الأمانِ فلمْ تُجِبْ وتَعْلَمُ عِلماً إنَّه لَقَتِيلُ
تَأَسَّيْ. كفاكِ اللَّهُ ما تحذَرينَهُ فقد غالَ هذا الناسَ قبلَكِ غُولُ

تأسي وخذي القدوة، وليكن الله كافياً إياك، والمصائب أحاطت بالناس على مر الزمن

لَقِيتُ نُجومَ الأُفْقِ وَهْيَ صَوارِمٌ وخُضْتُ سَوادَ الليلِ وَهْوَ خُيولُ

كنت في معاركي قد رأيت النجوم وما النجوم سوى السيوف اللامعة، وخضت سواد الليل وما الليل سوى خيول الأعداء

ومَنْ لم يُوَقِّ اللَّهُ فَهْوَ مُمَزَّقٌ ومَنْ لم يُعِزَّ اللَّهُ فَهْوَ ذَليلُ
وما لم يُرِدْهُ اللَّهُ في الأمرِ كلِّه فليس لِمَخلوقٍ إليه سبيلُ

٥١ أيا جارتا..

أقولُ وقد ناحتْ بِقُربي حمامةٌ أيا جارتا هل تَشعُرينَ بِحالي؟
معاذَ الهوى، ما ذُقْتِ طارِقَةَ النوى ولا خطرتْ منكِ الهُمومُ بِبالِ
أَتحمِلُ محزونَ الفؤادِ قَوادِمٌ على غُصُنٍ نائي المَسافَةِ عَالِ؟

القوادم: الريشات الظاهرات في جناح الطير، وأما الريش المخفي فهو الخوافي. يقول: أيمكن للحمامة أن تكون حزينة وهي حرة؟

أيا جارتا! ما أنصفَ الدهرُ بينَنا تعالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمومَ تَعالي

يريد أن يلقي نصف همومه على الحمامة لأنه أسير وهي طليقة

تعالَيْ تَرَيْ رُوحاً لديَّ ضعيفةً تَرَدَّدُ في جسمٍ يُعذَّبُ بَالِ
أَيضحكُ مأْسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكتُ محزونٌ ويندُبُ سَالِ؟

سالٍ: ناسٍ

لقد كنتُ أَوْلَى منكِ بِالدمعِ مُقْلَةً ولكنَّ دمعي في الحوادثِ غالِ

٥٢ يا أمتا

بلغ أبا فراس أن أمه ذهبت إلى منبج لتلتقي بسيف الدولة وتكلمه في مفاداة ابنها، فردها خائبة:

يـا حـسـرةً مـا أَكـادُ أحـمِـلُـهـا آخـرُهـا مـزعِـجٌ وأولُـهـا
عـلـيـلـةٌ بـالـشَّـآم مُـفـرَدَةٌ بـاتَ بِـأَيـدي الـعِـدى مُـعَـلَّـلُـهـا

معللها: طبيبها

تُـمْـسِـكُ أحـشـاءَهـا عـلـى حُـرَقٍ تُـطْـفِـئُـهـا، والـهـمـومُ تُـشْـعِـلُـهـا
إذا اطـمـأنَّـتْ، وأيـنَ؟ أو هـدَأَتْ عـنَّـتْ لـهـا ذُكْـرَةٌ تُـقَـلْـقِـلُـهـا
تـسـألُ عـنَّـا الـرُّكْـبـانَ جـاهِـدةً بـأدمـعٍ مـا تـكـادُ تُـمْـهِـلُـهـا:
يـا مَـنْ رأى لـي بـحـصـنِ خَـرْشَـنَـةٍ أُسْـدَ شَـرىً فـي الـقـيـودِ أرجُـلُـهـا
يـا مَـنْ رأى لـيِ الـدُّروبَ شَـامِـخَـةً دونَ لِـقـاءِ الـحـبـيـبِ أَطـولُـهـا

الدروب: الطرق المؤدية إلى بلاد الروم

يـا مَـنْ رأى لـيِ الـقـيـودَ مُـوثَـقَـةً عـلـى حـبـيـبِ الـفـؤادِ أثـقـلُـهـا
يـا أيُّـهـا الـرَّاكِـبـانِ هـلْ لَـكُـمـا فـي حـملِ نَجوى يَخِفُّ مَحْمَلُها
قـولا لـهـا إنْ وَعَـتْ مـقـالَـكُـمـا وإنَّ ذِكْـرِي لـهـا لَـيُـذهِـلُـهـا
يـا أُمَّـتـا هـذه مـنـازِلُـنـا نـتـرُكُـهـا تـارةً ونـنـزِلُـهـا
يـا أُمَّـتـا هـذه مَـوارِدُنـا نَـعُـلُّـهـا تـارةً ونَـنْـهَـلُـهـا
أَسلَـمَـنـا قـومُـنـا إلـى نُـوَبٍ أَيـسَـرُهـا فـي الـقـلـوبِ أَقْـتَـلُـهـا
يـا سـيِّـداً مـا تُـعَـدُّ مَـكْـرُمَـةٌ إلَّا وفـي راحَـتَـيْـهِ أَكـمَـلُـهـا
أنـتَ سَـمـاءٌ ونـحـنُ أَنْـجُـمُـهـا أنـتَ بـلادٌ ونـحـنُ أَجْـبُـلُـهـا
بِـأَيِّ عُـذْرٍ رَدَدْتَ والِـهَـةً عـلـيـكَ دونَ الـورى مُـعَـوَّلُـهـا

معولها: اعتمادها

جـاءتـكَ تَـمـتَـاحُ ردَّ واحـدِهـا يَـنـتـظِـرُ الـنـاسُ كـيـف تُـقْـفِـلُـهـا

تمتاح: تطلب، تقفلها: تعيدها

سَـمَـحْـتَ مِـنِّـي بِـمُـهْـجَـةٍ كَـرُمَـتْ أنـتَ عـلـى يـأسِـهـا مُـؤَمَّـلُـهـا

ضحيتَ أنت بنفسي الكريمة التي ـ رغم يأسها ـ تجد فيك الأمل

إن كـنـتَ لـم تَـبْـذُلِ الـفِـداءَ لـهـا فـلـم أَزَلْ فـي رضـاكَ أَبْـذُلُـهـا
تـلـكَ الـمَـوَدَّاتُ كـيـف تُـهـمِـلُـهـا تـلـكَ الـمَـواعيدُ كيف تُـغْـفِـلُـهـا
أيـنَ الـمَـعـالـي الـتـي عُـرِفْـتَ بـهـا تـقـولُـهـا دائـمـاً وتـفـعـلُـهـا
يـا نـاعـمَ الـثـوبِ كـيـف تُـبْـدِلُـهُ ثـيـابُـنـا الـصـوفُ مـا نُـبَـدِّلُـهـا
يـا راكـبَ الـخـيـلِ لـو بَـصُـرْتَ بِـنـا نـحـمـلُ أَقـيـادَنـا ونـنـقُـلُـهـا
فـلـو سـأَلْـنـا سِـواكَ عـارِفَـةً فـبـعـدَ قـطـعِ الـرجـاءِ نَـسـأَلُـهـا

٥٣ مجاملة اللئيم

فـي الـنـاسِ إن فَـتَّـشْـتَـهُـمْ مَـنْ لا يُـعِـزُّكَ أو تُـذِلَّـهْ

من الناس من لا يحترمك حتى تذله

فـاتـرُكْ مُـجـامَـلَـةَ الـلـئـيـ ـمِ فَـإِنَّ فـيـهـا الـعَـجْـزَ كُـلَّـهْ

٥٤ المقعد المقيم

الـلـومُ لِـلـعـاشِـقـيـنَ لُـومُ لأنَّ خَـطْـبَ الـهـوى عَـظـيـمُ

لوم، لؤم، أن تلوم العاشق

فـكـيـفَ تَـرْجُـونَ لـي سُـلُـوّاً وعـنـديَ الـمُـقْـعِـدُ الـمُـقـيـمُ

المقعد المقيم: الهم الكبير

نَـديـمـيَ الـنـجـمُ طـولَ لَـيـلـي حـتـى إذا غـارَتِ الـنـجـومُ . .
أَسْـلَـمَـنـي الـصـبـحُ لِـلـبَـلايـا فـلا حـبـيـبٌ ولا نـديـمُ

٥٥ كرم

إنَّـا إذا اشـتـدَّ الـزمـا نُ، ونـابَ خـطـبٌ وادْلَـهَـمّ

أبو العلاء المعري لا يحب هذه الشدة فوق حرف الروي الساكن (ادلهمّ) فهي غير مقروءة، لأنها في غياب الحركة تجلب التقاء ساكنين، وما وضعناها إلا كي تكون صورة الكلمة موحية بمعناها. سأتذكر في الفصل المقبل ـ وهو عن أبي العلاء ـ ألا أضعها

أَلْـفَـيْـتَ حـولَ بـيـوتِـنـا عُـدَدَ الـشـجـاعـةِ والـكـرمْ
لِـلِـقَـا الـعِـدى بـيـضُ الـسـيـو فِ ولِـلـنَّـدَى حُـمْـرُ الـنَّـعَـمْ

السيوف البيض للأعداء، والإبل الحمر للضيوف

هـــذا وهـــذا دَأْبُـــنـــا   يُـــودَى دَمٌ ويُـــراقُ دَمْ

المعنى الملموح: يودى دم، أي ندفع ديات من قتلناهم بسيوفنا حتى لا يكون ثأر، ونريق دم الذبائح لنكرم أضيافنا

٥٦ مُلَّاكها العجم

وفِتيةٍ قَلبُهُمْ قلبٌ إذا رَكِبوا   يوماً ورأيُهُمُ رأيٌ إذا عَزَمُوا

يا لِلرجالِ! أمَا للَّهِ مُنْتَصِفٌ   مِنَ الطُّغاةِ؟ أمَا لِلدينِ مُنْتَقِمُ؟

بَنُو عَلِيٍّ رَعايا في دِيارِهِمُ   والأمرُ تَمْلِكُهُ النِّسْوانُ والخدمُ

فالأرضُ إلَّا على مُلَّاكِها سَعَةٌ   والمالُ إلَّا على أربَابِهِ دِيَمُ

ديم: سحائب ماطرة

لا يُطغِيَنَّ بَني العباسِ مُلكُهُمُ   بَنُو عليٍّ مَواليِهِمْ وإن زَعَمُوا

مواليهم: سادتهم

أَتفخَرونُ عليْهِمْ، لا أبالَكُمُ   حتى كأنَّ رسولَ اللَّهِ جَدُّكُمُ

وما تَوازَنَ يوماً بينَكُمْ شَرَفٌ   ولا تَساوَتْ بِكُمْ في مَوطِنٍ قَدَمُ

قامَ النبيُّ بِها يومَ الغَديرِ لَهُمْ   واللَّهُ يَشهَدُ والأَمْلاكُ والأُمَمُ

يوم الغدير: يوم عند غدير خم مدح فيه النبي علياً وجعله وليه، ويقول الشيعة، وأبو فراس شيعي، إن النبي جعل علياً الوصي في ذلك اليوم

حتى إذا أصبحتْ في غيرِ صاحِبِها   باتتْ تَنَازَعُها الذُّؤْبانُ والرَّخَمُ

الذؤبان: الذئاب، الرخم: من الطيور الجارحة

وصُيِّرَتْ بينَهُمْ شُورَى كأنَّهُمُ   لا يعرِفُونَ وُلاةَ الحَقِّ أيُّهُمُ

الخلافة أصبحت شورى مع أن ولاتها، أي مستحقيها، هم آل البيت

تَاللهِ ما جَهِلَ الأقوامُ موضِعَها   لكنَّهُمْ سَتَروا وَجْهَ الذي عَلِمُوا

ثم ادَّعَاها بَنُو العباسِ إرْثَهُمُ   وما لهُمْ قَدَمٌ فيها ولا قِدَمُ

منكُمْ عُلَيَّةُ أم مِنهُمْ، وكانَ لَهُمْ   شيخُ المُغَنِّينَ إبراهيمُ أم لَكُمُ؟

علية بنت المهدي، أخت هارون الرشيد كانت تغني، وإبراهيم بن المهدي، أخو الرشيد، كان مغنياً. ويعير الشاعر العباسيين بهما

لا يُذْكَرونَ إذا ما معشرٌ ذُكِروا   ولا يُحَكَّمُ في أمرٍ لَهُمْ حَكَمُ

لم يكن للعباسيين شأن في القديم.. العباس عم النبي أسلم متأخراً، ولم يكن ذا رتبة عالية بالقياس إلى علي وأبي بكر وعمر

ولا رَآهُمْ أبو بكرٍ وصاحِبُهُ   أهلاً لِمَا طَلَبُوا منها وما زَعَمُوا

كَمْ غَدْرَةٍ لَكُمُ في الدينِ واضِحَةٍ   وكم دَم لِرسولِ اللَّهِ عندَكُمُ

خرج عدد من العلويين على بني العباس في دولتهم ونالهم القتل والصلب والتشريد

أبلِغْ لَديكَ بَنِي العباسِ مَألُكَةً   لا تَدَّعُوا مُلْكَها. مُلَّاكُها العَجَمُ

مألكة: رسالة

٥٧ كرائم وكرام

قال بعد انتصار في معركة مع قبيلة نمير:

لنا الدنيا فما شِئنا حَلالٌ   لِساكِنِها وما شِئنا حَرامُ

ويَنفُذُ أمرُنا في كلِّ حَيٍّ   فَيُدنيهِ ويُقْصيهِ الكَلامُ

سَرَوْا والليلُ يَجمَعُنا، ولكنْ   يَبُوحُ بِهِمْ ويَكْتُمُنا الظَّلامُ

إلى أن صَبَّحَتْهُمْ بالمنايا   كرائِمُ فوقَ أَظْهُرِها كِرامُ

صبحتهم بالموت خيولنا الكريمة وفوقها الفرسان الكرام

٥٨ موتوا كراماً

ألَا مَنْ مُبْلِغٌ سَرَواتِ قَومي   وسَيفَ الدولةِ المَلِكَ الهُماما

سروات: سادة

بِأَنِّي لم أَدَعْ فَتَياتِ قَومي   إذا حُدِّثْنَ جَمْجَمْنَ الكَلاما

لم أترك فتيات قومي يتمتمن بالكلام غير مفتخرات.. بل أعطيتهن بشجاعتي مادة للحديث بافتخار

شَرَيْتُ ثَناءَهُنَّ بِبَذْلِ نَفسي   ونارُ الحربِ تَضْطَرِمُ اضْطِراما

ولَمَّا لم أَجِدْ إلَّا فِراراً   أشَدَّ مِنَ المَنِيَّةِ أو حِماما

حَملْتُ على وُرودِ الموتِ نفسي   وقلتُ لِعُصْبَتي مُوتوا كِراما

وعُذْتُ بِصَارِمٍ ويدٍ وقَلبٍ   حَمَتْنيَ أن أُلَامَ وأن أُضَاما

عذت بصارم وساعد وقلب، لجأت إليها، فحالت بيني وبين أن أُظلَم

كَشَفْتُ بها صُدورَ الخيلِ عنّي كما أَجْفَلْتَ في بيدٍ نَعَاما
كشفت بالسيف وبشجاعتي الخيل مثلما يشرد المرء سرب نعام في الصحراء

٥٩ عزة

لنا بيتٌ على عُنُقِ الثريَّا بعيدُ مَذاهِبِ الأَطنابِ سَامِ
بيتنا عال فوق نجوم الثريا، وهو بيت سام عال وكبير له أطناب طويلة، والأطناب حبال الخيمة

تُظَلِّلُهُ الفوارسُ بِالعَوالي وتَفرُشُهُ الوَلائِدُ بالطَّعامِ
العوالي: الرماح، الولائد: الفتيات

٦٠ الرئاسة

هِيَ الرئاسةُ لا تُقْنَى جواهِرُها حتى يُخاضَ إليها الموتُ والعَدَمُ
وما الرئاسةُ إلَّا ما تُقِرُّ به شُمْسُ المُلوكِ وتَعنُو تحتَه الأُمَمُ
الرئاسة الحقيقية تجعل الملوك الشمس، المتمردين، يقرون لك بالزعامة، وتجعل الأمم تعنو، أي تخضع

٦١ وداع

ودَّعُوا خَشْيَةَ الرقيبِ بِإيما ءٍ فَوَدَّعْتُ خيفةَ اللُّوَّامِ
ودعتني الحبيبات بإيماء وإشارة خفية من الأيدي، وودعتهن خائفاً من لوم اللائمين

لم أَبُحْ بالوَداعِ جَهْراً، ولكنْ كان جَفْني فَمي، ودمعِي كَلامي
لم أجهر بالوداع بل كان كلامي من جفني دموعاً

٦٢ أصابع الأيتام

لستُ بِالمُسْتَضيمِ مَنْ هُوَ دُوني إعتِداءً، ولستُ بالمُستَضامِ
المستضيم: الظالم

أَبذُلُ الحقَّ لِلخصومِ إذا ما عَجَزَتْ عنه قُدرةُ الحُكَّامِ
الحكام: من يتم تحكيمهم في الخصومات

لا تَخَطَّى إلى المَظالِمِ كَفِّي حَذَراً مِنْ أَصَابِعِ الأَيْتامِ
لا يظلم الناس خوفاً من أصابع الأيتام التي يرفعونها نحو السماء بالدعاء على الظالم

٦٣ وادينا ونادينا

إذا مررتَ بِوادٍ جَاشَ غارِبُهُ فاعْقِلْ قَلُوصَكَ وانزِلْ؛ ذاكَ وادِينا

جاش غاربه: تدفق سيله، اعقل قلوصك: اربط ناقتك

وإن عبرتَ بِنادٍ لا تُطيفُ به أهلُ السَّفاهَةِ فاجْلِسْ؛ ذاك نادِينا
ويُصبِحُ الضيفُ أَوْلانا بِمَنزِلِنا نَرضَى بِذاكَ، ويَمْضِي حكمُه فينا

٦٤ العصَّاء

سَلِي فتياتِ هذا الحيِّ عنِّي يَقُلْنَ بِما رَأَيْنَ وما سَمِعْنَهْ
أَلَسْتُ أَمَدَّهُمْ لِذوِيَّ ظِلّاً أَلَسْتُ أَعَدَّهُمْ لِلقومِ جَفْنَةْ

ألست أكثرهم مدّاً لظل الحماية على أهلي، وأكثرهم إعداداً لجفان وقصاع الطعام للضيوف

رَضِيتُ العَاذِلاتِ وما يَقُلْنَهْ وإنْ أَصْبَحْتُ عَصَّاءً لَهُنَّهْ
فَلا يَأْمُرنَنِي بِمَقَامِ ذُلٍّ فَمَا أنا بِالمُطِيعِ إذا أَمَرْنَهْ
مَتَى ما يَدْنُ مِنْ أجَلٍ كِتابي أَمُتْ بينَ الأَعِنَّةِ والأَسِنَّةْ

الأعنة: جمع عنان.. مقود الفرس، الأسنة: جمع سنان، رأس الرمح

٦٥ بُناة العز

اِطرحُوا الأمرَ إلينا واحمِلوا الكُلَّ علينا
إنَّنا قومٌ إذا ما صَعُبَ الأمرُ كَفَيْنا
وإذا ما رِيمَ مِنَّا مَوْطِنُ الذُّلِّ أَبَيْنا

ريم: من رام يروم، أي طلب

وإذا ما هَدَمَ العِزَّ - بنو العِزِّ بَنَيْنا

٦٦ يا أخي

كتب إلى أخيه أبي الهيجاء:

حَلَلْتَ مِنَ المجدِ أعلى مَكَانِ وبَلَّغَكَ اللَّهُ أَقْصَى الأماني
فإنَّكَ، لا عَدِمَتْكَ العُلا، أخٌ لا كَإخْوَةِ هذا الزمانِ
صَفاؤُكَ في البُعْدِ مثلَ الدُّنُوِّ ووُدُّكَ في القلبِ مثلَ اللِّسانِ

كَسَوْنا أُخُوَّتَنا بالصَّفاءِ   كما كُسِيَتْ بِالكلامِ المعاني

٦٧ الذنب ذنبي

وكَنَى الرسولُ عن الجوابِ تَظَرُّفاً   ولئنْ كَنَى فلَقَدْ عَلِمْنا ما عَنَى

الرسول بينه وبين الحبيبة ألمح إلى جوابها ولم يصرح.. تظرفاً منه ولياقة لأن الجواب كان قاسياً

قلْ يا رسولُ، ولا تُحَاشِ، فإنه   لا بدَّ منهُ أساءَ بي أم أَحْسَنا

الذنبُ لي فيما جناهُ لأنَّني   مكَّنْتُه مِنْ مُهْجَتي فتمَكَّنا

٦٨ الشكوى

الحُرُّ يصبِرُ ما أَطاقَ تَصَبُّراً   في كلِّ آوِنَةٍ وكلِّ زمانِ

فإذا تَكَشَّفَ واضْمَحَلَّتْ حالُهُ   ألفَيْتَهُ يَشكُو بكلِّ لِسانِ

وإذا نَبا بِيَ منزلٌ فارقتُه   واللَّهُ يلطُفُ بي بِكلِّ مَكانِ

نبا بي المنزل: ضاق بي

٦٩ الواني وغير الواني

كتب أبو فراس إلى سيف الدولة من عند الدمستق وهو في الأسر، يحذره بخروج الروم للحرب:

يا دهرُ خُنْتَ معَ الأَصادِقِ خُلَّتي   وغدَرتَ بي في جملةِ الإخوانِ

خلتي: صداقتي

لكنَّ سيفَ الدولةِ المَولى الذي   لم أَنْسَهُ، وأَراهُ لا يَنسانِي

إنِّي أغارُ على مَكانِيَ أنْ أَرى   فيه رجالاً لا تَسُدُّ مَكانِي

سيفَ الهُدى، مِنْ حَدِّ سيفِكَ يُرتَجى   يومٌ يُذِلُّ الكفرَ لِلإيمانِ

هَذي الجيوشُ تَجِيشُ نحوَ بِلادِكُمْ   محفوفةً بِالكُفْرِ والصُّلْبانِ

لَيْسُوا يَنُونَ، فلا تَنُوا في أمرِكُمْ   لا ينهضُ الوَاني لِغيرِ الوَاني

هم لا يتوانون ولا يكسلون فلا تتوانوا، فلا يستطيع المتكاسل أن يقاوم المدبِّر غير المتواني

٧٠ ألطاف الله

يوصي أمه بالصبر، وهو في الأسر:

لـولا الـعـجـوزُ بِـمَـنْـبِـجِ ... مـا خِـفْـتُ أسـبـابَ الـمَـنِـيَّـةْ
ولَـكـان لـي عـمَّـا سـألـ ... ـتُ مِـنَ الـفِـدا نـفـسٌ أَبِـيَّـةْ
وأرى مُـحـامـاتـي عـلـيـ ... ـهـا أن تُـضـامَ مِـنَ الـحَـمِـيَّـةْ

أعتبر دفاعي عن أمي من الظلم حمية وحفظاً للشرف، ولهذا فقط أطلب مفاداتي وفك أسري، وإلا لكانت نفسي أبية ولم أطلب

يـا أُمَّـتَـا لا تـحـزَنـي ... وثِـقـي بِـفـضـلِ الـلَّـهِ فِـيَّـهْ
يـا أُمَّـتَـا لا تَـيْـأَسـي ... لِـلَّـهِ أَلْـطَـافٌ خَـفِـيَّـةْ
كـم حَـادِثٍ عَـنَّـا جَـلا ... هُ، وكـم كَـفَـانـا مِـنْ بَـلِـيَّـةْ
أُوصـيـكِ بِـالـصـبـرِ الـجـمـيـ ... ـلِ، فـإنـه خـيـرُ الـوَصِـيَّـةْ

٧١ رحلة صيد

مَا الـعُـمْـرُ ما طَالَتْ به الدُّهورُ ... الـعُـمْـرُ مـا تَـمَّ بـه الـسُّـرورُ
أيـامُ عِـزِّي ونَـفـاذِ أَمـري ... هِيَ الـتي أَحْسِبُها مِنْ عُـمْري
لـو شِـئْـتُ مِـمَّـا قـد قَـلَلْـنَ جِـدًّا ... عَـدَدْتُ أيـامَ الـسُّـرورِ عَـدًّا
أَنْـعَـتُ يـومـاً مَـرَّ لـي بِـالـشـامِ ... أَلَـذَّ مَـا مَـرَّ مِـنَ الأَيَّـامِ
دَعَـوْتُ بِـالـصَّـقَّـارِ ذاتَ يـومِ ... عـنـد انـتِـبـاهـي سَـحَـراً مِـنْ نَـومـي

الصقار: حافظ صقر الصيد

بِـالـلَّـهِ لا تَـسْـتَـصْـحِـبُـوا ثَـقـيـلا ... واجـتَـنِـبـوا الـكَـثْـرَةَ والـفُـضُـولا
فـاخْـتَـرْتُ لَـمَّـا وَقَـفُـوا طـويـلا ... عِـشـريـنَ أو فُـوَيْـقَـهـا قـلـيـلا
عـصَـابَـةٌ أَكْـرِمْ بِـهـا عِـصـابَـةْ ... مَـعـروفَـةٌ بِـالـفـضـلِ والـنَّـجَـابَـةْ
حـتـى إذا أَحْـسَـسْـتُ بِـالـصـبـاحِ ... نَـادَيْـتُـهُـمْ حَـيَّ عـلـى الـفَـلاحِ
نـحـنُ نُـصَـلِّـي والـبُـزَاةُ تُـخْـرَجُ ... مُـجَـرَّداتٍ، والـخُـيـولُ تُـسْـرَجُ

تم إخراج البزاة، طيور الصيد، مجردة قبل أن تكمم رؤوسها، وإسراج الخيول

ثــم عَــدَلْــنــا نــحــوَ نــهــرِ الــوادي   والــطــيــرُ فــيــه عَــدَدَ الــجَــرادِ

عددَ الجراد: أي بعدد الجراد

ثــم انــصــرَفْــنَــا والــبِــغَــالُ مُــوقَــرَةْ   فــي لــيــلــةٍ مــثــلِ الــصــبــاحِ مُــسْــفِــرةْ

موقرة: محملة

ثــم نَــزَلْــنــا وطَــرَحْــنــا الــصَّــيْــدا   حــتــى عَــدَدْنــا مِــئَــةً وزَيْــدَا

فلمْ نَزَلْ نَقلي ونَشْوي ونَصُبّ   حتى طَلَبْنا صَاحِياً فلم نُصِبْ

شربنا حتى لم يبق أحد إلا قد سكر

شُــرْبــاً كــمــا عَــنَّ مِــنَ الــزِّقــاقِ   بِــغــيــرِ تَــرتــيــبٍ وغــيــرِ سَــاقِ

شربنا شرباً كيفما اتفق.. حتى من الزقاق نفسها بلا أقداح، وبلا وجود ساقٍ محترف

فــلــم نَــزَلْ سَــبْــعَ لَــيــالٍ عَــدَدا   أَسْعَدَ مَنْ رَاحَ وأَحْظَى مَنْ غَدَا

أحظى: الأكثر حظاً

فهرس القوافي، أبو فراس الحمداني
(القافية، فرقم القطعة)

أبو العلاء المعري
(٣٦٣هـ ـ ٤٤٩هـ)

يضم هذا الباب: ١ حياة أبي العلاء، ٢ المختار من ديوان شبابه «سقط الزند»، ٣ مقدمة موجزة عن إيمانه ونظرة الناس إلى معتقده، ٤ المختار من «اللزوميات»

حياة أبي العلاء

غيَّر القاضي عبد الله اضطجاعته، فمال إلى جنبه الأيمن وشدَّ شفتيه شدّاً، يريد أن يمنع دمعتين. لكنهما سالتا.

كان قد اعتلى سطح المنزل في ذلك المساء مع ولديه أبي المجد وأحمد، ومهدوا لأنفسهم كي يناموا على السطح في تلك الليلة من ليالي صيف المعرة.

تذكر الأب بأسىً ليلة من الصيف الماضي تشبه هذه الليلة، وكان فيها مع ولديه على السطح. كان أبو المجد قبل سنة يلاعب أخاه الصغير أحمد، الذي تخطى الثالثة من العمر بقليل، يسأله: أين القمر؟ فيشير الطفل بيده إلى القمر. وأين النجوم؟ فيرفع الطفل يديه كلتيهما ويحرك أصابعه مشيراً إلى أن النجوم كثيرة وتملأ السماء. ويسأل الصغير عن النجم الثاقب، فلا يعرف الأخ الأكبر، ويجيب الأب: قد سمع أحمد بالنجم الثاقب وحفظ السورة. هو كل نجم شديد التوهج. ويفسر الأب لهما الآية: «ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...». ويقف ولا يكمل الآية. فيكمل أحمد الصغير من حفظه: «وجعلناها رجوماً للشياطين». فيبهت الأب، ولا يريد أن يتعمق في التفسير. ويتملكه العجب.. هذا الطفل يسمع القرآن يقرأ في البيت وفي المجالس وفي الصلوات ويحفظ. ويأمل الأب أن يكون لولده الصغير شأن.

هذا في السنة الماضية.

فأما في هذه السنة فهم في مرقدهم نفسه على السطح نفسه، والطفل يشير بيده إلى القمر ويراه. وعندما يسأله أخوه عن النجوم يقول: النجوم ذهبت.

ويذرف الأب الدمعتين.

بين هذه السهرة تحت النجوم، والسهرة التي قبل سنة، كان الطفل قد أصيب بالجدري، ونجا. ولكنه بدأ يفقد بصره بالتدريج. الآن لم يعد يرى النجوم. بلع الأب ريقه بصعوبة.

كان يرى في أحمد قاضياً جليلاً سيرث هذا المنصب الذي ظلت العائلة تحتفظ به أجيالاً، والآن أخذ يراه قارئاً أعمى يقرأ القرآن في بيوت الناس بأجر.

ثم هبت نسمة باردة فالتصق أحمد بأخيه الفتى ونام.

لم يلبث أحمد بن عبد الله بن سليمان طويلاً حتى فقد القمر من السماء. ولكنه لم يشعر بكبير حزن، فلا هو رأى في مرآة ولا على صفحة ماء صورة وجهه بعد أن أكله الجدري، ولا هو يظن أن في الدنيا شيئاً لم يشاهده. لقد رأى كل شيء وعرف كل شيء بعينيه، وهو الآن يسير في بيتهم بسهولة بدون مساعدة عينين. فأما تلك الأشعار التي يتداولونها فلا تحتاج إلى عينين، وأذناه سليمتان، ومتعته في الاستماع إلى القرآن والشعر لا يعادلها شيء. يجلس في مجلس الرجال قريباً من أبيه صامتاً، ويسمع ويحفظ، وقد علمه والده أن من حسن الأدب ألا يفتح فمه في مجلس الرجال.

لكنه ما إن يخرج إلى الباحة الخلفية حتى يتحول إلى شيطان مريد. يركض ركض طفل مبصر وهو يلوح بذراعيه، منشداً بيتاً للمتنبي لا يغيره، ويكرره ثلاث مرات (أتاني الكتاب أعز الكتب/ فسمعاً لأمر أمير العرب). وتخرج أمه فزعة تخاف أن يصطدم بشجرة في آخر الباحة، ولكنه في كل مرة يتوقف عن جريه فجأة قبل شجرة التين العجوز بأقل من قامة. وفهمت أمه أنه يقيس المسافة بقراءة بيت الشعر بنغمة رتيبة. شيطان.

وأكثر من مرة ترى الأم ابتسامة على وجه أبيه وهو يقول: خفيف هذا الولد، لأخواله. وتفتعل الأم تكشيرة خفيفة. فأهلها آل سُبَيْكة معروفون في حلب بمكانتهم القديمة وثرائهم المحدث وبخفتهم البالغة، فمجالسهم مجالس

غناء وشعر ومقالب. يموت الميت عندهم فيحزنون يوماً ثم لا يطيقون الحزن فيتحول مجلس العزاء في مقبل أيامه إلى مجلس فكاهات من كل نوع تتخللها بعض استغفارات.

عندما بلغ أحمد الخامسة أخذته أمه إلى حلب. خرجا مع الفجر في خفارة، وجدًّا في السير حتى يصلا استراحتهما، حيث يبيتان ليلهما، قبل غياب الشمس، ثم يستأنفان السير فجراً.

الأحاديث في مجالس آل سبيكة غير أحاديث المعرة. فأخوال الصبي أحمد تجار لهم شهرة في الأسفار. سمع أحمد، الذي كنَّاه أبوه بأبي العلاء طفلاً، عن بغداد ودمشق وطرابلس ومصر، وعن بلاد الروم أيضاً. ولمس بيده بعض ما في بيوت أخواله من طرائف عادوا بها من أسفارهم. فإذا ما خلا إلى القاسم ابن خاله، وهو شاب، انهال عليه بالأسئلة، ويجيب الشاب صادقاً وكاذباً، ويعيا بهذا الولد الذي يريد أن يعرف كل شيء، حتى لقد قايض الشاب الصبي مرة على نصف درهم مقابل أن يكف الصبي عن أسئلته. قبض أحمد بكفه الصغيرة على نصف الدرهم. ثم ألح عليه سؤال. ففتح كفه وقال لابن خاله: خذ، أريد أن أسأل سؤالاً. فضحك الشاب حتى نزلت دموعه، وأخذ يصفِقُ الولد على كتفه بمعابثه مرحة والولد يصفقه.

ونام الولد تلك الليلة على وعد: أن يأخذه ابن خاله إلى السوق الكبير، وأن يمرا ببيت أبي الطيب المتنبي. فقد قال له الشاب إنه يعرف موضع البيت الذي كان يسكنه الشاعر المشهور، وأضاف: لكنه مات من سنين طويلة، ومات الأمير الذي كان يرعاه، والآن أميرنا هو ابن سيف الدولة. قال أحمد: خذني فقط إلى بيته الذي كان.

وقف أبو العلاء الطفل يتحسس بيده باب منزل المتنبي، يريد أن يلمس بيده موضعاً لمسه المتنبي. ثم شده ابن خاله، قائلاً: هناك ناس يسكنون البيت الآن، هيا قبل أن يظنوا بنا شراً. ومضيا في السوق قاطعين الجامع الكبير، وتوقفا حيث اشتريا شيئاً من «الكرابيج»، ولم يكن ذاق لها الطفل طعماً من قبل. لو كان في المعرة لما جرؤ أن يأكل وهو يمشي في السوق، فأبوه، سليل قضاة المعرة، لا يرى أن يأكل المرء ماشياً. لكنه عند أخواله، وفي حلب الكبيرة.

مع فراغ الشاب من كربوجته، انفتل يريد العودة. فقال له الطفل، أليس قد

اقتربنا من القلعة؟ فدهش الشاب مرة أخرى، وليست أخيرة. وتنهد، وأخذ الطفل الطُّلَعة إلى القلعة.

رأى أبو العلاء بأذنيه عالماً واسعاً في حلب. ولو كان أخواله عرفوا أن هذا الطفل كان قبل الجدري طفلاً جميل المحيا لأحبوه أكثر، ولكنهم أحبوا فيه خفته وذكاءه.

باقتراب الخريف آن أن يعود السفْر إلى المعرة. وحمَّل آل سبيكة ابنتهم طرائف حلب الكثيرة، وبينها سَفَط كرابيج لم ينس الطفل أن يطلبه كي يطعم أهل البيت في المعرة من هذه الحلوى.

وفي المعرة بدأت دروس النحو والصرف والقرآن. كان جده يعلمه، وكان يسمع أباه يعلم أخاه. وينتاب والده بعض خوف من أن يخلط الطفل بين الأشياء، ثم يندهش كيف أن الطفل يرتب المعلومات في عقله.

ويأتي إلى بيت القاضي قارئ أعمى بعد عصر كل جمعة يختم القرآن، ويجلس إليه أحمد، ويرتب القرآن في عقله سورة سورة. وما بلغ العاشرة حتى حفظ القرآن. وأخذ يتململ في مجالس القوم من تضارب التفاسير، ولكنه لا ينبس ببنت شفة. صار يعجبه أن يصلي صلاة طويلة في آخر الليل، تقطعها عليه أمه وتسوقه أمامها إلى فراشه.

كل هذا والولد لا تفارقه خفته.

في نحو الثالثة عشرة كان قد ابتلع علم المعرة، فأرسله أبوه إلى حلب مع أمه في الصيف، ومكث بها، ورجعت أمه وحدها. مكث سنة وعاد إلى المعرة في الصيف المقبل. في حلب سمع النحو واللغة من ابن سعد تلميذ ابن خالوية، الذي كان توفي قبل خمس سنين ولكن تلامذته ظلوا يملأون حلب نحواً ولغة. ويسأل أبو العلاء عن أوزان الشعر. يقرض أبياتاً ويعلق عليها أساتيذه. لكنه يريد أن يعرف ماذا تسمى هذه الأوزان التي أخذت موقعها من أذنه ولم يعد يخطئ في النظم عليها، وماذا تسمى الزحافات المختلفة، وعلل القافية. و. . تضيق حلب على فضوله.

رجع إلى المعرة فتى ينظم الشعر، ويعرف من النحو والعروض واللغة ما لا يعرفه معظم علماء البلد. في نحو الرابعة عشرة كان مخزون أبي العلاء من اللغة، وتمكنه من الأوزان كفيلين له بأن يقارع شبان المعرة في المقافاة حتى

يسكتهم. يلتقي مع شبان يتقافَوْنَ أبيات الشعر مباراة فيما بينهم. ويعجزهم. فيقول لهم: أمَا ينظم المرء بيتاً كلما أعجزه أن يأتي ببيت على حرف من الأحرف؟ يلذه أن يغلب، وأن يتفوق. قد أدرك الفتى أبو العلاء قبح صورته، وأن إحدى عينيه غائرة غؤوراً قبيحاً، والأخرى بارزة بروزاً قبيحاً. رأى ذلك في كلمة من هنا وأخرى من هناك، وتحسس عينيه ووجهه الذي حفره الجدري. لكنه لا يفارق خفته، وروحه المنطلقة.

يؤتى إليه بكتب من الكتب التي عند أهل المعرة كي تقرأ عليه. ولكنها في الغالب نسخ رديئة. ويشتاق أبو العلاء إلى مزيد من العلم.

بعثه أبوه مع خادم إلى طرطوس ليقيما عند صديق تنوخي من العشيرة، ويرتادا دار كتب هناك. وينصرف الخادم بالفتى بعد أشهر وقد أحسا أن المضيف ضاق بضيفيه. يعودان بطريق الساحل، ويقضيان الليل هنا أو هناك في خان أو دير.

وفي طرطوس ينزلان في دير ملحق بالكنيسة العتيقة التي تهدَّم شطرها، ويكلم الفتى الشماس السرياني بكلام فصيح لا يكاد الشماس يفهمه فيأخذه إلى الراهب. ويفاجأ الراهب، وهو طائي عربي، بكلام الفتى المعري وفصاحته على حداثته وعماه، فيجاذبه أطراف الحديث. ولا يغيب عن الراهب أن يفاخر بشاعري طيء الكبيرين أبي تمام والبحتري، فإذا الفتى، ولما يتجاوز الخامسة عشرة، بحر لا ساحل له في الشعر، وإذا هو ينشده من بدائع الشاعرين ما يجعل الراهب يهتز طرباً.

احتبسهما أبونا عنده أياماً. قال لأبي الغلاء: لعلي عرفت لماذا عدتما بطريق الساحل، ولم ترجعا من طريق حمص. تريد الذهاب إلى دير الفاروس باللاذقية، أليس كذلك؟ سكت أبو العلاء. فلم يكن يعرف دير الفاروس ولم يكون دخل اللاذقية من قبل. لقد مشى مع خادمه مع الساحل لأنهما أرادا فقط تغيير الطريق واكتشاف أماكن جديدة.

وهنا تطوع الراهب بنصيحة ثمينة.

- هناك في دير الفاروس رهبان لديهم الكتب المقدسة بالعربية، ولديهم مكتبة غنية، ولديهم ديوانا أبي تمام والبحتري بنسخ حسنة جداً لا تجدها حتى في بغداد.

ـ وماذا عن كتب اللغة؟

ـ مكتبة عامرة قلت لك! عندهم كل شيء، وليس فيهم أحد إلا ويتقن العربية، حتى إنني لأشك إن كانوا يعرفون السريانية معرفة جيدة. هم طائيون مثلي، وأنا أعرف الناس بهم. لكن العودة من اللاذقية إلى المعرة تقتضيكما صعود الجبال.

وانطلق الفتى وخادمه إلى دير الفاروس في اللاذقية، ومعهما رقعة توصية. ووصلاها بعد ثلاث منهكين من السير على الأقدام، جائعين. ناقمين على الدنيا وأهلها، فقبل «جبلة» بقليل تعرض لهما قوم بزوهما ثيابهما وسرقوا القليل مما كانوا يحملون من دراهم هي بقية بقيت من رحلة طالت عما كان متوقعاً لها.

وبعد صلاة العشي في الدير التقاهما كبير الرهبان، وسأل عن كثيرين من آل سليمان، بعضهم عرفه أبو العلاء وبعضهم لم يعرفه، فقد كان له أقارب يتولون قضاء حمص، وآل سليمان معروفون في المنطقة. ووكل بهما كبير الرهبان راهباً شاباً اسمه يوحنا، وهو طائي أيضاً.

تذكر أبو العلاء في شخص الراهب الشاب ابن خاله في حلب، فقد كان مرحاً وصاحب نكتة. وأخذا يتساهران. ولكن الشعر لم يكن من أداة الشاب، فاكتفى بقراءة بعض شعر الطائيْين على أبي العلاء. ومرة بعد مرة يسأله الفتى الضرير عن المكتبة، وفي كل مرة يقول له الشاب إنها رهن قفل كبير لا يفضُّه الراهب الكبير إلا بعد أن يطمئن، ففيها الكتب المقدسة. سأل أبو العلاء: ألا تطلعونني على الكتب المقدسة؟ فقال الشاب: بلى. ولكن بين هذه الكتب إنجيل الفاروس الذي ليس عند أحد منه نسخة.

على أن يوحنا أخرج لأبي العلاء نسخة جيدة من كتاب يعقوب بن السكيت، وجعلها على مقربة. وكان يقرأ عليه منها ورداً في كل ليلة.

قال أبو العلاء لكبير الرهبان إنه سيكتب إلى أبيه بإرسال مال. فهمهم الراهب. فهو راض بإقامة سليل الأسرة المعروفة في حمى الدير زمناً، ولكن بعض المال قد يكون معيناً على إقامة تطول. ولم يسأل كثيراً بل تعهد بإرسال كتاب الفتى إلى أبيه قاضي المعرة.

وما أملى أبو العلاء الكتاب في ليلته ونام حتى كان يستَدعى في الصباح إلى حجرة كبير الرهبان. قال له: يا بني، خادمك هذا يعود كل يوم مخموراً،

ولعله يرتاد دار القيان في اللاذقية. والناس يرونه عائداً إلى الدير مخموراً. لا ندري، لعله يخدم أحداً في الصباح وينفق على مباذله من أجره. وسيرته ليست مما يلائم سيرتنا. فطأطأ الفتى، وفكر. وقال: سألحق بكتابي لأبي عبارات أخرى. وخرج.

طلب أبو العلاء من والده أن يستدعي الخادم إلى المعرة، واعداً أن يعود هو بعد أشهر.

وقرأ القاضي الكتاب، وفيه أن اجعلني في كهف من الدراهم وكنف، وليقل الخضر لموسى الكلمة الفصل، فموسى يشرب الخمر. فأمَرَّ القاضي سورة الكهف على قلبه، وفهم أن ولده يطلب ثلاثمئة وتسعة دراهم، وابتسم. ثم قرأ كلمة الخضر لموسى: «هذا فراق بيني وبينك».. وعرف أن الغلام والدير ضاقا بالخادم. فكتب القاضي يستدعي الخادم، وأرسل الدراهم وفوقها زيادة يستعين بها الخادم في رحلة العودة. وأوصى ولده بالقرآن.

وكرَّ الخادم عائداً.

كان أبو العلاء يلح على يوحنا بفتح المكتبة له، فقد فرغ من كتاب ابن السكيت.

ذات نهار طلب كبير الرهبان من يوحنا أن يأتيه بأبي العلاء كي يسبر عقله ومعرفته، فقد سمع من يوحنا عن قوة حفظه الكثير. كان قائد الجند يزور الدير يومئذ، وفي الواقع فإن كبير الرهبان أراد أن يطرفه بهذا الغلام الذكي.

قعد أبو العلاء بين يدي المجلس، وعرف القائد أنه أنهى لتوه كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت. وكان على علم به. قال له: كتاب كبير يصل المرء نهايته فينسى بدايته. لا أرى المرء يتقنه فهماً إلا بعد عمر. فماذا قرأت.. ولم يكمل القائد جملته، حتى قال له أبو العلاء: قد حفظته.

وجيء بالكتاب. وقال له القائد، فأي كراس من كراريس الكتاب حفظت. فقال أبو العلاء: كلها. فتناول القائد كراسة، وبدأ يقرأ من أولها، ثم وجد الفتى يقرأ معه، فسكت وأنصت وأبو العلاء يقرأ عن ظهر قلبه، واستمر أبو العلاء يقرأ. حتى وضع القائد الكراسة، وهو يتعجب غاية العجب.

وفتحت أمام أبي العلاء كتب الدين والدنيا. كان قد أصبح شخصاً مشهوراً بين رهبان الدير، وكان الرهبان يتنافسون في القراءة له. وفي الليل يأتيه يوحنا ليلعب معه بالشطرنج.

كان يقرأ له في أسفار الكتاب المقدس العربية راهب من قبيلة كلب، وكان على مذهب أبوليناريوس اللاذقي. يقرأ قليلاً ثم يقف ويأخذ بمهاجمة الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين على حد سواء. وينغمس في حمى الدفاع عن مذهبه، فيسأله الفتى بحياء عن آريوس، فيستشيط راهبنا. فرغم اتفاق مذهبه مع الآريوسية على الطبيعة الواحدة للمسيح فأولئك الجاحدون ينزلون بالمسيح من عليائه الألوهية ويجعلونه بشراً مخلوقاً. ويمتنع أبو العلاء عن الخوض مع الراهب الكلبي في نقاش، مع أنه يضمر تقديراً للآريوسية التي تشبه الإسلام في هذا الأمر. ويمتنع الراهب عن التعرض إلى نظرة الإسلام في طبيعة المسيح أو في أي شيء يتعلق بالمسيحية. وينشرح أبو العلاء عندما يفصل له راهبه الكلبي العلاقة بين مذهبه الأبوليناريوسي والفلسفة اليونانية.

ويتوق الفتى إلى كتب اللغة والشعر فيقرأ على راهب آخر مجاميع عتيقة كالمفضليات والحماسة. ويقرأ كراسة من كراريس جمهرة ابن دريد. ولا يرى في دير الفاروس مقنعاً في النحو، ولا في العروض.

وفي جولة له في سوق اللاذقية مع يوحنا، رفيقه الشاب، شهد حجاجاً بين يهودي ومسيحي في متجر قماش يملكه فقيه مسلم. يشربان ماء، ويقدم يوحنا أبا العلاء للفقيه فيعتني به ويجلسه على صندوق معتذراً بأن المتجر مكتظ في انتظار نقل هذه الصناديق إلى أنطاكية فالقسطنطينية. ويهمس: فيها ما تلبس النساء وما لا يحل لنا، فيها حرير صيني جاءني أمس من حلب.. حمله من بغداد آل سبيكة التجار.. هؤلاء تجار كبار. يهز أبو العلاء رأسه، ويقول: هم أخوالي. فيزداد اعتناء الرجل به، ويطلب للغداء كباباً. ويرتفع صوت المؤذن فيتهيأ الفقيه التاجر للذهاب إلى المسجد القريب، ويغمز يوحنا غمزة: في أنطاكية على بعد مرحلة من هنا منع أصحابكم الروم الأذان منذ أن أخذوا المدينة قبل ثلاثين سنة. وينتفض يوحنا: «أصحابنا! أبعدهم الله، ليست بيننا صحبة، لا هم أصحابنا في النسب ولا في الدين»، ثم يردف، «على أنكم هنا تَضيِقون بنواقيسنا!» ومضيا في الجدال وأبو العلاء يتوضأ في ناحية. ورجع إليهما وقد احتدم حديث الأذان والنواقيس، لكن سرعان ما اقتاده التاجر من ذراعه ومضيا إلى المسجد. وعندما عادا إلى يوحنا أكل الجميع كباباً.

قال التاجر لأبي العلاء على الغداء إن في أنطاكية مكتبة عامرة في دير مار مارون، وفيها كثير من الشعر القديم بجانب ما فيها من هرطقات اليونان، ولعل

فيها أيضاً كثيراً من هرطقات أهل المذاهب والفرق الإسلامية.. ما أشد حرص أولئك الرهبان على هذه الكتب!

رأى يوحنا وجه أبي العلاء يشرق عندما سمع بكتب من نوع آخر في أنطاكية. ويح هذا الفتى! ألا يشبع كتباً.

أضاف التاجر: إن شئت أوصلتك إلى أنطاكية، وأوصيت بك. فتحمس أبو العلاء.

وفي طريق العودة إلى الدير بقي أبو العلاء صامتاً، إلى أن حركه يوحنا، فتبين عزمه على الذهاب إلى أنطاكية.

لقد فقدت مكتبة دير الفاروس سحرها في نفس الصبي بعد أن حرثها في ستة أشهر طويلة. ولم تمض أسابيع حتى كان أبو العلاء يقتعد غارب جمل من جمال التاجر المتجهة إلى أنطاكية بالبضائع التي ستجد طريقها من بعدُ إلى القسطنطينية والبندقية.

وأنطاكية بيد الروم، ولكن قوافل التجار لا تعبأ كثيراً بالحدود.

لم يطل مكث أبي العلاء في أنطاكية، فرغم أن الخوري الماروني أكرم وفادته ووكل به من يقرأ عليه أطرافاً من فلسفة اليونان والفرق الإسلامية، فقد دب الحنين إلى المعرة إلى قلبه. حنَّ للقرآن الذي تبدد بعضه من حافظته. وحن لأمه.

عاد إلى اللاذقية راكباً مثلما كان جاء منها. وبات أياماً عند الفقيه لم يذهب فيها إلى الدير إلا يوماً وليلة. ودع في النهار رهبان دير الفاروس، وقضى الليل يلعب بالشطرنج مع يوحنا. عجباً لي، يقول أبو العلاء لنفسه، أحفظ رقعة الشطرنج كأنها منطبعة في عقلي وأنسى بعض القرآن!

وكانت العودة إلى حلب، وحمَّله التاجر هدية لأخواله آل سبيكة.

وجد أبو العلاء عند أخواله رائحة أمه، فمكث في حلب بضعة أسابيع حتى تيسر له من حمله إلى المعرة، عاد بسَفَط فيه كرابيج حلب، وسفط فيه كتاب سيبويه استعاره من نحوي كان درس على ابن خالويه.

استقبل الأبوان ولدهما وقد أصبح شاباً تخطى السابعة عشرة. وعاش ليالي حلوة مع أصدقاء الفتوة الباكرة يتسامرون ويتناشدون الشعر. وفي الصباح

يلزم المعري المسجد يسمع القرآن من قارئ يجلو له ما غشى صفحة ذاكرته. حتى إذا حمل القرآن من جديد، بدأ أبوه يقرأ عليه كتب الحديث والفقه، وأبو العلاء يسمع ويحفظ بكثير من التأدب، فهو قد رأى في بلاد الشام التي ارتادها علماً غير هذا العلم، ويوماً بعد يوم يزداد إقبال أبي العلاء على الحديث، فهذا هو فلسفتنا نحن، وهذا هو الكلام العربي الفصيح. وخاض مع أبيه بعض خوض فيما تيسر من كراريس علم الكلام. ولكنه كان يأنس بالحديث الشريف كل الأنس. ويخشى والده من أن تختلط أسانيد أهل الحديث بتلك العلوم الشتيتة التي نشأت حول الحديث مثلما تنشأ اللؤلؤة حول حبة الرمل، ولكن عقل الفتى كان يرتب المعارف، ويضع كل شيء في صندوقه الخاص داخل عقله.

وفرض له أبوه رزقاً يستعين به، خاشياً أن يموت فيجور الورثة على أبي العلاء. قد رأى الأب ما لملمه ولده من علم ومن زندقة في رحلته الطويلة، لكنه سر السرور كله إذ رأى ولده مقبلاً على الدين عائداً إلى القرآن، واطمأن باله.

وقرئت على أبي العلاء أشياء من كتاب سيبويه، وعرف في نفسه قصوراً عن كثير مما جاء في «الكتاب». فلا بد من حلب التي ترك فيها ابن خالويه نهضة نحوية قد لا تدوم. لا بد من حلب.

وقبل أن يبلغ الفتى التاسعة عشرة رحل إلى حلب وفي كيسه دراهم من رزقه، غير ناس أن يحمل معه كتاب سيبويه ليعيده إلى صاحبه. وأقام في حجرة اكتراها قريباً من منازل أخواله، واتخذ لنفسه خادماً. وأخذ يغشى مجالس النحو. وحدثته نفسه أن يمدح قائداً مشهوراً، طمعاً في أن يكون شاعراً كالشعراء. ومدحه، ونال دريهمات. وغضب أخواله على القائد الشحيح. فهم قوم تجار كل شيء عندهم له ثمن. وأخذ أبو العلاء يسعى في إقناعهم بأن المدح باب من أبواب الشعر لا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا طرقه، وجاء لهم بالمتنبي مثلاً. وقالوا له إن المتنبي نال كذا وكذا من سيف الدولة. ووعد أبو العلاء نفسه ألا يمدح أحداً من بعد. ووفى بوعده. غير أنه كان ينشئ في المرة تلو المرة قصيدة مدح في فقيه أو محدِّث يروض بها طبعه.

قد أصبح الكتاب دنيا أبي العلاء. وفي حلب وجد كثيراً مما لم يكن وجده في مدن الشام. وفيها سمع النحو ووعاه، واستكمل عدته. وعاد إلى المعرة وهو في العشرين أستاذاً.

يكون الإنسان بصَرياً يأخذ العلم بعينيه فيرتسم صورةً على صفحة دماغه. فإذا ما عمي فقد أداته الكبرى، وأخذ يجاهد بأذنيه، فيحصل له قليل من التوفيق.

ويكون الإنسان سمْعياً يأخذ العلم بأذنيه فينطبع في دماغه أصواتاً. فإذا ما عمي ازدادت ذاكرته السمعية قوة إلى قوة، فهو قد فقد أداته الضعيفة واستبقى أداته القوية، وازدادت قوة على قوتها.

وكان أبو العلاء ممن تمتعوا بذاكرة سمعية. لا يسمع شيئاً إلا وعاه. وبذكاء نادر يربط فيما بين الأشياء، ويكررها على نفسه صوتاً يسمعه في ذهنه بلا لسان. وتستقر في عقله العلوم.

كان ينطلق إلى مسجد المعرة قبل ارتفاع الشمس، يصعد الدرجات السبع ويسير إلى يمينه ويجلس عند الجدار. ويأتيه شبان البلد يقرأون عليه ما شاءوا ويفسر لهم. ويأتونه بما عندهم من كراريس ومن كتب فيصلح لهم ما فيها من غلط. ويسمع. ويتحين الفرصة بعد العصر كي يلتقي بِلِداته يعابثهم ويسمع أحاديث عبثهم. وعندما بلغ أواسط العشرين أخذ يسمع من أقرانه المتزوجين أحادث المتزوجين، بكل ما فيها من شكوى ومن ندم، ومن ملذات الزواج.

تحس أمه بأن ابنها كبر وبأنه يحتاج إلى ما يحتاج إليه الرجل، وتتحير؛ فلا هي قادرة أن تزوج ابنها الأعمى الدميم فتاة من أهلها، آل سبيكة، أو من أهله آل سليمان، ولا هي قابلة أن تزوجه فتاة من حاشية المجتمع تدخل بيتهم عَروباً متحببة ثم تتحول إلى حصان جامح. ويدرك أبو العلاء ما بنفس أمه فيفاتحها كيلا تفاتحه، ويقول لها إنه تزوج علمه وكتبه. فتسكت الأم بارتياح.

تعتمل في نفس أبي العلاء شهوات الجسد، فأما الطعام فهو قد عوض أشهر الحرمان من أطايبه أثناء أسفاره بين مدن الشام، ففي بيته بالمعرة كل ما تشتهي النفس، ونفسه لا تشتهي الطعام إلا قليلاً. وأما المرأة فهي الطيف الذي يؤرق أبا العلاء إذا خلا بنفسه، وقلما يخلو بنفسه. يهرب من الطيف إلى علومه الكثيرة، ويطرده في بعض ساعات خلوته بأن يعيد على نفسه قصائد قالها فيتقن حفظها إتقاناً، وقصائد حفظها لغيره، ولا يني يستعيد سور القرآن. فإذا كان مجلسه الصباحي وجد الأنس في صحبة أقرانه ومن هم أصغر منه يعلمهم، ويعتني بالنابه منهم. فإذا صليت الظهر ذهب إلى بيته فتغدى ونادى ابن أخيه الأكبر، ابن أبي المجد، كي يقرأ عليه شيئاً. ثم يعود إلى المسجد ليصلي العصر.

والمجلس بعد العصر للفقهاء. كان يجالسهم في أول أمره يسمع قراءتهم، وقد يفسرون شيئاً فيسكت. ثم سرعان ما صاروا يقرأون عليه كي يفسر لهم. وقبلوه بيسر، فكثير منهم من آل سليمان أقربائه، أو من عائلات المعرة التي بينها وبين آل سلمان صهر، وكل المعرة من تنوخ، وهم عشيرة واحدة.

ذات يوم، وبعد انتهاء مجلس الضحى، وبينما أبو العلاء يعابث بعض تلامذته من الأقران في انتظار أن يرفع أذان الظهر، دخل المسجد غريب. ألقى بالسلام. فهتف به أبو العلاء: حللت أهلا يا أبا الهثيم.

اقترب منه تلميذ وقال له بخفوت صوت: «هذا ليس أخاك». فلأبي العلاء أخٌ يكنى أبا الهيثم. قال أبو العلاء: اصبر، هذا أبو هيثم آخر.

أقبل الغريب على الحلقة، ورأى أبا العلاء الذي وقف له.. واندفع إليه وعانقه. وقال له الغريب: قد عرفتني من صوتي.. يا مرحباً بابن آل سليمان. وقعد بجانب المعلم الشاب.

كان هذا تاجر اللاذقية الفقيه.

انتحى أبو العلاء بتلميذ من تلامذته وأسرَّ له أن يذهب إلى البيت كي يستعدوا لغداء الضيف وإقامته. ثم استذكر مع الرجل أيام اللاذقية قبل سنين. وكرر شكره للضيافة، ولما صنعه التاجر معه إذ حمله مع قافلته إلى أنطاكية، ثم منها إلى اللاذقية، ثم إلى حلب.

كان أبو الهيثم عائداً من حلب. وجعل طريق عودته إلى اللاذقية على المعرة آملاً أن يبيع بعض ما جلب من حلب ومن بغداد. فقد كان وصل هذه المرة إلى بغداد وجلب منها حرير الصين إلى حلب، وها هو يكمل مسيره بما تبقى من الحرير وبغيره من بضائع حلب.

شكا التاجر أهل حلب لأبي العلاء. فقد حمل من بغداد صندوقين كبيرين من الكتب، ولم يجد عند أهل حلب إقبالاً عليها. وحتى الدرة الثمينة جمهرة ابن دريد، لم تجد من يقدرها حق قدرها.

بعد الصلاة انطلق أبو العلاء بضيفه وبجمال ضيفه إلى البيت.

ودعي تجار المعرة كي يعاينوا بضائع الرجل. لكن أبا العلاء استبقهم فأخذ نسخة الجمهرة كي يفحصها. وبينا الرجل منشغل بتجارته في الفناء. طلب

أبو العلاء من أخيه أبي الهيثم أن يقرأ عليه صفحة من هنا وصفحة من هناك، من هذه الكراسة ومن تلك، من كراريس الجمهرة.

وعاد التاجر منشرحاً وقد نفقت سوقه على أهل المعرة. وأخذ يطري نسخة الجمهرة. «هي نسخة نادرة قرئت على المؤلف. ولو قيض لك أن ترى نصاعة حروفها ودقة صنعتها لقدرتها حق قدرها يا ابن آل سليمان». وأبو العلاء ساكت. فسعرها فوق طاقته. ويغير أبو العلاء الموضوع. ويتحدثان عن اللاذقية وعن بغداد وحلب. ويعود التاجر فيمسح بيده على نسخة الجمهرة. وأبو العلاء يشتهي ليس أن يمسح بيده عليها، بل أن يأكلها أكلاً، فقد كان سمع قطعة من الجمهرة من أبيه روايةً عن ابن خالويه، ولكن هذا كان قبل زمن، ولم يكن أتمها. وساوم أبو العلاء مساومة عازف منصرف. ثم سمح لجمهرة ابن دريد أن تبتلع جلَّ وَفْره.

أصبحت الجمهرة أساس ضبطه للغة، عليها يقيس كل شيء، ويصحح ما وهم فيه المؤلف أو الناسخ، ويضيف إليها الأسطر الكثيرة، كل هذا على صفحات ذهنه.

لا والله! لو حظي صاحبنا بزوجة مثالية ما كانت تكون أملأ لقلبه وعقله من هذه النسخة من كتاب ابن دريد الضخم!

لا أحد يحكم اللغة بحفظ المعجم. ولكن، لا أحد كأبي العلاء. وما مرت سنة على امتلاكه الكنز الثمين حتى أخذ يعقد مجلساً يشرح فيه شواهد الجمهرة من الذاكرة. وحضرته عشرون محبرة، وكانت تزيد ولا تنقص. وأملى المعري أشعاره. وأخذت أماليه تنتشر بين متأدبي حلب. يكثر تلاميذه وينتشرون وينتشر معهم صيته، بطيئاً، لكنه يزيد ولا ينقص.

أرضت هذه الشهرة المتواضعة ما في نفس أبي العلاء من حب للظهور، ومن عشق للصيت. فإذا ما نزل الآن حلب أو رحل إلى حمص فإنما هو الشيخ الذي تتحلق حوله المحابر لا طالب العلم الذي يدس كتفيه بين الأكتاف في حلقة شيخ كي يسمع. ورغم اعتصامه بمذهب من التواضع الكاذب فإنه لم يمنع نفسه من القول إنه لم يقعد مقعد التلميذ من أحد منذ أن بلغ العشرين.

وهو الآن قد بلغ الثلاثين، وقد شهد في حمص وفاة جده ـ وكان قاضياً بها ـ وكان طالما قرأ على جده كتب الفقه الشافعي أيام حداثته بالمعرة. ورجع

من حمص ليجد أباه عليلاً. ومات أبوه. ففقد أبو العلاء سنداً مكيناً. كان أبوه، على تقاه، يحتمل من ولده الضرير نزغاته، وخفته، ولمزاته. ويدعو الله أن يثبته على الإيمان. وما أكثر ما كان الأب الحنون يهمس لأم الفتى كلما رأى من ولده استخفافاً بالعقيدة: هذا من آل سبيكة. وتحتج الأم ضاحكة، فهي كأهلها آل سبيكة تأخذ الحياة أخذاً هيناً، ولا تحب ولا تكره إلا بقدر، لكن كل ما في قلبها من حب أخلصته لابنها الضرير.

وبموت والده أصبح أبو العلاء رجلاً. ليس أنه كبير العائلة، فأخوه أبو المجد هو الأكبر. غير أن الاستقلال الفكري الكبير الذي غدا طبعاً في أبي العلاء أضيف إليه الآن مزيد من الاستقلال المادي. زاد رزقه بعض زيادة بما ورث من أرض. وأحسن القيام عليها. ولكن شوقه إلى بغداد كان كبيراً. في أعماقه جوع لمزيد من العلم، وفي أعماقه فكرة تطل برأسها ثم تختفي. ولا يبوح بها لأحد. أليس يقرأ عن جواري بغداد، وعن التسري ببغداد، وعن ذلك المجتمع المنفتح ببغداد؟ لكن لا، هو ذاهب لكي يقيس المكتبة الضخمة التي رتبها في دماغه بأعظم مكتبة في الدنيا. لا بد من بغداد.

ليس أبو العلاء خجولاً. من قال ذلك؟ ألأنه صار فيما بعد رهين المحبسين حسبتموه خجولاً؟ هو شاب مقبل على الحياة، يعرف الناس، ويحب أن يتعرف عليهم، ويقتحم مجالس العلم، ويتباهى بعلمه.. مع شحنة مضاعفة من التواضع الكاذب. هو يشتهي أن يكون ذا مال كثير، لكنه لا يملك البصر كي يكون تاجراً، أو كي يراعي أملاكه كما يحب، ثم إنه لا يملك الوقت ولا فراغ البال، لا لتجارة ولا لمراعاة أملاك، فالنهم إلى المعرفة أخذ عليه نفسه، غير أنه رأى الطريق إلى الغنى المؤكد.. القناعة. ويحس بشهوات جسده ويحفظ الحديث الشريف عن أن الصوم يقدع الشهوة فيصوم. وما عليه أن يأكل اللحم الحنيذ فَطوراً والخبز بالزيت سَحوراً، ثم يصوم نهاره.

بعد بضع سنوات من موت أبيه استأذن أمه في الذهاب إلى بغداد. وبكت مرة ومرة، فهي في أعماقها تعرف أنه يريد أن يرحل من الإقليم إلى العاصمة، والذي له مثل علمه ويرحل إلى العاصمة، لا يرجع من العاصمة. ثم أذنت له.

انطلق أولاً إلى حلب، وبمساعدة أبناء أخواله رتب رحلته. ومضى في البر مسيرة يوم وليلة حتى الفرات، وركب سفينة يمتلكها أخواله، وانحدر مع التيار حتى إذا حان أن يرسو ليكمل رحلته براً جاء العشارون أعوان السلطان وفرضوا

مكساً كبيراً على البحارة، وما كان هذا بالحسبان، فأخذوا السفينة غصباً، واقتضى الأمر تدخل أصحاب أخواله «آل حكَّار» من تجار بغداد لتخليص السفينة.

نزل أبو العلاء على رجل من أصحاب خاله أبي طاهر، وسرعان ما اكترى حجرة في الكرخ شرقي النهر.

أقام أبو العلاء في قطيعة الفقهاء بالكرخ، على مقربة من خزانة سابور، وهي دار كتب وقفها سابور بن أردشير الوزير على أهل العلم. وهجم على المكتبة غداة وصوله يستعرض كتبها، فاطمئن إلى وجود شرح السيرافي على كتاب سيبويه، وبحث عن شرح للضنين بعلمه الأخفش فلم يجد، ووجد له شيئاً عن العروض، وقرأ عليه صاحبه عروض الأخفش. وانصرف أبو العلاء إلى حجرته مقوداً، وصاحبه يصف له الطريق، ويحدثه عن الكرخ فنحن في قطيعة الفقهاء، وهناك قطيعة التجار، وبعيداً خزانة الخلفاء، وهي زينة الدنيا، وليس في الدنيا مكتبة أحسن منها.

أمضى أبو العلاء مساءه يرتب علم العروض في عقله ترتيباً، فقد ألم بما قال الأخفش واكتفى. وعرف عن ذلك السخف الساخف الذي اسمه الدوائر العروضية. لكن العروض علم مكنون في القصائد، ومن ذا يعرف القصائد قديمها وجديدها خيراً من أبي العلاء، فهلمَّ نستنبط من القصائد أحكام أوزانها وقوافيها.

أعجبه في خزانة سابور أنها غاصة بالكتب القديمة، كأنما تخصصت فيها. وكان له من أصحابه من يقرأ له، ومن يناظره ويمتعه، فابن فُورَجَّة يحمل على ابن جني صديق المتنبي وشارحه. ما لابن جني وللشعر! هو صاحب صرف وقياس، ويكبو جواده أمام معاني المتنبي مرة ومرة. ويحث المعري ابن فورجة الشاب على أن يصنع كتاباً يتعقب فيه أغلاط ابن جني. ويستنشد الشابُّ، الذي لم يتوسط عقد العشرين بعد، شيخه أبا العلاء الذي اقترب من الأربعين، فينشده من شعره.

ويمضيان معاً بعد أيام إلى مجلس الشريف المرتضى. فقد كان أبو العلاء أنشد قصيدة في رثاء والد المرتضى قبل مُدَيْدة، وكأنما أحس أن له دالَّة. وعند باب المجلس داس أبو العلاء على طرف ثوب رجل، فصاح به: يا كلب! فقال أبو العلاء هامساً: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، فبهت الرجل.

واستخبر الشريف عما يجري في آخر المجلس فأُخبر، فاستدنى أبا العلاء، وعرفه. وكان صيت أبي العلاء بعد تلك المرثية قد أخذ ينتشر في بغداد.

وانقضى المجلس وصيت أبي العلاء يعلو في بغداد، والمتأدبون يتكأكأون عليه كي يملي عليهم سبعين اسماً للكلب، وبعض أشعاره.

وأخذ أبو العلاء يبيت في حجيرة في بيت تلميذه ابن فورجة، هاجراً حجرته في قطيعة الفقهاء، لقرب منزل صديقه من خزانة الخلفاء. يذهب كل صباح لكي يعابث النساخ ويسمع ما نسخوه. و«توفيق» السوداء تخرج لهم الكتب كي ينسخوا، لكنها قد تتأفف من تأخرهم في ردّ الكتب، إذ يقرأون ما نسخوه على أبي العلاء كي يصلح لهم زلات أقلامهم.

وبعد الظهر يصعد أبو العلاء إلى حجرة خازن المكتبة الواجكا عبد السلام كي يسمع أحاديثه عن السيرافي وابن جني وأبي علي الفارسي وغيرهم ممن أخذ عنهم العلم، ويطرفه بأخبارهم ونوادرهم. لقد جمع حب الأدب واللغة والنحو بين قلبي أبي العلاء وقلب الواجكا عبد السلام. وأخذا يرتادان عصر كل جمعة مجلس المناظرات في جامع المنصور.

سأل أبو العلاء صديقه يوماً ببعض تخابث: يا أبا أحمد، ومن يكون إخوان الصفاء الذي سمعنا لهم ذكراً؟ قال الواجكا: هي ذي رسائلهم عندنا متاحة مباحة، ولكن الناس مضطربون بشأنهم. ولست أدري لم أخفوا أسماءهم، فما علمت نسخة من النسخ الكثيرة التي عندنا تحمل أسماء أصحابها. وطالع أبو العلاء رسائل إخوان الصفاء، فرأى فيها خلطاً ممتعاً بين مسائل عرفها صغيراً في اللاذقية وأموراً قرأها عند أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وسمع أسماء لا تقوم بإزائها صفات. يلوم عماه حيناً على عجزه عن تصور بعض ما يقولون، ثم يثوب إلى ما يقوله خصومهم عنهم فيجد في رسائلهم بعض تعالم يخفونه وراء كلمات يونانية. لكنهم أدخلوا إلى عقله جديداً.

واعتل الواجكا يوماً، فأُخذ أبو العلاء لعيادته، وبينما هم في الطريق، إذا أبو العلاء يسأل صحبه متعجباً، وقد عرف الطريق: أإلى قطيعة الفقهاء نحن ذاهبون؟ قالوا: نعم، هنا يسكن الواجكا. وما وصلوا بيته حتى أدركَ أبو العلاء أن صديقه الصدوق إنما هو جاره. وفرح أبو العلاء بهذا الجوار، وقويت صداقته بصاحبه.

لم يجد أبو العلاء في بغداد شيخاً يحسن به أن يدعوه شيخه، لا بل إن معظم ما أفاده من علم كان من كتب يقرأها عليه من يرونه هو شيخهم، حتى الواجكا.

ومع الواجكا عبد السلام وابن فورجة توجه المعري إلى مجلس الشريف المرتضى بعد طول انقطاع، فقد مرت عليه في بغداد سنة ونصف سنة كان فيها منشغلاً بالكتب والأشعار، يقرأون عليه الكتب وينسخون ما تجود به قريحته.

شاء سوء طالع أبي العلاء أن يدور الحديث في مجلس المرتضى على شعر المتنبي. اعتدل الشريف في جلسته، وأخذ يتنقص المتنبي ويعيبه، وابن فورجة يتميز غيظاً، لكنه شاب غض ولا قبل له بمقارعة الشريف، ولكز أبا العلاء في خاصرته، لكن أبا العلاء صبر. ثم راح المرتضى يتهكم بالمتنبي.. وفكر أبو العلاء في نفسه: لعله يظن أن شرف بيته أعلى من شرف العلم؟ لعله يظن أن شعر أخيه الشريف الرضي الذي يحلق منذ حين في سماء بغداد، وشعره هو الذي يزحف زحفاً، يبيحان له أن يجور على سيد الشعراء؟ ثم حانت من المرتضى سكتة، وقال: هيه. كأنه يتحدى المجلس. فانبرى أبو العلاء: والله لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته «لكِ يا منازل» لكان بها شاعر الشعراء!

وهمد المجلس هموداً. وبعد هنيهة، صاح الشريف بغلامه: يا غلام، خذ برجله، يعني أخرجْه من المجلس. ولم ينتظر المعري فوقف، ووقف ابن فورجة وقاده خارجاً. ولم يتبعهما الواجكا تأدباً مع الشريف.

عند المغرب جاء الواجكا إلى حجرة أبي العلاء، فوجده مضطرباً، فواساه: هذا شريف ابن شريف، وأخوه الشريف الرضيّ يقارع الخليفة. ولهما سطوة. ومن كان في مثل هذه المكانة لم تكن الإهانة من قِبَله إهانة. وأنت يا صديقي أبا العلاء قد رددت عليه، وأفحمته. قال المعري: يؤلمني أكثر من الطرد أنه فهم مقصدي بسرعة. لا والله، لا أقدح في فهمه ولا في علمه، ولكنني رأيته باراني فغَلَب. فضحك الواجكا، وقال: «إيه، لقد فسر لنا بعد انصرافك ما قصدت. ولا والله ما فهم مقصدك في المجلس غيره. قال لنا المرتضى: «لعلكم ترون أنني تشددت عليه. لا أيها الإخوة، لا نقصي عن مجلسنا أحداً أحسن الأدب. ولكن الرجل جاء بقصيدة للمتنبي لا يعدها أحد من خيار شعره.. فلماذا ضربها مثلاً؟ إنما قصد الخبيث بيتاً في تضاعيفها». وسكت الشريف. ولكن جل من بالمجلس فهم بعد حين أنك يا أبا العلاء إنما

أشرت إشارة لطيفة إلى بيت القصيدة الذي يقول: وإذا أتتك مذمتي من ناقص/ فهي الشهادة لي بأني كاملُ».

داعب الواجكا صاحبه وخفف عنه، ولما آنس منه ارتياحاً عابثه، قال له: فسوف تُسقط من شعرك تلك القصيدة التي رثيت فيها والد المرتضى والرضي، والتي جاء فيها عن الشريفين: أبقيت فينا كوكبين سناهما/ في الصبح والظلماء ليس بخاف. فقال له أبو العلاء: ألم تعرف ما قيل لأبي تمام ولابن الرومي؟ فهمهم الواجكا، فهو يعرف أن أبا تمام أقر بأن بعض أبياته مسف، ولكنه أبى إسقاطه لأن أبيات الشاعر بمثابه أولاده، ومن ذا يسقط ولداً معتلاً، وابن الرومي قال قصيدة حسنة يقر فيها بأن شعره «رُكِّب فيه اللحاء والخشب اليابس والشوك بينه الثمر».

كان لاضطراب أبي العلاء أكثر من سبب. فقد لقي بعض الصدّ من نحاة بغداد وأصحاب اللغة فيها. فمن يكون هذا الضرير الذي جاء من الشام ولم يسمع لا من السيرافي ولا من ابن دريد ولا من الأزهري ولا حتى من ابن خالويه الذي كان بالشام ولا من العسكريَّيْن ولا الآمدي ولا من أبي علي الفارسي ولا ابن جني ولا المرزباني ولا الصابي ولا الجوهري الذي مات قبل سنتين؟ من هذا الصُّحُفي الذي ليس له من العلم إلا ما في الصحف، ولا سماع له؟ ونحن علماء بغداد ورثة العلم الحقيقي، سمعناه من أشياخنا.

كان لأبي العلاء زمرته من أصحاب هم في سنه، ومن شباب أدركوا أنه بحر علم ولغة فأخذوا يستقون منه، منصرفين عن حلقات شيوخهم، وكان ـ ككل أبناء الأقاليم الذي ينزلون العاصمة ـ يجتمع إلى أبناء قبيلته كابن القاضي التنوخي صاحبه وتلميذه.

يستطيع أبو العلاء أن يعيش في هذه الغابة بين حساده ومريديه، أن يعيش هذه العيشة القلقة وأبيات المتنبي تتردد في ذهنه، فقد عاش المتنبي طول عمره بين حساده ومريديه، وذكر ذلك في شعره كثيراً. لكن، بغداد كانت تخبئ للمعري حادثة أخرى.

دعاه تلميذه الشاب ابن فورجة يوماً إلى بيت القيان. قال له: تعرف يا شيخي أنني متزوج، ولكنني ككل شبان بغداد أحب السماع، ولا يندر أن أتعشق. يعرف أبو العلاء ذلك عن تلميذه ويعرف أكثر من ذلك، وقد كان زار بيت قيان راقياً مع الواجكا قبل أشهر، ولم يعجبه الصخب ولا أعجبه عماه.

لكنه مضى مع ابن فورجة.

كانت المغنية محسنة. أدرك ذلك أبو العلاء لأنها من طبقة فوق من سمعهم وسمعهن في حلب عند أخواله. وأدرك أنها تضرب على نفسها. واستمع بأذنين مرهفتين. ولما توقفت عن الغناء ناداها ابن فورجة وطلب من شيخه أن يُسمعها بعض شعره كي تغني فيه. فقال أبو العلاء:

منكِ الصدود ومني بالصدود رضا   من ذا عليَّ بهذا في هواك قضى
وقد تعوَّضتُ من كلٍّ بمشبِهِهِ   فما وجدت لأيام الصِّبا عِوَضا

وجلست القينة بجانبه تحفظ البيتين وتترنم بهما، وهي تداعب أوتار عودها. قال أبو العلاء: هذا رَمَل أيضاً، لم أسمع منك الهزج. فانتبهت إلى أن الرجل يعرف ضروب النغم لا مجرد أسمائها. ثم ها هو يتعجب كيف أنها قفزت من الثقيل الأول إلى الرمل دون قنطرة. قال لها: لم أسمع انتقالاً كهذا من قبل. وتحادثا قليلاً ثم طلب منها أبو العلاء طلب متعلم لا معلم أن تريه على العود موضع البم والزير، ومن أين تستخرج النغم الفلاني والفلاني. أخذ يلمس الأوتار واحداً واحداً، ثم إنها وضعت أصبعه في مكان على ساق العود وضربت وغنت من ذلك الموضع رملاً، ثم من مكان آخر هزجاً. وعقل أبي العلاء مشتت بين شيء يتعلمه، وبين رائحة جسمها وملمس كفها. هو يعرف النغم بأذنه ويعرف الفرق بين ضرب وضرب، ولكنه الآن عرف كيف يحبسون وتر العود فيصبح حاداً ويتدرجون في حبسه. وارتجف وهو يضم يده إلى جسمه مبتعداً عن القينة.

قد أحس أن الجارية المغنية هي التي يتعشقها تلميذه الشاب، فقد تعابثا عبثاً لا يخفى حتى على ضرير. ثم إنهما تهامسا بهمس لم يسمعه الضرير حتى بأذنيه المرهفتين.

وغابت القينة سويعة ثم عادت. وقالت لأبي العلاء: يتفضل الشيخ معي إلى صاحبتي خلاخل. وأنهضته بيد قوية وصحبته، ورفيقه يقول له: أنا هنا أكمل رطلي وننصرف. وأبو العلاء لا رطل له فهو لا يقرب الخمر، وهو صائم في كل أيامه درءاً للشهوات. والآن بعد العشاء لا بأس بأن يصحب القينة إلى خلاخل.

وعلى باب خلاخل، قالت له المغنية: ستقول لك «وهبتك نفسي»، هذا ما

تقوله للشيوخ والقضاة حتى يكون كل شيء حلالاً، وضحكت. وتركته في حجرة صاحبتها، وانصرفت.

قالت له خلاخل: أهلاً بالشيخ، وهبتك نفسي. أخذ أبو العلاء يفكر.. ليس في الدراهم التي قد يكون صاحبه ساقها إلى خلاخل، ولا في هذا الشيء الذي لم يفعله من قبل. فكر فقط في نعومة تلك القينة المغنية، وفي أنسها. وصنعت معه خلاخل ما تعرف تصنعه كي تجعل الرجل يركز كل فكره في مكان واحد من جسمه. وألقت به على الأريكة. واستفرغته. وانتبه شيخنا إلى ما اعتراه. وفكر هذه المرة بالدراهم.

قال في نفسه: أحفظُ ألف بيت عن القبلة. وقد سيق لخلاخل أجرها ووهبت نفسها. أليس قد وهبت نفسها؟ بلى، قد فعلت. وعندما وقفت خلاخل على الباب تدله كيف يذهب قرَّب وجهه منها رويداً رويداً، يريد أن يجرب القبلة، حتى وإن زايله الاشتهاء. فإذا بكف ناعمة تطعنه برفق في حر وجهه. قالت خلاخل: ليس بهذا الوجه.

وعبس المعري عبوساً سيدوم خمسين سنة.

ليس بهذا الوجه! ومن خلق له هذا الوجه إلا الله.

ليس بهذا الوجه! ولماذا خلقتني بهذا الوجه ولم تسلبني ذلك الاشتهاء؟

لم يكن على يقين من بعث ولا حساب منذ أن انصرف من اللاذقية، وظل يخفي قلة يقينه عشرين سنة. فهل آن لابي العلاء أن يؤمن بحياة أخرى وبجنة فيها الحور والعين، وفيها البصر والوجه الحسن الذي زالت عنه حفر الجدري؟ تبلبل، لكنه لم يفكر بالبعث ولا بالحساب. فكر فقط في تلك الكلمات: ليس بهذا الوجه!

مضى عابساً مع صاحبه. ودعاه صاحبه للركوب معه إلى منزله كي يبيت عنده ويتسحر على سمك وتمر. قال أبو العلاء: لا آكل السمك. سكت ابن فورجة. كيف لا يأكل شيخي السمك ومَفائد المسقوف على طول دجلة تشهد عليه، فهو يفطر اليوم بعد اليوم على سمك المسقوف! كان أبو العلاء يسرع في خطاه ساحباً دليله سحباً حتى وصلا عند السائس وركبا البغلة. وعلى باب حجرته ودع صاحبه وأغلق بابه.

وقف أبو العلاء وجعل ظهره إلى باب حجرته، وشيء في صدره يغلي. وعقله لا يني يردد: ليس بهذا الوجه.

ورحم نفسه عندما ألقى نفسه على فراشه وبكى. وظل يقرأ القرآن حتى نام.

بعد أيام هدأت نفسه. وفي الحين بعد الحين كانت تعود إليه خفة آل سبيكة. يلقى ابن فورجة ويقول له: وأنتم كذلك تسمعونها تقول وهبتك نفسي؟ فيضحك ابن فورجة ويقهقه، ثم يستغفر.

قبل خلاخل كانت بغداد قد نبذت أبا العلاء. وبعد خلاخل عرف أنه سينبذ الدنيا. إنها الدنيا التي جاء لها ذكر عند معشوقِه المتنبي باسم «أم دَفْر» أي أم النتن «وقتلن دفراً والدهيم فما ترى، أم الدهيم وأم دفر ثاكل». وأعاد على قلبه قصيدة المتنبي، فإذا فيها: «ومن الرماح دمالج وخلاخل»، ها.. فخلاخل موجودة هنا أيضاً! ولم ينس بالطبع أن هذه القصيدة بعينها هي التي أدت إلى طرده من مجلس المرتضى، فابتسم وهز رأسه. يا لها من مصادفات. لو صادف غير أبي العلاء هذه الأبيات الثلاثة التي تصف بؤسه في بغداد في قصيدة واحدة، لآمن بعد هذه المصادفة المثلثة بالنجوم.

لكن العقل الواعي لأبي العلاء كان عمود الخيمة في شخصيته. أما نفسه فبقيت نفسه: لن تزايله خفته ولا تخابثه، ولن يزول عنه حب الشهرة، ولا نهمه للعلم. بيد أنه سيسبغ على ذلك كله سَجْفاً أسود مثلما قدر الله لدنياه أن تكون سوداء. ولئن كان الكرام لا يُكثرون من الشكوى إلا إذا فاضت فيضاً من حلوقهم، فإنه سيدمن الشكوى وسيدمن شتم الناس، وسيدمن تقريعهم، وسيظل كريماً بتعففه وانقباضه عن دنيا الناس.

لا بد من فراق بغداد، وبسرعة.

بدأ المعري يودع أصحابه. وراح يجتمع عليه ليلة بعد ليلة الشعراء الذين كانوا يعرضون عليه شعرهم، وأخذ ينشدهم بعض ما قاله في وداعهم ووداع بغداد. وفي يوم الركوب شيعوه ماشين مرحلة، وهو يتجه شمالاً نحو الموصل. وكانت رحلة برية شاقة، أشق من رحلة القدوم النهرية. مضت سنة وتسعة أشهر له في بغداد كانت كأنها سنون، أو كأنها يوم بليلته. كان مشتاقاً إلى أمه. خداه ذوا الحفر مشتاقان إلى يدي أمه الخشنتين.

في الموصل بلغه من بعض التنوخيين الذين جاءوا من حلب أن أمه ماتت، فما زاد على أن ابتسم في وجه «أم دفر» أم النتن.. الدنيا. واصلبَّ قلبه، وبصق على الدنيا مرة أخرى.

وبلغ قريباً من حلب ولم يمل إليها. كان يستعجل القدوم إلى المعرة لكي يحبس نفسه في بيته، لا يريد أن يعالج أمراً من أمور هذه الدنيا.

وحبس نفسه. كان في السابعة والثلاثين من العمر وكان العام ٤٠٠ للهجرة، فها هي المئة الخامسة قد استهلت، وأخذ المتنبئون يتنبأون بأشياء ليس بينها أن مسلماً من بيت علم وأدب في المعرة سيقضي تسعاً وأربعين سنة معتزلاً لا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً ولا حتى عسلاً، وأنه سيكون أهم وأشهر شاعر في قرنه وفي قرون كثيرة ستليه، وأعظم من حفظ ألفاظ اللغة العربية في كل القرون.

رتب المعري خزانة كتبه وصمد صمْدَها. وامتنع حتى عن غشيان الجامع، لا في ظهر ولا في عصر، ولا في جمعة. كان رزقه قد اختل في تلك السنة، فدوَّد المشمش وشلتَنَ الزيتون في بساتينه فلم يحمل إلا أقل حمل؛ وأعانه أخوه أبو المجد في ترتيب أمور رزقه ما استطاع. وبدأ يأتيه التلاميذ يقرأون عليه ويسألونه. ثم أخذ يفد عليه المتأدبون من حلب ومن بغداد، ثم من أبعد من بغداد. ومع تحسن المواسم أخذ يعين طلابه الذي يفدون من البلاد عليه، فمن عجز عن كراء حجرة أسكنه أبو العلاء، ومن جاع أطعمه، أو أوصى به موسري المعرة.

فرغ من ترتيب أشعاره ووضعها جانباً غير آبهٍ بها، غير أن الوافدين كانوا يسألونه عن هذه القصيدة وعن تلك مما سمعوه من البغداديين، فيقرأ عليهم ديوانه ويشرح لهم مقاصده. سمى هذا الديوان «سقط الزند»، أي أول الشرر الذي يسقط من أداة النار. فهو شعر الصبا والشباب حتى العودة من بغداد.

ومضى المعري في طريقته يعايي أهل اللغة ويورد عليهم ما يتعجبون منه من سجعات ومن ألفاظ دقيقة، ومن توريات يشقى العلماء في حل ألغازها، ثم إذا هو يشرح كل شيء في أمالٍ يمليها على طلابه. وتنتشر أماليه في البلاد. سمعت بالمعري الأندلس وسمعت به شيراز. وغدا بيته في المعرة نادياً. وكاتَبه الكبراء والأمراء من حلب وغيرها، وزاره منهم من زاره. وهو في كسر بيته راض بما فرض على نفسه.

وعند المساء يأتيه فتية الدعوة يلتمسون منه البركة والنصح، فهو عندهم إمامهم، أليس أخبرهم الدعاة الذين يأتون من مصر إلى بلاد الشام بأن أبا العلاء قطب من الأقطاب.

ويوغل أبو العلاء في الرمز، والمجاز.

يجعل لفتية الدعوة مجلساً في العشية يملي عليهم فيه أبياتاً متفرقة يشتم

فيها الدنيا، ويداعب فيها العقائد. يفهمون عنه ويساءلونه، ويجيب حيناً ويمضي في الإملاء حيناً بغير جواب. ويلتزم بدل حرف الروي حرفين معاياة لأهل اللغة وإدلالاً بمعجمه الذي لم يغادر شيئاً إلا وعاه. أليس قال تلميذه ابن الخطيب: لم ينطق عربي بكلمة لا يعرفها أبو العلاء. تلك اللزوميات، التي ستبلغ أحد عشر ألف بيت من الشعر.

يأمن المعري جانب هؤلاء الفتية، فجلهم ممن كان عرفهم صغاراً قبل رحلته الحلبية الطويلة ثم البغدادية. وفي مجالس العشية يكون المعري قد حشد في ذهنه أبياتاً كثيرة على حرف من الحروف فتراه يقطع عليهم بعض ما جربوا أن يأخذوا فيه من هزل، ويملي مسرعاً، ويغمسون أقلامهم في محابرهم ويستملون، وقد يكون في ليلته بكيئاً بطيئاً، فيملي قليلاً ثم يفتح لهم باب الهزل والدعابة. والفتية قد تعلقوا بأقوال الباطنية، فاستل هذا التعلق ما في نفوسهم من تحرز إزاء العقائد المألوفة، فمنهم من اتخذ عقيدته الجديدة سلماً للتهاون في العبادات، ومنهم من استبدل تشدداً بتشدد، وراح ينافح عن الاعتقاد الجديد مرتقياً بعض الدرجات في سلم الإخلاص. والفاطميون، حماة العقيدة الجديدة، يحكمون حلب أحياناً قليلة، ويتحكمون في شؤونها أحياناً أكثر عن طريق تحالفاتهم. وهم، بعد، على مقربة. تقيم عساكرهم في دمشق وفي حمص وفي عكا وبيروت وطرابلس ويحكمون بلاد الشام مداً وجزراً.

في سنة أربعمئة وسبع، وأبو العلاء قد دخل في الرابعة والأربعين من العمر، استقر الأمر في حلب لعزيز الدولة الفاطمي.

يكاتبه داعي الدعاة من حلب، ويناقشه في أمور شتى عرفها القاصي والداني عن أبي العلاء. ويحاول أن ينفذ إلى حقيقة معتقده من باب امتناعه عن أكل اللحم. فيتهرب أبو العلاء من النقاش ـ الذي كان يدور في رسائل تروح وتجيء بينهما. فهو لا يستطيع أن يقولها بصراحة لداعي الدعاة: أنا لست ـ كما تظن، وكما ينقل لك هؤلاء الفتية ـ رجلاً من رجال الباطنية، أو أحد أكابر «عقلائهم». أنا مفكر حر لا غير. لا يقطع المعري شعرة معاوية بينه وبين الدعوة الفاطمية التي تعم المنطقة، ولا يريد أن يغادر المنطقة الوسطى التي يقف فيها على مسافة واحدة من الجميع. هو متفرد بعلمه الغزير. هو كفيروز مطربة الجميع ولا تريد أن يكون لها موقف من الحرب الأهلية، وتقضي عشرين سنة تتغنى بعموميات حب الوطن حتى لا يستطيع أي طرف أن يزحزحها عن عرش كبير يحمله الجميع على أكتافهم. هو اللغوي الكبير والشاعر الكبير،

الذي رثا ومدح فقهاء السنة والشيعة في بغداد المقسومة بين العلويين والحنابلة. وهو ابن المعرة الشافعية السنية التي تجاور حلب التي يغلب على حكامها التشيع منذ مئة سنة، وحتى البادية فقبيلة كلاب فيها شيعة، وبنو حمدان شيعة. وها هم الفاطميون يريدونه لهم. وهو يريد نفسه لنفسه، وللجميع.

انحسر عن المعري الضغط الفاطمي عندما استبد عزيز الدولة بالأمر لنفسه في حلب وشمال سورية وسك العملة باسمه مستقلاً عن الخليفة بمصر. والخليفة بمصر هو الحاكم بأمر الله، الذي كانت له بَدَوات من التشدد والميول لم يألفها الناس في أي حاكم.

استراح المعري لعزيز الدولة ووسم باسمه كتبه «القائف» و«الصاهل والشاحج» و«اللامع العزيزي».

ومضى المعري يملي على طلبته المثقفين في مجلس المساء مزيداً من اللزوميات، فهذه أشعار منسوقة على الأحرف، وقد جعلها المعري جامعاً للقوافي والضروب، ومستودعاً لنظراته في أمور الدين والدنيا، وفرض على نفسه تلك القافية المزدوجة التي تجعل اصطياد القوافي أصعب ليس بمرتين بل بمرات كثيرات. فكان بذلك صاحب طريقة فيها طرافة، لكنها مزقت أفكاره تمزيقاً، وجعلت أبياته متنافرة، تسيِّرها القافية بدل أن تسير معها القافية.

يقهقه بعض طلبته كلما قال بيتاً يهزأ فيه من معتقدات الناس، أو يشتم البشر قاطبة، ثم يعتدل ويملي عليهم أبياتاً في الاستغفار. ويضحك بعضهم هنا أيضاً، كأنما يقولون في أنفسهم: ما أخبث شيخنا، يريد أن يذب عن نفسه. وبعضهم يستملي ويتلذذ بالبيت الذي فيه نكتة لغوية أو تورية لطيفة، أو بالبيت الذي يتألق شعراً عذباً.

يسكت بعض الطلبة عندما يسوق المعري أبياتاً يقبح فيها الخمر وشاربيها. فبعضهم، مع هذا التحرر العقدي الذي ابتلوا به، لا يجد غضاضة في ارتياد ماخور المعرة. ولا يسألهم شيخهم عن سلوكهم، حتى مع أن كثيرين منهم من أقاربه، أو أبناء عشيرته، وجل المعرة تنوخ. تماماً مثلما لا يسعى إلى جعلهم صورة منه في زهده ونباتيته المطلقة.

ويجهز الحاكم جيشاً كي يقتلع عزيز الدولة من حلب، ولكن الحاكم يختفي في سنة ٤١١ قبل مسير الجيش، ويتنفس عزيز الدولة الصعداء، ويمضي في شأنه أميراً على حلب سنتين، ثم يغتاله غلامه سنة ٤١٣. وتقع حلب بيد

صفي الدولة فأخيه سند الدولة، وهما مع الفاطميين. لم يعد مهماً بالنسبة إلى أبي العلاء من يحكم البلاد فهو أكبر من أن يتعرض له الحاكم، هو كالجاحظ الذي أطيح بالمعتزلة في العراق على يد المتوكل، وظل الجاحظ، شيخ الأدباء المعتزلي، شيخاً للأدباء. وهو مثل سارتر الذي أرادت شرطة باريس اعتقاله بالعصيان المدني عام ١٩٦٨ م فقال لهم ديغول: «أنتم لا تعتقلون فولتير».

وعاد صالح بن مرداس من صحرائه، وكان أقلق أمراء حلب طويلاً. عاد هذه المرة ليأخذ حلب، وتولاها أميراً عليها عام ٤١٦هـ بعد حصار طويل، وتولى معها صيدا وبعض مدن الشام. وفي العام التالي وقعت في المعرة حادثة.

وقفت امرأة بباب المسجد والمصلون خارجون وصرخت فيهم أن ينتقموا لشرفها، فرواد الماخور قد اعتدوا عليها. وهب الناس هبة واحدة وحطموا الماخور ونهبوا خشبه، وآذوا صاحبه النصراني. كان صالح بن مرداس حاكم حلب آنذاك في صيدا، فاعتقل وزيره النصراني تادرس بن الحسن سبعين رجلاً من أهل المعرة وحبسهم شهرين.

وفي طريق عودته عسكَرَ صالح بن مرداس بظاهر المعرة، وحل بالناس خوف شديد من هذا الأمير الفاتك الذي استقر له الأمر بعد عشرين سنة من الصراع؛ وأخرجوا له أبا العلاء. رأى صالح رجلاً نحيلاً أعمى يسير مع قائده في اتجاه عسكره فقال لصحبه: هذا أبو العلاء. واستدناه. فكلمه أبو العلاء كلاماً رقيقاً. فعفا صالح عن كل المعتقلين.

وارتفع شأن أبي العلاء بين أهليه، وكان أخوه الأكبر أبو المجد صاحب القضاء في المعرة، وأخوه الآخر رجلاً ذا مكانة، وكان أبناؤهما يساعدون عمهم الضرير. على أن أبا العلاء ما كان ليستغني عن سكينة العجوز، التي كانت تخدمه وتقوم بما يقصر فيه «الحسن» الخادم الشاب الكسول. وكان لسكينة بدواتها، وجنونها. وكان أبو العلاء يحتمل من الناس، ولا سيما من مَساكينهم، كل شيء.

يعتمد المعري في تحرير النصوص على أحسن وجه على كاتبه الشيخ أبي الحسن، فأبو الحسن هو فقط من يحرر النسخة النهائية التي يحتفظ بها أبو العلاء في خزانته. وثمة نساخ أربعة ينسخون عنها نسخةً لخزانة حلب، وأخرى قد تجد طريقها إلى بغداد. ولا يتهاون أبو العلاء في سطر يكتبه، فكل رسالة يرسلها ـ وما أكثر رسائله ـ كان يحفظ نسخة منها في خزانته، نعم حتى لو كانت رسالة شخصية.

يقول لأبي الحسن مستمليه المعتمد: ها قد وصلتنا أخيراً رسالة دوخلة.

ـ وصلت بعد طول الضياع.

ـ قد قرأتها في مجلس الصباح مع التلامذة. فهل قرأتها يا أبا الحسن؟

ـ قد فعلت يوم أن وصلت. شيخ مهذار، لعله ما كتبها إلا كي يستقبل منك رداً يتجمل به بين أدباء حلب.

ـ لكن فيها شيئاً أحببته.

ويضحك أبو العلاء، ويضحك لضحكه كاتبه أبو الحسن صاحب سره، وأبو العلاء يتبسط معه في كثير من الأمر. وقد يعاقبه متظرفاً إذا تأخر عنه، فيصلي به الظهر قارئاً سورة طويلة في الركعة الأخيرة، فيحبسه عن قيلولته الأثيرة.

ـ لا والله ما رأيت فيها شيئاً يحب. فما الذي أحببته يا شيخي؟

ـ صاحبنا دَوْخلة رجل سليم دواعي الصدر. تراه يحمل على الملاحدة والزنادقة حملة شعواء، يعرض علينا في أثنائها بضاعته التي قمَّشها من بغداد ودمشق ومصر. وتراه ينسبنا إلى الصلاح والتقوى.

ـ أهو يصنع ذلك تعريضاً بالشيخ، أم تراه يريد منك رداً يستكشف به معتقدك؟

ـ لا يا أبا الحسن. هذا رجل فيه غفلة. وقد عرض الرسالة قبل أن يرسلها إليَّ على وجوه المتأدبة في حلب تيهاً بها. ويعجبني أن أخاطبه بكلام يفهم نصفه ويفهم غيره أكثر من ذلك.

وتندُّ عن أبي العلاء ضحكة مكتومة.

ـ أنتوقف عن تحرير اللزوميات؟ قد جمعنا أشتاتها وضبطناها على الحروف، وأنا بصدد إصدار نسخة الخزانة. وهذا سيقتضيني شهراً. ألا تملي ردك على دوخلة في مجلس المساء مع الفتية؟ فمنذ أن فرغت من إملاء اللزوميات وأنت تسمع منهم بعض قديمك شارحاً ومعلقاً.

ـ لا، يا أبا الحسن، لا. اللزوميات لم تتم بعد، ولدي كثير مما أضيفه إليها، فاحفظ ما عندك، ونسقه ما شئت من التنسيق فكل شيء سأضيفه من بعد سيقع في موقعه بلا عناء. والآن أريد أن أرد على الرجل وأنا مستجمع فكري بعيداً عن فتية المساء، فالفتية يستملون ويضحكون ويبدون إعجابهم، وقد يستوقفونني ويناقشونني، ولئن صلح هذا في اللزوميات التي مضت إذ كنت أُزَوِّرُها في نفسي قبل إملائها، فما يصلح في نثر يأتيني عفو الخاطر ويسمعه مني صاحبي الأثير.

يرتاح أبو الحسن إلى هذا الوصف، فهو وحده الصاحب الأثير. ويمضي أبو العلاء:

ـ فأين رسالة دوخلة؟

ـ في البيت العتيق، في خزانة النساخ. فهل آتي بها؟

ـ لا. خذ قلمك، وسمِّ بالله.

ويسمي أبو الحسن، ويبسط الورق ويفتح الدواة. ويقول أبو العلاء:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يسر وأعن..

ـ بسم الله. تفضل يا شيخ..

ـ أُكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يسر وأعن..

وأخذ أبو العلاء يعرض معارفة في اللغة، ويقلب الكلمات ومعانيها بين الحماطات والأساود، ماراً بشعراء العرب وشواعرهم. حتى بدأ يتعرض لرسالة «ابن القارح»، وهذه كنية دوخلة الحلبي، فأثنى على الرسالة، وجعلها الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء. وانقدحت في ذهن أبي العلاء فكرة.. فغرس لصاحبه شجرة في السماء.. في الجنة. وأخذ يملي وصف الجنة، يضع فيها كل ما ورد في القرآن من وصفها، وكل ما تشتهي نفسه المحرومة. وقف عند إبريق الخمر، فأتى على كل ما ورد من شعر في الأباريق. ووصف الخمر التي يكرهها بحق وصف عاشق، ووصف العسل الذي حرمه على نفسه، فإذا به يتذكر بيت شعر له حكاية وردت عن خلف الأحمر، فاستعرض معرفته في اللغة بإبدال كلمة القافية على حروف المعجم. ومر اليوم.

وفي اليوم الثاني وصف المعري من بالجنة من الشعراء وأهل اللغة، وفجأة خطر له أن يذهب بدوخلة إلى الجنة. فإذا به يقص من خياله الخصب كيف أن دوخلة ركب حصانه وراح يتنزه في الجنة. ومضى أبو العلاء يعبث بابن القارح دوخلة ويصف بكثير من المرح، وكثير من الخفة ما يلاقيه ابن القارح في الجنة، فيجعله يشهد ملاحاة شديدة بين نابغة بني جعدة والأعشى آلت إلى سباب وصراخ فيسعى دوخلة إلى أن يصلح بينهما فيقول «يجب أن يُحذَرَ من مَلَك يعبر فيرى هذا المجلس فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم، فلا يَجُرُّ ذلك إلا إلى ما تكرهان.» ويستدرك: «واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار إليه».

ويخلق المعري لصاحبه في جنته سرب إوز ثم يحوله إلى حوريات يرقصن

ويغنين. ويقترح بعض من بالمجلس أن يأخذ كل رجل حورية منهن ويذهب بها، فيقول لبيد الشاعر «لا يؤمن أن يسمَّى فاعلو ذلك أزواج الأوز» فتضرب الجماعة عن اقتسام أولئك القيان.

ويزيد أبو العلاء من عبثه بابن القارح دوخلة، فيجعله يروي لأهل الجنة قصة دخوله الفردوس. ويملي أبو العلاء الورقة بعد الورقة وهو يصف وصفاً يسيل فكاهة وعبثاً. فالرجل يلقى الأمَرَّيْن وهو يسعى بين علي بن أبي طالب وحمزة، وأبناء النبي الذكور ثم فاطمة ثم النبي نفسه، وينال الوعود والشهادات المختلفة بالتوبة، ولكنه يظل رائحاً غادياً معذباً بالانتظار وعدم اليقين. فكأنه في ذلك المعري نفسه وهو يقارع العشارين الذين أخذوا سفينته في العراق، أو البيروقراطيين الذين يعطلون معاملات الناس في حلب وفي بغداد وفي كل مكان. يصف المعري الشقاء في الأعراف فكأنه شقاء الإنسان في الدنيا إذ يقضي عمره قلقاً يسعى بين أمل ويأس.

ثم يتغلب الأمل، بل تتغلب الفكاهة. ويختار المعري لصاحبه أن يعبر الصراط المستقيم «زقفونة». وزقفونة هذه ذروة الكوميديا العلائية. فمعنى زقفونة أن يطرح دوخلة نفسه على ظهر جارية سيدتنا فاطمة الزهراء، فيطوقها من عنقها من خلف وتمسك برجليه كالحمال يحمل جوالقاً من دقيق على ظهره. وتعبر به الجارية الصراط. ولكنه يكتشف على باب الجنة أنه أضاع جوازه. فيريد من رضوان حاجب الجنة أن يعطيه ورقة صفصاف، حتى يرجع بها أدراجه كي يأخذ جوازاً، وهيهات. . لا شيء يخرج من الجنة. ولكن أبا العلاء يقصِّر الطريق، فيجعل إبراهيم بن محمد، ابن النبي، يمد يده من داخل الجنة ويجذب دوخلة جذبة تُحَصِّله الجنة.

وفي الجنة يرى دوخلة توفيق السوداء، التي كانت تخرج الكتب في دار العلم ببغداد إلى النساخ، يراها مع حمدونة الجارية القبيحة التي تزوجها بائع سَقَط بحلب ثم طلقها كراهة منه لرائحة فمها. يراهما بيضاوين جميلتين، فيسبح بحمد ربه.

ثم هذه حورية عيناء تنشق عنها ثمرة يقطفها ابن القارح من شجرة حور، فيسجد ابن القارح شكراً لبارئها، ويجول في خاطره وهو ساجد أن مؤخرتها ضاوية، فما يرفع رأسه من سجدته حتى يرى لها عجيزة كأنها كثيب رمل، فيطلب إلى البارئ أن يصغرها، فيخيره في تكوين هذه الجارية «فيقتصر من ذلك على الإرادة».

ولا يشفي أبو العلاء نفسه التي لا تمل العبث والفكاهة، حتى وقد قارب الستين، إلا بعد أن يحبر جملة كراريس. كل هذا في رده على رسالة ابن القارح دوخلة الحلبي. تلك رسالة الغفران. أليس الله غفر لابن القارح؟

ومضى أبو العلاء يعيش سنواته متأففاً متعففاً إلا عن خبزه وزيته، زاهداً قاعداً في كسر بيته. يتلذذ بشتم الدنيا والناس، ويلعب مع اللغة.

قضى خمسين سنة في محبسه يتسلى في لعبة لا تنتهي مع الألفاظ والأفكار. كان ابن عصره في تقديس اللغة القديمة، لكنه فجر من ألفاظها معاني جديدة. وكان ابن كل العصور في حرية الفكر. كل شيء عند أبي العلاء موضع شك حتى يثبت. رأى بعقله أشياء لم يرها غيره. وعرف بعقله عجزه عن فهم أشياء ظن المبصرون أنهم يفهمونها.

وكان من عجائب التسامح الإسلامي أن يموت أبو العلاء صاحب اللزوميات ورسالة الغفران على فراشه. كان ذلك في عام ٤٤٩.

ختاماً

مثلما قرأنا اللزوميات ورأينا أن أبا العلاء لا يؤمن بالبعث، قرأها عمر فروخ المسلم السني المتدين ورأى رأينا، وبسط ذلك في كتاب وله من العمر ثمان وثلاثون سنة. نحمد لعمر فروخ قراءته البارعة للزوميات، وصراحته وجرأته في بيان حقيقة معتقد أبي العلاء (كما رآها)، من غير أن يشوب ذلك بأية عبارات تنتقص من حكيم المعرة، فقد افتخر به وبإنجازه الأدبي كثيراً. سبحان الله، قد اجتمع خلق كثير من الأدباء في مهرجان أبي العلاء الألفي بالشام، وقالوا الكثير، واجتمع مثلهم على صفحات عدد خاص من مجلة مصرية، وكتبوا الكثير. وسوى هؤلاء وهؤلاء كتب الناس عن أبي العلاء في أواسط القرن العشرين عشرات المقالات، وكلها يمدح الرجل ويصر على أنه مؤمن حسن الإيمان. وشذ طه حسين ومارون عبود وزكي مبارك، فقد كتبوا ما يجمل بالمرء أن يقرأه في صدد عقيدة أبي العلاء، فأمَّا الزبد الكثير فقد ذهب جفاء.

عاش المعري ستاً وثمانين سنة. وكان أكبر حدث أدبي ولغوي في دنيا العرب على مدى ألف سنة. . من زمنه حتى يومنا هذا.

الصفحات التي مرت هي مقدمتي لديوان شبابه «سقط الزند»، وفيها مجموعة من الافتراءات لن يعجز القارئ في عزلها عما لابسها من حقائق،

وإنما أردت أن أصور حياة الرجل كما تكونت في ذهني. وسأقدم للأبيات التي اخترتها من اللزوميات بصفحات قليلة كنت كتبتها قبل سنوات، وستأتي في موضعها قبل الأبيات المختارة من اللزوميات ضمن هذا الباب.

لاحقاً..

يقول لي مصححي اللغوي الصديق أحمد عبد الرحيم إن تملصي بالاعتراف بأنني افتريت بعض افتراءات لا يعفيني، ولا يخفف عني ثقل ما «تخيلت». وقد صحح لي أخطائي في فصل أبي العلاء، وزاد فعلق تعليقات فيها من التشجيع ما أثلج صدري. وكتب عن قصتي هذه التي قصصتها عن أبي العلاء: [«أخبار رحلات أبي العلاء لتلك الأديرة باطلةٌ سندًا ومتنًا. ومن أهم من أشبع الكلام فيها من الجهتين: محمود شاكر في «أباطيل وأسمار»، ومحمد سليم الجُندي في «الجامع في أخبار أبي العلاء». وبالتالي.. كل التفاصيل «الروائية»، الجميل أكثرها، والشنيع بعضُها، يُشوهِّها أنها تؤرِّخ لشخص معيَّن تأريخًا زائفًا، ومضلِّلاً. تصلح، جدًّا، مثل هذه التفاصيل في «سيناريو درامي» متخيَّل. لكنها لا تَحسُن، أبدًا، في سيرة معيَّنٍ مثل أبي العلاء.. ولو من باب التخييل. ولستُ أرى سطري عارف اللذين ختم بهما هذا السرد الشائق الماتع، بما فيه من «أباطيل» شاهت «أسماره»، مُغنيه شيئًا من «الشيخ المكذوب عليه» الذي حذَّر ظالميه من لقاءٍ وإن طال المدى! ولا هما بمغنيي القارئ شيئًا من أن يتقصَّى بنفسه ما أمكن من حقائق ما كان! وقد كنتُ أحب أن أُفيض شيئًا ما.. لكنْ انتبهتُ إلى أنني ضيف، فلا يحسُن بي أن أكون ثقيلاً كالضَّيْفَن!»] انتهى كلام أحمد عبد الرحيم.

وسترى تعليقاته على ما سيأتي ضمن هذا الفصل؛ فأما تصحيحاته لأخطائي، وهي كثيرة، فلن تراها، سأصحح وأستر على نفسي. وقد تعقب الأبيات في هذا الفصل عن أبي العلاء بيتاً بيتاً، وبين يديه النسخ الكثيرة من شروح سقط الزند واللزوميات، وتقصَّى تقصياً لا مزيد عليه. وكان أقرأني مقدمة عميقة وجزلة ومليئة بالفكر لكتاب يكتبه عن أبي العلاء. وأتمنى أن يصدر هذا الكتاب فيثري الدراسات العلائية، على أنني مغتبط بما أسدى إلي، وما أسبغه على جهدي، في كتابي هذا، من تمحيص لا يخلو من تفصيص، ومن تنقير لم يغادر شروى نقير.

سَقْطُ الزَّنْد

١ دون كيشوتية للتمرين

قال في المديح، ولا ممدوحَ غالباً، كان يروض القول، ويشتهي أن يحاكي الشعراء القدامى:

تَكادُ سَوابِقٌ حَمَلَتْه تُغني عن الأقدارِ صَوْناً وابتِذالا

تكاد خيلٌ حملت هذا الممدوح (الوهمي) تغنيه عن فعل القضاء والقدر في صونه وحفظه، وفي ابتذاله لأعدائه بقتلهم وهزيمتهم

ولمّا لم يُسابِقْهُنَّ شيءٌ مِن الحيوانِ، سابَقْنَ الظِّلالا

سبقت الخيول كل حيوان، فلم يبق سوى أن تحاول سبق ظلالها (هذا من فرائد ابي العلاء/ تعليق أ. عبد الرحيم)

تَرى أعطافَها تَرمي حَميماً كأجنحةِ البُزَاةِ رَمَتْ نُسالا

أعطاف الخيل أي جوانبها وخواصرها ترشق الحميم، العرق، كما ترشق البزاة، وهي من كواسر الطير، الريش الذي يسقط عنها

وقد ذَابَتْ بِنارِ الحقدِ منها شَكائِمُها فمازَجَتِ الرُّوَالا

الخيل متوقدة فكأنها حاقدة على العدو، ولشدة حرارة حقدها تكاد شكائمها، تلك الحدائد في أفواهها، تذوب وتختلط بالروال، أي الريالة أي اللعاب. هكذا يتعلم المعري من المتنبي الإحالة، أي التشبيه المستحيل.. كان هذا عيباً عند نقاد صدر العصر العباسي، ثم فشا وطمى فصار حلْية

وجُنحٍ يَملأُ الفَوْدَيْنِ شيْباً ولكنْ يجعلُ الصحراءَ خَالا

جنح: قطعة من الليل، والليل مخوف ويجعل فوديْ المرء، أي سالفيه، يشيبان؛ لكنه يجعل الصحراء سوداء كأنها الخال في الخد

أردْنــا أن نَــصــيــدَ بــه مَــهَــاةً   فـقَـطَّـعَـتِ الـحَـبـائِـلَ والـحِـبَـالا

أردنا في الليل أن نغفو لنصيد مهاة، بقرة وحش ـ يعني فتاة يزوره خيالها في منامه ـ، ولكن هذه الفتاة قطعت الحبائل، المصايد، والحبال، أي حبال المودة، وهجرتنا

ونَـمَّ بِـطَـيْـفِـهـا الـسَّـاري جَـوادٌ   فَـجَـنَّـبَـنـا الـزيـارةَ والـوِصـالا

سمع حصانٌ طيف الفتاة يسير ليلاً فنمَّ عليه ووشى به وصهل، فانصرف الطيف فلم يزرنا ولم يحدث وصال

وأيـقَـظَ بِـالـصَّـهـيـلِ الـرَّكْـبَ حتى   ظـنـنـتُ صـهـيـلَـه قـيـلاً وقَـالا

واستيقظ القوم الراكبون على صهيله، حتى لقد ظننته بصهيله يحدثهم بما جرى، ويستغرق في القيل والقال

ولَــولا غَــيْــرَةٌ مِــن أعْــوَجِــيٍّ   لَـبـاتَ يَـرى الـغَـزالَـةَ والـغَـزَالا

لولا هذه الغيرة من الأعوجي (الجواد الأصيل) لبات العاشق النائم يرى الغزالة (غزالة اسم للشمس) والغزال، فالفتاة تشبه الشمس وتشبه الغزال

يُـحِـسُّ إذا الـخـيـالُ سَـرى إلـيـنـا   فـيـمـنـعُ مِـنْ تَـعَـهُّـدِنـا الـخَـيـالا

فقد أحس الحصان بالخيال فمنعنا من تعهده، أي رفقته والعناية به

سَـرى بَـرْقُ الـمَـعَـرَّةِ بـعـدَ وَهْـنٍ   فـبـاتَ بِـرامَـةٍ يَـصِـفُ الـكَـلالا

بعد وهن، أي بعد مضي ثلث الليل، سرى، أي مشى ليلاً، برق من «المعرة» ووصل إلى «رامة»، وكان ضعيفاً كليلاً (يصف الكلال: كقولك عيناها تصفان السِّحر/ من شرح الخوارزمي)

شَـجَـا رَكْـبـاً وأفْـراسـاً وإبْـلاً   وزادَ فـكـادَ أن يَـشْـجُـو الـرِّحَـالا

أحزن البرق المسافرين والخيل والإبل، وكاد أن يحزن الرحال، وهي متاع المسافر. . مبالغة متنبئية ها!

بِـهـا كـانـتْ جِـيـادُهُـمُ مِـهَـاراً   وهُـمْ مُـرْداً، وبُـزْلُـهُـم فِـصَـالا

بها، أي بالمعرة وهي الوطن، كانت الجياد مهاراً صغيرة، وكان الرجال مرداً، فتياناً غير ملتحين، وكانت البزل، الإبل التي برزت أسنانها، فصالاً، مفصولة عن أمهاتها للفطام

صَـحِـبْـنـا بِـالـبُـدَيَّـةِ فـي شـتـاءٍ   ومَـحْـلٍ شَـرَّ مَـنْ صَـحِـبَ الـرِّجَـالا

صحبنا في موضع «البدية» في الشتاء والمحل، والشتاء ممحل لا نبت فيه ولا مرعى للإبل، أناساً هم شرُّ من يصحبه الناس

إذا سُـقِـيَـتْ ضُـيوفُ الناسِ مَـحْـضـاً   سَـقَـوْا أضـيـافَـهُـمْ شَـبِـمَـاً زُلالا

إذا سقيت الضيوف محضاً، لبناً صافياً، فهم يسقون ضيوفهم ماء شبماً، بارداً، زلالاً، صافياً. . لأنهم بخلاء لئام

ولكنْ بالعواصِمِ مِنْ عَدِيٍّ أميرٌ لا يكلِّفُنا السؤالا

العواصم: حصون وجبال بين حلب وحماة يعتصم ويحتمي بها الناس، وفيها أمير من قوم عدي يعطينا ولا يكلفنا حتى أن نسأله

لقد جَشَّمْتَ طِرْفَكَ مُثقِلاتٍ فجَشَّمَهُنَّ أربعةً عِجالا

لقد كلفت طِرفك، أي حصانك، أموراً ثقيلة، فكلف قوائمه الأربع السريعة القيام بالمهمة

يودُّ التِّبْرُ لو أمسى حديداً إذا حُذِيَ الحديدُ لهُ نِعالا

التبر، أي الذهب، يتمنى لو أنه حديد عندما توضع للحصان النعال، الحذوات، الحديدة

وأقسمُ لو غَضِبْتَ على ثَبيرٍ لأزمَعَ عن محِلَّتِهِ ارتِحالا

أقسم أيها الممدوح لو أنك غضبت على جبل ثبير لأزمع، لنوى، أن يرتحل من مكانه

فإن عَشِقَتْ صَوارِمُكَ الهَوادي فما عَدِمَتْ بِمَنْ تَهوى اتِّصالا

فإن عشقت صوارمك، سيوفك، الهوادي، الرقاب، فهي تريد أن تضرب رقاب الأعداء.. فقد مكنْتها من الوصال بمعشوقيها، وحاربت وضربت بها رقاب العدو

ولولا ما بِسيفِكَ مِن نُحولٍ لقُلْنا أَظْهَرَ الكَمَدَ انتِحالا

ولولا النحول والرهافة التي بسيفك لقلنا إنه يظهر الكمد والغم مجرد إظهار في عشقه للرقاب، لكن السيف ناحل مرهف فهو عاشق حقيقي

سليلُ النارِ دَقَّ ورَقَّ حتى كأنَّ أباه أوْرَثَهُ السُّلالا

السيف سليل النار، ابن النار التي تعرض لها ليصير سيفاً، فكأن أباه أورثه داء السل لدقته ورقته

مُحَلَّى البُرْدِ تَحسَبُه تَرَدَّى نُجومَ الليلِ وانتَعَلَ الهِلالا

السيف محلى البرد، أي مزين الثوب.. يقصد غمده المحلَّى بالخرز والأحجار اللامعة، فكأنه تردى، لبس، النجوم واتخذ الهلال نعلاً (والنعل حديدة في أسفل الغمد)

تَبَيَّنُ فَوقَهُ ضَحْضَاحَ ماءٍ وتُبصِرُ فيه للنارِ اشتِعالا

تتبين وتبصر فوق متن السيف ضحضاحاً من الماء، ماء رقيقاً قليلاً، وتراه أيضاً مشتعلاً للمعانه

يُذِيبُ الرُّعْبُ منهُ كلَّ عَضْبٍ فَلَوْلا الغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسالا

الرعب الذي يبعثه سيفك في كل عضب، في كل سيف آخر، يذيب ذلك السيف، فلولا أن الغمد يمسكه لسال السيف المرعوب

وذي ظَمَـأٍ، ولـيـسَ بـه حـيـاةٌ، تَـيَـقَّـنَ طُـولَ حَـامِـلِـهِ فَـطَـالا

ورب رمح ذي ظمأ، جاف كأنه عطشان، وهو رغم الظمأ ليس حياً، وقد تيقن الرمح أن صاحبه طويل فطال لذلك.. (بصراحة قراءة البَطَليوسي أقرب، وهو يجعلها «الطَّوْل» أي الفضل، ولكن قراءتنا تجعل البيت أشعر وأحلى، ويقول التبريزي إنه قرأها على أبي العلاء «الطُّول» فصححه أبو العلاء وقال بل «الطَّوْل».. خسارة)

تَـوَهَّـمَ كـلَّ سَـابِـغَـةٍ غَـديـراً فَـرَنَّـقَ يَـطـلُـبُ الـحَـلَـقَ الـدِّخَـالا

ظن الرمح العطشان أن كل سابغة، كل درع، غديراً متموجاً، فرنق، حامَ، فوق حلقات الدرع المتداخلة

مَـلأْتَ بـه صُـدوراً مِـن أنـاسٍ فَـلاقَـتْ عـن ضـغـائِـنـهـا اشـتـغـالا

ملأت برمحك صدور أناس حاقدين فلقيَتْ هذه الصدور ما يشغلها عن ضغائنها، أحقادها

في هذه القصيدة، وفي كل «سقط الزند»، ترى طريقة أبي تمام وروح المتنبي.

سقط الزند = أبا تمام + المتنبي ÷ ٢

٢ المجد للسيف

ما سِرْتُ إلَّا وطيفٌ منكِ يَصحَبُني سُرىً أمامي وتَأْوِيباً على أَثَري

لا أسير إلا وطيفك يصحبني، يمشي أمامي سرىً، سيراً بالليل، وتأويباً، سيراً بالنهار، يتبعني على أثري. التسويد من أ. عبد الرحيم

لو حَطَّ رَحْلِيَ فوق النجمِ رافِعُه ألفيتُ ثَمَّ خيالاً منكِ مُنتَظري

لو أن الذي يرفع رحلي فوق جملي وضعه فوق النجم لوجدت خيالك ينتظرني هناك

يَـوَدُّ أن ظـلامَ الـلـيـلِ دامَ لـه وزِيدَ فيهِ سَوادُ القلبِ والبَصَرِ

يود طيفك أن يدوم ظلام لليل وأن يزاد فيه سواد القلب وسواد البصر، أي سواد حدقة العين، كي يظل يلاحقني

لو اختَصَرْتُمْ من الإحسانِ زرتُكُمُ والعذبُ يُهجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ

لو قللتم من إحسانكم لنا لزرناكم، فنحن نستحي من الزيارة لشدة كرمكم، فكذلك الماء العذب يهجره الشارب إذا كان مفرطاً في الخصر، البرودة

حَسَّنْتِ نَظْمَ كلامٍ تُوصَفِينَ به ومنزلاً بكِ مَعْمُوراً من الخَفَرِ

أنتِ أيها المحبوبة تجعلين النظم الذي توصفين به جميلاً، وتجعلين البيت الذي تسكنينه عامراً بالخفر، بحيائك

فالحُسْنُ يَظهرُ في شيئينِ رَوْنَقُه: بيتٍ من الشِّعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَرِ

أقولُ، والوحشُ تَرميني بِأعيُنِها   والطيرُ تَعْجَبُ مِني كيفَ لم أَطِرِ،

وأنا سائر في الصحراء ترميني الوحوش بأعينها متعجبة من وجودي في هذا المكان، وتتعجب الطيور من سرعتي كيف أنني بقيت على الأرض ولم أطر.. وأقول..

لِمُشْمَعِلَّيْنِ كالسيْفَيْنِ، تحتَهُما   مِثلُ القَناتينِ من أَيْنٍ ومن ضُمُرِ

أقول لمشمعليْن، لسريعين خفيفين.. يقصد صاحبيه، والصاحبان يشبهان لنحولهما سيفين، وتحتهما ناقتان كأنهما قناتان، رمحان نحيلان، لشدة الأين والضُمْر، التعب والنحول

في بَلْدَةٍ مثلِ ظَهرِ الظبيِ بِتُّ بِها   كأنني فوقَ رَوْقِ الظَّبْيِ مِن حَذَرِ

أقول هذا لصاحبيَّ وقد بتُّ في بلدة سهلة كظهر الظبي، لكنني أبيت قلقاً حذراً كأنني فوق روق، أي قرن، الظبي

لا تَطوِيا السرَّ عني يومَ نائبةٍ   فإن ذلكَ ذنبٌ غيرُ مُغتَفَرِ

لا تخفيا عني سراً إذا جاء خبر بمصيبة، فهذا لا يغتفر من صديق

والخِلُّ كالماءِ يُبدي لي ضَمائِرَهُ   مع الصفاءِ ويُخفيها مع الكَدَرِ

والخل، الصديق، كالماء: إذا كان مصافياً لصاحبه أبدى له ما في ضميره، وإذا تكدر صفاؤه لم يعد الماء شفافاً، ولم تعد في الصديق شفافية. التسويد من أ. عبد الرحيم

ماجَتْ نُمَيْرٌ فهاجَتْ منكَ ذا لِبَدٍ   والليثُ أَفْتَكُ أفعَالاً مِنَ النَّمِرِ

ماجت بنو نمير، تمردوا، فهاجتك وأثارتك وأنت ذو لبدة، أي أسد، والأسد أفتك من النمر

هَمُّوا فَأَمُّوا، فلما شارَفوا وقفوا   كوِقْفَةِ العَيْرِ بينَ الوِرْدِ والصَّدَرِ

هموا بالمسير إليك، وأموا، قصدوك، وعندما شارفوا، اقتربوا، وقفوا وِقفةَ العيْر، الحمار، الذي يقف متردداً بين وروده الماء وصدوره عنه مترقباً أي خطر

وأضْعَفَ الرعبُ أيديهِمْ فَطَعْنُهُمُ   بِالسَّمْهَرِيَّةِ دونَ الوَخْزِ بِالإِبَرِ

والرعب منك أضعف أيديهم فصاروا يَطعنون بالسمهرية، الرماح، طعناً هو أضعف من الوخز بالإبر. حق «أيديهم» النصب وأسكنها الشاعر للوزن، وقد جرى العرف الشعري على أن يضحي الشاعر بالنحو على مذبح الوزن، لا العكس

دَعِ اليَراعَ لِقومٍ يَفخَرونَ به   وبِالطِّوالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فافتَخِرِ

اترك اليراع، القلم، لمن يريد الافتخار به، وافتخر بالردينيات، بالرماح، الطوال

فهُنَّ أقلامُكَ اللاتي إذا كتبَتْ   مَجْداً أتتْ بِمِدادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ

فالرماح هي أقلامك التي تكتب المجد بمداد، حبر، هو الدم المهدور من أعدائك

قالتْ عُداتُكَ ليس المجدُ مُكْتَسَباً   مقالةَ الهُجْنِ ليس السَّبْقُ بالحُضُرِ

يقول أعداؤك الذين عجزوا عن نيل مكانتك إن المجد ليس مكتسباً بل هو هبة من الله، وذلك كقول الهُجُن، الخيل غير الأصيلة، إن السبق ليس بالحُضْر، بالجري، لكن بسبب النسب

رَأَوْكَ بالعينِ فاسْتَغوَتْهُمُ ظِنَنٌ   ولم يَرَوْكَ بِفِكرٍ صادقِ الخَبَرِ

رأوك بعيونهم فغرَّرتْ بهم الظنون، ولم يروك بفكرهم

والنجمُ تَستصغِرُ الأبصارُ صُورَتَه   والذنْبُ للطَّرْفِ لا للنجمِ في الصِّغَرِ

النجم تراه العين صغيراً، والذنب ذنب العين لا ذنب النجم

والمرءُ ما لم تُفِدْ نَفعاً إقامَتُه   غَيْمٌ حَمَى الشمسَ لم يُمْطِرْ ولم يَسِرِ

إقامة المرء في مكان يجب أن تكون ذات نفع، وإلا فهو كالغيم غير الماطر يمنع الشمس ولا يسير

٣ الحياة كالنار

يمدح أبا الفضائل سعيد بن شريف بن علي بن أبي الهيجاء (عن شرح البطليوسي):

ولاحَتْ من بُروجِ البَدرِ بُعداً   بُدورُ مَهاً تبرُّجُها اكتِنانُ

لاحت، ظهرت، من بروج البدر، المواضع السماوية التي يمر بها القمر، بدور مها، أقمار كبقر الوحش هي النساء الجميلات، وتبرجها هو عبارة عن اكتنان، أي استتار.. وسيقول أبو العلاء في اللزوميات إن تبرج النساء مع استتارهن من السفاهة

فلو سَمحَ الزمانُ بِها لَضَنَّتْ   ولو سمحتْ لَضَنَّ بها الزمانُ

لو أتيح لنا أن نواصل الحسان لضنت، امتنعت، ولو سمحت لنا بالوصال لامتنع الزمان وحالت الظروف دون ذلك

رُزِقْنَ تَمَكُّناً من كلِّ قلبٍ   فليس لِغيرِهِنَّ به مَكانُ

متمكنات من قلوب الرجال

وعيشتِيَ الشبابُ، وليس منها   صِبايَ ولا ذَوائِبِيَ الهِجانُ

العيشة الحقيقية هي أيام الشباب الواعي للفتنة، وليس من الحياة أيام الصبا حيث المرء لا يدرك لذة الهوى، ولا زمن الذوائب الهجان، خصلات الشعر البيض

وكالنارِ الحياةُ فمِنْ رَمادٍ   أواخِرُها وأولُها دُخانُ

والحياة كالنار أولها دخان وآخرها رماد ولا نفع فيهما.. كذا زمن اليفاعة والشيخوخة فلا نفع فيهما وكل النفع في النار نفسها.. في الشباب فقط

٤ حلب جنة ونار

يمدح أبا الفضائل بن أبي الهيجاء:

لا تَسَلْ عن عِداكَ أين استقرُّوا لَحِقَ القومُ باللطيفِ الخبيرِ

لا تسل أين ذهب أعداؤك فقد قتلهم الحسد قتلاً

حَلَبٌ لِلوَلِيِّ جنَّةُ عَدْنٍ وَهْيَ لِلغادرينَ نارُ سعيرِ

حلب جنة للولي، النصير، ونار للغادرين

٥ شُرَّاد المعاني

قال يمدح بعض الأمراء:

أفوقَ البدرِ يوضعُ لي مِهادُ أمِ الجوزاءُ تحت يَدي وِسادُ؟

أيُفرَش لي المهاد، السرير، فوق البدر؟ لا، بل أعلى منه. أتكون كواكب الجوزاء وسادة أتكئ عليها؟

وأَطْرَبَني الشبابُ غَداةَ وَلَّى فليتَ سِنيهِ صَوْتٌ يُسْتَعادُ

أطربني، أي أشجاني وأحزنني، الشباب عندما تولى وانصرف عني، فليت سنواته مثل الصوت، الأغنية، الذي يستعيده السامعون، يطلبون من المغني إعادته

تَلوذُ بِنا القَطا مُستجدِياتٍ لِمَا ضَمِنَتْ مِن الماءِ المَزادُ

تلوذ بنا، تلجأ إلينا، طيور القطا في الصحراء مستجديات للماء الذي ضمنته، احتوته، المزاد، القِرَب التي معنا

يَكَدْنَ يَرِدْنَ مِن حَدَقِ المَطايا مَوارِدَ مَاؤُها أبداً ثِمادُ

تكاد طيور القطا ترد الماء في عيون الإبل تحسبها ماء، غير أن هذه الموارد ماؤها ثماد، أي قليل

متى أَرْمِ السُّها بِكَ أَنْتَظِمْهُ كأنَّ هَواكَ في سَهمي سَدادُ

إذا رميت بسهمي نجم «السها» فإنني أنتظمة، أشكه بالسهم شكاً، فكأن محبتي إياك هي المسدِّد لسهمي

تَذُودُ عُلاكَ شُرَّادَ المَعاني إليَّ، فمَن زهيرٌ أو زيادُ؟

عُلاك تذود إليَّ، أي تجمع نحوي، المعاني الشاردة في المدح، فمَن هو زهير بن أبي سلمى، ومن هو زياد بن معاوية النابغة الذبياني؟ وما معانيهما بالمقارنة مع المعاني التي تأتيني فيك؟ (والشاعران المذكوران من أمدح شعراء الجاهلية)

إذا مــا صِــدْتُــهــا قــالــتْ رجــالٌ   أَلَــمْ تَــكُــنِ الـكَـواكـبُ لا تُـصَـادُ؟

عندما أصيد هذه المعاني الرائعة يقول الناس: كنا نظن الكواكب لا تصاد!

مِــنَ الــلاتــي أَمَــدَّ بِــهِــنَّ طــبــعٌ   وهَــذَّبَــهُــنَّ فــكــرٌ وانــتــقــادُ

هذه معان أمدني بها طبعي وقريحتي الشعرية وهذبها فكري وانتقادي، أي تشذيبي للشعر

٦ غُبار المعركة

ومُـقـابَـلٍ بـيـن «الـوَجـيـهِ» و«لاحِـقٍ»   وَافَـاكَ بـيـنَ مُـطَـهَّـمٍ ومُـطَـهَّـمِ

رب حصان مقابَل، أي أصيل من جهتي الأب والأم، ونسبه يرتقي إلى الجوادين المشهورين «الوجيه» و«لاحق»، وقد أتاك يختال بين الخيول من مطهم ومطهم، والمطهم الحصان التام الحسن

مثلُ العَرائِسِ ما انْثَنَتْ مِنْ غَارةٍ   إلَّا مُـخَـضَّـبَـةَ الـسَّـنـابِـكِ بـالـدَّمِ

هذه الخيول مثل العرائس المزينة بالحناء، فهي تنثني، تعود، من الغارة وسنابكها، حوافرها، مصبوغة بدم الأعداء

أَدْمَـتْ نَـواجِـذَهـا الـظُّـبَـا فـكـأنـمـا   صُـبـغـتْ شَـكـائِـمُـهـا بِـمـثـلِ الـعَـنْـدَمِ

أدمت الظبا، شفراتُ السيوف، نواجذَ الخيول، صبغت أسنانها بالدم، فكأن هذا الدم على الشكائم، الحدائد التي في أفواه الخيل، ثمر العندم الأحمر

وبَـنَـتْ حَـوافِـرُهـا قَـتـامـاً سـاطِـعـاً   لـولا انـقـيـادُ عِـداكَ لــم يَـتَـهَـدَّمِ

وبنت حوافر خيلك شبه بنايات من القتام الساطع، الغبار المرتفع، وما كانت هذه البنايات لتتهدم لولا انقياد الأعداء لك واستسلامهم

بـاضَ الـنُّـسـورُ بـه وخَـيَّـمَ مُـصْـعِـداً   حـتـى تـرعـرعَ فـيـه فَـرْخُ الـقَـشْـعَـمِ

هذا الغبار الذي أثارته حوافر خيلك كثيف، ولو دام لباضت عليه النسور، وظل يرتفع حتى فقس بيض القشاعم، النسور، وترعرعت الأفراخ.. يصعد المعري درجة فوق المتنبي في المبالغة والإحالة

وسَـمـا إلـى حـوضِ الـغـمـامِ فَـمـاؤُهُ   كَـدِرٌ بِـمُـنْـهَـالِ الـغُـبـارِ الأَقْـتَـمِ

ولَسَما، وارتفع، الغبار إلى ما فوق أحواض السحاب فجعل ماء السحاب مكدراً قاتماً

حـتـى تَـرَكْـنَ الـمـاءَ لـيـس بِـطـاهـرٍ   والـتُّـرْبَ لـيـسَ يَـحِـلُّ لِـلْـمُـتَـيَـمِّـمِ

وهكذا تركت خيولك الماء غير طاهر لأنك لوثت السحاب بالغبار، وتركت تراب الأرض غير طاهر ولا يحل للمتيمم لما اختلط به من الدم

٧ تجربة في الفخر القَبَلي

وَرائـــيَ أمـــامٌ والأمَـــامُ وَراءُ   إذا أنَـا لـمْ تُـكْـبِـرْنِـيَ الـكُـبَـراءُ

إذا لم يعرف السادة مقامي فسوف أولّيهم ظهري وأنصرف، فيصبح ورائي أمامي والعكس

بِـأيِّ لِـسـانٍ ذامَـنِـي مُـتـجَـاهِـلٌ   عَـلَـيَّ، وخَـفْـقُ الـريـحِ فِـيَّ ثَـنـاءُ؟

بأي لسان يجرؤ أن يذمني ذلك المتجاهل لقدري؟ والريح عندما تخفق، أي تصفر، تحمل ثناء الناس عليَّ

ومُـذْ قـالَ إنَّ ابْـنَ الـلَّـئـيـمَـةِ شَـاعِـرٌ   ذَوُو الجَهلِ، ماتَ الشِّعرُ والشُّعراءُ

منذ أن قال ذوو الجهل إن «ابن اللئيمة» هذا شاعر.. مات الشعر والشعراء

تُـساوِرُ فَحْلَ الشعرِ أو لَيثَ غابِهِ   سَـفَـاهـاً وأنـتَ الـنَّـاقَـةُ الـعُـشَـرَاءُ

أراك تساور، تهاجم، فحل الشعر بل ليث الغابة، سفهاً منك وحمقاً، وأنت ضعيف كالناقة العشراء، الحامل لعشرة أشهر

أَتمشي القَوافي تحتَ غيرِ لِوائِنا   ونـحـن عـلـى قُـوَّادِهـا أُمَـراءُ

لا تسير القصائد إلا تحت لوائنا، ونحن أمراء على قادة الشعر

وأيُّ عَـظـيـمٍ رَابَ أهـلَ بِـلادِنـا   فـإنَّـا عـلـى تَـغـيِـيـرِهِ قُـدَرَاءُ

وأي رجل عظيم القوة راب أهلنا، أي شكُّوا في أمره، فنحن قادرون على تغييره

وما سَـلَـبَـتْـنـا الـعِـزَّ قَطُّ قَـبـيـلَـةٌ   ولا بـاتَ مِـنَّـا فـيـهِـمُ أُسَـراءُ

ولا سارَ في عُرْضِ السَّمَاوَةِ بَارِقٌ   ولـيـسَ لـه مِـن قـومِـنـا خُـفَـراءُ

ما سار بارق، أي غيم ذو برق، في وسط صحراء السماوة إلا وقومنا يخفرونه، يحرسونه، أي يمنعون غيرهم من رعي العشب المتسبب عن هذا الغيم الماطر

٨ نحن غرقى

بعث الشريف أبو إبراهيم العلوي إلى المعري بقصيدة مطلعها: (غير مستحسن وصال الغواني/ بعد ستين حجة وثمان)، فأجابه أبو العلاء:

عَـلِّـلانـي فـإنَّ بِـيـضَ الأمـانـي   فَـنِـيَـتْ، والـظـلامُ لـيـس بِـفـانِ

عللاني يا صديقيَّ، سَلِّياني ونسِّياني، فإن الأماني الجميلة البيض ذهبت، والظلام باقٍ

إن تَـنـاسَـيْـتُـمـا وِدادَ أُنـاسٍ   فاجْعلاني من بعضِ مَن تَذكُرانِ

كـم أَرَدْنـا ذاكَ الـزمـانَ بِـمـدحٍ   فـشُـغِـلْـنـا بِـذَمِّ هـذا الـزمـانِ

ربَّ ليلٍ كأنه الصبحُ في الحسـ ـنِ، وإن كان أسودَ الطَّيْلَسانِ

الطيلسان: الكساء

قد رَكَضْنا فيهِ إلى اللَّهْوِ لَمَّا وقفَ النجمُ وِقفةَ الحيْرانِ

أسرعنا كي نلهو في هذا الليل وقد وقف النجم متقلقلاً مهتزاً كما يقف الحيران (ورأى العرب القدماء في بعض النجوم اهتزازاً)

فكأنّي ما قلتُ والبدرُ طِفلٌ وشبابُ الظلماءِ في عُنفوانِ:

كأني لم أقل لكم والبدر ما زال هلالاً صغيراً، وكان الظلام دامساً فكأنه المرء في عنفوان شبابه وسواد شعره:

ليلتيِ هذه عروسٌ من الزَّنْـ ـجِ عليها قَلائدٌ مِن جُمانِ

قلت لكم: ليلتي عروس سوداء من الزنوج، وهي تتزين بعقود من اللؤلؤ الصغار، هي النجوم

هربَ النومُ عن جُفونِيَ فيها هَرَبَ الأمنِ عن فؤادِ الجَبانِ
وكأنَّ الهلالَ يهوَى الثُّريَّا فهُما للوَداعِ مُعْتَنِقانِ

والهلال يحتضن نجوم الثريا.. يعانقها قبل الفراق

قالَ صَحْبي في لُجَّتَيْنِ منَ الحِنْـ ـدِسِ والبيدِ إذْ بَدا الفَرْقَدَانِ

قال لي صحبي ونحن في لجتين، بحرين، هما الحندس، أي الظلام، والبيد، أي الصحارى، وقد بدا في السماء الفرقدان، هذان النجمان

وسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الحِبِّ في اللَّوْ نِ وقلبِ المُحِبِّ في الخَفَقانِ

وكان نجم سهيل محمراً كخد الحِبِّ، أي الحبيب، وخافقاً مرتجفاً كقلب العاشق (وسهيل من النجوم ذات الاهتزاز)

مُستَبِدَّاً كأنه الفارسُ المُعْـ ـلَمُ يبدوُ مُعَارِضَ الفُرسانِ

كان سهيل مستبداً، أي منفرداً، كأنه الفارس الذي وضع شارة الحرب وقد انفرد عن صحبه معارضاً لهم، أي واقفاً في ناحية منهم.. ربما متأهباً للمبارزة

يُسرِعُ اللَّمْحَ في احمرارٍ كما تُسْـ ـرِعُ في اللَّمْحِ مُقْلَةُ الغَضبانِ

يتألق سهيل مع احمرار كأنه عين رجل غضبان

ضَرَّجَتْهُ دَمَاً سيوفُ الأَعادي فبكَتْ رَحمَةً له الشِّعْرَيانِ

ضرجته بالدم السيوف، فبكت له الشعريان، تانك النجمتان؛ والعرب تصف الشعريين بأنهما قريبتان من سهيل وبأن إحداهما كأن في عينها قذى من بكاء، فأبو العلاء يستعرض معلوماته الفلكية، ويلم بما يعتقده العرب في شأن النجوم

ثم شابَ الدُّجى، وخافَ من الهجـ ـرِ فَغَطَّى المَشيبَ بِالزَّعْفرانِ

وطلع الفجر فكأن الشيب حل بالدجى، بالظلام، وخاف الظلام من هجر الأحبة بعد ابيضاض الرأس فغطى مشيبه بالزعفران، فثمة حمرة على صفرة تبدو مع الفجر

نحنُ غَرقَى، فكيف يُنقِذُنا نَجـ ـمانِ في حَوْمَةِ الدُّجى غَرِقَانِ

نحن لسنا تائهين، فالليل والصحراء بحران. . ونحن غرقى، والنجمان غَرِقان، وهل ينقذ الغريق الغريق؟

وبلادٍ وَرَدْتُها ذَنَبَ السِّرْ حانِ، بينَ المَهَاةِ والسِّرْحانِ

جئت بلاداً في وقت «ذنب السرحان»، أي الفجر الكاذب الذي يشبه ذيل السرحان وهو الذئب، وكنت أسير بين المهاة، بقرة الوحش، وبين السرحان، الذئب، في البراري

وعُيونُ الركابِ تَرْمُقُ عيناً حولَها مَحْجِرٌ بِلا أَجْفانِ

وعيون المسافرين ترمق عين ماء. . وعين الماء حولها محجِر، عظام العين. . ويقصد حجارة البئر، لكنها طبعاً بلا أجفان

وعلى الدهرِ مِنْ دِماءِ الشَّهِيدَيْـ ـنِ عَلِيٍّ ونَجْلِهِ شَاهِدانِ

وهناك شاهدان على الدهر، على الوقت، هما الاحمرار الذي يشبه دم الشهيدين علي بن أبي طالب وابنه الحسين. والقصيدة في مدح رجل شيعي، واعتقد بعض الشيعة أن الاحمرار في أول الليل وآخره لم يكن إلا بعد مقتل علي والحسين

فَهُمَا في أَوَاخِرِ الليلِ فَجْرا نِ، وفي أُولَيَاتِهِ شَفَقانِ

فهذان الشاهدان كأنهما فجران في آخر الليل (الفجر الكاذب والفجر الصادق) وشفقان في أوله (الشفق الأبيض والشفق الأحمر)

ثَبَتا في قَمِيصِهِ لِيَجِيءَ الـ ـحَشْرَ مُسْتَعْدِياً إلى الرحمنِ

ثبت هذا الشاهدان في قميص الدهر ليأتي القميص يوم الحشر ويستعدي، يطلب الانتصاف من الخصم، لدى الله

يا ابنَ مُسْتَعْرِضِ الصفوفِ بِبدْرٍ ومُبيدِ الجُموعِ مِن غَطَفانِ

يبدأ المدح: يا سليل علي بن أبي طالب الذي كان يستعرض صفوف المقاتلين في بدر، والذي أباد جموع الأعداء من قبيلة غطفان

قد أَجَبْنا قولَ الشريفِ بِقولٍ وأَثَبْنا الحَصَى عنِ المَرجانِ

أجبنا قول الشريف بقول مثله، وأثبناه، كافأناه، بالحصى مقابل مرجانه، لؤلؤه

أَطْرَبَتْنا ألفاظُه طَرَبَ العَا شِقِ لِلمُسْمِعَاتِ بِالألحانِ

المسمعات: المغنيات

فـاقْـتَـنِـعْ بِـالـرَّوِيِّ والـوزنِ مِـنِّـي   فَـهُـمـومـي ثـقـيـلـةُ الأوزانِ
اقتنع مني بنظم ضعيف ليس إلا وزناً ورويّاً بغير إبداع، فهمومي ثقيلة

مِنْ صُروفٍ مَلَكْنَ فِكري ونُطْقي   فَـهْـيَ قَـيْـدُ الـفُـؤادِ قَـيْـدُ الـلِّـسـانِ
همومي مكونة من صروف، مصائب، ملكت فكري وقولي، وقد قيدت قلبي وقيدت لساني

يا أبا إِبْراهيمَ قَصَّرَ عنكَ الشِّـ ـ   ـعرُ لـمَّـا وُصِـفْـتَ بِـالـقـرآنِ
الشعر يقصر عن إعطائك حقك بعد أن وصفك القرآن.. فالقرآن يمدح أهل البيت ويُذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً.. والممدوح من البيت النبوي

٩ الفرق بن الأسد والنملة

يمدح صديقه أبا القاسم علي بن الحسين بن جَلَبات:

يَـرومُـكَ، والـجَـوْزاءُ دونَ مَـرامِـهِ،   عَـدُوٌّ يَـعـيـبُ الـبـدرَ عـنـدَ تَـمـامِـهِ
يرومك، يطلبك، عدوك.. ونجوم الجوزاء أقرب من مرامه، مطلبه، وهذا العدو معاند كمن يعيب البدر عند اكتماله

فإن يَكُ أَضحَى القولُ جَمَّاً طيورُهُ   فـمـا تَـسـتَـوي عِـقْـبـانُـهُ بِـحَـمَـامِـهِ
لئن كثر القول كأنه الطيور الجمة، الكثيرة، فإن العقبان الكاسرة ليست كالحمام الضعيف.. يلمح إلى أن شعره أعلى من شعر غيره

أَفَدْتَ جزيلَ الـمالِ لـما استَفَدْتَهُ   وحَكَّمْتَ فيه الدهرَ قبلَ احْتِكَامِهِ
أفدت، أعطيتَ، المال للناس لما استفدت هذا المال، وحكمت الزمن في مالك وجعلته يفنيه قبل أن يحتكم فيه الدهر بنفسه، فقد سبقت الدهر في تبديد مالك أيها السخي

وهـل يـذْخَـرُ الـضِّـرْغـامُ قُـوتـاً لِـيـومِـه   إذا ادَّخَـرَ الـنـمـلُ الـطـعـامَ لِـعـامِـهِ
وكذا فالأسد لا يدخر الطعام، النمل هو الذي يدخره

١٠ على خطى أبي الطيب

وقال يفتخر ويعرض ببعض من أساء إليه:

أَلَا في سبيلِ الـمَجْدِ ما أنا فاعلُ   عـفـافٌ وإِقـدامٌ وحـزمٌ ونَـائِـلُ
النائل: العطاء، يقصد السخاء

أَعِنديِ، وقد مارسْتُ كلَّ خَفِيَّةٍ،   يُـصَـدَّقُ وَاشٍ أو يُـخَـيَّـبُ سَـائـلُ؟
أأصدِّق الوشاة أو أخيب السائلين بعد أن جربت الدنيا وخفاياها؟

أَقَلُّ صُدودِي أنني لَكَ مُبْغِضٌ   وأَيْسَرُ هجرِي أنني عنكَ راحِلُ

أقل قدر من صدودي عنك بغضي لك، وأبسط الهجر رحيلي عنك

إذا هَبَّتِ النَّكْباءُ بَيْني وبينَكُمْ   فَأَهْوَنُ شَيْءٍ ما تقولُ العَواذِلُ

إذا هبت النكباء، الريح المخربة، بيني وبينكم.. كناية عن التباغض، فعندئذ لا أهتم لما تقوله العاذلات وأمضي في العداوة إلى آخر الشوط

تُعَدُّ ذُنوبِي عندَ قومٍ كثيرةً   ولا ذنبَ لِي إلّا العُلا والفَواضِلُ

يعدون علي الذنوب، وما ذنوبي سوى المعالي والفواضل، الفضائل

وقد سارَ ذِكرِي في البلادِ فمَنْ لَهُمْ   بإِخفاءِ شمسٍ ضَوْءُها مُتَكامِلُ

أصبحت مشهوراً ولا قبل لهم بإخفاء ذكري، فهل يستطيعون إخفاء الشمس؟

يَهُمُّ الليالي بعضُ مَا أنا مُضمِرٌ   ويُثْقِلُ «رَضْوَى» دونَ ما أنا حَامِلُ

بعض ما أخفيه في ضميري من مطامح يجعل الليالي، الدهر، تشعر بالهم الثقيل، وما أحمله من نفس كبيرة ثقيل حتى على جبل رضوى

وإِنِي وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه   لآتٍ بما لم تستَطِعْهُ الأوائلُ

وأنا ـ وإن كنتُ المتأخِّرَ زمانُهُ ـ آتي بالشعر البديع الذي لم يتسن مثله للشعراء القدامى

وأغدُو ولو أنَّ الصباحَ صَوارِمٌ   وأَسرِي ولو أن الظلامَ جَحافِلُ

أغدو صباحاً ولو كان الصباح من الصوارم، السيوف، وأسري ليلاً ولو كان الظلام عبارة عن جحافل جيش

ولِي مَنطِقٌ لم يَرْضَ لي كُنْهَ مَنزِلِي   على أنني بين السِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

ومنطقي، أي كلامي وشعري، عال لا يرضى لي بحقيقة المنزلة التي أنا فيها، ومنزلتي الحقيقية بين السماكين، نجمين من النجوم

لَدى مَوْطِنٍ يشتاقُهُ كلُّ سَيِّدٍ   ويَقْصُرُ عن إدراكِه المُتَناوِلُ

منزلتي عند موطن، مكان، يشتاق إلى الوصول إليه كل سيد، ولكن، لا يدركه من مد يده ليتناوله

ولـمَّا رأيتُ الجَهلَ في الناسِ فَاشِياً   تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنِّيَ جَاهِلُ

لما رأيت الجهل منتشراً تجاهلت، تظاهرت بالجهل، حتى ظن الناس أني جاهل

فَواعَجَبا كم يَدَّعِي الفضلَ ناقِصٌ   ووَاأَسَفا كم يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلُ

يا للعجب! كم يدعي الفضل من هو ناقص، ويا للأسف، كم يظهر الفاضل النقص حتى يتجنب الحسد. تعليق من البطليوسي «هذا من الكلام البديع الحسن الذي يدل على حذق قائله بصناعة الشعر، لأنه قرن العجب بادعاء الناقص الفضل، والأسف بإظهار الفاضل للنقص، فوضع الألفاظ في المواضع اللائقة بها، ولو عكس الأمر لاختل النظم»

وكيف تَنامُ الطيرُ في وُكُناتِها إذا نُصِبَتْ لِلفَرْقَدَيْنِ الحَبائِلُ

عجباً كيف تنام الطير آمنة في وكناتها، أعشاشها، مع أن الناس ينصبون الحبائل، المصايد، حتى للفرقدين، وهما نجمان

فلو بَانَ عَضْدِي ما تَأَسَّفَ مَنكِبِي ولو ماتَ زَنْدِي ما بَكَتْهُ الأنامِلُ

لقسوة هذا الزمن تَمَسَّحْتُ، فلو انخلع عضدي، أعلى ذراعي، ما تأسف له منكبي، كتفي، ولو مات زندي، أسفل ذراعي، ما بكت أناملي عليه

إذا وَصَفَ الطائيَّ بِالبخلِ مَادِرٌ وعيَّرَ قُسّاً بِالفَهَاهَةِ بَاقِلُ..

إذا وصف مادرٌ، البخيل المشهور، حاتماً الطائي بالبخل، وعير باقلٌ، العيي المعروف، قساً الخطيب المشهور

وطَاوَلَتِ الأرضُ السماءَ سَفاهَةً وفَاخَرتِ الشُّهْبَ الحَصَى والجَنادِلُ..

وإذا حاولت الأرض أن تفاخر السماء في الارتفاع، وإذا فاخر الحصى والجنادل، الصخور، شهب السماء.. أي إذا انعكست الأمور وصار الوضيع يحسب نفسه جليل القدر

فيا مَوْتُ زُرْ إن الحياةَ ذَمِيمَةٌ ويا نَفسُ جِدِّي إن دَهرَكِ هَازِلُ

عندئذ أهلا بالموت فليأت زائراً، فالحياة ذميمة، كريهة، ويا نفسي كوني جادة فالزمن هازل

وقد أغتَدِي والليلُ يَبكِي تأسُّفاً على نفسِه والنجمُ في الغربِ مَائِلُ

أغتدي، أرحل فجراً، بينما الليل يبكي متأسفاً على نفسه لأنه يزول، والنجم يميل غرباً ويختفي بطلوع الشمس

بِريحِ أُعيرَتْ حَافِراً مِن زَبَرْجَدٍ لها التِّبْرُ جِسْمٌ، واللُّجَينُ خَلاخِلُ

أرحل على ريح، فرس سريعة، لها حافر أخضر من صلابته فكأنه الزبرجد؛ وجسم الفرس أشقر كالذهب، وقوائمها محجلة بيضاء كأنها اتخذت اللجين، الفضة، خلاخل، جمع خلخال

كأنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إلَيَّ عِنانَها تَخُبُّ بِسَرْجِي مَرَّةً وتُنَاقِلُ

كأن ريح الصبا منحتني عنانها، مقودها، وهي تخب وتناقل بسرجي، أي تمشي هذين النوعين من المشي وأنا فوق سرجي

إذا اشْتَاقَتِ الخيلُ المَناهِلَ أَعْرَضَتْ عن الماءِ فاشْتَاقَتْ إليها المَناهِلُ

تشتاق الخيل لمناهل الماء، لكنها تعرض عنها لأنها صبورة وجادة في بلوغ مرامها، فتشتاق المناهلُ إليها

إذا أنتَ أُعطِيتَ السعادةَ لم تُبَلْ وإن نَظَرَتْ شَزْراً إليكَ القَبائلُ

إذا نلت السعادة، الحظ، فأنت لا تبالي ولو نظر الناس شزراً إليك، أي نظروا بأطراف عيونهم مستائين مستهجنين

وإن كنتَ تَهوَى العيشَ فَابْغِ تَوَسُّطاً   فعندَ التَّناهي يَقْصُرُ المُتَطاوِلُ

إن كنت تهوى العيش الهانئ فلا تكن شديد الطموح، فعند بلوغ منتهى الأماني يبدأ التقصير والنزول

تَوَقَّى البُدُورُ النَّقْصَ وَهْيَ أَهِلَّةٌ   ويُدرِكُها النُّقْصانُ وَهْيَ كَوامِلُ

كذلك البدور فهي تتوقّى النقص، محمية من النقصان، عندما تكون أهلة، جمع هلال، ولكن النقصان يلحق بها عندما تكتمل

١١ الطموح فن المستحيل

أَرى العَنقاءَ تَكْبُرُ أن تُصادَا   فَعانِدْ مَن تُطيقُ لهُ عِنادا

العنقاء طائر كبير خيالي، والعنقاء أكبر من أن تصاد؛ فعلى المرء أن يخالف ويعاند فقط من يستطيع معاندته ولا يتنطح إلى من هو أقوى منه بكثير.. لا تناطح الدهر يا فتى

وما نَهْنَهْتُ في طَلَبٍ، ولكنْ   هِيَ الأيامُ لا تُعْطي قِيَادا

ما نهنهت، تهاونت وكففت، في طلب العلى، ولكن الأيام لا تعطي قيادها للمرء

فلا تَلُم السَّوابِقَ والمَطايا   إذا غَرَضٌ مِنَ الأغراضِ حادا

لا تلم السوابق، الخيل، ولا الإبل إذا انحرف عنك مطلب من المطالب

لَعلَّكَ أن تَشُنَ بِها مُغاراً   فَتُنْجِحَ أو تُجَشِّمَها طِرادا

لعلك تشن غارة فتنجح، أي تحقق مبتغاك، أو تكلف الخيل مطاردة صيد

مُقارِعَةً أَحِجَّتُها العَوالي   مجنِّبةً نَواظِرَها الرُّقادا

تقارع أحجة الخيل، عِظام حواجبها، العوالي، الرماح.. فالخيل ترفع رؤوسها فتلامس رماح فرسانها الممدودة، وهي دائمة التيقظ فالرقاد لا يتسلل إلى عيونها

نَلومُ على تَبَلُّدِها قُلوباً   تُكَابِدُ مِن مَعيشَتِها جِهَادا

نلوم قلوبنا لتبلدها، حيرتها، ولكنها في الواقع تكابد وتشقى في تحصيل المعيشة. (قرأ أ. عبد الرحيم: جَهادا، بفتح الجيم، لأن الجَهاد المعاناة والمكابدة)

إذا ما النارُ لم تَطْعَمْ ضِراماً   فَأَوْشِكْ أنْ تَمُرَّ بِها رَمادا

إذا النار لم تَطعَم، تأكل، ضراماً، أي وقوداً، فسريعاً ما تصير إلى رماد. فالمعاناة تحيي القلوب كالوقود الذي يحيي النار

فظُنَّ بِسائِرِ الإخْوانِ شَرّاً   ولا تأْمَنْ على سِرٍّ فُؤَادا

فلو خَبِرَتْهُمُ الجَوْزَاءُ خُبْري   لَمَا طَلَعَتْ مَخافَةَ أن تُكادا

لو جربت نجوم الجوزاء البشر مثلما جربتهم أنا لخافتهم وتوارت فلم تظهر في السماء

تَـجَـنَّـبْـتُ الأنـامَ فَـمـا أُوَاخـي وزِدْتُ عـلـى الـعـدوِّ فـمـا أُعـادَى

لا أؤاخي الأنام، البشر، وقدري مرتفع جداً عن الأعداء فلا سبيل لمعاداتي

ولـمَّـا أن تَـجَـهَّـمَـنـي مُـرادي جَـرَيْـتُ مـعَ الـزمـانِ كـمـا أرَادا

لما تجهمني، كشر في وجهي، مرادي، مطلبي، جريت مع الزمان وطاوعته

وهَـوَّنْـتُ الـخُـطـوبَ عَـلَـيَّ حتى كـأنّـي صِـرْتُ أَمـنَـحُـهـا وِدَادا

وهونت على نفسي شأن المصائب حتى لكأنني أُكِنُّ لها المودة

أأُنْـكِـرُهـا ومَـنْـبِـتُـهـا فـؤادي وكـيـف تُـنَـكِّـر الأرضُ الـقَـتَـادا

كيف لي أن أنكر الخطوب وهي نابتة من قلبي، فهل تنكر الأرض الشوك الذي ينبت فيها؟

فـأيُّ الـنـاسِ أجـعـلُـهُ صـديـقـاً وأيُّ الأرضِ أسـلُـكُـهـا ارتِـيـادا؟

ولـو أنَّ الـنـجـومَ لَـديَّ مَـالٌ نَـفَـتْ كَـفَّـايَ أَكْـثَـرَهـا انـتِـقَـادا

لو أن النجوم دراهم لدي لنفيتها، أي نحَّيتها، انتقاداً، تمييزاً للزائف من السليم.. فحتى النجوم اللامعة أكثرها زائف يستحق الانتقاد، التنحية لزيفه، فكيف بالبشر؟ تعليق أ. عبد الرحيم [هل أدرك أبو العلاء، على نحو ما، أن ما يظهر من صورة النجوم هو مجرد صورة لا حقيقة لها وقت رؤيتها؛ فلمعان النجوم الراهن هو ما تبقى من أثر مخلوقات ميتة، مات بعضها قبل آلاف السنين؟! هل هذه الفكرة قديمة؟! وهل لهذا أقسم الله بـ«مواقع النجوم» ولم يقسم بالنجوم ذاتها؟!]

كـأنّـيَ فـي لِـسـانِ الـدهـرِ لَـفْـظٌ تَـضَـمَّـنَ مـنـه أَغْـراضـاً بِـعـادا

كأنني لفظ في لسان الزمن، وهو لفظ ذو معان عميقة

يُـكَـرِّرُنـي لِـيـفـهَـمَـنـي رجـالٌ كـمـا كَـرَّرْتَ مـعـنـىً مُـسْـتَـعـادا

يكرر الرجال النظر في شخصيتي وأقوالي محاولين فهمي، مثلما يكرر المرء معنى غامضاً يكثر من استعادته. وكثير من أبياتك في سقط الزند يا أبا العلاء تحتاج إلى استعادة وإعمال ذهن. وبالفعل كفَّرك ناس ورفعك ناس فوق المجرة، واحتارت في شأنك الدهور لأنك سبقت عصرك، صدقت في هذا البيت ولم تفخر بأكثر مما هو لك.. نسأل الله لك حياة مديدة في عقول وقلوب الناس

ولـو أنّـي حُـبِـيـتُ الـخُـلْـدَ فَـرْداً لـمـا أَحْـبَـبْـتُ بِـالـخُـلْـدِ انْـفِـرادا

حبيت: مُنحت

فـلا هَـطَـلَـتْ عَـلَـيَّ ولا بِـأَرْضـي سَـحـائِـبُ لـيـس تَـنـتَـظِـمُ الـبـلادا

لا يريد سحاباً يسقي بلده وحدها، ويشترط أن يكون المطر عمومياً

وكم مِنْ طالبٍ أَمَدي سَيَلْقَى ... دُوَيْنَ مَكانِيَ السَّبْعَ الشِّدَادا

يعود للفخر: كم من رجل يسعى للوصول إلى منزلتي، وهو يرى السبع الشداد، أي السماوات السبع، تحتي

يُؤَجِّجُ في شُعاعِ الشمسِ ناراً ... ويَقْدَحُ في تَلَهُّبِها زِنادا

هذا الذي يحاول الوصول إلى منزلتي هو كمن يوقد ناراً ليستضيء بها والشمس مشرقة، فيقدح الزناد، أداة إشعال النار، والشمس متلهبة

ويَطْعَنُ في عُلايَ وإنَّ شِسْعِي ... لَيَأْنَفُ أن يكونَ له نِجادا

يطعن في فضلي مع أن شسع نعلي، جلدته التي تغطي أعلى القدم، يأنف أن يكون نجاداً لسيفه، حمالة يعلق بها السيف

ويُظْهِرُ لي مودَّتَه مَقالاً ... ويُبْغِضُني ضَميراً واعتِقادا

فلا وأبيكَ ما أخشَى انتِقاصاً ... ولا وأبيكَ ما أرجو ازدِيادا

يصف المعري نفسه بالكمال. وينبهنا الخوارزمي إلى بيت المتنبي: من كان فوق محل الشمس موضعه/فليس يرفعه شيء ولا يضع

لِيَ الشرفُ الذي يَطَأُ الثُّريَّا ... مع الفضلِ الذي بَهَرَ العِبادا

وبعضُ الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شمسٍ ... يَغيبُ، فإن أضاءَ الفجرُ عادا

بعض الظاعنين، الراحلين، مثل قرن الشمس يرحل ثم يعود فجراً.. بعض الناس يغضبون لكرامتهم قليلاً فيبتعدون، ثم يسرعون بالعودة لأقل بادرة..

ولَكِنِّي الشبابُ، إذا تَوَلَّى ... فجَهْلٌ أن تَرُومَ له ارتِدادا

لكني أنا مثل الشباب فإذا تولى وذهب فمن الجهل أن تحاول رده.. أي أنني إذا غضبت وانصرفت فلا عودة لي.. وكان في المعري أنفة وكان يكرم نفسه عن مخالطة الكبراء

وأَحْسَبُ أن قلبيَ لو عَصاني ... فعاوَدَ، ما وَجَدْتُ له افْتِقادا

لو عصاني قلبي ثم عاد إلي لما أحسست بالافتقاد إليه

ولي نَفْسٌ تَحُلُّ بِيَ الرَّوابي ... وتأبَى أن تَحُلَّ بِيَ الوِهَادا

نفسي عالية تحل بي في الروابي المرتفعة وتأبى النزول في الوهاد، الوديان

عَمَدْتُ لِأَحْسَنِ الحَيَّيْنِ وَجْهاً ... وأَوْهَبِهِمْ طَريفاً أو تِلادا

بدأ يمدح: قصدت رجلاً هو أحسن القومين، والمثنى يقوم مقام الجمع. يقصد أحسن الناس، وجهاً، وأكثرهم منحاً للطريف، المال المكتسب، والتلاد، الأموال الموروثة

وأَطَـوَلِـهِـمْ إذا رَكِـبُـوا قـنـاةً وأرفَـعِـهِـمْ إذا نَـزَلُـوا عِـمـادا

أطول الناس رمحاً إذا ركب للمعركة، وأرفعهم عماداً، أطولهم عمود خيمة.. وعمود الخيمة الطويل كناية عن عظم الخيمة.. أي أنه سيد القوم

فتىً يَهَبُ اللُّجَيْنَ المَحْضَ جوُداً ويَـدَّخِـرُ الـحَـديـدَ لـهُ عَـتـادا

يعطي اللجين المحض، الفضة الخالصة، للناس، ولكنه يدخر الحديد عتاداً للحرب

جَهولٌ بِالـمَناسِكِ ليس يَدري أَغَـيّـاً بَـاتَ يـفـعـلُ أم رَشَـادا

المناسك: الذبائح. فهو رجل لا يعرف كيف تذبح الإبل لأنه سيد يترك مثل هذا الأمر للخدم.. هذه فحوى شرح البطليوسي. ونغلّب قول التبريزي «يصفه بأنه بدوي قح لا يخالط أهل الحضر»

طَمُوحُ السيفِ لا يَخْشى إلَهاً ولا يَـرجُـو الـقِـيـامَـةَ والـمَـعَـادا

في الحرب سيفه طموح، متلهف للقتل، فالسيف لا يخشى في القتل الله ولا يرجو قيامة ولا بعثاً. تعليق البطليوسي: «هذا معنى كثير في الشعر المحدث والقديم، إلا أن المعري استعمله بلفظ شديد البشاعة ظاهر الشناعة، ينكره من يراه، ويتأوله على غير معناه»

١٢ حب الحياة

وحُبُّ الفتى طولَ الحياةِ يُذِلُّه وإن كـانَ فـيـهِ نَـخـوَةٌ وعُـرامُ

تعلق المرء بالحياة يعرضه للذل حتى وإن كان فيه نخوة وشهامة وعرام، شراسة

وكلٌّ يُريدُ العيشَ، والعيشُ حَتْفُهُ ويَستعذبُ اللذّاتِ وَهْيَ سِمامُ

كل إنسان يريد الحياة، والحياة في الواقع طريق الموت، وكل إنسان يرى اللذات عذبة، وهي سموم

١٣ النابحون

تَـعـاطَـوْا مَـكـانـي وقـد فُـتُّـهُـمْ فـمـا أَدرَكُـوا غـيـرَ لَـمـحِ الـبَـصَـرْ

تعاطوا مكاني، رفعوا أيديهم عالياً لينالوا مكاني، وقد ارتفعتُ كثيراً عنهم، فبالكاد أبصروني لمحاً

وقـد نَـبَـحـوُنـي، ومـا هِـجْـتُـهُـمْ كـمـا نَـبَـحَ الـكـلـبُ ضَـوْءَ الـقـمـرْ

هجتهم: أهجتهم وهيجتهم

١٤ ابْكِ هنداً

حَـيِّ مِـن أجـلِ أَهْـلِـهِـنَّ الـدِّيـارا وابْـكِ هِـنـداً لا الـنُّـؤْيَ والأَحْـجَـارا

حي الديار الخربة من أجل أهلها الذين رحلوا عنها، وابك هنداً ولا تبك النؤي، القناة المحفورة حول الخيمة التي تمنع ماء المطر، ولا الأحجار

هِيَ قالتْ لَمَّا رأتْ شيْبَ رَأسي ... وأَرادَتْ تَنَكُّراً وازْوِرَارا:

قالت هند إذ رأت شيب رأسي، ونوت التنكر لي والازورار، الانحراف، عني:

أنا بَدْرٌ وقد بدا الصُّبْحُ في رأْ ... سِكَ، والصبحُ يَطرُدُ الأقمارا

١٥ الحب المضمحل

لِلَّهِ أيامُنا المَواضي ... لو أن شيئاً مضى يَعودُ

التسويد لأحمد عبد الرحيم

أَبْلَى وِدادي لَكُمْ زمانٌ ... أَلْيَنُ أحداثِهِ حَديدُ

لم يَبْلَ مِن بِذْلَةٍ، ولكنْ ... يبلى على طَيِّهِ الجَديدُ

ودي لكم لم يصبه البِلى والاهتراء من بذلةٍ، لأنني بذلته لغيركم، لكن لمرور الزمن؛ فالثوب الجديد يبلى حتى وهو مطوي غير ملبوس.. يبليه الزمن

١٦ ألا ليت الشباب

مِنكِ الصُّدودُ ومِنِّي بِالصُّدودِ رِضَا ... مَن ذا عَلَيَّ بِهذا في هَواكِ قَضَى

بي منكِ ما لو غَدا بالشمسِ ما طَلَعَتْ ... مِن الكآبَةِ، أو بِالبرقِ ما وَمضا

لحق بي بسببك من الكآبة ما لو كان بالشمس لما طلعت، وما لو كان بالبرق لما أومض، وأومض مثل ومض

إذا الفَتى ذَمَّ عَيشاً في شبيبَتِه ... فما يقولُ إذا عصرُ الشبابِ مَضى؟

وقد تَعَوَّضْتُ عن كُلٍّ بِمُشْبِهِهِ ... فما وجدْتُ لِأيامِ الصِّبا عِوَضا

استعضت عن كل شيء بآخر مشابه له، ولكنني لم أجد لأيام الصبا شبيهاً يعوضني عنها

وقد غَرِضْتُ من الدنيا فهل زمني ... مُعْطٍ حياتي لِغِرٍّ بعدُ ما غَرِضا

غرضت: ضجرت، غر: فتى غير مجرب

جربْتُ دَهرِي وأهليهِ، فمَا تركتْ ... لِيَ التَّجارِبُ في وُدِّ امْرِئٍ غَرَضا

وليلةٍ سِرْتُ فيها، وابْنُ مُزْنَتِها ... كَمَيِّتٍ عادَ حيّاً بعدَ ما قُبضا

رب ليلة سرت فيها، وكان ابن مزنتها، أي ابن غيمتها أي الهلال إذ يخرج من وراء المزنة أي الغيمة، مختفياً كأنه ميت ثم خرج وظهر حياً

كـأنَّـمـا هِـيَ إذ لاحَـتْ كـواكـبُـهـا   خَوْدٌ مِن الزَّنْجِ تُجْلَى وُشِّحَتْ خَضَضا

هذه الليلة كأنها خود، فتاة، زنجية تجلى، تُبرَز، والكواكب كأنها الخضض، الخرز الصغار، توشحها، تكون وشاحاً لها

كـأنَّـمـا الـنَّـسْـرُ مَـقـصُـوصٌ قَـوادِمُـهُ   فـالـضَّـعْـفُ يَـكْـسِـرُ منه كـلَّـمَا نَـهـضا

هذا الليل طويل فكأن النسر، مجموعة أنجم معروفة.. والنسر أيضاً الطائر المعروف، كأنه مقصوص القوادم، الريشات الظاهرة، فكلما جاء ينهض كسر الضعف منه.. فالنسر في السماء باق والليل باق

١٧ رسالة شكر

قال يجيب الشاعر أبا الخطاب الجُبَّلي وقد مدحه:

أَشَـفَـقْـتُ مِـن عِـبْءِ الـبـقـاءِ وعَـابِـهِ   ومَـلِـلْـتُ مِـنْ أَرْيِ الـزمـانِ وصَـابِـهِ

ضجرت من عبء الحياة ومن عابها، عيبها، ومللت من أري الزمان وصابه، من عسله ومُرِّه

ووجـدتُ أحـداثَ الـلـيـالِـي أُولِـعَـتْ   بِـأَخِـي الـنَّـدى تَـثْـنـيـهِ عـن آرابِـهِ

مصائب الزمن مغرمة بملاحقة أخي الندى، ذي السخاء، تثنيه وتبعده عن آرابه، أهدافه

أَلْـبَـسْـتَـنـي حُـلَـلَ الـقَـريـضِ وَوَشْـيَـهِ   مـتـفـضِّـلاً فَـرَفَـلْـتُ فـي أثـوابِـهِ

كسوتني من شعرك ثوباً جميلاً فرفلت فيه، أي تبخترت

١٨ المترفع عن المزاحمة

يرثي أباه:

أَبِي حَكَمَتْ فيهِ الليالِي، ولـم تزلْ   رماحُ الـمنايا قادراتٍ على الطَّعْنِ

أمات الزمن أبي، ورماح الزمن دوماً قادرة على الطعن

فيا لـيـتَ شِـعـرِي هل يَـخِـفُّ وَقارُهُ   إذا صارَ أُحْدٌ في القِيامَةِ كَالعِهْنِ؟

هل يخف وقار أبي إذا صار جبل أُحُد يوم القيامة كالعهن، كالصوف المصبوغ؟

وهـل يَـرِدُ الـحَـوضَ الـرَّوِيَّ مُـبـادِراً   مع الناسِ أم يَأْبَى الزِّحَامَ فَيَسْتَأْني؟

وهل يأتي في يوم الحشر إلى حوض الرسول الذي يروي عطاش المؤمنين مبادراً، مسرعاً، ضمن زحام الناس، أم يترفع عن المزاحمة وينتظر؟

فَلَيْتَكَ في جَفْـنِـي مُـوارَىً، نَـزَاهَـةً   بِتلكَ السَّجايا عن حَشايَ وعن ضِبْني

ليتك يا أبي مدفون في عيني.. وأنا أنزهك، بسجاياك وصفاتك الجليلة، عن القول: ليتك مدفون في أحشائي أو في ضبني، خاصرتي

فيا قَبْرُ، وَاهٍ مِن تُرابِكَ لَيِّناً   عليهِ، وآهٍ من جَنادِلِكَ الخُشْنِ

أيها القبر واهٍ، أتلهف، من ترابك اللين الذي يمس جسمه، وآهٍ، أتألم، من جنادلك، صخورك، الخشنة

١٩ خفِّفِ الوَطْء

يرثي فقيهاً حنفياً يكنى بأبي حمزة:

غيرُ مُجْدٍ في مِلَّتي واعتِقادي   نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شادِ

ليس مجدياً، فيما أعتقد وأومن، نوح الباكي ولا ترنم الشادي المغني.. فهي حياة فانية لا تستحق الحزن ولا الفرح

وَشبيهٌ صوتُ النَّعِيِّ إذا قيـ   ـسَ بِصوتِ البَشيرِ في كلِّ نادِ

صوت النعي، الناعي المخبر بالوفاة، مثل صوت المبشر بميلاد طفل في كل مجلس

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمامَةُ أم غَنَّـ   ـتْ على فرعِ غُصنِها المَيَّادِ؟

فهل ترون أن الحمامة بصوتها الغريب تبكي أم هي تغني على غصنها المياد، المتأرجح؟ لا فرق.. النوح مثل الغناء

صاحِ هذي قبورُنا تَملأُ الرُّحْـ   ـبَ فأينَ القبورُ من عهدِ عَادِ؟

يا صاحبي ها هي قبورنا تملأ الرُّحب، الساحات، فأين القبور القديمة من عهد قوم عاد؟

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظُنُّ أَديمَ الـ   أرضِ إلَّا من هذهِ الأَجسادِ

خفف الدَّوْس وأنت تمشي، فأديم الأرض، وجهها، ما هو إلا من أجساد الميتين في العصور القديمة

وقَبيحٌ بِنا، وإن قَدُمَ العهـ   ـدُ، هَوانُ الآباءِ والأجدادِ

وقبيح بنا أن نهين آباءنا وأجدادنا حتى وإن قدم العهد بهم

سِرْ إن اسْطَعْتَ في الهواءِ رُوَيْداً   لا اختيالاً على رُفَاتِ العِبادِ
رُبَّ لَحدٍ قد صار لَحداً مِراراً   ضاحِكٍ من تَزاحُمِ الأَضّدادِ

رب قبر تهدم واختفى ثم حفر مرة أخرى وأخرى فدفن فيه آخرون، وهو يضحك من تزاحم أضداد وأشتات الناس عليه

ودَفينٍ على بقايا دَفينٍ   في طويلِ الأزمانِ والآبادِ
فاسألِ الفرقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَّا   من قَبيلٍ وآنَسا مِن بِلادِ

اسأل هذين النجمين، الفرقدين، عمن رأيا من قبيل، قبائل، وما آنسا، عرفا، من بلاد

كـم أقـامـا عـلـى زوالِ نـهـارٍ وأنـارا لِـمُـدْلِـجٍ مِـن سَـوادِ

كم مكثا يريان النهار يزول وينيران الطريق لمدلج، لسائر ليًلاً

تَـعَـبٌ كـلُّـهـا الـحـيـاةُ فـمـا أَعْـ ـجَـبُ إلَّا مِـن راغِـبٍ فـي ازديـادِ

إن حزناً في ساعةِ الموتِ أضعَا فُ سُرورٍ في ساعةِ الـمـيـلادِ

خُـلِـقَ الـنـاسُ لـلـبـقـاءِ، فَـضَـلَّـتْ أُمَّـةٌ يَـحـسَـبُـونَـهُـمْ لـلـنَّـفَـادِ

الناس مخلوقون للبقاء بعد الموت في الآخرة، وضل من يحسبهم خلقوا للنفاد، الفناء

إنَّـمـا يُـنـقَـلـونَ مِـن دَارِ أعـمـا لٍ إلـى دَارِ شِـقـوةٍ أو رَشـادِ

ينقلون من دار أعمال، الدنيا، إلى دار شقوة، النار، أو دار رشاد، الجنة

ضَجْعَةُ الموتِ رقْدَةٌ يستَريحُ الـ ـجسمُ فيها، والعيشُ مثلُ السُّهادِ

الانسداح في القبر نوم يستريح به الجسم، وأما الحياة فهي بمثابة السهاد، النعاس قبل النوم

أَبـنـاتِ الـهَـديـلِ أَسْـعِـدْنَ أَوْ عِـدْ نَ قـلـيـلَ الـعَـزاءِ بـالإِسْـعـادِ

يا بنات الهديل، أيتها الحمائم، أسعدن، ساعدن، أو على الأقل قَدِّمْنَ وعداً بالمساعدة للقلِق القليل العزاء

إيـهِ، لـلَّـهِ دَرُّكُـنَّ، فـأنـتُـنَّ الـلـواتـي يُـحْـسِـنَّ حِـفْـظَ الـوِدادِ

مـا نَـسيـتُـنَّ هَـالِـكـاً فـي الأوانِ الـ ـخَـالِ أَوْدَى مِـن قـبـلِ هُـلْـكِ إيـادِ

ودليل حفظ الحمائم للود أنهن لم ينسين الابن المسمى «الهديل» الذي مات في الزمان الخالي العتيق قبل موت إياد، جد قبيلة إياد. تقول الأسطورة إن الحمامة فقدت ولدها «الهديل» فظلت تبكيه، لذا سمي صوت الحمام هديلاً

بَيْدَ أَنّي لا أَرْتَضـي ما فَعَلْتُنَّـ ـوأَطْـوَاقُـكُـنَّ فـي الأجـيـادِ

غير أني لا أرضى بكاءكن وأنتن تتحلين في أعناقكن بالأطواق. وأطواق الحمائم ريش لها حول العنق، جعله شاعرنا طوق زينة

فَـتَـسَـلَّـبْـنَ واسْـتَـعِـرْنَ جـمـيـعـاً مِـن قَـمِـيـصِ الـدُّجَـى ثِـيـابَ حِـدادِ

فتسلبن، اخلعن ثيابكن، وخذن من قميص الليل ثوب حداد أسود

ثـم غَـرِّدْنَ فـي الـمـآتـمِ وانـدُبْـ ـنَ بِـشَـجْـوٍ مع الـغَـوانـي الـخِـرادِ

ثم بعد ذلك غردن واندبن في المآتم مع النساء الخراد، الخجولات

قَصَدَ الدهرُ مِن أبي حَمْزَةَ الأَوَّ ـابِ مَوْلَى حِجاً وخِدْنَ اقْتِصَادِ

قصد الدهر بمصائبه أبا حمزة الأواب، الراجع بشؤونه إلى الله، وهو مولى حجاً، صاحب عقل، وخدن اقتصاد، حليف اتزان غير متشدد

وفَقيهاً أفكارُهُ شِدْنَ للنُّعْـ ـمانِ مَا لم يَشِدْهُ شعرُ زِيادِ

وهو فقيه شيدت أفكاره للنعمان (أبي حنيفة النعمان) ما لم يشيده شعر زياد، النابغة الذبياني الذي بنى للملك النعمان قصوراً من قصائد المدح

فالعِراقِيُّ بعدَه للحِجازِيِّ ـ قَليلُ الخِلافِ سَهْلُ القِيادِ

فبعد الفقيه الفقيد أصبح العراقي، من يتبع أبا جنيفة فقيه العراق، قليل الخلاف للحجازي، من يتبع الشافعي القرشي، وأصبح سهل القياد، مطواعاً، لأنه فقد بموت فقيهنا الحنفي سنداً كبيراً

وخَطِيباً لو قامَ بينَ وُحُوشٍ عَلَّمَ الضَّارِياتِ بِرَّ النِّقَادِ

أخذ الموت خطيباً مفوهاً لو خطب بين الوحوش الضارية لعلمها كيف تكون رفيقة وبارة بالنقاد، بصغار الغنم

وَدِّعَا أيُّها الحَفِيَّانِ ذاكَ الشَّـ ـخْصَ، إن الوَداعَ أَيْسَرُ زَادِ

أيها الصاحبان الحفيان، المهتمان بدفن الرجل، ودعاه فلا كلفة في الوداع

واغسِلاهُ بالدمعِ، إن كانَ طُهْراً، وادفِناهُ بينَ الحَشا والفُؤادِ

واغسلاه بالدمع إن كان دمعكما طاهراً، وادفناه بين البطن والقلب إكراماً له عن الدفن في التراب (قال بعضهم إن دمع العينين ليس طاهراً لاختلاطه بدم)

واحْبُواهُ الأكفانَ مِن وَرَقِ المُصْـ ـحَفِ كِبْراً عن أنْفَسِ الأَبْرادِ

وامنحاه كفناً من ورق المصحف تنزيهاً له حتى عن أثمن الأثواب

واتْلُوا النَّعْشَ بِالقراءةِ والتَّسْـ ـبيحِ لا بالنَّحيبِ والتَّعْدادِ

اتلوا: اتبعا، التعداد: ضرب من النواح فيه تعداد لمحاسن الميت

طالما أخرجَ الحزينُ جَوى الحُزْ نِ إلى غيرِ لائِقٍ بِالسَّدادِ

كثيراً ما يخرج الشخص الحزين ألم الحزن بشكل غير لائق بالسداد، الصواب

مثلَما فَاتَتِ الصلاةُ سُليما نَ فَأنْحَى على رقابِ الجِيادِ

هذا مثلما فاتت صلاة العصر النبي سليمان فغضب وصار يضرب رقاب الخيل لأن تأمله محاسنها شغله عن الصلاة

وَهْوَ مَنْ سُخِّرَتْ له الإنْسُ والجِنُّ ـ بِما صَحَّ مِن شَهادةِ صَادِ

وسليمان هو من سخر الله له الإنس والجن كما ورد في سورة ص من القرآن

خافَ غَدْرَ الأنامِ فاستَوْدَعَ الريـ ـحِ سَليلاً تَغْذُوهُ دَرَّ العِهَادِ

خاف سليمان على سليله، ولده، غدر الناس فجعله ـ وكان ولده الوحيد ـ وديعة عند الريح تغذيه من در العهاد، ماء المطر لا غير

وتَـوَخَّـى لـه الـنـجـاةَ وقـد أيـ ـقـنَ أنَّ الـحِـمـامَ بِـالـمِـرْصـادِ

أراد له النجاة موقناً أن الموت يترصده

فَـرَمَـتْـهُ بـه عـلـى جَـانِـبِ الـكُـر سِـيِّ أمُّ الـلُّـهَـيْـمِ أُخْـتُ الـنَّـآدِ

فرمت أم اللهيم، المنية الموت، النآد، الداهية، سليمان بولده على كرسي العرش ميتاً. تعليق أ. عبد الرحيم: [أكره أن أتقحَّم عليك ذوقك في الاختيار.. ولكن اسمح لي، هذه الأبيات الخمسة لا شعر فيها، ولا علاقة لها حسنةً بسياق الرثاء العالي.. وفوق هذه وتلك هي مبنية على رواية منكَرةٍ! فما وجه استحسانكها؟!] الرد: يقول المثل الإنجليزي «لا محاسبة على المزاج». وأنا أجد لذة في هذه الروايات «المنكرة» لأنني أراها فولكلوراً

كيف أصبحتَ في مَحلِّكَ بَعدي يـا جديراً مني بِحُسْنِ افْتِقادِ؟

كيف أصبحت أيها الفقيه بعد تركي إياك؟ وما كان أجدرك بأن أفتقدك وأسأل عنك

قـد أَقَـرَّ الـطـبـيـبُ عنـكَ بِـعَـجْـزٍ وتـــقـــضَّـــى تَـــرَدُّدُ الـــعُـــوَّادِ

أقر الطبيب بعجزه عن مداواتك، وخف قدوم الزائرين

هَـجَـدَ الساهِـرونَ حَـولَـكَ لـلـتَّـمْـ ـريـضِ، وَيْـحٌ لِأعْـيُـنِ الـهُـجَّـادِ

والساهرون على رعايتك في آخر أيام مرضك قد هجدوا، ناموا، فويح أعين هؤلاء النُّوَّام

كـنـتَ خِـلَّ الـصِّـبـا فَـلَـمَّـا أَرادَ الـ ـبـيـنَ وَافَـقْـتَ رأيَـه فـي الـمُـرادِ

كنت صديقاً لوقت الشباب فلما أراد صديقك «الشباب» البين، الرحيل عنك، وافقته في مراده ورحلت مع رحيل الشباب. مات الفقيد شاباً

ورأيـتَ الـوفـاءَ لـلـصـاحـبِ الأوَّ ـ لِ مِـنْ شـيـمَـةِ الـكـريـمِ الـجَـوادِ

ورأيت الوفاء للصديق الأول من أخلاق الكريم، وأنت وفيت للشباب وعندما ذهب ذهبت

وخَلَعْتَ الشَّبابَ غَضّاً، فيَا ليْـ ـتَـكَ أبْـلَـيْـتَـهُ مـع الأنـدادِ

خلعت الشباب وأنت غض طري العود، فليتك أبليت شبابك وعشت طويلاً مع أندادك في العمر

فـاذهَـبـا خيـرَ ذَاهِـبَـيْـنِ حَـقـيقَـيْـ ـنِ بِـسُـقْـيَـا رَوائِـحٍ وغَـوادِ

فاذهب أنت والشباب يا خير ذاهبين حقيقين، جديرين، بسقيا السحب الروائح الغوادي، الآتية مساء وصباحاً

ومَـراثٍ لـو أنَّـهُـنَّ دمـوعٌ لَـمَـحَـوْنَ الـسُّـطـورَ فـي الإنْـشـادِ

مراثينا لك رقيقة حزينة فلو كن من دموع لمحون السطور ونحن ننشدها

زُحَلٌ أشرفُ الكواكبِ داراً   مِنْ لِقاءِ الرَّدَى على ميعادِ

كوكب زحل هو أشرف الكواكب، أعلاها، داراً، مداراً، وهو على موعد مع الموت أيضاً

كلُّ بيتٍ لِلهَدْمِ: ما تَبْتَني الوَرْ   قاءُ والسيدُ الرفيعُ العِمادِ

كل بيت مصيره الهدم: بيت الورقاء، الحمامة، وبيت السيد الرفيع العماد، العالي عمود الخيمة

بانَ أمرُ الإلهِ واختلَفَ النا   سُ فَداعٍ إلى ضَلالٍ وهَادِ

أمر الله واضح، والناس مختلفون بين من يدعو للضلال وبين من يهدي الناس

والذي حارَتِ البَرِيَّةُ فيهِ   حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ

احتارت البرية، الناس، في البعث فكيف تعاد الحياة إلى العظام التي صارت بحكم الجماد. هذا التفسير يسير مع الأبيات السابقة التي تتحدث عن جسد مات. والذي يريد أن يرفع الشبهة عن أبي العلاء يفسر بأن الجماد هو الطين ومنه استحدث الحيوان، أي الإنسان والحيوان جميعاً

واللبيبُ اللبيبُ مِنْ ليس يَغْتَرُّ   بِكَوْنٍ مَصيرُهُ لِفَسَادِ

اللبيب اللبيب: اللبيب الحقيقي

٢٠ التراب المسلط علينا

يرثي ابن عمه جعفراً:

أحسَنُ بِالواجِدِ مِن وَجْدِهِ   صبْرٌ يُعيدُ النارَ في زَنْدِهِ

أحسن من وجد الواجد، حزن الحزين، صبر يعيد نار الحزن إلى زندها، والزند هو أداة إشعال النار.. الصبر ليس تفريغاً للحزن بل يخزنه في جوف المرء

ومَنْ أَبَى في الرُّزْءِ إلّا الأَسى   كانَ بُكاهُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ

ومن أصر في الرزء، المصيبة، على الأسى، الحزن، كان أقصى ما يفعله البكاء

فَلْيَذْرِفِ الجَفْنُ على جعفرٍ   إذ كانَ لم يُفْتَحْ على نِدِّهِ

فليذرف الجفن إذن دمعه على جعفر، فالجفن لم يُفتح على مثيل جعفر، أي أن العين لم تر له نظيراً

تَجرِبةُ الدنيا وأفعالُها   حَثَّتْ أخا الزهدِ على زُهْدِهِ

إنَّ زَمانِي بِرزَاياهُ لِي   صَيَّرني أَمْرَحُ في قَيْدِهِ

لكثرة مصائبه علي جعلني الزمن أتعود كما يتعود الحصان على القيد، ويمرح وهو مقيد

كـأنَّـنـا فـي كَـفِّـهِ مَـالُـهُ   يُـنـفِـقُ مـا يـخـتـارُ مِـنْ نَـقْـدِهِ

كأننا في كف الزمن مال يملكه وينفق منه كما يشاء

لـو عـرفَ الإنـسـانُ مِـقـدارَه   لـم يـفـخرِ الـمَولَى على عبدِهِ

أمسِ الـذي مَـرَّ عـلـى قُـرْبِـهِ   يَـعْـجِـزُ أهـلُ الأرضِ عـن رَدِّهِ

أَضْـحَـى الـذي أُجِّـلَ فـي سِـنِّـهِ   مـثـلَ الـذي عُـوجِـلَ فـي مَـهـدِهِ

الميت كبيراً في السن كالميت في مهده.. هو موت والسلام

ولا يُـبـالـي الـمَـيْـتُ في قـبـرِهِ   بِـذَمِّـهِ شُـيِّـعَ أم حَـمْـدِهِ

وحَـالَـةُ الـبَـاكـي لِآبـائِـهِ   كَـحَـالَـةِ الـبَـاكـي عـلـى وُلْـدِهِ

مـا رَغـبـةُ الـحَـيِّ بِـأبـنـائِـهِ   عـمَّـا جَـنَـى الـمَـوتُ عـلـى جَدِّهِ؟

لماذا يرغب الإنسان بأبنائه عن الموت، ويحميهم منه، والموت قد جنى جنايته على جده؟

ومَـجْـدُهُ أفـعـالُـهُ لا الـذي   مِـنْ قَـبْـلِـهِ كـان ولا بَـعـدِهِ

مجد الإنسان أفعاله.. لا أجداده من قبله، ولا أولاده بعدَه

لـولا سَـجـايـاهُ وأخـلاقُـهُ   لَـكـانَ كـالـمَـعـدومِ فـي وَجْـدِهِ

لولا سجاياه، صفاته، وأخلاقه فإن الإنسان كأنه معدوم في وجده، رغم وجوده في الحياة

تَـشْـتـاقُ أَيَّـارَ نُـفـوسُ الـوَرى   وإنَّـمـا الـشـوقُ إلـى وَرْدِهِ

فالعبرة بالسجايا لا بالجسم.. وهذا كمثل شوق الناس إلى أيار، مايو، والواقع أنهم يشتاقون إلى ورده لا إليه من حيث هو شهر من الأشهر

أفضلُ ما في النفسِ يَغتالُها   فـنـسـتَـعـيـذُ الـلَّـهَ مِـنْ جُـنـدِهِ

أفضل ما في نفس الإنسان هو ما يؤديها إلى الهلاك.. فقد تكون شجاعة الشجاع سبباً لمقتله، أو طيبة الطيب سبباً في اغتياله.. الخ

فَـآفَـةُ الـعـاشـقِ مِـنْ طَـرْفِـهِ   وآفَـةُ الـصَّـارِمِ مِـنْ حَـدِّهِ

وهذا مثل العاشق الذي تأتيه الآفة من عينه التي يرى بها المعشوقة فيقع في الهوى، وآفة السيف في حده (فهو من بين كل جوانب السيف الجزء الذي يتعرض للانثلام والتفلل والفساد)

كـم صَـائِـنٍ عـن قُـبْـلَـةٍ خَـدَّهُ   سُـلِّـطَـتِ الأرضُ عـلـى خَـدِّهِ

كم من امرأة تصون خدها عن القبلة ثم تموت فتتسلط الأرض على خدها وتبليه

وحَامِلٍ ثِقْلَ الثَّرَى جِيدُهُ   وكانَ يَشكُو الثِّقْلِ مِنْ عِقْدِهِ

وكم من امرأة يحمل جيدها، عنقها، ثقل التراب وهي في قبرها.. وكانت تشكو في حياتها من أن عقدها ثقيل

جاءَكَ هذا الحزنُ مُسْتَجدِياً   أَجْرَكَ في الصَّبْرِ، فَلا تُجْدِهِ

هذا الحزن جاءك كي يستجدي منك الأجر الذي كتبه الله للصابرين (فإن جزعت ولم تصبر ذهب الأجر)، لذا لا تُجْدِه، لا تعطه ما جاء يستجديه

سَلِّمْ إلى اللَّهِ، فكلُّ الذي   ساءَكَ أو سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ

٢١ التعزية المتأخرة

وكَرِهْتُ مِنْ بعدِ الثَّلاثِ تَجَشُّمِي   طُرُقَ العَزاءِ على تَغَيُّرِ سَمْتِها

يعتذر عن تأخره في تقديم العزاء في ميت: كرهت بعد ثلاثة أيام على الوفاة أن أتجشم سلوك طرق العزاء على اختلاف أشكالها

وعَلَيَّ أن أَقْضي صَلاتِيَ بعدَما   فاتَتْ إذا لم أَقْضِها في وقتِها

ومع ذلك لا بد من عزاء، مثلما لا بد من قضاء الصلاة إذا فاتتك

٢٢ رويداً عليها

رُوَيْداً عليها إنَّها مُهَجَاتُ   وفي الدهرِ مَحْياً لِامْرِئٍ ومَماتُ

رويداً أيها الزمن، ترفق بنا فالذي في جوفنا مهجات، قلوب.. وكما أننا نحيا الآن سنموت بعد حين، فلا تستبق الموت بمصائبك

أَرى غَمَراتٍ يَنْجَلِينَ عن الفَتى   ولكنْ تُوافي بعدَها غَمَراتُ

أرى غمرات، أزمات، ينجلين، ينكشفن، ثم تأتي بعدها أزمات جديدة

ولا بُدَّ لِلإنسانِ مِنْ سُكْرِ ساعةٍ   تُهونُ عليهِ غيرَها السَّكَراتُ

ثم تأتي سكرة الموت التي تهون بالنسبة إليها كل السكرات، كل المصائب

أَلا إنَّما الأيامُ أبناءُ واحِدٍ   وهذي اللَّيالي كلُّها أَخَوَاتُ

الأيام متشابهة وكذا الليالي، فيوم الحزن شبيه بيوم السعادة

فلا تَطْلُبَنْ مِنْ عندِ يَومٍ وليلةٍ   خِلافَ الذي مَرَّتْ بهِ السنواتُ

فلا تطلب من الزمن أن يجود بما لم يجد به قط.. وهو الاستقرار والهناء

٢٣ وقد علم الروميُّ

يصف غزوة لعلي بن الحسين المعروف بابن المغربي ضد الروم:

بَنِي الغَدرِ هل أَلْفَيْتُمُ الحربَ مُرَّةً؟ وهل كَفَّ طَعْنٌ مِنكُمُ ونِضَالُ؟

يخاطب الروم: يا أبناء الغدر، هل وجدتم الحرب مُرَّة صعبة؟ ولكن، هل كففتم يوماً عن الطعن، بالرماح، والنضال، أي رمي السهام

فإنْ تَسْلَمُوا مِنْ سَوْرَةِ الحربِ مَرَّةً وتَعْصِمْكُمُ شُمُّ الأُنوفِ طِوالُ..

إن سلمتم من سورة الحرب، هجمتها، إحدى المرات، وعصمتكم، حمتكم، الجبالُ ذات الأنوف، أي القمم، الشم، العالية

ففي كلِّ يومٍ غارةٌ مُشْمَعِلَّةٌ وفي كلِّ عامٍ غَزْوةٌ ونِزالُ

ففي كل يوم تلاقون غارة مشمعلة، سريعة، وفي كل عام غزوة ومبارزة

وَقَى الخيلَ مِنْ مَاءِ المَخاضَةِ عِفَّةٌ وهُنَّ إلى مَاءِ النُّفُوسِ نِهَالُ

الخيل تعف عن ماء المخاضة، ماء الجدول، فهي نهال، عطاش، إلى ماء النفوس، أي الدم

يَرِدْنَ دِماءَ الرُّومِ وَهْيَ غَرِيضَةٌ ويَتْرُكْنَ وِرْدَ الماءِ وَهْوَ زُلالُ

ترد الخيول دماء الروم وهي طرية، وتترك الماء وهو زلال صاف

تَدَانَتْ بِهِ الأقْرانُ حتَّى تَجاثَأَتْ كأنَّ قِتَالَ الفَيْلَقَيْنِ جِدالُ

تقاربت الأقران حتى تجاثأت، اقترب المتحاربون بعضهم من بعض حتى جثوا على ركبهم، فكأن قتال الفيلقين جدال لا قتال

وقد عَلِمَ الرُّومِيُّ أنَّكَ حَتْفُهُ على أنَّ بعضَ المُوقِنينَ يَخَالُ

أيقن الرومي أنك تأتي له بحتفه؛ ولكن، رغم اليقين فإن بعض من يكونون على يقين يخالون، يخامرهم الشك

فما كَبُرُوا حتى يَكونُوا فَرِيسَةً ولا بَلَغُوا أن يُقْصَدُوا فَيُنَالُوا

الروم ليسوا كبار القدر حتى يكونوا فريسة كافية لك أيها القائد، ولا بلغ قدرهم أن تقصدهم حتى تنال منهم

وإنَّ أبا الأَشْبالِ يَخْشَاهُ مِثْلُهُ ويأْمَنُ مِنهُ آرَضٌ ونِمَالُ

فأبو الأشبال، أي الأسد، يخشاه مثيله الأسد، ولكن الآرض، الحشرات المعروفة بالأَرَضَة وهي سوس الخشب، والنمل تأمن منه لأنها أحقر من أن يلتفت إليها.. فهم كذلك.. ولكن شاء سوء حظهم أن يقعوا بيدك. كأن هذه القصيدة من شعر المتنبي، لا بل كأن «سقط الزند» كله الجزء الثاني من ديوان المتنبي

٢٤ المسبار

لا يَعرِفونَ سِوى التَّقدُّمِ آسِيَاً ... فَجِراحُهُمْ بِالسَّمْهَرِيَّةِ تُسْبَرُ

هؤلاء الشجعان لا يعرفون سوى التقدم، حتى وإن أصابتهم جراح فالتقدم هو الآسي، أي الطبيب، وجراحهم تسبر، أي يقاس عمقها، بالسمهرية، أي بالرماح، وليس بمسبار الجراح المعهود

مِنْ كلِّ مَنْ لولا تَسَعُّرُ بَأْسِهِ ... لاخْضَرَّ في يُمنَى يَدَيْهِ الأَسْمَرُ

كل واحد فيهم لولا تسعر بأسه، اشتعال عزيمته، لأصبح الرمح الأسمر بيمينه أخضر لأن يده ندية.. أي مبتلة والندى هو الكرم، فخذ المعنى من هنا كما شئت

٢٥ الشوق إلى الوطن

طَرِبْنَ لِضَوْءِ البَارِقِ المُتَعَالي ... بِبغدَادَ وَهْنَاً؛ ما لَهُنَّ وما لي!

طربت الإبل، حزنت وحنت، لما رأت وهناً، ليلاً، ضوء البرق العالي ونحن في بغداد؛ فما لك وما لي أيتها الإبل، اتركيني بحالي

سَمَتْ نَحوَهُ الأَبصارُ حتى كأنَّها ... بِنَارَيْهِ مِنْ هَنَّا وثَمَّ صَوَالِ

ارتفعت الأبصار نحو البرق كأنها صوالٍ، تصطلي وتتدفأ، بناريه من هنا وثم، أي من هُنا وهُناك (تفسير البطليوسي: من هنا، أي من بغداد، ومن هناك، أي من الشام)

وكم هَمَّ نِضْوٌ أن يَطِيرَ مَع الصَّبَا ... إلى الشامِ، لولا حبْسُهُ بِعِقَالِ

ما أكثر ما هَمَّ نضو، جمل هزيل، أن يطير مع ريح الصبا إلى الشام لولا أنه محبوس بعقال، بقيْد

وهُنَّ مُنيفَاتٌ، إذا جُبْنَ وادياً ... تَوَهَّمْتَنا مِنْهُنَّ فوقَ جِبالِ

والإبل منيفات، عاليات، وإذ هي تجوب في الوادي فأنت تتوهم أننا فوق الجبال

تَلَوْنَ زَبُوراً في الحَنينِ مُنَزَّلاً ... عَلَيْهِنَّ، فيهِ الصبرُ غيرُ حَلالِ

كأن الإبل، وهي تصدر الأصوات، تتلو زبوراً، ككتاب سليمان، منزلاً عليهن، والصبر في زبور الإبل حرام غير حلال، فهي لا تصبر على البعد عن الوطن

وأنشدنَ من شعرِ المَطايا قصيدةً ... وأوْدَعْنَها في الشَّوقِ كلَّ مَقالِ

وأنشدت الإبل من شعر الدواب ـ جعل للدواب زبوراً وديواناً ـ قصيدة فيها معاني الشوق. تعليق أ. عبد الرحيم: [في مثل هذه الصور البديعة إرهاص بما سيكون في «الغفران» و«الصاهل والشاحج»!]

فيا بَرْقُ ليس الكَرخُ دَارِي، وإنَّما ... رَمانِي إليهِ الدهرُ منذُ لَيالِ

أيها البرق، إن الكرخ، وهي محلة ببغداد، ليس وطني، ولكن الزمن رماني هناك

فهل فيكَ مِنْ مَاءِ المعرَّةِ قَطْرَةٌ تُغيثُ بها ظَمآنَ ليس بِسَالِ؟

فهل فيك أيها السحاب البارق قطرة من ماء المعرة تسعف بها عطشان غير سالٍ، غير ناسٍ وطنَه؟

أَإِخْوانَنا بينَ الفراتِ وجِلَّقٍ يَدَ اللَّهِ لا خَبَّرْتُكُمْ بِمُحَالِ

يا إخواني بين الفرات وجلق، أي في بلاد الشام، يد الله، والله، إنني لا أخبركم بشيء مستحيل

أُنَبِّئُكُمْ أنِّي على العَهْدِ سَالِمٌ ووجْهِيَ لَمَّا يُبْتَذَلْ بِسُؤالِ

أنا على العهد سالم الكرامة، لم أبتذل وجهي بسؤال الناس واستجدائهم

وأنّي تَيَمَّمْتُ العراقَ لِغيرِ مَا تَيَمَّمَهُ غَيْلانُ عند بِلالِ

وقد قصدت العراق قصداً مختلفاً عن قصد غيلان، وهو ذو الرمة، بلالَ بن أبي بُردة.. وذو الرمة قصد بلالاً مستعطياً

فأصبَحْتُ مَحسُوداً بِفَضليَ وَحْدَهُ على بُعدِ أَنصاري وقِلَّةِ مَالي

وحسدت لفضلي فقط، ولم يكن حولي أنصاري، وكنت قليل المال

نَدِمْتُ على أرضِ العَواصِمِ بعدما غَدَوتُ بها في السَّوْمِ غيرَ مُغَالِ

ندمت على فراق أرض العواصم، منطقة حصون بين حماة وحلب، بعد أن أصبحتُ في السوم، الفِصال والمساومة، غير مغال بها.. أي أنني بعتها برأسمالها وتخليت عن الوطن

أرُوحُ فلا أخْشَى المَنايا وأتَّقي تَدَنُّسَ عِرْضٍ أو ذَميمَ فِعالِ

كنت في بلدي آمناً، ولديَّ وقاية من تدنيس العرض أو ذميم الفعل

إذا ما حِبالٌ مِنْ خَليلٍ تَصَرَّمَتْ عَلِقْتُ لِخِلٌّ غيرِهِ بِحِبالِ

وفي بلدي كنت إذا انقطعت علاقتي بصديق وجدت غيره

٢٦ ماء بلادي

أتعلَمُ ذاتُ القُرطِ والشِّنْفِ أنني يُشَنِّفُني بالزَّأرِ أَغلَبُ رِئبالُ

هل تعلم الفتاة ذات القرط، الحلق يعلق بشحمة الأذن، والشنف، أي الحلق يعلق بطرف الأذن، أنني يشنف أذني، يُسمعني، الأغلب الرئبال، الأسد، زئيره. أقارب الحبيبة الأشداء يمنعونها

فَيا دارَها بِالحَزْنِ إنَّ مَزارَها قَريبٌ، ولكنْ دونَ ذلكَ أهوالُ

فيا دارها بالحزن، على الربوة، إن المكان قريب للزيارة ولكن يمنع هذه الزيارة أهوال هي الرقباء

إذا جَنَّ لَيْلِي جُنَّ لُبِّي، وزائدٌ خُفوقُ فؤادي كلَّما خَفَقَ الآلُ

إذا جَن ليلي، أظلم، أصاب قلبي الجنون ويزيد خفوق قلبي كلما خفق الآل، السراب.. يتشوق لسراب الصحراء الذي سيلاقيه وهو عائد من بغداد إلى وطنه في المعرة

وماءُ بِلادي كانَ أَنْجَعَ مَشْرَباً ولو أنَّ ماءَ الكَرْخِ صَهباءُ جِرِيَالُ

ماء بلادي أنجع، أفيَدُ، من الفائدة، لي حتى لو كان ماء دجلة عند الكرخ ببغداد صهباء جريالاً، خمراً. وكنت وددت لو قرأتها «أنقع» أي أروى، ولكن هذه الرواية لم ترد

فيَا وَطَني إنْ فاتَني بِكَ سابِقٌ مِنَ الدهرِ، فَلْيَنْعَمْ لِساكِنِكَ البَالُ

يا وطني إن سبقني الزمن وأبعدني عنك، فليهنأ سكانك

وإن أَسْتَطِعْ في الحَشْرِ آتِكَ زَائراً وهَيْهَاتَ. لِي يومَ القيامةِ أَشْغالُ

لو استطعت أن آتي بلادي يوم القيامة لزرتها، ولكن.. هيهات، فلي يوم القيامة ما يشغلني

٢٧ أغادركم مضطراً

تعليق أ. عبد الرحيم على العنوان: [بل هو وداعٌ منقبضٍ ساخط! كتبتُ عنه: يا له من وداعٍ هائلٍ صعب! لماذا تعمَّد أبو العلاء هذا النمَطَ الصعبَ، الموحِشَ، الملغِزَ، المستَبطِنَ.. في وداع بغداد وأهلها؟! ألإثبات فحولةٍ لم يعترف له بها، على نحو ما كان «يتوقع»، البغداديون؟!]

أُوَدِّعُكُمْ يا أهلَ بغدادَ والحَشا على زَفَراتٍ ما يَنِينَ مِنَ اللَّذْعِ

أودعكم وفي جوفي زفرات لا ينين، لا يتوانين ولا يكففن، ويلذعنني

فبئسَ البَديلُ الشَّأْمُ مِنكُمْ وأهلُهُ على أنَّهُمْ قومي وبينَهُمُ رَبْعي

بئس الشام وأهله بديلاً منكم رغم أنهم قومي وهناك ربعي، موطني

ألَا زَوِّدُوني شَرْبَةً ولو انَّني قَدَرْتُ إذن أَفْنَيْتُ دِجْلَةَ بِالجَرْعِ

زودوني بشربة ترويني، ولو استطيع لجرعت وشربت نهر دجلة كله

أظنُّ الليالي، وَهْيَ خُونٌ غَوَادِرٌ، بِرَدِّي إلى بَغدادَ ضَيِّقَةُ الذَّرْعِ

الليالي، الزمن، وهي غادرة يضيق ذرعها بإعادتي إلى بغداد بعد مغادرتها.. إن فارقت بغداد فلن يتيسر لي أن أعود.. وعاش بعد فراق بغداد خمسين سنة، ولم يعد

وكانَ اختِياري أنْ أموتَ لَدَيْكُمُ حَميداً فمَا أَلْفَيْتُ ذلكَ في الوُسْعِ

كنت أفضل أن أبقى ببغداد حتى الموت وما وجدت ذلك ممكناً

٢٨ كن كثيراً أو قليلاً

قال يجيب ابن فُورَجَّةَ البُروجِرْدِيّ عن قصيدة:

كفَى بِشُحُوبِ أَوْجُهِنا دَليلا على إزْمَاعِنا عنكَ الرَّحيلا

شحوبنا دليل على نيتنا الرحيل عنك

تَـأَمَّـلْـنـا الـزمـانَ فـمـا وَجَـدْنـا إلـى طِـيـبِ الـحـيـاةِ بـه سـبـيـلا
ذَرِ الـدنـيـا إذا لـم تَـحْـظَ مـنـهـا وكُـنْ فـيـهـا كـثـيـراً أو قـلـيـلا

إذا كان حظك قليلاً فاترك الدنيا. كن كبيراً في هذه الدنيا أو صغيراً، ولا تَبق في الوسط

وأصبِحْ واحِدَ الرَّجُلَيْنِ: إمَّا مَليكاً في المَعاشِرِ أو أبيلا

كن أحد اثنين: ملكاً أو أبيلاً، ناسكاً

كَـلِـفْـنـا بـالـعِـراقِ ونـحـنُ شَـرْخٌ فـلـمْ نُـلْـمِـمْ بـه إلَّا كُـهـولا

أحببنا العراق ونحن شرخ، صغار، ولم نلمم به، نأته، إلا في زمن الكهولة

وقد كافَأْتُ عن شِعرٍ بِشِعرٍ ولكنْ حازَ مَنْ بدأَ الجَميلا

كافأناك عن شعرك بشعر لا غير، ولكن الذي يحوز الجميل، التفضل، هو البادئ.. وهو أنت

وَرَدْنـا مـاءَ دِجـلَـةَ خـيـرَ مـاءٍ وزُرْنـا أَشـرفَ الـشـجـرِ الـنـخـيـلا
وزُلْـنـا بِـالـغَـلـيـلِ ومـا اشْـتَـفَـيْـنـا وغـايـةُ كـلِّ شـيءٍ أن يَـزولا

غادرنا العراق بالغليل، بالعطش، ولم نشف ظمأنا، وهذا مصير كل شيء.. الزوال

ولـو لـمْ أَلْـقَ غـيـرَكَ فـي اغـتِـرابـي لَـكـانَ لِـقـاؤُكَ الـحَـظَّ الـجَـزيـلا

٢٩ رثاء الأم

وأَمَّـتْـنـي إلـى الأَجْـدَاثِ أُمٌّ يَـعِـزُّ عَـلَـيَّ أن سـارَتْ أَمـامـي

سبقتني إلى القبور أمي ويعز عليَّ أن سبقتني

كـأنَّ نَـواجِـذي رُدِيَـتْ بِـصَـخْـرٍ ولـم يَـمْـرُرْ بِـهِـنَّ سِـوى كـلامي

كأن أسناني رديت، كسرت، بصخر وأنا أقول هذا.. مع أنه لم يمر بهذه الأسنان سوى الكلام

ومَنْ ليَ أنْ أصوغَ الشُّهْبَ شِعْراً فَأُلبِسَ قَبرَها سِمطَيْ نِظامِ

من لي، ليتني، أن أصوغ من شهب السماء شعراً أرثيها به، وألبس قبرها سمطي نظام، عقدين

مَضَتْ وقدِ اكْتَهَلْتُ، فَخِلْتُ أنّي رَضيعٌ ما بَلَغْتُ مَدى الفِطامِ

توفيتْ وقد بلغتُ أنا سن الكهولة، ومع ذلك أشعر أنني رضيع لتعلقي بها

فـيَـا رَكْـبَ الـمَـنـونِ أَمَـا رَسـولٌ يُـبَـلِّـغُ روحَـهـا أَرَجَ الـسـلامِ

أرج: رائحة العطر

٣٠ موت الذخرين

كتب من المعرة بعيد عودته إليها يخاطب القاضي أبا القاسم التَّنوخي ببغداد، وكان القاضي حمل إليه جزءاً من شعر تَنوخ، فتركه أبو العلاء عند عبد السلام البصري:

لـنـا بِـبـغـدادَ مَـنْ نَـهـوى تـحـيَّـتَـهُ فـإن تَـحَـمَّـلْـتَـهـا عـنـا فَـحُـيِّـيـتـا

تحملتها: حملت التحية

بينـي وبينَـكَ من قَيْـسٍ وإخْـوَتِـهـا فَـوارِسٌ تَـذَرُ الـمِـكْـثـارَ سِـكِّـيـتـا

الآن وأنا في المعرة صار بيني وبينك، وكلانا من تنوخ اليمن، فرسان من قبيلة قيس الشمالية تجعل المهذار الكثير الكلام سَكوتاً هائباً

والـرومُ سـاكِـنَـةُ الأَطْـرافِ جَـاعِـلَـةٌ سِـهـامَـهـا لِـوُقـودِ الـحَـربِ كِـبْـرِيـتـا

والروم تسكن أطراف البلاد من الشمال، وتجعل من سهامها كبريتاً لوُقود الحرب، أي إيقادها

أَسَـارَنـي عـنـكُـمُ أمـرانِ: وَالِـدَةٌ لـم أَلْـقَـهـا، وثَـراءٌ عـادَ مَـسْـفُـوتـا

جعلني أسير مغادراً بغداد والدتي التي أردت لقاءها، ولكنها ماتت وأنا في الطريق، وأملاك لي بالمعرة أصبحت مسفوتة، غير ذات بركة

أَحْياهُمَا اللَّهُ عَصْرَ البَيْنِ ثم قَضى قبلَ الإيابِ إلى الذُّخْرَيْنِ: أنْ مُوتا

في زمن البين، فراق بلدي، كانت أمي ومالي حيين، وقبل إيابي مات هذان الذخران اللذان ادخرتهما

والـموتُ أَحْسَنُ بِالنفسِ التي أَلِفَتْ عِـزَّ الـقَـنـاعَـةِ مِـنْ أن تَـسـأَلَ الـقُـوتـا

الموت أحسن للنفس القوية بقناعتها من سؤالها الناس القوت

٣١ الإنطاء

قال، وقد عاد إلى المعرة، يخاطب خازن دار العلم ببغداد:

لِمَنْ جيرَةٌ سِيمُوا النَّوَالَ فلـم يُنْطُوا يُـظَـلِّـلُـهُـمْ مـا ظَـلَّ يُـنْـبِـتُـهُ الـخَـطُّ

لمن، أي لمن أشكو، هؤلاء الجيران الذين سيموا، كُلِّفوا، النوال والوصل فلم ينطوا، أي يعطوا، وأهل الحبيبة يستظلون بما ينبته الخط، أي بالرماح الخطية. وقيل إن «الخط» جزيرة تنبت عصي الرماح/ فأهل الحبيبة أشداء يحملون الرماح ويمنعون ابنتهم. ماذا كان يضيرك لو قلت «يعطوا» بدل «ينطوا»؟ أكان يضطرب حبل قافيتك؟ أرأيتم سماجة أبي العلاء عندما يسمج؟

رَجَـوْتُ لـهُـمْ أن يَـقْـرُبُـوا فـتَـبـاعَـدُوا وأن لا يَـشُـطُّـوا بِـالـمَـزارِ فـقـد شَـطُّـوا

يشطوا: يبتعدوا

يَـمَـانُـونَ أحـيـانـا شَـآمُـون تـارةً ‏ يُعالُونَ عن غَوْرِ العِراقِ لِيَنْحَطُّوا

قومها دائمو التسيار، إلى اليمن وإلى الشام، في طلب العشب، ويرتفعون عن غور العراق، أرضه المنخفضة، ثم يهبطون إليها

تَـجِلُّ عـن الـرَّهْـطِ الإمَـائِـيِّ غَـادَةٌ ‏ لها مِنْ عُقَيْلٍ في مَمالِكِها رَهْطُ

هذه الغادة تترفع عن رهط الإماء، إزار ترتديه الجواري للخدمة، فهي هانم لا خادمة؛ ولها رهط، أي قوم، في موطنها من بني عُقيل

إذا مَـشَـطَـتْـهـا قَـيْـنَـةٌ بـعـدَ فَـيْـنَـةٍ ‏ تَضَوَّعَ مِسْكاً مِنْ ذَوائِبِها الـمُشْطُ

إذا مشطتها قينة، جارية، بعد فينة، بعد حين، فاحت رائحة المسك من ذوائبها، خصلات شعرها.. فحتى بعد مرور زمن على تعطرها يظل بشعرها ريح المسك

وقد ثَمِلَ الحَادي بِها مِنْ نَسيمِها ‏ كـأنْ غَـالَـهُ مِـنْ كَـرْمِ بَـابِـلَ إسْـفَـنْـطُ

يسكر الحادي الذي يسوق الإبل من رائحتها، فكأنه قد غاله، ذهب بعقله، إسفنط، خمر، من كروم بابل

رأَتْ كَـوْثَـرَيْ خَـمْـرٍ ورِسْـلٍ بِـجَـنَّـةٍ ‏ شـآمِـيَّـةٍ مَـا أُكْـلُ سَـاكِـنِـهـا خَـمْـطُ

رأت نهرين كنهر الكوثر في الجنة وفيها خمر ورسل، لبن، وذلك في جنة من جنان الشام لا يأكل سكانها الخمط، ثمر شجر الأراك

يُـصَـبِّـحُـهـا سَـيْـلا حَـلِـيـبٍ وقَـهْـوَةٍ ‏ على أنَّها تُعْطَى الصَّبُوحَ فَما تَعْطُو

يأتيها صباحاً سيلان من حليب وقهوة، خمر، وهم يعطونها الصبوح، شراب الصباح، ولكنها لا تعطو، لا تتناول.. فهي فتاة مدللة ومتخمة من النعمة

خَليلَيَّ لا يَخْفَى انْحِسَارِي عنِ الصِّبا ‏ فَـحُـلَّا إسَـارِي قـد أَضَـرَّ بِـيَ الـرَّبْـطُ

يا صاحبي واضح أن الشباب انحسر عني وذهب، فحلا أسري، فقد أزعجني الربط، وأريد الرحيل عن لهو الشباب

ولـي حَـاجَـةٌ عـنـد الـعَـراقِ وأهـلِـه ‏ فإن تقضِيَاها فالجزاءُ هُوَ الشَّرْطُ

لي حاجة عند أهل العراق، فإن قضيتماها فجزاؤكما ما تشترطان (والشرط والجزاء من كلام أهل النحو)

سَـلا عُـلَـمـاءَ الـجَـانِـبَـيْـنِ وفِـتْـيَـةً ‏ أَبَـنُّـوهُـمـا حتى مَـفـارِقُـهُـمْ شُـمْـطُ:

إسألا يا صاحبي علماء جانبي دجلة ببغداد واسألا فتية أبنوهما، سكنوهما، حتى أصبحت مفارقهم شمطاً، اختلط سواد شعرها ببياضه

أَعِـنـدَهُـمُ عِـلْـمُ الـسُّـلُـوِّ، لِـسـائـلٍ   بـه الـرَّكْـبَ، لـم يَـعْـرِفْ أَمَـاكِـنَـهُ قَـطُّ

إسألاهم هل عندهم علم بالسلو، أي نسيان الأحبة ـ وتفضلا بالجواب لسائل مضى يسأل الركب المسافرين ـ والسائل لم يعرف قط مكان السلو. . هذا مقدار ما فهمت من البيت. تعليق أ. عبد الرحيم [أجمل ما بالبيت قوله «علم السُّلوّ»، وأحب أن يكون مركَّبًا إضافيًا بلا تقدير «باء». . فكأن ثمة علمًا مضنونًا به على غير أهله، وغير أهله هم أصحاب الحنين الذي لا شفاء منه، هو «علم السُّلوّ»، والذي قد يكون أهل بغداد على خُبر به لأنهم أرباب العلوم النوادر!]

ومَـا أَرَبِـي إِلَّا مُـعَـرَّسُ مَـعْـشَـرٍ   هُمُ الناسُ لا سُوقُ العَروسِ ولا الشَّطُّ

وما أربي، أي مبتغاي بالسؤال، إلا معرس معشر، مكان قوم. . والمكان هو دار العلم ببغداد؛ وليس المكان الذي أقصده «سوق العروس» من أسواق بغداد ولا الشط. يقول اسألا معشر العلماء لا العوام

ومـا سَـارَ بـي إِلَّا الـذي غَـرَّ آدَمـاً   وحَوَّاءَ، حتى أَدْرَكَ الشَّرَفَ الهَبْطُ

ما سار بي عن بغداد إلا إبليس الذي غر آدم وحواء حتى أدرك الشرفَ، العلو الذي كانا فيه، الهبط، السقوطُ

أَخَازِنَ دَارِ الـعِـلْـم كـم مِـنْ تَـنُـوفَـةٍ   أَتَتْ دُونَـنا فيها العَوَازِفُ واللَّغْطُ

يا خازن دار العلم كم من تنوفة، صحراء، فرقت بيننا. . وفيها العوازف، الجن التي يسمع لها صوت هو العزيف، واللَّغَط، الأصوات المختلطة

وعـن آلِ حَـكَّـارٍ جَرى سَمَرُ العُـلا   بِأَكْمَلِ مَعْنىً لا انتِقَاصٌ ولا غَمْطُ

وجرى حديث السمر بذكر آل حكار، وهو حديث طيب لا انتقاص فيه ولا غمط، لا هضمَ لقدرهم

فإنْ يُنْسِهِـمْ أَمْرَ الـسفـينـةِ فضلُهُمْ   فليسَ بِمُنْسِيَّ الفراقُ ولا الشَّحْطُ

إن جعلهم فضلهم ينسون إحسانهم إليَّ بإنقاذي من الذين تعرضوا لي وأنا في السفينة منحدراً نحو بغداد، فلن ينسيني الشحط، أي البُعد، فضلَهم

٣٢ أم ورضيع

دَعـا الـلَّـهُ أُمّـاً لَـيتَ أَنِّـي أَمـامَـهـا   دُعِـيـتُ ولـو أنَّ الـهَـواجِـرَ آصَـالُ

دعا الله أمي لجواره، وليتني دعيت قبلها حتى لو كانت الحياة ستحلو لي وستصبح الهواجر، أوقات القيظ، آصالاً، أوقات نسيم عليل عند الغروب

مَـضَـتْ وكـأنِّـي مُـرْضَـعٌ وقـد ارْتَـقَـتْ   بِيَ السِّنُّ حتى شَكْلُ فَوْدَيَّ أَشْكَالُ

مضت عني أمي وكأنني طفل رضيع مع أن السن ارتقت بي، كبرت، وصار شكل فوديَّ، سالفيَّ، أشكالاً من شعر أبيض وأسود مختلطين

٣٣ ألف كتاب

إذا أَسْكَتَ الـمُحْتَجُّ كلَّ مُنَاظِرٍ   فعنـدَ ابْنِ نَصْرٍ نَجدَةٌ بِجَوَابِ

إذا كان المحتج، صاحب الحجة، قوياً وأسكت كل المناظرين فعند القاضي أبي نصر المالكي جواب ينجدنا

وما أنا إلّا قَطْرَةٌ مِنْ سَحابِه   ولو أنني صَنَّفْتُ ألفَ كِتابِ

٣٤ من الدرعية الأولى

أعَاذِلَ طَالَما أَتْلَفْتُ مَالِي   ولكنَّ الحوادثَ أَتْلَفَتْني

٣٥ من الدرعية الثانية

سرى، حينَ شيطانُ السَّرَاحِينِ رَاقِدٌ،   عَديمُ قِرىً لم يَكْتَحِلْ بِرُقَادِ

سرى ليلاً - بينما شيطان السراحين، الذئب الداهية، راقد - رجل عديم قرى، لم يتناول طعاماً، ولم ينم لشدة جوعه..

فلمَّا تَعاشَرْنا ثلاثاً وأربعاً   وأيْقَنَ مِن صَدري بِحُسْنِ وِدَادِ

أضفته الأيام الثلاثة، بل أربعة، وتيقن من ودادي له

رَهَنْتُ قَميصي عندَه وَهْوَ فَضْلَةٌ   مِنَ المُزْنِ يُعْلَى مَاؤُها بِرَمادِ

عنئذ رهنت عنده قميصي، درعي، وهو فضلة من المزن، بقية من السحاب.. يشبه الدرع بماء الغدير المتموج، ولكن ماء الدرع يُعلَى برماد، وكانوا يتركون الدرع في الرماد حتى لا تصدأ

أَتَأْكُلُ دِرعي أَنْ حَسِبْتَ قَتيرَها،   وقد أَجْدَبَتْ قيسٌ، عيونَ جَرادِ

أتأكل عليَّ درعي ظاناً قتيرها، مساميرها، عيون جراد، في وقت أصاب قبيلة قيس فيه الجدب، وأقبلت على أكل الجراد

٣٦ درع تخاطب سيفاً

ألَم يبلُغْكَ فَتكي بِالمَواضي   وسُخْري بِالأسِنَّةِ والزِّجاجِ

أما علمت فتكي بالمواضي، السيوف، وهزئي بالأسنة والزجاج، أطراف الرماح

وأَنيَ لا يُغَيِّرُ لي قَتيراً   خِضَابٌ كَالمُدامِ بِلا مِزَاجِ

وألم تعلم أنني لا يغير قتيري، مساميري، خضاب يشبه المدام قبل مزجها، الخمر بلا مزج.. ويعني الدم.. فمن الدم لا تصدأ الدرع

يَـرُدُّ حَـديـدَكَ الـهـنـديَّ سَـرْدِي رُفَـاتـاً كـالـحَـطِـيـمِ مِـنَ الـزُّجَـاجِ

سردي، نسجي، يجعل حديدك أيها السيف رفاتاً، حطاماً، كالزجاج المكسر

٣٧ درع للبيع

قال على لسان رجل ينادي على درع:

مَـن يَـشتـرِيـهـا وَهْـيَ قَـضَّـاءُ الـذَّيْـلْ كـأنَّـهـا بَـقِـيَّـةٌ مِـنَ الـسَّـيْـلْ

من يشتري درعي وهي قضاء، خشنة، الذيل متموجة كأنها ماء رقراق من بقية السيل

لـيـس الـذي يـمـلِـكُـهـا بِـزُمَّـيْـلْ هَـدِيَّـةٌ مِـنْ مَـلِـكٍ إلـى قَـيْـلْ

ليس مالكها ضعيفاً، بل هي هدية ملك إلى قيل، والقيْل الملك من ملوك اليمن

مَـالَ إلـيـهـا قَـلْـبُـهُ كُـلَّ الـمَـيْـلْ يَـغْـنَـى بِـهـا صَـاحِـبُـهـا عـنِ الـقَـيْـلْ

مال قلب القيْل إلى الدرع، فهو يستغني بها عن القيل، شرب الخمر منتصف النهار

٣٨ دفن الدرع

قال على لسان رجل مسن ضعيف عن لبس الدرع:

أراني وضَعْتُ السَّرْدَ عَنِّي، وعَزَّني جَوادِي، ولـم يَنْهَضْ إلى الغزوِ أَمثالي

وضعت عني السرد، الدرع، وعزني جوادي، صعب علي ارتقاء حصاني، ولم يعد أمثالي قادرين على الغزو

وقِيدَ بِيَ العَوْدُ البَطِيءُ، وقيلَ لي: وَراءَكَ، إن الـذئـبَ مِـنـكَ عـلـى بَـالِ

أصبحت أركب العود، الجمل المسن، ويقاد وأنا فوقه، ويقول لي القوم، يسخرون مني: وراءك، احذر، فالذئب قريب منك

وآثَرْتُ أَخْلاقَ الـسَّـرابـيـلِ بـعـدَمـا أكـونُ وأَوْفَى أَدْرُعِ الـقـومِ سِـرْبَـالـي

وصرت أفضل أخلاق السرابيل، الملابس الخلقة البالية، بعد زمن كنت فيه وأوفى الدروع وأسبغها وأطولها سربالي، ملبسي

فـلا تُـلْـبِـسِـيـهـا أنـتِ غَـيـرِيَ بَـاسِـلاً إذا مُتُّ لـم يَـحْـفِـلْ رَدَايَ وإِبْسَالي

يا امرأة لا تلبسي درعي رجلاً باسلاً شجاعاً لم يحفل برداي وإبسالي، موتي

وخُـطِّـي لـهـا قَـبـراً يَـضِـلُّـونَ دُونَـه كَـقَـبْـرٍ لِـمـوسـى ضَـلَّـهُ آلُ إِسْـرَالِ

واحفري لدرعي قبراً لا يهتدون إليه كقبر موسى الذي ضل عنه آل إسرائيل

٣٩ ضافية صافية

ضَـافِـيَـةٌ فـي الـمَـجَـرِّ صَـافِـيَـةٌ   لـيـسـتْ بِـمَـطْـوِيَّـةٍ عـلـى قَـتَـمِ

رب درع ضافية، سابغة تامة، إذ تجر جراً فتكاد تلمس الأرض لطولها، وهي صافية غير صدئة، وليست مطوية على قتم، صدأ

كـأَنَّـهـا والـنِّـصَـالُ تـأخُـذُهـا   أَضَـاةُ حَـزْنٍ تُـجَـادُ بِـالـدِّيَـمِ

كأنها ونصال السهام تضربها أضاة حزن، غدير في ربوة، تجاد بالديم، تمطرها السحب

أو مَـنْـهَـلٌ طَـافَـتِ الـحَـمَـامُ بـه   فـالـرِيـشُ طَـافٍ عـلـيـهِ لـم يَـصِـمِ

أو كأنها منهل ماء طافت به الحمام، فعليه ريش من ريشها ولكنه لا يصمه، لا يعيبه

٤٠ درع كشعر الوليد وحبيب

مثلُ وَشْيِ الـولـيـدِ لانَـتْ، وإن كا   نَـتْ مِنْ الصُّنْعِ مِثلَ وَشْيِ حَبيبِ

الدرع لينة كأنها وشي الوليد، تطريز البحتري.. هي كشعر البحتري في العذوبة، ولكنها في صنعها ومتانتها كوشي حبيب، كشعر أبي تمام في المتانة وقوة السبك

تِلْـكَ مَـاذِيَّـةٌ ومـا لِـذُبَـابِ الـصَّـ   ـيْفِ والسَّـيْفِ عندَها مِنْ نَصيبِ

إنها ماذية، والماذي هو العسل/وهو أيضاً الحديد الصافي، ولكن ليس لذباب الصيف، حشراته، ولا لذباب السيف، شفرة السيف، نصيب فيها

زَبَـدٌ طَـارَ عـن رُغَـاءِ الـمَـنـايـا   فـاحْـتَسَى البِيضَ كارتِغَاءِ الحَليبِ

الدرع المتموجة كالزبد الذي طار عن رغاء المنايا، فالموت يهدر ويصدر رغاء وهو صوت البعير، وهذا الزبد يحتسي البيض، السيوف، كما يرتغي المرء الحليب، أي يشرب رغوته.. لاحظ أن الزبد، الذي هو الرغوة، يحتسي الرغوة. أبو العلاء في قوة تحكمه باللغة مثل الذي يقود سيارته ويكتب رسالة في هاتفه، ويتحدث إلى صاحبه في آن معاً

٤١ الأم الشريرة

قال على لسان امرأة توصي ابنها بلبس الدرع وترك الزواج:

عـلـيـكَ الـسَّـابِـغَـاتِ فَـإِنَّـهُـنَّـهْ   يُـدَافِـعْـنَ الـصَّـوارِمَ والأَسِـنَّـةْ

عليك السابغات، الزم الدروع، فهن يدافعن عنك الصوارم، يصددن السيوف وأسنة الرماح

ومَـنْ شَـهِـدَ الـوَغـى وعـلـيـهِ دِرْعٌ   تَـلَـقَّـاهُ بِـنَـفْـسٍ مُـطْـمَـئِـنَّـةْ

وحَبّـاتُ الـقـلـوبِ يَـكُـنَّ حَـبّـاً إذا دَارَتْ رَحَـاهـا الـمُـرْجَـحِـنَّـةْ

حبات القلوب، السواد في جوفها، تصبح حبوباً تطحنها رحى الحرب المرجحنة، الثقيلة

عـلـى أنَّ الـحَـوادِثَ كـائِـنـاتٌ وما تُـغْـنـي عـن الـقَـدَرِ الأَكِـنَّـةْ

لكن الحوادث، المصائب كائنة، واقعة لا بد، ولا تغني عن القدر الأكنة، الستور

فَحِنَّ إلى الـمكـارمِ والـمَـعـالـي ولا تُـثْـقِـلْ مَـطـاكَ بِـعِـبْءِ حَـنَّـةْ

ليكن حنينك إلى المكارم والمجد، ولا تثقل مطاك، ظهرك، بعبء حنة، زوجة

فـإنِّـيَ قـد كَـبِـرْتُ، ومـا كَـعَـابٌ مُـلَائِـمَـةٌ عَـجُـوزاً مُـقْـسَـئِـنَّـةْ

أنا كبرت وليست الفتاة الكعاب، التي برز ثدياها، مما يلائم عجوزاً مقسئنة، اصلبَّ وقسا منها ما يكون رجراجاً في المرأة فبرزت عظامها

فـإنْ يَـبْـيَـضَّ بِـالـحَـدَثـانِ فَـوْدي فـقـد أَغْـدُو بِـفَـوْدٍ كَـالـدُّجُـنَّـةْ

لئن ابيضَّ فودي، سالفي، بالحدثان، بحوادث الزمن، فقد كنت ذات سالف أسود كالدجنة، كالليل

إذا مَـا الـسَّـارِحـاتُ نَـظَـرْنَ فـيـهِ عَـجِـبْـنَ لِـمَـا سَـرَحْـنَ ومَـا دَهَـنَّـهْ

إذا نظرت السارحات، الماشطات، إلى شعري تعجبن من هذا الذي سرحنه ودهنَّه

إذا وَقَـعَـتْ مَـدَارِيـهـا عـلـيـهِ سُـتِـرْنَ بِـجُـنْـحِ لَـيـلٍ أو دُفِـنَّـهْ

إذا وقعت مداريها، أمشاط الماشطات، على شعري فشعري يستر الأمشاط كأنما تحت جنح ليل، أو كأنما دُفنت الأمشاط

٤٢ العظة

والـشـمـسُ عـنـد شـروقِـهـا عَـلِـمَ الـلـبـيـبُ زَوالَـهـا

تشرق الشمس فيعلم العاقل أنها ستغرب بعد حين

وَعَـظَـتْـكَ أيـامٌ تَـمُـرُّ ـ فـهـل فَـهِـمْـتَ مَـقـالَـهـا

لقد وعظتك الأيام وهي تمر، فهل فهمت ما تقوله لك؟

٤٣ النوم

وفَضِيلَةُ النومِ الخُروجُ بِأهلِهِ عن عـالَـمٍ هُـوَ بِـالأَذَى مَـجْـبُـولُ

٤٤ الصهيل

أيُّها اللّاعِبُ الذي فَرَسُ الشِّطْـ ـرَنْجِ هَمَّتْ في كَفِّهِ بِالصَّهِيلِ
مَنْ يُباريكَ والبَيَاذِقُ في كَفِّـ ـكَ يَغْلِبْنَ كُلَّ رُخٍّ وفيلِ

البياذق، العساكر في الشطرنج، في كفك تغلب كل رخ، قلعة، وفيل.. والبيذق أضعف من الرخ ومن الفيل

٤٥ أحلام

إلى اللَّهِ أَشْكُو أنَّني كلَّ ليلةٍ إذا نِمْتُ لم أَعْدَمْ خَواطِرَ أَوْهَامي
فإن كانَ شَرّاً فَهْوَ لا بُدَّ واقِعٌ وإن كان خيراً فَهْوَ أَضغَاثُ أَحلامِ

٤٦ بيت على القبر

هَذا جَناهُ أبي عليَّ ـ وما جَنَيْتُ على أَحَدْ

حياتي هي جناية أبي، الذي أنجبني؛ وأنا لم أتزوج ولم أنجب. هذا البيت ليس موجوداً في سقط الزند ولا في اللزوميات، ولكن أكثر من مصدر قال إن أبا العلاء كان يردده دائماً، ولعله فعلاً طلب أن يكتب على قبره

٤٧ في اللاذقية ضجة

أبيات نسبتها المصادر للمعري وليست في سقط الزند ولا في اللزوميات:

في اللاذقيةِ ضجةٌ ما بينَ أحمدَ والمسيحْ
هذا بِناقوسٍ يدقُّ ـ وذا بِمِئذنةٍ يَصيحْ
كلٌّ يُعزِّزُ دينَهُ يا ليتَ شِعري ما الصحيحْ

فهرس القوافي، سقط الزند

(القافية، فرقم القطعة)

لزوميات أبي العلاء المعري

(ثمة حديث عن اللزوميات في آخر الفصل الذي عقدته لحياة المعري، وموضعه قبل المختار من سقط الزند)

يقصِّر كثير من الدارسين القدماء، وأكثر منهم من المحدثين، في فهم شكوك أبي العلاء في الدين، ويخاف بعضهم طرق الموضوع. فأما المقصرون فأهم سبب لتقصيرهم أنهم مؤمنون، لم يمكثوا في ديار الشك بما يكفي ليعرفوا كيف يكون الشك وكيف يفكر الشاك. أو هم بعبارة فلسفية لم يلحدوا يوماً إلحاد فكر وتبصر فيستكشفوا ذلك العالم المختلف. وأما من يخاف طرق الموضوع فما عنينا به سوى طه حسين الذي خبر تلك الديار عشرات السنين، لكنه ابتلي بلسعة عقرب فتأدب.

تحرج القدامى والمحدثون في الخوض إلى أعلى من كواحلهم في مسألة شك أبي العلاء لسبب آخر غير قلة فهمهم لنفسية الشاك، أو غير المستقعد؛ والمستقعد كلمة أمي، فقد كانت تقول عن كل من يجدف في الدين تجديفاً مستمراً إن فلاناً «شكله لا يستقعد» تعني لا يعتقد.

وثمة أيضاً ذلك المزيج من النفاق ومن الخوف الموروث من القبر وما بعده. فكثير من نقدة أبي العلاء في القديم والحديث مؤمنون نفاقاً وخوفاً في آن معاً.

كل إنسان منا شاك.

ترى أخا التقمص تأتي عليه في الحين بعد الحين لحظة يقول فيها لنفسه: ما هذا؟ أأصبح فيما بعد الموت زرافة، أو صرصوراً أو فيلاً؟ لا أصدق ذلك. وترى المسيحي يسمع الكاروز يكرز بأن الله ذو ثلاثة أقانيم ويقول لنفسه: أما نريح أنفسنا ونفعل فعل جيراننا المسلمين ونقول بأن الله واحد! وترى المسلم

يسمع المفسر يفسر له أن النار ستشوي جلده في الجحيم، ويسمعه وهو يعطي المواصفات الفنية الدقيقة للسلاسل والكلاليب التي ستكون عدة ذلك الوجاق فيقول لنفسه: ألا أراح هذا الداعية نفسه وفسر تفسير الرمز فذلك أليق بالرحمن الرحيم!

كلنا شاك بعض الشك أو كله. لكننا نستر شكنا بستر صفيق من القراءة الجهرية. نرفع الصوت لكي نغطي الفكرة. نخاف. نخاف الآخرة، نخاف النص، نخاف الناس أيضاً. ونخاف أن تفسد عقولنا بالشك وتضطرب، ونخاف أن تختل المنظومة الجميلة من المعتقدات القائمة في عقولنا والصور الأدبية المرافقة لها. ففي ذهن كل منا صرح شامخ من الإيمانات مكسو بحجارة ملساء من الصور الأدبية والقصص ـ واحفظ لي أنني لم أورد كلمة الأساطير كما تعود قوم أن يفعلوا، فلا والله ما هي بالأساطير بل حقائق ذهنية تملي علينا مشاعر وسلوكاً ـ، وهذا الصرح الذي في الذهن هو الثراء الروحي الذي يعمر عقولنا. وقليل جداً من الناس من يتجرأ على تحدي هذا الصرح، فأما المبالغة في تزيينه والعبث بكسوته فحدث ولا حرج. قد أضاف القصاص والمفسرون إلى التراث الأدبي الملتصق بالدين إضافات فولكلورية مهمة.

ولعلك لو نظرت في كتاب (قصص الأنبياء المسمى بالعرائس) ـ عنيت كتاب الثعلبي المليء بالقصص لا كتاب ابن كثير المتحفظ ـ لعرفت كيف أسس أولئك القصاص على قاعدة الدين تراثاً أدبياً فولكلورياً فاحش الثراء.

أرهق القدماء وبنت الشاطئ أنفسهم ـ ونفسها ـ بالاحتجاج لدين أبي العلاء.

وقد أعطاهم أبو العلاء نفسه المفاتيح واعياً. وهاك بيان ذلك: الشاك أو الملحد يحمي ظهره بستار دخان. يقول في الفينة بعد الفينة إنه مؤمن عميق الإيمان، ويخلط الأمر على العامة. وقد تلم به هزة صوفية صادقة، تنتابه في لحظة صفاءٍ تهاويلُ سمعها في طفولته، وتنزل من قلمه دمعة حزن فيتذكر مآله فيكتب بيتاً أو أبياتاً يسمعها السامع فلا يكاد يشك في أن الرجل عابد تقي. على أن هذه عند أبي العلاء قليلة. فأما ستار الدخان فهذا فن لم يجارِ فيه أبا العلاء أحد، حتى جاء الزهاوي في زمننا فصنع ديواناً سماه النزغات وجعله قسمين قسماً في الشك وقسماً في الإيمان.

حسبنا من أبي العلاء أنه قال في لزومياته أبياتاً جميلة وفصيحة. فأما

التماسك فيما بين الأبيات فلا تكاد تجده إلا قليلاً، فالتزام الشاعر قافية مزدوجة جعل لزومياته تهذي. اللزوميات فيها شعر كثير، وفيها خشب كثير. وقد اخترنا لك ما فيها من شعر، وكنا بين الحين والحين نختار شيئاً من الخشب حتى ترى كيف هي اللزوميات. ومن الأحد عشر ألف بيت التي هي اللزوميات اخترنا نحو عشرة بالمئة فقط. ولعل القارئ المستعجل أن يحمد لنا تسويدنا لبعض الأبيات التي فيها معنى راقص، أو التي تحمل فكرة غريبة.

أما حياة أبي العلاء المعري فقد عرضنا لها في مقدمة طويلة صدَّرنا بها ما اخترناه من ديوانه سقط الزند.

قد شغلت نفسي بأبي العلاء بضع سنين، أقرأ له وعنه، وأختار من شعره، ثم أترك الأمر زمناً، ثم أعود فأشكل الكلمات، ثم تمضي سنة أو سنتان، ثم أعود فأشرح الأبيات. وقد يشاء برنامج الحاسوب أن يتغير علي، فها هي الضمة على الميم تنزل تحت الميم، فلا بد من معالجتها بوضع مسافة قبل كل ميم مسبوقة بلام، وما أكثرهن.

أحسد كتاب الجيل الماضي الذين كانوا يكتبون بالقلم لا بالدق على أزرار الحاسوب، كان الكاتب يلقي بأفكاره على الورق، ثم يلقي بالورق إلى ناس آخرين يطبعون ويصححون. وأحسد بعض الأكاديميين الذي يحسنون تشغيل النابهين من طلبتهم فيوفرون على أنفسهم عناء كثير من البحث ومن الشغل اليدوي. على أنني رأيت ما فعله تلامذة عالم جليل بأستاذهم وقد أراد أن يخرج طبعة للزوميات، وما فعله هو بنفسه إذ حالت الثمانون بينه وبين أن يُحكِم الأمر، فصدرت لزومياته مزينة باسماء تلامذته المهملين، وبحشد من الأغلاط، وكانت لطخة في صفحة جهوده الأدبية واللغوية الجليلة.

هذا حين أُسلمك إلى ما اخترته من لزوميات أبي العلاء المعري.

١ نفاق الأدباء

أولو الفضلِ، في أوطانِهِمْ، غرباءُ تشِذُّ وتَنأى عنهُمُ القُرباءُ

تشذ وتنأى: تبتعد

فَما سَبأُوا الرَّاحَ الكُمَيْتَ لِلَذَّةٍ، ولا كان منهُمْ، لِلخِرادِ، سِباءُ

سبأوا الراح: اشتروا الخمر. سباء الخراد: سبي النساء في الحرب

إذا ما خَبَتْ نارُ الشبيبةِ ساءني، ولو نُصَّ لي، بين النجومِ، خِباءُ

نص لي خباء: رفعت لي خيمة

وما بعد مَرِّ الخَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ صِباً، ولا بعدَ مَرِّ الأَربعينَ صِباءُ

الصبا: زمن الشباب، الصباء: الشوق والغزل

تَواصَلَ حبلُ النسلِ ما بينَ آدمٍ وبيني، ولم يُوصَلْ بِلامِيَ بَاءُ

اللام: الإنسان، الباء: الجماع. يقول: لم يتصل شخصي بجماع، فلم أنجب وانقطع عندي نسل أسلافي

تَثَاءَبَ عَمْرٌو، إذ تَثاءَبَ خَالِدٌ، بِعدْوَى، فَما أعْدَتْنِيَ الثُّؤَبَاءُ

التناسل مبعثه الغيرة والعدوى مثلما يتثاءب شخص فيتثاءب صاحبه، غير أنني لم أصب بعدوى التناسل، فلا زوج لي ولا ولد

وزَهَّدني في الخلقِ مَعرفتي بِهِمْ، وعِلمي بِأَنَّ العالَمينَ هَباءُ

قلل رغبتي في الناس معرفتي بهم وعلمي بأنهم بلا قيمة كغبار الجو

وما أَدَبَ الأقوامَ، في كلِّ بَلدةٍ، إلى المَيْنِ، إلَّا مَعْشَرٌ أُدباءُ

أَدَبَ الرجل الناس: دعاهم إلى مأدبة، المين: الكذب

٢ أبدأُ بنفسي

بَنِي الدهرِ مَهلاً! إن ذَمَمْتُ فِعَالَكُمْ، فإني بِنفسي، لا مَحالةَ، أبدأُ
متى يَتقضَّى الوقتُ، واللَّهُ قادرٌ، فنَسْكُنَ في هذا الترابِ ونَهْدَأُ؟
تَجاوَرَ هذا الجسمُ والروحُ بُرْهَةً، فما بَرِحَتْ تَأْذَى بِذاكَ وتَصْدأُ

منذ أن جاورت الروح الجسم وهي تعاني الأذى والصدأ بهذا الجوار

٣ دنيا خسيسة

يَأتي على الخلقِ إصباحٌ وإمساءُ وكلُّنا لِصروفِ الدهرِ نَسَّاءُ

صروف الدهر: مصيباته، نسَّاء: شديد النسيان..

وكم مَضَى هَجَرِيٌّ، أو مُشَاكِلُهُ مِنَ المَقَاوِلِ، سَرُّوا الناسَ أم سَاءُوا

مضى الكثيرون، من هجري، زعيم في «هجر» قرب عمان، أو مشابه له من المقاول، ملوك اليمن، سواء سر بهم الناس أم سيئوا

تَتْوَى المُلوكُ، ومِصرٌ، في تَغَيُّرِهِمْ،   مِصْرٌ على العهدِ، والأحساءُ أحساءُ

تتوى، تهلك، الملوك. وتظل مصر هبة النيل على حالها رغم تغيرهم، وتظل الأحساء في جزيرة العرب على حالها

خَسِسْتِ، يا أُمَّنَا الدُّنيا فَأُفٍّ لنا،   بَنُو الخَسيسةِ أَوْباشٌ أَخِسَّاءُ!

وقد نطقْتِ بِأصنافِ العِظاتِ لنا،   وأنتِ، فيما يظنُّ القومُ، خرساءُ

يَموجُ بَحرُكِ، والأهواءُ غَالِبَةٌ   لِراكِبيهِ، فهل للسُّفْنِ إرساءُ؟

إذا تَعطَّفْتِ يوماً، كنتِ قاسيةً،   وإن نظرتِ بِعينٍ، فهْيَ شَوْساءُ

شوساء: مائلة تنظر شزراً بغضب

٤ أنا وبيت الشعر

إن مَازَتِ الناسَ أخلاقٌ يُعاشُ بِها،   فإنَّهُمْ، عند سُوءِ الطبعِ، أَسْواءُ

مازت: ميزت، أسواء: متساوون

إن كان كلُّ بني حَوَّاءَ يُشبِهُني،   فبئسَ ما وَلَدتْ في الخلقِ حَوَّاءُ

بُعدي مِن الناسِ بُرْءٌ مِن سَقامِهِمُ،   وقُربُهُمْ، لِلحِجَا والدينِ، أَدْوَاءُ

الحجا: العقل، أدواء: أمراض

كالبيتِ أُفْرِدَ، لا إيطاءَ يُدرِكُه،   ولا سِنَادَ، ولا في اللفظِ إقْوَاءُ

الانفراد بعيداً عن الناس مثل انفراد بيت من الشعر فلا مقارنة بين قافيته وقافية بيت آخر لذا لا يلحقه الإيطاء ولا السناد ولا الإقواء، وهي من علل التباين بين القوافي

٥ نار الشباب

إن الشَّبيبةَ نارٌ، إن أردتَ بِها   أمراً، فبادِرْهُ، إن الدهرَ مُطفِئُها

٦ الداء العياء

قد حُجِبَ النورُ والضياءُ   وإنما دينُنا رِياءُ

رياء: نفاق

وهل يَجودُ الحَيا أُناساً،   مُنطوِياً عنهُمُ الحَياءُ؟

الحيا: المطر

كـم وَعـظَ الـواعـظـونَ مِـنَّـا، وقـام فـي الأرضِ أَنـبـيـاءُ
فـانـصَـرَفـوا، والـبـلاءُ بـاقٍ، ولـم يَـزَلْ داؤُكَ الـعَـيـاءُ

يخاطب الإنسان: داؤكَ لم يزل هو الداء العياء، المعجز للأطباء، فهو مشكلة في الأخلاق

٧ أتقياءُ وأذكياء

وقد فتَّشتُ عن أصحابِ دينٍ، لَـهُـمْ نُـسْـكٌ، وليـس لَـهُـمْ رِيـاءُ
فـألـفيْـتُ الـبَـهـائِـمَ لا عُـقـولٌ تُـقيـمُ لـهـا الـدليـلَ، ولا ضـيـاءُ
وإخـوانُ الـفَـطـانَـةِ فـي اخـتـيـالٍ، كـأنَّـهُـمُ لِـقـومٍ أنـبـيـاءُ

إخوان الفطانة، الأذكياء، ذوو اختيال، متكبرون

فـأمَّـا هـؤلاءِ، فـأهـلُ مَـكـرٍ، وأمَّـا الأوَّلـونَ، فـأغـبِـيـاءُ
فـإن كـانَ الـتُّـقـى بَـلَـهـاً وعِـيَّـاً، فـأعْـيَـارُ الـمَـذَلَّـةِ أتـقِـيـاءُ

أعيار: حمير

٨ مُلَّ الـمُقام

طالَ الثَّواءُ، وقد أَنَى لِمَفَاصِلي، أن تستَبِدَّ، بِضمِّها، صحْراؤُها

طال بي الثواء، المقام في الدنيا، فأنى، أي آن، لمفاصلي أن تستبد بضمها، تنفرد بها، صحراؤها، أي البرّ مكان دفن الموتى

مُلَّ الـمُقامُ، فكَمْ أُعاشِرُ أُمَّـةً، أُمِرتْ بِـغيـرِ صلاحِهـا أُمـراؤُهـا
ظَلموا الرعيَّةَ، واستَجَازُوا كيدَها، فَعَدَوْا مَصالِحَها وهُمْ أُجراؤُها

استجازوا: أجازوا لأنفسهم، كيدها: خداعها، عدوا: تجاوزوا

ووجدْتُ دُنيـانـا تُـشَابِهُ طامِثاً، لا تَـسـتـقـيِـمُ لِـنـاكِـحٍ أَقْـراؤُهـا

طامث: حائض، لا تستقيم لناكح أقراؤها: لا يتمكن الرجل من مواتاتها لما فيها من قرء، أي حيض

هُوِيَتْ، ولم تُسْعِفْ، وراحَ غنيُّها تَعِباً، وفازَ، بِراحَةٍ، فُقراؤُها

٩ غلبَ الـمَيْن

خَلِّني، يا أُخَيَّ، أَسْتَغْفِرُ اللـ ـهَ فـلَـمْ يـبـقَ فِـيَّ إلَّا الـذَّمَـاءُ

غلبَ المَيْنُ، منذُ كانَ، على الخَلـ ـقِ، وماتتْ بِغيظِها الحُكماءُ

منذ كان، أي منذ وجد، المين، أي الكذب، وهو غالب على الناس

١٠ الإساءة المضاعفة

رُويدَكَ قد غُرِرْتَ، وأنتَ حرٌّ، بِصاحبِ حيلةٍ يَعِظُ النساءَ
يحرِّمُ فيكُمُ الصَّهباءَ صُبحاً، ويشربُها، على عَمْدٍ، مساءَ
يقولُ لكُمْ، غدوتُ بِلا كِساءٍ، وفي لَذَّاتِها رَهَنَ الكِساءَ
إذا فعلَ الفَتى ما عنه يُنهَى، فمِنْ جِهتينِ، لا جهةٍ، أساءَ

١١ إرجاء التوبة

نَرجُو الحياةَ فإن هَمَّتْ هواجِسُنا بِالخيرِ، قالَ رجاءُ النفْسِ: إِرجَاءَ

رجاء النفس في طول العيش يؤجل التوبة وفعل الخير

وما نُفيقُ من السُّكْرِ المُحيطِ بنا، إلا إذا قيلَ: هذا الموتُ قد جاءَ

١٢ ضدَّ تعليم المرأة

علِّمُوهُنَّ الغزْلَ والنَّسْجَ والرَّدْ نَ، وخَلُّوا كتابةً وقِراءَةْ

الردن: الغزل

فَصلاةُ الفتاةِ بالحمدِ والإخـ ـلاصِ، تُجزي عن يُونُسٍ وبَراءَةْ

الحمد: سورة الفاتحة، الإخلاص: سورة قل هو الله أحد، ويونس وبراءة سورتان طويلتان

١٣ نصيحتان وأمنيَّة

تَوَحَّدْ، فإن اللَّهَ ربَّكَ واحدٌ ولا تَرْغَبَنْ في عِشْرَةِ الرُّؤَساءِ
يُقِلُّ الأذى والعيبَ في ساحةِ الفتى، وإن هُوَ أكْدى، قِلَّةُ الجُلَساءِ

قلة الجلساء تقلل وقوع الأذى والعيب في المرء.. حتى لو أكدى، أي افتقر

وليتَ وليداً ماتَ ساعةَ وضْعِهِ، ولم يرتَضِعْ من أمِّهِ النُّفَساءِ

ليت الوليد مات قبل أن يرضع

١٤ دياناتكم مكر

قَضى اللَّهُ فينا بالذي هُوَ كائنٌ، فتَمَّ، وضاعتْ حكمةُ الحكماءِ
وهل يَأبِقُ الإنسانُ مِن مُلْكِ ربِّهِ، فيخرُجُ من أرضٍ له وسماءِ؟

يأبق: يهرب

أفيقوا أفيقوا يا غُواةُ! فإنَّما دياناتُكُمْ مَكْرٌ من القُدماءِ
وكيف أُقَضِّي ساعةً بِمَسرَّةٍ، وأعلمُ أن الموتَ من غُرمائي؟

غرمائي: الذين يلاحقونني في ديون

١٥ السخاء الحق

إذا صاحبتَ في أيامِ بؤسٍ، فلا تنسَ المودةَ في الرخاءِ

إذا صاحبت أحداً وأنت فقير فلا تنس صحبته في أيام رخائك وثرائك

ومن جعلَ السخاءَ لِأقرَبيهِ، فليس بِعارفٍ طُرُقَ السخاءِ

أن تعطي أمك وأباك مالاً هذا واجب، السخاء الحقيقي أن تعطي الغريب

١٦ لا إمامَ سوى العقل

يَرتَجي الناسُ أن يقومَ إمامٌ ناطِقٌ في الكتيبةِ الخرساءِ

يرجو الناس قيام إمام عادل، المهدي المنتظر، من بين الصامتين الذين لا يقولون بمبدأ بعينه منتظرين قيام الإمام.. وهو ناطق لأنه يدعو الناس إلى اتباعه. هذا هو المعنى الملموح، والكتيبة الخرساء علم على كتيبة معروفة في التاريخ الإسلامي

كَذَبَ الظَّنُّ، لا إمامَ سوى العَقْـ ـلِ، مُشيراً في صبحِه والمساءِ

وظنهم كاذب فالإمام الحقيقي هو العقل الذي به يعرف المرء الخير من الشر

إنما هذه المذاهبُ أسبا بٌ لِجذْبِ الدنيا إلى الرؤساءِ

المذاهب المختلفة مجرد طرق يجتذب بها الرؤساء المال من العامة

فانفَرِدْ ما استطعتَ، فالقائلُ الصَّا دقُ يُضْحي ثِقْلاً على الجُلَساءِ

١٧ ما أطيب الموت.. بشرط!

ثوبيَ مُحتاجٌ إلى غاسِلٍ وليْتَ قلبيِ مثلُه في النَّقَاءْ

وقد بَلَوْنا العيشَ أطوَارَه، فما وجَدْنا فيه غيرَ الشقاءْ
ما أطيبَ الموتَ لِشُرَّابِهِ، إن صَحَّ لِلأمواتِ وَشْكُ التِقاءْ

ما أطيب الموت شراباً لمن يشربه.. هذا إن صح البعث والنشور

١٨ تهنئة أقارب الميت

قضَى اللّهُ أنَّ الآدَمِيَّ معذَّبٌ، إلى أن يقولَ العالِمُونَ به: قَضَى

العالمون به: أقاربه، قضى: مات

فَهَنِّئْ وُلاةَ المَيْتِ يومَ رحيلِه، أَصابُوا تُراثاً، واستراحَ الذي مَضَى

ولاة الميت: أقاربه، أصابوا تراثاً: نالوا إرثاً

١٩ النوم والموت

ونَوْمِيَ موتٌ قريبُ النُّشُورِ وموتِيَ نومٌ طويلُ الكَرى

النوم موت لكن النشور منه، أي البعث من النوم أي الاستيقاظ، قريب؛ والموت نوم طويل

فهل قامَ، مِن جَدَثٍ، ميِّتٌ، فيُخبِرَ عن مَسْمَعٍ أو مَرَى؟

جدث: قبر، مسمع أو مرى، أي مرأى: ما سمعه أو ما رآه

ولو هَبَّ صَدَّقَهُ معشرٌ، وقال أُناسٌ طَغى وافْتَرى

لو حدث فعلاً أن هب وقام الميت لصدقه بعضهم ونعته بعضهم بالكذب

نَهارٌ يُضيءُ، وليلٌ يجيءُ ونجمٌ يَغورُ، ونجمٌ يُرَى

الزمن ماض على وتيرته، وثمة نجم يغور، أي يغيب، وآخر يظهر

٢٠ يصير تراباً

حياةٌ عناءٌ، وموتٌ عنا فلَيْتَ بَعيدَ حِمامٍ دَنا

عنا: عناء

ومن ضَمَّهُ جَدَثٌ لم يُبَلْ على ما أفادَ، ولا ما اقتَنى

من ضمة قبر لم يبل، لم يُبالِ ولم يكترث، ما الذي أفاده، أي كسبه، ولا ما اقتنى من أشياء

يَصيرُ تُراباً، سواءٌ عليـ ـهِ مَسُّ الحريرِ، وطعنُ القَنا

٢١ برهان

يدُلُّ على فضلِ المَماتِ، وكونِهِ إراحَةَ جِسم، أن مَسْلَكَهُ صَعْبُ
ألَمْ تَرَ أن المجدَ تَلقاكَ دونَه، شدائدُ، من أمثالِها وَجَبَ الرُّعْبُ؟

٢٢ ما ذنب المعشوق!

نَقِمْتَ على الدنيا، ولا ذنبَ أسلفَتْ إليكَ، فأنتَ الظالمُ المُتَكَذِّبُ
وَهَبْها فتاةً، هل عليها جنايةٌ، بمن هُوَ صَبٌّ، في هواها، معذَّبُ؟

٢٣ الفَخَّار أصله فَخَّار

لعلَّ أُناساً، في المحاريبِ، خَوَّفُوا بِآيٍ، كَناسٍ، في المَشارِبِ، أَطْرَبُوا
إذا رامَ كَيْداً، بالصلاةِ، مُقيمُها، فتاركُها عَمْداً، إلى اللَّهِ أَقْرَبُ
فلا يُمْسِ فَخَّاراً (مِنَ الفَخْرِ) عائِدٌ إلى عُنصُرِ الفَخَّارِ للنَّفْعِ يُضْرَبُ

لا يمسِ، أي عليه أن لا يمسي، الإنسان العائد أصله إلى عنصر الفخار وهو التراب الذي يضربونه كي ينتفعوا به ويصنعون جِراراً. . لا يمسِ فخاراً أي مفتخراً. وينبهنا المعري تنبيهاً مدرسياً إلى أن الفخار هنا أصلها من الفخر. شرح البيت طه حسين والأبياري على أن «للنفع يضرب» معناها «هذا حديث يساق ليفيد منه الناس عظة وعبرة» ولم أجد لها وجهاً. وقرأ حسين نصار البيت بوضع «من العجز» بدل «من الفخر» ولا يستقيم بها السياق، ولم يشرح بكلمة. ولم يشرح اللزومية ابن السيد البطليوسي في مختاراته

لَعلَّ إناءً منهُ يُصْنَعُ مَرَّةً، فيأكُلُ فيهِ مَن أرادَ ويشربُ

لعل هذا المفتخر يصبح ـ بعد أن يموت ويصير تراباً ـ إناءً، فيأكل الناس فيه ويشربون

ويُحْمَلُ من أرضٍ لأخرى وما دَرى، فَوَاهاً له، بعد البِلَى، يَتَغَرَّبُ!
وما الأرضُ إلَّا مثلَنا الرزقَ تبتَغي، فتَأكُلُ، من هذا الأنامِ وتشربُ
وقد كذَبوا حتى على الشمسِ أنها تُهانُ إذا حانَ الشروقُ وتُضرَبُ

تقول الخرافة إن الشمس إذا غربت تعرضت للضرب وأجبرت على أن تشرق مرة أخرى

٢٤ الخُرَّاب

في البَدْوِ خُرَّابُ أَذْوادٍ مُسَوَّمَةٍ، وفي الجَوامِعِ والأسواقِ خُرَّابُ

عند البدو يوجد خراب، لصوص، أذواد مسومة، إبل ترعى، وفي الجوامع والأسواق لصوص. . تجار الدين وتجار السلع

فهؤلاءِ تَسَمَّوْا بِالعُدولِ، أوِ التُّـ ـجّارِ، واسْمُ أُولاكَ القَوْمِ أعْرابُ

فلصوص السوق يسمون العدول، الشاهدون بالعدل، أو التجار، ولصوص البدو يسمون أعراباً

٢٥ عيوبي

عيوبِيَ، إن سألتَ بها، كثيرٌ، وأيُّ الناسِ ليس له عيوبُ؟

ولِلإنسانِ ظاهِرُ ما يراهُ وليس عليه ما تُخفي الغُيوبُ

٢٦ كلهم كاذبون ظالمون

يَحْسُنُ مَرْأًى لِبني آدمٍ وكلُّهُمْ في الذوقِ لا يَعْذُبُ

ما فيهِمُ بَرٌّ، ولا ناسكٌ، إلا إلى نفعٍ له يَجذِبُ

أفضلُ مِن أفضلِهِمْ صخرةٌ، لا تَظلِمُ الناسَ ولا تَكذِبُ

٢٧ المدمنون

لو ضُرِبَ الغاوونَ بالسيفِ، لا بالسَّوْطِ، حَدَّ الخمرِ ما تابُوا

٢٨ أفضل ميتة

يقولونَ: هَلّا تشهدُ الجُمَعَ، التي رجَوْنا بِها عفواً، من اللَّهِ، أو قُرْبا

الجمع: صلاة الجمعة

وهل لِيَ خيرٌ في الحضورِ، وإنما أُزاحِمُ، من أَخيارِهِمْ، إبلاً جُرْبا

حتى الأخيار من الناس يسببون الأذى كالإبل الجربى التي تعدي غيرها

لَعمرِي لقد شاهدتُ عُجْماً كثيرةً، وعُرْباً، فلا عُجماً حمِدْتُ ولا عُرْبا

ولِلموتِ كأسٌ تَكرَهُ النفسُ شُربَها، ولا بد يوماً أن نكونَ لها شَرْبا

شَرْب: شاربون

من السَّعْدِ، في دنياكَ، أن يهلِكَ الفتى بهيجاءَ، يَغشَى أهلُها الطعنَ والضَّرْبا

من الحظ الحسن أن يموت الإنسان في معركة يغشى أهلها، يحضرون، الطعن بالرماح والضرب بالسيوف

فإن قبيحاً، بالمُسَوَّدِ، ضَجْعَةٌ على فَرْشِهِ، يشكو إلى النَّفَرِ الكَرْبا

قبيح بالمسود، السيد في قومه، نومه على فراشه يشكو الكرب والألم للنفر، للقوم

٢٩ الأمر أهون مما تظن

لا تَفْرَحَنَّ بِفألٍ، إن سمعتَ به، ولا تَطَيَّرْ، إذا ما ناعبٌ نَعَبا

لا تفرح بالفأل الحسن، ولا تطير، تتشاءم، من غراب ينعب

فالخطبُ أفظعُ من سَرَّاءَ تأمُلُها، والأمر أيسرُ من أن تضمِرَ الرُّعُبا

سراء: سرور

إذا تفكَّرْتَ فِكراً، لا يمازِجُهُ فَسادُ عقلٍ صحيحٍ، هانَ ما صَعُبا

زيادةُ الجِسْمِ عَنَّتْ جِسْمَ حَامِلِهِ إلى الترابِ، وزادتْ حافِراً تَعَبا

زيادة الجسم، أي جسم الميت السمين، تتعب جسم من يحمله إلى الدفن، وتزيد تعب حافر القبر لأنه سيكون قبراً واسعاً

٣٠ أخافه ولا أخافه

إن يَقْرُبِ الموتُ مِنّي، فلستُ أكرهُ قُرْبَهْ

والنَّزْعُ، فوق فِراشٍ، أشقُّ من ألفِ ضربَةْ

النزع: مدة الاحتضار، أصعب من ألف ضربة بسيف

٣١ الله المعطي الوهاب

ولم يَحْبُني أحدٌ نعمَةً، ولكنَّ مَوْلَى المَوالي حَبَا

حبا: منح

نصحتُكَ، فاعملْ له دائباً وإن جاءَ موتٌ، فقلْ: مرحَبا

٣٢ رويدك!

ويدعُو الطبيبَ المرءُ وافَاهُ حَيْنُه، رويدَكَ! إن الأمرَ جَلَّ عن الطبِّ

حينه: موته

٣٣ العادل والمظلوم

أأخشَى عذابَ اللّهِ، واللّهُ عادلٌ، وقد عشتُ عيشَ المُستَضامِ المُعذَّبِ

المستضام: المظلوم

٣٤ عيون التجارب

لو اتَّبَعوني، ويحَهُمْ، لهديْتُهُمْ إلى الحقِّ، أو نهجٍ لِذاكَ مُقاربِ
فقد عشتُ حتى مَلَّني، ومَلِلتُهُ، زماني، ونَاجَتني عيونُ التَّجارِبِ

٣٥ الظن والتجربة

وجدتُكَ أعطَيْتَ الشَّجاعةَ حقَّها، غَداةَ لَقيتَ الموتَ غيرَ هَيوبِ
إذا لقيت الموت غير هيوب، خائف، فأنت فعلاً شجاع

إذا قُرِنَ الظنُّ المُصيبُ من الفتى بِتجرِبةٍ، جاءا بِعِلْمِ غُيوبِ

٣٦ البرغوث الصامت

إذا سَكَتَ الإنسانُ قَلَّتْ خصومُهُ، وإن أَضْجَعَتْهُ الحادثاتُ لِجَنْبِهِ
في السكوت السلامة من الخصوم حتى لو اجتمعت الحادثات، المصائب، على المرء ورمت به على جنبه

حَسَا طَامِرٌ، في صمتِه من دمِ الفَتى، فصَغَّرَ ذاكَ الصَّمْتُ مُعظَمَ ذنبِهِ
حسا طامر، شرب برغوث، من دم المرء بصمت، فبسبب ذلك الصمت سلِم البرغوث ولم يكن ذنبه كبيراً

٣٧ أنت الملوم

وكم طَلبتَ أموراً لستَ مُدركَها، تباركَ اللَّهُ، مَنْ أَغراكَ بِالطَّلَبِ؟
طلبت أموراً كثيرة ولم تدركها، فأنت الملوم.. فمن أغراك بطلبها أصلاً

٣٨ الشهد كالصَّاب

داءُ «الحياةِ» قديمٌ لا دواءَ لهُ، لم يَخْلُ بُقْراطُ مِن سُقمٍ وأَوْصَابِ
الحياة نفسها مرض لا دواء له؛ وبالنسبة للأمراض المعتادة فإن بقراط الطبيب اليوناني كان يعاني من السقم، المرض، والأوصاب، الأوجاع

لا أَستقيلُ زماني عَثْرَةً أبداً، ما شاءَ فَلْيَأْتِ، إن الشَّهْدَ كالصَّابِ
لا أستقيل زماني عثرة، لا أطلب منه انتشالي من سقطتي، فليأت زماني بما شاء، فالشهد شبيه بالصاب، عصارة شجر المُرّ

٣٩ ضيق الأنابيب

ترجُو انفِساحاً، وكم لِلماءِ من جِهَةٍ، إذا تَـخلَّصَ مـن ضـيـقِ الأنـابـيـبِ

ترجو يا إنسان انفساحاً، بحبوحة وراحة من الهموم، والأمر هين.. عليك أن لا ترتبط بعيال ولا بملذات ولا بشيء من شأن الدنيا.. فكذلك الماء له جهات كثيرة لينساح ويجري شرط أن يتخلص من ضيق الأنابيب

٤٠ علام الغيوب!

إذا كَـشَّـفْـتَ أجـنـاسَ الـبَـرايـا، وجـدتَ الـعـالَـمـيـنَ ذَوي عُـيـوبِ

البرايا: المخلوقات

تُـحـدِّثُـكَ الـظـنـونُ بِـمـا تُـلاقـي، كـأنَّ الـظـنَّ عـلَّامُ الـغُـيـوبِ

مجرد تفكيرك يدلك على عيوب الناس، فكأنه علام الغيوب

٤١ زخارف الأدباء

بـنـي الآدابِ! غَـرَّتْـكـمْ، قـديـمـاً، زخـارفُ مـثـلُ زَمـزَمَـةِ الـذُّبـابِ

يا محبي الآداب غرتكم الأشعار المزخرفة المنمقة التي هي كزمزمة الذباب، أي طنينه

ومـا شُـعـراؤكُـمْ إلَّا ذِئـابٌ تَـلَصَّصُ في الـمَـدائحِ والـسِّبـابِ

شعراؤكم ذئاب تريد النهش، وهي تتلصص لنيل مرادها بقصائد المدح أو بالهجاء.. وكان الشعراء كثيراً ما يهجون، فالعطايا تأتي بالترغيب، وبالترهيب أيضاً

أأُذهِـبُ فـيـكُـمُ أيـامَ شـيْـبـي، كـمـا أَذْهَـبْـتُ أيـامَ الـشـبـابِ؟

مـعـاذَ الـلَّـهِ، قـد وَدَّعـتُ جـهـلـي، فـحـسـبـي مِـنْ تَـمـيـمٍ والـرِّبَـابِ

ودعت أيام الجهل حين كنت أقول شعراً في المدح، وودعت قبائل تميم والرباب.. فلا أمدح أحداً ولا أمدح قبيلته

٤٢ الروح بعد الموت

قد قيلَ: إن الروحَ تأسفُ، بعدما تنأى عن الجسدِ، الذي غَنِيَتْ بِهِ

غنيت به: أقامت فيه

إن كانَ يَصحبُها الحِجَا، فلعلَّها تَـدري، وتـأبَـهُ لـلـزمـانِ وعَـتْـبِـهِ

الحجا: العقل

أولا ، فكَمْ هَذَيانِ قومٍ غابِرٍ   في الكُتُبِ، ضاع مِدادُهُ في كَتْبِهِ

إن لم يكن العقل مصاحباً للروح فما هو مسطور قديماً في كتب القوم هذيان ومجرد حبر ضاع هدراً بكتْب، أي بكتابة، ذلك الهذيان

٤٣ الله حق

لا ريبَ أن اللَّهَ حَقٌّ، فَلْتَعُدْ   بِاللومِ أنفُسُكُمْ على مُرْتَابِها
أَفَمِلَّةَ الإسلامِ يُنكِرُ مُنْكِرٌ،   وقضاءُ ربِّكَ صاغَها وأتى بِها

٤٤ الخير بلا مقابل

فَلْتَفعلِ النفسُ الجميلَ لأنه   خيرٌ وأحسنُ، لا لِأَجْلِ ثوابِها

٤٥ غريب في أرضي

وما العلماءُ والجهَّالُ إلا   قريبٌ، حين تنظرُ مِن قَريبِ
متى ما يأْتِني أَجلي بِأرضي   فَنادِ على الجنازَةِ لِلغَريبِ

أي أنني غريب حتى في بلدي، فإن مت فليناد المنادي بالناس أن احضروا جنازة الغريب فأجرها مضاعف

٤٦ مثقلات العذاب

إنِي ونفسِي أبداً في جِذَابْ   أَكْذِبُها وَهْيَ تُحِبُّ الكِذَابْ
إن أَدْخُلِ النارَ، فَلِي خَالِقٌ   يَحمِلُ عني مُثْقَلاتِ العَذابْ

٤٧ تبَّتْ وتب

تَنافَسَ قومٌ على رُتْبَةٍ،   كأنَّ الزمانَ يُديمُ الرُّتَبْ
ودُنياكَ غُرَّ بها جاهلٌ   فَتَبَّتْ على كلِّ حالٍ وتَبّ

تبَّ: هلك

٤٨ تعب بلا فائدة.. لكن، ربما

إذا أَتاني حِمامِي مَاحِياً شبحِي   وما صنعتُ، فعيْشِي كلُّهُ عَنَتُ

إذا جاء حمامي ومت وامَّحى شبحي، جسمي المهزول، وآثاري فعيشتي كلها كانت عنتاً، تعباً، لا غير

لعلَّ قوماً يجازِيهِمْ مليكُهُمُ، إذا لَقُوهُ بِما صَامُوا وما قَنَتُوا

قنتوا: خشعوا

٤٩ علام السهر والتربيت؟

وحَوادِثُ الأيامِ مثلُ نباتِها، تُرعَى، ويأمُرُها المَليكُ فتَنْبُتُ

مصائب الأيام مثل النبات.. الناس يرعونها ويأكلونها ويأمرها الله فتنبت من جديد

وإذا الفتَى كان الترابَ مآلُه، فعلامَ تَسهَرُ أمُّهُ وتُرَبِّتُ؟

٥٠ نُعاتها نُعَّاتها

قد أصبحتْ ونُعَاتُها نُعَّاتُها، وكذلِكَ الدنيا تخيبُ سُعاتُها

أصبحت هذه الدنيا ونُعاتها، المخبرون بزوالها، هم نُعَّاتها، واصفوها.. أي أن مجرد وصفها هو بيان واضح بأنها زائلة.. لذا فسُعاتها، الساعون لتحصيل الثراء فيها، خائبون

كَرَّارَةٌ أحزَانُها، ضَرَّارَةٌ سُكَّانَها، مَرَّارَةٌ سَاعاتُها

كرارة أحزانها، هاجمة، وهي تضر سكانها، وساعاتها تسبب المرارة لأهلها

نَامَتْ دُعاةُ الدَّوْلَتَيْنِ فَضاعَتا، وَهِيَ المَنِيَّةُ لا تخيبُ دُعَاتُها

دعاة الدولتين، الأموية والعباسية، ناموا فضاعت الدولتان.. وأما دعاة الموت فلا يخيبون

لا تَتْبَعَنَّ الغانياتِ مُماشِياً، إن الغَوانِيَ جَمَّةٌ تَبِعاتُها

وَهِيَ النفوسُ إذا تُمَيِّزُ بينَها، فأعزُّها في العيش مُقْتَنِعاتُها

إن كنتَ ممن يميز بين النفوس فستعلم أن أعزَّها النفوس المقتنعة برزقها غير الطامعة في المزيد

من يَغتَبِطْ بِمعيشَةٍ، فأمامَه نُوَبٌ تُطيلُ عناءَهُ فَجَعاتُها

من يفرح بمعيشته فأمامه نوب، أحداث صعبة، ستطيل فجعاتها، مصائبها، تعبه

وإذا رَجعتَ إلى النُّهى فَذَواهِبُ الـ أيَّام، غيرُ مُؤَمَّلٍ رَجَعَاتُها

إن رجعت إلى النهى، العقل، علمت أن الأيام الذاهبة لا أمل في رجوعها

فاخفِضْ حديثَكَ للمحَدَّثِ جَاهِداً، فذَميمَةُ الأصواتِ مُرتَفِعَاتُها

وتَرى الصَّلاةَ على الغوِيِّ ثَقيلةً، مثلَ الهِضابِ، تَؤُودُهُ رَكَعاتُها

يستثقل الضال الصلاة كأنها صعود الهضاب، وتؤوده ركعاتها، أي تثقُل عليه

٥١ الوسخ لا يتوسخ

بِنْتُ عن الدنيا، ولا بِنْتَ لي فيها، ولا عِرْسٌ ولا أُخْتُ

بنتُ، أي ابتعدت، عن الدنيا.. وليس لي فيها بنت ولا عِرس، زوجة، ولا أخت

وَقد تحمَّلْتُ من الوِزْرِ ما تَعجِزُ أن تحمِلَهُ البُخْتُ

الوزر، الذنب، البخت، سلالة من الإبل

إن مَدَحُوني ساءَني مدحُهُمْ، وخِلْتُ أنِّي في الثَّرى سُخْتُ

سخت: غُصت

جِسمِيَ أَنجَاسٌ، فما سَرَّني أنيِ بِمِسْكِ القولِ ضُمِّخْتُ
مِنْ وَسَخٍ صَاغَ الفَتى ربُّه، فلا يَقُولَنَّ: تَوَسَّخْتُ!

٥٢ الشهرة الزائفة

أَترغَبُ في الصِّيتِ بين الأنامِ؟ وكم خَملَ النَّابِهُ الصَّيِّتُ

كثيراً ما خمل، صار مغموراً غير مشهور، النابه، المشهور، الصيت، صاحب الصيت والسمعة

وحَسْبُ الفتى أنه مَائِتٌ، وهل يعرفُ الشَّرَفَ المَيِّتُ؟

الشرف: هنا بالمعنى الأصلي وهو الارتفاع والشهرة

٥٣ كانوا فوق الأرض..

كانوا زماناً فوق غبرائِهِمْ، ثم استحالوا، فغَدَوْا تحتَها

كانوا فوق غبرائهم، أرضهم، ثم استحالوا، أي تحولوا، فأصبحوا تحتها

أودَعَهُمْ ربُّهُمُ سِرَّها، من بعدِ ما أطعمَهُمْ سُحْتَها

سرها: باطنها، سحتها: مكسبها الحرام

٥٤ أحكام الأرض والسماء

والرُّوحُ أَرضِيَّةٌ في رأيِ طَائفةٍ، وعند قومٍ تَرقَّى في السماواتِ
تَمضِي على هيئةِ الشخصِ الذي سكنتْ فيهِ إلى دارِ نُعمَى أو شَقاواتِ

هنا يزعم شاعرنا أن الروح تحمل شكل جسم صاحبها بعد الموت، وبهذا الشكل تذهب إلى الجنة أو النار

وقُدرةُ اللَّهِ حقٌّ، ليس يُعجِزُها حشرٌ لِخَلْقٍ، ولا بعثٌ لِأمواتِ
ولا تُطيِعَنَّ قوماً، ما ديانتُهُمْ إلَّا احتيالٌ على أخْذِ الإِتاواتِ

لا تطع الولاة الذين ليس لهم من الدين إلا الاحتيال لجمع الإتاوات، الضرائب

وإنما حَمَّلَ التوراةَ قارِئَها كسْبُ الفوائدِ، لا حبُّ التِّلاواتِ

ما جعل قارئ التوارة يحملها، أي يحفظها، هو كسب المال وليس حبه للتلاوة

إن الشرائعَ ألقَتْ بينَنا إِحَناً، وأوْدعَتْنا أفانِينَ العَداواتِ

الإحن: الأحقاد

وهل أُبيحَتْ نساءُ القومِ عن عُرُضٍ، للعُرْبِ، إلا بأحكامِ النُّبُوَّاتِ؟

ما استباح الغزاة نساء أعدائهم عن عرض، بلا مبالاة، إلا بأحكام دينية. وفي زاوية من تاريخ حلب لابن العديم أن الروم سبوا في إحدى السنين، في زمن أبي العلاء، مئات المسلمات. المعادلة هي: نسبي نساءكم الفقيرات الريفيات ونتخذهن للخدمة والمتعة، وتسبون فقيراتنا الريفيات لنفس الغرضين، وأما نساء الطبقات الثرية والحاكمة عند الطرفين فمصونات.. هذه معادلة العصور الوسطى في كل الدنيا

٥٥ مؤمن بالله

أُثْبِتُ لِي خالقاً حكيماً، ولستُ من معشرٍ نُفاةِ

أقر بالله، ولست ممن ينفون وجوده

خَبَطْتُ في حِنْدِسٍ مقيمٍ، وأعجَزَتْ عِلَّتي شُفاتي

خبطت، تخبطت، في حندس مقيم، ليل راسخ، وعجز الأطباء عن شفائي من علتي.. لعله يعني العمى لا الشك

٥٦ يطلبون رأيي.. والفرق بيننا كبير

خُذي رأيِي وحسبُكِ ذاك مِني على ما فِيَّ من عوَجٍ وأَمْتِ

أمت: اعوجاج

وماذا يبتغي الجلساءُ عندي أرادوا مَنطِقي وأردتُ صمتي

لعله يعني بالجلساء أولئك الثقلاء الذين بعث بهم الدعاة الفاطميون لكي يضموا أبا العلاء إلى صفوف الدعوة

ويوجدُ بيننا أمدٌ قَصِيٌّ، فأَمُّوا سَمْتَهُمْ وأَمَمْتُ سَمْتي

يوجد بيني وبين الناس بون شاسع، فقد أموا سمتهم، قصدوا طريقهم، وأممت سمتي

٥٧ غاب اليقين

إنـمـا نـحـن فـي ضـلالٍ وتـعـلـيــ ـلٍ، فـإن كـنـتَ ذا يَـقـيـنٍ فَـهـاتِـهْ
ولِـحُـبِّ الـصـحـيـحِ آثَـرَتِ الـرُّو مُ انـتِـسـابَ الـفـتـى إلـى أُمَّـهـاتِـهْ

الروم تنسب الولد إلى أمه لحبهم لما هو مؤكد.. فنسبته إلى أبيه أمر راجع لصدق الأم

جَـهِـلُـوا مَـن أبـوه، إلَّا ظُـنـونـاً، وطَـلا الـوَحـشِ لاحِـقٌ بِـمَـهَـاتِـهْ

طلا الوحش، أي ولد الحيوان، لاحق بمهاته، يتبع أمه

٥٨ أطعمَتْنا ثم أكلتنا

مِن صِفةِ الدنيا التي أجْمعَ النَّـ ـاسُ عـلـيـهـا، أنَّـهـا مـا صَـفَـتْ
والأرضُ غَـذَّتْـنـا بـأَلْـطـافِـهـا، ثـم تـغَـذَّتْـنـا، فـهـل أنْـصَـفَـتْ؟

ألطافها: عطاياها

٥٩ بعد الموت لا أبالي

إذا مُتُّ لم أحفِلْ بما اللّهُ صَانعٌ إلى الأرضِ مِن جَدْبٍ وسَقْيِ غُيوثِ
ومـا تـشـعرُ الـغَبْراءُ مـاذا تُـجِـنُّـهُ: أأعْـظُـمُ ضَـأْنٍ أم عِـظَـامُ لُـيـوثِ

لا تشعر الغبراء، الأرض، ماذا تجنه، تخفيه، أكان عظام خراف أم أسود

٦٠ الظاهر عيش وموت

تُـقِـلُّ جـسـومَـنـا أقـدامُ سَـفْـرٍ، مـشـتْ فـي لـيـلِ داجِـيـةٍ بِـوَعْـثِ

تحمل أجسامَنا أقدام سفْر، مسافرين، والأقدام تمشي في ليل داج، مظلم، في وعث، مكان وعر

وظـاهـرُ أمـرِنـا عـيـشٌ ومـوتٌ، ويـدأَبُ نـاسِـكٌ لِـرجـاءِ بـعـثِ

٦١ المحبِس الثالث

أَرانـيَ فـي الـثـلاثـةِ مـن سجـونـي، فـلا تـسـأَلْ عـن الـخـبـرِ الـنَّـبـيـثِ

أنا في سجون ثلاثة ولا تسأل عن الخبر النبيث، المنبوش المستخرج بصعوبة

لِـفـقـدي نـاظـري، ولـزومِ بـيـتـي، وكونِ النفسِ في الجسدِ الخبيثِ

السجن الأول العمى، والثاني لزوم البيت، والثالث كون النفس محبوسة في جسد خبيث

٦٢ روِّحْ ذبيحك

رَوِّحْ ذبيحَكَ، لا تُعجِلْهُ مِيتَتَهُ، فتَأْخُذِ النَّحْضَ منهُ، وَهْوَ يَخْتَلِجُ

أرح الحيوان الذبيح، ولا تسبق موته فتبدأ بقطع لحمه وهو ما زال يختلج، يتحرك

٦٣ أغنى الأنام

أَغنَى الأنامِ تقيٌّ في ذُرَا جبلٍ، يرضَى القليلَ، ويأْبى الوَشْيَ والتَّاجا

أغنى الناس رجل تقي سكن ذرا جبل، قمته، وهو يرضى بقليل العيش ويأبى لبس الثياب المزركشة والتاج. . كأنه تخيل بعض الملوك الذين روي عنهم التنسك ونبذ التاج

وأفقرُ الناسِ، في دنياهُمُ، مَلِكٌ، يُضحي، إلى اللَّجِبِ الجَرَّارِ، مُحتاجا

اللجب الجرار: الجيش الكبير ذو الزمازم والأصوات المختلطة

٦٤ البرغوث والملك

تسريحُ كَفِّيَ بُرغوثا، ظفِرتُ بهِ، أبرُّ مِن درهمٍ أُعطيهِ محتاجا

إطلاق برغوث أمسكته أكثر براً من التصدق على فقير، فحتى البرغوث له روح ويحس بألم

لا فرقَ بين الأَسَكِّ الجَوْنِ أُطلِقُهُ، وجَوْنِ كِنْدَةَ أمسَى يَعقِدُ التاجا

لا فرق، نوعياً، بين الأسكّ الجون، فاقد الإذنين المسوَدُّ. . وهو البرغوث الذي أطلقته، وبين جون كندة، أحد ملوك قبيلة كندة، المتوج

كلاهما يَتوقَّى؛ والحياةُ له حبيبةٌ، ويرومُ العيشَ مُهْتَاجا

كلاهما يحب الحياة ويروم، يطلب، العيش مهتاجاً، كثير الحرص عليها

٦٥ فضل الموت على الحياة

لو لم تكنْ طُرْقُ هذا الموتِ مُوحِشَةً، مَخْشِيَّةً، لاعتَراها القومُ أفواجا

لو لم تكن طرق الموت موحشة ومخوفة لاعتراها القوم، جاءُوها، أفواجاً

كأسُ المنيَّةِ أولى بي، وأرْوَحُ لي مِنْ أن أكابِدَ إِثراءً وإحواجا

الموت أفضل لي من مقاساة طلب الثراء ومعاناة الإحواج، الفقر

في كل أرضٍ صُروفٌ غيرُ هازِلَةٍ، يَلعَبْنَ بالناسِ أَفراداً وأزواجا

٦٦ عزة الميت

لَكَوْنُ خِلِّكَ في رَمْسٍ أَعَزُّ له   من أن يكونَ مَليكاً عاقِدَ التَّاجِ

وجود صديقك في رمس، قبر، أكثر عزاً وشرفاً له من أن يكون ملكاً

المَلْكُ يحتاجُ آلافاً لِتَنْصُرَهُ،   والمَيْتُ ليس إلى خَلْقٍ بمحتاجِ

٦٧ الحاجتان

وأشرفُ من تَرى، في الأرضِ قَدْراً،   يعيشُ، الدهرَ، عبدَ فَمٍ وفَرْجِ

أعلى الناس قدراً يعيش طول الدهر عبداً لحاجته إلى الطعام وإلى التنفيس الجنسي

وحُبُّ الأَنْفُسِ الدنيا غُرورٌ،   أقامَ الناسَ في هَرْجٍ ومَرْجِ

٦٨ الثناء الكاذب

إذا أثْنى عليَّ المرءُ يوماً،   بخيرٍ ليس فِيَّ، فذاكَ هَاجِ

وحَقِّي أنْ أُسَاءَ بِما افْتَراهُ،   فَلُؤْمٌ مِن غَريزَتِيَ ابْتِهاجي

فرحي بالمدح الكاذب لؤم في الطبع

٦٩ قل الروح من أمر ربي

أرى هَذَياناً، طالَ مِن كلِّ أمَّةٍ،   يُضَمَّنُهُ إيجازُها وشُروحُها

في كل أمة كلام فارغ كثير تتضمنه كتبهم وشروحهم

وأَوْصَالُ جِسْمٍ للترابِ مآلُها،   ولم يَدْرِ دَارٍ: أينَ تذهبُ رُوحُها؟

٧٠ العلم كالقفل

العِلمُ كالقُفْلِ، إن ألفَيْتَهُ عَسِراً   فَخَلِّهِ ثم عَاوِدْهُ لِيَنْفَتِحا

يقول هذا من مارسته العلوم ومارسها وفتح مغاليقها بالتدريج

٧١ حاملو السبح

دَعَوْا، وما فيهِمُ زَاكٍ، ولا أحدٌ   يخشَى الإلَهَ، فكانُوا أَكْلُباً نُبُحا

يدعون الله وليس فيهم زاك، مبارك، ولا يخشون الله حقاً؛ هم كلاب نابحة

وليس عندَهُمْ دِينٌ ولا نُسُكٌ، فلا تَغُرَّكَ أَيْدٍ تحمِلُ السُّبَحا

٧٢ لا تدفنوني

ومَن تأمَّلَ أقوالِي رأى جُمَلاً، يظلُّ فيهِنَّ، سِرُّ الناسِ مَسْرُوحا
إن صَحَّ تَعذيبُ رَمْسٍ مِن يَحِلُّ به، فجَنِّبانِيَ مَلْحُوداً ومَضْروحا

إن كان يصح عذاب الرمس، القبر، فجنباني الدفن ملحوداً، مدفوناً بجانب القبر، أو مضروحا، مدفوناً وسطه

الوحْشُ والطيرُ أَوْلَى أن تَنازَعَني فغَادِرانِي بِظَهْرِ الأرضِ مَطروحا

أولى أن تتنازعني الوحوش والطيور وتأكل لحمي، فغادراني، اتركاني، مطروحاً على وجه الأرض

شُدَّا عليَّ دَرِيساً، كي يُوارِيَني ثم اغْدُوا بِسلامِ اللَّهِ أو رُوحا

الدريس: الثوب الدارس البالي

يا نفسِ! يا طائراً في سِجْنِ مالِكِهِ، لَتُصْبِحَنَّ، بِحمْدِ اللَّهِ، مَسْرُوحا

يا نفسِ: يا نفسي، مسروحاً: طليقاً

٧٣ الطبيب والإيمان

عَجَبي للطَّبيبِ يُلْحِدُ في الخا لقِ، مِن بعدِ دَرْسِه التَّشريحا
فَطِنُ الحاضِرينَ مَن يفهمُ التَّعـ ـريضَ، حتى يَظُنَّهُ تَصريحا

الذكي ممن حضروا موقفاً معيناً يفهم التعريض، التلميح، حتى لكأنه تصريح

رُبَّ رُوحٍ، كطائرِ القفصِ المَسْـ ـجونِ، تَرجُو بِموتِها التَّسريحا
فَرَّحوكُمْ بِباطِلٍ، شيمَةَ الخَمْـ ـرِ، فمَهلاً! لا أُوثِرُ التَّفْريحا

فرحوكم بقول باطل شيمة الخمر، كطبع الخمر وعادتها في تفريح صاحبها مؤقتاً، وأنا لا أفضل التفريح

كيف لِي أن أكونَ، في داريَ الأُخـ ـرى، مُعافىً مِن شِقْوَةٍ، مُستريحا

فكيف لي أن أكون مستريحا من الشقوة والتعب في الدار الأخرى، الآخرة، فلا بد من حساب على الذنوب ومن عقاب. لك في هذه الأبيات أن ترى أبا العلاء مؤمناً، ولك أن تراه هازلاً شاكاً كما رأيته في رسالة الغفران، ولك أن تراه يخلط إيماناً بشكٍّ تقيَّةً، وهذا دأبه

٧٤ الأمور الصحائح

غَدوتَ مريضَ العقلِ والدينِ فالْقَني لِتسمعَ أنباءَ الأمورِ الصَّحائحِ
فلا تأكُلَنْ ما أخرجَ الماءُ ظالماً، ولا تبغِ قُوتاً مِن غَريضِ الذَّبائحِ

لا تأكل السمك ومخلوقات البحر ففي هذا ظلم لها، ولا تأكل من غريض الذبائح، لحومها الطرية

وأبيَضَ أُمَّاتٍ، أرادتْ صَريحَه لأطفالِها، دون الغواني الصَّرائحِ

ولا تشرب الحليب الأبيض الذي أرادت الأمات، أي الأمهات من الحيوان، صريحه، صافيَهُ، لأطفالها لا للفتيات الصرائح، البيض الناعمات

ولا تفجعَنَّ الطيرَ، وَهْيَ غَوافِلٌ، بما وَضَعَتْ، فالظلمُ شرُّ القبائحِ

ولا تسرق بيض الطيور من أعشاشها وهي غافلة عنك

ودَعْ ضَرَبَ النحلِ الذي بَكَرَتْ له، كَواسِبَ مِن أزهارِ نَبْتٍ فَوائحِ

واترك الضرب، العسل، الذي بكرت النحل لجمعه كاسبة إياه من الأزهار ذات الرائحة الطيبة

فما أحرزتْهُ كي يكونَ لِغيرِها، ولا جمعتْه للنَّدى والمنائحِ

الندى: السخاء، المنائح: العطايا

مَسحتُ يدي مِن كلِّ هذا، فليتَني أَبَهْتُ لِشأني قبلَ شَيْبِ المَسائحِ

قد مسحت يدي من هذا الظلم، وليتني أبهت لشأني، انتبهت لأمري، قبل شيب المسائح، الخصلات.. وقد صار المعري نباتياً كاملاً بعد الأربعين. ونسي أن يذكر في قائمة المحرمات أعلاه الجلد، فقد كان المعري يتخذ نعلين من خشب لا من جلد الحيوان

بَنِي زمني، هل تعلمونَ سرائراً، علِمْتُ، ولكنِي بها غيرُ بائحِ؟

سرائر: أسرار

سَرَيْتُمْ على غَيٍّ، فهلَّا اهتديْتُمُ بما خبَّرَتْكُمْ صافياتُ القَرائحِ

سريتم، أي مشيتم، على ضلال، فهلا اهتديتم بالقرائح، العقول، الصافية

متى ما كشفتُمْ عن حقائقِ دينِكُمْ تكشَّفْتُمُ عن مُخْزِياتِ الفَضائحِ

الدين: معتقداتكم المختلفة، ما تدينون به من آراء. والدين أيضاً هو.. الدين

ويُعجبني دَأْبُ الذين ترهَّبُوا سوى أكلِهِمْ كَدَّ النفوسِ الشَّحائحِ

يعجبني زهد المترهبين، إلا أنني لست معجباً بأكلهم طعاماً تعب الناس في إنتاجه وشحوا به، ضنوا به لقلة ذات يدهم

وأَطيبُ منهُمْ مَطعَماً، في حياتِه سُعاةُ حَلالٍ، بينَ غادٍ ورائحِ

أطيب طعاماً من المترهبين الناسكين سعاة حلال، المجتهدون في تحصيل رزقهم بالحلال

فما حَبَسَ النَّفْسَ المَسيحُ تَعَبُّداً، ولكن مَشى في الأرضِ مِشْيَةَ سائحِ

فالمسيح لم يحبس نفسه ويتعبد، ولكنه مشى في الأرض سائحاً يبشر ويعظ

ومن شرِّ أخلاقِ الأنيسِ وفعلِهِمْ، خُوارُ النَّواعيِ والْتِدَامُ النَّوائحِ

أسوأ أخلاق الأنيس، الناس، خوار النواعي، صياح المبلغين بالموت الذي يشبه صوت الثيران، والتدام النوائح، لطم النائحات صدورهن ووجوههن

وأَصْفَحُ عن ذنْبِ الصديقِ وغيرِهِ، لِسُكنَايَ بيتَ الحقِّ بين الصَّفائحِ

أغفر ذنب الصديق وغير الصديق لمعرفتي أن آخِرِي السكن في بيت الحق، القبر، بين صفائح من الحجارة

وأزهَدُ في مدحِ الفتى عند صدقِه، فكيف قَبولي كاذباتِ المَدائحِ؟

أتعفف عن قبول مدح من فتى يمدحني صادقاً، فكيف أقبل المدح الكاذب؟

٧٥ الحرق والدفن

فاعجَبْ لِتحريقِ أهلِ الهندِ ميِّتَهُمْ، وذاك أَرْوَحُ مِن طولِ التَّباريحِ

عجباً للهنود يحرقون الميت.. هذا أكثر راحة له ولهم من التباريح، أي التعب

والنارُ أطيبُ مِن كافورِ ميِّتِنا غِبّاً، وأذهَبُ لِلنَّكراءِ والريحِ

فالنار أطيب غباً، أي نتيجةً وعاقبة، للميت من الكافور، وهو مسحوق أخضر ينثرونه على الميت قبل الدفن، والنار أفضل من الكافور للتخلص من النكراء والريح، المنظر المنكر للجثة المتفسخة ورائحتها

٧٦ أذى النصيحة

سمْعي مُوَقّىً سَالِمٌ، فقُلِ الصوابَ ولا تَصِحْ

والمرءُ في تركيبِه، غضبٌ يَهيِجُ إذا نُصِحْ

في طبيعة المرء غضب كامن يتحرك إذا سمع النصيحة.. لذا قل النصيحة بصوت خفيض لا بصياح

٧٧ النسك بعد الأربعين

تنسَّكْتُ بعد الأربعينَ ضرورةً، ولم يبقَ إلّا أن تقومَ الصَّوارِخُ

تنسكت بعد بلوغي الأربعين مضطراً، ولم يبق إلا تنوح علي النائحات.. عاش المعري بعد هذه الأربعين ستاً وأربعين سنة أخرى

٧٨ كاذبون يتبعون كاذبين

فواعَجَبا نَقْفُو أحاديثَ كاذِبٍ، ونتركُ، من جهلٍ بنا، ما نُشاهِدُ

نقفو: نتبع

لقد ضلَّ هذا الخلقُ، ما كان فيهِمُ، ولا كائنٌ، حتى القيامةِ، زاهِدُ

٧٩ نشقى بس نعيش

يوَدُّ الفتى أن الحياةَ بسيطةٌ، وأنَّ شقاءَ العيشِ ليس يَبيِدُ

يود الإنسان لو أن الحياة سهلة، لكنه لا يريد لشقاء العيش أن يبيد حتى لا يبيد العيش نفسه.. فهو يحتمل الشقاء لرغبته في العيش

وقد يخطِئُ الرأيَ امرُؤٌ، وَهْوَ حازمٌ، كما اختلَّ، في وزنِ القَريضِ عَبيدُ

ورغبة الإنسان في العيش رغم الشقاء خطأ. والحازم قد يخطئ مثلما اختل عبيد بن الأبرص في وزن الشعر.. فمعلقة عبيد، وأوردنا قطعة صالحة منها في كتابنا «أول الشعر»، مختلة الوزن جداً

٨٠ الدين وراثة

عاشُوا، كما عاشَ آباءٌ لهُمْ سَلَفُوا، وأُورِثُوا الدينَ تقليداً، كما وَجَدُوا

فما يُراعُونَ ما قالوا، وما سمعوا، ولا يُبالونَ، مِن غَيٍّ، لِمَنْ سَجَدُوا

لا يراعون: لا ينتبهون ولا يتدبرون

٨١ الذخيرة

صَيِّرْ عتادَكَ تقوى اللّهِ تَذْخَرُها، فما يُنَجِّيكَ منه السَّابِحُ العَتِدُ

تذخرها: تدَّخرها، السابح العتد: الحصان القوي

كم زالَ جيلٌ، وهذي الأرضُ بَاقيةٌ، ما هَمَّ بالزَّيْغِ، من أوتادِها وَتَدُ

الزيغ: الميل

٨٢ نتيجة التفكير

في كلِّ أمرِكَ تقليدٌ رضيتَ به، حتى مقالُكَ ربيِ واحدٌ أَحَدُ

وقد أُمِرْنا بِفِكْرٍ في بدائعِه، وإن تَفَكَّرَ فيه معشرٌ لَحَدُوا

وأهلُ كلِّ جِدالٍ يُمسكونَ به، إذا رأوْا نُورَ حقٍّ ظاهرٍ جَحَدُوا

٨٣ ليته الموؤود

طُوبى لِمَوْؤُودَةٍ في حالِ مولدِها، ظلماً، فليتَ أباها الفَظَّ مَوْؤُودُ

٨٤ التأهب ليوم الحساب

إن صَحَّ لي أنني سعيدُ فليتَني ضَمَّني صَعيدُ

سعادتي الحقيقية هي أن يضمني الصعيد، التراب.. بعبارة أخرى: ليتني أموت

صُمْتُ حياتي إلى مَماتي، لعلَّ يومَ الحِمامِ عيدُ

وراعَني لِلحسابِ ذِكْرٌ، وغَرَّني أنه بعيدُ

أخافني ذكر الحساب في الآخرة، واغتررت بأنه بعيد فلم أحسب للحساب حساباً

وعن يميني وعن شِمالي، يَصحبُني حافِظٌ قَعيدُ

على كتفي ملكان قاعدان يحفظان علي كل أفعالي

إذا رَجَوْنا قضاءَ وعدٍ، فكيف لا يُرْهَبُ الوَعيدُ؟

إذا كنا نرجو أن يحقق الله أمنياتنا فكيف لا نخاف من وعيده، تهديده بالعقاب على الذنوب؟

٨٥ لا هطلت

إذا الروحُ اللطيفَةُ زايَلَتْني، فلا هَطَلَتْ على الرِّمَمِ العِهادُ

إذا مت وفارقتني روحي، فلا أهتم لما يحدث.. لا يهمني إن هطلت على الرمم، بقايا الأموات، العهاد، السحب، بالمطر أم لم تهطل.. وكانوا يدعون للميت أن يسقي الله قبره بالمطر.. وحديثاً أن «يبشبش الله الطوبة التي تحت رأسه»، وقال المعري عكس هذا المعنى (فلا هطلت علي ولا بأرضي/سحائب ليس تنتظم البلادا)

٨٦ كذبوا عليهما

لقد كذبَتْ على عيسى النَّصارَى، كما كذَبَتْ على موسى اليهودُ

كذب عليه: أي زور كلاماً ونسبه إليه

٨٧ الأولاد والنساء

إذا بلغَ الوليدُ لديْكَ عَشْراً، فلا يدخلْ على الحُرَمِ الوليدُ

إذا بلغ الولد عشر سنين وجب ألا يدخل على النساء

أَلَا إن النساءَ حِبالُ غَيٍّ، بِهِنَّ يُضَيَّعُ الشرفُ التليدُ

التليد: الموروث

٨٨ قريش تقتل ابنها

أرى الأيامَ تفعلُ كلَّ نُكْرٍ، فما أنا في العجائبِ مُستَزيدُ
أليسَ قريشُكُم قتلتْ حُسَيناً، وصارَ على خِلافتِكُمْ يَزيدُ؟

قريش نفسها قتلت الحسين بن علي، وهو قرشي، وكان يزيد الفاسد، وهو قرشي، خليفة

٨٩ الطريق إلى السيادة

قالوا فلانٌ جَيِّدٌ لِصديقِه لا يكذِبُوا، ما في البَرِيَّةِ جَيِّدُ

البرية: البشر

فأميرُهُمْ نالَ الإمارةَ بِالخَنَى، وتَقِيُّهُمْ، بِصَلاتِه، مُتَصَيِّدُ

الخنى: الفحش

كنْ من تشاءُ مُهجَّناً، أو خالصاً، وإذا رُزقتَ غِنىً فأنتَ السيِّدُ

المهجن: من أبوه عربي وأمه غير عربية، والخالص: النقي النسب. المعنى: كن غنياً تكن لك السيادة بغض النظر عن نسبك

٩٠ أهل الأديان السماوية

ما أسلمَ المسلمونَ شرَّهُمُ، ولا يهودٌ لِتوبةٍ هَادُوا

هادوا: رجعوا عن ضلالهم

ولا النَّصارَى لِدينِهِمْ نَصَرُوا، وكلُّهُمْ لي بِذاكَ أَشْهادُ

٩١ رحِم الأم يتكلم

نادَى حَشا الأمِّ بالطفلِ الذي اشْتَملتْ عليه: ويحَكَ لا تظهرْ ومُتْ كَمَدا

رحم الأم يدعو الجنين إلى أن يموت كمداً، خنقاً، ولا يولد حياً

فإنْ خرجتَ إلى الدنيا لَقيتَ أذىً من الحوادثِ، بَلْهَ القَيْظَ والجَمَدا

فالخروج إلى الدنيا يعني ملاقاة أذى من الحوادث، المصائب، بله، ناهيك عن، القيظ والجمد، الحر والبرد

٩٢ أنا والرؤساء

وأَقْصانيِ مِن الرؤساءِ كَوْنيِ ... وكونُهُمُ لِخالِقِنا عبيدا

٩٣ شهادة إيمان

إذا كنتَ من فَرْطِ السَّفَاهِ مُعطِّلاً، ... فيَا جَاحِدُ اشْهَدْ أنني غيرُ جَاحِدِ

إن كنت من سفاهتك معطلاً، منكراً لصفات الله فعلَ بعض المعتزلة والجهمية أو بعض الفلاسفة، فاشهد أنني لست جاحداً مثلك

أخافُ مِن اللّهِ العُقوبةَ آجِلاً، ... وأزعُمُ أن الأمرَ في يدِ واحِدِ

فإنيِ رأيتُ المُلحِدينَ تَعودُهُمْ ... نَدامَتُهُمْ، عندَ الأَكُفِّ اللّواحِدِ

رأيت الملحدين يندمون عند اقتراب الأكف التي ستودعهم قبورهم، أي عند اقتراب الموت

٩٤ مشمئز من الروح ومن الجسد

ما زالتِ الروحُ، قبلَ اليومِ، في دَعَةٍ، ... حتى استقرتْ، بِحكمِ اللّهِ في الجَسَدِ

في دعة: في راحة

فالآنَ تلكَ وهَذا، مِن قَذىً وأذىً ... لا يُخْلِيانِكَ، بَلْهَ الغِلِّ والحَسَدِ

وَالآن فتلك، أي الروح، وهذا، أي الجسد، لا يتركانك خالياً من القذى، الوسخ، ومن الأذى.. بله، ناهيك عن، الغل، الحقد، والحسد

٩٥ الخير في ترك الشر

ما الخيرُ صومٌ يذوبُ الصائمونَ له، ... ولا صلاةٌ، ولا صُوفٌ على الجَسَدِ

صوف على جسد: إشارة إلى لبس المتصوفة الصوف الخشن الرخيص زهداً وتعذيباً لأنفسهم

وإنّما هُوَ تركُ الشرِّ مُطَّرَحاً ... ونَفْضُكَ الصدرَ من غِلٍّ ومن حَسَدِ

الغل: الحقد

٩٦ ضعف الإسناد

جاءتْ أحاديثُ إن صحّتْ فإن لها ... شأناً، ولكنَّ فيها ضعفَ إسنادِ

فشاوِرِ العقلَ، واتركْ غَيْرَهُ هَدَراً، ... فالعقلُ خيرُ مُشيرٍ ضَمَّه النَّادي

شاور عقلك واترك غيره هدراً، مهملاً، فالعقل خير مستشار يضمه النادي، المجلس

٩٧ تعالى الله

تعالى اللَّهُ! كم مَلِكٍ مَهيبٍ، تبدَّلَ بعد قَصرٍ ضِيقَ لَحْدِ
أُقِرُّ بأن لي ربّاً قديراً، ولا أَلْقَى بدائعَه بِجَحْدِ
لو انِّي في عِدادِ الرملِ صحبي لَأُودِعْتُ الثَّرى، وتُركتُ وحدي

٩٨ خلائق السفهاء

ولا تَجلِسْ إلى أهلِ الدَّنايا، فإن خَلائقَ السُّفَهاءِ تُعدي

الدنايا: خسائس الأمور التي يترفع عنها العاقل

٩٩ كلٌّ يسبِّح

اِركعْ لِربِّكَ في نهارِكَ واسْجُدِ ومتى أَطَقْتَ تهجُّداً فتهَجَّدِ

التهجد: صلاة الليل

كلٌّ يسبحُ، فافهمِ التَّقْديسَ في صوتِ الغرابِ، وفي صياحِ الجُدْجُدِ

الجدجد: صرصور الليل

١٠٠ أيها النصارى

لا تَبدَأونيَ بالعداوةِ منكُمُ، فمَسيحُكُمْ عنديَ نَظيرُ محمدِ

١٠١ إلى صالح بن مرداس

تَغَيَّبْتُ في منزلي بُرهَةً، سَتيرَ العيوبِ فقيدَ الحَسَدْ

البرهة: المدة الطويلة.. وعكسها الهنيهة.. ستير العيوب: مستورها

فلمَّا مضى العمرُ، إلَّا الأقلَّ، وحُمَّ لِروحيِ فراقُ الجسدْ..

عندما مضى العمر ولمن يبق إلا أقله، وحم لروحي، آن لها، أن تفارق جسمي..

بُعِثتُ شفيعاً إلى صالحٍ، وذاكَ من القومِ رأيٌ فَسَدْ

بعث بي أهل المعرة إلى أمير حلب صالح بن مرداس، الذي طوق بجنوده المعرة، كي أشفع لمن حبسهم من المعرة، وهم سبعون رجلاً

فَيسْمَعُ مِنّيَ سَجْعَ الحَمامِ وأسمعُ منه زئيرَ الأسدْ

كان يسمع مني الكلام اللين الرقيق، وأسمع منه الكلام الغليظ، وكان لقب صالح «أسد الدولة». (مع ذلك نجحت الشفاعة وأطلق صالح المحبوسين. كان ذلك عام ٤١٨هـ، وأبو العلاء في الخامسة والخمسين من العمر)

١٠٢ ندم على ترك بغداد

يا لَهْفَ نفسي على أني رجعتُ إلى هذي البلادِ، ولم أهلِكْ بِبغداذا

نادم أن رجعت إلى المعرة ولم أمت ببغداد

إذا رأيتُ أموراً لا توافقُني قلتُ: الإيابُ إلى الأوطانِ أدَّى ذا

كلما صادفت أمراً لا يوافقني قلت: عودتي من بغداد هي السبب

١٠٣ البَشَر ركاب سفينة

إذا كنتُ قد جاوزتُ خمسينَ حِجَّةً، ولم ألْقَ خيراً، فالمنيَّةُ لي سِتْرُ

ونحن كَرَكْبِ الموجِ، ما بين بعضِهِمْ وبين الرَّدى، إلّا الذراعُ أو الفِتْرُ

البشر كراكبي سفينة.. والمسافة بينهم وبين الموت غرقاً ذراع أو فتر

١٠٤ جلَّ الله عنكم

تَوَرَّعُوا، يا بني حَوّاءَ، عن كَذِبٍ، فما لَكُمْ، عند ربٍّ صَاغَكُمْ، خَطَرُ

لا تكذبوا أيها البشر وتقولوا إن الله مهتم بكم.. وإنه يرعاكم أو يعاقبكم بحسب أفعالكم، فما لكم عنده خطر، أي أهمية

لم تُجْدِبُوا لِقَبيحٍ من فِعَالِكُمُ، ولم يَجِئْكُمْ، لِحسنِ التوبةِ المَطَرُ

لم تجدبوا، يحل بكم القحط، لأنكم أذنبتم، ولم يأتكم المطر لتوبتكم.. التكملة المنطقية للفكرة: الله وضع قوانين الطبيعة، وهي التي تتحكم في سير الكون، ولم يعد الخالق يتدخل فيها

١٠٥ الانتقار

آلى الزمانُ يَقيناً أنْ سيجمَعُنا إلى الترابِ، ورُسْلُ الموتِ تَنْتَقِرُ

حلف الزمان أنه سيجمعنا في التراب.. ومضت الرسل التي يرسلها الموت، تنتقر، تنتقي منا واحداً واحداً

١٠٦ أباطيل وأسمار

هل صَحَّ قولٌ من الحاكي، فنقبَلَهُ، أم كـلُّ ذاكَ أَبـاطـيـلٌ وأَسْـمـارُ؟
هل صحيح ما يقوله المتكلم حتى نقبله؟ أم كل ما ورد من قصص مجرد خرافات نتسامر بها

١٠٧ السر خافٍ

مَضتْ قرونٌ، وتمضي بعدَنا أُمَمٌ، والسرُّ خَافٍ، إلى أن يُنْفَخَ الصُّورُ
قرون: أجيال، سيظل سر الخلق خافياً حتى ينفخ إسرافيل في الصور، البوق، وتقوم القيامة

١٠٨ المسير والمخير

ما بِاختِياريَ ميلادي، ولا هَرَمي ولا حياتي، فهل لي بعدُ تَخييرُ؟
ولا إقـامـةَ إلَّا عـن يَـدَيْ قَـدَرٍ، ولا مسيرَ إذا لـم يُـقْضَ تَسـيـيرُ
إقامتي في بلد هي عن يدي قدر، بيد القدر، ولا رحيل عن البلد بلا قضاء يقضي بالرحيل

زَعـمْـتَ أنـكَ تـهـديـنـي لِـواضِـحـةٍ، كذبتَ، هـذا الـذي تَـحْـكـيهِ تَـحـيـيرُ
فالقول بأن الإنسان مخير كذب.. وهذا القول يحير المرء لأنه يرى كل أفعاله مفروضة عليه

١٠٩ اضمحلال

قـد أصـبـحَ الـديـنُ مُـضْـمَـحِـلّاً، وغَـيَّـرتْ آيَـهُ الـدهـورُ
اضمحل الدين وغيرت الدهور آيه، أي معالمه

واعـتـاضَ حِـلَّ الـنِّـكـاحِ قـومٌ بِـنِـسْـوةٍ مـا لَـهـا مُـهـورُ
استعاض الناس عن الزواج باتخاذ الجواري، وهن نساء لا مهور لهن بل يسبين سبياً، أو يشترين شراء

١١٠ الناس والأديان

أُمـورٌ تَـسـتَـخِـفُّ بِـهـا حُـلـومٌ، ومـا يَـدري الـفـتـى لِـمَـنِ الـثُّـبـورُ
حلوم: عقول، الثبور: الهلاك

كـتـابُ مـحـمـدٍ، وكـتـابُ مـوسـى، وإنـجـيـلُ ابـنِ مَـريـمَ، والـزَّبُـورُ..
نَـهَـتْ أُمَـمـاً فـمـا قَـبِـلَـتْ، وبَـارَتْ نـصـيـحـتُـهـا، فـكـلُّ الـقـومِ بُـورُ
الكتب السماوية المذكورة نهت الأمم عن الشر فما قبلت الأمم نهيها، وبارت، فنيت، النصيحة، فكل الناس بور، هالكون

يُـعَـطَّـلُ مـنـزلٌ، ويُـزَارُ قـبـرٌ، وما تـبـقَـى الـديـارُ ولا الـقـبـورُ

يتم تعطيل المنازل بسبب الحروب، وبالمقابل يزور الناس قبور الأولياء، وكل هذا زائل

ومُـلْـكٍ كـالـريـاحِ. جَـرَتْ قَـبُـولٌ، فـلـم تَـلْـبـثْ، وأَعْـقَـبَـتِ الـدَّبُـورُ

رب مُلك شبيه بالرياح. فإن جرت ريح القبول، المنعشة، فلا تفتأ أن تأتي بعدها ريح الدبور المخربة

أُصـولٌ قـد بُـنـيِـنَ عـلـى فـسـادٍ، وتـقـوى الـلَّـهِ سُـوقٌ لا تَـبـورُ

١١١ الدعوة المنبرية للأمير

أنـا، بِـالـلـيـالـيِ والـحـوادثِ أخبَرُ سَـفَـرٌ يَـجِـدُّ بِـنـا، وجِـسـرٌ يُـعـبَـرُ

نحن على سفر يجد بنا، جاد لا يبطئ، والدنيا مجرد جسر نعبره

يَدعُونَ في جُمُعاتِهِمْ بِسَفاهَةٍ، لأَميرِهِمْ، فيكادُ يَبكي الـمِنبرُ

١١٢ حليف الأربعين

أَرواحُـنـا مَـعَـنـا ولـيـس لـنـا بـهـا عـلـمٌ فـكـيـفَ إذا حَـوَتْـهـا الأَقْـبُـرُ

ومتى سَرى، عن أَربعينَ، حليفُها فالشخصُ يَصغُرُ، والحوادثُ تَكْبُرُ

عندما يخلّف حليف الأربعين، أي الذي بلغها، هذه السن وراءه، فطموحه يصغر والمصائب تكبر

١١٣ وتقدرون فتضحك الأقدار

ويقولُ: دَاريِ، مَن يقولُ، وأَعْبُديِ، مَـهْ! فـالـعـبـيـدُ، لِـرَبِّـنـا، والـدَّارُ

مه: اكفف واسكت

أَتَـرومُ مِـن زمـنٍ وفـاءً مُـرضـيـاً، إن الـزمـانَ، كـأهـلِـه، غَـدَّارُ

تَقِفُونَ، والفَلَكُ الـمُسَخَّرُ دائرٌ، وتـقـدِّرونَ، فـتـضـحـكُ الأقْـدارُ

البشر واقفون بينما الفلك الذي سخره الله يدور، ودوران الفلك هو مرور الزمن، والبشر ينوون فعل شيء ولكن القدر يضحك منهم

١١٤ حِبر صادق وأحبار كاذبون

آلَيْتُ ما الحِبْرُ الـمِدادُ بِكاذِبٍ، بـل تَـكـذِبُ الـعـلـمـاءُ والأَحـبـارُ

ليس الحبر الذي كتبوا به كتبهم هو الكاذب بل العلماء والأحبار هم الكاذبون

١١٥ سينالك التيار

كم بِالـمـدينـةِ مِن غـريـبٍ نـازلٍ   لا ضَـابِـئٌ مـنـهُـمْ ولا قَـيَّـارُ

كثيرون الغرباء النازلون ضيوفاً على المدينة المنورة، سوى ضابئ البرجمي وجمله قيار، فقد نزل هذا الرجل بالمدينة في عهد عثمان وقال البيت السائر: «فمن يك أمسى بالمدينة رحله/ فإني وقياراً بها لغريب»

سارَ الزمانُ بِهِمْ إلى أَجْداثِهِمْ،   وكـذا الـزمـانُ بِـأهـلِـه سَـيَّـارُ

وقد سار الزمن بالجميع إلى أجداثهم، أي قبورهم، وكذا هو الزمن

كنْ حيثُ شِئتَ بِلُجَّةٍ، أو رَبْوَةٍ،   أو وَهْـدَةٍ، سَـيَـنـالُـكَ الـتَّـيَّـارُ

كن أينما شئت، في لجة البحر، أو فوق ربوة، أو في وهدة، أي وادٍ، سينالك تيار الموت

١١٦ الطريدة

أعـمـارُنـا جـاءت كْـآيِ كـتـابِـنـا   مـنـهـا طِـوالٌ وُفِّـيَـتْ وقِـصَـارُ

أعمارنا كآيات القرآن، فيها الطوال وفيها القصار

والـنـفـسُ فـي آمـالِـهـا، كَـطَـريـدَةٍ   بـيـن الـجَـوارحِ، مـا لـهـا أنـصـارُ

والنفس البشرية وهي تطمح بآمالها إلى النجاة هي مثل طريدة، ظبية مطارَدة، بين الجوارح، الوحوش، لا نصير لها. تعليق أحمد عبد الرحيم: [هذا بيت هائل! شبَّه النفس بالطريدة، فأداه إلى الكناية عن جوارح الإنسان، الشهوانية التي لا ترحم النفس ولا تدعها لسكينةٍ محلومٍ بها، بجوارح طير السماء التي لا ترحم طرائدَها المتوحدةَ المذعورة! ومنظر انقضاض جوارح السماء على طرائد الأرض المذعورة منظر هائل! أفهم البيت على أنه صراع ذاتي.. بين الذات/ الروح والجسد. فجوارح الإنسان لا تساعد روحه على السمو، وهذا الإنسان وحيدٌ تمامًا في هذا الصراع.. بلا أنصار يعينونه، كما الطريدة/ الظبية المسكينة المتوحِّدة المنفردة عن قطيعها.. لا ينصرها من جوارح السماء المنقضة عليه ناصر! والخلاصة: لا نجاة! كما لا نجاة للطريدة/ الظبية المسكينة]

١١٧ نحن على كف الرحمن

فَـلَـكٌ يَـدورُ بـحِـكـمـةٍ   ولـه، بـلا ريـبٍ مُـديـرُ

تدور النجوم في أفلاكها بتقدير حكيم، ولا بد من مدير لها

إن مَـنَّ مـالِـكُـنـا بـمـا   نَـهـوى، فَـمَـالِـكُـنـا قَـديـرُ

أو لا، فـعـالَـمُ آدمٍ،   بـإهَـانَـةِ الـمَـوْلـى، جَـديـرُ

١١٨ الفضيحة

لَـعَـمـرِيَ لـقـد فـضـحَ الأوَّلـيــ ـنَ مـا كـتـبـوهُ ومـا سَـطَّـرُوا

فضح جهل القدماء ما كتبوه من خرافات حسبوها علماً

وقــد عــلِـمَ الــلَّـهُ أن الــعـبـا دَ إن يُـرزَقُـوا نِـعـمـةً يَـبْـطَـرُوا

يبطر: يجحد ويسرف

وإن عَـجِبُوا لاحـتِـبـاسِ الـغَـمـامِ، فَـأعْـجَـبُ مِـن ذاكَ أن يُـمْـطَـرُوا

يعجبون كيف ينقطع المطر عنهم، والأعجب أن ينزل المطر فالناس لا يستحقون النعمة

١١٩ الجحيم هو الآخرون

إذا حـانَ يَـومـي فَـلأُوَسَّـدْ بِـمـوضِـعٍ مِـن الأرضِ لـم يَـحْـفِـرْ بـه أحدٌ قَـبرا

كذا كانت وصية الشاعر العراقي معروف الرصافي، فقد أراد أن يدفن في أرض «مظلومة» لم تحفر من قبل.. وما أدراك!

يَـرى عَـنَـتاً، فـي قُـرْبِ حـيٍّ ومـيِّـتٍ مِن الإنسِ، مَنْ جَلَّى سَرائِرَهُمْ خُبْرا

الذي جلى، كشف، سرائر الناس، ضمائرهم، يرى الاقتراب منهم، سواء في الحياة أم في الموت عنتاً، تعباً

فـيا لـيتَـنـي لا أَشـهَـدُ الـحَـشْـرَ فـيـهِـمُ إذا بُـعِـثُـوا شُـعْـثـاً رؤوسُـهُـمُ، غُـبْـرا

لا يريد الاختلاط بالناس حتى يوم القيامة عندما يبعثون شعث الرؤوس، منكوشي الشعر، مغبرين. وقد تخيل أبو العلاء والده ـ في رثاء أوردناه فيما اخترناه من ديوان شبابه «سقط الزند» ـ يأبى أن يزاحم الناس في يوم القيامة للشرب من الحوض

١٢٠ الإيمان المحض

إذا آمَـنَ الإنـسـانُ بـالـلَّـهِ فـلـيَـكُـنْ لَـبيباً، ولا يَـخْـلِـطْ بإيـمـانِـه كُـفْـرا

شكراً للنصيحة

١٢١ الانتباه

ولا انْـتِـبـاهَ لإنْـسٍ مـن رُقـادِهِـمُ، إلَّا إذا قيلَ: هـذا الـموتُ قد حَـضَـرا

١٢٢ أنا والزمان فرسا رهان

أقاتِلِيَ الزمانُ، قِصاصَ عَمْدٍ، لأنّيَ قد قتَلْتُ بَنيهِ خُبْرا؟

أيقتلني الزمان قصاصاً لارتكابي ذنباً عن عمد هو أنني قتلت أبناءه معرفة، أي عرفتهم كل المعرفة

ولم أَسْفِكْ دِماءَهُمُ، ولكنْ عَرفْتُ شُؤُونَهُمْ كَشْفاً وسَبْرا

السبر: قياس العمق

غَدَوْتُ ورَيْبَهُ فَرَسَيْ رِهَانٍ، يُجِدُّ نَوائباً، وأُجِيدُ صَبرا

كنت أجري مع ريب الزمان، مصائبه، كأننا فرسا رهان يتسابقان، فالزمان يجد نوائباً، يجدد لي المصائب، وأنا أحسن الصبر عليها

١٢٣ الدفن دفء

والدَّفْنُ دِفْءٌ في الشتاءِ، وظُلَّةٌ في القَيْظِ، حُقَّ لِمِثْلِها أن يُؤْثَرا

الدفن يدفئك شتاء ويظللك من شمس الصيف صيفاً، وجدير بهذه المظلة أن تؤثر، أي تفضَّل

١٢٤ أسماء البشر الحسنى

لم أَرْضَ رَأْيَ وُلاةِ قَومٍ، لَقَّبُوا مَلِكاً بِمقتدرٍ، وآخَرَ قَاهِرا

هَذي صِفاتُ اللَّهِ، جَلَّ جلالُه، فالحقْ بِمَنْ هَجَرَ الغُواةَ مُظاهِرا

فكن مع من هجروا الضلال مظاهراً لهم ومناصراً

كم قَائِمٍ بِعظاتِه مُتَفَقِّهٍ في الدينِ، يوجَدُ حين يُكْشَفُ عَاهِرا

١٢٥ استحالة المعرفة

ما لي بما بعد الرَّدَى مَخْبَرَةْ قد أَدْمَتِ الآنُفَ هذي البُرَةْ

لا علم لي بما بعد الموت، ولقد أدمت الأنوف هذه البرة، الحلقة التي توضع في أنف الجمل لتذليله

كَمْ رامَ سَبْرَ الأمرِ مَنْ قبلَنا، فنادَتِ القُدْرَةُ لن تَسْبُرَهْ

كثيراً ما رام، أي حاول، سبر الأمر، معرفة عمق الحقيقة، الناس قبلنا، ولكن قدرة الله قضت ألا يسبروا هذا العمق

عِشْنا وجسرُ الموتِ قُدَّامَنا فَشَمِّرِ الآنَ لِكَيْ تَعْبُرَهْ

١٢٦ درس الحساب

وهَـوَّنَ مـا نَـلـقَـى مـن الـبؤسِ أنـنـا بَنُـو سَفَرٍ، أو عـابـرونَ عـلـى جِسرِ
متى أَلْقَ، من بعدِ الـمنيةِ، أسرتيِ أُخَبِّرْهُـمُ أنـيِ خَـلُـصْـتُ مـن الأَسْـرِ
سَما نَفَرٌ، ضَرْبَ الـمِئِينَ، ولـم أزلْ بِحَمْدِكَ مِثلَ الكَسْرِ يُضربُ في الكَسْرِ

بعض الناس سموا، ارتفعوا، كما تضرب المئة بالمئة فالنتيجة عشرة آلاف، فمكاسبهم مضاعفة، وأنا ظللت بحمد الله في تضاؤل كما تضرب الكسر بالكسر فالنصف ضرب نصف يساوي ربعاً

١٢٧ حتى جبريل!

ولـو طـارَ جـبـريـلٌ بـقـيـةَ عُـمـرِهِ عَنِ الدهرِ، ما اسطَاعَ الخروجَ من الدهرِ

١٢٨ دع النسل

ولـم يـتـنـاولْ دُرَّةَ الـحـقِّ غَـائِـصٌ مـن الـنـاسِ، إلَّا بِـالـرَّوِيَّـةِ والـفِـكْـرِ

لم ينجح في الإمساك بلؤلؤة الحق أي غائص من البشر إلا بالتروي والتفكر

دعَ النَّسْلَ! إن النسلَ عُقْباهُ ميتَةٌ، ويُهْجَرُ طيبُ الراحِ خوفاً من السُّكْرِ

لا تنجب بنين وبنات فالنتيجة النهائية الموت، والمرء يترك الأمر المستطاب بسبب نتيجته الرديئة، فالخمر يهجرها المرء خوفاً من السكر

١٢٩ ليتنا نموت ولا نبعث

وأَعـجَـبُ مـا تَـخـشـاهُ دَعـوَةُ هـاتـفٍ: أُتِيتُمْ، فَهُبُّوا يا نِيامُ إلى الـحَشْرِ

أعجب ما ستلقى هاتفاً يهتف: قد أُتيتم، جئناكم، فاستيقظوا وهيَّا للحشر

فـيـا لَـيْـتَـنـا عـشْـنـا حـيـاةً بـلا رَدىً، يَدَ الدهرِ، أو مُتْنا مَماتاً بِلا نَشْرِ

النشر: البعث من القبور

١٣٠ التوحيد والتعديد

إذا كـنـتَ ذا ثِـنـتَـيْـنِ فـاغْـدُ مُـحَـارِباً عَـدُوَّيْـنِ، واحـذَرْ مـن ثـلاثِ ضَـرائِـرِ
وإن هُـنَّ أَبْـدَيْـنَ الـمَـودَّةَ والـرضـا، فكم من حُقُودٍ غُيِّبَتْ في السرائرِ!

إن أبدت الضرائر الرضا فهن يخفين أحقاداً في السرائر، الضمائر

قِـرانُـكَ مـا بـيـن الـنـسـاءِ أَذِيَّـةٌ لَـهُـنَّ، فـلا تـحـمِـلْ أذاةَ الـحَـرائِـرِ

١٣١ فضة وذهب

رأيتُ سُكوتِي مَتْجَراً، فلَزِمْتُه،   إذا لم يُفِدْ رِبْحاً، فلستُ بِخاسِرِ

١٣٢ مداراة العدو

يقولُ لكَ العقلُ الذي بَيَّنَ الهُدى: إذا أنتَ لم تَدْرَأْ عَدُوّاً فَدارِهِ

لم تدرأ: لم تردع

وقَبِّلْ يدَ الجاني الذي لَسْتَ وَاصِلاً   إلى قطعِها، وانظُرْ سُقوطَ جِدارِهِ

يقول مثلنا: اليد التي لا تقدر عليها قبلها، وادعُ عليها بالكسر

١٣٣ الفكر مرآة الحق

كأنَّما الخيرُ ماءٌ كان وَارِدَهُ   أهلُ العصورِ فما أَبْقَوْا سِوى العَكَرِ

الخير شبيه بحوض ماء كان يأتيه أهل العصور المتلاحقة فذهب صفوه وبقي فيه الماء المتكدر

وما تُريكَ مَرائي العينِ صَادِقَةً   فاجعلْ لِنفسِكَ مِرآةً من الفِكَرِ

لا تريك مرائي العين، مراياها، صورة صادقة، أي حقيقية، فلتكن مرآتك فكرك. ترى وجهك في المرآة فتراه جميلاً، وتفكر بعقلك وتقول: هذه الصلعة وهذا الأنف المعوج، وتلك الشفاه المتقلصة والأسنان المتراكبة ـ المؤلف لا يصف نفسه بالضرورة ـ لا تعني الجمال، فعقلك مرآة أفضل

١٣٤ الناس والغراب

تَمضِي الحياةُ، وما لِي إِثرَها أَسَفٌ،   وَدِدْتُ أَنَّ مُعيرَ العيشِ لم يُعِرِ

ليت الذي أعارني العيش لم يعره

والموتُ يَسْلُبُ ما في الأنفِ من شَمَمٍ   تحتَ الترابِ، وما في الخَدِّ من صَعَرِ

يسلب الموت الشمم، ارتفاع الأنف من كبرياء، والصعر، ميل الخد تكبراً

جُرْ يا غُرابُ وأَفْسِدْ، لن ترى أحداً   إلا مُسيئاً، وأيُّ الخلقَ لم يَجُرِ؟

فلتكن جائراً أيها الغراب ومفسداً للزرع، فكل الخلق مثلك

فخُذْ من الزَّرْعِ مَا يكفيكَ عن عُرُضٍ،   وحاوِلِ الرزقَ في العَالي مِن الشجرِ

عن عرض: كيفما اتفق

لو كنتَ حَافِظَ أثمَارٍ لَهُمْ يَنعَتْ ثم اقتَرَبْتَ لَمَا أَخْلَوْكَ من حَجَرِ

حتى لو كنت يا غراب حارساً يحفظ زرع الناس ثم اقتربت لما تركوك دون أن يرموك بحجر

١٣٥ صكوك الغفران

نَادَتْ على الدينِ، في الآفاقِ، طَائفةٌ، يا قَومُ! من يشتري دِيناً بِدينارِ؟

بعضهم يحث على التبرع والتصدق فكأن هذا بيع للدين مقابل الدنانير

جَنَوْا كَبائِرَ آثام، وقد زَعموا أن الصغائرَ تَجْني الخُلْدَ في النارِ

وهؤلاء يرتكبون كبائر الذنوب ثم يقولون للناس إن الصغائر تدخل المرء النار. أ. عبد الرحيم: [يعرِّض بمعتزلة زمانه (على الأقل!).. ولطالما هجاهم تصريحًا!]

١٣٦ قطع اليد

تناقُضٌ ما لنا إلا السُّكوتُ له وأن نَعوذَ بِمولانا من النارِ

يَدٌ بِخَمْسِ مِئينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ، ما بَالُها قُطِعَتْ في رُبْعِ دينارِ؟

إذا قطع أحدهم يد آخر ففدية اليد في الشرع خمسمئة دينار عسجداً، أي ذهباً، فلماذا تُقطع يد المرء إذا سرق ربع دينار؟ رد الشعراء على أبي العلاء كثيراً.. ورد الفقهاء، قال أحدهم عن اليد: «عندما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت»

١٣٧ اتركوهم في ظهوركم

وإذا أردتُمْ للبنينَ كَرامةً، فالحزمُ أجمعُ تركُهُمْ في الأظْهُرِ

خير للمرء أن يترك أولاده في صلبه، في ظهره، ولا ينجبهم

١٣٨ الموت جيد، وهاكم الدليل

ويَدُلُّني، أن المماتَ فضيلَةٌ، كونُ الطريقِ إليهِ غيرَ مُيَسَّرِ

١٣٩ الأم والطفل والمنجم

سألتْ منجِّمَها عن الطفلِ الذي في المهدِ: كم هُوَ عائشٌ من دهرِهِ؟

فأجابَها: مِئَةً، لِيأخذَ درهماً، وأتى الحِمامُ وليدَها في شهرِهِ

أعدَى عدوٌّ لابنِ آدمَ، خِلْتُه، ولدٌ يكونُ خروجُه من ظَهرِهِ

١٤٠ التجارة الرابحة

رَغِبوا، فأزهَدُ مَن تَرى فوقَ الثَّرى　　يَبغُونَ، عند اللَّهِ، رِبْحَ تِجارِ

تجار: تجّار

١٤١ اضمحلال الطموحات

بلغَ الفتى هَرَماً، فظنَّ زمانَه　　هَرِماً، وذمَّ تقادُمَ الأعصَارِ

عندما يكبر الإنسان يظن الزمن نفسه شاخ ولم يعد جيداً

ورُميتُ بِالهِمَمِ الطِّوالِ، وغالَها　　كَرُّ الخطوبِ، فَعُوِّضَتْ بِقِصارِ

ابتليت بالهمم الطوال، الطموحات الكبيرة، وغالها كر الخطوب، أهلك الطموحات تكرر المشكلات، فأصبحت صغيرة

١٤٢ ركبت أربعين جملاً

ورَمَيْتُ أعوامي ورائيَ، مثلَما　　رَمَتِ المَطِيُّ مَهامِهَ السُّفَّارِ

رميت سني حياتي ورائي كما ترمي الإبل مهامه السفار، صحارى المسافرين، وتقطعها

وركِبْتُ منها أربعينَ مَطِيَّةً،　　لم تَخلُ من عَنَتٍ وسوءِ نِفارِ

ركبت أربعين مطية، أي عشت أربعين سنة، لم تخل من تعب وسوء نفار، جموح

١٤٣ ضلال اليهود

ضَلَّتْ يهودُ، وإنَّما تَوْراتُها　　كذِبٌ من العلماءِ والأَحبارِ

قد أَسندوا عن مثلِهِمْ، ثم اعْتَلَوْا،　　فَنَمَوْا بإسنادٍ إلى الجبَّارِ

وإذا غَلبتَ مناضلاً، عن دينِه،　　ألقى مقالِدَهُ إلى الأخبارِ

إذا غلبت بحجتك مناضلاً، مدافعاً، عن دينه فسوف يلقي مقالده، مفاتيح أموره، إلى ما قاله الأقدمون

١٤٤ حرقوه فاستراحوا واستراح

حَرَّقَ الهندُ مَن يموتُ، فما زا　　رُوهُ في رَوْحَةٍ، ولا تَبكيرِ

وأَراحُوا من ضَغطةِ القبرِ مَيْتاً　　وسُؤَالِ لِمُنكَرٍ ونَكيرِ

١٤٥ علي وقنبر

لا يَفْخَرَنَّ الهاشميُّ ـ على امْرِئٍ من آلِ بَرْبَرْ
فالحقُّ يحلِفُ: ما عَلِيٌّ ـ عندَه إلّا كَقَنْبَرْ

قنبر: خادم علي بن أبي طالب

١٤٦ قياس

أيها الملحدُ لا تعصِ النُّهَى، فلقد صحَّ قياسٌ واستَمَرّ

أيها الملحد لا تخالف العقل، فقد صح القياس واطرد

إن تَعُدْ في الجسمِ يوماً روحُهُ فَهْوَ كالرَّبْعِ خلا ثم عَمَرْ

فالروح تعود للجسم بعد خرابه فيعمر مثلما يكون الربع، المكان، خالياً ثم يعمر، وهذا هو القياس

١٤٧ أنا وصالح

ما لُمْتُ في أفعالِه، صالحاً، بل خِلْتُه أحسنَ مني ضَميرْ

لا ألوم صالح بن مرداس أمير حلب، بل ضميره خير من ضميري وسريرته أنقى من سريرتي

يا قومُ! لو كنتُ أميراً لكُمْ ذمَمْتُمُ في الغيبِ ذاكَ الأميرْ

١٤٨ المساجد والمواخير

مساجِدُكم ومواخِيرُكُمْ، سَواءٌ، فبُعداً لكُمْ من بَشَرْ

المواخير: بيوت الخمر والنساء

وما أنتُمُ بالنَّباتِ الحميدِ، ولا بالنخيلِ ولا بالعُشَرْ

لستم أيها الناس نباتاً حميداً، ولا نخلاً ولا عشراً، والعُشَر شجر معروف قال لنا أبو العلاء في كتابه «الصاهل والشاحج» إنهم يحشون بأوراقه الوسائد

ولكنْ قَتادٌ عديمُ الجُناةِ، كثيرُ الأذاةِ، أبَى غيرَ شَرّ

أنتم قتاد، أي شوك، لا يجنيه أحد، وليس فيه إلا الشر

فيا ليتَني في الثرى، لا أقومُ إنِ اللّهُ ناداكُمُ، أو حَشَرْ
وما سَرَّني أنني في الحياةِ وإنْ بانَ لي شرفٌ وانتَشَرْ

١٤٩ الوعد والإنجاز

تجنَّبِ الوعدَ يوماً أن تفُوهَ به، فإنْ وعدْتَ فلا يَذْمُمْكَ إنجازُ

تجنب الوعد، فإن حدث ووعدت فلا تجعل قلة الإنجاز والوفاء بالوعد تسبب لك الذم

واصْمُتْ، فإن كلامَ المرءِ يُهلِكُهُ، وإن نطقْتَ، فإفصاحٌ وإيجازُ

١٥٠ الفقهاء

أجازَ الشافعيُّ فَعالَ شيءٍ وقال أبو حنيفةَ لا يَجوزُ

هذا وأسلاف أبي العلاء كانوا قضاة على مذهب الشافعي

فَضَلَّ الشِّيبُ والشبانُ منَّا وما اهْتَدَتِ الفتاةُ ولا العجوزُ

ولم آمَنْ على الفقهاءِ حَبْساً، إذا ما قيلَ لِلأُمَناءِ جُوزُوا

لست متأكداً من وضع الفقهاء يوم القيامة، فقد يحبسون خارج الجنة إذا قيل للأمناء من الناس جوزوا، اقطعوا الصراط واجتازوه

١٥١ اختلاف

الناسُ مختلفونَ، قيلَ: المرءُ لا يُجزَى على عملٍ، وقيلَ: يُجازَى

بعضهم يقول ثمة حساب، وبعضهم يقول لا حساب

١٥٢ الخير بلا مقابل

تَوَخَّيْ جميلاً، وافعليهِ لِحُسْنِه، ولا تَحكُمي أن المَليكَ به يَجْزي

افعلي الخير يا هذه لأنه خير ولا تحكمي بأن الله يجزي به

فذاكَ إليهِ: إن أرادَ فَمُلْكُهُ عظيمٌ، وإلا فالحِمامُ لنا مُجْزِ

فالثواب والعقاب لله إن شاء، وإن لم يكن حساب فالموت لنا مجز، مجزئ أي كاف

١٥٣ تكلُّمي بالمجاز

أوْجَزَ الدهرُ في المَقالِ إلى أن جعلَ الصمتَ غايةَ الإيجازِ

مَنطِقاً ليس بالنَّثيرِ، ولا الشعـ ـرِ، ولا في طَرائِقِ الرُّجَّازِ

كلام الزمن ليس نثراً ولا شعراً ولا رجزاً. وكان «علماء» الشعر يعدون الرجز شيئاً غير الشعر

وَعَدَتْنا الأيامُ كلَّ عجيبٍ، وتَلَوْنَ الوُعودَ بالإنجازِ

تلوْنَ: تبعن

هِيَ مِثْلُ الغَوانِ إن تَحْسُنِ الأَوْ جُهُ منها، فالثِّقْلُ في الأَعجَازِ

الأيام، أي الزمن، مثل الحسان وجوههن حسنة ولكن الثقل الحقيقي في أكفالهن، والزمن حاضره يكون جميلاً ولكن الشدائد تأتي بعد ذلك

مَنْ يُرِدْ صفوَ عيشةٍ يبغِ مِن دُنـ ـياه أمراً مُبَيَّنَ الإعجازِ

فافعلِ الخيرَ إن جَزاكَ الفتى عنـ ـهُ، وإلَّا فاللَّهُ بالخيرِ جازِ

لا تُقَيِّدْ عليَّ لفظي فإني مثلُ غيري، تكلُّمي بالمَجازِ

إنَّما عِشْرَةُ الأنامِ نِفاقٌ، وتباهٍ في باطلٍ، وتَجازِ

معاشرة الناس نفاق، وفيها التباهي بالباطل من ادعاء العلم وادعاء الفضل إلخ، وفيها التجازي.. أي أن كل خير يفعله المرء يريد عليه مقابلاً

١٥٤ الإيعاز

أوعَزَ الدهرُ بالفناءِ إلى النا سِ، فَوَاهاً لِذلكَ الإيعازِ

أوعز الدهر، أي أشار آمراً، إلى الناس بأن الفناء مصيرهم، فيا للوعتي لهذا الإيعاز

أعرِضُوا عن مَدائحٍ وتَهانٍ، فالمراثي أولى بكُمْ والتَّعازي

١٥٥ التوبة المتأخرة

إذا ما أسَنَّ الشيخُ أقصاهُ أهلُه، وجارَ عليه النَّجْلُ والعبدُ والعِرْسُ

العرس: الزوجة

يسبِّحُ، كيما يَغفِرَ اللَّهُ ذنبَه، رُوَيْدَكَ في عهدِ الصِّبا مُلِئَ الطِّرْسُ

في صباك ملئ الطرس، الورقة، بالذنوب.. وجئت تستغفر في شيخوختك!

وقد كان من فرسانِ حربٍ وغارةٍ، فلم يُغْنِ عنه السيفُ والرمحُ والتُّرسُ

عجبتُ لِقبرٍ فيه ضيقٌ تَزاحمَتْ، على الكونِ فيه العُرْبُ والرومُ والفُرسُ

على الكون فيه: لتكون فيه

١٥٦ لو انيَ كلب

لـو انِّـيَ كَـلبٌ، لاعْـتَـرتْـنـي حَـمِـيَّـةٌ   لِجَروِيَ، أن يَلقَى كما لَقِيَ الإِنْسُ
أرى الحَيَّ جنساً ظلَّ يشمَلُ عالَمِي   بأنْواعِه، لا بُورِكَ النوعُ والجنسُ

الحي، أي القوم أي البشر، جنس.. وهذا الجنس يشبه كل الأنواع، كل المخلوقات.. وعموماً لا بورك في النوع ولا في الجنس

١٥٧ لبت حول الماء

لُبْتُ، حـولَ الـمـاءِ مِـن ظَـمَـأٍ،   إن غَـرْبـي مـا لـه مَـرَسُ

طفت حول بئر الماء عطشان، ولكن غربي، أي دلوي، ليس له مرس، أي حبل

مُـهـجَـتـي ضِـدٌّ يُـحَـارِبُـنـي،   أنـا مِـنِّـي كـيـف أَحْـتَـرِسُ؟

قلبي ضدي.. فكيف أحترس منه؟

إنـمـا دنـيـاكَ غـانـيـةٌ،   لـم يُـهَـنِّـئْ زوجَـهـا الـعُـرُسُ

١٥٨ مطر يغسل الأرض

هل يغسلُ الناسَ عن وجهِ الثرى مطرٌ،   فما بَقُوُا لم يُبارِحْ وجهَهُ دَنَسُ

ما بقوا: ما داموا باقين

والأرضُ ليس بِمَرْجُوٍّ طهارتُها،   إلا إذا زالَ عن آفاقِها الأَنَسُ

١٥٩ أنا وطلابي

دنياكَ دارُ شُرورٍ لا سُرورَ بها،   وليس يدري أخوها كيف يَحترسُ
بينا امْرُؤٌ يتوقَّى الذئبَ عن عُرُضٍ   أتاهُ ليثٌ، على العِلّاتِ، يَفْتَرِسُ

بينا: بينما، عن عرض: من ناحية، على العلات: رغم كل شيء

ألا ترى هَرَمَيْ مِصرٍ، وإن شَمَخا،   كِلاهُما بيقينٍ سوف يندَرِسُ

يندرس: يزول.. كل شعراء العرب مصرون على أن بمصر هرمين فقط.. وفيها بالمناسبة أكثر من مئة هرم

١٦٠ ماذا تريدون؟

يَزورُني القومُ، هذا أرضُه يَمَنٌ،   من البلادِ، وهذا دارُه الطَّبَسُ

الطبس: بلدة بخراسان

يبغون مِنِّيَ معنىً لستُ أُحسِنُه فإن صدقتُ عَرتْهُمْ أوجهٌ عُبُسُ

يبدو أنه كان يقول لطلابه «لا أعلم» عندما لا يعلم فتعروهم، تكسوهم، وجوه عابسة

ماذا تريدونَ؟ لا مالٌ تيسَّرَ لي فَيُسْتَمَاحُ، ولا عِلْمٌ فيُقتَبسُ

يستماح: يُطلَب

١٦١ نقيضان

بناتُ العَمِّ تأبَاها النصارى وبالأخَواتِ أعْرَسَتِ المجوسُ

المسيحيون يكرهون الزواج من بنات العم والخال، وشاع أن المجوس يتزوجون أخواتهم وبناتهم

١٦٢ ضرائب ولا حماية

يا رَبِّ أَخْرِجني إلى دارِ الرِّضَا عجِلاً، فهذا عالَمٌ مَنْكُوسُ

دار الرضا: الجنة، منكوس: مقلوب

وأرى مُلوكاً لا تَحُوطُ رعيَّةً، فعلامَ تؤخَذُ جِزيةٌ ومُكُوسُ؟

الملوك لا يحوطون، لا يحمون، الرعية فلماذا يأخذون الجزية من النصارى والمكوس، الضرائب من الجميع

١٦٣ الساسة

يَسوسونَ الأمورَ بغيرِ عقلٍ فينفُذُ أمرُهُمْ، ويقالُ: ساسَةْ

فأفٍّ من الحياةِ، وأفٍّ مني ومن زمنٍ رئاستُه خَساسَةْ

١٦٤ الحدس لا اليقين

أصبحتُ في يومي أُسائلُ عن غَدي مُستخبِراً عن حالِهِ مُتَنَدِّسَا

متندساً: متحرياً

أمَّا اليقينُ، فَلا يَقينَ، وإنما أقصَى اجتهاديَ أن أظُنَّ وأحْدِسا

١٦٥ يا قصير العمر

وأردتُمونيَ أن أكونَ مُدَلِّساً هيهاتَ! غيريِ آثَرَ التَّدْليسا

التدليس: ادعاء العلم بالشيء

إن ماتَ صاحِبُكُمْ، فجِدُّوا بعدَه في النُّسْكِ، واتَّخِذوا الخُشوعَ جَليسا
فاللَّهُ ما اختارَ البقاءَ وطُولَه، إلَّا لِشَرٍّ عبادِهِ إبليسا

١٦٦ من التراب إلى التراب

وما زالَ هذا الجسمُ، مُذْ فارَقَ الثرى، على تَعَبٍ، حتى أُعيدَ إلى الرَّمْسِ

منذ أن خلق الجسم من الثرى، التراب، ظل متعباً حتى عاد إلى الرمس، القبر، وإلى التراب

١٦٧ الجاهر والهامس

دعا مُوسى فَزَالَ، وقامَ عيسى، وجاءَ محمدٌ بِصلاةِ خَمْسِ
وقيلَ يَجيءُ دينٌ غيرُ هذا، وأَوْدَى الناسُ بين غدٍ وأمسِ

لو سئل أبو العلاء عن هذا الدين الذي سيجيء لربما قال: ما زعموه من مجيء الدجال ثم المسيح المنتظر. ونحن نظن أن أبا العلاء يريد القول: الأديان لم تختم وقد يجد جديد

ومهما كان في دنياكَ أمرٌ فما تُخْليكَ من قَمَرٍ وَشَمْسِ

الثوابت في هذه الدنيا قليلة.. القمر والشمس مثلاً

وآخِرُها بأَوَّلِها شبيهٌ، وتصبحُ في عجائبِها، وتُمسي
إذا قلتُ المُحالَ رفعتُ صوتي وإن قلتُ اليقينَ أَطَلْتُ هَمسي

إذا قلت أموراً مستحيلة ـ لكنها مما يعتقده الناس ـ رفعت صوتي، وإن قلت ما أوقن به ـ وهو ضد عقائد الناس ـ همست همساً

١٦٨ الشر المستطير

قد فاضتِ الدنيا، بأَدْنَاسِها، على بَرايَاها وأجناسِها

أدناسها: قاذوراتها، برایاها: مخلوقاتها

والشرُّ في العالَمِ، حتى التي مكسَبُها من فَضْلِ عِرناسِها

الشر موجود في العالم كله.. وموجود حتى في المرأة المتعففة التي تكسب قوتها من عمل عرناسها، أي مغزلها

وكلُّ حيٍّ فوقَها ظَالِمٌ، وما بِها أظلَمُ من ناسِها

كل حي فوق الأرض ظالم، والأكثر ظلماً البشر

١٦٩ أفعى وحنش

عروسُكَ أفعَى، فَهَبْ قربَها، وخَفْ من سَليلِكَ، فَهْوَ الحَنَشْ

زوجتك أفعى وسليلك، أي ولدك، حنش، ثعبان

١٧٠ طريق الهدى

طُرُقُ الغَيِّ سَهْلَةٌ واسِعاتٌ، وطريقُ الهُدى كَسَمِّ الخِياطِ

طرق الضلال واسعة، وطريق الحق ضيق كثقب الإبرة

مَطْلَعٌ شَقٌّ، لا تَكَلَّفُهُ الضُّمَّـ ـرُ، إلَّا مَضروبةً بالسِّياطِ

طريق الحق صاعد شاق لا تسير فيه الخيول المضمرة إلا وهي مضروبة بالسياط

١٧١ بقراط وسقراط

أعوذُ بِربِّيَ من سُخطِه وتفريطِ نفسِي وإفراطِها

التفريط: تضييع الحق أو التهاون في العبادات، والإفراط: الإسراف في الضلال

وما دَفَعتْ حكماءُ الرِّجا لِ حَتْفاً بِحِكمَةِ بُقْراطِها

بقراط اليوناني: أبو الطب

ولكنْ يَجِيءُ قَضاءٌ يُريكَ أَخا غَيِّها مِثلَ سُقْراطِها

يأتي القضاء، الموت، فيجعلك ترى الغوي المفسد وسقراط سيان، فكلاهما يموت

١٧٢ الناس كالناس

الموتُ خيرٌ، وفيهِ لامْرِئٍ دَعَةٌ، إن يُضْرَبِ التُّرْبُ لا يَحْدُثْ له وَجَعُ

في الموت راحة، ويؤول المرء إلى تراب، والتراب إذا ضرب لا يتألم

تشابَه القومُ، في عِلمي: إذا جَبُنوا فلا أَلُومُ، ولا أُثْني إذا شَجُعوا

الناس متشابهون فإذا جبنوا لا ألومهم، وإذا شجعوا لا أثني عليهم

١٧٣ الطباع الثابتة

تغيَّرَ مُلكُ حِمْيَرَ ثم كِسْرى، ولم تَقبَلْ تَغَيُّرَها الطِّباعُ

وجدتُ الناسَ في جَبَلٍ وسهْلٍ، كأنَّهُمُ الذئابُ أو السباعُ

١٧٤ ما لا يستطاع

لبيبُ القومِ تألَفُهُ الرَّزَايا، ويأمُرُ بالرشاد، فلا يُطاعُ

تألفه الرزايا: تنتابه المصائب دوماً

فلا تَأمُلْ من الدنيا صلاحاً، فذاكَ هُوَ الذي لا يُستَطاعُ

١٧٥ الخير جميل على كل حال

عليكَ بِفعلِ الخيرِ، لو لم يكنْ له من الفضلِ إلَّا حسنُه في المَسامِعِ

لَعَمْرُكَ! ما في عالَمِ الأرضِ زاهِدٌ يَقيناً، ولا الرهبانُ أهلُ الصَّوامِعِ

١٧٦ يكفيكِ ربعي

تزوَّجَ بعد واحِدةٍ ثلاثاً، وقال لِعِرْسِهِ يكفيكِ رُبْعي

فَيُرْضيها، إذا قَنِعَتْ بِقُوتٍ، ويَرجُمُها، إذا مَالَتْ لِتِبْعِ

التبع: الخليل

إذا ما أَعْظُمي كانتْ هَباءً، فإن اللَّهَ لا يُعْيِيهِ جَمْعي

١٧٧ تطليق الأم

ما كانَ في هذه الدنيا بنُو زمنٍ، إلَّا وعندِيَ من أخبارِهِمْ طَرَفُ

يُخَبِّرُ العقلُ أنَّ القومَ ما كَرُمُوا، ولا أفادُوا ولا طَابُوا ولا عَرَفُوا

إذا شَقِيتُ، فجسمٌ نالَهُ نَصَبٌ، وإن تَرِفْتُ، فماذا ينفَعُ التَّرَفُ؟

نصب: تعب

يا أمَّ دَفْرٍ، لَحَاكِ اللَّهُ وَالدةً، منكِ الإضَاعَةُ والتفريطُ والسَّرَفُ

أم دفر: الدنيا، لحاك الله: لعنك

لو أنَّكِ العِرْسُ أوقَعْتُ الطلاقَ بِها، لكنَّكِ الأمُّ، هل لِي عنكِ مُنصَرَفُ؟

العرس: الزوجة

١٧٨ شتائم متفرقة

يُنجِّمونَ، وما يَدرونَ لو سُئلوا عن البَعوضةِ، أَنَّى منهُمُ تَقِفُ

المنجمون يدعون العلم، وهم لا يعرفون أين تقف البعوضة على أجسامهم

وفَرَّقَتْهُمْ، على عِلَّاتِها، مِللٌ، وعند كلِّ فريقٍ أنَّهُمْ ثَقِفُوا
ثقفوا: ظفروا وفازوا

ولو دَرَتْ بِمَخازِيهِمْ بيوتُهُمُ هَوَتْ عليهِمْ ولم تُنْظِرْهُمُ السُّقُفُ
لم تنظرهم: لم تمهلهم، السقف: السقوف

١٧٩ اقرأ كلامي

ولا تقولَنْ، إذا ما جئتَ مُخْزِيَةً، قولَ الغُواةِ: على هذا مَضى السَّلَفُ
إذا فعلت فعلة شائنة فلا تقل ما يقوله الضالون من أنهم يسيرون على خطى آبائهم

اِقرأْ كلامي إذا ضَمَّ الثَّرى جسدي، فإنه لكَ مِمَّنْ قالَه خَلَفُ
اقرأ كلامي فهو يعبر عني وينوب عني بعد موتي. ها نحن نقرأ..

١٨٠ الفكر والعقل

الفكرُ حبلٌ متى يُمْسَكْ على طَرَفٍ منه يُنَطْ بالثُّريَّا ذلك الطَّرَفُ
المعني الملموح: بالتفكير تصل إلى نجوم السماء فكأنه حبل أوله في يدك وآخره في نجوم الثريا

والعقلُ كالبحرِ، ما غِيضَتْ غوارِبُهُ شيئاً، ومنه بنوُ الأيامِ تَغتَرِفُ
العقل كالبحر ما غيضت، انخفضت وجفت، غواربه، أمواجه، شيئاً، أي قليلاً، ويغترف الناس منه ومع ذلك لا ينقص..

أَبْني بِجَهلِيَ دَاراً لستُ مَالكَها، أقيمُ فيها قليلاً ثم أنصرِفُ

١٨١ العز عز الآخرة

خَابَ الذي سارَ عن دنياهُ مرتحِلاً، وليس في كفِّهِ من دينِهِ طَرَفُ
لا خيرَ لِلمرءِ إلَّا خيرُ آخرةٍ يُبقي عليه، فذاكَ العِزُّ والشَّرَفُ
والفقرُ أرحَمُ من مالٍ تبذِّرُه، إن افتقارَكَ مَأمونٌ به السَّرَفُ
الفقر أرحم من امتلاكك مالاً تبذره، فالفقير آمن من التبذير لأنه لا يستطيعه

١٨٢ النفاق والحلف

أمسى النفاقُ دُروعاً يُستَجَنُّ بها مِن الأذى، ويُقَوِّي سَرْدَها الحَلِفُ
النفاق مثل الدروع التي يستجن بها، يُتوارى بها ويحتَمى، والذي يقوِّي سرد هذه الدروع، أي نسجها، الحلف.. فالمرء منافق كاذب ويقوي نفاقه بأن يحلف

١٨٣ الصوفية

صُوفِيَّةٌ ما رَضُوا للصوفِ نِسبَتَهُمْ، حتى ادَّعَوْا أنَّهُمْ من طَاعَةٍ صُوفُوا

الصوفيون لم يرضوا بأن يكون أصل تسميتهم لبسهم الصوف، فزعموا أن الله صافاهم، اصطفاهم واختارهم، لطاعتهم

١٨٤ ها قد عدنا يا صلاح الدين

تَهِيجُ صَغائِرُ الأشياءِ خطباً جليلاً، ما سَنَاهُ بِمُسْتَشَفٍّ

صغائر الأمور تهيج، أي تثير، أمراً كبيراً لا يكون سناه، ضوءه مستشفاً، بادياً للعيان

وإن القتلَ في أُحُدٍ وبَدْرٍ جَنَى القَتْلَيْنِ في نَهْرٍ وطَفِّ

القتل الذي لحق بقريش في معركتي بدر وأحد كان سبب القتل الذي جرى في نهر، في معركة النهروان بين علي والخوارج، وفي الطف، حيث قتل جند الأمويين الحسين بن علي وأهله. . أي أن الأحقاد لا تنسى. وقد ذكر المعري «النهروان» بلفظ «النهر» في قصيدة ألقاها على لسان الخيتعور أبي هدرش في «رسالة الغفران». تعليق أ. عبد الرحيم: [هذه فائدة جميلة. قالا في الخانجي وصادر: لا نعلم ما يريد بـ«النهر». وتغافل عنه عزيز زند ونصار! وفات بنت الشاطئ ذكر النهروان بفهرس الأماكن]

١٨٥ العنصر المشترك

توافَقَتِ اليهودُ مع النصارى على قتلِ المسيحِ، بلا اختلافِ
وما اصْطَلَحُوا على تركِ الدَّنايا، بل اصطَلَحُوا على شُرْبِ السُّلَافِ

ما اتفق عليه اليهود والمسيحيون ليس ترك الدنايا، الرذائل، بل تحليل شرب السلاف، أي الخمر

١٨٦ رغم عيوبي

لقد نَفَقَ الرَّدِيءُ، ورُبَّ مُرٌّ، من الأقواتِ يُجعلُ في الصِّحافِ

نفق الرديء، مشى سوقه، وقد ترى الطعام المر الرديء يقدم في صحاف فاخرة

وأكرَمني، على عيبي، رجالٌ، كما رُوِيَ القَرِيضُ على الزِّحَافِ

يحترمني بعض الناس رغم عيوبي، وذلك مثل بعض الشعر الذي يرويه الناس رغم ما وقع فيه من زحاف، والزحاف تغير في الوزن كجعل متفعلن بدل مستفعلن

١٨٧ توحيد السيوف

إذا ما أَلْحَدَتْ أممٌ بجهلٍ، فقابِلْها بتوحيدِ السيوفِ

يريد توحيد السيوف لمواجهة الملحدين. وثمة طباق كامن هنا، فمقابل التوحيد هناك تعديد غير مذكور، فبعض المسيحيين يجعل الذات الإلهية ثلاثة أقانيم

وهذي الأرضُ للمَلِكِ المُرَجَّى، نُلِمُّ بها، كإلْمامِ الضيوفِ

الأرض لله، ونحن نأتيها ضيوفاً

١٨٨ أيها الوالي

أيا وَالِيَ المِصْرِ لا تَظْلِمَنْ فكم جاءَ مثلُكَ ثم انصرَفْ

تَواضَعْ، إذا ما رُزِقْتَ العَلاءَ فذلكَ مما يزيدُ الشرفْ

١٨٩ العزلة

فؤادُكَ خفَّاقٌ وبَرقُكَ خَافِقُ وأعياكَ في الدنيا خليلٌ مُوَافِقُ

قلبك يخفق والبرق خافق، وأعجزك في الدنيا العثور على صاحب موافق. الشاعر العامي قد يبدأ قصيده بشطر لا معنى له.. فقط حتى تقعد القافية فيقول: «يا هويدلك يا هويدلي.. نارك ولا جنة هَلي» وأبو العلاء يصنعها كثيراً. تعليق أ. عبد الرحيم: [لا أرى هذا المطلع من تلك السبيل، فليس بالحشو. يقول: فؤادك مضطرم برجاء الآمال، ومنها أن يكون لك خليل موافق مؤنِس. في حين أن برقك لامعٌ كذوب، يُطمعك بلمعانٍ خاطف قبيل الغياب التام لتصير في ظلمة الحياة وحيدًا فريدًا!]

تخَيَّرْ، فإمَّا وَحْدَةٌ مثلُ ميتَةٍ، وإمَّا جَليسٌ في الحياةِ مُنافِقُ

اختر وحدة تشبه الموت، أو مجالسة المنافقين

١٩٠ سرقة السرور

أبى الدهرُ جوداً بالسُّرورِ؛ وإن دَنا إليه الفتى أو نالَهُ فَهوَ سَارِقُ

أبى الدهر أن يجود بالسرور؛ فإن نال المرء سروراً أو اقترب منه فهو يسرقه سرقة..

مَرازِبُ كِسرى ما وَقَتْ مُهجةً له وقيصرُ لم يَمنعْ رَدَاهُ البَطارِقُ

مرازب كسرى، قادته، لم يحموا نفسَه، وقيصر لم يمنع موته البطارق، قادته

ويَغْبُرُ في الأيامِ مَن طالَ عمرُه، فتغْبَرُّ، من طولِ البقاءِ، المَفارِقُ

يغبر، يبقى، من طال عمره فتغبرُّ مفارق رأسه، يشتعل فيها الشيب الذي هو كالغبار

١٩١ كلنا منافق

أُنافِقُ في الحياةِ كفعلِ غيري، وكلُّ الناسِ شأنُهُمُ النِّفاقُ
أعَلِّلُ مهجَتي، ويَصيحُ دهري ألا تَغدُو؟ فقد ذهبَ الرفاقُ

أعلل نفسي، أراضيها، وأقول لها إن البقاء على قيد الحياة نافع، والزمن يصيح بي: هلمَّ، ألا تذهب؟ فقد ذهب رفاقك

١٩٢ القمر والدرهم

ولْيحذَرِ الدعوَى اللبيبُ فإنها للفضلِ مَهلَكَةٌ، وخَطبٌ موبِقُ

ادعاء ما ليس فيك ينقص فضلك وهو خطب موبق، مهلك

لو قال بدرُ التِّمِّ: إنيَ دِرهَمٌ، قالتْ له السُّفهاءَ: أنتَ مُزَأبَقُ

فلو قال البدر المكتمل إنني درهم، أي ادعى أنه أقل قيمة مما هو عليه، لقال له السفهاء: أنت درهم مزأبق، زائف.. فالناس لا يتركونك.. فلا تزعم بأنك جيد ولا بأنك سيء. كان الأديب الإنجليزي سومرست موم يتواضع بالقول إنه ليس أديباً بل قاص.. وبسرعة أخذ النقاد ينزعون عنه صفة الأدب

١٩٣ اللقاء المؤجل

لا تظلِمُوا الموتَى وإن طالَ المَدى إنيِ أخافُ عليكُمُ أن تَلتَقُوا

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى بينكم وبينهم، أي ماتوا قبلكم بسنوات طويلة، إني أخاف أن تلتقوا يوم القيامة

١٩٤ الزناديق

تَستَّروا بِأمورٍ في ديانتِهِمْ، وإنما دينُهُمْ دينُ الزناديقِ
نكذِّبُ العقلَ في تصديقِ كاذِبِهِمْ، والعقلُ أولَى بإكرامٍ وتصديقِ

١٩٥ التجار قطاع طرق

يا تاجِرَ المِصْرِ! ما أنصفتَ سائمةً، كذَّبْتَها في حديثٍ منكَ مَنْسُوقِ

أيها التاجر في البلد ما أنصفت سائمة، ناساً مغفلين كالدواب، بكلامك المنمق

إن تَشْكُ قطعَ طريقٍ بالفلاةِ فَكَمْ قَطَعْتَ، من قبلُ، طُرْقَ الناسِ في السوقِ

تشكو من قطاع الطرق في الفلاة، البر، ولكنك قاطع طريق في السوق تسرق الناس

١٩٦ الله يعلم

أمَّا الحقيقةُ، فَهْيَ أني ذاهبٌ، والـلَّـهُ يـعـلـمُ بـالـذي أنـا لاقِ
وأَظُنُّني، من بعدُ، لستُ بِذاكرٍ ما كـانَ مـن يُـسـرٍ ومـن إمْـلاقِ

بعد موتي لن أتذكر ما كنت لقيت في الدنيا من يسر، غنى، وإملاق، فقر

١٩٧ لا يعاد له سبك

ضحِكْنا، وكان الضِّحْكُ منَّا سَفاهةً، وحُقَّ لِسُكَّانِ البَسيطةِ أن يَبْكُوا
يُـحَـطِّـمُـنـا ريـبُ الـزمـانِ كـأنَّـنـا زجاجٌ ولكـنْ، لا يُـعـادُ لـه سَبْـكُ

يحطمنا الزمن كأننا الزجاج، ولكن ليس كالزجاج الحقيقي الذي يمكن سبكه مرة أخرى بعد كسره

١٩٨ السبيل الواحد

إن لم يَكُنْ في سماءٍ فوقَنا بَشَرٌ، فليس في الأرضِ أو ما تحتَها مَلَكُ

إن لم يكن في السماء بشر فليس في الأرض ملائكة أو تحتها جن

كَمْ حَلَّ حيثَ تَبَنَّى الحيُّ من أُمَمٍ، ثم انقضَوْا، وسبيلاً واحداً سلَكُوا

حلت أمم كثيرة حيث تبنى، عمَّر، الإنسان.. وذهبوا جميعاً في طريق واحد هو الموت

إن تسألِ العقلَ، لا يوجِدْكَ مِن خبرٍ عـن الأوائـلِ، إلَّا أنَّـهُـمْ هَـلَـكُـوا

العقل يخبرنا بشيء واحد فقط: أن الناس ماتوا، وأما سوى ذلك من أخبار فلا سبيل للعقل عليها

١٩٩ عمل كلا عمل

عَـمَـلٌ كَلا عَـمَـلٍ، ووقـتٌ فـائـتٌ، ويـدٌ إذا مـلَـكَـتْ رَمَـتْ مـا تَـمـلِـكُ

هي الدنيا، نعمل فيها ويذهب أثر عملنا، ويمر الوقت، ونكسب ونرمي ما نكسب.. ثم نذهب

وشُـخـوصُ أقـوامٍ تَـلُـوحُ، فـأمَّـةٌ قَـدِمَـتْ مُـجَـدَّدَةً، وأخـرى تـهـلِـكُ

وتقوم أمم وتهلك أمم

أمَّا الـجُـسـومُ فـلـلـتُّـرابِ مـآلُـهـا، وعَـيِـيـتُ بـالأرواحِ أنَّـى تـسـلُـكُ

عييت بالأرواح أنى تسلك: عجزت عن فهم مصيرها

٢٠٠ لا تصلوا علي

سأفعلُ خيراً ما استطعتُ، فلا تُقَمْ   علـيَّ صَلاةٌ، يوم أُصبحُ هالِكا

وفي الواقع فقد صلوا على المعري، بل وقف على قبره أربعة وثمانون شعراً يرثونه.. وختمت على قبره مئتا ختمة. ذلك أنه كان معلماً، وكان كثير التلاميذ، يا لزمننا الأخرق!

ويَنفِرُ عَقلي مُغْضَباً إن تركتُه   سُدىً، واتَّبَعْتُ الشافعيَّ ومالِكا

٢٠١ الألُوك

خَطَبتَ إلى الدنيا بجهلِكَ نفسَها،   فلم تستطعْ فيما أردتَ سُلوكا

وهل يَنْكِحُ المَرءُ الموفَّقُ أمَّهُ،   ولو أَصبَحَتْ بين الرجالِ هَلُوكا؟

الهلوك: المتاجرة بجسدها

وكم حَلَّ فيها معشرٌ، بعد معشرٍ   من الناسِ، عاشوا سُوقَةً ومُلوكا

السوقة: الناس العاديون الذي لا منصب رفيعاً لهم، والملوك: الولاة وكبار الموظفين في الدولة

فما بَلَغَتْهُمْ منكَ بعد رحيلِهِمْ   أَلُوكٌ، ولا أَهْدَوْا إليكَ أَلُوكا

ألوك: رسالة

وقفتَ على أجداثِهِمْ وسألتَهُمْ،   فما رَجَعُوا قولاً ولا سَألُوكا

أجداثهم: قبورهم، رجعوا قولاً: ردوا بكلام

ولا عِلْمَ لي من أمرِهِمْ غيرَ أنَّهُمْ   لو انتبَهُوا من رَقْدةٍ عَذَلُوكا

لو انتبهوا من ضجعتهم القبرية للاموك

تخلَّفْتَ بعد الظَّاعِنينَ كأنَّهُمْ   رَأَوْكَ أخا وَهْنٍ فما حَمَلُوكا

أنت بقيت حياً بعد الظاعنين، الراحلين، فكأنهم رأوك أخا وهن، ذا ضعف، فرفضوا أن يحملوك في القافلة معهم

٢٠٢ الأرِكَّة

بكلِّ أرضٍ أميرُ سَوْءٍ،   يَضْرِبُ للناسِ شَرَّ سِكَّةْ

السكة: النقود

قد كَثُرَ الغِشُّ، واستعانتْ   به الأشِدَّاءُ والأَرِكَّةْ

الأشداء: الأقوياء، الأركة: الركيكون.. الضعفاء. أنت تعرف لماذا اخترنا هذا البيت؟ لاستطرافنا كلمة الأرِكَّة طبعاً

٢٠٣ ليتك

تَباركتَ يا ربَّ العُلا، أنتَ صُغْتَها، فـليـتَـكَ فـي أرزائِـهـا لـم تُـبَـارِكِ

أنت صغت الدنيا يا رب فتباركت، لكن.. ليتك لم تبارك في أرزائها، مصائبها

أعـانِـقُـهـا عـنـد الـوَداعِ تَـشَـبُّـثـاً، وأيُّ وَداعٍ بـيــن قَــالٍ وفَــارِكِ!

أعانق الدنيا وأنا أودعها متشبثاً بها، وأي وداع هذا بين قالٍ، كاره، وفارك، امرأة كارهة لرجلها!

٢٠٤ تحت التراب

بطنُ الترابِ كفانيِ شرَّ ظاهرِهِ، وبيَّن العَدْلَ بين العبدِ والـمَلِكِ

الدفن تحت التراب يكفيني شر العيش فوقه، والدفن يظهر العدل بين العبد والملك فالأموات سواسية في قبورهم

قد عشتُ عُمْراً طويلاً، ما عَلمْتُ به حِسّاً يُحَسُّ لِجِنِّيٍّ ولا مَلَكِ

لم أشعر بوجود الجن ولا الملائكة

٢٠٥ بلا شريكة

مَتى تُشْرِكْ معَ امْرأةٍ سواها، فقد أخطأتَ في الرأيِ التَّريكِ

المعنى الملموح: إذا عدَّدْت على امرأتك أخطأت في الرأي التريك، في تركك الذي تركته وهو الزواج بواحدة فقط

فلو يُرجَى مع الشُّركاءِ خَيْرٌ لـما كان الإلـهُ بِـلا شَـريـكِ

٢٠٦ الدين الحق

سبِّحْ وصَلِّ وطُفْ، بِمَكَّةَ، زائراً سبعينَ، لا سَبْعاً، فلستَ بِناسِكِ

جَهِلَ الديانةَ مَنْ إذا عَرَضَتْ له أطماعُهُ، لم يُلْفَ بِالـمُتَمَاسِكِ

٢٠٧ المعصية وثقب اللؤلؤة

فلا تُعَلِّمْ صغيرَ القومِ مَعصِيةً، فذاكَ وِزْرٌ، إلى أمثالِهِ عَدَلَكْ

لا تعلم الصغير المعصية فهذا وزر، أي ذنب، سيعدلك، سيفضي بك، إلى ذنوب أخرى عندما يمارس الصغير المعاصي كبيراً

فالسِّلْكُ ما اسْطَاعَ يوماً ثَقْبَ لُؤلؤةٍ، لكن أصابَ طَريقاً نافِذاً، فَسَلَكْ

فتعليم الصغير المعصية هو فتح طريق له للدخول إلى المعاصي الكثيرة.. اللؤلؤة غير المثقوبة لا يدخل فيها السلك، الخيط الناظم، فإذا ثقبتها فقد يسرت دخوله مراراً

٢٠٨ الصباح والليل

الـصـبـحُ أَصـبـحُ، والـظـلا مُ كـمـا تَـراهُ، أَحَـمُّ حَـالِـكْ

الصباح مشرق، والظلام أحم، أي أسود، حالك

يَـتـبـارَيـانِ ويَـسْـلُـكـا نِ، إلى الوَرى، ضَيْقَ الـمَسَالِكْ

وهما يتنافسان في الدخول إلى الورى، الناس، كي يفنيا الأعمار

أَسَـدانِ يَـفـتـرسـانِ مَـنْ مَـرَّا بـه، فَـأُبَـهْ لِـذلِـكْ

فأبه لذلك: انتبه لذلك

أَوْدَى الـمـلـوكُ عـلـى احـترا سِـهِـمُ، ولـم تَـبْـقَ الـمَـمـالِـكْ

لا يُـكْـذَبَـنَّ مُـؤَجَّـلٌ: مـا سـالـمٌ إلَّا كَـهَـالِـكْ

لا ينخدعن من تأجل موته، فالسالم منا مثل الهالك

يـا رِضْـوَ! لا أرجُـو لِـقـا ءَكَ، بـل أخـافُ لِـقـاءَ مَـالِـكْ

يا رضوان، خازن الجنة، لست راجياً دخول جنتك بقدر خوفي من لقاء مالك، خازن جهنم

٢٠٩ توكُّل

يا خَالِقَ البَدرِ وشمسِ الضُّحَى مُعَوَّلِي في كلِّ حَالٍ عليْكْ

كيف يفهم المستشرق هذا البيت؟ يفهمه: «يا خالق القمر والشمس، أنا متوكل عليك». وكيف يفهم العربي اللسان البيت؟ يرى فيه دعاء منغماً. يستدعي البيت في عقل العربي أناشيد كثيرة وأقوالاً من أقوال المتصوفة.. يذكرني البيت بتلبية حجاج بيت الله، لقافيته «عليكْ» = لبيك اللهم لبيكْ. وبدايته بـ «يا» الممدودة وبعدها «خالق» الممدودة فيها جأر بالدعاء. الآن فقط أدرك لماذا أكره كراهية شديدة الاستشهاد بالشعر في اللغة الإنجليزية وفي العربية أيضاً.. في الإنجليزية لا أفهم من دقائق الأشياء، ومن الإشارات الغامضة إلا القليل. وفي العربية تأخذني أبيات الشعر الواردة في سياق نثري بعيداً.. تأخذني إلى عالمها الخاص، ولغتها الخاصة. ولهذا السبب وحده، فأنا في المقدمات التي أعقدها في بدايات الفصول أحاول جاهداً تجنب الاستشهاد بالشعر، فإن اضطررت إلى بيت كتبته خالطاً إياه بالنثر، ولم أفرد له سطراً وحده، فأنا أستشهد بالبيت لداعٍ معنوي محض وليس لكي أجعل قارئي يعيش أجواءه. وأكتب ضمن القصائد شرح الأبيات بالحرف الصغير حتى يتجنب الشرح من استغنى عنه بيسر

وثمة مسألة أخرى مهمة، للشعر فيها ما ليس للنثر، هي مزية إن شئت، وهي عبء إن شئت. هي «المرجعية الوزنية». وكي أشرحها أقص عليك خبر صديقي ي. م. ن. الذي كان مجنون محمد عبد الوهاب وألحانه ـ ورغم أن صديقي رجل مصلٍّ فقد كان يلقب الموسيقار المعروف «سيدنا محمد». غفر الله له ـ. الشاهد في الموضوع أن صديقي كان يتذوق لعبد الوهاب أكثر ما يتذوق أغاني الخمسينات من قبيل «علشان الشوك اللي في الورد أحب الورد» وما إليها من نهاونديات كان عبد الوهاب يجاري فيها عصراً جديداً، وبالمقابل فإن ذوقي أنا كان يتسع لأقدم من ذلك بحكم السنّ، فأنا أحب ما يسمونه بعبد الوهاب القديم، فقد كان موسيقارنا يبعث نفسه من جديد في كل عقد من الزمان حتى يلقي القبض على مستمعين شباب جدد. ورغم أن بينه وبين بليغ حمدي الشاب ثلاثين سنة فقد أخذ عبد الوهاب يباريه في التجديد والتعصير، وكان الميدان حنجرة أم كلثوم. ثمة «مرجعية نغمية» لكل واحد منا، عرفها أحمد شوقي جيداً وقال فيها شعراً ـ ستجده في جزء رابع من كتابنا الكبير هذا، الذي بيدك جزؤه الثالث ـ. وكان لنا في عصور الشعر العربي المتطاولة «مرجعية وزنية». ها قد اقتربنا من الموضوع. كان عربي اللسان يسمع البيت «يا خالق البدر وشمس الضحى» فترن الكلمات في أذنيه رنيناً مزدوجاً. . ترن في أذنه أحرف المد، وعندما يأتي الشطر الثاني «معوَّلي في كل حال عليك» يرن في أذنه التشديد في كلمة «معوَّلي» فيحس كأن الشاعر يتضرع إلى ربه متشدداً. هذه واحدة. والثانية: يرن في أذن العربي اللسان الوزن. . (تَمْ تَمْ تَتَم ـ تَمْ تَمْ تَتَمْ ـ تمْ تَتَمْ) وحتى لو لم يعرف أن هذا الوزن يسمى بالبحر السريع، وأنه في عرف العروضيين (مستفلن مستفعلن فاعلن) فهو يحسه، ثم هو يسمعه من شيخه في الكتَّاب أو أستاذه في المدرسة مقروءاً قراءة صحيحة، ومنغماً. فهذه «المرجعية الوزنية» عنصر آخر يعمق الإحساس بالشعر. ومن ذا قال لك أيها الحداثي إن البشر لا يحبون الإيقاع، ومن ذا قال لك إن الرقص حرام؟ واليوم. . قرر العرب أن يبسِّطوا أوزانهم، فكان شعر التفعيلة، ثم قرروا مرة أخرى أن يجعلوا الشعر بلا إيقاع وزني، مكتفين بتوالي أحرف المد والشد، وسموا ذلك «الموسيقى الداخلية». عندما يخرج الرزُّ من بين يدي ربة البيت مبزّراً غير ناضج تجرشه الأضراس جرشاً، فخير ما تصنعه تلك السيدة أن تقول لزوجها: هذا رز «آل دانتيه» على الطريقة الإيطالية. وعليه أن يصدقها، وأن يستمتع بهذا الجريش

٢١٠ التقمص

يقولونَ: إنَّ الجسمَ يُنقَلُ رُوحُهُ ... إلى غيرِهِ، حتى يهذِّبَها النَّقْلُ

أهل التقمص يقولون إن الروح تنتقل بالموت إلى جسم آخر يكون أشرف من الأول إن كان الإنسان صالحاً فالروح تتهذب بالانتقال وتسمو

فلا تَقْبَلَنْ ما يُخبرونَكَ ضِلَّةً، ... إذا لم يُؤَيِّدْ ما أَتَوْكَ بهِ العَقْلُ

لا تقبل كلامهم المضلل، وحكم عقلك

٢١١ القارئ المترنم

وكَمْ مِن فَقيهٍ خابِطٍ في ضَلالَةٍ، وحُجَّتُه فيها الكتابُ المُنَزَّلُ
وقَارِئُكُمْ يرجُو بِتَطْريبِه الغِنَى، فآضَ كما غَنَّى لِيكْسِبَ زُلْزُلُ

قارئ القرآن يترنم به راجياً نيل مال على قراءته، فقد آض، أي أصبح، مثل المغني المشهور «زلزل» الذي يغني ليكسب

٢١٢ الساعات الساعيات

نَقضي المَآرِبَ، والسَّاعاتُ ساعِيةٌ، كأنَّهُنَّ صِعَابٌ تَحتَنا ذُلُلُ

نقضي المآرب، الحاجات في هذه الدنيا، والساعات تسعى بنا كأنها صعاب، إبل صعبة، لكنها تحتنا ذلل، أي إبل مذللة سهلة القياد.. فالساعات تسير بنا نحو الموت

واللَّهُ يَقْدِرُ أن يُفنيِ بَرِيَّتَهُ، مِن غيرِ سقمٍ، ولكنْ جُندُهُ العِلَلُ

يمكن لله إماتتنا بغير المرض، ولكنه يتخذ من العلل، الأمراض، جنداً ينفِّذون فينا حكم الإعدام

٢١٣ دين وكفر

دينٌ وكفرٌ، وأنباءٌ تُقَصُّ، وفُرْ قانٌ يُنَصُّ، وتَوراةٌ، وإِنجيلُ

ينص: يرفع ويتم إسناده

في كلِّ جيلٍ أَباطيلٌ يُدَانُ بِها، فهل تَفَرَّدَ يوماً بِالهُدى جيلُ؟

٢١٤ كلام له ما وراءه

قلتُمْ: لنا خالقٌ حكيمٌ، قلنا: صدقْتُمْ كذا نَقولُ
زعَمْتُمُوهُ بِلا مَكانٍ ولا زمانٍ، ألَا فَقولوا:
هذا كَلامٌ له خَبيءٌ، مَعناهُ ليستْ لنا عُقُولُ

خبيء: معنى مستتر

٢١٥ لو..

ما أَطيَبَ العيشَ عند قومٍ لو أنَّه كانَ لا يَزولُ

عند قوم؟ بل عند كل قوم يا عم!

٢١٦ مسيرون لا مخيرون

إنْ كانَ مَن فَعَلَ الكبائِرَ مُجْبَراً، فعِقابُهُ ظُلْمٌ على ما يَفْعَلُ
واللَّهُ، إذ خَلَقَ المعادِنَ، عالِمٌ أنَّ الحِدادَ البِيضَ منها تُجْعَلُ

الله يعلم، إذ خلق الحديد، أن السيوف الحداد، الحادة، البيضاء اللامعة ستصنع من هذا الحديد..

٢١٧ جهلٌ كلُّه

يَتحارَبُ الطَّبْعُ الذي مُزِجَتْ به مُهَجُ الأنامِ، وعَقْلُهُمْ فيَفُلُّهُ

الطبع والعقل يتحاربان.. والطبع يثلمه ويغلبه

ويَظَلُّ يَنْظُرُ، ما سَناهُ بِنافعٍ، كالشمسِ يَسْتُرُها الغمامُ وظِلُّهُ

العقل ينظر ولا ينفعه سناه، ضوءُه.. فكأنه الشمس التي يستر ضوءَها الغيم

حتى إذا حضرَ الحِمامُ، تبيَّنُوا أن الذي فعلوهُ جهلٌ كلُّهُ

وبحضور الموت يتضح للناس أن كل ما فعلوه وفكروا فيه بعقولهم جهل

٢١٨ الدهر الهاجي

لو نطقَ الدهرُ هَجا أهلَه، كأنه الرُّوميُّ أو دِعْبِلُ

كأن الدهر الشاعران الهجاءان ابن الرومي أو دعبل الخزاعي

فليتَ حَوَّاءَ عَقيمٌ غَدَتْ لا تَلِدُ الناسَ ولا تَحْبَلُ

٢١٩ أبونا الفسل

فَسْلٌ أبُو عالَمِنا آدمٌ، ونحن مِنْ والِدِنا أفْسَلُ

أبونا آدم فسل، أي صغير القدر، ونحن أصغر منه قدراً

والأرضُ لِلطُّوفانِ مُشتاقةٌ، لعلَّها مِن دَرَنٍ تُغسَلُ

درن: وسخ

٢٢٠ حسن الختام

جميعُنا يَخبِطُ في حِنْدِسٍ، قد اسْتَوى النَاشِئُ والكَهْلُ

الحندس: الظلام

حانَ رَحيلُ النَّفْسِ عن عَالَمٍ   مَا هُوَ إلّا الغَدْرُ والجَهْلُ
إنْ خَتَمَ اللَّهُ بِغُفْرَانِه   فكلُّ ما لاقَيْتُهُ سَهْلُ

٢٢١ حب الغنى

تَبغي الثَّراءَ، فتُعْطَاهُ وتُحْرَمُهُ،   وكلٌّ قَلْبٍ على حبِّ الغِنَى جُبِلا

٢٢٢ العاقل والدِّين

هَفَتِ الحنيفةُ، والنَّصارَى ما اهتَدَتْ،   ويَهودُ حَارَتْ، والمَجُوسُ مُضَلَّلَةْ

هفت: من الهفوة، غلطت

اِثْنانِ أهلُ الأَرضِ: ذو عقلٍ بِلا   دينٍ، وآخرُ دَيِّنٌ لا عَقْلَ لَهْ

ستتعب الملتمسين لك وجه إيمان يا أبا العلاء مع بيت كهذا

٢٢٣ إمام المسجد

طَلَبَ الخَسَائِسَ، وارْتَقَى في مِنبرٍ،   يَصِفُ الحِسَابَ لِأُمَّةٍ لِيَهُولَها

إمام يطلب الرزق الخسيس في مهنته ويصعد المنبر ليهول الناس، أي ليخوفهم، من الحساب في الآخرة

ويكونُ غيرَ مُصَدِّقٍ بِقِيامَةٍ،   أَمْسى يُمَثِّلُ، في النفوسِ، ذُهولَها

وهو رجل جشع همه معيشته وتحصيل رزقه ولا يصدق في أعماق أعماقه بالقيامة، لكنه يصف لنفوس مستمعيه الذهول الذي يعتري الناس فيها. أ. عبد الرحيم: [حدثني المسيري، رحمه الله، عن إمام ببلدته دمنهور، كان ملحدًا، وكان يستغفل الناس ويخطب بأشعار البياتي! لا أدري لِمَ البياتي بالذات؟! وكتب هذا في سيرته]

٢٢٤ المفترون

لا يَكْذِبِ الناسُ على ربِّهِمْ،   ما حُرِّكَ العرشُ، ولا زُلْزِلا

فليتورع الناس عن الكذب على ربهم، أي الافتراء بحقه، والقول بأن عرشه يزلزل لما يرتكبه العصاة من الكبائر، فعرش الله لا يزلزل

أَمَلَّني الدهرُ بِأحداثِه،   فاشْتَقْتُ، في بَطْنِ الثَّرى، مَنزِلا

أسأمني الدهر بمصائبه، وصرت مشتاقاً إلى منزلي في بطن الأرض، أي القبر

٢٢٥ عش بخيلاً

عِشْ بَخيلاً، كأهلِ عَصْرِكَ هذا   وتَبالَهْ، فإنَّ دَهْرَكَ أَبْلَهْ

تباله: ادَّعِ البله والغباء

إن تُرِدْ أن تَخُصَّ حُرّاً، مِنَ النا   سِ، بِخَيْرٍ، فَخُصَّ نفسَكَ قَبْلَهْ

٢٢٦ إمامي عقلي

لقد صَدِئَتْ أفهامُ قومٍ، فهل لها   صِقالٌ، ويَحتَاجُ الحُسامُ إلى الصَّقْلِ؟

وكمْ غَرَّتْ الدنيا بَنيها؛ وسَاءَني   معَ الناسِ، مَيْنٌ في الأحاديثِ والنقلِ

مين: كذب

سَأَتْبَعُ مَن يَدعُو إلى الخيرِ جاهداً،   وأرحلُ عنها، ما إمامي سِوى عَقْلي

إمامي: دليلي

٢٢٧ تعب الرسل

إذا كنتَ تُهدي لي، وأَجْزِيكَ مِثْلَهُ،   فإن الهَدَايا بينَنا تَعَبُ الرُّسْلِ

ما دامت الهدايا مِثْلاً بمثْل فليس من ورائها سوى تعب سعاة البريد

٢٢٨ يضمحل

أَخِلْتَ عَمودَ الدِّينِ في الأَرضِ ثابتاً   وفي كلِّ يومٍ يَضْمَحِلُّ على مَهْلِ؟

٢٢٩ صلى الله على محمد

دعَاكُمْ إلى خيرِ الأمورِ محمدٌ،   وليسَ العَوالي في القَنا كالسَّوافِلِ

ليست الرماح العالية المصوبة للأعداء كالسوافل المنكسة

وأَلزَمَكُمْ ما ليسَ يُعْجِزُ حَمْلُهُ   أَخَا الضعفِ مِنْ فَرْضٍ لهُ ونَوافِلِ

ألزمكم بأمور لا يُعجز حملُها الإنسانَ الضعيف من فروض ونوافل، عبادات إضافية

وحَثَّ على تطهيرِ جِسمٍ ومَلْبسٍ،   وعاقبَ في قَذْفِ النساءِ الفَواضِلِ

عاقب على قذف النساء الفاضلات، اتهامهن بالباطل

فَصَلَّى عليهِ اللَّهُ، مَا ذَرَّ شَارِقٌ، وما فَتَّ مِسْكاً ذِكْرُهُ في المَحافِلِ

صلى الله على محمد كلما ذر شارق، طلعت الشمس، وكلما عطَّر ذكره المجالس كأنه تفتيت المسك فيها

٢٣٠ أعاني منفرداً

وهَوَّنَ أَرْزَاءَ الحَوادِثِ أَنَّني وحيدٌ، أُعانيها بِغيرِ عِيالِ

فَدَعْني وأهْوالاً أمَارِسُ ضَنْكَها، وإياكَ عَنِّي، لا تَقِفْ بِحِيالي

التسويد من أحمد عبد الرحيم، وأضاف: [هذا بيت شديد]

٢٣١ بعد الخمسين هبوط فقط

إذا أَنافَ على الخمسينَ بَالِغُها فَلْيُضْمِرِ اليأسَ مِن سَعْدٍ وإقبالِ

إذا أناف المرء، أي زاد، عن الخمسين سنة فليضمر في قلبه يأساً من السعد، الحظ الحسن، والإقبال، إشراق الدنيا في وجهه

٢٣٢ أقدار مرتَّبة

لم يَسْقِكُمْ ربُّكُمْ عن حُسْنِ فِعْلِكُمُ ولا حماكُمْ غَماماً سوءُ أَعمالِ

لا يُنزل الله المطر عليكم لحسن فعلكم ولا يحميكم الغمامَ، يمنعكم من الغيم، لسوء أعمالكم

وإنَّما هِيَ أقْدارٌ مرتَّبَةٌ، ما عُلِّقَتْ بإِسَاءَاتٍ وإِجمالِ

هذه أقدار مرتبة سلفاً بقانون لا يتغير، ولا علاقة لها بإساءات أو بإجمال، أي بصنع الفعل الجميل

دَليلُ ذلك أن الحُرَّ أَعْوَزَهُ قُوتٌ، وأن سِواهُ فازَ بالمالِ

والدليل على أن الأمر بقانون ثابت أن الشخص الحر يعوزه الطعام، بينما غيره من لئام الناس يثري

٢٣٣ كلهم ساقطون

لو غُرْبِلَ الناسُ، كيما يَعدِمُوا سَقَطاً لَمَا تَحَصَّلَ شيءٌ في الغرابيلِ

لو غربلنا الناس بالغرابيل، المناخل الكبار، لكي يتم التخلص من السقط، الزؤان والشوائب، لسقط الناس من فتحات الغرابيل لأنهم كلهم شوائب.. وما بقي شيء

هل يَنظرونَ سوى الطُّوفانِ يُهْلِكُهُمْ كما يُقالُ، أوِ الطيرِ الأَبابيلِ؟

٢٣٤ كل شيء هالك إلا وجهه

نـمـوتُ لِأَنّـنـا حُـلَـفَـاءُ نَـقْـصٍ، ويـبـقَـى مَـنْ تَـفَـرَّدَ بِـالـكـمـالِ

حلفاء نقص: ذوو نقص وعيوب

٢٣٥ أبو النزول

عَـرَفْـتُـكِ جـيِّـداً، يـا أُمَّ دَفْـرٍ، ومـا إن زِلْـتِ ظَـالِـمـةً فَـزُولـي

أم دفر: الدنيا، ما إن زلت: ما زلتِ

دُعـيـتُ أبـا الـعـلاءِ، وذاكَ مَـيْـنٌ، ولـكـنَّ الـصَّـحـيـحَ أبُـو الـنُّـزولِ

مين: كذب

٢٣٦ أنا وأنتم وصالح

نَـجَّى الـمَـعاشِـرَ مِـنْ بَـراثِـنِ صَـالِـحٍ رَبٌّ يُـفَـرِّجُ كُـلَّ أمـرٍ مُـعْـضِـلِ

نجى الله الناس من مخالب الأمير صالح بن مرداس، وهو يفرج كل أمر صعب

مـا كـان لـي فـيـهـا جـنـاحُ بَـعُـوضَـةٍ، والـلَّـهُ أَلْـبَـسَـهُـمْ جَـنـاحَ تَـفَـضُّـلِ

وليس لي في الأمر جناح بعوضة، أي أدنى تأثير، والله هو من ألبس الناس جناح فضله وحمايته. وكان أهل المعرة أرسلوا أبا العلاء شفيعاً إلى صالح في قضية، انظر القطعة ١٠١

٢٣٧ موت الوليد

أَعَـجِـبْـتَ لـلطـفـلِ الـولـيـدِ بـمـهـدِه، لـم يَـخْـطُ، كـيـف سَـرى بِـغـيـرِ رَواحِـلِ

هل تتعجب من الطفل الوليد في مهده، ولما يمشِ، كيف سرى، سار، بغير رواحل، بدون إبل.. أي أنه مات

قـد عـاشَ يَـوْمَـيْـهِ وعُـمِّـرَ ثَـالـثـاً، ثـم اسـتـراحَ مِـنَ الـمَـدَى الـمُـتَـمَـاحِـلِ

المتماحل: البعيد

كـم سـارَ مِـن سَـنَـةٍ أبُـوه، فـيـا لـه، قَـطَـعَ الـمـسـافـةَ فـي ثَـلاثِ مَـراحِـلِ

أبوه سار سنين كثيرة، ولكن الرضيع قطع المسافة في ثلاث مراحل، في ثلاثة أيام فقط.. فكأن الوصول للموت هو النهاية السعيدة

رُفِعَتْ له لُجَجُ البِحارِ فَعامَها،   ونَجا وأَصبحَ سَالِماً بِالسَاحِلِ

رفعت، أي ظهرت، للولد لجج البحار، مياهها العميقة، فسبح فيها ونجا من شرور الحياة ووصل سالماً إلى ساحل الموت

٢٣٨ الأذى الغافل

حَبَّذا العيشُ، والزمانُ غَريرٌ   والفتى ما استَجَدَّ حُلَّةَ كَهْلِ

ما أجمل العيش والزمان غرير، صغير غير مجرب.. يقصد والفتى صغير عُمراً، ولم يجدد لباس الشباب بلباس الكهولة

وخُمولي يَذودُ عني الرَّزَايا،   نامَ عني الأذى فلم ينتَبِهْ لي

خمولي، عدم شهرتي، يذود عني الرزايا، يدرأ عني الشرور، فلا ينتبه لي الأذى

٢٣٩ قريش الزائلة.. ومكة!

سَيسأَلُ نَاسٌ: ما قُريشٌ ومكةٌ،   كما قال ناسٌ: ما جَديسٌ وما طَسْمُ؟

جديس وطسم: من الأمم البائدة

٢٤٠ الاستسقاء العبثي

قَضى اللّهُ في وقتٍ مضى أن عَامَكُمْ   يقِلُّ حَياهُ، أو يَزيدُ به السَّجْمُ

قضى الله قديماً أن عامكم سيقل حياه، أي مطره، أو سيزيد به السجم، المطر

فَقولُكُمْ «رَبِّ اسْقِنا»، غيرُ مُمْطِرٍ.   ولكنْ بِهذا دَانَتِ العُرْبُ والعُجْمُ

لذا فقولكم: «رب اسقنا» لا يأتي بالمطر.. ولكن هي عادة

على كلِّ شيءٍ تَهجُمُونَ بِجَهْلِكُمْ،   وأعياكُمُ يوماً، على رَشَدٍ، هَجْمُ

٢٤١ المجهول

سأرحَلُ عن وَشْكٍ ولستُ بِعالِمٍ،   على أيِّ أمرٍ، لا أَبالَكَ، أَقْدَمُ

سأرحل قريباً ولا أعرف إلى أي شيء أنا قادم

فإن لم تَكُنْ إلَّا الحياةُ وبيْنُها   فلستُ على أيَّامِها أَتَنَدَّمُ

إن كان الأمر كله هذه الحياة وبينها، رحيلي عنها، فلست نادماً على أيامها

٢٤٢ العقيم

إذا شِئتَ يوماً وُصْلَةً بِقَرينةٍ، فخيرُ نساءِ العالمينَ عقيمُها

٢٤٣ الناس للناس

الناسُ بِالناسِ مِن حُضْرٍ وبَادِيَةٍ بعضٌ لِبعضٍ، وإن لم يَشعُروا، خَدَمُ

٢٤٤ ما أعتاكم!

كم تُوعَظونَ فلا تلينُ قلوبُكُمْ، فتَبارَكَ الخلّاقُ، ما أعْتاكُمُ!

ما أعتاكم: ما أشد ظلمكم

إن الضَّلالَةَ كالغَريزَةِ فيكُمُ، يَأوي إليها كهلُكُمْ وفَتاكُمُ

٢٤٥ أمك ثم أمك

تصدَّقْ على الأعمى بِأخذِ يمينِهِ، لِتَهدِيَهُ، وامْنُنْ بِإفهامِكَ الصُّمَّا

امنن: تكرَّمْ

وأَعطِ أَباكَ النِّصْفَ حيّاً وميّتاً، وفَضِّلْ عليهِ مِن كرامتِها الأُمَّا

النصف: العدل

أَقَلَّكَ خِفّاً، إذ أَقَلَّتْكَ مُثْقِلاً، وأرضَعَتِ الحولَيْنِ واحتَمَلَتْ تِمَّا

أبوك حملك خفيفاً في صلبه، وأمك حملتك ثقيلاً في بطنها، وأرضعتك عامين واحتملت إتمامهما. إشارة إلى الآية «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين..»

وألَقَتْكَ عن جَهْدٍ، وأَلْقاكَ لَذَّةً، وضَمَّتْ وشَمَّتْ مثلما ضَمَّ أو شَمّا

ألقتك، ولدتك، عن جهد، بصعوبة، وأما الأب فألقاك لذة. وهي حَنَت عليك وضمتك وشمتك مثل الأب لا أقل

٢٤٦ ابن وقتي

إذا مَرَّ أعمى، فارحمُوهُ وأَيْقِنوا، وإن لم تُكَفُّوا، أن كُلَّكُمُ أعمى

وإن لم تُكَفوا: إن لم تكونوا كفيفين

غَدَوْتُ ابنَ وَقتي، ما تَقَضَّى نَسيتُه وما هُوَ آتٍ لا أُحِسُّ له طَعْما

٢٤٧ قطع الرحم

نَفَضْتُ عني تُراباً، وَهْوَ لِي نَسَبٌ وذاكَ يُحسَبُ مِن قطْعِ الفتَى الرَّحِما

نفضت التراب عن ثيابي.. وأنا مخلوق من تراب.. فكأنني متنكر لأصلي وقاطع رحمي

٢٤٨ مقايضة

من بَاعَني بِحياتِي ميتَةً سُرُحاً بَايَعْتُه، وأَهانَ اللَّهُ مَن نَدِمَا

من يقايضني بحياتي ميتة سرحاً، سهلة، فسوف أقبل المقايضة، ولعن الله من يندم ويتراجع

فالآنَ شَارَفْتُ جيشَ الحَتْفِ، واقتَربَتْ دارٌ أكادُ إليها أَرْفَعُ القَدَما

لقد شارفت جيش الحتف، اقتربت من الموت، واقتربت مني دار أكاد أرفع قدمي لدخولها

وشَادَ إيوانَ كسرى معشرٌ طلبوا ثباتَه، وتَمادَى الوقتُ، فانْهَدَما

٢٤٩ عدو من صلبك

وجدتُ المَوتَ لِلحيوانِ داءً وكيف أُعالِجُ الداءَ القَديما!

الحيوان: الأحياء من بشر وحيوانات

وما دنياكَ إلَّا دَارُ سَوْءٍ، ولستُ على إساءَتِها مُقيما

أرى وَلَدَ الفتى عبئاً عليه، لقد سَعِدَ الذي أمسى عقيما

أمَا شاهدتَ كلَّ أبِي وَلِيدٍ يَؤُمُّ طريقَ حَتْفٍ مُستَقيما؟

يؤم: يتجه

فإمَّا أنْ يُربِّيَه عَدُواً، وإما أن يخلِّفَه يتيما

الأب يربي ابنه ليصبح عدواً له، أو ليموت عنه ويتركه يتيماً

٢٥٠ جلوس على السياج

قالَ المنجِّمُ والطبيبُ كِلاهما: لا تُحشَرُ الأجسادُ. قلتُ: إلَيْكُما

إليكما: ابتعِدا

إن صحَّ قولُكُما، فلستُ بِخاسِرٍ، أو صحَّ قولِي، فالخَسَارُ عليْكُما

٢٥١ الكذب آخر الدواء

أُصْدُقْ إلى أن تَظُنَّ الصِّدْقَ مَهْلَكَةً وعـنـد ذلـك فـاقـعُـدْ كـاذِبـاً وقُـمِ

ابق صادقاً إلى أن تشعر بأن الصدق سيؤدي بك إلى الهلاك فعندئذ اكذب

٢٥٢ لا أعيِّد

لَـعـمـرُكَ، مـا أُسَـرُّ بـيـومِ فِـطْـرٍ، ولا أَضْـحَـى، ولا بِـغَـديـرِ خُـمِّ

غدير خم: يوم يحتفل فيه الناس، وخصوصاً الشيعة، وعند هذا الغدير برأ النبي ساحة علي من تهم نسبت إليه، ويقول الشيعة إن النبي أعلن علياً وصياً هناك

وكـم أَبـدَى تَـشَـيُّـعَـهُ غَـوِيٌّ لأجـلِ تَـنَـسُّـبٍ بِـبـلادِ قُـمِّ

كثيراً ما يبدي شخص غوي ضال تشيعه لمجرد انتسابه لقم في إيران، وهي مدينة كان سكانها منذ القدم من الشيعة

٢٥٣ فرعون كموسى

دنـيـاهُـمُ نـارٌ بـلا جـنـةٍ فـالـقـومُ منـهـا فـي عـذابٍ ألـيـمْ

مـا نـالَ فِـرعـونُ بـهـا نـعـمـةً، ولا صفَـا عيشٌ لِمُوسى الكليمْ

الكليم: الذي كلمه الله في سيناء

٢٥٤ كلنا أعمى

خَـالِـقٌ، لا يُـشَـكُّ فـيـه قـديـمٌ، وزمـانٌ، عـلـى الأنـامِ، تَـقـادَمْ

جـائِـزٌ أن يـكـونَ آدَمُ هـذا، قـبـلَـه آدمٌ عـلـى إثْـرِ آدَمْ

لـسـتُ أَنْـفـي عـن قـدرةِ الـلّـهِ أشبا حَ ضـيـاءٍ، بـغـيـرِ لـحـمٍ ولا دَمْ

لا أنفي وجود الملائكة

وبَـصـيـرُ الأقـوامِ مِـثـلِـيَ أعـمـى فـهَـلُـمُّـوا فـي حِـنْـدِسٍ نـتـصَـادَمْ

البصير مثلي أعمى فيما يتعلق بعالم الغيب، فتعالوا في هذا الحندس، الظلام، نتصادم

٢٥٥ الحجة والسيف

أَتَـوْكُـمْ بِـإِقـبَـالِـهِـمْ والـحُـسـامِ فَـشَـدَّ بـهِ زَاعِـمٌ مـا زَعَـمْ

أتاكم الغزاة بإقبالهم، بحظهم الذي أقبل عليهم، وبالسيف؛ فشدوا بالسيف من حجتهم التي زعموها

تَـلَـوْا بـاطِـلاً، وجَـلَـوْا صـارمـاً، وقـالـوا: صـدقْـنـا! فـقُـلْـتُـمْ: نـعـمْ!

تلوا حججهم وهي باطل، وجلوا صارماً، أظهروا سيفاً، وقالوا صدقنا، فقلتم نعم

أَفـيـقُـوا، فـإن أحـاديـثَـهُـمْ ضِـعـافُ الـقَـواعِـدِ والـمُـدَّعَـمْ

أحاديث هؤلاء الغزاة ضعيفة القواعد، لا سند لها ولا دعامة

٢٥٦ مغفرة الله

إذا مَـدَحُـوا آدمِـيَّـاً مَـدَحْـتُ مَوْلَى الـمَوالـي، وربَّ الأُمَمْ

لـه سَجَدَ الشَّامِخُ الـمُشْمَخِرُّ عـلـى مـا بِـعِـرنـيـنِـه مِـن شَـمَـمْ

سجد لله الشامخ المشمخر، المرتفع المتكبر، رغم ما بعرنينه، بأنفه، من شمم، من ارتفاع

ومَـغـفـرةُ الـلَّـهِ مَـرجُـوَّةٌ إذا حُـسِبَتْ أَعـظُـمـي في الـرِّمَمْ

الرمم: الرفات

فـيـا لـيـتَـنـي هـامِـدٌ، لا أقـومُ إذا نَـهَـضُـوا يـنـفُـضُـونَ الـلِّـمَمْ

اللمم: جمع «لِمَّة» وهي شعر الرأس

ونَـادى الـمُـنـادي عـلـى غَـفْـلَـةٍ فـلـم يـبـقَ فـي أُذُنٍ مِـن صَـمَـمْ

وجـاءتْ صَـحـائِـفُ قـد ضُـمِّـنَـتْ كَـبـائِـرَ آثـامِـهِـمْ والـلَّـمَـمْ

اللَّمم: جمع «لَمَّة» الذنوب الصغيرة

٢٥٧ أفضل ثوب

ما كان في الأرضِ مِن خَيرٍ ولا كَرمٍ فَضَلَّ مَن قالَ: إن الأكرَمينَ فَنُوا

لم يكن في الناس كرم ولا خير قط، فقد أخطأ من قال إن الأكرمين فنوا فناء، فهم لم يوجدوا أصلاً

أَعْفَى الـمنازِلِ قبرٌ يُستراحُ به، وأفضلُ اللُّبْسِ، فيما أعلمُ، الكَفَنُ

أعفى: أسهل

٢٥٨ من أين عرفوا؟

يُخَبِّرونَك عن ربِّ العُلى كَذِباً، ومـا دَرى بِـشـؤونِ الـلَّـهِ إنـسـانُ

ما كانَ، في هذه الدنيا، أخُو رَشَدٍ ولا يكونُ، ولا في الدهرِ، إحسانُ

٢٥٩ فسد الأمر

بِئْسَتِ الأمُّ، لِلأنامِ، هِيَ الدنـ ـيا، وبئسَ البنونَ للأمِّ نحنُ
فَسَدَ الأمرُ كلُّه، فاتركُوا الإعـ ـرابَ، إن الفصاحةَ اليومَ لَحْنُ

فسد كل شيء فاتركوا تشكيل الكلمات في حديثكم فقد أصبحت الفصاحة في زمننا هي اللحن، الخطأ النحوي. كان لي صاحب يلاقيني فيسألني عن الأحوال فأقول له عبارتي الخالدة: «خالصة مالصة» ومعناها لا شيء جديداً، فيضحك ضحكة صفراء، ثم يبدأ بالشكوى من كل شيء، ويعلم الله أن صديقي ذاك كان مثرياً، وأنه ظل يصعد من حال إلى حال، يشتري الأطيان والعقار، ولكنه لم يغادر الشكوى، وشتْم الزمان. وأبو العلاء مثله.. ولكن أبا العلاء فصيح ويركب الكلام تركيبات معجِبة، وهو خفيف الظل مَرِحٌ مرحاً خفياً.. حتى في تركيب كلماته الشكوية ثمة ألعاب على الكلام، وثمة عبث طِفلي بهذه اللغة.. لقد أسلف المعري فدفع ثمناً كبيراً هو انصرافه عن ملذات الدنيا، ويريد مقابل ذلك أن يعذبنا بشكواه وتأففاته

٢٦٠ أنفاس تتقضَّى

نَفَسٌ بعدَ مثلِه يَتَقَضَّى فتمُرُّ الدهورُ والأحْيَانُ

أنفاس الإنسان تتوالى كأنها دقات القنبلة الموقوتة، وتمر الأحيان، أي الأوقات. هذا يذكِّر ببيت شوقي: دقات قلب المرء قائلة له/ إن الحياة دقائق وثوان

قد تَرامَتْ إلى الفسادِ البَرايا، واستَوَتْ في الضَّلالَةِ الأدْيانُ

رمت البرايا، المخلوقات، نفسها على الفساد وتساوت الأديان في الضلال

٢٦١ رفض الخمر

لو كانتِ الخمرُ حِلّاً ما سَمَحْتُ بها لِنَفْسِيَ، الدهرَ، لا سِرّاً ولا عَلَنا
فَلْيَغْفِرِ اللّهُ؛ كم تَطْغَى مآرِبُنا، وربُّنا قد أَحَلَّ الطيِّباتِ لَنا

٢٦٢ قلة الديانة

جَمْجَمَ هذا الزمانُ قَوْلاً، وكُلُّنا يَرتَجي بَيانَهْ

جمجم الزمان، تمتم وقال كلاماً غير مفهوم، ونحن نرجو بيانه، إفصاحه

وحَدَّثَتْنا الشيوخُ أمْراً، وما ادَّعَى مخبِرٌ عِيانَهْ

الشيوخ، أي الكبار في السن، حدثونا بأمر ولكن لم يزعم أحد أنه رآه عياناً

دنياكَ دارٌ قدِ اصْطَلَحْنا فيها على قِلَّةِ الدِّيانَةْ

٢٦٣ الانقراض

وخيلُ اللَّهْوِ جَامِحَةٌ علَيْنا، يُساقِطْنَ الفَوارِسَ، إن رُكِضْنَهْ

خيول اللهو جامحة، مستعصية، علينا.. فالفارس الذي يركبها كي يُركضها، يروضها، يسقط عنها

وأعجزُ أهلِ هَذي الأرضِ غاوٍ أبانَ العجزَ عن خَمْسٍ فُرِضْنَهْ

أعجز الناس من يعجز عن أداء الصلوات الخمس

قد انقَرَضَتْ مَمالِكُ آلِ كِسرى سوى سِيَرٍ لَهُنَّ سَيَنْقَرِضْنَهْ

انقرضت ممالك الفرس وبقيت سيرها، أخبارها، وستنقرض هذه الأخبار أيضاً

متى عَرَضَ الحِجَا للَّهِ ضاقَتْ مَذاهِبُهُ عليهِ، وإن عَرُضْنَهْ

متى تعرض الحجا، العقل، للتفكير في الله شعر بضيق المسالك أمامه حتى لو كانت عريضة

غَدَتْ حُجَجُ الكلامِ حَجَا غَدِيرٍ وشيكاً يَنْعَقِدْنَ ويَنْتَقِضْنَهْ

أصبحت حجج علم الكلام حجا غدير، فقاعات جدول ماء، فما تكاد تنعقد حتى تنتقض وتفقع

٢٦٤ حظ يفلق الصخر

غِنَى زَيدٍ يكونُ لِفقْرِ عمروٍ وأحكامُ الحَوادثِ لا يُقَسْنَهْ

القياس في الرزق أن غنى الغني يسبب الفقر للفقير، ولكن أحكام مصائب الزمن لا قياس لها فهي فجائية

أَلَمْ تَرَني حَمَيْتُ بناتِ صَدري، فما زَوَّجْتُهُنَّ، وقد عَنَسْنَهْ

حميت بنات صدري، أفكاري، فما أخرجتهن وبقين عوانس.. أي أنني كنت كمن يعضُل بناته ولا يزوجهن ويبقيهن في البيت

ورُضْتُ صِعابَ آمَالي، فكانَتْ خُيولاً، في مَراتِعِها، شَمَسْنَهْ

روضت آمالي الصعاب، التي هي كالخيول الجامحة، فآمالي شمسن، جمحن وتمردن، وهن في المراتع، المراعي

ولم أُعرِضْ عن اللَّذَّاتِ، إلَّا لأن خِيارَها عني خَنَسْنَهْ

لم أترك اللذات إلا لأن أفضلها خنس عني، تراجع وانقبض

وتُقْسَمُ حُظْوَةٌ، حتى صُخُورٌ يُزَرْنَ، فَيُسْتَلَمْنَ ويُلْتَمَسْنَهْ

والحظوة، الحظ الحسن، قسمة ونصيب، فهناك حتى صخور يصيبها الحظ الحسن فيزورها الناس ويستلمونها، يقبلونها، ويلمسونها

٢٦٥ المبخلة المجبنة

هَوِّنْ عليكَ، ولا تُبَالِ بِحادِثٍ يُشجِيكَ؛ فالأيامُ سائرةٌ بِنا

يشجيك: يحزنك

أَعْدَى عَدُوٍّ لابْنِ آدَمَ نفسُهُ ثم ابنُه، وافَاهُ يَهدِمُ ما بَنى

هاتِيكَ تَأْمُرُهُ بِكلِّ قبيحةٍ ودَعاهُ ذاكَ لِأَنْ يَضِنَّ ويَجْبُنَا

نفسه تأمره بالقبيح من الفعال، وابنه يدعوه، يجعله، يضن، أي يبخل، ويجبن. وجاء في الأثر أن الابن مبخلة مجبنة

٢٦٦ الإمكان

والمرءُ ليس بِزاهدٍ في غَادَةٍ، لكنَّه يترقَّبُ الإِمْكَانا

لا ينصرف المرء عن فتاة جميلة زهداً فيها، ولكنه يترقب الفرصة

نَبكي ونضحكُ، والقَضاءُ مُسَلَّطٌ، ما الدهرُ أَضحَكَنا ولا أَبْكَانا

نَشكُو الزمانَ وما أَتَى بِجِنَايةٍ، ولو استطَاعَ تَكَلُّمَاً لَشَكَانا

٢٦٧ أمل في الغفران

لِيَفْعَلِ الدهرُ ما يَهُمُّ بِه، إنَّ ظُنوني بِخَالِقي حَسَنَةْ

لا تَيْأَسُ النَّفْسُ مِن تَفَضُّلِهِ، ولو أقامتْ في النارِ أَلْفَ سَنَةْ

٢٦٨ البدويان

أيأتِي نبيٌّ يجعلُ الخمرَ طِلْقَةً فتَحْمِلَ ثِقْلاً من هُمومي وأحزاني؟

أيأتي نبي يحل الخمر فتحمل بعض همومي؟

وهيهاتَ، لو حَلَّتْ لما كنتُ شارباً مخفِّفَةً، في الحِلْمِ، كِفَّةَ ميزاني

لكن لا، حتى لو كانت حلالاً لما شربتها فهي تخفف في أمر العقل كفة ميزاني

كأنيَ نَبْتٌ مَرَّ يومٌ وليلةٌ عليَّ، وكانا مُنفِضَيْنِ، فَجَزَّاني

كأنني نبات وقد مر علي يوم وليلة، وكانا منفضين، خالبي الوعاء من الزاد، فجزاني، قصاني قصاً

هُما بَدَوِيَّانِ، الطريقَ تَعَرَّضا، وبُرْدِيَ، مِن نَسْجِ الشَّبِيبَةِ، بَزَّاني

النهار والليل بدويان يعترضان طريق المسافر، وقد بزاني، أي سلباني، ثوب الشباب

قَـويَّـانِ عَـزَّانـي عـلـيـهِ، وأَوْقَـعـا بِـغـيـريَ مَـا بـيِ أَوْقَـعَـاهُ، فـعَـزَّانـي

وهما قويان وقد عزاني على ثوب الشباب، تغلبا عليَّ ونزعاه، وصنعا ذلك مع غيري فوجدت العزاء

ومـا ضَـيَّـقَـا أرضـيِ، ولـكـنْ أَراهُـمـا إلى الضَّنْكِ، من وجهِ البَسيطةِ، لَزَّاني

لم يضيق مرور الزمن ممتطياً الليل والنهار أرضي، ولكنهما لزاني، ألزماني وحشراني، إلى الضنك، العيشة الصعبة

ومـا أَكَـلا زَادِيِ، ولـكـنْ أَكَـلْـتُـهُ وقـد نَـبَّـهَـانـيِ لـلـسُّـرى واستَفَزَّاني

أنا أكلت زادي، ومرور النهار والليل نبهني إلى وجوب السرى، سير الليل، وقد استفزاني، حثاني حثاً

ولـم يَرضَـيا إلَّا بِـنفسـيِ مِـن القِـرى، ولـو صُـنْتُـه، عـن طَـارِقَـيَّ، لأَخْزاني

ولم يرضيا بالطعام المعتاد للضيف بل أرادا أن يأكلا نفسي.. ولو صنت هذا ومنعته عن طارقي، الزائريْنِ لي ليلاً، للحق بي الخزي الذي يلحق بمن يمنع أضيافه الطعام

عَـزيـزانِ بـاللَّـهِ، الـذي لـيـس مـثـلُـه، يَــذِلَّانِ فــي مِــقْــدَارِهِ ويَــعِــزَّانِ

النهار والليل عزيزان، قويان، بالله.. وهو الذي يقويهما أو يضعفهما إن شاء

٢٦٩ الناس كالشعر

والإنْسُ مثلُ نِظامِ الشِّعْرِ، كم رجلٍ بالجيشِ يُفْدَى، وكم بيتٍ بِديوانِ!

التسويد وعلامة التعجب لأحمد عبد الرحيم.

٢٧٠ الفارسان

ولـو أنـيِ أُعَـدُّ بـألـفِ بَـحـرٍ لَـمَـرَّ عـلـيَّ مـوتٌ، فـاحْـتَـسَـانـي

لو أنني مثل ألف بحر لمر على الزمن وشربني

ظَـلامـيَ والـنـهـارُ قـد اسـتـمـرا عـلـيَّ، كـمـا تَـتـابَـعَ فـارسـانِ

الليل والنهار يتتابعان ويستمران علي، يعكفان علي، كأنهما فارسان يقاتلانني

٢٧١ الشامي واليماني

سـيُـنـسَـى كـلُّ مـا الأحـيـاءُ فـيـه ويـخـتـلـطُ الـشـآمـيِ بِـالـيَـمـانـي

سينسى كل شيء يخوض فيه بنو الدنيا وسيختلط الناس في جوف التراب

٢٧٢ قيام قبل الأوان

لو هَبَّ سُكانُ الترابِ مِن الكَرى أَعْيا المَحَلُّ على المقيمِ الساكنِ
لو قام أهل القبور لأعيا المحل، ضاق على ساكنيه
لَغَدَوْا، وقد مَلأَ البسيطةَ بعضُهُمْ ورأيتَ أكثرَهُمْ بغيرِ أماكِنِ

٢٧٣ نصيحة

هل قَبِلَتْ من ناصحٍ أمَّةٌ تغدُو إلى الفِصْحِ بِصُلْبانِها؟
هل تقبل النصيحة أمة النصارى التي يخرج أبناؤها في عيد الفصح حاملين الصلبان
كنائسٌ يجمَعُها وُصْلَةٌ، بينَ غَوانيها وشُبَّانِها
القاسم المشترك بين هذه الكنائس أنها تصل بين الفتيات والشبان
ما بَالُها عَذراءَ، أو ثَيِّباً، كَوَرْدَةِ الجاني بِإِبَّانِها..
ما شأن هذه الفتاة سواء أكانت عذراء أم سبق لها زواج، وهي جميلة وشابة كالوردة التي جناها جانيها لإبانها، في وقت تفتيحها..
راحَتْ إلى القَسِّ بِتَقْريبِها، وبيْتُها أولى بِقُربانِها
ما شأنها قد راحت إلى القس تقدم قرباناً، وكان أولى بها لو قعدت في بيتها تخدمه
وزارتِ الديرَ، وأثوابُها ضَامِنَةٌ فِتنةَ رُهبانِها
وتزور الدير بثياب تضمن فتنة الرهبان

٢٧٤ أنا والناس

لا أشربُ الراحَ ولو ضُمِّنَتْ ذَهابَ لَوعاتي وأَحزاني
مخفِّفاً ميزانَ حِلْمي بِها، كأنني ما خَفَّ ميزاني
أُجامِلُ الناسَ، ولو أنني كَشَفْتُ ما في السِّرِّ أَخْزاني
أَسِيتُ مِن نَقْصي، ولكنَّ مَا يَظهَرُ مِن غَيْرِيَ عَزَّاني
أسيت من نقصي، حزنت لما فيَّ من عيوب، ولكن ما ظهر لي من عيوب الناس عزاني

٢٧٥ قَطني

نحن قُطْنِيَّةٌ، وصُوفِيَّةٌ أنْـ ـتُمْ، فَقَطْني مِن التَّجَمُّلِ قَطْني
نحن نلبس القطن، وأنتم صوفية.. وقطني، كفاني من التجمل والادعاء كفاني

تَقطَعُونَ البلادَ بطناً وظهراً، إنما سعيُكُمْ لِفَرجٍ وبَطْنِ

تسوحون في البلاد، وهذا ليس من عبادة، بل همكم الطعام ومعاشرة النساء

حَاطَني خَالقي فعشتُ، ولولا خوفُهُ قلتُ: ليتَه لم يَحُطْني

حاطني: رعاني

جَسدي خِرْقةٌ تُخاطُ إلى الأر ضِ، فيا خائطَ العَوالِمِ خِطْني

٢٧٦ قومني ولواني

كأنِّيَ في العيشِ لَدْنُ الغُصو نِ، مَنْ شاءَ قَوَّمَنِي أو لَوَاني

لدن: مرن

ولا لَوْنَ لِلماءِ، فيما يُقالُ، ولكنْ تَلَوُّنُهُ بالأَوَاني

فعلاً يقال ذلك!

٢٧٧ مِثلُ غيري

إذا سَألُوا عن مَذهبي فهْوَ بَيِّنٌ وهل أنا إلّا مثلُ غيريَ أبْلَهُ؟

خُلِقْتُ مِن الدنيا وعشتُ كأهلِها أَجِدُّ كما جَدُّوا، وألْهُو كما لَهُوا

٢٧٨ الدين عادة

وَوَدُّوا العيشَ في زمنٍ خَؤونٍ، وقد عَرفُوا أذاهُ وجَرَّبُوهُ

وينشأُ ناشِئُ الفِتْيانِ منَّا على ما كانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

وما دانَ الفَتى بِحِجَاً، ولكنْ يُعَلِّمُهُ التَّدَيُّنَ أَقْرَبُوهُ

الفتى لا يتدين بما يمليه عليه حجاه، أي عقله، بل بحسب ما يعلمه أقاربه

وَطِفْلُ الفَارِسِيِّ له وُلاةٌ، بِأفعالِ التَّمَجُّسِ دَرَّبُوهُ

فطفل الرجل الفارسي له ولاة، أولياء أمر، يدربونه على شعائر المجوسية

لعل الموتَ خيرٌ لِلبَرايا، وإن خَافُوا الرَّدَى وتَهَيَّبُوهُ

أَطاعُوا ذا الخِداعِ وصَدَّقُوهُ، وكم نَصَحَ النَّصيحُ، فكَذَّبُوهُ

وجاءتْنا شرائعُ كلِّ قومٍ، على آثارِ شَيْءٍ رَتَّبُوهُ

وغيَّرَ بَعضُهُمْ أقوالَ بَعْضٍ، وأَبْطَلَتِ النُّهَى ما أَوْجَبُوهُ

يختلفون في الآثار التي وردت عن السلف، ولكن النهى، العقل، يبطل ما يعتقدون بوجوب صحته

وبَـدَّلَ ظَـاهِـرَ الإِسـلامِ رَهْـطٌ،   أرادُوا الـطَّـعْـنَ فـيـهِ وشَـذَّبُـوهُ

بعضهم اشتق رموزاً من ظاهر ما قال به الإسلام، فقد أرادوا الطعن في صحة الظاهر، وقد شذبوا الدين، أي قصوا من أطرافه

رَجَـوْا أَلَّا يَـخـيـبَ لَـهُـمْ دعـاءٌ   وكـم سـأَلَ الـفـقـيـرُ فَـخَـيَّـبُـوهُ

يرجو المتدينون ألا يخيب دعاؤهم لله، ولكن الفقير يسألهم ويخيِّبونه

إذا أصـحـابُ دِيـنٍ أَحْـكَـمُـوهُ،   أَذالُـوا مـا سِـوَاهُ وعَـيَّـبُـوهُ

عندما يجمع الناس دينهم ويرتبونه يذيلون ما سواه من أديان، يرفضونها، ويجدون فيها عيوباً

٢٧٩ المتكبر

وكـيـف يُـؤَمِّـلُ الإنـسـانُ رُشْـداً،   ومـا يـنـفـكُّ مُـتَّـبِـعـاً هَـواهُ

يـظـنُّ بِـنـفـسِـهِ شَـرَفـاً وقَـدْراً،   كـأنَّ الـلَّـهَ لـم يَـخْـلُـقْ سِـواهُ

٢٨٠ النصارى وطبيعة المسيح

أَسهَبَ الناسُ في المَقالِ، وما يَظْـ   ـفَـرُ، إلَّا بِـزَلَّـةٍ، مُـسْـهِـبُـوهُ

الذين يسهبون ويكثرون من التفسير والتعليل يكثر عندهم الزلل والخطأ

عـجـبـاً لِـلـمَـسـيـحِ بـيـنَ أُنـاسٍ   وإلـى الـلَّـهِ والـداً نَـسَـبُـوهُ

أَسْلَمَتْهُ إلى اليهودِ النَّصارى   وأَقَـرُّوا بـأنَّـهُـمْ صَـلَـبُـوهُ

يُشْفِقُ الحازمُ اللبيبُ على الطفـ   ـلِ، إذا مـا لِـداتُـهُ ضَـرَبُـوهُ

يضرب مثلاً: الشخص العاقل يشفق على الطفل إذا ضربه لداته، الأولاد في مثل عمره

وإذا كـان مـا يـقـولـونَ في عيـ   ـسى صحيحاً، فأينَ كانَ أَبُوهُ؟

كـيـف خَـلَّـى وَلـيـدَهُ لِـلأعـادي،   أم يَـظُـنُّـونَ أَنَّـهُـمْ غَـلَـبُـوهُ؟

وإذا مـا سَـأَلْـتَ أصـحـابَ دِيـنٍ،   غَـيَّـرُوا بِـالـقِـيَـاسِ مـا رَتَّـبُـوهُ

لا يَـدِيـنـونَ بـالـعـقـولِ ولـكـنْ،   بـأبـاطـيـلِ زُخْـرُفٍ كَـذَّبُـوهُ

لم يكن هذا البيت مما اخترت، فكتب أحمد عبد الرحيم: «البيت الأخير المحذوف هو بيت القطعة» فها قد أثبتناه

٢٨١ باطل العيش

حَسْبِي، من الجهلِ، عِلمِي أنَّ آخِرَتِي هِـيَ الـمَـآلُ، وأنـي لا أُرَاعـيـهـا

يكفيني جهلاً أنني أعلم أن الآخرة هي المصير النهائي، ومع ذلك لا أراعي آخرتي

وأن دنـيـايَ دارٌ لا قـرارَ بـهـا، ومـا أزالُ مُـعَـنَّـىً فـي مَـسـاعـيـهـا

رغم علمي بأن الدنيا دار مرور لا استقرار فأنا معنى، متعب، ومستمر في الاهتمام بها

كذلكَ النَّفْسُ، ما زالتْ مُعَلَّلَةً بِباطلِ العيشِ، حتى قامَ نَاعيها

يا أُمَّةً مِن سَفَاهٍ لا حُلُومَ لها، ما أنتِ إلَّا كَضَأْنٍ غابَ رَاعيها

الناس سفهاء لا حلوم، لا عقول، لهم، وهم كالخراف بلا راع. التسويد لأحمد عبد الرحيم

٢٨٢ ذات القرطين

وذاتِ قُرْطَيْنِ في حَلْيٍ تَعُدُّهُما قد صَارَ أجراً لِذَاتِ الغَسْلِ قُرْطَاها

رب امرأة لها قرطان في أذنيها، وهي تعُدهما من الزينة.. وماتت فأصبح القرطان أجرة للتي غسلتها

٢٨٣ التهاون بالمذاهب

تَقَضَّى الناسُ جيلاً بعد جيلٍ وخُلِّفَتِ النجومُ كما تَراها

تتوالى الأجيال والنجوم باقية

إذا رجعَ الحَصيفُ إلى حِجاهُ تهاونَ بالمذاهِبِ وازْدَرَاها

الحصيف: الحكيم، حجاه: عقله

وَهَتْ أديانُهُمْ من كلِّ وجهٍ، فهل عقلٌ تُشَدُّ به عُراها؟

وهت، أي ضعفت، الأديان من وجوه شتى بتقادم الزمن، فهل عند الناس عقل يشدون به عرى الأديان، أي أنشوطاتها.. والعروة عقدة في الحبل ترتخي وتحتاج إلى شد. والعروة في قميصك ثقب يدخل فه الزر، وكانت في قميص الأجداد خيطاً معقوداً يدخل فيه الزر

تقدَّمَ صاحبُ التَّوْراةِ موسى، وأوقَعَ في الخَسارِ مَنِ اقْتَراها

اقتراها: تبعها

وقالَ رجالُه: وَحْيٌ أتاهُ، وقال الظالمونَ، بَلِ افْتَراها

وكم سَرَتِ الرفاقُ إلى «صَلاحٍ» فمَارَسَتِ الشدائدَ في سُراها

يسري المسافرون مترافقين إلى صلاح، من أسماء مكة، ويمارسون الشدائد، أي يعانون منها، وهم ماضون في السرى، أي السير ليلاً

يُوافونَ البَنِيَّةَ كلَّ عامٍ، لِيُلْقُوا المُخْزِياتِ على قَراها

يوافون، يصِلون إلى، البنية، أي الكعبة، كل عام، وهمهم أن يلقوا على قراها، حوضها، ذنوبهم المخزية يحسبون أنها تُغفر لهم بمجرد الحج

وما سَيْري إلى أحجارِ بيتٍ كؤوسُ الخَمْرِ تُشْرَبُ في ذَرَاها؟

وما معنى سيري إلى مكان تشرب في ذراه، في كنفه وقربه، الخمر؟

٢٨٤ ليس كمثله شيء

وإنَّ الفَتى، فيما أرى، بِزمانِه لأَشْبَهُ منه شِيمَةً بِأَبيهِ

الرجل يشبه زمانه أكثر من شبهه بأبيه في الشيمة، أي الخلق

ووالِدُنا هذا الترابُ، ولم يَزَلْ أَبَرَّ يَداً مِن كُلِّ مُنْتَسِبيهِ

ووالدنا هو التراب لأننا خلقنا من طين، والتراب أكثر براً وخيراً ممن ينتسبون إليه، أي من البشر

يؤَدِّي إلى مَن فَوقَهُ رِزْقَ رَبِّهِ، أَميناً، ويُعْطِي الصَّوْنَ مُحْتَجِبيهِ

فالتراب يؤدي للناس الذين فوقه الرزق أميناً بإخراجه الزرع، ويصون من يحتجبون فيه من الموتى

تَشابَهَتِ الأشياءُ طَبْعاً وصُورةً، وربُّكَ لم يُسمَعْ لهُ بِشَبيهِ

الأشياء متشابهة طبعاً، أي في أصلها وحقيقتها، وصورةً، أي في شكلها، والله لا شبيه له

٢٨٥ الغنائم

وجدتُ غنائمَ الإسلامِ نهباً، لأصحابِ المَعازِفِ والمَلاهي

الغنائم تذهب لأهل اللهو

وكيف يَصِحُّ إجماعُ البَرايا، وهم لا يُجمِعونَ على الإلَهِ؟

البرايا: البشر

تُنازِعُني إلى الشَّهَواتِ نفسِي، فلا أنَا مُنْجَحٌ أبداً ولا هِي

نفسي تنازعني لنيل الشهوات، فلا أنا منجح، موفق، في مخالفتها، ولا هي فائزة بالشهوات

٢٨٦ أملي في الله

كأنَّكَ، بعد خَمْسينَ اسْتَقَلَّتْ لِمَولِدِكَ، البناءُ دَنا لِيَهْوي

كأنك بعد خمسين سنة استقلت، ارتفعت ومضت، منذ مولدك بناءُ اقترب كي ينهار

وما أنا يَائِسٌ مِن أمرِ رَبِّي، على ما كانَ مِن عَمْدٍ وسَهْوِ

٢٨٧ العقل نبي

زَعَمَتْ، أن نَارَها مَا خَبَتْ، فَا رِسُ، والدهرُ فيه مَعنىً خَبِيُّ

الفرس يزعمون أن النار المقدسة لا تنطفئ أبد الدهر، ولكن الدهر يحمل لهم معاني كانت مخبوءة عن علمهم فتنطفئ النار

أيُّها الغِرُّ، إن خُصِصْتَ بِعقْلٍ، فَاسْأَلْنْهُ، فكلُّ عَقْلٍ نَبِيُّ

أيها الغر، الجاهل، إن كان عندك عقل فاسأل عقلك فهو نبيك.. أي ينبئك بما يمكن أن يحدث

٢٨٨ الدين لله

وأَلْقَتْ هذه الأيامُ عِلماً إليكَ، فلم تُصادِفْ منكَ وَعْيَا

ودِينُكَ ما عليَّ الحُكْمُ فيهِ، فَأَبْغِيَ للَّذي أَخْفَيْتَ بَغْيا

لا أفتش عن حقيقة إيمانك كي أبغي، أطلب، بالتماس ما تخفيه بغياً، ظلماً لك

إذا الإنسانُ كَفَّ الشرَّ عنِّي، فَسَقْياً، في الحياةِ، له ورَعْيَا

يكفيني أن تكف شرك عني، وعندئذ سقاك الله ورعاك

ويَدْرُسُ، إن أرادَ، كتابَ موسى ويُضْمِرُ إن أَحَبَّ وَلاءَ شَعْيَا

وللمرء أن يدرس التوراة أو كتاب أشعيا النبي، هو حر. وسفر أشعياء جزء من الكتاب المقدس، ولكنه ليس ضمن كتب موسى الخمسة (التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية). وبعضهم - كأبناء الطائفة السامرية في مدينتي نابلس - لا يؤمن بغير كتب موسى

٢٨٩ الله يرحمني

سَقْياً لِأَيَّامِ الشبا بِ، وما حَسَرْتُ مَطِيَّتَيَّا

واهاً لأيام الشباب، ولما حسرت، أي لما أنهكت، مطيتيَّ، أي ناقتيَّ. المعنى: أسفاً على أيام الشباب الجميلة.. الآن بعد أن أنهكت ساقيَّ وكبرت

أَيَّـامَ آمُـلُ أن أَمَـسَّ ـ الـفَـرْقَـدَيْـنِ بِـراحَـتَـيَّـا

كنت في أيام الشباب متوثباً طوحاً آمل أن ألمس الفرقدين، وهما نجمان، بكفيَّ

فـالآنَ تَـعْـجِـزُ هِـمَّـتـي عـمَّـا يُـنَـالُ بِـخُـطْـوَتَـيَّـا
والـلَّـهُ يَـرْحَـمُـنـيِ، إذا أُودِعْـتُ أَضْـيَـقَ سَـاحَـتَـيَّـا

أرجو رحمة الله عندما أودع في أضيق الساحتين، ساحة الدنيا وساحة القبر، والأضيق القبر

فهرس القوافي، لزوميات المعري
(القافية، فرقم القطعة)

اليتيمة

صاحب هذا الكتاب هو عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي (٣٥٠هـ ـ ٤٢٩هـ)، وهو أديب. والكلمة تعني أنه يحب الأدب وينقده، ويتلذذ بالجيد منه، وله فيه ذوق خاص، وأنه يستهلك الأدب بشخصية قوية تعرف ما تريد، وفي ذهنه ميزان للشعر والنثر، ولديه من مهارات الشعراء والكتاب ما يجعله قادراً على القريض وعلى الإنشاء قدرة تفيده في الحكم والتذوق وإن لم تجعله من متقدمي الشعراء والناثرين. هذا هو الأديب. فإن كان الأديب في مطلع حياته، أو كان محباً للأدب حسن الاستهلاك له، من غير أن يملك البصيرة الأدبية، سميناه متأدباً.

وأديب زمننا قد لا يكون مطالباً بالقريض، على أن هناك مهارة القصّ التي اكتسبت في عصرنا صيتاً. فلئن كان عصر الثعالبي يقضي أن يكون من حلية الأديب أن يستطيع سرد الحكايات والنوادر سرداً ممتعاً، فأديب زمننا مطالب بأن يضيف إلى مهاراته ـ وقد وضع عن ظهره مهارة القريض ـ مهارة صوغ القصة الواقعية المبتدعة. لا بد للناقد ـ حتى نسميَه أديباً ـ من أن يكون أدى الخدمة العسكرية في معسكر الأدب. . نقصد أن يكون قد صنع بعض الأدب بنفسه.

فأما الناقد الذي قرأ أدباً ولم يصنعه، فهذا ليس أديباً، ولا ناقداً، هو مثل فتية المنتديات والفيسبوك يستحسن بعض الشعر أو النثر ويعلق عليه. فأما الأكاديمي الذي لم يصنع شعراً ولا نثراً، لكنه بحكم شهادته يتصدى لدرس تاريخ الأدب ـ درسته الدوارس ـ فهو جندي مرتزق نزل إلى الميدان ببندقيةٍ خشبٍ.

الثعالبي أديب، كتب كتباً كثيرة. وأهم كتبه اليتيمة، وفيه أشعار مختارة لأهل عصره.

قال أبو منصور الثعالبي في اليتيمة: «أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه.» وقد ظل صاحبنا يزيد وينقص في كتابه اليتيمة. على أنه لم يسعفنا كثيراً في سرد معلومات عن حياة شعرائه الكثر، واكتفى بعبارات إطراء منمقة طرز منها أسطراً تكثر أو تقل لكل شاعر، ولم يجد فيها مؤرخو الأدب الحقيقيون غناء، ولا نحن وجدنا. وحقق الكتاب شيخ جليل في علمه هو محمد محيي الدين عبد الحميد. واعتذر الشيخ في مقدمته عن عدم وجود التشكيل بأن المطبعة التي اختارها الناشر لا تملك أن تشكل الكتاب. على أن اللمسة السحرية للشيخ الجليل لا تخفى. قد أحسن إلى الكتاب بأجزائه الأربعة.

ورأينا «لليتيمة» طبعات أخرى، ونبذناها، واتخذناها وراءنا ظِهرِيًّا.

١ قبلة

قال سيف الدولة الحمْداني:

أُقَبِّلُهُ على جَزَعِ ... كَشُرْبِ الطائرِ الفَزِعِ
رأى ماءً فأطْمَعَهُ ... وخافَ عَواقِبَ الطمعِ
وصادفَ فرصةً فَدَنا ... ولم يَلْتَذَّ بالجُرَعِ

٢ تمهيد

وإذا ما الجفاءُ جهَّزَ جيشاً ... سبقتْهُ طليعةٌ مِنْ تَجَنٍّ

قبل أن يجفوك صاحبك يتخذ الذرائع ويتجنى عليك لتبرير جفائه

٣ حاسد لا

قال ذو القرنين ابن ناصر الدولة الحمداني:

إنِي لأَحسُدُ «لا» في أسطُرِ الصُّحُفِ ... إذا رأيتُ اعتِناقَ اللامِ لِلألِفِ

٤ صفاء

قال منصور بن كيغلغ:

يُديرُ مِنْ كَفِّهِ مُداماً ... أَلَذَّ مِنْ غَفْلَةِ الرقيبِ
كأنَّها إذْ صَفَتْ ورَقَّتْ ... شَكْوى حبيبٍ إلى حبيبِ

٥ اضطرار

قال أبو عيينة:

مــا أنــتَ إلَّا كَـلَـحْـمِ مَـيْـتٍ دَعــا إلــى أكـلِـهِ اضـطــرارُ

٦ أفعالنا

أَأُمَـامُ مَـا يُـدرِيـكِ مـا أفـعـالُـنـا والـخـيلُ تـحتَ الـنَّـقْـعِ كـالأشـباحِ

النقع: الغبار

تَـطْفُـو وتَرْسُبُ في الـدماءِ كـأنَّـهـا صُـوَرُ الـفـوارِسِ في كـؤوسِ الـرَّاحِ

صور الفرسان المنقوشة على جوانب الكأس كأنها تطفو وترسب بينما أنت تشرب وينخفض سطح الشراب أو يميل

٧ ما حيلتي

قال أبو العباس النامي يمدح سيف الدولة:

يا مُـظْـمِـئَ الـخـيلِ أو تَـرْوَى ذَوابِـلُـهُ والـخيلُ تشربُ مِنْ أَشْـدَاقِـهـا الـلُّـجُـمُ

تجعل الخيل عطشى حتى تروي ذوابلك، أي رماحك، من دم الأعداء، ولجم الخيل، الحدائد في أفواهها، تشرب دماً من أشداقها، أي مشافرها أي شفاهها

قـالَ الـنـهـارُ له، والـشـمـسُ مُـغْـمَـدَةٌ ولِـلـمـنـايا شُـموسٌ غِـمْـدُهـا الـقِـمَـمُ:

النهار يقول لسيف الدولة، بينما الشمس مغمدة، مختفية كالسيف في غمده، وبينما الموت له شموس هي لمعان السيوف، وهذه الشموس مغمدة في القمم، رؤوس الأعداء.. يقول النهار:

هـذا عَـجـاجٌ فـأيـنَ الأُفْـقُ وَهْـوَ قَـنـاً؟ وتـلـكَ خـيلٌ فـأيـنَ الأرضُ وَهْـيَ دَمُ؟

هذا عجاج، أي غبار، فأين الأفق؟.. فلا نرى إلا القنا أي الرماح في الجو، ونرى الخيل ولا نرى الأرض، فالأرض غطاها الدم

بِحَدِّ سيفِكَ، سيفَ الدولةِ، انحطَمَتْ قواعدُ الشركِ، والأرواحُ تَـنـحَـطِـمُ

يُـحَـدِّثُ الـذئـبَ ذِئْـبٌ وَهْـوَ مُـبْـتَـهِـجٌ ويُـخْـبِـرُ الـنَّـسْـرَ نَـسْـرٌ وَهْـوَ مُـبْـتَـسِـمُ

الذئاب والنسور مبتهجة بما ستأكل من جثث الأعداء. التسويد لأحمد عبد الرحيم

أَمِنْ عُلاً أم مِنْ نَدىً أَدْعُوكَ؟ أم بِهِما فأنتَ ذا، والـحَـيا والـصَّـارِمُ الـخَـذِمُ

الحيا: المطر، الصارم الخذم: السيف القاطع

إذا طَلَبْتُكَ لم أَلْحقْكَ في أَمَدٍ   ما حيلتي، قد تَناهَى دونَكَ الكَلِمُ

٨ إنعام ثانوي

قال النامي:

مَكارِمُ لا تنفكُّ تُتعِبُ حاسداً   يؤخِّرُهُ سعيٌ لها قد تَقَدَّما

الحاسد متعب لأن المكارم سبقته بمساعيها السالفة لذا أصبح متأخراً عنها

زَكَتْ فِكَري فيها، وأيْنعَ هاجِسي   فظَلْتُ على أهلِ القريضِ مُقَدَّما

زكت فكري، زادت المعاني الشعرية، في مكارمك وأينع هاجسي، تفتحت قريحتي، فظلت، أي ظللت، متقدماً على الشعراء

وولَّدَ شعري فيكَ شعراً لِمَعشرٍ   فكنتُ عليهِمْ مثلَ نُعماكَ مُنْعِما

قلدني الشعراء فنالوا العطايا بسببي

٩ يتغير

قال أبو الحسين الناشئ الأصغر:

ليس الحِجابُ مِنَ الَةِ الأَشْرافِ   إن الحجابَ مُجانِبُ الإنصافِ

ولَقلَّ مَنْ يَأتي فَيُحْجَبُ مَرَّةً   فيعودُ ثانيةً بِقلبٍ صَافِ

١٠ مذيب السيف

أبو القاسم الزاهي:

الليلُ مِنْ فِكَري يَصيرُ ضِياءَ   والسيفُ مِنْ نَظَري يَذوبُ حَياءَ

والخيلُ لو حَمَّلْتُها عِلْمي بها   لتركتُها تحتَ العَجاجِ هَباءَ

العجاج: الغبار

١١ وداع

أبو الفرج الببغاء:

يا سادَتي هذهِ نَفسي تُوَدِّعُكُمْ   إذْ كان لا الصبرُ يُسْليها ولا الجَزَعُ

لا عَذَّبَ اللَّهُ رُوحي بِالبقاءِ، فَما   أَظُنُّني بعدَكُمْ بالعَيشِ أنتفِعُ

١٢ خليط

أبو الفرج الببغاء:

عاطِنيها كالجُلَّنارِ إذا ما ... كُلِّلَتْ مِنْ حَبابِها بالأَقَاحِ

اسقني الخمر وهي تشبه الجلنار، زهر الرمان، وقد كللها الحباب، الفقاقيع، كأنه أزهار الأقحوان

فتدارَكْ بِها حُشَاشَةَ أَفْرا ... حي، وحَرِّكْ بها سُكونَ ارتِياحي

أدرِكْ أفراح قلبي بالخمر كي تستمر

بينَ وَرْدَيْنِ مِنْ بَنانٍ وخَدٍّ ... وشَرابَيْنِ مِنْ رُضَابٍ وراحِ

بنان المحبوبة، أطراف أصابعها وخدها فيهما احمرار كالورد، والشرابان ريقها والخمر

ونَشيدٍ مُسْتَنْبَطٍ مِنْ حديثٍ ... وغناءٍ يُغْني عنِ الإِقْتراحِ

رب نشيد يتولد من الحديث وغناء جميل لا نحتاج معه إلى أن نقترح على المغنية أصواتاً بعينها

فَأَلَذُّ الحياةِ ما خَلَطَ العا ... قلُ فيهِ فسادَهُ بِصَلاحِ

١٣ الإمكان

أبو الفرج الببغاء:

وأَدِرْها عَذْراءَ وانتهِزِ الإِمـ ... ـكانَ مِنْ قبلِ عائقِ الإِمْكانِ

الخمر العذراء: التي فض الختم عن دنها لتوه

في كؤوسٍ كأنَّها زَهَرُ الخَشْـ ... ـخاشِ ضَمَّتْ شَقائِقَ النُّعْمانِ

١٤ نفسي بلغتني

قال الببغاء:

رَسا في تُربةِ العلياءِ أصلي ... وأينعَ في بُروجِ العزِّ غُصْني

وليس عليَّ غيرُ الجِدِّ فيما ... سعيْتُ لهُ لِأَسْتَغني وأُغْني

فإن أُحْرَمْ فلم أُحْرَمْ لِعَجْزٍ ... وإن أبلُغْ فَنَفْسيَ بَلَّغَتْني

١٥ ذات التشابيه

الوأواء الدمشقي:

قالتْ وقد فَتكَتْ فينا لَواحِظُها ... كم ذا؟ أمَا لِقَتيلِ الحبِّ مِنْ قَوَدِ؟

تسأل المحبوبة أليس ثمة قود، أي قصاص، لمن قتل العاشق؟ كأنها لا تعرف أنها هي القاتلة!

وأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرجِسٍ، وسَقَتْ وَرْداً، وعَضَّتْ على العُنَّابِ بِالبَرَدِ
العناب: ثمر صغير أطرافه محمرة
إنسانةٌ لو بَدَتْ للشمسِ ما طَلَعَتْ مِنْ بعدِ رُؤْيتِها يوماً على أحدِ

١٦ النجوم

قال الوأواء:

وكأنَّ النجومَ أحداقُ رُومٍ رُكِّبَتْ في مَحَاجِرِ السُّودَانِ

١٧ ندم

الوأواء:

ما حُكِّمَ البينُ إلّا جارَ مُحْتَكِما ولا انتَضَى سيفَه إلّا أَرَاقَ دَما
اللَّه يعلمُ أنّي يومَ بَيْنِهِمُ نَدِمْتُ إذ لم أَمُتْ في إثْرِهِمْ نَدَما

١٨ الزُّرقة

السري الموصلي:

وقالوا بِمُقْلَتِهِ زُرْقَةٌ تَشينُ فَظَلَّ لها مُطْرِقا
وهل يقطعُ السيفُ يومَ الوَغى إذا لم يَكُنْ مَتْنُهُ أَزْرَقا

١٩ فساد الحج

أبو طالب الرقي يتغزل:

إذا طَافَ بِالأركانِ طَافَ به الوَرى فيَقضي ولا يَقْضُونَ لِلحَجِّ مَنْسِكا
المحبوب يطوف بالكعبة والناس يطوفون حوله ويتبعونه فحجهم فاسد
فيَا رائِحاً منهُ بِأَوْفَرِ فِتْنَةٍ تَجَهَّزْ لِعامٍ بعدَ هذا لَعَلَّكا
لعلك تفوز بالحج الصحيح

٢٠ دعوة*

كشاجم، أبو نصر بن أبي الفتح:

دَعاني كما يدعُو الصديقُ صديقَهُ فجئتُ كما يأتي إلى مثلِه مِثلي
فلمَّا جلسْنا لِلطعامِ رأيتُه يرى أنَّه مِنْ بَعضِ أعضَائِهِ أَكْلي

وَيَغْتاظُ أحياناً ويشتُمُ عبدَهُ ... وأعلمُ أن الغيظَ والشتمَ مِنْ أجلي
فأقبلْتُ أَسْتَلُّ الطعامَ مَخافَةً ... وألحاظُ عينيهِ رقيبٌ على فِعلي
أَمُدُّ يدي سراً لأَسرِقَ لُقمةً ... فيلحَظُني شَزْراً فأَعْبَثُ بِالبَقْلِ
إلى أن جَنى كَفِّي لِحتْفي جِنايَةً ... وذلكَ أن الجوعَ أفقَدَني عَقلي
فَجَرَّتْ يدي لِلحَيْنِ رِجْلَ دَجاجَةٍ ... فَجُرَّتْ كما جَرَّتْ يدي رِجْلَها رِجْلي
وقمتُ لو انِّي كنتُ بَيَّتُّ نِيَّةً ... رَبِحْتُ ثوابَ الصومِ مَعْ عَدمِ الأَكْلِ

* تعليق أ. عبد الرحيم: بئست الدعوة!

٢١ جنازة

عبد المحسن الصوري:

قَالوا: ألم تَحْضُرْ عَلِيّاً بعدَما ... دفنُوه؟ قلتُ: هناكَ بِئْسَ المَحْضَرُ
لا أستطيعُ أَرى المعالِيَ بينَكُمْ ... محمولةً، وأرى المكارِمَ تُقبرُ
لم يمضِ قبلَكَ مَنْ أَرَاهُ أُسْوَةً ... فَأَقُولَ هذا مثلُ ذاك فَأَصْبِرُ
ما كان أكثَرَهُمْ وأنتَ جليسُهُمْ ... وأقلَّهُمْ إذْ شَيَّعُوكَ وكَبَّرُوا

٢٢ راحته اليمنى

عبد المحسن الصوري:

ما زالَ يبني كعبةً لِلعُلا ... ويجعلُ الجودَ لها رُكْنا
حتى أتى الناسُ فطافُوا بها ... وقبَّلوا راحتَه اليُمنى

٢٣ احتراف التهتك

أبو الرَّقَعْمَق:

كُفِّي مَلامَكِ يا ذاتَ المَلامَاتِ ... فما أُريدُ بَديلاً بِالرَّقَاعَاتِ

أيتها اللائمة لي على مجوني، لا أريد أن أترك رقاعاتي، والرقاعة حمق ووقاحة

كأنَّني وجُنُودُ الصَّفْعِ تَتْبَعُني ... وقد تَلَوْتُ مَزاميرَ الرَّطَانَاتِ..

يعبث مع صحبه فيصفعونه على قذاله أي رقبته من وراء، فيقول كلاماً غير مفهوم بقهقهات فهذه مزاميره..

قِسِّيسُ دَيْرٍ تَلا مِزْمَارَهُ سَحَراً   على القُسُوسِ بِتَرْجِيعٍ ورَنَّاتِ

فكأنه في هذه العطعطة قسيس يتلو صلاة السحر على إخوانه بترتيل سرياني

وقد مَجَنْتُ وعَلَّمْتُ المجونَ، فما   أُدْعَى بشيءٍ سوى رَبِّ المَجَانَاتِ

رب المجانات: صاحب المعابثات الفاحشة

وذاكَ أنِّي رأيتُ العقلَ مُطَّرَحاً   فجئتُ أهلَ زَماني بِالحَمَاقاتِ

لو كنتُ بينَ كِرامٍ ما تَهَضَّمَني   دهرٌ أناخَ على أهلِ المُروءَاتِ

لو كنت بين كرام ما تهضمني، ظلمني، زمن أناخ وبرك بثقله على الكرام

ما لِي بِلا سببٍ غُودِرْتُ مُطَّرَحاً   وقد حُرِمْتُ عَطاياكَ الجَزيلاتِ

هذه القصيدة عارضها الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان بقصيدة أشد منها رقاعة وتهتكاً ولم يطبعها في ديوان ولا في جريدة ولا في أي شيء. وتصدى لهذه القصيدة د. فواز طوقان ابن أخي الشاعر، وهو أستاذ بارز من أساتذة الأدب فصنف كتيباً سماه «القصيدة الشريرة» ساق فيه القرينة إثر القرينة على أن القصيدة ليست لعمه. ولا أدري إن كنت سأعرض لهذه القصيدة عندما أتناول شعر إبراهيم طوقان في كتاب لي ما زال «نصف مخطوط» وسميته «آخر الشعر» مثلما يسمي الناس أولادهم قبل أن يولدوا. ولكنني أقول إنني حصلت عن النص الكامل للقصيدة «الشريرة» من أخي إبراهيم طوقان «رحمي» مطبوعة على الآلة الكاتبة، وسألت أخت الشاعر فدوى عن نسبة القصيدة، فأغضت إغضاءة قصيرة، وقالت: هي له. وأنوُّهُ إلى أن القصيدة تعود إلى زمن كان فيه طالباً في بيروت. هذا للتاريخ

٢٤ مع نفسه

أبو الرقعمق:

مَنْ كانَ ذا زَوْجَةٍ فَإِنِّي   لِشِقْوَتي زَوجَتي يَميني

عُمَيْرَةً قد جَلَدْتُ حتى   خَشِيتُ واللَّهِ يَجْلِدُوني

جَلْد عميره: ممارسة الذكر العادةَ السرية

٢٥ خَلاني

وقال:

وذي دَلالٍ إذا ما شئتُ أَنْشَدَني   وإن أردتُ غِناءً منه غَنَّاني

ما زالَ يأخُذُها صفراءَ صافيةً   حتى تَوَسَّدَ يُمنَاهُ وخَلَّاني

٢٦ الرضا بالخمول

الحسن التنيسي ابن وكيع:

وإنْ أَتَوْكَ وقالوا كُنْ خَليفَتَنا   فقلْ لَهُمْ إِنني عن ذاكَ مَشغولُ
وارْضَ الخُمولَ فلا يَحظَى بِلذَّتِهِ   إلَّا امرُؤٌ خَامِلٌ في الناسِ مَجهولُ

الخمول ضد الشهرة. يقول: لا يحظى بلذته إلا الخامل المجهول

ولا تَبِعْ عاجِلَ الدنيا بآجِلِ ما   تَرجُو، فذلِكَ أمرٌ شأنُهُ الطُّولُ
يا خائِفَ الإِثْمِ فيها حين يشربُها   لا تقنَطَنَّ فعفْوُ اللَّهِ مَأمولُ

٢٧ خوفي كخوفك

وقال:

لا تُكْثِرَنَّ عَلَيَّ، إنَّ أخا الحِجَا   بَرِمٌ بِقُرْبِ الصاحبِ المِهْذارِ

لا تكثر من الكلام فأخو الحجا، صاحب العقل، برم سؤوم من الصاحب المهذار، كثير الكلام الفارغ

خَوَّفْتَني بِالنارِ جَهْدَكَ دائباً   وَلَجَجْتَ في الإرهابِ والإنذارِ

لججت: أسرفت

خَوفي كخوفِكَ غيرَ أنِّي واثقٌ   بِجميلِ عفوِ الواحدِ القهَّارِ

٢٨ الزهد

وقال:

اِزهَدْ إذا الدنيا أنَالَتْكَ المُنَى   فهناكَ زُهدُكَ مِنْ شُروطِ الدينِ
والزهدُ في الدنيا إذا ما رُمْتَها   فَأَبَتْ عليكَ كَعِفَّةِ العِنِّينِ

٢٩ المناسك

القاضي محمد بن النعمان:

رُبَّ خَوْدٍ عَرَفْتُ في عَرَفاتِ   سَلبتْني في حُسنِها حسناتي

خود: فتاة ناعمة.. ويذكر مناسك الحج وأماكنه

حَرَّمَتْ يومَ أَحْرَمْتُ نومَ عَيني   واستَباحَتْ حِمايَ بِاللَّحَظاتِ

وأفاضتْ معَ الحَجيجِ فَفاضَتْ مِنْ جُنوني سَواكِبُ العَبَراتِ
ولقد أضْرَمَتْ بِقَلْبِيَ جَمْراً حين راحَتْ لِلرَّمْيِ بِالجَمَراتِ
لم أنلْ مِنْ مِنيً مُنَى النفسِ حتَّى خِفْتُ بِالخَيْفِ أن تكونَ وَفاتي

٣٠ حسرة

عبيد الله بن أبي الجوع:

أرى اللَّذَّاتِ تَعْبُرُني يَميناً، على رُغْمي، وتَعْبُرُني شِمالا
فأجْرَعُ دونَها غُصَصاً لِأنِّي أُشاهِدُها وما أُعْطِيتُ مَالا

٣١ رحيل

تميم بن معد:

وما أُمُّ خِشْفٍ ظلَّ يوماً وليلةً بِبَلقَعَةٍ بَيداءَ ظَمآنَ صَادِيا

يبدأ تشبيهاً طويلاً.. أم خشف: أم ظبي صغير، بلقعة: أرض خلاء، صادٍ: عطشان

تَهيمُ فلا تَدري إلى أين تَنتَهي مُوَلَّهَةً حيرَى تَجوبُ الفَيافِيا
أَضَرَّ بِها حَرُّ الهَجيرِ فلم تَجِدْ لِغُلَّتْها مِنْ بَارِدِ الماءِ شَافيا

الغلة: العطش

إذا بَعُدَتْ عن خِشْفِها انْعَطَفَتْ له فَأَلْفَتْهُ مَلهُوفاً إلى الجوعِ ظَامِيا
بِأَوْجَعَ مِنِّي يومَ شَدُّوا رِحالَهُمْ ونادَى مُنادِي الحَيِّ ألَّا تَلاقِيا

ليست الظبية العطشى التي معها ولدها الصغير العطشان أكثر توجعاً مني يوم فراقهم

٣٢ الدنيا

أحمد بن عبد ربه الأندلسي:

إنَّما الدنيا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جَانِبُ

الغضارة: اللين، الأيكة: الشجر الملتف

هِيَ الدارُ! ما الآمالُ إلَّا فَجَائِعٌ عليها، ولا اللَّذَّاتُ إلَّا مَصائبُ
فكمْ سَخِنَتْ بِالأمسِ عينٌ قَريرةٌ وقَرَّتْ عيونٌ دمعُها اليومَ ساكِبُ

سخنت العين: كان صاحبها قلقاً مهموماً، والعين القريرة: التي صاحبها مطمئن

فلا تَكْتَحِلْ عيناكَ منها بِعَبْرَةٍ   على ذاهبٍ منها، فإنكَ ذَاهِبُ

٣٣ واكبدا

وقال يرثي ولده:

واكَبِدَا! قد تَقَطَّعَتْ كَبِدي   وأَحْرَقَتني لَواعِجُ الكَمَدِ

لواعج: هموم تحرق القلب، الكمد: الغم

ما ماتَ ميْتٌ لِمَيِّتٍ أَسَفاً   أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ على وَلَدِ

أعذر: أوفر عذراً، أي أن الأب لو مات حزناً على ولده لكان معذوراً

يا رحمةَ اللَّهِ جَاوِري جَدَثاً   دَفَنْتُ فيهِ حُشاشَتي بِيَدي

جدث: قبر، حشاشة: قلب

ونَوِّري ظُلْمَةَ القُبورِ على   مَنْ لم يَصِلْ ظُلْمُهُ إلى أحدِ

يا لَوعةً لا يزالُ لاعِجُها   يَقْدَحُ نارَ الأَسى على كَبِدي

٣٤ العدل والرحمة

أحمد بن محمد بن عبد ربه:

يا وَيلَتا من موقِفٍ ما بِه   أَخْوَفُ مِنْ أن يَعدِلَ الحاكِمُ

أُبارِزُ اللَّهَ بِعِصيانِه   وليس لي مِن دونِه راحِمُ

يا رَبِّ عفواً مِنكَ عن مُذنبٍ   أسرفَ إلَّا أنَّه نَادِمُ

٣٥ الجمع والإنفاق

قال الشاعر:

يا جامعَ المالِ أبواباً تُفرِّقُهُ   جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له

ما المالُ مالُكَ إلَّا يومَ تُنفقُهُ   المالُ عندكَ مخزونٌ لِوارثِهِ،

٣٦ الإبرة

السري الرفاء، وكان يرفو الثياب:

وكانتِ الإبْرَةُ فيما مَضى   صائنةً وجهي وأَشعاري

فأصبحَ الرِّزْقُ بها ضيِّقاً   كأنَّهُ مِن ثُقبِها جَارِ

٣٧ السور والسوار

السري الرفاء:

فَلَتَشْكُرَنَّكَ دولةٌ جَدَّدْتَها   فتجدَّدَتْ أعلامُها ومَنارُها
حلَّيْتَها، وحميْتَ بيْضَةَ مُلْكِها   فَغِرَارُ سيفِكَ سورُها وسِوارُها

بيضة ملكها: أصله، غرار سيفك: أي حده، سور للدولة وسوار

٣٨ در وحصى

وقال:

والشعرُ بحرٌ نِلْتُ أَنْفَسَ دُرِّهِ   وتنافسَ الشعراءُ في حَصْبائِهِ

الحصباء: الحصى

٣٩ اللصان

السري الرفاء يمدح أبا البركات ابن ناصر الدولة ويتظلم من الخالديين:

أَشْكُو إليكَ حَليفَيْ غَارَةٍ شَهَرا   سيفَ الشِّقَاقِ على ديباجِ أفكاري

أشكو حليفي غارة، أي صاحبي غارة، قد شهراً سيفاً على أفكاري الجميلة لسرقتها

ذِئبَيْنِ لو ظَفِرا بِالشِّعْرِ في حَرَمٍ   لَمَزَّقَاهُ بِأنيابٍ وأَظفارِ

لو أمسكا بالشعر في مكان محرم لا قتال فيه، لمزقاه تمزيقاً

إن قَلَّداكَ بِدُرٍّ فَهْوَ مِنْ لُجَجِي   أو خَتَّماكَ بِياقُوتٍ فَأَحْجَاري

يلبسانك الدر، اللؤلؤ، ولكن هذا اللؤلؤ من لججي، أي من بحاري، ويختمانك، أي يلبسانك الخواتم، ولكن ياقوت هذه الخواتم من أحجاري الكريمة فهما يسرقان شعري

واللَّهِ ما مَدَحا حَيّاً، ولا رَثَيا   مَيْتاً، ولا افْتَخَرا إلَّا بِأَشْعاري

٤٠ على الأثافي

قال السري يهجو أبا العباس النامي وقيل إنه كان جزاراً:

لقد شَقِيَتْ بِمُدْيَتِكَ الأَضَاحِي   كما شَقِيَتْ بِغارَتِكَ القَوافي

أيها الجزار مثلما شقيت نعاج الأضاحي بسكينك، فإن الأشعار شقيت بإغارتك عليها وسرقتها

وشَرُّ الشعرِ ما أدَّاهُ فِكْرٌ   تَعَثَّرَ بين كَدٌّ واعتِسافِ

الشعر السيئ هو الذي يتعب فيه الإنسان ويأتي به مفتعلاً بعد كثير من الكد والتعسف، أي الالتواء

سَأشْفي القولَ منكَ بِنظمِ شعرٍ   تَبيتُ له على مثلِ الأثافي

سأشتفي وأنصف الشعر منك بهجاء تبيت بسببه على الأثافي، على الحجارة التي توضع تحت القِدر

٤١ تكافل

السري الرفاء:

إذا العِبْءُ الثقيلُ توزَّعَتْهُ   أَكُفُّ القومِ خَفَّ على الرِّقَابِ

٤٢ مجلس على دجلة

السري:

مجلسٌ في فِناءِ دجلةَ يرتا   حُ إليهِ الخليعُ والمَسْتورُ

الخليع: الماجن، المستور: الذي يكتم ملذاته

ليس فيه إلّا خُمارٌ وخَمْرٌ   ومَماتٌ مِنْ نَشْوَةٍ ونُشورُ

الخمار: صداع الخمر، والنشور: البعث

وحديثٌ كأنه زَهَرُ المَنْـ   ـثورِ حُسناً أو لُؤْلُؤٌ مَنثورُ

وجريحٌ مِنَ الدِّنانِ تَسيلُ الرَّ -   احُ مِنْ جُرْحِهِ، وقِدْرٌ تَفورُ

وعندنا دن جريح، أي خابية خمر ثقبت فسالت منها الخمر الحمراء، وقدر للطعام تغلي

ولَكَ الظَّبيةُ الغَريرةُ إنْ شئـ   ـتَ، وإن عِفْتَها فَظَبيٌ غَريرُ

٤٣ الفضل الحقيقي

وقال:

وشَمائِلٍ شهدَ العدوُّ بِفضلِها   والفضْلُ ما شَهِدَتْ به الأَعداءُ

٤٤ انتقامها

أبو بكر الخالدي:

حمراءُ حين جَلَتْها الكأسُ نَقَّطَها   مِزَاجُها بِدنانيرٍ مِنَ الحَبَبِ

خمر حمراء حين جلتها، أي أبرزتها لنا الكأس، نقطها مزجها بالماء بالحبب أي الفقاقيع التي تشبه الدنانير الذهب

كانتْ لها أرْجُلُ الأعْلاجِ وَاتِرَةً بِالدَّوْسِ، فانتَصَفَتْ مِنْ أرْؤُسِ العَرَبِ

داس الأعلاج، الفلاحون الأعاجم، العنب بأرجلهم في عملية العصر فكأنهم وتروا هذا العصير، أي تركوا عنده ثأراً، وصار العصير خمراً فأخذت الخمر ثأرها من رؤوس العرب عندما شربوها فدارت رؤوسهم سكراً

٤٥ العانس

أبو بكر الخالدي:

وتَمايُلُ الجوزاءِ يَحكي في الدُّجَى مَيَلانَ شاربِ قَهوةٍ لم تُمْزَجِ

نجوم الجوزاء تهتز في الليل اهتزاز شارب قهوة، أي خمر، صرف لم تمزج

وتَنَقَّبَتْ بِخَفيفِ غَيمٍ أبيضٍ هِيَ فيهِ بينَ تَخَفُّرٍ وتَبَرُّجِ

تنقبت النجوم بنقاب هو الغَيم الخفيف، وهي فيه بين تخفر، أي خجل، وتبرج

كتَنفُّسِ الحسناءِ في المرآةِ إذْ كَمُلَتْ محاسِنُها ولم تَتَزَوَّجِ

هذا يشبه الحسناء تمسك بمرآتها وتنظر فيها وتتنهد إذ ترى جمالها ولا زوج لها فيغيم وجه المرآة من بخار تنفسها.. صورة مركبة ممتعة

٤٦ احمرار

وقال أبو بكر الخالدي:

وأَغْيَدَ رَوَّتْهُ المُدامَةُ فانثَنَى كما يَنثَني مِن رِيِّهِ الغُصُنُ الغَضُّ

أغيد: ذو قد مياس

فقامَ وفي أعطافِهِ فضلُ سَكْرَةٍ وفي عينِه مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِهِ بَعْضُ

قام هذا المحبوب وفي أعطافه، جوانب جسمه، تمايل من فضل سكرة، بقية سكر، وفي عينيه احمرار كأنه بعض ما في خده من الحمرة

٤٧ الدرهم الأخير

وقال:

يا طالباً للكيمياءِ ونفعِهِ مدْحُ ابنِ عيسى الكيمياءُ الأعظَمُ

الكيمياء: صنعة كانوا يعتقدون أنها تجعل الحديد ذهباً

لو لم يكنْ في الأرضِ إلّا دِرْهَمٌ ومَدحتَهُ لأتاكَ ذاكَ الدِّرْهَمُ

٤٨ العور

أبو عثمان الخالدي:

لو لم يكنْ ماءُ عِلْمي قاهِراً فِكَري   لأَحْرَقَتْنيَ في نيرانِها فِكَري

لو لم يكن علمي بصروف الزمن قاهراً لهمومي لاحترقت بنار الهموم

تَزيدُني قَسوةُ الأيام طيبَ نَثاً   كأنني المسكُ بينَ الفِهْرِ والحَجَر

تزيدني قسوة الزمن طيب نثا، سُمعة، كأنني المسك بين الحجر والحجر وتفوح رائحته الطيبة مع تفتته

أَلِفْتُ مِن حادثاتِ الدهرِ أكبَرَها   فما أَعُوجُ على أطْفالِها الأُخَرِ

ألفت المصائب الكبيرة فلا أعوج، لا ألتفت، إلى صغائرها

لقد فَرِحْتُ بما عايَنتُ مِنْ عَدَمٍ   خوفَ القَبيحَيْنِ مِن كِبْرٍ ومِنْ بَطَرِ

فرحت بما رأيت من فقري بمقدار خوفي من الكبر، التكبر، والبطر، جحد النعمة والتبذير

وربما ابتهجَ الأعمَى بحالَتِه   لأنّه قد نَجا مِنْ طيرَةِ العَوَرِ

فأنا بفرحي بالمصائب الكبيرة كالأعمى الذي يفرح بالعمى لأنه نجا به من العور.. فرغم أن العور أخف من العمى فإن فيه شؤماً

ولستُ أبكي لِشيبٍ قد مُنيتُ به   يَبكي على الشيبِ مَنْ يأْسَى على العُمُرِ
وقد نظرتُ إلى الدنيا بمقلَتِها   فاستصغَرَتْها جُفُوني غايَةَ الصِّغَرِ

٤٩ الوصيّ

الخباز البلدي:

أُنْظُرْ إِلَيَّ بعينِ الصفْحِ عن زَلَلي   لا تَتْرُكَنِّيَ مِنْ ذَنبي على وَجَلِ
هذا فؤاديَ لم يَمْلِكْهُ غيرُكُمُ   إلّا الوَصِيَّ أميرَ المؤمنينَ عَلي

٥٠ القرض

وقال:

إذا استثْقَلْتَ أو أبغَضْتَ خلقاً   وسَرَّكَ بُعدُه حتى التَّنَادي..

إذا وجدت خلقاً، أي شخصاً، بغيضاً، وكان يسرك ابتعاده عنك حتى يوم التنادي، يوم القيامة..

فشَرِّدْهُ بِقَرْضٍ دُرَيْهِماتٍ   فإن القَرْضَ داعِيةُ البِعادِ

فشرده وأقصه عنك بأن تقرضه بعض الدراهم، فالديْن داعية، أي سبب، للتباعد

٥١ يأس

قال الوزير المهلبي قبل الوزارة:

ألا مَوتٌ يُباعُ فَأَشتَرِيهِ   فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
ألا موتٌ لَذيذُ الطَّعْمِ يَأْتي   يُخَلِّصُني مِنَ العيشِ الكَريهِ
إذا أبصَرْتُ قبراً مِنْ بعيدٍ   وَدِدْتُ لو انَّني فيما يَليهِ

فيما يليه: بجواره

ألا رَحِمَ المُهَيْمِنُ نفسَ حُرٍّ   تصدَّقَ بِالوفَاةِ على أخيهِ

٥٢ العريانة

أبو إسحق الصابي:

يا مَنْ بَدَتْ عُرْيَانَةً   فَرأيتُ كلَّ الحسنِ منها
كانتْ ثيابُكِ عَوْرَةً   فسُتِرْتِ بِالتَّجريدِ عنها

٥٣ الأب والأم

وقال أبو إسحق الصابي:

أُسرةُ المرءِ والِدَاهُ وفيما   بين حِضنَيْهِما الحياةُ تَطيبُ
فإذا ما طَواهُما الموتُ عنه   فهْوَ في الناسِ أجنبيٌّ غَريبُ

٥٤ سنان

وقال أبو إسحق الصابي يرثي ابنه سناناً:

أَسعِداني بِالدمعةِ الحمراءِ   جَلَّ ما حَلَّ بي عن البيضاءِ

اسعداني، أي ساعداني وواسياني، وابكيا دماً فقد كبرت مصيبتي عن الدموع العادية

يُؤْلِمُ القلبَ كلُّ فقدٍ، ولا مثـ   ـلَ افتقادِ الآباءِ للأبناءِ
هَدَّ رُكْني مَثْوَى سِنانٍ، وقد كا   نَ يَهُدُّ الأَركانَ مِنْ أَعدائي

مثوى: موت

إنَّما كنتَ فِلْذَةً مِنْ فُؤادي   خطفَتْها المَنونُ مِنْ أحشائي

فلذة: قطعة

٥٥ بطن وظهر

وقال أبو إسحق الصابي:

أَسُرُّ القرينةَ ليلَ العِناقِ   وأَفْتِكُ بِالقِرْنِ يومَ الطِّعانِ

القرن: الخصم، الطعان: الطعن بالرماح

فبطنُ الحَصَانِ وظَهْرُ الحِصانِ   عَلَيَّ بِما قلتُه شاهِدانِ

الحَصان: المرأة المحصنة عن الفاحشة

٥٦ متحضر متوحش

قال الصابي في الحبس:

وإنِّي لَقِرْنُ الدهرِ: يوماً تَنُوبُني   سُطَاهُ، ويوماً تنجَلي بي نَوائِبُهْ

أنا خصم للزمن يسطو علي مرة وتنجلي مصائبه مرة

ومَنْ مَدَّ نَحوَ النَّجْمِ كيمَا يِنالَهُ   يَداً كَيَدي لاقَتْهُ أيْدٍ تُجاذِبُهْ

الطموح الذي يريد بلوغ النجوم بيده سيجد أيادي أخرى تنافس يده

ولا بُدَّ للسَّاعي إلى نيلِ غايَةٍ   مِنَ المجدِ، مِنْ ساعٍ تَدِبُّ عَقارِبُهْ

الساعي لنيل غاية من غايات المجد سيجد ساعياً آخر تدب عقاربه، تتحفز شروره

فما كنتُ كالقِسْطَارِ يُثْرِي بِكيسِهِ   ويُمْلِقُ إنْ أَنْحَى على الكيسِ سَالِبُهْ

لست كالقسطار، كالصراف الذي يعرف الدراهم الصحيحة من الزائفة، الذي يصبح ثرياً بمال في كيسه، فإذا سرق منه الكيس أملق وافتقر

ولكنْ كَلَيْثِ الغابِ إنْ رامَ ثَرْوَةً   حَوَتْها له أنيابُهُ ومَخالِبُهْ

أنا كالأسد أسطو وأنال ما أريد بقوتي

يَبيتُ خَميصاً طَاوِياً ثم يَغْتَدي   مُباحاً لهُ مِنْ كُلِّ طُعْمٍ أَطَايِبُهْ

الأسد يبيت خميصاً طاوياً، أي جائعاً، ثم يغتدي صباحاً فيجد كل طعام مما يصيد مباحاً

ولِي بين أَقْلامي ولُبِّي ومَنطِقي   غِنىً قَلَّما يشكُو الخَصَاصَةَ صَاحِبُهْ

الخصاصة: الفقر. التسويد: أ. عبد الرحيم

٥٧ رائحة كلماته

وقال أبو إسحق الصابي:

نَطَقَ ابنُ نَصْرٍ فاستَطارتْ جيفَةٌ ... في الخَافِقَيْنِ لِنَتْنِ فيهِ الفَاسِدِ
فكأنَّ أهلَ الأرضِ كلَّهُمُ فَسُوا ... مُتَواطِئِينَ على اتِّفاقٍ وَاحِدِ

٥٨ السكوت

وقال الصابي:

وأيامٌ تُعَدُّ عليَّ عَدَّاً ... وحَظِّي مِنْ رَغائِبِها يَفُوتُ
إذا رامَ الكريمُ شَكَاةَ بَثٍّ ... فغايَتُهُ التَحَمُّلُ والسُّكُوتُ

التسويد: أ. عبد الرحيم

٥٩ اللب والذهب

وقال أبو إسحق الصابي:

قد كنتُ أعجَبُ مِن مالي وكثْرَتِهِ ... وكيف تغفُلُ عنه حُرفَةُ الأدبِ

حرفة الأدب: الفقر الذي يسببه احتراف الأدب

حتى انثَنَتْ وَهْيَ كالغَضْبَى تُلاحِظُني ... شَزْراً فلم تُبْقِ لي شيئاً مِنَ النَّشَبِ

حرفة الأدب صارت تنظر إلي شزراً، أي بطرف عينيها بغضب، ولم تبق لي شيئاً من النشب، المال

فاستيْقَنَتْ أنها كانتْ على غَلَطٍ ... فاستدركَتْهُ وأَفْضَتْ بيِ إلى الحَرَبِ

تأكدتْ حرفة الأدب أنها كانت مخطئة إذ تركتني ومعي مال، فاستدركت الخطأ وأفضت بي إلى الحرب، انتهت بي إلى التقشيط.. في بلدنا كانت الناس تسمي سلب قطاع الطريق المسافرين مالهم تقشيطاً.. والتقشيط في اللغة هو الحَرَب

الضَّبُّ والنُّونُ قد يُرجَى التِقاؤُهُما ... وليس يُرجَى التِقاءُ اللُّبِّ والذَّهَبِ

الضب، حيوان الصحراء، والنون، أي الحوت، يستحيل التقاؤهما طبعاً.. لكن التقاؤهما أسهل من التقاء العقل والذهب عند شخص

٦٠ المستخرِج

وقال أبو إسحق الصابي في مستخرج مال كان يرفق به حال مصادرته:

مُسْتَخْرِجٌ لِلمالِ مُضْطَرٌّ إلى اسـ ... ـتعمالِ ما يُرضي به السُّلطانا

كان الخلفاء والأمراء كثيراً ما ينزلون النكبة بالرجل الثري، فيوكلون به مستخرجاً يصادر أمواله، يأخذه المستخرج إلى بيته أو قصره ويسجنه عنده، ويعذبه حتى يدل على مكان إخفاء المال

متلطِّفٌ في فقرِنا، ولو انَّهُ وجَدَ السبيلَ إلى الغِنى أَغْنَانا
متوعِّرُ الجَنَبَاتِ في استِخراجِهِ وإذا تَعَطَّفَ للفُتُوَّةِ لانا

متوعر الجنبات، أي قاس، وهو يستخرج المال، وإذا تعطف للفتوة، انثنى نحو النخوة، لان

فتَراهُ في دِيوانِه مُسْتَأْسِداً ليثاً، وفي خَلَوَاتِهِ إنسَانا

٦١ الوقت المناسب للموت

وقال أبو إسحق الصابي:

إذا لم يَكُنْ للمَرءِ بُدٌّ مِنَ الرَّدَى فأسهَلُهُ ما جاءَ والعَيشُ أَنْكَدُ
وأَصعَبُهُ ما جاءَهُ وَهْوَ رَاتِعٌ تُطِيفُ به اللَّذاتُ والحظُّ مُسْعِدُ
فإنْ أَكُ شَرَّ العِيشَتَيْنِ أَعيشُها فإنِّي إلى خيرِ المَماتَيْنِ أَقْصِدُ

٦٢ النفس الشريفة

وقال أبو إسحق الصابي:

جُمْلَةُ الإنسانِ جِيفَةْ وهُيُولاهُ سَخِيفَةْ

الهيولى: المادة الأبسط التي تتشكل بحسب طريقة التركيب في أشكال شتى..

فلماذا ليتَ شِعري قيلَ للنَّفْسِ شَرِيفَةْ

٦٣ الناتف

وقال أبو إسحق الصابي:

كفاكَ مِنْ ذِلَّتي للشيبِ حينَ بَدا أني تَولَّيْتُ نَتفي لِحْيَتي بِيَدي

٦٤ وقت الأذان

أبو أحمد الشيرازي:

إلى اللّهِ أَشكُو ضَنىً شَفَّني وكم قَبلَهُ مِنْ ضَنىً قد شَفاني
وسُقماً أَلَحَّ، فما لي بِما أَحَاطَ بِرِجْلَيَّ منهُ يَدانِ

ما لي به يدان: لا حيلة لي فيه

تَراني وقد كنتُ ثَبْتَ الجَنانِ إذا الليلُ جَنَّ سَليبَ الجَنانِ

أُقَطِّعَ آناءَهُ بِالأنينِ   وأَرْقُبُ لِلصُّبْحِ وقتَ الأَذانِ

٦٥ احتساء السرور

قال القاضي التنوخي الأب:

باتَ يَسقيني ويَشْرَبْ   ذهباً لِلْهَمِّ مُذْهِبْ
شادِنٌ يحمِلُ ماءً   فيه نارٌ تتلَهَّبْ

شادن: ولد الظبية

ليتَ شِعري أسُروراً   أم مُداماً بِتُّ أَشْرَبْ

٦٦ وقوف الفلك

قال ابن لَنْكَك:

جارَ الزَّمانُ علينا في تَصَرُّفِهِ   وأيُّ دَهْرٍ على الأَحرارِ لم يَجُرِ
عندي مِنَ الدهرِ ما لو أن أَيْسَرَهُ   يُلقَى على الفَلَكِ الدوَّارِ لم يَدُرِ

٦٧ البقر

وقال:

لا تَخْدَعَنْكَ اللِّحَى ولا الصُّوَرُ   تسعَةُ أعشارِ مَنْ تَرى بَقَرُ
تَراهُمُ كالسَّحَابِ منتَشراً   وليس فيهِ لِطالِبٍ مَطَرُ
في شَجَرِ السَّرْوِ منهُمُ مَثَلٌ   له رُواءٌ وما له ثَمَرُ

٦٨ حاتم

وقال:

عَدِّنا في زَمانِنا   عن طريقِ المَكارِمِ
مَنْ كَفَى الناسَ شَرَّهُ   فَهْوَ في جُودِ حَاتِمِ

٦٩ الوضيع

قال يهجو أبا رياش:

قُلْ لِلوَضيعِ أبي رِياشٍ لا تُبَلْ   تِهْ كلَّ تيهِكَ بِالوِلايَةِ والعملْ

قل للحقير فلان لا تبل، أي لا تبالِ ولا تهتم، وازده وتكبر بتولي منصب الوالي وعمل السلطان

ما ازْدَدْتَ حين وَلِيتَ إلّا خِسَّةً كالكلبِ أَنْجَسَ ما يَكونُ إذا اغْتَسَلْ

٧٠ الدفاتر

وقال يهجو شاعراً:

إنَّ الرُّمَيْلِيَّ بَليدٌ خَاطِرُهْ
يَشعُرُ ما دَامَتْ له دَفاتِرُهْ
فالشُّعَراءُ كُلُّهُمْ خَواطِرُهْ

٧١ البصرة

وقال:

ليس في البصرةِ حُرٌّ لا، ولا فيها جوادُ
إنَّما البَصْرةُ أَنْشا بٌ ونَخْلٌ وسَمادُ

النشب شجر تتخذ منه القِسِيّ

٧٢ الكلب والأسد

قال نصر بن أحمد الخبزأرزي:

قد قلتُ إذ خانَ صَبري مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ولم يَكُنْ عنه لي صبرٌ ولا جَلَدُ
إن كان شارَكَني في حُبِّهِ وَقِحٌ فالنهرُ يَشرَبُ منه الكلبُ والأَسَدُ

٧٣ عساكر الليل

قال ابن التمار الواسطي:

قُمْ فانتَصِفْ مِنْ صُروفِ الدهرِ والنُّوَبِ واجمَعْ بِكأْسِكَ شملَ اللَّهْوِ والطربِ
أما تَرى الليلَ قد وَلَّتْ عساكِرُهُ مَهزُومَةً، وجُيوشُ الصبحِ في الطَّلَبِ
والبدرُ في الجانبِ الغربيِّ تَحسَبُهُ قد مَدَّ جِسراً على الشَّطَّيْنِ مِنْ ذَهَبِ

٧٤ أعناق العشاق

قال أبو عبد الله الحامدي:

سَقاني وحَيَّاني وبَاتَ مُعانِقي فيَا عَطْفَ مَعشُوقٍ على ذُلِّ عاشِقِ

ويـا لـيـلـةً بـاتَـتْ سـواعِـدُنـا بـهـا　　تدورُ على الأعناقِ دَوْرَ الـمَخانِقِ

المخانق: العقود القصيرة التي كأنها تخنق الرقبة

نَبُثُّ مِنَ الشكوى حديثاً كأنَّهُ　　قلائِدُ دُرٍّ في نُحورِ العَواتِقِ

العواتق: الفتيات

٧٥ دفين الهواء

قال أبو بكر محمد الأنباري في ابن بَقِيَّة لما قتل وصلب:

عُلُوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ　　لَحَقٌّ تلكَ إِحْدى المُعجِزاتِ

كأنَّ الناسَ حولَكَ حين قاموا　　وُفودُ نَداكَ أيَّامَ الصِّلاتِ

كأن الناس حولك وأنت مصلوب الوفود التي كانت تأتيك لنداك، أي سخاءك، أيام كنت تعطيهم الصلات، العطايا

كأنَّكَ قائِمٌ فيهِمْ خَطيباً　　وكلُّهُمُ قِيامٌ للصَّلاةِ

مَدَدْتَ يديْكَ نَحْوَهُمُ احتِفالاً　　كمَدِّهِما إِلَيْهِمْ بالهِباتِ

ولمَّا ضاقَ بطنُ الأرضِ عنْ أنْ　　يَضُمَّ عُلاكَ مِنْ بعدِ المماتِ

أَصارُوا الجوَّ قبرَكَ واستَنابُوا　　عنِ الأكفانِ ثَوبَ السَّافِياتِ

جعلوا الجو قبراً لك، وبدل الأكفان أنابوا ثوب الرياح السافية، أي كفنوك بالريح الشديدة التي تحمل الغبار

لِعُظْمِكَ في النفوسِ تَبيتُ تُرعَى　　بِحُرَّاسٍ وحُفَّاظٍ ثِقاتِ

وتُشْعَلُ حولَكَ النيرانُ ليلاً　　كذلكَ كنتَ أيَّامَ الحياةِ

رَكِبْتَ مَطِيَّةً، مِنْ قبلُ زَيْدٌ　　عَلاها في السنينَ الماضِياتِ

ركبت هذه المطية، الدابة، التي ركبها قبلك الإمام زيد بن علي، حين قتله وصلبه الأمويون عام ١٢٢هـ

وتلكَ قَضِيَّةٌ فيها تَأَسٍّ　　تُباعِدُ عنكَ تَعْييرَ العُداةِ

فلك فيه أسوة، وهذه الأسوة تبعد عنك تعيير الأعداء، فبعد الإمام زيد لم يعد الصلب عاراً

أَسَأْتَ إلى النوائبِ فاستَثارتْ　　فأنْتَ قَتيلُ ثَأرِ النَّائِباتِ

أسأت إلى المصائب بكرمك فاستثارت، طلبت الثأر، فقتلك ثأرها

ولو أَنِّي قَدَرْتُ على قِيامي　　بِفَرْضِكَ والحقوقِ الواجباتِ. .

مَـلأتُ الأرضَ مِـنْ نَـظْـمِ الـقَـوافيِ   ونُـحْـتُ بِـه خِـلافَ الـنَّـائِـحـاتِ

خلاف النائحات: لعله يقصد بالإضافة إلى النائحات. كنت في زمان الطلب هاوي تخطيط، وطلب إلي حنًّا صاحب البقالة في بلدة بيرزيت أن أكتب له لافتة. قال لي: أكتب أن عندي الخضار والأدوات المنزلية ونبيذ «دير اللطرون»، وكونياك الثلاث سبعات، والمكسرات، وهناك أيضاً.. قلت له: كفى كفى.. هذه لافتة جانبية نصف متر في ربع متر! وكتبت له بعض ما أراد، وحتى لا يزعل، كتبت في ذيل اللافتة «وخلافه»، فصار اسم بقالته عند الطلبة «دكان وخلافه»

ومـا لَـكَ تُـرْبَـةٌ فـأقُـولَ تُـسـقَـى   لأنَّـكَ نُـصْـبَ هَـطْـلِ الـهَـاطِـلاتِ

لن أدعو لتراب قبرك بالسقيا كالعادة، فأنت نصب الأمطار الهاطلة ولا حاجة بك لمزيد من السقيا

عـلـيـكَ تَـحِـيَّـةُ الـرحـمَـنِ تَـتْـرَى   بِـرَحْـمَـاتٍ غَـوادٍ رَائِـحَـاتِ

تترى: متتابعة متواترة، غواد رائحات: جائيات صبحاً ومساء

٧٦ أنتم الناس

قال ابن زريق:

سـافـرتُ أَبـغـي لِـبَـغـدادٍ وسـاكـنِـهـا   مِـثـلاً، فحاولتُ شيئاً دونَه اليَاسُ

هيهاتَ، بَغدادُ الدنيا بِأجمَعِها   عندي، وسُكانُ بَغدادٍ هُمُ الناسُ

٧٧ فيها فيه عليه

وقال يخاطب أبا عبد الله الكوفي:

إنَّا رَأَيْنا حِجاباً منكَ قد عَرَضا   فلا يَكُنْ ذُلُّنا فيهِ لَكَ الغَرَضا

اِسمَعْ لِنُصْحي ولا تَغضَبْ عليَّ، فما   أَبغي بِقولِيَ لا مالاً ولا عَرَضا

الشُّكْرُ يبقَى ويفنَى ما سِواهُ، وكم   سِواكَ قد نالَ مُلْكاً فانقَضَى ومَضَى

في هذه الدارِ، في هذا الرِّواقِ على   هذا السريرِ، رأَيْنا المُلْكَ فانْقَرَضا

٧٨ يؤكل أكلاً

قال ابن نُبَاتَة السعدي:

يا مَنْ أَضَرَّ بِحُسْنِ الشمسِ والقمرِ   فلم يَدَعْ فيهما للناسِ مِنْ وَطَرِ

وطر: حاجة

نفسي فِداؤُكَ مِنْ بَدْرٍ على غُصُنٍ   تكادُ تَأْكُلُه عينايَ بِالنَّظَرِ

٧٩ سقام

وقال ابن نباتة السعدي، (وهو غير ابن نباتة الفارقي):

سَقامٌ ما يُصَابُ له طَبيبُ   وأيامٌ محاسِنُها عيوبُ
ودهرٌ ليس يَقبَلُ مِنْ أديبٍ   كما لا يَقْبَلُ التَّأْديبَ ذِيبُ
يُحَبُّ على المصائبِ والرَّزَايا   فلا كانَ المُحِبُّ ولا الحبيبُ

٨٠ المغرور

وقال ابن نباتة السعدي:

ومغرورٍ يحاولُ نَيْلَ عِرضي   فقلتُ له: الكواكبُ لا تُنالُ
ويَعْجَبُ أن حَوَيْتُ المجدَ طِفلاً   ألا لِلَّهِ ثم لِيَ الكمالُ
أُحَمِّلُ ضَعْفَ جِسمي ثِقْلَ نَفْسي   ونَفْسي ليس تحمِلُها الجبالُ

٨١ صلاة لوجهه

وقال ابن نباتة السعدي:

تضاءَلَ الدهرُ حتى ضاعَ في هِمَمي   واستفحَلَ المجدُ حتى صارَ مِنْ شِيَمي
فلو يكونُ سَوادُ الشَّعْرِ في ذِمَمي   ما كان للشيبِ سلطانٌ على اللِّمَمِ

لو كان سواد الشعر في ذممي، في حمايتي، لما كان للشيب قدرة على اللمم، شعر الرأس

لو يعلمُ الناسُ قَدْري في زمانِهِمُ   صَلَّوْا لِوجهيَ واشتاقُوا ثَرى قَدَمي

٨٢ المحارب

وقال ابن نباتة السعدي:

ولو طَلَبَ الناسُ المكارمَ كلُّهُمْ   لَكانَ الغِنَى كالفقرِ والعَبْدُ كالرَّبِّ

الرب: السيد مالك العبد

ولكنَّ أَشخاصَ المعالي خَفِيَّةٌ   على كلِّ عينٍ ليس تَنْظُرُ باللُّبِّ
لقد زَادَني حَرْبُ الزمانِ تجارِباً   فلا عشتُ في يومٍ يَمُرُّ بِلا حَرْبِ
ومَنْ يَكُ يَعتَادُ الكُروبَ فؤادُهُ   فإنَّكَ يا قَلبي خُلِقْتَ مِنَ الكَرْبِ

٨٣ بلا أمل

قال ابن نباتة يمدح سيف الدولة:

قد جُدْتَ لي بِاللُّهَى حتى ضَجِرْتُ بِها وكِدْتُ مِنْ ضَجَرٍ أُثني على البَخَلِ

اللهى: العطايا

لـم يُبْـقِ جـودُكَ لـي شيـئاً أُؤَمِّـلُـهُ تـركْتَنـي أَصْحَبُ الـدنيا بِلا أَمَلِ

٨٤ سيوف

وقال له:

سيوفُك أَمْضى في النفوسِ مِنَ الرَّدَى وخوفُكَ أَمْضى مِنْ سيوفِكَ في العِدَا

٨٥ كتاب مفتوح

ومدح ابن نباتة السعدي الوزير المهلبي فقال:

جـئـتُـه زائـراً وقـد رَكِـبَ الأفَـ ـلاكَ، والـنـجـمُ تَـحْـتَـهُ في الـترابِ

بِـمَـعـانٍ سَـرقْـتُـهـا مِـنْ عُـلاهُ فَـكَـأنِّـي قـرأتُـهـا فـي كـتـابِ

٨٦ كلنا كذلك

وقال:

يـهـوى الـثَّـنـاءَ مُـبَـرِّزٌ ومـقَـصِّـرٌ حُـبُّ الـثَّـنـاءِ طَـبـيـعـةُ الإنـسـانِ

٨٧ الزمن الحركة

وقال:

نُـعَـلِّـلُ بِـالـدواءِ إذا مَـرِضْـنـا وهـل يَـشـفـي مِـنَ الـمـوتِ الـدواءُ

ونـخـتـارُ الـطـبـيـبَ، وهـل طـبـيـبٌ يـؤَخِّـرُ مـا يُـقَـدِّمُـهُ الـقـضـاءُ

ومـا أنـفـاسُـنـا إلَّا حِـسـابٌ ومـا حَـرَكـاتُـنـا إلَّا فَـنـاءُ

٨٨ العفو

قال أبو الحسن السلامي:

تَـبَـسَّـطْـنـا عـلـى الآثـامِ لَـمَّـا رأيـنـا الـعـفْـوَ مِـنْ ثَـمَـرِ الـذُّنـوبِ

٨٩ مباراة في الرجز

وقال في الصاحب بن عباد:

يـا مُـجْـرِيَ الـفِـكْـرِ إلـى أقـصَـى أَمَـدْ
إِسـمَـعْ فـقـد أَنْـجَـزَ حُـرٌّ مـا وَعَـدْ
عَـذْراءُ لـم يُـقْـرَعْ بـهـا سَـمْـعُ أَحَـدْ

هذه أرجوزة عذراء لم يطرق سمع أحد شيء مثلها

لـو عُـرِضَـتْ عـلـى أبـي الـنَّـجْـمِ سَـجَـدْ

أبو النجم العجلي أحد مشاهير الرجاز

٩٠ قصيدة خجلى

وكتب السلامي بهذه القصيدة إلى الشريف الرضي:

أَشـكـو إلـيـهِ عـشـيـةً لـم نـفـتـرقْ   مـنـهـا عـلـى مـلـلٍ ولا اسـتِـعْـتَـابِ
مـا كـنـتَ إلَّا جـنـةً فـارقـتُـهـا   كُـرْهـاً فـصُـبَّ عـلـيَّ سَـوطُ عَـذابِ
وخَـريـدَةٍ عَـذراءَ رُحْـتُ أَزُفُّـهـا   مـا بـيـنَ ألـفـاظٍ شَـرُفْـنَ عِـذابِ

خريدة: فتاة، يعني قصيدة

جاءتْكَ يـحمِلُها الجَمالُ، وربَّما   وقـفَ الـحـيـاءُ بـهـا دُويْـنَ الـبـابِ

تستحي القصيدة دوين الباب، قبل الدخول، وهي تزف إليك فهي عذراء بمعنيين، جديدة غير مسبوقة والفتاة العذراء من شانها الحياء، ولكنها تستحي لأنك أنت شاعر كبير

أَهْديْتُها خَجِلاً إلى مُتَغَلْغِلِ الـ   ـأفـكـارِ مُـحْـصَـدِ مِـرَّةِ الآدابِ

محصد مرة الآداب: ناضج مفتول الحبل في الأدب

لِأبي القريضِ ابنِ المعاني بل أخي الـ   ـأَعْـرابِ حـيـن يَـفُـوهُ والإِغْـرابِ

لسان الممدوح فصيح كأنه لسان أعرابي، وهو قدير على الإغراب، الإتيان بغريب اللغة

أُنـظُـرْ بـعـيـنِ رضـاً إلـى مـا صُـغْـتُـهُ   وأَعِـرْهُ سـمـعَ مُـسَـامِـحٍ وَهَّـابِ
وتـجـاوزِ الـخَـطَـأَ الـشـنـيـعَ وأَخْـفِـهِ   عـن نـاظـرِ الـمُـتَـفَـيْـهِـقِ الـمُـغْـتـابِ

الرجاء التغاضي عما في قصيدتي من أخطاء، وإخفاء الخطأ عن المتفيهق، المتحاذق مدعي العلم

واجْـهَـرْ إذا أنـشـدتَـهـا فـي مَـحـفِـلٍ   فـعـثَـرْتَ بـيـن عـيـوبِـهـا بِـصَـوابِ

وارفع صوتك وأنت تنشدها كلما وجدت صواباً بين عيوبها الكثيرة

٩١ السؤدد

وقال:

قد قلتُ حينَ أفاضَ أحمدُ سَيْبَهُ يا شِقْوةَ الـمُتشبِّهِينَ بِأحمدِ

سيبه: عطاؤه

يَشْرونَ مثلَ جِيادِهِ وعبيدِهِ أَفَيَقْدِرُونَ على ابتياعِ السُّؤْدَدِ

٩٢ ما تستقرّ

قال ابن سكرة الهاشمي:

اللياليِ تسوءُ ثم تَسُرُّ وصُروفُ الزمانِ ما تَسْتَقِرُّ

غيرَ أَنِّيِ عن الحوادثِ راضٍ بعدَ سُخْطٍ، والعيشُ حُلْوٌ ومُرُّ

٩٣ بحار الدموع

وقال ابن سُكّرة:

ليِ حبيبٌ كلُّه حَسَنٌ فعيونُ الناسِ تَنْهَبُهُ

ضَاعَ مِنْ عينيِ فَمُقْلَتُها في بحارِ الدمعِ تَطْلُبُهُ

٩٤ الباز الهرم

قال في حبيبته «خمرة» وقد كبرت:

لا تسمعُوا «خَمْرةً» فقد هَرِمَتْ وانكَسَرَتْ تلكُمُ القَواريرُ

وكلُّ بَازٍ يَمَسُّهُ هَرَمٌ تَخْرىَ على رأسِه العصافيرُ

٩٥ التيّاه

وقال ابن سكرة الهاشمي:

تِهْتَ علينا ولستَ فينا وليَّ عهدٍ ولا خليفةْ

فَتِهْ وزِدْ، ما عليَّ جَارٍ يُقْطَعُ عنِّيِ ولا وَظيفةْ

ليس عليَّ جارٍ، رزقٌ تجريه علي، ولا وظيفة، أي مرتب

ولا تَقُلْ ليس فيَّ عيبٌ قد تُقذَفُ الحُرَّةُ العَفيفةْ

لا تقل إنك خال من العيوب فلذلك لا سبيل للهجاء عليك، وحتى لو كنت كذلك فأنت كالحرة العفيفة ليست بها عيوب ولكن الناس يقذفونها بالباطل، أي أن الشاعر مستعد للافتراء عليك

الشعرُ نارٌ بلا دخانٍ ولِلقَوافي رُقىً لَطيفةْ

الرقى اللطيفة: التعاويذ الصغيرة ذات الأثر الكبير. تسويد أ. عبد الرحيم

كم مِنْ ثقيلِ المَحَلِّ سامٍ هَوَتْ به أَحْرُفٌ خَفيفةْ

لو هُجِيَ المسكُ، وَهْوَ أَهْلٌ لكلِّ مدحٍ، لَصارَ جيِفَةْ

٩٦ القاعد القائم

وقال:

لنا شيخٌ يُصَلِّي مِنْ قُعودٍ ويَنكِحُ حين يَنْكِحُ مِنْ قِيامِ

٩٧ مدح الورد

وقال ابن سكرة:

للوردِ عندي مَحَلُّ لأنَّه لا يُمَلُّ

كلُّ الرياحينِ جندٌ وَهْوَ الأميرُ الأجَلُّ

إن غابَ عَزُّوا وبَاهَوْا حتى إذا عَادَ ذَلُّوا

٩٨ نزلة

وقال:

قلتُ لِلنَّزْلَةِ حُلِّي وانزِلي غيرَ لَهاتي

النزلة: نزول الالتهاب المسمى بالرشح إلى شعبتي الرئتين، لهاتي: حلقي

واتركي حَلْقي بِحَقِّي فَهْوَ دِهليزُ حَياتي

٩٩ العدل

وقال:

الجوعُ يُطرَدُ بالرغيفِ اليابسِ فعلامَ تَكْثُرُ حسرتي ووَساوسي

والموتُ أَنْصَفَ حين عَدَّل قِسْمَةً بين الخليفةِ والفقيرِ البائسِ

١٠٠ الجفا بعد الوفا

قال ابن الحجاج:

ولقد عهدتُكَ تشتهي قُرْبي، وتَستَدْعي حُضوري

وأرى الـجَـفـا بـعـد الـوَفـا   مـثـلَ الـفُـسَـا بـعـدَ الـبَـخُـورِ

١٠١ قلتُ أقوم

وقال ابن الحجاج:

وذي هِمَّةٍ في حضيضِ الكَنيفِ   وقَرْنَيْنِ في فَلَكِ المُشْتري

رب صاحب طموح منحط كأنه في قعر الكنيف، المرحاض، وله قرنان طويلان يصلان إلى فلك، أي مدار، المشتري. . والقرنان للرجل كناية عن ديوثةٍ وقلة غيرة على الحرم

دخلتُ عليه انتصافَ النهارِ   على غفلةٍ حين لم يَشْعُرِ
وبين يديْهِ رغيفانِ مَعْ   سُكُرُّجَةٍ كان فيها مُرِي

سكرجة: إناء صغير، المُرِيُّ: الصلصة والتوابل يصير بها الطعام مريئاً

فلما قعدتُ فَسَا فَسْوَةً   فلم تُخْطِ عَصْفَتُها مِنخَري
وأقبَلَ يَضْرُطُ في إثْرِها   فقلتُ: أَقُومُ وإلَّا خَري

هذه طريقة ابن الحجاج ونورد أبياته كي نعرض ما وصل إليه الشعر في عصر ذبول الازدهار العباسي

١٠٢ عرفت مكاني

وقال:

رَسَمُوا طينَ دَنِّها وَهْوَ رَطْبٌ   باسْمِ كِسرى، كِسْرى أنُوشِروانِ

عندما كان الطين الذي ختموا به دن الخمر طرياً وَسَموه ختماً بسِمة كسرى أنوشروان ورسموه باسمه

يا خَليليَّ قد عطشْتُ وفي الخمـ   ـرةِ رِيٌّ لِلحائِم العطشانِ
فاسقِياني مَحْضَ التي نَطَقَ الوحـ   ـيُ بِتحريمِها مِنَ القرآنِ
والتي ليس للتأَوُّلِ فيها   مذهبٌ غيرَ طاعةِ الشيطانِ

يريد خمرة لم يتأول لها الفقهاء وجه تحليل

فاسْقِياني بينَ الدِّنانِ إلى أن   تَرياني كبعضِ تِلكَ الدنانِ
مُقْعَداً بعدَ خِفَّتي في نُهوضي   أَخْرساً بعدَ كَثْرَةِ الهَذيانِ
سَكْرَةٌ بعد سَكْرَةٍ تُثْبِتُ اسمي   في المَفاليجِ أو مَعَ العُميانِ

المفاليج: المصابون بالفالج

إسقِياني في المِهرجانِ ولو كا	نَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضانِ
إسقِياني فقد رأيتُ بِعيني	في قَرارِ الجَحيمِ أينَ مَكاني

١٠٣ دمعة المقهور

وقال:

قُمْ هاتِها أصفَى إذا رُقْرِقَتْ	في الكأسِ مِنْ دمعَةِ مَقْهورِ

١٠٤ الخزعبلات

وقال:

وفي النَّبْكِ الحَرامِ خُزَعْبِلاتٌ	قليلاً ما تَراها في الحلالِ

١٠٥ الغوص

وقال:

يا سادتي ما استَرَقَّ ديني	شَيْءٌ كمِثْلِ الحِرِ السَّمينِ

استرق ديني: جعله رقيقاً خفيفاً، الحر: متاع الأنثى

لما أراهُ يَزولُ عَقلي	عني ويعتَادُني جنوني
وأشتهي أن أَغُوصَ فيه	مِنْ مُشْطِ رِجلي إلى جَبيني
وكلَّما شِلْتُ منه رأسي	رُزِقْتُ قوماً يُغَوِّصُوني
أَغيبُ شهراً فلا تراني الـ	ـعيونُ والناسُ يَطلُبوني
حتى إذا كان بعد شهرٍ	دَلَّ على مَوضِعي أنيني

١٠٦ مقارنة

وقال:

أَبري على أنه طويلٌ	أقصرُ من بظرِها بِشبرِ

١٠٧ الحذر

قال القاضي ابن معروف:

إِحْذَرْ عدوَّكَ مَرَّةً	واحذَرْ صديقَكَ ألفَ مَرَّةْ

فلربَّما انقلَبَ الصديـ ـقُ، فكانَ أعْرَفَ بِالمَضَرَّةْ

١٠٨ الطوامير

قال أبو الفرج الأصفهاني يمدح الوزير المهلبي:

ويَقتَضِبُ المعنَى الكثيرَ بِلَفْظِهِ ويأتي بِما تَحوي الطَّواميرُ في سَطْرِ

الطوامير: لفافات الأوراق

١٠٩ الولَّاج

قال الشريف الرضي، وكان نجا يوم القبض على الطائع لله وخرج من الدار سليماً:

ومنظرٍ كانَ بِالسَّرَّاءِ يُضحِكُني يا قُرْبَ ما عادَ بِالضَّرَّاءِ يُبكيني

هَيهاتَ أَغْتَرُّ بِالسُّلْطانِ ثانيةً قد ضَلَّ وَلَّاجُ أبوابِ السلاطينِ

ولاج: دخَّال

١١٠ السباحة في السراب

وقال يمدح الخليفة القادر:

لِمَنِ الحُدوجُ تَهُزُّهُنَّ الأَيْنُقُ والركْبُ يَطفُو في السرابِ ويَغْرَقُ

لمن هذه الحدوج، الهوادج، التي تهزها النياق التي تحملها، بينما الركب، القافلة، يطفو ويغرق في سراب الصحراء

أَبُغَاةَ هذا الأمرِ إن مَرَامَهُ دَحْضٌ يَزِلُّ بِطالِبِيهِ ويَزْلُقُ

يا طالبي الحكم إن مطلبه دحض، مائل زلق

ودَعُوا مُجاذَبَةَ الخلافةِ إنها أَرَجٌ بغيرِ ثيابِهِمْ لا يَعْبَقُ

اتركوا الخلافة فهي أرج، عطر، لا يعبق ويفوح إلا بثياب بني العباس

وأبوكُمُ العباسُ ما اسْتَسْقَى به بعدَ القُنوطِ قَبائِلٌ إلَّا سُقُوا

جدكم العباس لم يأخذه قوم معهم لصلاة الاستسقاء تبركاً به إلا نزل المطر وسقوا

عَطْفاً أميرَ المؤمنينَ فإنَّنا في دَوْحَةِ العلياءِ لا نَتَفَرَّقُ

اعطف عطفاً يا أمير المؤمنين، أي مل إلينا، فإننا جميعاً، بني علي وبني العباس، في دوحة العلياء، في بستان العز معاً

مـا بـيـنـنـا يـومَ الـفَـخَـارِ تَـفـاوُتٌ أبـداً، كِـلانـا في الـمـعـالـي مُـعْـرِقُ

لا فرق بيننا في الفخر، ودوماً كلانا عريق في الشرف

إلَّا الـخـلافـةَ، مَـيَّـزَتْـكَ فـإنـنـي أنـا عـاطِـلٌ مـنـهـا وأنـتَ مُـطَـوَّقُ

فيما عدا الخلافة فهي تميزك وتتخذها إكليلاً، وأنا عاطل منها، غير محلىً بها

١١١ دارنا

وقال:

تـوقَّـعـيِ أن يُـقـالَ قـد ظَـعَـنـا مـا أنـتِ لـي مـنـزلاً ولا وَطَـنـا

ظعن: رحل

يـا دارُ قَـلَّ الـصـديقُ فـيـكِ، فَـمـا أُحِـسُّ وُدّاً ولا أرى سَـكَـنـا

مـا ضَـرَّنـا أنَّـنـا بِـلا جِـدَةٍ والـبـيـتُ والـركـنُ والـمَـقـامُ لـنـا

لا يضرنا أننا بلا جدة، بلا ثراء، فالأماكن المقدسة المذكورة لنا

١١٢ الأدوات

وقال:

بَنُـو هـاشِـمٍ عـيـنٌ ونـحـن سَـوادُهـا على رغـمِ مَنْ يَأبَى، وأَنْتُمْ قَذَاتُها

القذاة: الوسَخَة في العين.. والعلويون والعباسيون هما فرعا بني هاشم والشاعر علوي من الأشراف

وأَعْـجَبُ ما يَأْتِي به الـدهرُ أَنَّكُمْ طَـلَـبْـتُـمْ عُـلاً مـا فـيـكُـمُ أَدَواتُـهـا

أدواتها: مقوماتها

١١٣ نائم ليس بنائم

وقال يرثي:

مُـغْـفٍ ولـيـس لِـلـذَّةٍ إغـفَـاؤُهُ مُـغْـضٍ ولـيـسَ لِـفِـكْـرَةٍ إغْـضَـاؤُهُ

تراه مغفياً ولكن ليست إغفاءة للراحة، وتراه مغضياً، أي غاضاً بصرة، ولكن ليس لأنه يفكر بعمق

وجهٌ كَلَمْعِ البرقِ غاضَ وَميضُه قـلبٌ كَصدْرِ العَضْبِ قلَّ مَضَاؤُهُ

غاض: جف، العضب: السيف

حَكَمَ البِلَى فيهِ فلو يَلْقَى بِه أعداءَهُ لَرثَى له أَعْداؤُهُ

لو لقي أعداءه بما هو يعانيه من البِلى، تحلل الجسم بعد الموت، لرثى له الأعداء

١١٤ حاجات الرجال

وقال:

اشْتَرِ العِزَّ بِما بِيـ ـعَ، فما العِزُّ بِغالِ
ليس بالمَغبونِ حَظّاً مُشْتَرٍ عِزّاً بِمالِ
إنَّما يُدَّخَرُ العِزُّ ـ لحاجاتِ الرجالِ
والفتَى مَنْ جَعَلَ الأمـ ـوالَ أَثْمانَ المَعالي

١١٥ الهبوط الاضطراري

وقال:

وسالَمْتُ لما طَالَتِ الحربُ بينَنا إذا لم تُظَفَّرْ في الحُروبِ فَسَالِمِ

١١٦ نخليها

قال أبو الفتح ابن العميد:

دخَلَ الدنيا أناسٌ قبلَنا رحلُوا عنها وخَلَّوْها لنا
فنزلْناها كما قد نَزَلُوا ونُخَلِّيها لِقومٍ بَعدَنا

١١٧ فيك لي

قال الصاحب بن عباد:

وشَادِنٍ ذي غَنَجٍ طاوِي الحَشا مُعْتَدِلِ..

رب شادن، ظبي صغير، مدلل طاوي الحشا، ضامر البطن، ذي قد معتدل..

أَنشَدْتُهُ شِعراً بَديـ ـعاً حسناً مِنْ عَمَلي
فقالَ: فيمَنْ ولِمَنْ فقلتُ: هذا فيكَ لي
فطارَ في وَجْنَتِهِ شُعاعُ نارِ الخَجَلِ

تسويد البيتين: أحمد عبد الرحيم، وتعليقه: «حلو»

١١٨ خمر وقدح

وقال:

رَقَّ الـزجـاجُ ورَقَّـتِ الـخـمـرُ فـتـشـابَـهـا وتَـشـاكَـلَ الأمـرُ
فـكـأنَّـمـا خَـمْـرٌ ولا قَـدَحٌ وكـأنَّـمـا قَـدَحٌ ولا خَـمْـرُ

١١٩ كاني وماني

وكتب إلى أبي الفضل بن شعيب:

يـا أبا الـفـضـلِ لِـمْ تـأخرتَ عـنَّـا فَـأَسَـأْنـا بِـحُـسْـنِ عَـهْـدِكَ ظَـنَّـا
كم تـمنَّتْ نـفسي صديقاً صَدوقاً فـإذا أنـتَ ذلـكَ الـمُـتَـمَـنَّـى
فَـبِـغُـصْـنِ الـشَّـبـابِ لـمـا تَـثَـنَّـى وبِـعَـهْـدِ الـصِّـبَـا وإنْ بَـانَ مِـنَّـا..
كُـنْ جَـوابـيِ إذا قَـرأْتَ كـتـابـيِ لا تَـقُـلْ لِـلـرسـولِ كـانَ وكُـنَّـا

كان وكنا: إن عشنا حتى نصدر الجزء الخامس من كتابنا هذا الذي بيدك جزؤه الثالث فسترى الشاعر الأردني «عرار» يقول «يا راهب الدير تبنا عن محبتهم/ وقد أبنا فلا كاني ولا ماني»

١٢٠ حبيبي

وقال:

لـقـد قـلـتُ لـمـا أتَـوْا بـالـطـبـيـبِ وصَـادَفـنـي فـي أَحَـرِّ الـلَّـهـيـبِ..
ودَاوَى فـلـم أنْـتَـفِـعْ بِـالـدواءِ: دَعـوُنـيِ فـإنَّ طـبـيـبـيِ حـبـيـبـي

١٢١ السوافر

قال أبو سعيد الرستَمي:

مَـرَرْنَ بِـحُـزْوَى والـجَـآذِرُ تَـرتَـعـيِ فـلـم تَـدْرِ حُـزْوَى أَيُّـهُـنَّ الـجَـآذِرُ

مرت الحسان بحزوى، وهو موضع في نجد، وكانت الجآذر، أي بقر الوحش، ترعى العشب هناك. فلم يفرِّق المكان بين النساء والجآذر.. وكلاهما واسع العينين

ومَـالَـتْ على الأَنْقاءِ فَاشْتَبَهَتْ بِـهـا أَهُـنَّ الـنَّـقـا أم مَـا تَـضُـمُّ الـمَـآزِرُ

مالت الحسان على الأنقاء، كثبان الرمل، فاشتبهت بها، وقع لبس بينهما؛ فهل هذه الكثبان هي الكثبان أم ما ضمت مآزر الحسان، من مؤخرات وافرة، هي الكثبان؟

بُـدُورٌ زَهَـتْـهُـنَّ الـمَـلاحَـةُ أن يُـرَى لَـهُـنَّ نِـقـابٌ فـالـوُجـوهُ سَـوافِـرُ

هن بدور زهتهن الملاحة، جعلهن الجمال مزهوات مفتخرات، فلا تراهن بالنقاب بل الوجوه سافرة

١٢٢ بلا فتائل

وقال:

مَرَرْنا بِأكنافِ العَقيقِ فأعْشَبَتْ　　أَباطِحُ مِنْ أَجفانِنا ومَسايِلُ

مررنا بأكناف، أطراف، العقيق قرب المدينة المنورة، فمن دموعنا نبت العشب في الأباطح، السهول.. وجرت سيول أيضاً

وكادَتْ تُناجينا الديارُ صَبابَةً　　وتَبكي كما نَبكي عليها المنازلُ

فمِنْ واقِفٍ في جَفْنِهِ الدمعُ وَاقِفٌ　　ومِنْ سائلٍ في خَدِّهِ الدمعُ سائلُ

بعضنا واقف ودمعه واقف يترقرق في عينيه ولا يسيل، وبعضنا سائل، أي يسأل الديار عن الأحبة وأين ذهبوا، وفي خده الدمع سائل، أي يسيل

تَأَسَّ بِيَأْسٍ أو تَعَزَّ بِسَلْوَةٍ　　فَما لَكَ في أطلالِ عَزَّةَ طَائِلُ

تأسَّ، أي عزِّ نفسك، بأن تيأس من لقائهن، أو عز نفسك بالسلو والنسيان، فلا فائدة من أطلال عزة. التسويد لأحمد بعد الرحيم، وكنت رأيت في البيت جناسين ناقصين صدفاني عن تسويده، على أنهما خدما المعنى ولم يسمجا

كأنَّ غصونَ النَّرْجِسِ الغضِّ بينَها　　نَشاوَى كَرىً أَعناقُهُنَّ مَوائلُ

غصون النرجس الغض، الطري، تتمايل كأنها نشاوى كرى، فيهن ما يشبه السكر من النعاس، والأعناق مائلة

تَخالُ أزاهيرَ الرياضِ خِلالَها　　مصابيحَ ليلٍ ما لَهُنَّ فَتائِلُ

وقد شَرِبَتْ ماءَ الغمامةِ فانثَنَتْ　　كما يَتَثَنَّى الشاربُ المتمايِلُ

وقد مَاجَ وادي الزَّنْدَرُوزَ بِفَيضِهِ　　كما ماجَ لِلريحِ النَّقَا المتهايِلُ

وادي الزندروز، ولم أصل إلى معرفة مكانه، يموج بالماء مثلما يموج بفعل الريح النقا، أي الكثيب، الذي تهيل رماله

١٢٣ الناقة لكم

قال أبو القاسم الزعفراني:

خيَّمْتُ في دولةٍ مجدَّدَةٍ　　خَيَّمَ فيها الوفاءُ والكرمُ

وقلتُ للسَّفْرِ: قد وصلتُ إلى　　مُنايَ؛ رَحلي وناقتي لَكُمُ

١٢٤ الفاتكة

قال أبو الفرج الساوي:

هِيَ الدنيا تقولُ بِمْلِءِ فِيها: حَذارِ حَذارِ مِنْ بَطشي وفَتكي
فلا يَغْرُرْكُمُ حسنُ ابتِسامي فقوليَ مُضحِكٌ والفعلُ مُبْكِ
هِيَ الدنيا أُشَبِّهُها بِشهدٍ يَسُمُّ، وجيفةٍ طُلِيَتْ بِمِسْكِ
هِيَ الدنيا كمثلِ الطِّفْلِ بَيْنَا يُقَهْقِهُ إذ بَكى مِنْ بعدِ ضِحْكِ
ألا يا قومَنا انتبِهُوا فإنَّا نُحاسَبُ في القيامةِ غيرَ شَكِّ

١٢٥ العين المغتسلة

قال الثعالبي مؤلف كتاب اليتيمة الذي نختار من أشعاره:

إنْسانَةٌ فَتَّانَةٌ بَدْرُ الدُّجى منها خَجِلْ
إذا زَنَتْ عيني بِها فبِالدُّمُوعِ تَغْتَسِلْ

١٢٦ سلام عليها

قال أبو الفرج بن هندو:

لها مِنْ ضُلوعِي أن يُشَبَّ وَقُودُها ومِنْ عَبراتِي أن تُفَضَّ عُقودُها

للمحبوبة أن تشتعل النار في قلبي بي ضلوعي، وأن تنزل دموعي كأنها عقود انتثرت لؤلؤاتها

بَذَلْتُ لها الدمعَ المَصُونَ وإن غَدَتْ تُمانِعُني في نَظرةٍ أستَفيدُها
سلامٌ عليها حيثُ حَلَّتْ، فإنني عَدِمْتُ فُؤادي منذُ عَزَّ وُجودُها

١٢٧ حجة نحوي

قال أحمد بن فارس:

مَرَّتْ بِنا هَيفاءُ مَقْدُودَةٌ تُرْكِيَّةٌ تَنْمي لِتُرْكِيِّ

هيفاء: ضامرة البطن، مقدودة: حسنة القد، تنمي: تنتسب

تَرْنُو بِطَرْفٍ فاتِرٍ فاتِنٍ أَضْعَفَ مِنْ حُجَّةِ نَحْوِيِّ

تنظر بعين فاترة ضعيفة ضعفَ حجة النحوي الذي يريد تبرير استعمال شاذ

١٢٨ الحريق

قال عمر الهرندي:

لا أحبُّ المُدامَ إلَّا العَتِيقا ويكونُ المِزاجُ مِنْ فيكَ رِيقَا
بِحياتِي عليكَ يا مَنْ سَقانِي أَرَحِيقاً سقيْتَنِي أم حَرِيقَا؟

١٢٩ بائع الفراني

قال شمسويه البصري:

قلتُ للقلبِ: ما دَهاكَ أَجِبْنِي؟ قال لِي: بَائعُ الفَرانِي فَرانِي

الفراني: الفطائر، والفُرْنِيَّة خبزة معجونة بالحليب مسقية بالسمن والعسل ومخبوزة في الفرن، هي ما يسمونه اليوم «الفطيرة الدنماركية».. وبائع الفراني قد فراني أي قطَّعني تقطيعاً

نَاظِراهُ فِيمَا جَنَى نَاظِراهُ أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِي

فيا أيها الصديقان ناظراه، اعقدا له مناظرة، بشأن ما جناه علي ناظراه، عيناه. أو دعاني، اتركاني، كي أموت بسبب ما أودعتني، حمَّلتني، عيناه من ألم

١٣٠ الضفادع

قال أحمد بن بندار:

وقالوا يعودُ الماءُ في النهرِ بعدما عَفَتْ منه آثارٌ وجَفَّتْ مَشَارِعُهْ

عفت آثاره: امَّحت، جفت مشارعه: جف مسيله

فقلتُ إلى أن يرجِعَ الماءُ عائداً ويُعْشِبَ شَطَّاهُ تموتُ ضَفادِعُهْ

١٣١ إغلاق الحساب

قال أبو بكر الشيرازي:

ما عُذْرُ مَنْ جَرَّ، غاوياً، رَسَنَهْ ما عُذْرُهُ بعد أَربَعينَ سَنَةْ

ما عذر الشخص الذي بالغواية جر رسنه، سار سيرة حرة بلا قيود كالبعير يترك له الرسن أي المقود ليجره ويرعى أينما شاء، ما عذره وقد تجاوز الأربعين؟

قل لِي إذا مُتَّ كيف تَنْقُصُ مِنْ سَيِّئَةٍ أو تزيدُ في حَسَنَةْ؟

بعد الموت لا سبيل إلى تقليل سيئاتك أو زيادة حسناتك

١٣٢ يحترم نفسه

وقال الجرجاني:

يقولونَ لي: فيكَ انقِباضٌ، وإنما رأَوْا رجلاً عن موقِفِ الذلِّ أَحْجَما
وما زِلْتُ مُنحازاً بِعِرضِيَ جانباً مِنَ الذمِّ، أَعْتَدُّ الصِّيانَةَ مَغْنَما

أصون نفسي عن الدنايا فهذا وحده غنيمة

إذا قيلَ هذا مَشْربٌ قلتُ قد أرى، ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتَمِلُ الظَّما
ولم أَقْضِ حقَّ العلمِ إن كان كلَّما بدا طمعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّما
ولم أَبْتَذِلْ في خِدْمَةِ العِلم مُهجَتي لِأَخْدُمَ مَنْ لاقَيْتُ لكنْ لِأُخْدَما

لم أبذل قلبي للعلم لكي أخدم السادة، بل لكي أكون عزيزاً مخدوماً

أَأَشْقَى به غَرْساً وأَجْنيهِ ذِلَّةً إذنْ فاتِّباعُ الجَهلِ قد كانَ أَحْزَما

١٣٣ لبستها

قال أبو معمر الإسماعيلي:

ولَيلةٍ مِنَ الليالي القَاسِيَةْ
مَدَّتْ ظَلاماً كالجبالِ الراسِيَةْ
فغَادَرَتْ كلَّ الوَرَى سَواسِيَةْ
البِيضَ دُهْماً والعُرَاةَ كَاسِيَةْ

هذه الليلة الظلماء ساوت بين الجميع: فالبيض من الناس صاروا دهماً، سوداً، والعراة لابسين لأننا لا نرى عريهم

لَبِسْتُها والصَّبرُ مِنْ لِباسِيَهْ

لبست هذه الليلة وتحملتها وصبرت

بَهِمَّةٍ على الأَسَى مُوَاسِيَةْ

وعزة نفسي تواسيني في حضور الأسى، أي الحزن

١٣٤ المكسوفان

ينسب إلى قابوس بن وشكمير:

قُلْ لِلَّذي بِصُروفِ الدهرِ عَيَّرَنا هل حاربَ الدهرُ إلَّا مَنْ له خَطَرُ؟

أمَا تَرى البحرَ تَعلُو فوقَه جِيَفٌ ... ويَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فإنْ تَكُنْ نَشِبَتْ أَيدي الزمانِ بِنا ... ونالَنَا مِنْ تَمادِي بُؤْسِهِ الضَّرَرُ
ففي السماءِ نُجومٌ ما لها عددٌ ... وليس يُكْسَفُ إلَّا الشمسُ والقمرُ

١٣٥ فضائل الموت

قال أبو أحمد الكاتب، ونسب البيتان لابن الرومي:

قد قلتُ إذْ مَدَحُوا الحياةَ وأَسْرَفُوا: ... في الموتِ ألفُ فَضيلَةٍ لا تُعْرَفُ
منها أمانُ لِقائِه بِلقائِه ... وفراقُ كلِّ مُعاشِرٍ لا يُنْصِفُ

١٣٦ شيئان

أبو منصور الطاهري:

شَيْئانِ لو بَكَتِ الدِّماءَ عليهِما ... عَيْنايَ حتى يُؤْذِنا بِذَهابِ

يؤذنا بذهاب: يوشكا على الذهاب

لم يَقْضِيا المِعْشارَ مِنْ حَقَّيْهِما: ... شَرْخُ الشبابِ وفُرقَةُ الأَحبابِ

لو بكت عيناي الدم على هذين الشيئين لما أعطتهما عُشر ما يستحقان.. والشيئان هما شرخ الشباب، أي أوله، وفراق الأحبة

١٣٧ لا سبيل

وينسب لهارون الرشيد، ورأى جارية سكرى فراودها، فقالت له: أمير المؤمنين المهدي ـ أي والده ـ ألَمَّ بي:

أَرَى مَاءً وبِي عَطَشٌ شديدٌ ... ولكنْ لا سبيلَ إلى الوُرُودِ

١٣٨ الاشتهاء

قال أبو بكر النيسابوري:

وَهَتْ عَزَمَاتُكَ عندَ المَشيبِ ... وما كانَ مِنْ حقِّها أنْ تَهِي
وأنْكَرْتَ نفسَكَ لما كبِرْتَ ... فلا هِيَ أنتَ ولا أنتَ هِي
فإن ذُكِرَتْ شَهَواتُ النفوسِ ... فما تَشتَهِي غيرَ أن تشتَهِي

١٣٩ الصحة

قال أبو أحمد البوشنجي:

إنَّ تـمـامَ الـسُّـرورِ لِـلـمـرءِ أنْ يَـأكُـلَ مِـنْ طـيِّـبـاتِ غَـرْسِ يَـدِهْ
وأنْ يُـغَـنَّـى بِـشِـعْـرِهِ، ويَـلـي خِـدْمَـتَـهُ مَـنْ يُـحِـبُّ مِـنْ وَلَـدِهْ

يلي: يتولّى

وقَد حَوى بَعضُنا الثَّلاثَ، وقد نَـغَّـصَـهـا كـلَّـهـا ضَـنَـى جَـسَـدِهْ

١٤٠ نريدك مشغولاً

قال أبو الحسن الشيباني:

حَمْلُ الرِّيَاسَةِ ما عَلِمْتَ ثَقيلُ والـدهـرُ يَـعـدِلُ تـارةً ويَـمـيـلُ
لا تَـعْـتَـلِـلْ بِـالـشُّـغْـلِ إنـكَ إنـمـا تُـرجَـى لأنـكَ دائـمـاً مَـشْـغُـولُ
وإذا فَرَغْتَ، ولا فَرَغْتَ، فَغَيْرُكَ الـ ـمقصودُ لِلحاجَاتِ والمأمُولُ

١٤١ وطني

قال ابن هزيم:

كَـفَـتْـنـي ضَـيْـعَـتـي مَـدحَ الـعِـبـادِ وظَـعْـنـاً فـي الـبـلادِ بِـغـيـرِ زَادِ

الضيعة: العزبة، المزرعة الكبيرة، الظعن: الرحيل

غَـدَتْ سَـكَـنـي وخَـادِمَـتـي وظِـئْـري وفـيـهـا أُسْـرَتـي وبـهـا تِـلادي

ظئري: مرضعتي، ويقصد أن ضيعته تكفيه حاجته من القوت، والتلاد: المال الموروث

١٤٢ قوارير وقراقير

وقال:

لـمـا رأيـتُ الـزمـانَ نِـكْـسـاً وفـيـه لـلـرِّفْـعَـةِ اتِّـضَـاعُ

لما رأيت الزمان نكساً، خسيساً، وفيه اتضاع، حقارة، تصيب الرفعة والسمو

كـلُّ رئـيـسٍ لَـهُ مَـلالٌ وكـلُّ رأسٍ لَـه صُـداعُ
لَـزِمـتُ بـيـتـي وصُـنْـتُ عِـرضـاً بـه عـن الـذلَّـةِ امـتِـنـاعُ

تسويد أحمد عبد الرحيم

أشــربُ مــمَّــا ادَّخَــرْتُ راحــاً　　لــهــا عــلــى راحــتــي شُــعــاعُ
لــي مِــنْ قَــواريــرِهــا نَــدامَــى　　ومِــنْ قَــراقــيــرِهــا سَــمــاعُ

قوارير الخمر هي ندمائي، وقراقيرها، أي صوتها وهي تصب وتقرقر في الكأس هي سماعي، والسماع هو الغناء في المجالس. وعلق الثعالبي: هذا بيت القصيدة، وهو أمير شعره

١٤٣ دفتر الطب

وقال:

قد كنتُ أنظُرُ قبلَ اليومِ في كتبٍ　　فيها الحكاياتُ والأشعارُ والخُطَبُ
ودفـتـرُ الـطـبِّ مـمَّـا لا أُلِـمُّ بِـه　　إذ لم يكنْ فيهِ لي مِنْ صِحَّتي أَرَبُ
فجاءتِ التِّسْعُ والخَمسونَ تُحْوِجُني　　إلى العلاجِ، فمَا لي غَيرَهُ كُتُبُ

١٤٤ العاق

قال أبو القاسم الدينوري:

لـو كـنـتُ أعـلـمُ أنِّـي والـدٌ وَلَـداً　　يكونُ، لا كانَ، في عينيَّ كالرَّمَدِ
لَقلتُ، لو أنَّ قولي كان يَنفعُني:　　يـا لـيـتَ أَنِّـيَ لـم أُولَـدْ ولـم أَلِـدِ

١٤٥ حنين غريب

وقال:

ومَــا آسَــى عــلــى دهــرٍ تَــوَلَّــى　　ولا جــســمٍ مُــبــاحٍ لــلــسَّــقــامِ
ولا مــا فــاتَ مِــنْ عُــمْــري ولــكــنْ،　　أَحِــنُّ إلــى صــلاةٍ مِــنْ قِــيــامِ

إن كان يطالع هذا البيت شاب فلينتظر ثلاثين سنة حتى يصير ثني الركبتين أصعب عليه من ثني قضيب السكة الحديد

١٤٦ هوان الشيخ

وقال:

عِــشْــتُ مِــنَ الــدهــرِ مــا كَــفــانــي　　ومَــرَّ مــا مَــرَّ مِــنْ زَمــانــي
وقــد حَــنَــتْــنــي وقَــوَّسَــتْــنــي　　تِــسْــعٌ وتِــســعــونَ واثْــنَــتــانِ

حنتني: من الانحناء

وقد سَئِمْتُ الحياةَ مِمَّا ... أَلْقَى مِنَ الذُّلِّ والهَوانِ

ومِنْ أخٍ كنتُ أَرْتَجيهِ ... لِحَادِثِ الدهرِ قد قَلاني

قلاني: هجرني

ومِنْ غلامٍ إذا يُنادَى ... تَصَامَمَ النذلُ وَهْوَ دَانِ

تصامم: ادعى الصمم، دان: قريب

١٤٧ العمر ساعة

قال أبو علي المسبحي:

هل الدهرُ إلَّا ساعةٌ ثم تَنقَضي ... بما كان فيها مِنْ عناءٍ ومِنْ خَفْضِ

الخفض: النعيم

فهَوْنَكَ لا تحمِلْ مَساءَةَ عَارضٍ ... ولا فَرحَةً سَرَّتْ، فكلتَاهُما تَمضي

هون عليك ولا تهتم بسوء من عارض، حادث مفاجئ، ولا بفرحة.. فكله سيذهب

١٤٨ أراجيح وموازين

قال أحمد بن المؤمل:

سَقياً لِدهرٍ مَضى إذ نحن في شُغُلٍ ... بِالعزْفِ والقَصْفِ عن شُغْلِ السَّلاطينِ

كنا سعداء بالعزف والقصف، اللهو، بعيداً عن حضور مجالس السلطان وما فيها من تكلف الوقار

غَدَوْا صِحاحاً إلى الحاناتِ وانصَرَفُوا ... إلى المنازلِ في عقلِ المجانينِ

عَادوا أَراجيحَ مِنْ حَاناتِهِمْ أُصُلاً ... وقد غَدَوْا نَحوَها مِثلَ المَوازِينِ

١٤٩ التواري

أبو الحسن الإفريقي المتيم:

وفتيةٍ أدباءٍ ما عَلِمْتُهُمُ ... شَبَّهْتُهُمْ بِنجومِ الليلِ إذ نَجَمُوا

ما علمتهم: طول مدة معرفتي بهم

فَرُّوا إلى الراحِ مِنْ خَطْبٍ يُلِمُّ بِهِمْ ... فما دَرَتْ نُوَبُ الأيامِ أين هُمُ

نوب: مصائب

١٥٠ النفاق

وقال:

تَلومُ على تركِ الصلاةِ حَليلتي ... فقلتُ: اغرُبي عن نَاظري، أنتِ طَالِقُ

لماذا أُصَلِّي؟ أينَ بَاعي ومَنزِلي ... وأين خُيولي والحُلَى والمَنَاطِقُ

الباع: القدرة، المناطق: ما يلف على الخصر وتعلق به الخناجر أو توضع فيه الدراهم

وأين عَبيدي كالبدورِ وجوهُهُمْ ... وأين جَوارِيَّ الحِسانُ العَواتِقُ

العواتق: الشابات

أُصَلِّي ولا فِتْرٌ مِنَ الأرضِ يَحتَوي ... عليهِ يَميني؟ إنَّني لَمُنافِقُ

١٥١ أمنيات الشاب

قال أبو طالب المأموني:

إلى اللَّهِ أشكُو مُنىً في الحَشا ... تَضَمَّنَ جَنْباي منها سَعيرا

أراني ابنَ عِشرينَ أو دونَها ... وقد طَبَّقَ الأرضَ شِعري مَسيرا

ولو كانَ يفخَرُ مَيْتٌ بِحَيٍّ ... لَكانَ أبو هَاشِمٍ بي فَخُورا

يتخيل نفسه عاد إلى الشباب وأصبح شاعراً مهماً وغدا مفخرة للناس. ولعل أبا هاشم المقصود هنا جد العباسيين، فالشاعر كان يصل نسبه بنسب الخليفة المأمون

ولو كنتُ أَخْطُبُ مَا أَسْتَحِقُّ ... لَمَا كنتُ أَخْطُبُ إلَّا السَّريرا

لو كنت أخطب، أطلب، استحقاقي لطلبت سرير المُلك لا أقل

ولو سِرْتُ صَاحَتْ مُلوكُ البلا ... دِ بينَ يَدَيَّ النَّفيرَ النَّفيرا

يسير الملوك، أي القادة والولاة، أمامي يقولون النفير النفير، يبعدون الناس عن وسط الطريق لمرور موكبي

ولكِنَّني مُكْتَفٍ بِاليَسيرِ ... إذا سَهَّلَ اللَّهُ ذاكَ اليَسِيرا

١٥٢ بيعة وكس

قال أبو بكر الخوارزمي، وكتب بها إلى أبي نصر الميكالي بعد إذ حبسه الوالي طاهر بن محمد:

كتابي أبا نَصْرٍ إليكَ وحَالَتي ... كحالِ فَريسٍ في مخالِبِ ضَيْغَمِ

غدوتُ أخَا جُوعٍ ولستُ بِصائِمٍ ورحتُ أخا عُرْيٍ ولستُ بِمُحْرِمِ
وقعتُ بِفَخِّ الخوفِ في يَدِ طَاهِرٍ وُقُوعَ سُلَيْكٍ في حَبائِلَ خَثْعَمِ

سليك الشاعر قتلته قبيلة خثعم

وما كنتُ في تَركيكَ إلا كَتَارِكٍ يَقيناً، وراضٍ بعدَهُ بِالتَّوَهُّمِ
وذي عِلَّةٍ يأتي عَليلاً لِيَشْتَفي به وَهْوَ جارٌ لِلمَسيحِ بنِ مَريَمِ

فأنا إذ تركتك مثل المريض الذي يذهب إلى مريض مثله للتداوي بينما هو جار للمسيح، الذي كان يشفي المرضى

لبِسْتُ ثيابَ الصبرِ حتى تَمزَّقَتْ جَوانِبُها بينَ الجَوى والتَّنَدُّمِ

الجوى: الحزن

وقد عاشَ بعدَ الخُلْدِ في الأرضِ آدَمٌ فإن شئتَ فاعذِرْني فإنِّي ابنُ آدَمِ

أنا كجدي آدم الذي أخرج من الخلد، الجنة

وأنتَ الذي صوَّرْتَ لي صُورَةَ المُنَى وأَرْكَبْتَني ظَهرَ الزمانِ المُذَمَّمِ

أنت أريتني الأماني حقيقة واقعة، وجعلتني أقهر الزمان المذموم وأركب ظهره

وصَيَّرْتَ عنديَ أَنْحُسَ الدهرِ أَسْعُداً وكَذَّبْتَ عندي قولَ كُلِّ مُنَجِّمِ

١٥٣ صديق

وقال الخوارزمي أبو بكر محمد بن العباس:

وصاحِبٍ لِيَ لو حَلَّتْ رَزِيَّتُهُ بِالطيرِ ما هَتَفَتْ يوماً على فَنَنِ

لو حلت مصيبته بالطير لما غرد على غصن

عاشَرْتُهُ عِشْرَةً لو أنَّها وَقَعَتْ بين الضُّحَى والدُّجَى سارا على سَنَنِ

عشرتي له كانت جميلة فلو كانت بين النهار والليل اللذين لا يلتقيان أبداً لالتقيا وسارا على سنن في طريق واحد

حتى إذا نِلْتُ سُؤْلي مِنْ مَواهِبِهِ وصَادَني بِشِباكِ الوَصْلِ والمِنَنِ

مواهبه: ما يهب لي من العطايا، المنن: العطايا

تَكِلْتُهُ بعدَما سارَتْ مَحاسِنُهُ في العظمِ واللحمِ سَيْرَ الماءِ في الغُصُنِ

١٥٤ فاضل ومتقلب

وقال أبو سعيد في الخوارزمي:

أبــو بــكــرٍ لــه أدبٌ وفَـضْــلٌ ... ولـكـنْ، لا يـدومُ عـلـى الإِخـاءِ
مَـــوَدّتُـــهُ إذا دَامَـــتْ لِـــخِـــلٍّ ... فَـمِنْ وقتِ الـصباحِ إلى الـمساءِ

١٥٥ عضة الدهر

قال بديع الزمان الهمذاني، وقد قصد هراة وفيها أبو عامر عدنان بن محمد الضبي:

مـا لـيِ أرى الـحُـرَّ ذاهـبـاً دَمُـهُ ... ولا أرى الـنَّـذْلَ ذاهـبـاً ذَهَـبُـهْ
يـا سـادَتـيِ لا تَـلِـنْ عِـظـامُـكُـمُ ... لِـعَـضَّـةِ الـدهـرِ إن يَـهِـجْ كَـلَـبُـهْ

الكَلَب: داء يصيب الكلْب فيتوحش وتصبح عضته مميتة

فـالـدهـرُ لـونـانِ لا يـدومُ عـلـى ... حـالٍ، سـريـعٌ بـالـنـاسِ مُـضْـطَرَبُـهْ
أَتَـى بِـشَـرٍّ لـم نَـرْتَـقِـبْـهُ، كـذا ... يـأتـيِ بِـخـيـرٍ ولـيـس نَـحْـتَـسِـبُـهْ

١٥٦ الإبريق

قال الأمير أبو الفضل الميكالي:

ظَـبْـيٌ يَـحـارُ الـبـرقُ فـي بَـريـقِـهِ

محبوبة كالظبي وهي مشرقة يحار البرق نفسه في إشراقها

غَـنـيِـتُ عـن إبْـريـقِـهِ بِـريـقِـهِ

استغنيت بريق المحبوبة عن إبريق الخمر الذي تسقيني منه

فـلـم أزلْ أَرْشُـفُ مِـنْ رَحـيـقِـهِ

الرحيق: الخمر.. يقصد خمر فمها

حتى شَـفَـيْـتُ الـقـلـبَ مِنْ حَـريـقِهِ

١٥٧ التصابي

وقال:

أَتَـرْكُـضُ فـي مـيـاديـنِ الـتَّـصـابـيِ ... وقد ركضَ الـمَشيبُ على الشبابِ
وكـيـفَ تَـلَـذُّ طَـعْـمَ الـعـيـشِ نـفسٌ ... غَـدَتْ أتـرابُـهـا تـحـتَ الـتُّـرابِ

أترابها: مثيلاتها في السن، لِداتها

١٥٨ يونس

قال الجوهري صاحب الصحاح:

فهَا أنا يُونُسٌ في بطنِ حوُتٍ   بِنَيْسابُورَ في ظِلِّ الغَمامِ
فَبَيْتي والفُؤادُ ويومُ دَجْنٍ   ظَلامٌ في ظَلامٍ في ظَلامِ

يوم دجن: يوم غائم

١٥٩ آفات الكتب

قال عبد الرحمن بن دوست:

عليكَ بِالحِفْظِ دونَ الجَمْعِ في الكُتُبِ   فإن للكُتْبِ آفاتٍ تُفَرِّقُها
الماءُ يُغرِقُها والنارُ تُحْرِقُها   والفَارُ يَخْرِقُها واللصُّ يَسرِقُها

١٦٠ الخوف والرجاء

قال أبو محمد الدهان:

خَفْ إذا أصبحتَ تَرجُو   وارجُ إن أمْسَيْتَ خائِفْ
رُبَّ مَكروهٍ مَخُوفٍ   فيهِ للَّهِ لَطائِفْ

١٦١ ابن من يدري

قال أبو الفتح الكاتب:

جَفاني وهَاجاني، ولم يَخْشَ صَوْلَتي   ولا سَطْوَتي الشيخُ العميدُ أبو نصرِ
وكانَ حرىً ألَّا يُكَاشِفَ شَاعراً   وفي دارِهِ يجري مِنَ الخِزْيِ ما يجري

كان حرىً: ما كان أحراه، يكاشف: يدعو للمكاشفة والتشاتم الصريح

وقد خَافَ أولادُ العَفَائِفِ جَانِبي   فما أَمْنُه إيَّايَ، وَهْوَ ابْنُ مَنْ يَدري

١٦٢ الموت بعد غدٍ

قال الحسين بن أسد العامري:

يَدي على كَبِدي مِنْ شِدَّةِ الكَمَدِ   كأنما خُلِقَتْ كَفَّايَ مِنْ كَبِدي
جُودي لِيَ اليومَ أو عُودي غَداً دَنِفاً   أوِ انْدُبي لِقَتيلِ الحبِّ بعدَ غَدِ

الدنف: المريض بالعشق

فهرس القوافي

(القافية، فرقم القطعة)

دمية القصر

هذا كتاب علي بن الحسن الباخَرزي الذي جمع فيه أشعاراً لأكثر من خمسمئة شاعر معظمهم كان يعيش في زمنه. وقد حقق الكتاب محمد ألتونجي تحقيقاً مميزاً بالدقة واستيفاء المصادر، وعمق المعرفة بالشعر وباللغتين العربية والفارسية، وكان الباخرزي ينطق باللسانين.

توفي الباخرزي في عام ٤٦٧، وجمع في كتابه من الأشعار ما لا نجده في كتاب اليتيمة للثعالبي المتوفى عام ٤٢٩، فكان كتابه كالتكملة لكتاب الثعالبي.

١ قم إليها

أبو كامل تميم بن المفرج الطائي:

قُـمْ إلـى الـراحِ مـع الـصـبـ ـحِ إذا قـامَ الـمـؤذِّنْ
إن تُـسِـئْ يـا أيـهـا الـعـبـ ـدُ فـإن الـلَّـهَ مُـحْـسِـنْ

٢ استيلاء الجِلْد

أبو الفضل جعفر بن الحسين الشبيبي المكي:

فأَبشِرْ بِتصريفِ الأمورِ ودَوْلةٍ نَظَمْتَ معانيها كما نُظِمَ العِقْدُ
كأنّي بكَ استَولَيْتَ مِن كلِّ وِجْهَةٍ عليها كما استَولَى على الجسدِ الجِلْدُ

٣ سؤال الظبيات

كامل المنتفقي:

بِاللَّهِ يا ظَبَياتِ القَاعِ قُلْنَ لنا: لَيْلايَ مِنْكُنَّ أم ليلى مِنَ البَشَرِ؟

تسويد أ. عبد الرحيم

٤ سرب المها

تميم بن معد صاحب مصر:

أَسِرْبُ مهاً عَنَّ أم سِرْبُ جِنَّةْ   حَكَيْتُنَّهُنَّ ولَسْتُنَّ هُنَّهْ

حكيتنهن: أشبهتنهن

إذا رُمْنَ ظُلْماً فسُلْطَانُهُنَّ   علينا مَلاحَةُ أَحداقِهِنَّهْ

التسويد + «حلو» من أ. عبد الرحيم

نَواعِمُ لا يستطِعْنَ النهوضَ   إذا قُمْنَ مِنْ ثِقْلِ أَرْدَافِهِنَّهْ

٥ راكب الشوق

أبو القاسم الوزير المغربي:

قَطَعْتُ الأرضَ في شَهْرَيْ رَبيعٍ   إلى مصرٍ وعُدتُ إلى العراقِ

فقالَ ليَ الحبيبُ، وقد رآني: سَبوقاً بِالمُضَمَّرَةِ العِتاقِ

ركِبتَ على البُراقِ؟ فقلتُ: كَلَّا   ولكنِّي ركبتُ على اشتياقي

٦ رثاء المتنبي

محمد بن عبيد الله بن محمد الكاتب النصيبي يرثي المتنبي ويستجيش عضد الدولة على قاتله فاتك الأسدي:

هذي بَنُو أسدٍ جاءتْ بِمُؤْيَدَةٍ   صَمَّاءَ بَائِحَةٍ هَدَّتْ ذُرا أُحُدِ

بنو أسد جاءوا بمؤيدة، أي بمصيبة، صماء، المصيبة الصماء التي يصعب احتواؤها، بائحة، أي ذائعة سمع بها كل الناس، وكادت تهد ذرا، أي قمم، جبل أحد

سَطَتْ على المُتَنَبِّي مِنْ فوارِسِها   سبعونَ جاءتْهُ في مَوْجٍ مِنَ الزَّرَدِ

الزرد: الحلقات يتكون منها نسج الدرع

حتى أَتَتْ وَهْوَ في أَمْنٍ وفي دَعَةٍ   يَسيرُ في سِتَّةٍ إنْ تُحْصَ لم تَزِدِ

جاءته وهو وادع مع ستة لا أكثر من صحبه

كَرَّتْ عليهِ سِراعاً غيرَ وَانِيَةٍ   فَغَادَرَتْهُ رَهينَ التُّرْبِ والثَّأَدِ

غير وانية: غير متوانية ولا مبطئة، الثأد: الثرى.. التراب النديّ

مِنْ بعدِ ما أَعْمَلَتْ فيهِمْ أَسِنَّتُهُ   طعناً يُفَرِّقُ بين الروحِ والجسدِ

فاطْلُبْ بِثأرِ فَتىً ما زلتَ تَعْضِدُهُ   لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ كَهْفٍ ومِنْ عَضُدِ

كهف: ملجأ وحامٍ

أَذْكِ العُيونَ عليْهِمْ أَيَّةً سَلَكُوا   وضَيِّقِ الأرضَ والأقطارَ بِالرَّصَدِ

أذك العيون: شدد التجسس، الرصد: الجواسيس

٧ رثاء الابن

أبو الحسن علي بن محمدٍ التهامي:

حُكْمُ المَنِيَّةِ في البريَّةِ جَارِ   ما هذهِ الدنيا بِدارِ قَرارِ

بينَا يُرى الإنسانُ فيها مُخبِراً   حتى يُرى خبراً مِنَ الأخبارِ

يكون الإنسان مخبراً غيره بالأخبار فيصبح هو نفسه خبراً إذ يموت

فالعيشُ نومٌ والمنِيَّةُ يَقْظَةٌ   والمرءُ بينَهما خيالٌ سارِ

فاقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجالاً إنَّما   أعمارُكُمْ سفرٌ مِنَ الأسفارِ

مآرب: حاجات

يا كَوكباً ما كانَ أَقصَرَ عُمْرَهُ!   وكذاكَ عُمْرُ كواكِبِ الأَسحارِ

الكواكب وقت السحر، عند الفجر، قصيرة العمر لأن النهار يعاجلها فتختفي

فكأنَّ قلبيَ قَبْرُهُ، وكأنَّهُ   في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسرارِ

إنَّ الكواكبَ في عُلُوِّ مَحَلِّها   لَتُرى صِغاراً وَهْيَ غيرُ صِغارِ

جَاورتُ أَعدائي، وجاورَ ربَّهُ   شتَّانَ بينَ جوارِهِ وجِواري

ولقد جَرَيْتُ كما جَرَيْتَ لِغايةٍ   فبلغتَها وأَبُوكَ في المِضمارِ

أنا أجري وأنت تجري نحو غاية هي الموت، وسبقتني.. وأنا ما زلت في المضمار، حلبة تضمير الخيل، أي تقوية عضلاتها وتنحيف جسمها، فأنا في المضمار ولم أتهيأ للسباق

وإذا نطقتُ فأنتَ أولُ مَنطِقي   وإذا سكتُّ فأنتَ في إضماري

أُخْفي مِنَ الرُّقَباءِ ناراً مثلَما   يُخْفي مِنَ النارِ الزِّنادُ الوَاري

أخفي عمن يراقبون سلوكي ناراً كنار الزناد، أي أداة إشعال النار، الواري، المشعل للنار، ويكون الزناد مجرد حجر أو خشبة ولكنه يخفي بداخله شرراً كامناً

وأُخَفِّضُ الزَّفَراتِ وَهْيَ صَواعِدٌ   وأُكفكِفُ العَبَراتِ وَهْيَ جَوارِ

ثَوبُ الرِّيَاءِ يَشِفُّ عمَّا تحتَهُ   وإذا التَحَفْتَ به فإنَّكَ عَارِ

الذي يخفي مشاعره كالمرائي يظهر تجملاً، ولكن الناس تشعر بما يبطن

وتَلَهُّبُ الأَحشاءِ شَيَّبَ مَفْرِقِي   هذا الضياءُ شُعاعُ تِلكَ النارِ

يشبه الشيب في رأسه بشعاع ناتج عن النار التي بين ضلوعه

إنّي لأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحَرِّ مَا   ضَمِنَتْ صُدورُهُمُ مِنَ الأَوْغارِ

الأوغار: الأحقاد

نَظَروا صنيعَ اللَّهِ بي فعيونُهُمْ   في جَنَّةٍ وقُلوبُهُمْ في نارِ

الحاسدون ينظرون إلى ما بلغته من منزلة رفيعة فعيونهم ترى جنة نجاحي، ولكن قلوبهم تتقلب في نار الحقد

لا ذنبَ لي قد رُمْتُ كَتْمَ فَضائِلِ   فَكأَنَّما بَرْقَعْتُ وجهَ نَهارِ

رمت، أي أردت، كتمان فضائلي، ولكنها ظهرت بسهولة فكأنني أردت أن أبرقع وجه النهار، أي أخفيه ببرقع

ذَهَبَ التَّكَرُّمُ والوفاءُ مِنَ الوَرى   وتَصَرَّما، إلَّا مِنَ الأشعارِ

وفَشَتْ خِياناتُ الثِّقَاتِ وغيرِهِمْ   حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأَبصارِ

ولَرُبَّما اعتَضَدَ الحليمُ بِجاهلٍ   لا خيرَ في يُمْنَى بِغيرِ يَسارِ

قد يقرر الرجل الحليم أن يعتضد، أي يستعين، بجاهل، أي متهور، فاليد اليمنى لا خير فيها بغير اليسرى. وكان يكون في الزمن القديم للفقيه سفيه يلازمه ويصد عنه السفهاء حتى لا يتورط الفقيه في ملاسنتهم

٨ عيون الغانيات

وقال:

بكيتُ فَحَنَّتْ ناقَتي فَأجابَها   صَهيلُ جَوادي حين لاحتْ دِيارُها

خَطَطْنا بِأَطْرافِ المَخَاصِرِ أَرضَها   فأهدَتْ إلينا مِسْكَ دَارِينَ دَارُها

المخاصر: العصي.. عندما نبشنا بالعصي في ديار الحبيبة فاح عطر كأنه المسك المستورد من دارين

ولاحَتْ ثَنايَا الأُقْحُوانِ، ولو رأَتْ   عوارِضَ مَنْ أهواهُ طَالَ اسْتِتَارُها

رأينا ثنايا، أسنان، زهر الأقحوان.. ولو رأت بَتَلات هذه الأقحوانات عوارض، أسنان، الحبيبة لاستترت واختبأت

تَـوَقَّ عـيـونَ الـغـانِـيـاتِ فـإنَّـهـا سيوفٌ وأَشْفَارُ الجُفونِ شِفَارُها
احذر عيون الحسان فأشفار الجفون، الرموش، هي شفرات سيوف تحيط بعيونهن

٩ تعنيف الدهر

الماهر الدمشقي:

بِـرَغـمـيَ أن أُعَـنِّـفَ فـيـكَ دَهـراً قـلـيـلاً هَـمُّـهُ بِـمُـعَـنِّـفـيـهِ
وأن أَرْعَـى الـنـجـومَ ولَـسْـتَ فـيـهـا وأن أَطَـأَ الـتـرابَ وأنـتَ فـيـهِ

رغماً عني أسهر محدقاً في النجوم وأنت لست فيها أيها النجم الذي مات، وبرغمي أدوس على التراب.. وأنت في التراب

١٠ الـمَتالف

ابن أبي زرعة:

ومِنْ خيرِ أيامِ الحياةِ التي خَلَتْ وأَطيَبِها يومٌ مِنَ العيشِ سالفُ
لـبِـسْـنـا بـه ظِـلَّ الـسُّـرورِ فـكـلُّـنـا شَروبٌ لِمَا تَنْهاكَ عنهُ الـمَصاحِفُ
ومَـالَـتْ فُـروعُ الـبَـانِ بـيـن ثِـيـابِـنـا وجُرَّتْ على وجهِ الرِّياضِ الـمَطارِفُ

في أحضاننا، وبين ثيابنا، مالت الفتيات اللواتي كأغصان البان، ثم جررت على وجه الروض المطارف، الأثواب

فما مِثلُ هذا اليومِ لولا انقِضاؤُهُ وما مِثلُنا لو أَخْطَأَتْنا الـمَتَالِفُ

المتالف: التلف.. الموت

١١ الحَمول

سعيد بن علي:

خُلِقْتُ حَمُولاً لِلخُطوبِ فلو جَرى لـها مِقْولٌ قَامَتْ بِصبرِيَ تَخْطُبُ

لو تحرك للخطوب مقول، أي لسان، لخطبت خطبة عصماء عن صبري وتحملي

خَـلـيـلَـيَّ مَـهـلاً لا تـلـومَـا أَخَـاكُـمـا فـمـا يَـعـرفُ الأيـامَ مَـنْ لا يُـجَـرِّبُ

١٢ قوس السعادة

ابن بابا:

ومَنْ باتَ عن قوسِ السَّعادَةِ رامِياً نُـحُـورَ أَعـاديِـهِ رَمَـى فـأصـابـا

من كان يرمي نحور أعدائه عن قوس السعادة، والسعادة هي الحظ، سيصيب

هُوَ الجَدُّ فَلْيُمْسِ الفَتى في ظِلالِهِ　　فلو أَخْطَأَ المَجْدُودُ قيلَ: أَصابا

الجد: الحظ، المجدود: المحظوظ

١٣ حسرة

علي بن هبة الله بن محمد بن خالد التبريزي:

أَسَفي على زمنٍ تولَّى وانقضَى　　وقد انقَضَتْ فيهِ لنا أَوْطارُ
أيامَ تُسعِفُنا اللَّيالِي بِالمُنَى　　وتُطيعُ سُعْدَى أَمْرَنا ونَوَارُ
أيامَ عُودُ العيشِ أَخضَرُ مثمِّر　　فيها، وكاساتُ العُقارِ تُدارُ

١٤ قبلات بوارق

قال الشريف الرضي:

بِتْنا ضَجيعَيْنِ في ثَوبَيْ هَوىً وتُقَىً　　يَلُفُّنا الشوقُ مِنْ فَرْقٍ إلى قَدَمِ

الفرق: الخط في وسط شعر الرأس

وأمسَتِ الريحُ كالغَيْرَى تُجاذِبُنا　　على الكثيبِ فُضولَ الرَّيْطِ واللِّمَمِ

الريح كأنها تغار منا فهي تجذب فضول، أي أطراف، الريط، أي الثياب، واللمم، خصلات الشعر

يَشي بِنا الريحُ أَحْياناً، وآوِنَةً　　يُضيئُنا البَرْقُ مُجْتازاً على إِضَمِ

الريح يخبر عن مكاننا لأنه ينشر العطر، والبرق القادم من جبل إضم في الحجاز يكشفنا

وباتَ بارِقُ ذاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لي　　مَواضِعَ اللَّثْمِ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

ولمعان أسنان الحبيبة يبين لي أماكن اللثم، أي التقبيل في الظلام الدامس

١٥ نسيم كاظمة

الحسن بن مهيار الديلمي:

يا نَسيمَ الريحِ مِنْ كاظِمَةٍ　　شدَّما هِجْتَ البُكا والبُرَحا

كاظمة: الكويت حالياً، البرح: العذابات

يا نَداماايَ بِسَلْعٍ هل أرى　　ذلكَ المَغْبَقَ والمُصْطَبَحا؟

سلع: موضع بالحجاز، المغبق: مكان الجلوس عشيةً، والمصطبح: مكان الجلوس صباحاً

اذكُـرونـا ذِكْـرَنـا عَـهْـدَكُـمُ رُبَّ ذِكـرى قَـرَّبَـتْ مَـنْ نَـزَحـا
اذكُـروا صَـبّـاً إذا غَـنَّـى بِـكُـمْ شَـرِبَ الـدمـعَ ورَدَّ الـقَـدَحـا

١٦ عيرتني بالشيب

أبو عبد الله الزنجفري:

عَـيَّـرَتْـنـي بـالـشَّـيْـبِ وَهْـوَ وَقَـارُ لـيـتَـهـا عَـيَّـرَتْ بِـمـا هُـوَ عَـارُ
إن تَـكُـنْ شـابَـتِ الـذَّوائِـبُ مِـنّـي فـالـلـيـالـي تُـشـيِـبُـهـا الأَقْـمـارُ

يقولها ناظم الغزالي «فالليالي تزيلها الأقمار»، ولا بأس بها، ولو قال «تنيرها» لكان أفضل

١٧ الغريب

أبو يعلى محمد بن الحسن البصري:

إنَّ الـغـريـبَ بـحـيـثُ مـا حَـطَّـتْ ركـائِـبُـهُ ذَلـيـلُ
ويـدُ الـغـريـبِ قـصـيـرةٌ ولِـسـانُـهُ أبـداً كـلـيـلُ
والـنـاسُ يـنـصُـرُ بـعـضُـهُـمْ بـعـضـاً، ونـاصِـرُهُ قَـلـيـلُ

اتفق معي أحمد عبد الرحيم في تسويد هذه الأبيات، وقد يتفق معنا ٣٠٠ مليون عربي يعانون من غربة في أوطانهم، وملايين أخرى تعاني غربة في غير أوطانها، ونكتب في مطلع سنة ٢٠١٧، فإن عاش هذا الكتاب بضع سنين أخرى فالأمل أن يقول القارئ لي ولصاحبي: لا تقلقا، قد وجد العرب طريقهم إلى السعادة!

١٨ عناق

أبو الجوائز الحسن بن علي الواسطي:

واعتَنَقْنا ضَمّاً يذوبُ حَصَى اليا قـوتِ مـنـهُ وتَـطـمَـئِـنُّ الـنـهـودُ
ثـم هـبَّـتْ رُوَيْـحَـةُ الفجرِ، والـكـا شِـحُ نَـاءٍ، والـعـاذِلاتُ رُقُـودُ

رويحة: ريح خفيفة

١٩ كافور التجارب

أبو علي بن شبلٍ البغدادي:

قـالـوا: الـمَـشـيبُ، فـقـلـت: صبـ ـحٌ قـد تـنَـفَّـسَ فـي غَـيـاهِـبْ

إن كـــانَ كـــافُـــورُ الـــتَّـــجـــا رِبِ ذُرَّ فـي مِـسْـكِ الـذّوائِـبْ..

الكافور: ذرور أبيض، الذوائب: خصلات الشعر

فــالــلــيــلُ أحــسَــنُ مــا يــكــو نُ إذا تَـرَصَّـعَ بِـالـكـواكِـبْ

٢٠ شقيق البدر

ابن بحر البغدادي:

خليليَّ ما أحلَى صَبوحي بِدجْلَةٍ وأطيبُ منهُ بِالصَّرَاةِ غَبُوقي

الصبوح: شرب الصباح، والغبوق: شرب المساء، الصراة: موضع على نهير في بغداد

شربتُ على الماءَيْنِ مِنْ ماءِ كَرْمَةٍ فـكـانـا كَـدُرٍّ ذَائـبٍ وعَـقـيـقِ

شرب شراباً أبيض كأنه اللؤلؤ الذائب، وشراباً أحمر كحجر العقيق

عـلـى قَـمَـرَيْ أُفْـقٍ وأَرضٍ تَـقـابَـلا فمِنْ شائقٍ حُلْوِ الهوى ومَشُوقِ

قمر السماء شائق، يجعلني اشتاق، وقمر الأرض مشوق، مشتاق إليّ

فـمـا زِلْـتُ أَسـقـيـهِ وأَشـرَبُ رِيـقَـهُ وما زال يَسقيني ويَشرَبُ رِيقي

فقلتُ لِبدْرِ التِّمِّ: تعرفُ ذا الفَتى؟ فقال: نعمْ، هذا أخي وشَقيقي

٢١ صَرَّدُرَ بن صَرَّبَعْر

الشريف أبو جعفر بن البياضي، يهجو الشاعر صَرَّدُر، وكان لقب أبيه صَرَّبَعْر:

لـئـن نـبـزَ الـنـاسُ قِـدْمـاً أَبـاكَ فَـسَـمَّـوْهُ مِـنْ شُـحِّـهِ صَـرَّبَـعْـرا

نبزوه: لقبوه لقب ذم، صر بعراً: وضع البعر في صرة حفاظاً عليه لشدة بخله

فــإِنَّــك تَــنْــثُــرُ مــا صَــرَّهُ خِـلافـاً لـه وتُـسَـمِّـيـهِ شِـعْـرا

٢٢ عاشق بغداد

أبو سعد الحسن بن العلا (البغدادي) الموصلاني:

خـلـيـلَـيَّ إنِّـي كـلَّـمـا ذَرَّ شَـارِقٌ يَـزيـدُ إلـى أرضِ الـعراقِ حَنينـي

ذر شارق: طلعت الشمس

وإن قـابَـلَـتْـنـي نـفـحَـةٌ بَـابِـلِـيَّـةٌ تَنِمُّ بِما تُخفي الضُّلوعُ شُؤُوني

نفحة بابلية: ريح قادمة من بابل بالعراق، شؤوني: مجاري الدمع في عينيّ

فَمَنْ مُخْبِرٌ أهلَ العراقِ بأنَّني أبِيتُ ومكنونُ الهمومِ قَريني؟
وإنِّيَ مُذْ شَطَّتْ بيَ الدارُ عنهُمُ أخو قَلَقٍ ما ينقضي وأنينِ

شطت: نأت وبعدت

أُناجي بَناتِ الشوقِ حتى يقالَ لي: به خُلْطَةٌ مِنْ عارِضٍ وجُنونِ

خلطة: اختلاط عقل، العارض: النوبة من صرع أو غيره تعرض للمرء

وما بيَ إلّا حُبَّ بغدادَ عَارِضٌ وحَسْبِيَ مِنْ دَاءٍ بذاكَ دَفينِ
أقولُ وأسبابُ الهوى تستَفِزُّني وقد شَرِقَتْ بالدمعِ ذاتُ مَعينِ

ذات معين: العين التي دمعها سيال

على سَاكِني الزَّوْراءِ ما هَبَّتِ الصَّبا تحيةُ مَقْروحِ الفؤادِ حَزينِ

الزوراء: لقب بغداد

٢٣ تزوير كلام

أبو طالبٍ حمزة بن غاضرة الأسدي البغدادي:

أصبحتُ في الحبِّ كما قد ترى مُعَذَّباً ما بينَ عُذَّالي
أُعِدُّ ما شِئتُ ليوم اللِّقا مِ الآنَ مِنْ قيلٍ ومِنْ قالِ
حتى إذا أبصَرْتُهُ مُقبِلاً لم يَخْطُرِ العَتْبُ على بالي

٢٤ الصدارة

أبو القاسم ابن أبي العلاء الأصفهاني:

إذا اجتمعْتُ بأهلِ الفضلِ مَيَّزَني سَرْوِي وإن كان سقفُ البيتِ يَجْمَعُنا

السرو: الشرف الرفيع

فلا يَروُعَنْكَ أثوابٌ لَهُمْ وكُسَىً ولا يَهُولَنْكَ ألقابٌ لَهُمْ وكُنَى
لا تَحْسَبِ الصَّدْرَ حيثُ الدَّسْتُ مُطَّرَحٌ إذا حَضَرْتُ فإنَّ الصَّدْرَ حيثُ أنا

الدست: ما يجلس عليه صاحب الأمر والنهي من سرير أو وسادة أو كرسي

٢٥ المسألة الزنبورية

الكِيا الأَصْفَهْدَوَسْتُ الديلمي:

يا طالِبَ التزويجِ إنكَ بِالذي تَبغيهِ مِنهُ جاهِلٌ مَغرورُ
هل أبصرتْ عيناكَ صاحبَ زوجةٍ إلَّا حزيناً ما لَديْهِ سُرورُ؟
لا تبغِ في الدنيا نِكاحاً لازماً وافعلْ بِها ما يفعَلُ الزُّنْبورُ
إذْ ما تَراهُ حين يُدْرِكُ فُرصةً يَدنُو ويَلْسَعُ لَسْعةً ويطيرُ؟

٢٦ سعادة السفيرة

الوزير أبو سعدٍ منصور بن الحسين الآبي:

أيا رَبْعَ عَلْوَةَ بالمُنحَنى أأنتَ بِها مُغْرَمٌ أم أنا؟
يخاطب محل المحبوبة علوة الراحلة، لماذا أنت قد بليتَ وهزلت؟ أأنت المغرم بها أم أنا؟

ويا طَلَلَ الحيِّ ما بالُنا لَبِسْتَ البِلَى ولَبِسْتُ الضَّنَى؟
أنت بليت تركاً وأنا مرضت عشقاً

أَتَتْنيِ فقالتْ لِأترابِها: لَنِعْمَ الفتَى إن ثَوى عندنا
فقلتُ لها: أينَ مَغْناكُمُ؟ فقالت، ونَحْنُ بِحُزْوَى: هُنا
ولكنَّ مِنْ دونِنا باسِلاً يَغارُ علينا إذا زُرْتَنا
تحذره من شاب شديد قوي من قومها

فَسَاوِرْ إذا جئتَ جُنْحَ الظلامِ فإمَّا علينا وإمَّا لنا
ساور: هاجم وواثب

فلما امتَطَيْنا إليها الدُّجى دُفِعْتُ إلى تِربِها مَوْهِنا
لما ركبت الظلام إليها جيء بي موهناً ليلاً إلى صديقتها

وقَامَتْ تَجُرُّ فُضولَ الرِّداءِ وتَسْفُرُ لِلوَصْلِ ما بَيْنَنا
مشت تجر ذيول ردائها وتقوم بدور السفيرة لتصل بيني وبين المحبوبة

٢٧ القلزم

السيد الأجل المرتضى ذو المجدين أبو الحسن المطهر بن علي:

جانِبْ جَنابَ البَغْيِ دَهرَكَ كُلَّهُ واسْلُكْ سبيلَ الرُّشْدِ تَسْعَدْ والزَمِ

مَــنْ وَسَّــخَــتْــهُ غَــدْرَةٌ أو فَــجْــرَةٌ   لـم يُـنْـقِـهِ بِـالـرَّحْـضِ مَـاءُ الـقُـلْـزُمِ

الرحض: الغسل، القلزم: البحر الأحمر

٢٨ الدنيا والأخرى

أبو هلالٍ العسكري:

ما بالُ نفسِكَ لا تَهوَى سَلامَتَها   وأنتَ في عَرَضِ الدنيا تُرَغِّبُها

أراكَ تطلُبُ دنيا لستَ تُدرِكُها   فكيفَ تُدْرِكُ أخرى لَسْتَ تَطلُبُها؟

تسويد أ. عبد الرحيم

٢٩ قعيد الدكان

وقال:

جُلُوسِيَ في سوقٍ أبيعُ وأشتري   دليلٌ على أن الأنامَ قُرودُ

ولا خيرَ في قومٍ يَذِلُّ كِرامُهُمْ   ويَعْظُمُ فيهِمْ نذلُهُمْ ويَسودُ

ويَهجُوهُمُ عَنِّي رَثَاثَةُ كِسْوَتي   هِجاءً قبيحاً ما عليهِ مَزيدُ

٣٠ الافتداء من الشعراء

أبو الفرج بن أبي سعد بن خلف:

عندي يَواقيتُ الكلامِ ودُرُّهُ   وعَلَيَّ إكْليلُ القَريضِ وتَاجُهُ

وعَداوةُ الشعراءِ دَاءٌ مُعْضِلٌ   ولقد يَهونُ على الكريمِ عِلاجُهُ

يعالج الكريم عداوة الشعراء ببذل ماله.. وهذا وضع أفضل من وضع الصحفيين الحالي في بلدان كثيرة.. حيث لم يعد الصحفي قادراً على تهديد الحاكم بنشر تقارير صادقة أو كاذبة تفضحه.. هو موظف عند الحاكم، أو سجين في حبسه، أو مشرد في أوروبا

٣١ دوزان

عبد القاهر الجرجاني:

وقد يَستَقيمُ المرءُ فيما يَنوبُه   كما يَستَقيمُ العُودُ مِنْ عَرْكِ أُذْنِهِ

العود ينضبط ميزانه بالملاوي التي تشد الأوتار، والمرء ينضبط سلوكه عندما تفرك المصائب أذنه

ويَرجَحُ مِنْ فضلِ الكَمالِ إذا مَشى كما رَجَحَ الـمِيزانُ مِنْ فَضْلِ وَزْنِهِ

كفتا الميزان القديم تتقلقلان حتى إذا وضع فيهما ثقل استقرتا، والمرء يصبح رزيناً بثقل الصفات الحميدة

٣٢ توثب

أبو سعدٍ محمد بن عبد الرحمن الصيدلاني (الجرجاني):

إن الـبـراغـيـثَ بِـالـلَّـيـالـي إذا تَـوَثَّـبْـنَ فـي الـقِـتـالِ

لَـمُـشْـبِـهـاتٌ عـلـى فِـراشـي بَـزْرَقَـطُـونـاً عـلـى الـمَـقَـالـي

البَزْرَقَطُون: أو بِزْرُ القَطُونَا، من البذور العلاجية

٣٣ غالباً سيموت

الحاكم أبو الفضل علي بن أحمد الزيركي الاستراباذي:

هجَرتَ الصديقَ الفقيرَ العليلا وقـلـتَ: الـذي نـالَـهُ لـن يَـزُولا

وأعـرضْـتَ إعـراضَ مُـسْـتَـحْـقِـرٍ ومَنْ ذا يُجِلُّ الفقيرَ الـمُعيِلا؟

وحَـدَّثْـتَ نـفـسَـكَ أنِّـي أمـوتُ ولـن يَـتَـعَـدَّى الـمنُونُ العَـلـيـلا

أهملت عيادتي في مرضي لأنني فقير، ولأنك ظننت أنني سأموت في هذه المرضة فلا لوم عليك في ترك الزيارة

فَـتُـلْـغَـى الـعِـيـادَةُ والإعْـتِـذارُ إذا سَـتَـرَ الـتُّـرْبُ هـذا الـخـلـيـلا

ولـمَّـا سَـمِـعْـتَ بِـأنِّـي بَـرِئْـتُ وأَبْـلَـى الإلَـهُ بَـلاءً جـمـيـلا

لما سمعتَ أنني شفيت وأبلى الله معي بلاء حسناً، أي أنعم عليّ

قَـلَـبْـتَ الأمـورَ لِـتَـحْـتَـالَ فـي مَـعـاذِرَ تُـسْـلـي فـؤاداً نَـحـيـلا

أصبحت تلتمس المعاذير لكي أنسى سوء فعلك

وأَظْـهَـرْتَ أنـكَ ذُو عِـلَّـةٍ بِعَيْنَيْكَ، حَاشاكَ مِنْ ذاكَ قيلا

وقلت إنك ذو مرض في عينيك؛ ولكن، حاشاك ذاك قيلاً، دع عنك هذا القول

وأَهْـدَيْـتَ أبـيـاتَ مُـسْـتَـغْـفِـرٍ وظَـبـيـاً مَـلـيـحاً رَشِيـقـاً كَحيلا

فَـأَغْـضَـيْـتُ عـمَّـا تَـجَـنَّـيْـتَ إذْ بَـعَـثْـتَ بِـظَـبْـيٍ مَـلـيـحٍ رَسُـولا

أغضيت، أي تغاضيت، عن جنايتك لأنك بعثت أبيات الاعتذار مع غلام وضيء الوجه

٣٤ بازٍ وهدهد

أبو البدر المظفر:

لا تنكِري يا عَزُّ إنْ ذَلَّ الفَتى ... ذو الأصلِ واسْتَعْلَى لئيمُ المَحْتِدِ

المحتد: الأصل

إنَّ البُزَاةَ رؤُوسُهُنَّ عَواطِلٌ ... والتَّاجُ مَعقودٌ بِرأسِ الهُدْهُدِ

البزاة: من الطيور الجارحة. تسويد أ. عبد الرحيم

٣٥ رثاء أم

وقال أبو الحسن البلخي يرثي والدته:

لَحا اللّهُ ذي الدنيا مَراداً ومَنزلاً ... فما أغدَرَ المَثوى وما أَوْبَأَ المَرعَى

لعن الله الدنيا مراداً، مطلباً، فما أغدر المثوى، المكان، وما أوبأ المرعى، ما أكثر ضرره

تَدَلَّلُ كالحسناءِ في حُسْنِ وجهِها ... ولكنَّها في قُبحِ أفعالِها أَفْعى

٣٦ عندما باض الطموح

عميد الملك أبو نصرٍ منصور بن محمد الكندري:

الموتُ مُرٌّ ولكِنّي إذا ظَمِئَتْ ... نفسي إلى العِزِّ مُسْتَحْلٍ لِمَشْرَبِهِ

أستحلي شرب الموت في طلب العز

رِيَاسَةٌ بَاضَ في رأسي وَساوِسُها ... تَدُورُ فيهِ وأَخْشَى أنْ تَدورَ بِهِ

كل الساسة باض في رؤوسهم حب الرئاسة ودار «في» هذه الرؤوس، وبعضهم يدور حب الرئاسة «بـ» رؤوسهم ويفقدهم توازنهم. كل الساسة تدور في رؤوسهم وساوس الرئاسة: بعضهم لا يكون طموحه مقروناً برؤية ومن هؤلاء معظم قادة الانقلابات، وبعضهم يريد تحقيق شيء للآخرين بالإضافة إلى الطموح الشخصي وهؤلاء تجدهم، وليس بكثرة، في النظم المستقرة. «تعليق أ. عبد الرحيم: «قال بعض كبار السادة الصوفية: «آخر ما يخرج من قلوب الأولياء حب الرئاسة»».

٣٧ لبن أمها على فمها

أبو عبد الرحمن بن أبي بكرٍ البلخي:

ظَلَّتْ تَصيدُ لَبيبَ القومِ لَحْظَتُها ... وبَعدُ مِنْ شَفَتَيْها يَرشَحُ اللَّبَنُ

منذ صغرها، ومنذ حليب أمها على فمها، وهي تصيد قلوب عقلاء القوم بلحظتها، أي بنظرتها

كَتَمْتُ حُبِّي. ومَنْ نَمَّتْ مَدامِعُهُ فَسِرُّهُ أبداً بينَ الوَرى عَلَنُ

٣٨ مسبِّع الكافات

أبو نصرٍ أحمد بن إبراهيم، الطالقاني:

اليومَ قُرٌّ وعِندي مِنْ مَصالِحِهِ سَبْعٌ تُقَلِّمُ نابَ البَرْدِ إنْ نَهَسا

اليوم قر، برد، وعندي مما يصلح لهذا اليوم أشياء تقلم نياب البرد إن نهس جسمي، أي نهشه

حُروفُ كافاتِها فيها مُقَدَّمَةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَها في السَّطْرِ أو دَرَسا

وكلها تبدأ بحرف الكاف، فالكافات مقدَّمة

كِنٌّ وكيسٌ وكانُونٌ وكأسُ طِلا مَعَ الكَبابِ وكش نَاعِمٌ وكُسَا

الكن: المنزل، الكيس: كيس مال، الكانون: الموقد، كأس الطلا: كأس الخمر، الكسا: الثياب، والكلمة التي لم نفسرها نتركها لك حتى تزيل نقاطها

٣٩ قصائدي أولادي

محمد بن عبد الله الرَّزْجاهي:

وقالوا: عَزيزٌ أن نَراكَ مَعَ الكِبَرْ بِلا وَلَدٍ أُنثَى ولا وَلَدٍ ذَكَرْ
وذِكْرُ الفَتى يبقَى له بعدَ موتِه، فقلتُ: دَعوني، إنَّ ذا كلَّهُ سَمَرْ

كله سمر: كله مجرد أحاديث لا قيمة لها

ونَسلي إذا ما مُتُّ غُرُّ قَلائِدٍ بَثَثْتُ مِنَ المَنْظُومِ والعِلْمِ والخَبَرْ
خَوالِدُ لا أخشَى عليْهِنَّ ميتةً إذا خيفَ موتٌ أو عُقوقٌ مِنَ البَشَرْ

٤٠ الملك الأسير

أبو القاسم الفياض بن علي الهروي:

وقَصَّرَ لَمَّا أن رأى السيفَ قَيْصَرٌ وقد خَذَلَتْهُ خَيْلُهُ ومَواكِبُهْ
تَولَّى رجاءَ أن يَفوتَ بِنفسِهِ وأنَّى وبُرهَانُ الخليفةِ طَالِبُهْ؟

هرب الملك كي يفوت بنفسه، ينجو بها، وكيف له ذلك والذي يطلبه ويلاحقه إنما هو البرهان الذي يريده الخليفة على صحة عزمنا وصحة معتقدنا

ولا لومَ أن وَلَّى على الوجْهِ هَارِباً فذلكَ يومٌ لا يُعَنَّفُ هَارِبُهْ

لا لوم عليه فاليوم، أي المعركة، عنيفة جداً

فلمْ تُغْنِ عنهُ في الوُقوفِ سُيوفُهُ　　ولـم تُنْجِهِ عنـدَ النَّجَـاءِ نَجائِبُهْ

لم تنجه عند النجاء، الركض، نجائبه، خيوله وإبله النجيبة الكريمة

ومَنْ يَرْكَبِ البحرَ الخِضَمَّ طَمَى بِه　　عُبابٌ وأَنَّى يَأْمَنُ البَحرَ رَاكِبُهْ؟
فلمَّا دَنَا مِنْ مجلسِ المَلْكِ خُطْوَةً　　وبيـنَ يَـدَيْـهِ تَـرْجُـمـانٌ يُـخَاطِبُـهْ
تَـعَـفَّـرَ مِـنْ مَـسِّ الـتُّـرابِ جَـبِـيـنُـهُ　　وقد عـاشَ دَهـراً مـا تَـعَـفَّـرَ حَـاجِـبُـهْ
وأَهْوى لِوَجْهِ الأرضِ لَثْماً وقد بَدا　　لـه يـومُ بُؤْسٍ كَالِحُ الوَجْهِ قَاطِبُهْ

أخذ يلثم، أي يقبل، الأرض، وقد كان يومه كالحاً عابساً ومقطباً

فـلـمْ يَـرَهُ الـسلـطـانُ أَهْـلاً لِعَـتْـبِـهِ　　وقد كان حقّاً في الهُدَى لو يُعَاتِبُهْ
ومَـنَّ عـلـيـهِ بِـالـحـيـاةِ تَـكَـرُّمـاً　　عَـشِـيَّـةَ أَظْـفـارُ الـمَـنـونِ تُـنَـاشِـبُـهْ

٤١ إليَّ إليّا

الخطيب أبو يعلى القرشي الهروي:

ليس يَنفِي الـهُمومَ غيرُ الـحُمَيَّا　　فَاسقِيانِي مِنْ كَفِّ طَلْقِ الـمُحَيَّا

الحميا: الخمر

ذَكِّـرانِـي بِـهـا نَـسِـيـمـاً وورْداً　　ودَعـانِـي مِـنْ ذِكْـرِ سُـعْـدَى ورَيَّـا
قـد دَعَـوْتُ الـغـلامَ ثُـمَّـتَ نَـادِيـ　　ـتُ أَدِرْهَـا ولا تُـبَـقِّ عَـلَـيَّـا
ومـتَـى عَـافَ واحِـدٌ مِـنْـهُـمُ الـكَـأْ　　سَ فَـأَقْـبِـلْ بِـهـا إلـيَّ إلـيَّـا
فَـتَّـرَتْ مُـقْـلَـتِـي وأَوْدَتْ بِـلُـبِّـي　　وسَـرَتْ فـي الـعِظَـامِ شيـئاً فَشَيَّـا

٤٢ دفاع الكأس

الأمير أبو أحمد خلف بن أحمد السجري:

يقولونَ: لا تَشْرَبْ ولَسْتُ بِصَخْرَةٍ　　مِنَ الصُّمِّ في وادٍ على نَشَزٍ وَعْرِ

النشز: الأرض الوعرة. من الأبيات التي نسبت لكثيرين، ويؤلمنا ألا نعرض لها، البيت: سَقَوْني وقالوا لا تُغَنِّ ولو سَقَوْا/ جبالَ حُنَيْنٍ ما سَقَوْني لَغَنَّتِ

وسترى في الأبيات الفرائد التي يكثر الناس من ترديدها الكثير مما قيل في عصور انحطاط الشعر العربي، وسبب ذيوعها أنها سهلة، ولكن البيت الذي ذكرناه قد يكون قديماً فقد جاء ذكره في العقد الفريد. ثمة بيت أتعب الناس في نسبته إلى قائل: بلادي وإن جارت علي عزيزة/ وأهلي وإن ضنوا علي كرام.. وتركناه بلا تشكيل.. طبعاً.. مثل هذا لا يحتاج

ولـكـنَّـنـي مِـنْ عُـصْـبَـةٍ آدَمِـيَّـةٍ　　كثيرُ هُمومِ القلبِ مُمْتَلِئُ الصَّدْرِ
فـلـولا دِفـاعُ الـكـأسِ عَـنِّـي وذَبُّـهـا　　لَذُبْتُ كما ذابَ اللُّجَيْنُ على الجَمْرِ

الذب: المحاماة، اللجين: الفضة

٤٣ تجمُّد الوحل

الأمير أبو إبراهيم نصر بن أحمد الميكالي:

يـا لِـبَـرْدٍ قـد أفْـقَـدَ الـمـاءَ حـتـى　　بِـلَّـةَ الـوحـلِ فـي طـريـقِ الـسُّـوقِ

من البرد تجمد الوحل وفقد البلل

يُـعْـهَـدُ الـمـاءُ بَـاثِـقـاً لِـسُـكُـورٍ　　وَهُـوَ الآنَ سَـاكِـرٌ لِـبُـثُـوقِ

في العادة فإن الماء يبثق السكور، يتدفق كاسراً السدود، وهو الآن يسد البثوق، أي التدفقات. السِّكر هو السد، وسكَّرَ أي سد وأغلق

جَمَدَ الدمعُ في الشؤونِ كما قد　　جَمَدَ الماءُ في مَسَاغِ الحُلوقِ

الشؤون: مجاري الدمع في العيون

٤٤ اسأل عليّ

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري:

يـا سـيِّـداً بِـالـمَـكْـرُمـاتِ ارْتَـدَى　　وانـتَـعَـلَ الـعَـيُّـوقَ والـفَـرْقَـدا

جعل الكواكب نعلاً له

ما لَكَ لا تَجْرِي على مُقْتَضَى　　مَوَدَّةٍ طالَ عليها المَدى؟
إن غِبْتُ لم أُطْلَبْ، وهذا سليـ　　ـمانُ بْنُ دَاودَ نَبِيُّ الهُدى. .
تَفَقَّدَ الطَّيْرَ على شُغْلِهِ　　فقالَ: ما لِي لا أرى الهُدْهُدَا؟

٤٥ الضاحك والباكي

أبو يوسف يعقوب بن أحمد:

رأيتُ عُبيدَ اللَّهِ يَضحكُ مُعطِياً　　ويَبكي أخوهُ الغيثُ عند عطائِه

جعل الغيث الماطر، رمز السخاء، أخاً للممدوح

وكم بين ضحَّاكٍ يَجُودُ بمالِه　　وآخرَ بَكَّاءٍ يجودُ بِمائِه

٤٦ حاجات الشباب

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري:

أقـولُ ونُـوَّارُ الـمشيـبِ بِعـارِضـي قد افْتَرَّ لي عن نابِ أَسْوَدَ سالِخِ

أقول وقد نور الشيب في عارضي، أخرج نوره كما يزهر الشجر في سالفي، وافتر لي، فتح فمه، عن ناب كأنه ناب أسود سالخ، ثعبان ممن يسلخ جلده ويخرج منه

أَشَيْباً وحَاجاتُ الشبابِ كأنَّها يَجيشُ بها في الصدرِ مِرْجَلُ طابخِ؟

أيأتيني الشيب ورغبات الشباب تعتمل في صدري كما تغلي قدر الطابخ؟

وما كُلُّ حُزني لِلشَّبابِ الذي هَوى بِهِ الشَّيْبُ عن طَوْدٍ مِنَ الأُنْسِ شَامِخِ

طود: جبل

ولكِنْ لِقولِ الناسِ: شَيْخٌ وليسَ لي على نائباتِ الدهرِ صَبْرُ الـمَشايِخِ

٤٧ رحيل مفاجئ

أبو نصر سعيد بن الشاه:

غـداً أُوَدِّعُ قـومـاً أَوْدَعُـوا كَـبِـدي ناراً، وعَهدي بِهِمْ بَرْداً على الكَبِدِ

أُبْدي التَّجَلُّدَ أحياناً فَيَنْهَرُني رِيقٌ يَجِفُّ، وخَدٌّ بِالدُّموعِ نَدي

لا أَنْسَ يوماً تَنازَعْنا حديثَ نَوىً وقَولَها وَهْيَ تَبكِي خَانَني جَلَدي

كُنَّا إلى الوَصْلِ أَخْلَدْنا فَنَغَّصَهُ هذا الرحيلُ الذي ما دارَ في خَلَدي

٤٨ ألوان

أبو القاسم عبد الصمد بن علي الطبري:

حَمِّرْ يَدي بِالكَأْسِ فَالرَّوْضُ مُخْـ ـضَرُّ الرُّبا قبلَ اصْفِرارِ البَنانْ

اصفرار البنان كناية عن الموت

٤٩ بعض اشتفاء

أبو الحسن علي بن أحمد الزواهي:

وإِنِّـي لَآتـي قَـبـرَ أُمِّـي فَـأَشْـتَـفـي بِـرُؤْيَـتِـهِ، والـوَجْـدُ فِـيَّ شَـديـدُ

كـمـا نَـظَـرَتْ حَـنَّـانَـةٌ نـحـوَ بَـوِّهـا تَـسَـلَّـتْ بِـهِ والـسَّـقْـبُ مِـنْـه بَـعـيـدُ

أكون كناقة حنانة تصدر صوتاً يسمى «الحنين» وهي تقترب من البو، وهو جلد فصيلها المذبوح وقد حشاه القوم بالقش ليوهموا الناقة بأنه حي فيدر لبنها عليه، وأما سقبها، أي فصيلها، فليس هناك

٥٠ المادح الهاجي

محمد بن علي (السويري) الظفري:

لا تَـأْمَـنِ الـنَّـفْـثَـةَ مِـن شـاعـرٍ ... مـا دامَ حَـيّـاً عـاقـلاً نـاطِـقـا
فـإنَّ مَـنْ يَـمْـدَحُـكُـمْ كـاذبـاً ... يُـحْـسِـنُ أنْ يَـهْـجُـوَكُـمْ صادِقـا

٥١ يا واحدي

أبو خداش محمد بن سعيد بن ميسرة:

يا وَاحِدي أصبحتُ بعدَكَ واحداً ... لـولا الإلـهُ الـمستعـانُ الـواحـدُ
مـاذا أردتَ إلـى أبـيـكَ بِـتـركِـهِ ... يبكـي العـدوُّ له ويَـرثـي الحـاسِـدُ
أَلِفَ الـمقـابِرَ بعـدَ فَـقْـدِكَ وَحْشَـةً ... لـو كـانَ يَـأْنَـسُ بِـالـمقـابِـرِ فَـاقِـدُ
يَـدعـوكَ مِـنْ يَـأسٍ ولسـتَ تُـجيبُـه ... وَهُـوَ القَـريبُ وسَمْعُكَ الـمُتباعِدُ

٥٢ المرازبة

أبو نصر أحمد بن ابراهيم الكاتب:

وخمرٍ كعينِ الدِّيكِ صِرْفٍ، دِنانُها ... مَـرازِبَـةٌ مِـنْ آلِ كِـسـرى مَـواثِـلُ

الخمر صافية كعين الديك، ودنانها، أي خوابيها الكبيرة، كأنها مرازبة كسرى، قادته، مواثل، حاضرين واقفين

عَـلَيْهِـنَّ مِنْ طِيـنِ الـخِـتـامِ عَـمـائِـمٌ ... ومِنْ نَسْجِ غَزْلِ العنكبوتِ غَلائلُ

غلائل: برود خفيفة

٥٣ القَوْراء

أبو العباس محمد بن ابراهيم الكاتب:

دارٌ حَـكَـتْ صَـدْرَ رَبِّـهـا سَـعَـةً ... تُـسـافِـرُ الـعـيـنُ فـي نَـواحـيِـهـا

أوسع دار في الدنيا اليوم، ونكتب في عام ٢٠١٦، هي قصر «نور الإيمان» مقر سلطان بروناي. ومساحتها ٢٠٠ دونم، أي نحو ٥٠ فداناً بدون الحدائق. هل كتبت لك هذه الملاحظة كي تترك كتابي وتذهب للإنترنت؟

٥٤ الفيوج

أبو سعيد المعروف بالأسود الزوزني:

تَمَنَّى أبُو العبَّاسِ لو أنَّ دُبْرَهُ   طَرِيقُ بُخَارَى والفُيوُجُ أُبورُ

الفيوج: حاملو الرسائل، وما يتلوها من كلام فيه تصحيف

فيَدخُلُ أبر ثم يَخْرُجُ آخرٌ   وبعضُ أمانِيِّ الرجالِ غُرورُ

٥٥ ضيق الصدر

أبو بكر المعروف بكَوَرْخَر:

تَأَوَّبَني مِنْ حُبِّ أَسماءَ أَوْلَقُ   عِشاءً إلى أن كادَتِ الشمسُ تُشرِقُ

تأوبني: انتابني، أولق: جنون

وما في طُلوعِ الشمسِ كشفٌ لِكُرْبَةٍ   ولكنَّ صَدْرَ المرءِ بالليلِ أَضْيَقُ

تسويد أ. عبد الرحيم

٥٦ تارك الزيارة

القاضي أبو جعفر محمد بن اسحق البحائي:

تركْتُ الزيارةَ لا عن قِلَىً   وعِفْتُ التَّواصُلَ لا عن سُلُوّ

القلى: الصدود، السلو: النسيان والانصراف عن العشق .

ولكنْ نَهانِيَ عن أنْ أَزُورَ   حَياءُ الصديقِ وخَوفُ العَدُوّ

٥٧ غربة وحسبة

وقال:

لَمَّا رأيتُ الفقرَ ينزلُ بالفتى   تحتَ الثَّرى، ومَحَلُّهُ الجَوْزاءُ . .

لما رأيت الفقر يلصق الإنسان بالتراب ويذله، مع أن الفتى عالي القدر ومنزلته عند نجوم الجوزاء . .

فارقْتُ قَومي أبْتَغي لَهُمُ عُلاً   يَسْمُو بها الآباءُ والأبناءُ
واختَرْتُ دارَ الإغْتِرابِ يُصيبُني   في غُرْبَتي السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ
إن نِلْتُ خيراً أُبتُ أَوْبَةَ غَانمٍ   أو مُتُّ لم يَشْعُرْ بِيَ الأعداءُ

٥٨ نزلت جداً

العميد أبو سهل محمد بن الحسن:

بَلَغْتُ جميعَ آمالِي فكادَتْ ... تَزولُ الأرضُ لو أنْ قُلتُ: زُولي
وجالَسْتُ الملوكَ على سَواءٍ ... ولو زَاحَمْتُهُمْ لَتَحَفَّزُوا لي

جالست الملوك على سواء، مساوياً لهم، ولو زاحمتهم لتحفزوا للتصدي لي

وكنتُ مِنَ الخِدَاعِ أَطيرُ زَهْواً ... إلى أنْ حَانَ لي حينُ النُّزولِ
فلمَّا أن نزلْتُ، نزلْتُ جِدّاً ... وهل بعدَ النزولِ سوى النزولِ

٥٩ أيضاً

أبو سهل أحمد بن الحسن:

يَعلمُ اللَّهُ أَنَّني بِكَ صَبٌّ ... مُستَهامٌ وأنتَ تَعلَمُ أَيضَا

أَهُمْ على حق إذ قالوا إن «أيضاً» ما دخلت شعراً إلا أفسدته؟

٦٠ السلم الهجائي

أبو عمر الماثيرْناباذيّ:

لنا في صُحْبَةِ الأَنْذَالِ سَمْتٌ ... وفي حَمْلِ الأذى والصَّبرِ نَهْجُ

سمت: طريقة

فلا نَتَعَجَّلُ الشَّكْوى، ولَكِنْ ... نُعاتِبُ ثم نَغضَبُ ثم نَهجُو

٦١ التسريح

وقال:

لقد مَنَّيْتَنيِ الإحسا ... نَ تَعريضاً وتَصْريحا
وكانَ الوعدُ يا مَوْلا ... يَ في كِلْتَيْهِما رِيحا
وقد قَتَّلْتَنيِ واللـ ... ـهِ تَعذيباً وتَبْريحا
فإنْ لم تَنْوِ إمْسَاكاً ... بِمَعْرُوفٍ.. فتَسْرِيحا

من الآية: «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»

٦٢ قلبي على ولدي

كتب أحمد بن محمدٍ القائني إلى ابنه:

سَـلامٌ ورَيْـحـانٌ ورَوْحٌ وراحَـةٌ على الوَلَدِ الـمَرْضِيِّ عندي أبي نَصْرِ

روح: راحة

فيَا لَيْتَني أَلْقى صباحاً طُلُوعَهُ ونُمسي ونَغدُو سَالِمَيْنِ مِنَ الهَجْرِ
ويا لَيْتَني أَحْيَا إلى وقتِ عَوْدِهِ ويا لَيْتَهُ يَحيَا إلى آخرِ الدَّهْرِ

٦٣ الإنصاف

أبو نصر المساح القائني:

إن الفَتَى كلَّ الفَتى مَنْ لم يُذِعْ أَسرارَ يومِ الودِّ يومَ خِلافِ
فعَليْكَ بِالإِفْضالِ ثم إنِ الْتَوَتْ أَسبابُهُ فعليكَ بالإِنصافِ

٦٤ الغانيات

أبو منصور عبد الرحمن (بن محمد) ابن سعيد:

خُلَّةُ الغَانِياتِ خُلَّةُ سَوْءٍ ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾
وإذا مَا سَأَلْتُمُوهُنَّ شيئاً ﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾

٦٥ الخبر الجميل

أبو طالبٍ محمد بن أحمد (العلوي) الحسيني:

لا تَلْحَقَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سائلٍ فَدوامُ عِزِّكَ أن تُرى مَسؤُولا
واعلَمْ بِأَنَّكَ عن قَليلٍ صَائِرٌ خبراً، فكُنْ خَبراً يَروقُ جَميلا

٦٦ سوسة الدفاتر

أحمد بن فارس بن زكريا:

وقالوا: كيفَ حالُكَ؟ قلتُ: خَيْرٌ تُقَضَّى حَاجَةٌ وتَفُوتُ حَاجُ
إذا ازْدَحَمَتْ هُمومُ القلبِ قُلْنا عسى يوماً يكونُ لها انْفِراجُ
نَديمي هِرَّتي، وسُرورُ قَلبي دَفاتِرُ لي ومَعْشُوقي السِّراجُ

٦٧ أخلاقٌ ذهب

أبو حاتمٍ السجزي:

تَسمُو العيونُ إليهِ كلَّما انفَرجَتْ ... للناسِ عن وجهِهِ الأبوابُ والحُجُبُ
لـه خَـلائِـقُ بـيـضٌ لا يُـغَـيِّـرُهـا ... صَرْفُ الزمانِ كما لا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

فهرس القوافي، دمية القصر
(القافية، فرقم القطعة)

البهاء زهير
(٥٨١هـ ــ ٦٥٦هـ)

اشتغلت أياماً بشعر بعض الجاهليين والإسلاميين فأرهقتني لغتهم العتيقة وأتعبتني تفلية المعاجم، فقلت أُعطي نفسي إجازة. فهل أسافر وأسوح؟

لست أخا سياحة ولا صاحب متاحف ولا معالم. حططتُ يوماً على إستانبول ست ساعات بين طيرة وطيرة، فرأيت الإضاءة في المطار خافتة، فانقبضتُ، فاشتريت تأشيرة، ومضيت إلى المدينة. قصدت آيا صوفيا، واشتريت تذكرة دخول من كشك على مدخلها، ودخلت؛ اشرأببتُ ورأيت أسماء الراشدين، ثم أطرقت ورأيت تحت قدمي البلاط الحجري العتيق، ثم.. خرجت مسرعاً، وعند البوابة فتح صاحب الكشك كفَّيه رافعاً كتِفيه مستغرباً مستهجناً، يقول بلغة جسمه: دفعتَ كل هذه الليرات على خمس دقائق!

ثم إني شربت قهوة، فقط كي أسجل في تاريخ حياتي أنني شربت قهوة تركية في تركيا، ولا أذكر من تلك القهوة إلا سعرها الغالي وفنجانها الأنيق، وأنا ـ وكثيرون غيري ـ يشربون الفنجان قبل القهوة، فالقهوة مشروب سخيف لا يعدل الدماغ ـ فتلك خرافة ـ ولا يُميله، إذ القهوة الأخرى هي التي تميله، فإذا قدمت قهوة البُنِّ في فنجان غريب فإنما تُشرب لفنجانها.

ورجعت إلى مطاري راضياً بكآبته، تاركاً إستانبول لمن حباهم الله موهبة الاستمتاع بالسياحة.

وقلتُ أكافئ نفسي، بعد ذلك الجهد مع الجاهليين والإسلاميين، بالإفراط في لعبة الحاسوب الأثيرة. فوجدتني مفرطاً فيها على كل حال حدَّ تقفُّع الأصابع.

فقلت: أشتغل بديوان بهاء الدين زهير. ففي هذا مكافأة.

لا تُكْذَبَنَّ يا قارئ، فأنا لست حلس كتب يجتوي ما في هذه الدنيا من ملاذّ. بل لست أعيش إلا كي أجمع اللذة، ـ كذا أقول: أجمعها جمعاً ـ وليس لي من مبتغى غيرها. قد يسمى هذا الضرب من البشر إبيقورياً، فاليوناني القديم إبيقور كان لا يريد من دنياه إلا حياة هادئة خالية من: الخوف، والألم، والقيد. وكان مرادف السعادة عنده: اللذة، ومرادف الشقاء: الألم. وزعم أن الآلهة لا تعذب أحداً بعد الموت، فالموت فناء.

فعلام والحالة هذه أشغل نفسي بالبهاء زهير، وأين اللذة في هذا؟

هذا شاعر صاحب صنعة. مضى الشعراء بعد أبي العلاء يصنعون ويصنعون، فتخشب الشعر. وجاء البهاء فلم ينحرف عن الصناعة، لكنه عابَثَ اللغة معابثة جميلة، ورق في لفظه، ورق في معانيه. وخلط صناعته بغير قليل من الفكاهة، وفتح قلبه. قصدت: قال الشعر من قلبه. قصدت: تحدث عن نفسه كثيراً. عن أخلاقه وعاداته، وعن لهوه وعن التماسة ملذات الحياة. كان صريحاً.

وماذا تريد، حضرتك، من الشاعر سوى ذلك؟

أَلانَ البهاء زهير الشعر، وكان خاتم الشعراء القدماء؛ فبعده جاء المغول في الشرق، والمماليك في الغرب، وسقط الشعر العربي ستمئة وخمسين سنة في وهدة الركاكة والخنوثة.

لم يكن البهاء صانعاً متجهماً متفلسفاً متصوفاً كسلفه ابن الفارض، ولا صانعاً يخفي وجهه وراء أقنعة المحسنات اللفظية والألاعيب اللغوية كخلفه صفي الدين الحلي. كان البهاء زهير صانعاً تلذك صنعته، لأنه جعلها وعاء للفكاهة. وكان يحكي عن نفسه، وكان يحب الحياة، ويقول ذلك. يجور على اللغة قليلاً إذا عنَّ له ظبي من ظباء الفكاهة الحلوة، ثم تعتدل اللغة على لسانه كأحسن ما يجب أن تعتدل. فالرجل متين اللغة.

إذا كنت ممن يرصف الشعراء في خانات بحسب العصور والدول على طريقة الأستاذ شوقي ضيف الذي علَّب لنا العصور الأدبية في كتب اتخذتها كليات الآداب في الجامعات العربية أناجيل، فافرح بالبهاء زهير فهو يؤرخ لك حقبة: هذا الرجل مات في السنة التي ماتت فيها الدولة العباسية. ماتت هي في

صفر ٦٥٦، ومات البهاء زهير في ذي القعدة ٦٥٦. مات وله خمس وسبعون سنة هجرية فقد ولد عام ٥٨١هـ.

كلمة إنصاف: شوقي ضيف علامة. ولن ترانا نصفه بالدكتور ـ وإن كانه ـ لأن آلاف الدكاترة الذين جاءوا بعده مرغوا اللقب في تراب التفاهة. هو شوقي ضيف فقط: المؤرخ الأدبي الفذ، الذي كان دارساً ومؤلفاً كبيراً. أتقن النحو وكتب في تيسيره وتجديده، وتبحر في علوم العربية وفي تاريخ أدبها، وله ذائقة طيبة، وكان جاداً، وأفدنا من كتبه كثيراً. لكننا لا نحب أن تطعم كليات الآداب العربية طلابها طعاماً واحداً، فلئن كان يمكن الإنسانَ أن يعيش على اللبن الحليب وحده، فطالب الآداب لا يعيش حياة فكرية نشطة على كتب شوقي ضيف وحدها.

حياة البهاء زهير (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) وأشياء أخرى

ولد في الحجاز، وههنا مشكلة له مع مؤرخي الأدب المصريين المعاصرين. فالرجل نشأ في قوص بالصعيد بين قنا والأقصر، فيها تربَّى وتعلم وقال الشعر ونبغ، وهو بهذا مصري الثقافة مصري الروح، ليس عندي في ذلك شك. وقد أساير إخوتي المصريين في أنه شرب روح الفكاهة في مصر، فالنكتة وعذوبة الروح وحلاوة الكلام لمصر، وهذا قدرٌ مقدَّر على غير المصريين من العرب، وعليهم أن يتدبروا أمرهم: ليغضب سائر العرب، وليسْعوا سعيهم في أن يساووا مصر في هذا، وليجتهد منهم من اجتهد في بث نفحاتٍ من غضبه وحسده وهو ينفي عن مصر ما هو ألصق بها من اسمها، ألا وهو روح النكتة، وليقل من شاء إن متانة اللغة وبلاغة القول موجودة في بلاد أخرى من بلاد العرب ـ وهذا حق ـ، فأما خفة الظل فهي لمصر. على أن أدباء مصر المعاصرين لم يُرضهم أن يكون البهاء زهير حجازياً نسباً ومولداً، قال شوقي ضيف إنه «يظن» أن البهاء مصري، وأنه ما ولد في الحجاز إلا لأن أهله كانوا هناك في الحج عندما ولدته أمه. واستشهد غيره ـ ومنهم مصطفى عبد الرازق ـ بأبيات للبهاء كثيرة لتثبيت مصريته.

هو مصري يا سادة. مصري بنشأته وبلغته، وفي شعره أكثر من دليل. ولا نلومكم على سعيكم في إثبات مصريته، فهو شاعر كبير، وهو مفخرة. وأنا نفسي رفعت رأسي وتبسَّمت رضا وزهواً عندما عرفت أن البهاء عاش في مدينتي

الصغيرة نابلس بفلسطين سنة أو أقل. لا بل صرت أنقب في شعره عن تعبير عامي يحسن أن أنسبه لمدينتي... سدى.

وفي دمشق قضى البهاء وقتاً، وفي القاهرة قضى سنوات. كان شاعرنا كاتباً وشبه وزير عند ملوك الأيوبيين، وكان الأيوبيون في زمنه يحكمون مصر والشام والحجاز واليمن وشمال العراق. وكانت هذه كلها بلاداً مفتوحاً بعضها على بعض، إلا ما كان يحتله الصليبيون بين حين وحين، وأمرهم عصرئذ إلى إدبار.

كانت «قوص» التي نشأ بها البهاء كرسي أدب وعلم، تأتي في ذلك الزمن بعد القاهرة فالإسكندرية (والحكم لشوقي ضيف، وأما الشيخ مصطفى عبد الرازق فجعل قوصَ ثانيةً بعد «الفسطاط» في ذلك الزمن). ولد البهاء زهير في مكة أو قريباً منها، وقال له أهله إن نسبَهم يرتفع إلى المهالبة (من الأزد)، ولن نخوض في نسب البهاء فلا نفع في هذا، ولم تكن مسألة النسب عند حكام البلاد من الأيوبيين ذات قيمة كبيرة، فهم أنفسهم غير عرب دماً، وإن نفى بعض متأدبي البيت الأيوبي ما قيل من أنهم أكراد، فقالوا بل نزلنا عند الأكراد فانتسبنا إليهم. نعم، ظل مثقفو ذلك العصر، حتى في مصر، يرون للنسب العربي بعض بريق، فصنعوا للأيوبيين نسباً قرشياً. على أن العصر في مجمله لم يكن عصراً يحتفل بالأنساب.

أحس البهاء وهو في الكُتَّاب بالزلزلة التي ألمت بالعالَم الإسلامي بموت صلاح الدين الأيوبي، وكانت «زلزلة» كما يصفها القاضي الفاضل، وقد هزت الشام حيث مات صلاح الدين وارتجَّت لها مصر الأيوبية. كان للبهاء من العمر ثماني سنوات. وكان صلاح الدين قد قسم مملكته بين أبنائه قبل موته. كان ولده العزيز عثمان يحكم مصر حتى في حياة أبيه الذي يجاهد في سوريا، وظل يحكمها. ومات العزيز عثمان ولشاعرنا أربع عشرة سنة. وحكم بعده ابنه المنصور ناصر الدين سنة، ثم تغلب على حكم مصر وغير مصر الملك العادل أخو صلاح الدين، وهو شيخ أريب راح يلملم أجزاء المملكة من أبناء صلاح الدين. وظل يحكم حتى بلغ السابعة والسبعين من العمر، ومات ولشاعرنا أربع وثلاثون سنة.

البهاء الآن رجل مكتمل الرجولة، وشاعر رقيق يعرفه الناس. لقد أمضى زمناً وهو يقول الشعر في الغزل ويصف ملذات الحياة، ويمدح والي قوص

اللمطي، ولعله سافر إلى دمشق ومدح بها الملك العادل، ولكنه ظل على اتصاله باللمطي حاكم قوص القوي، فقد كانت قوص بعيدة عن القاهرة، وكان السلطان العادل بعيداً في أوقات كثيرة عن مصر يوسع مملكته في الشرق، فلا غرو والأمر كذلك أن يكون والي قوص ذا نفوذ كبير.

كان البهاء يمدح والي قوص رفعَ عتْبٍ، ثم ينصرف سريعاً إلى أوراقه يخط فيها تلك الأبيات الخفيفة في وصف لذاته. كان موظفاً في ديوان الوالي يكتب له، ولكنه لم يكن رجل سياسة. ولعل اللمطي مل من هذا الشاعر الذي لم يكن يهتم بوظيفته كثيراً، فصرفه من خدمته. فترك شاعرنا قوص والصعيد، وسكن القاهرة. وأثبتنا له في مختاراتنا بيتين باردين في الحنين إلى الصعيد لسببين: أولاً حتى نريك أن الشاعر غير سكنه وذهب إلى القاهرة، والثاني حتى يكون لصعيد مصر شيء من الشعر القديم.

والبهاء زهير قليل الارتباط بالمكان، فموطنه هو المكان الذي يجد فيه العيش الناعم.

في القاهرة اتصل بالأمراء ومدح منهم من مدح. وظل يكتب قصائده الخفيفة التي هي أحلى شعره.

اتصل البهاء بالأمير نجم الدين بضع سنين. ثم صار الأمير ملكاً، وعرفه التاريخ باسم الملك الصالح، ولعلك تزداد به معرفة إن علمت أنه زوج شجرة الدر.

كان الملك الصالح، ذات سنة، في نابلس فخانه عساكره بدمشق فانطلق إليها لكنه أخفق في استرجاعها وتحالف عليه بعض أبناء عمومته ثم حبسوه في قلعة الكرك، بجنوب المملكة الأردنية اليوم، حبساً خفيفاً ربما لحمايته من خصوم آخرين أرادوا الفتك به. وتخلف البهاء زهير في نابلس، بفلسطين المحتلة اليوم، مقيماً بها، غير مقبل على خدمة أحد وفاءً لمليكه المحبوس.

ثم تخلص الملك من حبسه بعد أشهر وعاد إلى مصر ملكاً في عام ٦٣٧، فالتحق به البهاء زهير وله من العمر ست وخمسون سنة، وكانت له عند الملك الصالح مكانة جليلة.

يصف لنا ابن خلكان صاحب الوفيات لقاءه الحميم بالبهاء، ويطنب في مدح أخلاقه، ويروي أنه توسط لكثيرين عند الملك، وما كان يتوسط إلا في

الخير. ويبدو أن البهاء جمع شعر الشباب بنفسه على الحروف (تخبرنا بذلك نسخة نقل عنها إدورد هنري بلمر في طبعته للديوان بقمبرج «المحمية» ـ كيمبردج كما نكتبها اليوم ـ عام ١٨٧٦) وأنشد البهاء ابن خلكان الكثير من أشعاره وأجازه في روايتها، ولكن ابن خلكان قال لنا إن شعر البهاء موجود بأيدي الناس في نسخ كثيرة. وهذا دليل على شهرة البهاء في حياته. ولعلنا، إذ نرى شاعرنا قد لزم الملك الصالح سنوات كثيرة ثم لم نر له مدحاً يذكر في مليكه، نستنتج أن شيئاً من شعره قد ضاع، وأن النسخة المعتمدة ـ نسخة شرف الدين الموصلي ـ تستند كثيراً إلى شعر البهاء في شبابه، ثم تضيف على هذا الشعر أشياء منثورة من شعره في كهولته وشيخوخته. لا نحقق ذلك، ونبقى في مساحة الظن، فنحن لسنا ممن يعالج المخطوطات، ونترك لأهل الفراغ من الأكاديميين هذه المسألة غير نادمين على قصائد مدح للبهاء قد تكون ضاعت، فقيمة البهاء في غزله وإخوانياته لا في مدحه.

هاجم الفرنسيون مصر في عام ٥٤٧ ه، بعث لويس التاسع، «أمين الأمة العيسوية» كما يصف نفسه، رسالة تهديد إلى الملك الصالح، فبعث الصالح رده بقلم كاتبه البهاء زهير، وننقل رسالة الردّ لأنها كل ما وصلنا من إنشاء البهاء (أثبتها المقريزي، وأخذناها عن مصطفى عبد الرازق):

(بسم اللهِ الرحمنِ الرَّحيم، وصلواته على سيدنا مُحَمَّدٍ رسول للّهِ وآله وصحبه أجمعين. أما بعدُ، فإنه وصل كتابُك وأنت تهدِّد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك، ونحن أرباب السيوف، وما قُتِلَ مِنَّا قِرْنٌ إلَّا جَدَّدناه، ولا بَغى علينا باغٍ إلا دَمَّرناه؛ فلو رأتْ عينُك أيها المغرورُ حدَّ سيوفنا، وعِظَم حُروبنا، وفَتْحَنا مِنْكُم الحصونَ والسواحلَ، وتخريبَنا ديار الأواخر منكم والأوائل؛ لكان لك أن تَعَضَّ على أناملك بالندَم، ولا بدَّ أن تَزِلَّ بك القدم، في يوم أَوَّلُه لنا وآخره عليك؛ فهنالك تسيء الظنون «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ»، فإذا قرأتَ كتابي هذا فتكون منه على أوَّلِ سورة النحل ﴿أَتَى أَمْرُ للهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وتكون على آخر سورة ص «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»، ونعود إلى قَوْلِهِ تَعالى وهو أصدقُ القائلين «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين»، وإلى قول الحكماء: «إن الباغي له مصرع» وبغيك يصرعك وإلى البلاء يسلمك، والسلام.)

ومات الملك الصالح في هذا العام نفسه، عام ٦٤٧، والحرب مع

الفرنسيين على قدم وساق، وتولت الأمر زوجته شجرة الدر مخفية موته أشهراً، وحكمت مصر ثمانين يوماً، ثم سلمت الحكم للمماليك، مماليك الملك الصالح. فغلبوا الفرنسيين وأسروا لويس التاسع. وبموت شجرة الدر عام ٦٥٥ ضرباً بالقباقيب، الأحذية الخشبية، دخلت مصر العصر المملوكي. وبعد سنة مات البهاء زهير، فلك أن تقول إنه بموت هذا الشاعر ماتت دولتان: العباسية في بغداد كما أسلفنا، والأيوبية بمصر. فهو آخر شاعر في العصر الذي كان فيه الملوك يقدرون الشعر العربي.

بعد البهاء زهير استمر الجهاد ضد الصليبيين حتى انتهى بانصرافهم مهزومين عن الشرق، وبعد قرنين ونصف من حكم المماليك في مصر والشام، جاء العثمانيون، ثم بعد ثلاثمئة سنة من العثمانيين جاء محمد علي ليحكم مصر، ولم يرجع للشعر العربي بهاؤه إلا في زمن خلفاء محمد علي، على يد محمود سامي البارودي.

إنما نذكر كل هذه التواريخ كي نرى كيف كان البهاء زهير آخر كبار الشعراء القدماء.

ونحن في اختياراتنا، التي ركزناها في اثنين أربعين شاعراً، رأينا أن الشعر العربي العمودي عاش يعلو ويهبط سبعمئة سنة من الجاهلية حتى انصرام الدولة العباسية، ثم نام سبعمئة سنة حتى جاء البارودي، ثم انبعث قوياً في مصر والشام والعراق خمسين سنة. ثم قرر العرب أن يتركوا الشعر العمودي، فعاش فيهم شعر التفعيلة خمسين سنة حلوة بل أقل، ثم جاءتنا قبل بضعة عقود قصيدة النثر. ورأينا في عملنا هذا ألّا نثقل أنفسنا بدرس الشعر العربي كله في كل عصوره وكل ألوانه، فليس لدينا الوقت، وليست لدينا القدرة على تذوق قصيدة النثر بما يراه أهلها تستحقه.

عملنا مقصور على الشعر العمودي، الذي هو كل قديمنا.

ونعود بك إلى البهاء زهير.

لا نجد في شعره شيئاً ذا بال عما كانت تمر به الأمة الإسلامية في عصره من صراعات كبرى، ففي زمنه كانت القدس تروح وتجيء بين الصليبيين والأيوبيين، وفي عصره كانت الدولة الأيوبية تنحدر سريعاً من القوة إلى الانهيار، وشهد شاعرنا مجالس ملوكها ووزرائها الأقوياء، وعرف عن السياسة

وعن مؤامرات القصور الكثير، لكن هذا لم يجد طريقه إلى شعره. نراه يهنئ بنصرٍ تهنئة رسمية، ويمدح الكبراء مدحاً تقليدياً. ولا يبث حرارة قلبه إلا في ذلك الشعر الخفيف الذي يصف فيه معاشرته لإخوانه، وصحبتَه للكأس والمرأة، وحرصه على العيش الناعم. ولمن أراد شهادة شعرية على ذلك العصر فلعله يجدها عند ابن مطروح صديق البهاء منذ الصبا وحتى الفراق الأخير.

لقد صرف الملك الصالح في آخر عمره البهاء زهيراً من خدمته، فعاش في القاهرة ثلاث عشرة سنة كاسف البال، فقيراً، فباع كتبه وبعض أثاث بيته. ومات بالوباء الذي حل بمصر عام ٦٥٦.

لغز بيت الشعر العربي

أسكن في فندق في الدور الثالث والثلاثين، وأرى من غرفتي المدينة كلها، أطل عليها ليس من نافذة بل من واجهة كاملة من الأرض إلى السقف، كلها من زجاج. يخالجني شعور وأنا أتفحص شوارع المدينة تحتي بأنني أملك رؤية استراتيجية، فأقعد مقابل هذه الواجهة الزجاجية وأتأمل شؤون العالم. غير أنني أدرك أن لا طعام لي ولا معيشة دون أن أهبط إلى الدور الأرضي كي أكون مع الناس.

هبطت اليوم، وتغديت وعاشرت الناس، ثم رجعت إلى غرفتي فوجدتها تحت الترتيب. وصرفني الخادم قائلاً إن الترتيب يستغرق نصف ساعة. ولو عرفتَني كيف أنام، وكيف أعجن الشراشف والوسائد عجناً لما عجِبت من النصف ساعة، بل لقد يساورك الشك في أن المسكين يكتفي بساعة حتى يخلِّص بعض الشراشف من بعض.

نزلت على حكمه، ونزلت إلى بهو الفندق. وأحسست وأنا في المصعد بالندم لأنني لم أصطحب كتاباً. غير أنني خجلت أن أعود، فلا حاجة بالخادم وهو يعالج سريري إلى أن يرى وجهي مرة أخرى.

في بهو الفندق اكتشفت أنني أحمل قلماً. فتناولت منشوراً دعائياً يصرخ عبر صفحاته بأن هذا الفندق خير ما خلق الله من فنادق. وقلبت صفحاته حتى عثرت على بياض. وكتبت أبياتاً.

كنت أعالج في هذا الأوان ديوان البهاء زهير. فقلت لنفسي: أكتب قصيدة كما كان البهاء زهير يكتب القصائد. ولغة الرجل كما ترى قريبة جداً من

فصحانا اليوم. كنت قبل سويعات أتفكر في هذا السهل الممتنع الذي يصنعه البهاء زهير. وأقول لك: هو سهل فعلاً، وممتنع فعلاً على من يحاوله. وسترى كيف امتنع علي.

لكنني نظرت في نادرتين من نوادر الموسيقى الكلاسيكية:

قال موتسارت لنفسه: هيا يا فولفغانغ أماديوس إلى بعض اللهو. فلأكتب قطعة ساخرة أقلد فيها موسيقيي القرى الذين يعزفون في الأسواق ألحانهم الساذجة، ولأروِّح عن النفس قليلاً، بعيداً عن السيمفونيات. وألف موتسارت ما سماه «موسيقى ليلية صغيرة». وأحبها الناس، بل أُولعوا بها. وبها بدأ المخرج الأميركي فلمه أماديوس، باعتبارها النغم الذي ليس هناك في فيينا إنسان إلا يعرفه ويعرف أنه لموتسارت.

والنادرة الثانية: قال سيرغيه بروكوفييف لنفسه أريد أن أكتب موسيقى بالقلم والورقة، ودون الاستعانة بالبيانو. ولأنني تعمقت مؤخراً في موسيقى هايدن العتيق، فليكن هذا التمرين عبارة عن تقليد لأسلوب هايدن. وكتب بروكوفييف سيمفونيته أثناء الإجازة، وبدون بيانو. وشاء لها الناس أن تكون أحد أشهر أعماله.

وقلت لنفسي، في هذه النصف ساعة التي أجبرت على قضائها في بهو الفندق بعيداً عن غرفتي: هيا اكتب قصيدة على نمط بهاء الدين زهير محاكاةً. وفعلت. وفي نصف ساعة.

ثم إنني تأملت ما كان يجري في عقلي وأنا أكتب. وقلت سأكتب لك القصيدة وسأكتب عما جرى في عقلي بقدر ما أستطيع أن أتذكر. فلعل هذا ينير بعض جوانب هذا اللغز: لغز بيت الشعر.

بدأت بفكرة: الشكَّاء الذي يريدك أن تحمل همومه على ظهرك. وكتبت:

وشكَّاءٍ وبين يديه كيس　　　من الأسمنت جاء به إلينا

تعليق: كنت أريد تصويره يحمل كيس الأسمنت على ذراعيه ولم يسمح لي الوزن، ولم أكن مسروراً بـ «جاء به إلينا» لكنني كنت حريصاً على ضمير الجمع لأن هذا يفتح باب القوافي. وتعبير «كيس من الأسمنت» رأيت فيه بلادة، وخير منه «كيس أسمنت»، ولكن هذا التوى عليّ. أرأيت ما في البيت من مشكلات!

ينوء به ذراعاً واصطباراً　　　ويرفعه ليحملَه علينا

تعليق: جئت ههنا بالذراع تعويضاً عن فقدها في البيت السابق. وجعلت الشكاء متعباً من الكيس، لكن ليس تعباً جسمياً فحسب، لذا قلت: اصطباراً. والشطر الثاني جاء طبيعياً.

رويدك! فوق ظهري حمل بغل   وأُذْني أُثقِلَتْ طَنًّاً وزَنًّا

تعليق: عدلت إلى ضمير المفرد. لا بأس، كانوا يصنعون ذلك كثيراً. بيت مصنوع، وفيه خلخلة كثيرة.

ويقسم أنه خل محب   يُتلفنُ كي علينا يَطمئنَّا

تعليق: تخلصت من صورة حامل كيس الأسمنت، ورويت ما حدث حقيقة وهو أنه يتلفن، ويطيل الكلام. رغم التقديم والتأخير في الشطر الثاني فهو طبيعي في سياقته. لكن الشطر الأول بحاجة إلى شغل: الشطر الأول «ويقسم أنه خل محب» ما هو إلا تمهيد للشطر الثاني.

ويغرينا بأن نشكو كأنَّا   غفلنا عن تحايله.. كأنَّا

تعليق: غفلنا يجب أن تكون نغفل، ولكن الوزن حال دونها. و«سنغفل» تقوم بالوزن، ولكننا لا نريد المستقبل بل الحاضر. الماضي حل وسط. ومعنى البيت لا يظهر بوضوح: فالشكاء يشجعنا على الشكوى، وهذه حيلة منه كي يأخذ رخصةً ويشكو بدوره كثيراً.

ولو كنَّا شكونا كان ألقى   علينا الموجعات بما شكونا

تعليق: بيت نثري بغرض استكمال الفكرة.

نلاينه لنصرفه، ونشقى   أليس يُعَدُّ بعض اللين جُبنا

تعليق: «يعد» لا لزوم لها إلا إقامة الوزن.

أرى الشكَّاء حل بنا ثقيلاً   فخفف يا ثقيل، وحُلَّ عنا

تعليق: في هذا البيت صناعة من عدة أوجه: فتعبير «حل عنا» العامي هو ما بُنيَ عليه البيت، وقد جئنا بتعبير «حل بنا» الفصيح تمهيداً ولإشعار القارئ بلذة الجناس. وتكرار «ثقيل» مقصود.

الآن أحاول أن أدخل في عقل نفسي أكثر. لو نثرت هذه القصيدة فسوف تصبح بلا شك أبلغ، وأقصر. ولكنها منظومةً أحلى لوجود الإيقاع وترقب

القافية. . لكن ليس لهذا فقط. القارئ ـ وبدون أن يشعر ـ يتعقب العملية التي تحدث في عقل الشاعر، ويرى كيف خرج من مآزقه التي فرضها عليه الوزن والقافية. وفي هذا لذة مضاعفة. . لذة مشاهدة الشاعر يفكك قيوده، ولذة الفرح باكتشاف الشاعر أسرعَ وأقصر طريقة للافتكاك.

المنظر مرئياً من جانب الشاعر مختلف.

الشاعر يمكنه ـ مثلما فعلت ـ أن يضع الفكرة منثورة في عقله، وأن يصنع القصيدة صناعة. وهذا ليس رديئاً جداً. فهو في سياق الصياغة تتدفق على عقله أساليب اللغة المختلفة التي ملأت وجدانه، ويتخير منها، وقد تمر به لحظات يجد فيها الكلام يأتي هيناً. وهو يكثف ما استطاع التكثيف، ويحمل الكلمة الواحدة من المعنى ما يجعلها تتوهج. لكن المتنبي عندما كتب قصيدته «واحرَّ قلباه» سلك طريقاً آخر. فقد كان متألماً من انصراف سيده سيف الدولة عنه. كان يعيش أزمة نفسية، فالحاسدون كثر، وهو مثل طفل مدلل يريد أن يحصل على كل الاهتمام. يريد أن يعاتب سيده، ويريد أن يبكي، وأن يرفع صوته عالياً بأنه يستحق معاملة أفضل، وأنه عبقري. كل هذه المشاعر جعلته يتدفق. وكان له من مخزونه اللغوي ما أعانه على أن يجعل القصيدة صرخة واحدة قوية متماسكة.

هذا لا يتأتّى للشاعر كثيراً. ولا تثريب على شاعر لجأ إلى الصناعة.

لغز بيت الشعر العربي يتمثل في القيود المفروضة على الشاعر. فالقصيدة عندما تكتمل تكون حملت في كلماتها القليلة (قل مئتي كلمة) آلاف الرموز. شاهدنا في تلك الكلمات القليلة التي نظمناها الخيارات الكثيرة التي كان يمكن أن يسلكها الشاعر ولم يفعل، ورأينا كيف تلتوي عليه الأفكار ثم يعود لتدارك الأمر، ورأيناه يصارع القافية، كنا نسعد بحصوله على قافية رنانة، ونغفر له قافية قلقة، ونؤاخذه على قافية لم تقعد في مكانها.

لا نتعب أنفسنا كي نصلح له قصيدته، ولكننا نحس بكل ما كان يعتلج في صدره.

فإذا نثرنا فكرتنا فما الذي نحصل عليه. نحصل على الفكرة صافية. ونحصل على شعور الكاتب صافياً حراً. لو نثر المتنبي قصيدته «واحر قلباه»

لكان لنا من ذلك قطعة جميلة. ولكنها لن تكون حارَّة بنفس القدر. ذلك أننا رأينا الشاعر في النسخة المنظومة يعالج أزمة نفسية قاسية وهو في الوقت نفسه يعالج تراكيب اللغة، ويعاني الوزن والقافية.. رأيناه يحارب على عدة جبهات. كان صراعه المجلوب وغير الطبيعي مع اللغة والوزن والقافية بساطاً من العشب الأخضر يجعل أزاهير القصيدة تبدو أجمل. وتكبيله نفسه بقيود الوزن والقافية يجعل انفلاتاته أقوى. وفي النسخة المنثورة ليس يوجد كل هذا الصراع، بل المعنى مبسوط بوضوح، وثمة صراع مع اللغة ومفرداتها، لكنه أقل بكثير كمًّاً، وهو لون واحد من الصراع لا ألوان.

الصناعة لا تنتج شعراً قوياً. والشعر القوي لمعات برق تنطلق من اللاوعي وتأتي متفرقة، ولا بد لها من سياق. هي كالألماسات التي تتألق عندما تكون معروضة على مخمل أحمر. فالشعر هو الألماس، والأبيات المصنوعة هي المخمل الأحمر، وقيمة الشعر بالقياس إلى الأبيات المصنوعة كقيمة الألماس بالقياس إلى المخمل الأحمر.

ويستحب من الشاعر أن يتجنب كلمات مرذولة تجعل السامع يضحك وتقوض سحر الشعر.. من ذلك طبعاً كلمة الأسمنت.

كلمة عن التسجيلات الصوتية

هذه ساعات مسجلة فيها معظم مختارات كتابي هذا والكتابين اللذين سبقاه في هذه السلسلة الخماسية. وقد أرفقت بكل كتاب مقروءاته. رضيت عن نفسي في هذه التسجيلات من ناحية، وعتبت على نفسي من ناحية أخرى. فأما الرضا فلأنني شحنت صوتي بالمعنى، حتى ليكاد البيت يشرح نفسه. وأما العتب فلأنني كنت على شيء من الكسل فلم أراجع التسجيلات. كنت أحشر نفسي في الاستديو ساعات أقرأ فيها بلا انقطاع، ثم أوصي مهندس الصوت ألا يضع على التسجيل أي مؤثرات، ولا حتى التعديلات التقنية من خفض ورفع للمستوى. فلا بد أن يكون فرط مني في كل ساعة أو ساعتين غلط. كنت أحب لو أنني ملكت الوقت كي أراجع ما قرأت، ولكن جرى الأمر على غير ذلك. واعتزازي بتلك القراءات غير قليل.

قد أسرعت في إنجاز هذه المختارات وشرحها حتى أقرأ الأشعار قبل أن

تذهب الأسنان وقبل أن تداهم صوتي الشيخوخة العالية. فلئن كان صوت الشيخ موحياً بالثقة أكثر من صوت الشاب فإنه يعاني ما يعاني من اضطراب مخارج الحروف ومن البطء. ومخارج حروفي ليست أحسن المخارج على كل حال.. لكنني قرأت ما قرأت لك، قرأت وأنا أحس بك، قرأت وأنا مقبل عليك أريدك أن تستمتع بالشعر معي.

سجل لي صوتي محمد ماضي في استديو مركز التدريب الإعلامي لشبكة الجزيرة في قطر، خلا المقروء من المتنبي فقد سجله مهند قعدان قبل نحو ثماني سنوات في استديو مركز تطوير الإعلام في جامعة بيرزيت في فلسطين. ولم يتقاض أي من المركزين ولا أي من المهندسين أجراً، فلهما ولهما الشكر الجزيل.

والآن إلى ما اخترته من ديوان البهاء زهير.

١ لازمني كاسمي

وجـاهـلٍ طـالَ بـه عـنـائـي

لازَمـنـي وذاكَ مِـن شـقـائـي

كـأَنَّـه الأشْـهَـرُ مِـن أَسـمـائـي

أقـبـحُ مِـن وعـدٍ بِـلا وفـاءِ

أثـقـلُ مِـن شـمـاتـةِ الأعـداءِ

٢ الرضا بالإياب

وكتب لصديق له غرقت السفينة بتجارته:

لا تَعتَبِ الدهرَ في شيءٍ رماكَ به … إنِ استردَّ فقِدْماً طالما وَهَبا

حاسِبْ زمانَكَ في حَاليْ تصرُّفِه … تجِدْهُ أعطاكَ أَضعافَ الذي سَلبا

واللَّهُ قد جعلَ الأيَّامَ دائرةً … فلا تَرى راحةً تَبقَى ولا تَعَبا

ورأسُ مالِكَ، وَهْيَ الروحُ، قد سَلِمَتْ … لا تأسفَنَّ لِشيءٍ بعدَهَا ذَهَبا

ما كنتَ أولَ مَمْنُوٌّ بِحادثةٍ … كذا مضى الدهرُ لا بِدْعاً ولا عَجَبا

ممنو: مُنيَ بالأمر ونكب به

وربَّ مالٍ نما من بعدِ مَرْزِئةٍ   أمَا ترى الشمعَ بعد القَطِّ مُلتهبا

المرزِئة: المصيبة. القط: قطع رأس ذُبالة الشمعة. هذه الأبيات الستة، التي يبلغ عدد كلماتها ٦٨ كلمة، ترجمها إلى الإنجليزية إدورد هنري بلمر في قصيدة موزونة في ١٠١ من الكلمات. وبلمر هذا شيطان من الشياطين. ويستحق أن أقص عليك طرفاً من قصته، فهو محقق ديوان البهاء زهير وناشره بالعربية ومترجمه كاملاً إلى الإنجليزية. لقد قرأت مقدمته للنسخة العربية من شعر البهاء زهير، فوجدت فيها قلماً ينشئ بالعربية كأنه من فحول كتابها. لم أجد كلمة أو جملة أستشف منها أن الكاتب لم ينشأ في حضن اللغة العربية. وراجعت سيرته فإذا هو قد ترجم القرآن ترجمة مشهورة طبعت مراراً. وإذا هو قد صنع كتاباً للنحو العربي، وقاموساً للغة الفارسية، وله كتب عن اللغة الهندستانية، والرجل يعرف التركية واليونانية واللاتينية والإيطالية. قرأت بعض ما ترجمه من قصائد البهاء زهير، فكدت أحسبه أداها بالإنجليزية بأبرع مما أداها شاعرنا بالعربية، لولا أنه اعتذر كثيراً في مقدمته من أن كل ما اصطنعه من أساليب لنقل حلاوة شعر البهاء لن يوفي البهاء حقه، وفي مقدمتيه العربية والإنجليزية لشعر البهاء قدم لنا بلمر ثمرة خبرته في ترجمة الشعر، وكدنا ـ ونحن ممن لا يؤمنون بأن الشعر يترجم ـ نؤمن بأن الشعر يترجم. بلمر احترم الثقافة العربية، وكتب عن القرآن وبلاغته كتابة ترضي المسلم التقي. وله كتب في التاريخ وفي وصف رحلاته في مصر وفلسطين. لا تكفي ثلاثمئة سنة في نظري حتى يجمع امرؤ كل هذه المعرفة وكل هذا الإنتاج، فإذا عرفت أن بلمر عاش اثنين وأربعين سنة فقط فقد علمت أن الله يعطي بلا حساب. وانتهى بلمر قتيلاً على يد بدو سيناء وهو يخدم أمته في تحريض البدو على عرابي وثورته. وأعفي نفسي من شتمه على نشاطه الاستعماري ذاك فقد كال له عبد الرحمن بدوي ما يستحق من الشتم. على أن ما كتبه بدوي في «موسوعة المستشرقين» عن بلمر فيه استقصاء طيب، وفيه مدح للرجل بما يستحقه، ففيلسوفنا فصَل فصلاً طيباً بين انغماس بلمر في السياسة الاستعمارية وبين خدمته العلم

٣ بالمناسبة، كيف قلبي؟

يا صاحبي فيما ينو   بُ، وأينَ أينَ هناك صَحْبي

فيما ينوب: فيما يأتي من النوائب والمصائب

لو كنتُ لم أعرِفْ سِوا   كَ من الأنامِ لَكانَ حسْبي

إنـي ادَّخرتُك للزما   نِ، وما عَرَا من كُلِّ خَطْبِ

عرا: طرأ، خطب: أزمة

قلبي لديكَ، فكيفَ أنـ   ـتَ على البِعادِ، وكيف قلبي؟

٤ أنا بالعاذل ألعب

أنَــا فــيــمــا أنَــا فــيــهِ وعَــذُولــي يَــتَــعَــتَّــبْ
جَــهِــلَ الــعــاذلُ أمــرِي أنــا بِــالــعــاذلِ ألــعــبْ
يــا حــبــيــبــي ونــديــمــي والــلــيــالــي تــتــقــلَّــبْ
هــاتِ فــيــمــا نــحــنُ فــيــهِ ودَعِ الــعــاذِلَ يَــتْــعَــبْ

٥ رسالة من المجد

إلى كم مُقامي في بلادِ مَعَاشرٍ تَساوَى بِها آسَادُها وكلابُها
وقَلَّدْتُها الدُّرَّ الثمينَ، وإنه لَعَمْرُكَ شيءٌ أنكرَتْهُ رِقابُها

وضعت عقود اللؤلؤ في رقاب الكلاب، فلم تكن لائقة بها

وما ضاقتِ الدنيا على ذي مُروءةٍ ولا هِيَ مَسدودٌ عَلَيَّ رِحابُها
فقد بَشَّرتْني بالسعادةِ هِمَّتي وجاءَ من العلياءِ نَحْوِي كتابُها

السعادة: السعد والحظ الحسن، همتي: طموحي

٦ واقفاً بالباب

كتب إلى الوزير فخر الدين أبي الفتح عبد الله ابن قاضي داريا، يشكو إليه سوء أدب بعض غلمانه:

سِواكَ الذي وُدِّي لديه مُضَيَّعٌ وغيرُكَ مَنْ سَعيِي إليه مُخيَّبُ
أُرَدُّ بِرَدِّ البابِ إن جئتُ زائراً فيا ليتَ شِعري أينَ أهلٌ ومَرْحَبُ؟
ولستُ بأَوقاتِ الزيارةِ جاهلاً ولا أنا مِمَّنْ قربُهُ يُتَجَنَّبُ
وقد ذَكروا في خادِمِ القومِ أنه بما كان مِن أخلاقِهِمْ يتهذَّبُ
فهلَّا سَرَتْ منكَ اللطافةُ فيهِمُ وأَعْتَدْتَهُمْ آدابَها فتأدَّبُوا

أعتدتهم: زوَّدتهم

وتصعُبُ عندي حالةٌ ما أَلِفْتُها على أن بُعدِي عن جَنابِكَ أصعبُ
وأُمسِكُ نفسِي عن لِقائِكَ كارهاً «أُغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلَبُ»
وأَغضَبُ للفضْلِ الذي أنتَ ربُّهُ، لأَجلِكَ، لا أَنِّي لِنفسِيَ أغضَبُ

٧ الغصن وحبيب الغصن

أُحــدِّثُــه إذا غَــفَــلَ الــرقــيــبُ   وأســألُــه الــجــوابَ فــلا يُــجــيــبُ
وأَطْــمَــعُ حــيــن أَعْــطِــفُــهُ عــســاهُ   يــلــيــنُ، لأنــه غــصــنٌ رطــيــبُ

أعطفه: أجعله يعطف، ومعناها أيضاً: أثنيه

فــيــا مــولايَ قُــلْ لــي أَيَّ ذنــبٍ   جــنــيــتُ، لــعــلَّــنــي مــنــهُ أتــوبُ
حــبــيــبــي فــيــكَ أَعــدائــي ضُــروبٌ:   حَــســودٌ، عــاذلٌ، واشٍ، رقــيــبُ

٨ غاية الترحيب برسول الحبيب

رسولَ الرِّضَا أهلاً وسهلاً ومرحبا   حديثُكَ ما أحلاهُ عندي وأطيَبا
ويا مُهْدِياً مِمَّنْ أحِبُّ سلامَهُ   عليكَ سلامُ اللَّهِ ما هَبَّتِ الصَّبا
ويا مُحسِناً قد جاءَ مِنْ عندِ محسنٍ   ويا طيِّباً أهدَى من القولِ طَيِّبا
لقد سَرني ما قد سمعتُ مِنَ الرِّضَا   وقد هَزَّني ذاكَ الحديثُ وأَطْرَبا

٩ محميَّة غير طبيعية

كَلِفْتُ بشمسٍ لا تَرى الشمسُ وجهَها   أُراقبُ فيها ألفَ عينٍ وحاجِبِ

الشمس حبيبته، ولا ترى شمس السماء وجهها لأنها محجوبة. وهو يراقب إذ يلاحقها ألف عين (جاسوس)، وحاجب (حارس).. والتورية واضحة

ممنَّعَةٍ بالخيلِ والقومِ والقَنا   وتضعُفُ كُتْبي عن زِحامِ الكتائِبِ
ولو حَمَلَتْ عنِّي الرياحُ تحيةً   لَمَا نَفَذَتْ بين القَنا والقَواضِبِ

القنا: الرماح، القواضب: السيوف

١٠ شيب مبكر

وغانِيَةٍ لمَّا رأتنيَ أَعْوَلَتْ   وقالتْ: عجيبٌ يا زهيرُ عجيبُ
رأَتْ شَعَراتٍ لُحْنَ بيضاً بِمَفْرِقي   وغُصْنِيَ من ماءِ الشبابِ رطيبُ
وما شِبْتُ إلَّا من وقائِعِ هجرِها   على أن عهدي بِالصِّبا لَقَريبُ
عرفتُ الهوى من قبلِ أن يُعرَفَ الهوى   وما زال لِي في الغيبِ منه نصيبُ
وَفَى لِيَ مَنْ أهوى وأَنعَمَ بالرضا   يموتُ بِغيظٍ عاذِلٌ ورقيبُ

فـلا عـيـشَ إلَّا أن تُـدَارَ مُـدَامَـةٌ ... ولا أُنْـسَ إلَّا أن يَـزُورَ حـبـيـبُ
وإنِّي لَيَـدعـونـيِ الـهوى فأُجيبُه ... وإِنّـي لَـيَـثْـنِـيـنـيِ الـتُّـقَـى فَـأُنـيـبُ

أنيب: أرجع عن الغَيّ

١١ في ضوء الشيب

رحـلَ الـشـبـابُ ولـم أنـلْ ... مِـنْ لـذةٍ فـيـهِ نَـصـيـبـي
يـا طـيـبَـهُ لـو لـم يـكـنْ ... مَـلأَ الـصـحـائِـفَ بـالـذنـوبِ

صحائف المرء: كتابه الذي يلقى به الله يوم القيامة، وفيه عمله

أرسـلـتُ دمـعِـيَ خـلـفَـهُ ... فـعـسـاهُ يـرجِـعُ مـن قـريـبِ
هـيـهـاتَ لا والـلَّـهِ، مـا ... هُـوَ بـالـسـمـيـعِ ولا الـمـجـيـبِ
فـقـد انـجَـلَـى لـيـلُ الـشـبـا ... بِ وقـد بـدا صُـبْـحُ الـمـشـيـبِ
ورأيـتُ فـي أنـوَارِهِ ... مـا كـان يَـخـفَـى مِـنْ عُـيـوبـي

١٢ ترحيب بالشيب

سلامٌ على عهدِ الشَّبيبةِ والصِّبا ... وأهلاً وسهلاً بالمشيبِ ومرحبَا
ويـا راحِـلاً عنِّـي رحلْتَ مُكَرَّماً ... ويـا نـازلاً عـنـديِ نـزلـتَ مُـقَـرَّبـا

المقرب: المكرَّم، وكان الملك إذا أراد تكريم أحد أجلسه قريباً منه

١٣ حاضراً غائباً.. حبيب

إن غـبـتَ عـنِّـيَ أو حَـضَـر ... تَ فـلـسـتَ عن عـيـنـي تَـغـيـبُ
لـكـنْ أرى عَـيـشـيِ إذا ... مـا غـبـتَ عـنِّـي لا يَـطـيـبُ
وعـلـى كِـلا الـحـالَـيْـنِ مِـنْـ ... ـكَ، فـأنـتَ والـلَّـهِ الـحـبـيـبُ

١٤ صحراء عليها باب

قال في امرأة، وطلب منه صاحب أن ينظم في هذا المعنى:

كـم ذا الـتـصـاغُـرُ والـتَّـصـابـي ... غـالَـطْـتِ نـفـسَـكِ فـي الـحـسـابِ
لـم يَـبـقَ فـيـكِ بَـقـيَّـةٌ ... إلَّا الـتَّـعَـلُّـلُ بـالـخِـضـابِ

التعلل: التهوين على النفس، الخضاب: صباغ الشعر من حناء وغيره

لا أَقْتَضِيكِ مودَّةً رُفِعَ الخَراجُ عنِ الخَرابِ

لا أطلب منك أن تبذلي لي مودة، فهذا غير مفروض عليك مثلما أن الخراج غير مفروض على الأرض الخراب غير المزروعة

ما العيشُ إلَّا في الشبا ... بِ وفي مُعاشَرَةِ الشبابِ

ولقد رأَيْتُكِ في النِّقَا ... بِ، وذاكَ عنوانُ الكتابِ

وسألتُ عمَّا تحتَه ... قَالوا: عظامٌ في جِرابِ

وسمعتُ عنكِ فضائحاً ... سارتْ بها أَيدي الرِّكَابِ

هذا، وكم من وَقْفَةٍ ... لكِ في الأَزِقَّةِ لِلْعِتابِ

واليومَ قالوا: حُرَّةٌ، ... سِتُّ الحَرائِرِ في الحِجَابِ

يا هذهِ ذهبَ الصِّبا ... فإلى متى هذا التَّصابي

ما أنتِ مِمَّنْ يُرْتَجَى ... لا في الخُطوبِ ولا الخِطابِ

لعل أيليا أبو ماضي قرأ قصيدة البهاء هذه قبل أن يكتب قصيدة في هجاء العجائز الأميركيات. نقول: ويل للمرأة الجميلة من ذئاب الرجال، وويل لها إن أسنت، فهم ينبذونها نبذاً. يريدونها لعبة. قال الأجنبي: «البنت تحت الحادية والعشرين يحميها القانون، والمرأة فوق الخامسة والستين تحميها الطبيعة، وهي بينهما صيد حلال»

١٥ حبذا تلك الزيارة

وزائرةٍ زارتْ وقد هجمَ الدُّجَى ... وكنتُ لِميعادٍ لَها مُتَرقِّبَا

فمَا راعني إلَّا رَخيمُ كلامِها ... تقولُ حبيبي، قلتُ أهلاً ومَرحبا

ولم تَرَ عيني ليلةً مثلَ ليلتي ... فيا سَهَري فيها لقد كنتَ طَيِّبا

١٦ لها جفون ما التقت

يا مَنْ لِعينٍ أرِقَتْ ... أَوحَشَها مَنْ عَشِقَتْ

مُذْ فارقَتْ أحبابَها ... لَها جُفُونٌ ما التَقَتْ

وغَادةٍ كأنَّها ... شمسُ الضُّحَى تألَّقَتْ

كمْ شَرِقَتْ بِدمعِها ... عيني لَمَّا أشْرَقَتْ

١٧ تيتي تيتي

قال من الدوبيت، وهو وزن مستحدث لم يعرفه العرب قديماً:

قد راحَ رَسُولي ومِثْلَمَا راحَ أتى   باللَّهِ متى نَقَضْتُمُ العهدَ متى
ما ذا ظَنِّي بِكُمْ ومَا ذَا أَملي   قد أدركَ فِيَّ سُؤْلَهُ مَنْ شَمِتَا

ذا: هذا، سؤله: أمنيته

١٨ تفتيش النسيم

قال يمدح الأمير اللمطي ويهنئه:

صَفْحَاً لِصَرْفِ الدهرِ عن هَفَواتِه   إذْ كان هذا اليومُ مِنْ حَسَناتِه
إن كنتَ غِبتَ عنِ البلادِ فلمْ تَغِبْ   عن خاطري، إذْ أنتَ مِن خَطَراتِه
لو كنتَ فتَّشْتَ النَّسيمَ وجدتَه   ودُعاؤُنا يأتيكَ في طَيَّاتِه
يُؤتي المنايا والمُنَى كَاللَّيْثِ في   غاباتِه والغيثِ في غَبَّاتِه

الأمير يؤتي (يقدّم) للأعداء المنايا (الموت) وللأولياء المنى، فهو كالليث، وكالغيث (المطر) وفي غباته (جيئاته المتفرقات)

يا مَنْسِكَ المعروفِ أحْرَمَ مَنطِقي   زمناً وقد لَبَّاكَ مِنْ ميقَاتِه

الأمير منسك المعروف (المكان المقدس الذي ينعم على الناس)، والشاعر قد أحرم منطقه (لبس كلامه ملابس الإحرام استعداداً لتلقي النعم)، وقد لبى، وفي الوقت المناسب، مثل تلبية الحجيج

هذا زهيرُكَ لا زُهيرُ مُزَيْنَةٍ   وافاكَ لا هَرِمَاً على عِلَّاتِه

زهير مزينة: زهير بن أبي سلمى المزني، وكان يمدح هرم بن سنان، وقال فيه «إن تلق يوماً على علاته هرماً/ تلق السماحة منه والندى خلقا». على علاته (رغم ما ينتابه من ضيق يد)

دَعْهُ وحَوْلِيَّاتِه ثم استَمِعْ   لِزهيرِ عصرِكَ حُسْنَ لَيْلِيَّاتِه

الحوليات: قصائد زهير التي كان ينفق في كل منها حولاً (سنة) ينقحها قبل أن يذيعها في الناس، و«ليليات» البهاء زهير القصائد التي قال الواحدة منها في ليلة واحدة اقتداراً على الشعر، فالقصيدة ابنة ليلتها كما يقولون

لو أُنْشِدَتْ في آلِ جَفْنَةَ أَضْرَبُوا   عن ذِكرِ حَسَّانٍ وعن جَفَنَاتِه

لو أنشدتُ قصيدتي هذه عند آل جفنة بالشام الذين كان يمدحهم حسان بن ثابت لأضربوا عنه (انصرفوا عنه) وعن جفناته (قصاعه، صِحَاف الطعام)، وحسان قال في بيت له مشهور: «لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى/ وأسيافنا يقطرن من نجدة دما»

١٩ الخليفة خادماً

ولـي لَـيْـلَـةٌ طُـرِقَـتْ بِـالـسُّـعـودِ فَـحَـدِّثْ بـمـا شـئـتَ عـن لـيـلـتـي
فـقـضَّـيْـتُـهـا فـي الـهـوى لـيـلـةً إخـالُ الـخَـلـيـفـةَ فـي خـدمـتـي

٢٠ التفات قبل الفوات

جاءتْ تُـوَدِّعُـنـي والـدَّمعُ يغلـبُـهـا يومَ الرحيلِ وحَادي البَيْنِ مُنْصَلِتُ

حادي البين: سائق الأبل الذي يؤذن بالفراق، منصلت: مسرع

وأَقبلتْ وَهْيَ في خوفٍ وفي دَهَشٍ مثلَ الغزالِ من الأَشْرَاكِ يَنفَلِتُ
فلم تُطِقْ خيفَةَ الوَاشِي تُوَدِّعُني وَيْحَ الوُشَاةِ لقد قالوا وقد شَمِتُوا
وقفتُ أَبْكي وراحتْ وَهْيَ بَاكيةٌ تسيرُ عنِّي قليلاً ثم تلتَفِتُ

٢١ مبعوث نبياً للعشق ومبعوث بعد الموت

أنَا في الحُبِّ صاحبُ المعجزاتِ جئتُ للعاشِقينَ بِالآياتِ

البهاء زهير أخذ هذا الجوَّ من ابن الفارض، ومنهما أخذ نزار قباني

كانَ أهلُ الغرامِ قَبْلِيَ أُمِّيّـ ـ ـينَ حتى تَلَقَّنوُا كَلِماتي

هذا روح نزار قباني

فأنَا اليومَ صَاحِبُ الوقتِ حَقّاً والمُحِبُّونَ شِيعَتي ودُعَاتي

صاحب الوقت: النبي

ضُرِبَتْ فيهِمُ طُبولِي وسارتْ خَافِقاتٍ عليْهِمُ رَاياتي

في طفولة البهاء الباكرة تحولت مصر عن التشيع إلى التسنن على يد صلاح الدين الأيوبي، وكان للمتصوفة طبول ورايات تشحن الإسلام السني بشحنة عاطفية توازي مواكب الشيعة

خَلَبَ السَّامعينَ سِحْرُ كلامي وسَرَتْ في عقُولِهِمْ نَفَثاتي

النفثات: نفخات الساحر، أليس ينفخ بعد أن يقول كلماته الغامضة؟ وفي القرآن «النفاثات في العقد» لساحرات الجاهلية، يعقدن خيطاً وينفخن عليه

خُتِمَ الحبُّ مِنْ حديثي بِمِسْكٍ رُبَّ خيرٍ يجيءُ في الخَاتِماتِ
لستُ أرضَى سوى الوفاءِ لذي الوُدِّ ـ ولو كان في وفائي وفاتي

وأَلُــوفٌ فَــلَــوْ أُفــارِقُ بُــؤْســاً   لَــتَــوالَــتْ لِــفَــقْــدِهِ حَــسَــراتــي

أنا شديد الألفة لمن يصاحبني حتى لو كان بؤساً. والمعنى للمتنبي «خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا/لفارقت شيبي موجع القلب باكيا»

طـاهِـرُ الـلـفـظِ والـشَّـمـائِـلِ والأَخْـ   ـلاقِ عَـفُّ الـضـمـيـرِ والـلَّـحَـظـاتِ

اللحظات: النظرات

ومَـعَ الـصـمـتِ والـوَقـارِ فـإنّـي   دَمِـثُ الـخُـلْـقِ طـيِّـبُ الـخَـلَـوَاتِ
يـا حـبـيـبـي وأنـتَ أيُّ حـبـيـبٍ   لا قـضـى الـلَّـهُ بـيـنَـنـا بِـشَـتَـاتِ
أنتَ رُوحي وقد تَمَلَّكْتَ روحي،   وحـيـاتي، وقـد سَلَبْتَ حـيـاتي
مُـتُّ شَـوْقـاً فَـأَحْـيِـنـي بِـوِصَـالٍ   أُخْبِرِ الناسَ كيفَ طَعْمُ الـمَمَاتِ
فَـرَعَـى الـلَّـهُ عـهـدَ مِـصْـرَ وحَـيَّـا   مـا مَـضـى لـي بِـمِـصْـرَ مِـنْ أَوْقَـاتِ
حَـبَّـذا الـنـيـلُ والـمَـراكِـبُ فـيـهِ   مُـصْـعِـدَاتٍ بِـنـا ومُـنْـحَـدِرَاتِ
هاتِ زِدْني من الحديثِ عن النِّيـ   ـلِ ودَعْـنـيِ مِـنْ دِجْـلَـةٍ وفُـرَاتِ
ولَـيـالـيَّ فـي الـجـزيـرةِ والـجـيـ   ـزَةِ فـيـمـا اشـتَـهَـيْـتُ مِـن لَـذَّاتِ
بينَ رَوْضٍ حَكَى ظُهُورَ الطَّوَاويـ   ـسِ، وجَـوٍّ حَـكَـى بُـطُـونَ الـبُـزَاةِ

الروض يشبه ظهور الطواويس بألوانه الكثيرة، والجو فيه غيم مقطقط متقطع كأنه بطون الصقور

يـا زَمـانـيِ الـذي مضى، يـا زَمـانـي   لَـكَ مـنِّـي تَـواتُـرُ الـزَّفَـراتِ

٢٢ كبرياء

لَــو أَرادَ الــبُــعْــدَ عَــنّــي   نُــورُ عَــيْــنــي مــا تَــبِــعْــتُــهْ
كُــلُّ شَــيءٍ مِــنْ حَــبِــيــبــي   مَــا خَــلا الــغَــدْرَ احْــتَــمَــلْــتُــهْ
أنَــا فــي الــحُــبِّ غَــيُــورٌ   ذاكَ خُــلْــقِــي لا عَــدِمْــتُــهْ
قَــد شَــكَــرْتُ الــلَّــهَ فــيــمــا   كــان مِــنْــكُــمْ وحَــمِــدْتُــهْ
حِــيــنَ خَــلَّــصْــتُ فُــؤادي   مِــن يَــدَيْــكُــمْ، ومَــلَــكْــتُــهْ

٢٣ لا ترمه قد تحتاجه

لا تَـطَّـرِحْ خـامِـلَ الـرجـالِ فـقـدْ   تَـحـتـاجُ يَـومـاً إلـى كـفـايَـتِـهِ
فـالـيَـكُّ فـي الـنَّـرْدِ وَهْـوَ مُـحْـتَـقَـرٌ   خَـيْـرٌ مِـنَ الـشِّـيـشِ عـنـدَ حاجَـتِـهِ

اليك: الواحد، والشيش: الستة في حجر النرد

٢٤ حلو وكذاب

يُعاهِدُني لا خَانَني ثم يَنْكُثُ   وأَحلِفُ لا كَلَّمْتُهُ ثم أَحْنَثُ
أقولُ لهُ صِلْني يقولُ: نعمْ، غَداً،   ويَكْسِرُ جَفْنَاً هَازِئاً بي ويَعْبَثُ
ومَا ضَرَّ بعضَ النَّاسِ لو كانَ زَارَنا   وكُنَّا خَلَوْنا ساعةً نَتَحَدَّثُ
أَمَولايَ إِني في هواكَ مُعَذَّبٌ   وحتَّامَ أَبْقَى في العذابِ وأَمْكُثُ
أُعيذُكَ من هذا الجَفاءِ الذي بَدا،   خَلائِقُكَ الحُسْنَى أَرَقُّ وأَدْمَثُ

٢٥ سكر الدلال

اليومَ لي يومانِ لمْ   أرَهُ، وهَذا اليَوْمُ ثَالِثْ
ما كُنتُ أَحْسَبُ أنَّهُ   مِمَّنْ تُغَيِّرُهُ الحوادِثْ
مولايَ مِنْ سُكْرِ الدَّلا   لِ عَبِثْتَ، والسكرانُ عابِثْ

٢٦ دعاء

يا رَبِّ ما أَقربَ منكَ الفَرَجَا
أنتَ الرجاءُ وإليكَ المُلْتَجَا
يا رَبِّ أَشْكُو لَكَ أَمْراً مُزْعِجَا
أَبْهَمَ لَيْلُ الخَطْبِ فيهِ وَدَجَا
يَا رَبِّ فاجعلْ لِيَ مِنهُ مَخْرَجَا

٢٧ رحابتان

قال يمدح الأمير مجد الدين بن إسماعيل بن اللمطي:

أَضْنَى الفؤادَ فمنْ يُرِيحُهْ   وحَمَى الرُّقَادَ فمن يُبيحُهْ

أضنى (أتعب) المحبوب القلب، وحمى الرقاد (منعه، مثلما يحمي القوم أرضاً فلا يبيحونها سواهم، فهي لهم حِمىً، والمحبوب قد حمى أرض النوم دوني).

ونَضَا مِنَ الأَجْفانِ سيْـ   ـفاً قَلَّمَا يبقَى جَريحُهْ

نضا: استل

مُتَمايِلُ الأَعْطَافِ كالـ   ـغُصْنِ الذي هَزَّتْهُ رِيحُهْ

يَـــا سَـــيِّـــداً إِحْـــسَـــانُـــهُ ... مـا غـابَ عَـمَّـنْ يَـسْـتَـمـيحُـهْ

يستميحه: يسأله أن يسمح بمعروفه

يَــلْــقَــى الـــوفــودَ وصَــدْرُهُ ... رَحْـبٌ إذا سَـأَلُـوا، وَسُـوحُـهْ

سوحه: ساحاته التي ينزل بها المنتجعون الطالبون الرفد مع إبلهم، فهي رحبة أي واسعة

٢٨ مكابرة

أنَـا لا أُبـالـي بـالـرَّقـيـبِ ... ، ولا بِـمَـنْـظَـرِهِ الـقَـبيـحِ

غَـمْـزُ الـحَـواجِـبِ بـيـنَـنـا ... أَحْـلَـى مِـنَ الـقَـوْلِ الـصَّـريـحِ

٢٩ آداب زيارة المريض

وعـــائـــدٍ هُـــوَ سُـــقْـــمٌ ... لِـكُـلِّ جـسـمٍ صـحـيـحِ

العائد: زائر المريض

لا بـــالإشَـــارةِ يَـــدْري ... ولا الـكـلامِ الـصـريـحِ

ولـيـس يـخْـرُجُ حـتَّـى ... تـكـادُ تَـخـرجُ رُوحـي

٣٠ ليلة.. صالحة

ولـيـلـةٍ مِـنَ الـلَّـيـالـي الـصَّـالِـحَـةْ

بـاتَـتْ بِـهـا الـهُـمـومُ عـنِّـي نَـازِحَـةْ

وغـادةٍ بِـوَصْـلِـهـا مُـسَـامِـحَـةْ

مسامحة: سامحة

تـحـفَـظُ وُدِّي مـثـلَ حِـفْـظِ الـفـاتِـحَـةْ

وأَعْـيُـنٌ عـنـد الـتَّـشـاكـي طَـافِـحَـةْ

إذا اخـتـصَـرْنـا، فـالـدُّمـوعُ شـارِحَـةْ

وَفَـتْ بِـوَعْـدٍ ثـم قـامـتْ رَائِـحَـةْ

وأَوْدَعَـتْ قَـلْـبِـيَ نـاراً لافِـحَـةْ

فـيَـا صِـحـابِي في الـخُـطـوبِ الـفـادِحَـةْ

هَـبْـكُـمْ أَعَـنْـتُـمْ بِـدمـوعٍ سَـافِـحَـةْ

ما تَفعَلُ الثَّكْلَى بِنَوْحِ النَّائِحَةْ؟

٣١ المعشوقة العمياء

قالوا تعشَّقْتَها عَمياءَ قلتُ لَهُمْ: ما شَانَها ذاكَ في عيني ولا قَدَحَا
بَل زادَ وَجْدِيَ فيها أَنَّها أَبَداً لا تُبْصِرُ الشيبَ في فَوْدي إذا وَضَحَا
كأنَّما هِيَ بُسْتانٌ خَلَوْتُ بِهِ ونامَ ناطُورُهُ سَكرانَ قد طَفَحا
تَفَتَّحَ الوردُ فيهِ مِن كَمائِمِهِ والنَّرْجِسُ الغَضُّ فيهِ بَعْدُ ما انْفَتَحا

يشبهون الخدود بالورد، والعيون بالنرجس

٣٢ المتجمل بالكفر

وجاهلٍ يدَّعي في العلمِ فلسفةً قد راحَ يكفرُ بالرحمنِ تَقليدَا
يقولُ إنَّ كلامي لستَ تفهَمُه، فقلتُ: لستُ سليمانَ بنَ دَاودَا

أي لا أفهم كلام البهائم كما كان سليمان يفهمه، وهذا هجاء مبطن لمن يتجمل بالكفر تجملاً. وقد رأينا نفراً في السبعينات، وكان الفكر الماركسي تقليعة، يتجملون بالانحراف عن الدين، ورأينا من انحرف عن الدين ولم يكن ممن يتجمل بذلك. ذهبت مرة لزيارة صديق خطاط في القدس ديِّن وتقي، واتفق أن كان في صحبتي صديق شيوعي. قلت له في الطريق أحذره: هذا الخطاط متدين. فشمخ صاحبي برأسه وقال: أنا لست ممن يحمل مسبة الدين في جيبه. فأكبرته

٣٣ في عشق صنم

صَنَمٌ لَعَمْرُكَ ما بَراهُ اللَّهُ في ذا الحُسْنِ إلَّا فِتْنَةً لِعِبادِهِ
ومِنَ العجائبِ فِعْلُه بِمُحِبِّهِ يَصليهِ ناراً وَهْوَ مِنْ عُبَّادِهِ
يا عَاذِلي ما كنتُ أولَ عاشقٍ فَتَكَ الغرامُ بِلُبِّهِ وفؤادِهِ

اللب: العقل، والفؤاد: القلب. ومع ذلك فالفؤاد حشو

٣٤ انتظرونا بعد رمضان

وفي الدَّنِّ لنا رَاحٌ لَها تِسعُونَ أَوْ إِحْدَى

للخمر تسعون سنة في دنها (وعائها الفخاري الضخم المطلي بالزفت حتى لا ينز) أو إحدى وتسعون سنة (وحذف السنة اكتفاء)

وهَـيْـفَـاءَ كـمـا تَـهْـوى　　تُـرِيـكَ الـقَـدَّ والـخَـدَّا
وتَـشْـجِـيـكَ بِـألـحَـانٍ　　تُـذِيـبُ الـجَـلْـمَـدَ الـصَّـلْـدَا
ولَـفْـظٍ يُـوجِـبُ الـغُـسْـلَ　　عـلـى الـسـامِـعِ والـحَـدَّا

لا بد أن تكون من المحترفات إن كان كلامها يوجب الغسل على الرجل (أي يذيبه ويوسخه)، والحد: العقاب الشرعي

جـزَى الـرحـمـنُ شَـعْـبـانـاً　　تَـقَـضَّـى الـشـكـرَ والـحَـمْـدَا

تقضى: نالَ

وإن عِـشْـنـا لِـشَـوَّالٍ　　أَعَـدْنـا ذلـكَ الـعَـهْـدا

٣٥ قلبي عندك

إن كـانَ قـد سـارَ عـنْـكَ شَـخـصـي　　فـإنَّ قـلـبـي أقـامَ عِـنْـدَكْ
وحـيـثُـمـا كـنـتَ كـنـتَ مَـوْلـىً　　وأيـنـمـا كـنـتُ كـنـتُ عـبـدَكْ

المولى، هنا: السيد. تعليق أ. عبد الرحيم: «عالٍ.. على رقته المفرطة!»

٣٦ الحالبون البدن من أوداجها

قال يمدح الأمير مجد الدين بن إسماعيل بن اللمطي:

جعلَ الرُّقادَ لِكَيْ يواصِلَ موعِدا　　مـن أيـنَ لـي فـي حبِّـهِ أن أَرْقُـدَا
كـم راحَ نَـحْـوي لائِـمٌ وغَـدا، ومَـا　　راحَ الـمَـلامُ بِـمِـسْـمَـعَـيَّ ولا غَـدَا
فـي كُـلِّ مُـعـتَـدِلِ الـقَـوامِ مُـهَـفْـهَـفٍ　　حُـلْـوِ الـتَـثَـنِّـي والـثَّـنـايَـا أَغْـيَـدَا

يلومونني في كل محبوب معتدل القوام مهفهف (دقيق الخصر)، الثنايا: الأسنان، الأغيد يتمايل ويتثنى للمرأة وللغصن، هذا هو الغيد، ثم صارت المرأة الغيداء ناعمة، ثم طرية، ثم جميلة، ثم طويلة ممشوقة القوام. يحشرون كل الصفات التي يحبونها في الكلمة ناقلينها عن معناها الأصلي.. ومن ذا الذي رمانا بهذه الداهية التي هي شرح الشعر!

يَـحـكـي الـغَـزالَـةَ بَـهْـجَـةً وتَـبـاعُـداً　　ويـقـولُ قَـوْمٌ مُـقْـلَـةً ومُـقَـلَّـدَا

يشبه المحبوب الغزالة في البهجة (الجمال) وفي الابتعاد عن الناس والنفرة منهم، ويقول آخرون ويشبه الغزالة في المقلة (العين) وفي المقلد (العنق حيث تلبس القلادة). في ترجمته الإنجليزية للديوان وضع بلمر هامشاً أشار فيه إلى أن الغزالة في العربية من أسماء الشمس. رأيناهم لا يعرفون غزالة بأل ويجعلون «غزالة» علماً على الشمس مثلما ثعالة علم على الثعلب. لعل معنى «غزالة» البعيد خطر ببال البهاء فذكر التباعد. نتمسك بشرحنا في السطر الأول. تسويد أ. عبد الرحيم

وكأنَّ أنفاسَ النَّسيمِ إذا سَرَتْ   شَكَرَتْ لِمَجْدِ الدِّينِ مَوْلانا يَدَا

يداً: فضلاً

يُعْزَى لِقَوْمٍ سَادَةٍ يَمَنِيَّةٍ   أَعْلَى الوَرَى قَدْراً وأَزْكَى مَحْتِدَا

الورى: البشر، محتد: أصل

الحَالِبِينَ البُدْنَ مِنْ أَوْدَاجِها   والمُوقِدِينَ لَها القَنَا المُتَقَصِّدَا

يحلبون البُدن (النياق) من أوداجها (عروق الرقبة/أي يذبحونها لضيوفهم)، ويوقدون لها ناراً من القنا المتقصّد (الرماح المتكسرة لكثرة حروبهم) فهم كرام وشجعان. ولم يسع النظم الإنجليزي هذا المعنى الدقيق، أو أن بلمر ـ المستشرق الذي ترجم دوان البهاء وذكرنا خبره في ذيل القطعة الثانية من مختاراتنا هذه من شعر البهاء ـ استسهل، أو أخطأ، وجعل المعنى: «يحلبون الدم من عروق قطعوها، ويوقفون سيلان الدم بقِطَع من رماحهم»

والغَالبينَ على القلوبِ مَهابَةً   والواصِلينَ إلى القلوبِ تَوَدُّدَا

وإذا الصَّريخُ دعاهُمُ لِمُلِمَّةٍ   جَعلُوا صَليلَ المُرْهَفاتِ لَهُ صَدَى

الصريخ: الاستنجاد، صليل المرهفات: صوت السيوف

٣٧ ارتقاب

لَيتَ شِعري هلْ زَماني   بعد ذا البُخْلِ يَجودُ

ينقضي يومٌ ويومٌ   في حديثٍ لا يُفيدُ

فمتَى اليومُ الذي أَبْـ   ـلُغُ فيه ما أُريدُ

٣٨ كذا هي الحياة

كلَّمَا قلتُ استَرَحْنا   جاءَنا شُغْلٌ جَديدُ

وخُطُوبٌ يَنْقُصُ الصَّبْـ   ـرُ عليها، وتَزيدُ

٣٩ الطويلة

لقد عابَها الواشي فقال طَويلةٌ،   مقالَ حَسودٍ مُظْهِرٍ لِعِنادِ

فقلتُ له: بَشَّرْتَ بِالخيرِ إنَّها   حياتِي، فإنْ طَالَتْ فذَاكَ مُرادي

٤٠ مماطلة

قــد طــالَ فــي الــوعــدِ الأَمَــدْ والــحُــرُّ يُــنْــجِــزُ مــا وَعَــدْ
وَوَعَــدْتَــنــي يــومَ الــخــمــيــســِ، فــلا الــخــميسُ ولا الأَحَــدْ
وإذا اقْــتَــضَــيْــتُــكَ لــم تَــزِدْ عــن قــولِ: إِي والــلَّــهِ غَــدْ

اقتضيتك: طالبتك بالوفاء

٤١ وحدة ووحشة

أيــنَ مَــولايَ يَــرانــي ودُمــوعــي فــوقَ خَــدِّي
أَقْــطَــعُ الــلــيــلَ أُقَــاســي مــا أُقَــاســي فــيــهِ وَحْــدي
لَــيــتَــنــي عــنــدكَ يــا مَــوْ لايَ، أوْ لَــيْــتَــكَ عِــنــدي

٤٢ مع السلامة

يــا مَــنْ تَــبَــدَّلَ فــي الــهــوى يَــهــنِــيــكَ صَــاحِــبُــكَ الــجَــديــدُ
إن كــان أَعــجَــبَــكَ الــصُّــدُو دُ كَــذاكَ أعــجَــبَــنــي الــصُّــدُودُ
واعْــلَــمْ بِــأَنِّــي لا أُريــدُ إذا رأيــتُــكَ لا تُــريــدُ
وأَنــا الــقَــريــبُ فــإِنْ تَــغَــيَّــرَ صــاحــبــي، فَــأنــا الــبَــعــيــدُ
ولــقــد عَــلــمــتَ بِــأَنَّــنــي لِــي فــي الــهَــوى خُــلُــقٌ شَــديــدُ

٤٣ لذيذ العتاب

إذا ما تَعاتَبْنَا وعُدْنا إلى الرِّضَا فــذلِــكَ وُدٌّ بَــيْــنَــنــا يَــتَــجَــدَّدُ
عَتَبْتُمْ علينا واعتذَرنا إليْكُمُ وقلتُمْ وقُلْنا والهوى يتأَكَّدُ
عَتَبْتُمْ فلم نَعلَمْ لِطيبِ حديثِكُمْ أَذَلِــكَ عَــتْــبٌ أمْ رِضــاً وتَــوَدُّدُ
وقد كانَ ذاكَ العَتْبُ عن فَرْطِ غَيْرَةٍ ويا طِيبَ عَتْبٍ بِالمَحَبَّةِ يَشْهَدُ

٤٤ بيتك أم بيتي؟

قُــمْ بِــنــا إنْ شِــئْــتَ عــنــدي أَوْ أَكُــنْ إن شــئــتَ عــنــدَكْ

شاع عند الأمير كان القول «بيتك أم بيتي؟» عقب عقد اتفاق غرامي في حانة أو مرقص

أَنــا فــي دَارِيَ وحْــدي فــتــفــضَّــلْ أنــتَ وَحْــدَكْ

٤٥ الثقيل (١)

وجَـــلـــيـــسٍ حـــديـــثُـــهُ ... لِـــلـــمَـــســـرَّاتِ طَـــارِدُ
مـــثـــلُ لَـــيـــلِ الـــشِّـــتـــاءِ فَـــهْـــ ... ـــوَ طـــويـــلٌ وبَـــارِدُ

٤٦ مولاي كن لي

مـــولايَ كُـــنْ لِـــيَ وحـــدي ... فـــإنـــنـــي لـــكَ وحـــدَكْ

«وقف الهدهد في باب سليمان بذلة/ قال يا مولاي «كن لي»، عيشتي صارت مملة» شوقي

وكُـــنْ بِـــقـــلـــبِـــكَ عِـــنـــدي ... فـــإن قـــلـــبـــيَ عـــنـــدَكْ
لـــي فـــيـــكَ قـــصـــدٌ جـــمـــيـــلٌ ... لا خَـــيَّـــبَ الـــلَّـــهُ قـــصـــدَكْ
حـــاشـــاكَ تُـــؤْثِـــرُ بُـــعْـــدي ... ولـــســـتُ أُوثِـــرُ بُـــعـــدَكْ
إن تَـــنْـــسَ عَـــهـــديَ إنِّـــي ... والـــلَّـــهِ لـــم أنْـــسَ عـــهـــدَكْ
مـــا لـــي عـــلـــيـــكَ اعـــتـــراضٌ ... أَدِّبْ كَـــمـــا شـــئـــتَ عـــبـــدَكْ
مـــولايَ إن غِـــبْـــتَ عـــنـــي ... وَاسُـــوءَ حَـــالِـــيَ بـــعـــدَكْ

٤٧ لا أشكو.. إلا هنا

يـا سـائِـلـي عـمَّـا تـجـدَّدَ لـي ... الـحـالُ لـم يَـنـقُـصْ ولـم يَـزِدِ
وكَـمـا عَـلِـمـتَ فـإنـنـي رجـلٌ ... أَفـنَـى ولا أشـكُـو إلـى أحـدِ

٤٨ لعنة شاملة

لـــعـــنَ الـــلَّـــهُ صـــاعِـــدا ... وأَبـــاه فَـــصـــاعِـــدا
وبـــنـــيـــه فـــنـــازلاً ... واحـــداً ثـــم واحِـــدَا

٤٩ زفاف قصيدة

قال يهنئ الأمير نصير الدين أبا الفتح ابن اللمطي:

بِكَ اهتزَّ لي غصنُ الأمانيِّ مُثْمِراً ... ورَقَّتْ لِيَ الدنيا وراقَ سرورُها
وما نالني مِنْ أَنْعُمِ اللَّهِ نِعمةٌ ... وإن عظُمَتْ إلَّا وأنت سَفيرُها
فخذْها كما تَهوى المعالي خَريدَةً ... تُزَفُّ، عليها دُرُّها وحريرُها

خذ قصيدتي خريدة (فتاة بكراً) ترضى عنها المعالي (الأمجاد)، وهي تزف إليك وعليها الدر (اللؤلؤ) والحرير

تكادُ إذا حَبَّرْتُ منها صحيفةً لذكراكَ أن تَبْيَضَّ منها سطورُها
ولِلناسِ أشعارٌ تقالُ كثيرةٌ ولكنَّ شعريِ في الأميرِ أميرُها

٥٠ جناية النسيم

أَعَلِمْتُمُ أن النسيمَ إذا سرَى نقلَ الحديثَ إلى الرقيبِ كما جَرى
وأذاعَ سرًّاً ما بَرِحْتُ أصونُه وهوىً أُنَزِّهُ قدرَهُ أن يُذْكَرا
ظهرتْ عليهِ مِنْ عِتابيَ نفحَةٌ رَقَّتْ حواشيهِ بِها وتَعَطَّرا
وأَتى العَذولُ وقد سدَدْتُ مسامعي بِهَوىً يَرُدُّ من العواذلِ عَسكَرا
ويلومُني فيكُمْ ولستُ ألومُه هيهاتَ، ما ذاقَ الغرامَ وما دَرى

٥١ جهاد حق لا اقتتال

قال البهاء زهير يمدح الملك الكامل ويذكر انتزاعه ثغر دمياطِ من الإفرنج:

تَدينُ لهُ الأَمْلاكُ بالكُرْهِ والرِّضا وتَخدُمُه الأفلاكُ في النَّهْيِ والأمرِ

الأملاك: الملوك، الأفلاك: بروج السماء، وهي تشير في عرفهم إلى ما سيقع من أحداث

وما فَرِحَتْ مصرٌ بِذَا الفتحِ وحدَها لقد فرحتْ بغدادُ أكثرَ مِنْ مِصرِ
وأُقسمُ إن ذاقَتْ بنو الأَصفرِ الكَرى فلا حَلَمَتْ إلّا بأَعلامِهِ الصُّفْرِ

بنو الأصفر: الأوروبيون، وسمى أبو تمام البيزنطيين بني الأصفر، قيل إن لون جلودهم أقرب إلى الصفرة. معنى البيت للمتنبي: «فكلما حلمت عذراء عندهم/ فإنما حلمت بالسبي والجمل». وزاد البهاء في المعنى أن شكك في رقادهم، وقابل بين بني الأصفر والرايات الصفر، وعلى ما في بيت المتنبي من وحشية عرفتها تلك الحروب في تلك الأزمان، فهو أحلى

ثَلاثةَ أعوامٍ أقمْتَ وأشهُراً تُجاهِدُ فيهِمْ لا بِزَيْدٍ ولا عمرِو
فَرَوَّيْتَ منهُمْ ظَامِئَ البِيضِ والقَنا وأشبعتَ منهُمْ طَاوِيَ الذِّئبِ والنَّسْرِ

رويت من دمهم البيض (السيوف) والقنا (الرماح) الظامئة، وأشبعت من جثثهم الذئب والنسر الطاوين (الجائعين)

كفَى اللَّهُ دُمْياطَ المَكارِهَ إنها لَمِنْ قِبْلَةِ الإسلامِ في موضِعِ النَّحْرِ

دمياط بالنسبة لقبلة الإسلام (مكة) في موضع النحر (العنق). ودمياط على الفرع الشرقي للنيل في مصبه «فرع دمياط»، والنيل يمر بقوص البلد التي نشأ بها البهاء، وقوص كانت مركزاً تجارياً بين مصر والحجاز عبر البحر الأحمر، فمن هنا سهُل على البهاء أن يرى دمياط بوابة للحرمين

٥٢ القصيدة الخجولة

كتب إلى الوزير الفاضل فخر الدين ابن قاضي داريا:

سأشكُو نَدىً عن شُكْرِهِ رحتُ عاجزاً　　ومِنْ أعجَبِ الأشياءِ أشكُو وأَشكُرُ

سأشكو السخاء الذي أصبحت عاجزاً عن تقديم الشكر عليه لتواليه وتدفقه

وأَوْلَيْتَنـي مِنْ بِرٍّ فضلِكَ أنعُماً　　غدا كاهِلي عن حملِها وَهْوَ مُوقَرُ

كاهلي: ظهري، موقر: مثقل

سَأشكُرُها ما دمتُ حياً وإن أَمُتْ　　سأَنشُرُها في موقِفي حينَ أُنْشَرُ

موقفي: وقوفي يوم القيامة للحساب، أُنشر: أُبعث

وإني وإن أُعطِيتُ في القولِ بَسْطَةً　　وطَاوَعَني هذا الكلامُ المُحَبَّرُ

لأَعلَمُ أَني في الثَّناءِ مُقَصِّرٌ　　وأنَّ الذي أَوْلَيْتَ أوفَى وأوْفَرُ

على أنَّ شُكْرِي فيكَ حينَ أَبُثُّهُ　　يَروقُكَ منه الروضُ يَزهُو ويُزهِرُ

فَخُذْها على ما حِيكَتِ ابْنَةَ ساعَةٍ　　أَتَتْكَ على اسْتِحْيائِها تَتَعَثَّرُ

خذ القصيدة كما حيكت (نسجت) وهي ابنة ساعتها (مرتجلة)

٥٣ ما أخرك؟

بالـلَّـه قـلْ لـي خَبَرَكْ　　فَلي ثَـلاثٌ لـم أَرَكْ

يـا أسبَقَ النـاسِ إلـى　　مَوَدَّتـي، مـا أَخَّـرَكْ؟

ونَاظِري عـلى الطَّريـ　　ـقِ لـم يَزَلْ مُنْتَظِرَكْ

ناظري: بصري. للناس الذين لم يعشقوا، ولم يعرفوا الانتظار وأكاذيب المعشوقة، وأعذارها التي ينتهي خروج النمل من ثقوبه في بيتي ولا تنتهي، نقول: ما رأيكم أن تتركوا هذه الأشعار، وتقرأوا الجريدة مثلاً!

٥٤ أنت المجلس

إذا مـا نسيتُكَ مَنْ أذكُرُ　　سِواكَ ببالِيَ لا يَخْطُرُ

ويـومُ سروريَ يـومَ أَراكَ　　لأَنـي بوجهِكَ أستبشِرُ

وإن غـابَ أُنسُكَ عن مجلسي　　فمـا لـيَ أُنْسٌ بِمَنْ يحضُرُ

٥٥ الفضيحة الطيبة

أنَـا مَـنْ تَـسْـمَـعُ عـنـهُ وتَـرَى لا تُـكَـذِّبْ عـن غَـرامـيِ خَـبَـرا
كـلُّ شـيءٍ مِـن حـبـيـبـي حَـسَـنٌ لا أرى مـثـلَ حبيبـيِ فـي الـوَرى
وافْـتِـضَـاحـيِ فـيـهِ مـا أطـيَـبَـهُ كـانَ مـا كـانَ، ويَـدري مَـنْ دَرَى

٥٦ دور وكاسات تدور

حـبَّـذَا دُورٌ عـلـى الـنِّـيـ ـلِ وكـاسَـاتٌ تَـدورُ
كـمْ بـهـا قـد مَـرَّ لـيِ، أسـ ـتـغـفـرُ الـلَّـهَ، سُـرورُ
كـلُّ عَـيْـشٍ، غـيـرَ ذاكَ الـ ـعـيـشِ فـي الـعـالَـمِ، زُورُ

٥٧ لن تعرف خيري..

لأجلِكَ سعيي واجتِهادي وخِدمتي ويا ليتَ هذا كلُّه فيكَ يُثمِرُ
تَبِعْتُ الذي يُرضيكَ في كلِّ حالةٍ فإن كنتَ لم تبصِرْهُ فاللهُ يُبصرُ
واللَّهِ ما مِثلي مُحِبٌّ ومُشْفِقٌ وسوفَ إذا جرَّبْتَ غَيْرِيَ تَذْكُرُ

٥٨ لا ينفع إلا وجهاً لوجه

مـا احـتـيـالـيِ فـي كـتـابٍ ضَـاقَ عـمَّـا فـي ضَـمـيـري
جِـرْتُ لا أعـرِفُ مـا أشـ ـرحُ فـيـهِ مِـنْ أُمـوري
كـادَ أن يـحـتـرِقَ الـقِـرْ طـاسُ مِـنْ نـارِ زَفـيـري
لـيـس يَـشْـفـيِ مـا بِـقـلـبـيِ مـنـكُـمُ غـيـرُ حُـضـوري

٥٩ فاحت رائحتك

قـد صَـحَّ عـنـديَ مَـا جَـرى فَـدَعِ الـلَّـجَـاجَـةَ والـمِـرا

اللجاجة: الجدل بمكابرة، المرا: المراء، أي المكابرة

كـم قـد كـتـمـتُ فـلـم يُـفِـدْ حـتـى دَرَى بِـكَ مَـنْ دَرَى
يـا غـافـلاً عـن نـفـسِـهِ أخَـذَتْـهُ ألـسِـنَـةُ الـوَرَى
واعـلَـمْ بـأنـكَ مـا تَـقُـلْ فـي الـنـاسِ قـالـوا أكـثَـرا

فاحفظْ لسانَكَ تسترِحْ فلقد جَرى ما قد جَرى

٦٠ مسافر

ليت شِعري ليت شِعريِ أيُّ أرضٍ هِيَ قبري
ضاعَ عُمْري في اغتِرابٍ ورحيلٍ مستَمِرٍّ
ومتى يومُ وفاتيِ ليتنيِ لو كنتُ أَدْري

٦١ ساهر مع النجم

قال، وأنشدنيها ـ يقول شرف الدين راوي شعره ـ بقلعة القاهرة المحروسة في عام ٦٤١ (وفي هذه الرواية الشخصية ما ينفي الزعم بأنها لابن الفارض):

غَيري على السُّلْوَانِ قادِرْ وسِوايَ في العشاقِ غَادِرْ
ليِ في الغرامِ سريرةٌ واللَّهُ أعلَمُ بالسَّرائِرْ
ومُشَبَّهٍ بالغُصْنِ قَلـ ـبيِ لا يَزالُ عليه طَائِرْ

رب معشوق يشبه الغصن، وقلبي عليه طائر (طائر بمعنى طير على الغصن/وبمعنى قلب ضائع)

حُلْوِ الحديثِ، وإِنَّها لَحَلاوَةٌ شَقَّتْ مَرائِرْ

مرائر: جمع مرارة

أَشكُو وأشكُرُ فِعْلَهُ فاعجَبْ لِشاكٍ منه شاكِرْ
يا تاركيِ في حبِّهِ مَثَلاً مِنَ الأمثالِ سائرْ
يا ليلُ ما لَكَ آخِرٌ يُرجَى، ولا للشوقِ آخِرْ
يا ليلُ طُلْ يا شوقُ دُمْ إنيِ على الحالينِ صابِرْ
ليِ فيكَ أَجْرُ مجاهِدٍ إنْ صَحَّ أنَّ الليلَ كافِرْ

الليل الكافر: الشديد الظلمة

طَرْفيِ وطَرْفُ النَّجْمِ فيـ ـكَ كِلاهُما سَاهٍ وساهِرْ

٦٢ ساهر مع الحبيب

رعَى اللَّهُ ليلةَ وَصْلٍ خَلَتْ وما خالَطَ الصَّفْوَ فيها كَدَرْ
ويا قَمرَ الأُفقِ عُدْ راجعاً فقد باتَ في الأرضِ عنديِ قَمَرْ

خَـلَـوْنـا ومـا بَـيْـنَـنـا ثـالـثٌ فـأصبـحَ عـنـدَ الـنـسيـمِ الـخَبَـرْ

٦٣ الحاضرون الغائبون

يــومُــنــا يــومٌ مَـطــيــرُ ولَـــنــــا كــــأْسٌ تَـــدُورُ
أَخــذَتْ مِـــنَّـــا عُـــقَـــارٌ أَخَـــذَتْ مـــنـــهـــا الـــدُّهـــورُ

العقار (الخمر) أخذت بعض عقولنا، وهي نفسها قد أخذ منها الزمان، فقل جرمها وازداد صفاؤها بتوالي السنين

لَـطُـفَـتْ فـي الـدَّنِّ حـتَّـى قـيـلَ سِـرٌّ وضَـمـيـرُ

ينظر الشاعر العربي إلى الخمرة نظرته إلى شيء سحري، فهذا المشروب ـ دون كل المشروبات ـ يفعل في النفس شيئاً غريباً؛ لا بد أن له سراً. اليوم نعرف أن مادة الإيثانول تصعد مع الدم إلى الدماغ وتطلق الدوبامين المخدر للأعصاب، وبعد أن عرفنا الهيروين وعائلته لم يعد في الخمر سر

فَـنِـيَـتْ إلَّا يَـسِـيـراً كُـلُّـهـا ذاكَ الـيَـسِـيـرُ

الخمر التي عصرت لتوها تكون عصيراً ثخيناً، وعندما تروق تفقد من جرمها الكثير إذ يرسب ما يرسب في القاع، والسائل الشفاف يوحي للمرء بأنه غير موجود على الحقيقة

وكـأَنَّ الـكَـأْسَ حَـقٌّ وكـأَنَّ الـراحَ زُورُ
ويَـغـيـبُ الـقـومُ فـي الـمجـ ـلـسِ والـقـومُ حُـضـورُ

٦٤ أين وجهك؟

وأَحْـمَـقٌ ذي لِـحْـيَـةٍ كـبـيـرةٍ مُـنْـتَـشِـرَةْ
طـلـبـتُ فـيـهـا وجـهَـهُ بِـشِـدَّةٍ فـلـمْ أَرَهْ
كـمْ قَـريَـةٍ لـلـقـمـلِ فـي جـافـاتِـهـا ومَـقـبَـرَةْ
يُـقْـسَـمُ عُـشْـرُ عُـشْـرِهـا يَـكْـفـي رِجـالاً عَـشَـرَةْ

٦٥ كلام شوارع

يـا هـذهِ لا تَـغـلَـطـي والـلَّـهِ مـا لـيِ فـيـكِ خَـاطِـرْ
وسـمـعـتُ عـنـكِ قـضـيَّـةً قـد سُـوِّدَتْ فـيـهـا الـدفـاتـرْ
نُـقـلَـتْ إلـيَّ جـمـيـعُـهـا حـتـى كـأنـي كُـنـتُ حـاضِـرْ
فـمـتـى أردتِ شـرحـتُـهـا لـكِ بـالـدَّلائِـلِ والأَمـائِـرْ

إن كـنـتِ أنـتِ نـسـيـتِـهـا فَـلَـكَـمْ لـهـا فـي الـنـاسِ ذَاكِـرْ

٦٦ أنا تمام التمام

يـا سـائـلاً عـن زهـيـرِ وكـيـفَ حـالُ زُهـيـرِ
والـلَّـهِ إنـي بـخـيـرٍ مـا دمـتَ أنـتَ بـخـيـرِ

٦٧ حديث الأكياس

وصـاحـبٍ أصـبـحَ لـي لائِـمـاً لـمـا رأى حـالَـةَ إِفـلاسـي
قـلـتُ لـه إنـي امـرُؤٌ لـم أزَلْ أُفْـنـي عـلـى الأكـيـاسِ أَكْـيـاسي

الأكياس: الناس المتمعون بالكياسة، الأكياس: أكياس النقود

دَعـنـي ومـا أَرضـى لِـنـفـسـي، ومـا عـلـيـكَ فـي ذلِـكَ مِـنْ بَـاسِ
لـو نَـظَـرَ الـنـاسُ لِأَحـوَالِـهِـمْ لاشْـتَـغَـلَ الـنـاسُ عـن الـنـاسِ

٦٨ خيبة أمل

قصدتُكُمُ أرجُو انتِصاراً على العِدَى حسِبْتُكُمُ ناساً فما كُنْتُمُ ناسَا
فلم تمنَعُوا جاراً ولم تنفَعُوا أخَاً ولم تدفَعُوا ضَيْماً ولم تَرْفَعُوا راسَا

في الشام يقول الأب لابنه: أريدك أن ترفع رأسي، وفي مصر يقول: أريدك أن تطيل رقبتي، والمعنى في كليهما: أريدك أن تجعلني أزهو بك بين الناس

٦٩ يا كل الناس

وأُنَـزِّهُ اسْـمَـكَ أن تَـمُـرَّ حـروفُـهُ مِـنْ غَـيْـرتـي بِـمَـسـامِـعِ الـجُـلَّاسِ
فأَقُولُ «بعضُ الناسِ» عنكَ كِنايَةً خَوْفَ الوُشَاةِ، وأنـتَ كُـلُّ الـنـاسِ

٧٠ توبة إفلاس

قـالـوا فُـلانٌ قـد غَـدا تـائِـبـاً والـيـومَ قـد صَـلَّـى مـع الـنـاسِ
قـلـتُ مـتـى ذاكَ وأَنَّـى لَـهُ وكـيـفَ يَـنْـسَـى لَـذَّةَ الـكـاسِ
أَمْـسِ بِـهَـذي الـعـيـنِ أبـصـرتُـه سَـكـرانَ بـيـنَ الـوردِ والآسِ

ورُحْتُ عن توبَتِهِ سائِلاً وجدتُها توبَةَ إفلاسِ

٧١ لست مستعجلاً

يا كثيرَ الصُّدُودِ والإعْراضِ أنَا راضٍ بِمَا بِهِ أنتَ راضِ
إنَّ لي حَاجَةً إليكَ، وإنِّي في حياءٍ عن ذكرِها وانقِباضِ
أَشْتَهِي أن أفوزَ منكَ بِوَعْدٍ ودَعِ العمرَ ينقَضي في التَّقَاضي

التقاضي: طلب الوفاء

٧٢ مصر التي في خاطري

ولم أرَ مِصْراً، مِثلَ مِصْرَ، يَروقُني ولا مِثْلَ ما فيها منَ العيشِ والخَفْضِ
وبعدَ بِلادي فالبلادُ جميعُها سواءٌ، فلا أَختارُ بَعضاً على بعضِ
إذا لم يكنْ في الدارِ لي مَنْ أُحِبُّهُ فلا فَرْقَ بين الدَّارِ أو سَائِرِ الأَرضِ

٧٣ وداع

وقائلةٍ لما أردتُ وَداعَها: حبيبِي أحقًّا أنتَ بِالبينِ فَاجِعي
وقامتْ وراءَ السِّتْرِ تبكِي حزينةً وقد نَقَبَتْهُ بينَنا بِالأصابعِ
فلما رأَتْ أن الفراقَ حقيقةٌ وأَنِي عليهِ مُكْرَهٌ غيرُ طائِعِ
تَبَدَّتْ فَلا واللَّهِ ما الشمسُ مثلَها إذا أَشرقَتْ أنوارُها في المَطالِعِ
تُسَلِّمُ باليُمْنى عليَّ إشارةً وتمسحُ باليُسرى مَجاريِ المَدامِعِ

٧٤ بعد الصلاة

مائدةٌ مُنَوَّعَةْ وقهوةٌ مُشعشَعَةْ

مشعشعة: ممزوجة بالماء

وسَادَةٌ تَراضَعُوا كأْسَ الوِدادِ مُتْرَعَةْ

تراضعوا: تبادلوا الرضاعة من ثدي واحد، وهؤلاء رضعوا من كأس المودة، بخٍ بخٍ.. نبحث عن أمثالهم

ولا يزيدونَ على ثلاثةٍ أو أربعَةْ

والـــيـــومُ يـــومٌ لـــم يَـــزَلْ يـــومَ ســـكـــونٍ وَدَعَـــةْ
فـــيـــا أخـــيِ كُـــنْ عـــنـــدنـــا بـــعـــدَ صَـلاةِ الـــجُـــمُـــعَـــةْ

٧٥ يا راحلاً

يـــا راحـــلاً لـــم يُـــبـــقِ لـــي مِـــنْ بـــعـــدِهِ بـــالـــعـــيـــشِ نَـــفْـــعَـــا
ضَـــاقـــتْ عـــلـــيَّ الأرضُ فـــيـــ ـــكَ وضِـقْـتُ بـــالـــهِـجْـرانِ ذَرْعـــا
وَرَعَـــيْـــتُ فـــيـــكَ الـــنَّـــجـــمَ يـــا مَـــنْ كـــانَ يـــحـــفَـــظُـــنـــي ويَـــرعَـــى

أسهرتني مع النجم، وكنت تسهر عليّ

أَبـــكـــيِـــكَ بـــالـــشـــعـــرِ الـــذي قـــد رقَّ حـــتـــى صـــارَ دمـــعـــا

٧٦ لم أقل ذلك بالضبط

لـكَ الـيـومَ أَمْـرٌ لا أَشُـكُّ يُـريـبُـنـي فما وجهُكَ الوَجْهَ الذي كنتُ أَعرِفُ
لـقـد نَـقَـلَ الـواشُـونَ عـنِّـيَ بـاطِـلاً ومِلْتَ لِما قالوا، فزادوا وأَسْرفُوا
بِعيشِكَ قلْ لي ما الذي قد سمعتَه فإنكَ تـدرِي مـا تـقولُ، وتُنْصِفُ
فـإنْ كـانَ قـولاً صـحَّ أنـيَ قـلـتُـه فَلِلْقَـولِ تـأويـلٌ ولِلْقَـولِ مَـصْـرَفُ

مصرف: وجه ينصرف إليه ويفسَّر به

وَهَـبْ أنَّـه قـولٌ مِـنَ الـلَّـهِ مُـنْـزَلٌ فـقـد بَـدَّلَ الـتَّـوراةَ قـومٌ وحَـرَّفُـوا

٧٧ شماتة

قال في والٍ عزل:

عـــزلُـــوهُ لَـــمَّـــا خـــانَـــهُـــمْ فَـــغَـــدا كـــئـــيـــبـــاً مُـــدْنَـــفَـــا

مدنف: مريض

ويـــقـــولُ لـــم أحـــزَنْ لِـــذا كَ ولـــم أكـــنْ مُـــتَـــأَسِّـــفَـــا
قُـــلْـــنـــا كـــذبـــتَ لـــقـــد حَـــزِنْـــ ـــتَ، وقـــد «حَـــزِنْـــتَ» مُـــصَـــحَّـــفَـــا

وتصحيف كلمة «حزنت» إما خَزِيت، أي أصابك الخزي، أو بالخاء والراء. والتصحيف هو ذلك التبادل بين الحروف المتشابهة

٧٨ حسنة للطفل

قال البهاء زهير يمدح السلطان الناصر يوسف بن محمد:

إذا كنتَ لي فالمالُ أَهْوَنُ ذاهبٍ ... يُعوِّضُهُ الإحسانُ منكَ ويُخْلِفُ
ولا أبتغي إلّا إقامةَ حُرْمتي ... ولستُ لشيءٍ غيرِها أَتَأَسَّفُ
ونفسي بحمدِ اللّهِ نفسٌ أبيَّةٌ ... فها هِيَ لا تَهْفُو ولا تتلهَّفُ
وأَشرفُ ما تبنيهِ مجدٌ وسُؤْدَدٌ ... وأَزيَنُ ما تَقْنيهِ سيفٌ ومُصْحَفُ
ولكنَّ أطفالاً صِغاراً ونِسْوَةً ... ولا أحدٌ غيري بِهِمْ يتلَطَّفُ
أَغارُ إذا هَبَّ النسيمُ عليْهِمُ ... وقلبي لَهُمْ مِنْ رحمةٍ يَترجَّفُ
سُروريَ أن يبدُو عليْهِمْ تَنَعُّمٌ ... وحُزْنِيَ أن يبدُو عليْهِمْ تَقَشُّفُ
إليكَ، صلاحَ الدينِ، أنهيتُ قِصَّتي ... ورأيُكَ يا مولايَ أعلى وأشرفُ

صلاح الدين: الملك الناصر حفيد صلاح الدين الأيوبي. القصة: الرقعة التي تحمل شكوى أو ظلامة

٧٩ غربة نفس

قال يمدح الصاحب صفي الدين المعروف بابن شكر:

ولِي حاجةٌ مِنْ وَصْلِهِ غيرَ أنها ... مُرَدَّدَةٌ بين الصَّبابةِ والتُّقى
ولستَ تَرى خِلّاً مِنَ الغدرِ سالماً ... ولا تقتَني يوماً صديقاً فيَصْدُقا
إذا نِلْتَ منه الوُدَّ كان تَكَلُّفاً ... وإن نلتَ منه البِشْرَ كان تَمَلُّقا
ومِمَّا دَهاني حُرْفَةٌ أَدَبِيَّةٌ ... غَدَتْ دونَ إدراكِ المَطالِبِ خَنْدَقا

حرفة الأدب: تعبير قديم يعني أن الأدب حرفة فقر، قالوا: «أدركتني حرفة الأدب» أي افتقرت بسبب انتهاجي طريق الأدب. ولو انتهج القائل حرفة السياسة لكان مصيره القتل. وشاعرنا رأى أدبه بمثابة خندق يحول بينه وبين مراده. وجعلوا الحرفة المذمومة هذه بضم الحاء، ربما لتمييزها عن المهنة

٨٠ كلامي ملحن بلا تلحين

أَأَرْحَلُ مِنْ مِصْرٍ وطيبِ نعيمِها ... فأيُّ مكانٍ بعدَها لِيَ شائِقُ

وشاعرنا رحل كثيراً وأحست بوقع قدميه مكة ودمشق ونابلس وآمد والموصل

وكيف! وقد أضحَتْ مِنَ الحُسْنِ جنةً زَرابِيُّهَا مَبْثُوثَةٌ والنَّمارِقُ

الزرابي: البُسُط مفرد البساط، والنمارق: الوسائد، ومبثوثة: مفروشة هنا وهناك. وهذا كناية عن الجنة كما في الآية

بلادٌ تَروقُ العينَ والقلبَ بهجةً وتجمعُ ما يَهوى تَقِيٌّ وفَاسِقُ
أَسُكَّانَ مِصْرٍ، إنْ قَضَى اللَّهُ بالنَّوَى فَثَمَّ عهودٌ بينَنا ومَوَاثِقُ
ففي كلِّ يومٍ لِي حنينٌ مُجَدَّدٌ وفي كلِّ أرضٍ لِي حبيبٌ مُفَارِقُ
كلامِي غَنِيٌّ عن لُحُونٍ تَزِينُهُ له مَعْبَدٌ مِنْ نفسِهِ ومُخَارِقُ

معبد ومخارق: من مشاهير المغنين

لكلِّ امرِئٍ منهُ نَصيبٌ يَخُصُّهُ يُلائِمُ ما في طبعِهِ ويُوافِقُ

٨١ أمسح دموعي بمنديلك

لعلَّ اللَّهَ يجمعُنا قريباً فنُصبِحَ في التئامٍ واتِّفاقِ
أُحَدِّثُكُمْ بأَعجَبِ ما جَرى لِي وأَصعبِ ما لَقيتُ مِنَ الفِراقِ
خَبَأْتُ لَكُمْ حديثاً في فؤادِي لأُتحِفَكُمْ به عند التلاقي

العاشق، وأيضاً غير العاشق، يختزن في غربته أحاديث في عقله، وقد يصوغها في عبارات أيضاً، ويتحرق للقاء محبوبه كي يحدثه بها. وعبر عن ذلك بحرارة الشاعر الأديب محسن الخياط عندما قال ـ وغنتها عليَّة التونسية في لحن حلمي بكر ـ: «بس امَّا تيجي وانا احكي لك ع اللي جرى/ وامسح دموعي بمنديلك ع اللي جرى»

٨٢ عيني للطريق

وزَعَمْتَ أنكَ زائرِي فتركتُ عينيَ للطريقِ
وتركتَنِي أبكي عليكَ مِنَ الغروبِ إلى الشروقِ
لو أن لِي عينَاً تنامُ قَنِعْتُ بالطَّيفِ الطَّروقِ

الطروق: الزائر ليلاً

٨٣ سلطان العاشقين الثاني

قال على طريقة المتصوفة:

سِرْتُ في الحبِّ سيرَةً لم يَسِرْها عاشقٌ في الوَرى على الإطلاقِ
ودُعَاتِي تجولُ في كلِّ أرضٍ وطُبُولِي يَضْرِبْنَ في الآفاقِ

مَثُلَ العاشِقونَ فوقَ بِساطي   في مَقامِ الهَوى وتحتَ رِوَاقي
ضُرِبَتْ سِكَّةُ المحبةِ بِاسمي   ودعتْ لي مَنابِرُ العشاقِ

السكة: النقود، فهو سلطان العشق ولا بد له من نقود تسك باسمه

كان لِلقوم في الزُّجَاجَةِ باقٍ   أنَا وحدي شربتُ ذاك الباقي
شَربةٌ لا أَزَالُ أسكَرُ منها   ليت شِعري ماذا سقاني السَّاقي
أنَا في الحبِّ ألطفُ الناسِ معنىً   دَمِثُ الخُلْقِ ذو حَواشٍ رِقَاقِ
أعشقُ الحسنَ والمَلاحَةَ والظَّرْ   فَ، وأهوى مَحاسِنَ الأخلاقِ

٨٤ تقبرني

تَعيشُ أنتَ وتَبْقَى   أنَا الذي مُتُّ حقَّا
حَاشاكَ يا نورَ عيني   تَلقَى الذي أنا ألقى
قد كانَ ما كانَ مِني   واللَّهُ خيرٌ وأبْقَى
ولم أجِدْ بين مَوْتي   وبين هجرِكَ فَرْقا
يا أنعَمَ الناسِ بالاً   إلى متى فيكَ أشقَى
سمعتُ عنكَ حديثاً   يا رَبِّ لا كانَ صِدْقا
حاشاكَ تنقُضُ عهدي   وعُرْوَتي فيكَ وُثْقَى
وما عهِدتُكَ إلَّا   مِنْ أكرمِ الناسِ خُلْقَا
يا ألفَ مولايَ مهلاً   يا ألفَ مولايَ رِفْقا
لكَ الحياةُ فإنِي   أموتُ لا شكَّ عِشْقا
لم يبقَ مِنِّيَ إلَّا   بقيَّةٌ ليسَ تَبْقَى

٨٥ اتركوها لي

تسائِلُ عن وَجدي بها وصبابَتي   فقلتُ أما يَكفيكِ مَوْتِيَ فيكِ
وكانتْ تُسَمِّيني أخَاها تَعَلُّلاً   فقلتُ لها: أفسدتِ عقلَ أخيكِ

تعللاً: تحججاً، هي تتحجج بتسميته أخاها كي تتدلل عليه. آه يا قلبي من هؤلاء النسوة اللائي يبدأن الحديث بيا أخي.. ليتهن بقين على ذلك، الآن صرن يقلن يا عمي

تركتُ جميعَ الناسِ فيكِ محبةً   فيا ليتَ بعضَ الناسِ لي تَركُوكِ

٨٦ أفتش في مكانك

قال يرثي ولده:

يَعِزُّ عليَّ حينَ أُدِيرُ عيني ... أُفَتِّشُ في مكانِكَ لا أَراكا
لقد عَجِلَتْ عليكَ يَدُ المنايا ... وما استوفيْتَ حَظَّكَ مِنْ صِباكا
فواأَسَفي لِجِسْمِكَ كيف يَبْلَى ... ويذهبُ بعدَ بهجتِه سَناكا
فيا مَنْ قد نَوى سفراً بعيداً ... متى قُلْ لي رجوعُكَ مِنْ نَواكا
فيا قبرَ الحبيبِ وَدِدْتُ أني ... حَمَلْتُ، ولو على عَيني، ثَراكا
سقاكَ الغيثُ هَتَّاناً وإلَّا ... فحَسْبُكَ مِنْ دموعيَ ما سَقاكا

٨٧ شوق

أيها الغائِبُ قد آ ... نَ لِعيني أن تَراكا
لستُ مشتاقاً إلى شي ... ءٍ مِنَ الدنيا سِواكا

٨٨ ما أجملك!

ويحَكَ يا قلبُ أما قلتُ لكْ ... إيَّاكَ أن تَهْلِكَ فيمَنْ هَلَكْ
ولِي حبيبٌ لم يَدَعْ مَسْلَكاً ... يُشْمِتُ بيِ الأعداءَ إلَّا قد سَلَكْ
بِاللَّهِ يا أَحْمَرَ خَدَّيْهِ مَنْ ... عَضَّكَ، أو أَدماكَ، أو أخجلَكْ
مولايَ حاشاكَ تُرى غادراً ... ما أقبحَ الغدرَ، وما أجملَكْ

٨٩ ما أوقح عينك

كم أُلاقي منكَ ما لا ... أَشتهي، لاقَيْتَ حَيْنَكْ!

الحَيْن: الموت

وعيونُ الناس تَسْتَحْـ ... ـيِي، ومَا أَوْقَحَ عينَكْ

الوقاحة في اللغة: الصلابة، وكانوا يصفون وجه المرء بأنه وقح، أي أنهٌ صلب لا يحمر ولا يتعرق من خجل، وصار الناس يصفون العين بالوقاحة، وهذا قريب، فعين الوقح ـ حاشاك ـ لا تنكسر من الفعلة الشنعاء، تراه يرتكب في حقك ما يرتكب وينظر في بؤبؤ عينك بعين له صلبة لا تتحرك. عندما أصِفُ الإسرائيليين يطيب لي ألا أشير إلى إجرامهم، وهم مجرمون، ولا إلى سفالتهم، وهم سفلة، أقول فقط: ما أوقحهم!

لَــعَــنَ الــلَّــهُ طَــرِيــقــاً   جــمــعــتْ بــيــنــي وبــيــنَــكْ

٩٠ الخروج من السباق

أنَــا أدري بــأَنَّـــنـــي   قَــلَّ قِــسْــمِــي لَــدَيْــكُــمُ

قسمي: نصيبي

فَــإِلَــى كَــمْ تَــطَــلُّــعِــي   والــتِــفَــاتــي إلــيْــكُــمُ

مَــنْ رآنــي يَــرِقُّ لــي   ضَــائــعــاً فــي يَــدَيْــكُــمُ

كــان مــا كــان بــيــنَــنــا   وســلامٌ عــلــيــكُــمُ

٩١ كشف القناع

يــا حُــسْــنَ بعضِ الــنــاسِ مــهــلا   صَــيَّــرتَ كــلَّ الــنــاسِ قَــتْــلــى

أَمَــرَتْ جــفــونُــكَ بِــالــهــوى   مــن كــان يــعــرِفُــهُ ومَــنْ لا..

وكَــشَــفْــتُ فــضــلَ قِــنــاعِــهِ   بِــيَــدَيَّ عــن قَــمَــرٍ تَــجَــلَّــى

فَــلَــثِــمْــتُــهُ فــي خــدِّهِ   تِــسْــعِــيــنَ أو تِــسْــعِــيــنَ إلَّا

لثمته: قبَّلته، تسعين قبلة أو تسعين إلا قليلاً. نسب إلى امرؤ القيس «وقبلتها تسعاً وتسعين قبلة/ وواحدة أخرى وكنت على عجل»

واهَــاً لــهــا مِــنْ ســاعــةٍ   مــا كــان أطــيــبَــهــا وأَحْــلــى

٩٢ ثقيل (٢)

رُبَّ ثَــقِــيــلٍ لِــبُــغْــضِ طَــلْــعَــتِــهِ   أَخــشــاهُ حــتَّــى كــأنــه أَجَــلــي

وكُــلَّــمــا قــلــتُ لا أُشــاهِــدُهُ   أَلْــقــاهُ حــتــى كــأنَّــه عَــمَــلــي

والمرء يلقى عمله في الآخرة، وقال المنشد متضرعاً إلى الله، من الدوبيت: «مولاي كتبتَ رحمةَ الناس عليك/ ما لي عمل يصلح بالعرض عليك/ إرحم ذلي ووقفتي بين يديك»

٩٣ واأسفا على إسماعيل

قال يمدح الأمير مجد الدين إسماعيل بن اللمطي وقد انفصل عن خدمته:

آيــاتُ مــجــدِكَ مــا لــهــا تــبــديــلُ   وعُــلُــوُّ قَــدْرِكَ مــا إلــيــه ســبــيــلُ

فاقَتْ صفاتُكَ كلَّ جيلٍ قد مَضَى   في الــعــالــمــينَ فكيف هذا الجيلُ

يُعزَى لكَ الإحسانُ غيرَ مُدافَعٍ والمحسنونَ كما علمتَ قليلُ

غير مدافع: لا أحد يدفع أو ينكر، هذا الفضل لك، فأنت فيه غير منازَع

لا يبتغي الراجي إليكَ وسيلةً إلّا الرجاءَ وأنَّكَ المأمُولُ

حَسْبُ امرِئٍ قد فازَ منكَ بموعدٍ فإذا وعدتَ فأنتَ إسماعيلُ

هذا هو الشرفُ الذي لا يُدَّعى هيهاتَ، ما كُلُّ الرجَالِ فُحولُ

يدعُوكَ مملوكٌ أراكَ مَلِلْتَه أنَا ذلكَ المملوكُ والمملولُ

كنْ كيف شئتَ فأنتَ أنتَ المُرتَضَى فَهوايَ فيكَ هَوايَ ليسَ يَحُولُ

أَسَفي على زمنٍ لديكَ قطعتُهُ وكأنَّني لِلفرقدينِ نَزيلُ

الفرقدان: نجمان متلازمان قرب النجم القطبي

وكأنَّما الأسحارُ منهُ عنبَرٌ وكأنَّما الآصالُ منه شَمولُ

يشبه الأسحار، أواخر الليل، بالعنبر تشبيه وقت بلون، وكذا الآصال: وقت الغروب يشببها بالشمول (الخمر) تشبيه وقت بلون

زمنٌ يَقِلُّ له البكاءُ لِفقدِهِ ولو انَّ دمعي دِجْلَةٌ والنيلُ

وإذا انتسبتُ بِخدمتي لكَ سابقاً فكأنها لِيَ مَعْشَرٌ وقَبيلُ

قَصُرَتْ عليكَ ثيابُ كُلِّ مَديحَةٍ وذُيولُهُنَّ على سِوَاكَ تَطُولُ

مديحة: قصيدة مدح. فمهما أطنب الشاعر في مدحه فالقصيدة أقل من صفاته، وهي كالثوب القصير، وعلى غيره فهذا الثوب تطول ذيوله

واعلَمْ بِأنّيَ عن صِفاتِكَ عاجزٌ واعذِرْ سوايَ، وما عَساهُ يقولُ؟

٩٤ رتبتي في العشق

لعلَّكَ تُصْغِي ساعةً وأَقولُ لقد غابَ واشٍ بينَنا وعَذُولُ

وفي النفسِ حاجاتٌ إليكَ كثيرةٌ أرى الشرحَ فيها والحديثَ يَطولُ

تسويد أ. عبد الرحيم

بِعيشِكَ حَدِّثْني بِمَنْ قَتَلَ الهوى فإني إلى ذاكَ الحديثِ أَمِيلُ

وما بلغَ العشاقُ حالاً بلغتُها هناكَ مَقامٌ ما إليه سبيلُ

الحال في كلام الصوفيين: حالة المرء إذ ينتشي بالدروشة، والمقامات عند الصوفيين مثل الرتب في الجيوش

وما كُلُّ مخضوبِ البَنانِ بُثَيْنَةٌ   وما كلُّ مَسْلُوبِ الفؤادِ جَميلُ

يزكي أ. عبد الرحيم تسوبدي، ويضيف: «الله!»

أَأَحْبابَنا هذا الضَّنَى قد أَلِفْتُه   فلو زالَ لاسْتَوْحَشْتُ حينَ يزولُ

دَعُوا ذكرَ ذاكَ العَتْبِ مِنَّا ومنْكُمُ   إلى كمْ كِتابٌ بينَنا ورسولُ

ورُدُّوا نَسيماً جاءَ منكُمْ بزورُني   فإنِّي عَليلٌ والنَّسيمُ عَليلُ

أرجِعوا هذا النسيم، فهو عليل (ضعيف أي لطيف لا يبلغ أن يكون ريحاً) وأنا عليل (مريض بحبكم)

٩٥ فلا نزل القطر

وَيْحَ صَبٌّ في محبَّتِكُمْ   كَثُرَتْ فيهِ الأقاويلُ

فإلى كم أنتَ يا سَكَني   كلُّ وعدٍ منكَ مَمْطُولُ

وإذا ما مُتُّ مِنْ ظَمَأٍ   لا جَرَى مِنْ بَعدِيَ النِّيلُ

يعلق أ. عبد الرحيم، محقاً: يا لطيف!

٩٦ تدق هواء وتطحن ماء

وعاذِلٍ آمِرٍ بالصبرِ قلتُ له: إنِي وحقِّكَ مشغولٌ عنِ العَذَلِ

أَطَلْتَ عَذْلَ مُحِبٍّ ليس يقبَلُهُ   فكانَ أَضْيَعَ مِنْ دمعٍ على طَلَلِ

٩٧ اذكرني لديها

وأَذْكُرُ أيَّامَ الحجازِ وأَنْثَني   كأَنِي صريعٌ يَعتريهِ خَبالُهُ

صريع: مصاب بنوبة صرْع، خباله: جنونه

ويا صَاحبي بالخَيْفِ كُنْ لِيَ مُسْعِداً   إذا آنَ مِنْ ذاكَ الحَجيجِ ارتِحَالُهُ

الخيف: مكان في مِنى، مسعد: مساعد

وخُذْ جانبَ الواديِ كذا عن يمينِه   بحيثُ القَنا يهتَزُّ مِنْهُ طِوالُهُ

لعله يعني أن المكان معمور بفرسان القبيلة الذين يرفعون القنا (الرماح) ويهزونها في وجه الغرباء حماية للعرض

هُناكَ ترى بيتاً لزينبَ مشرفاً   إذا جئتَ لا يخفَى عليكَ جَلالُهُ

فَعَرِّضْ بِذِكري حيثُ تَسمَعُ زينبٌ وقُلْ ليسَ يَخْلُو ساعةً منكِ بالُهُ
عَساها إذا ما مَرَّ ذِكري بِسَمْعِها تقولُ: فُلانٌ عندَكُمْ، كيفَ حالُهُ؟

يعلق أ. عبد الرحيم على البيتين الأخيرين بـ «جميلان!» ولا ينسى أبداً إشارة التعجب. وكان بودي أن أنشئ، بادئاً، كلاماً كثيراً في بيان إعجابي بهذين البيتين، وتعجبي من وقوعهما للشاعر، ولأي شاعر، فهما عندي من كلام ربة الشعر، ألقت بهما في قلب شاعرنا كما هما. تنتابني كلما وصلت إلى «كيف حاله؟» حالة من الافتتان لا أستطيع لها تفسيراً

٩٨ ألف الوصل

أقولُ إذْ أبصرتُهُ مقبلاً معتدلَ القامةِ والشكلِ
يا أَلِفاً مِنْ قَدِّهِ أَقبَلَتْ بِاللَّهِ كُوني أَلِفَ الوصلِ

حتى هذان البيتان ـ على ما فيهما من إشارة إلى الحرف العربي ـ أصر بلمر على ترجمتهما، ودعم الترجمة بحاشية

٩٩ الحبيب السكران

قال البهاء من بحر السلسلة المستحدث، مجزوء الدوبيت:

يا مَنْ لَعِبتْ به الشَّمُولُ ما أَلْطَفَ هذِهِ الشَّمائِلْ

الشمول: الخمر، الشمائل: الخصال

نَشوانُ يَهُزُّهُ دَلالٌ كالغصنِ مع النسيمِ مائلْ
لا يمكنُه الكلامُ لكنْ، قد حَمَّلَ طَرْفَهُ رسائلْ
ما أَطيبَ عيشَنا وأَهْنَا والعاذلُ غائبٌ وغافلْ
عشقٌ ومَسَرَّةٌ وسُكْرٌ والعقلُ ببعضِ ذاكَ ذاهلْ
والعيشُ كما نحبُّ صَافٍ والأُنْسُ بما نحبُّ كاملْ
لِي فيكَ وقد علمتَ عِشقٌ لا يَفهَمُ سِرَّهُ العواذلْ
في حبِّكَ قد بَذلتُ رُوحي إن كنتَ لِمَا بَذلتُ قابلْ
ها عبدُكَ واقفٌ ذليلٌ بالبابِ يَمُدُّ كَفَّ سائلْ
مِنْ وَصلِكَ بِالقليلِ يَرضَى اَلطَلُّ مِنَ الحبيبِ وابِلْ

الطل: الرذاذ، الوابل: المطر الكثير. والقصيدة لها لحن قديم، وسترى شرحي في الأبيات والقصائد المقبلة مشتتاً لأن هذا اللحن صار الآن «دودة» في أذني، بحسب تعبير الألمان، وسأردده مكرهاً بيني وبين نفسي

١٠٠ توبة آخر العمر

وقال من بحر السلسلة، وقد أطلق بعضهم على السلسلة اسم الدوبيت، وعكس بعض، ولهم في تفاعيل هذين الضربين أقوال:

ما أعظمَ حسرتي لِعُمْرٍ قد ضاعَ ولم أَفُزْ بِطائِلْ
قد عَزَّ عليَّ سوءُ حالي ما يفعلُ ما فعلتُ عاقِلْ
يا ربِّ وأنتَ بي رحيمٌ **قد جئتُكَ راجياً وآمِلْ**
يا أكرمَ مَنْ رجَاهُ راجٍ عن بابِكَ لا يُرَدُّ سائلْ

١٠١ الله لا الفلك

دَعُوا الوُشاةَ وما قالوا وما نَقلوا بيني وبينَكُمُ ما ليس ينفصلُ
لكُمْ سرائرُ في قلبي مخبَّأَةٌ لا الكُتْبُ تنفعُني فيها ولا الرسلُ

سرائر: أسرار. تسويد أ. عبد الرحيم

أُمْسي وأصبحُ والأشواقُ تلعَبُ بي كأنما أنَا منها شاربٌ ثَمِلُ
فيا رسولي إلى مَنْ لا أَبوحُ به إنَّ المُهمَّاتِ فيها يُعرفُ الرجلُ
بلِّغْ سلامي وبالِغْ في الخِطابِ له وقَبِّلِ الأرضَ عني عندما تَصِلُ
باللَّهِ عَرِّفْهُ حالي إنْ خَلَوْتَ به ولا تُطِلْ فحبيبي عندَهُ مَلَلُ
دَعِ التَّوانيَ في أمرٍ تَهُمُّ به فإنَّ صَرْفَ الليالي سائِقٌ عَجِلُ
واعزِمْ متى شئتَ، فالأوقاتُ واحدةٌ لا الرَّيْثُ يدفعُ مَقدُوراً ولا العَجَلُ

لا تؤجل عملاً بحجة أن الوقت غداً أنسب منه اليوم فالأوقات واحدة، فلا الريث (البطء) ولا العجل (السرعة) مما يغير القدر

لا تَرْقُبِ النَّجْمَ في أمرٍ تحاولُه فاللَّهُ يفعلُ، لا جَدْيٌ ولا حَمَلُ

١٠٢ إن بعض الظن..

ما لَه عنِّيَ مالا وتَجنَّى فأَطالا
أَتُرى ذاك دلالاً مِنْ حبيبي أو مَلالا
هو معذورٌ رأى النا سَ يقولونَ فقالا
سيدي لم يُبْقِ لي هجـ ـرُكَ بين الناسِ حالا

أنـــتَ رُوحـــيِ لا أرى لـــيِ   عـنـكَ يـا رُوحـي انـفـصـالا
لا وَحــقِّ الــلَّــهِ مــا ظــنُّــ ـ   ـكَ فـــي حـــقـــيِ حـــلالا
إن بـــعـــضَ الـــظَّـــنِّ إثـــمٌ   صـــدقَ الـــلَّـــهُ تـــعـــالـــى

١٠٣ غربة وكربة

إلى كم فُرْقَتي، وكَم ارتحاليِ؟   فـلا أَشكُـو لِـغـيـرِ الـلَّـهِ حـالـي
تُـجـدِّدُ لـيِ الـحـوادثُ كـلَّ يـومٍ   رحـيـلاً قـطُّ لـم يـخـطُرْ بِـبـالـي
ومـا عَـيْـشُ الـغـريـبِ بِـلا عِـيـالٍ   كَـعـيـشِ الـقـاطـنـيـنَ ذَوي الـعـيـالِ

١٠٤ قضاء الحاجات

ومِنْ خُلُقِي المشهورِ، مذْ كنتُ، أَنني   لِـغـيـرِ حـبـيـبٍ قَـطُّ لـمْ أَتَـذَلَّـلا
ولم يكن العرب يخجلون من التذلل للحبيبة

فما فاتَنيِ حظِّي مِنَ اللَّهْوِ والصِّبا   وما فاتَنيِ حظِّي مِنَ المجدِ والعُلَى
ويـا رُبَّ داعٍ قـد دعـانـيِ لـحـاجـةٍ   فـعـلـتُ لـه فـوقُ الـذي كـان أمَّـلا
بسطْتُ له وجهاً حيِيَّاً ومنطِقاً   وفـيَّـاً ومـعـروفـاً هَـنـيَّـاً مـعـجَّـلا
وراحَ يَـرانـيِ مـنـعِـمـاً مـتـفـضِّـلاً   ورحـتُ أراهُ الـمـنـعـمَ الـمـتـفـضِّـلا

١٠٥ الكبر عبر

أتـريـدُ فـي الـسَّـبـعـيـنَ مـا   قـد كـنـتَ فـي الـعـشـريـنَ فـاعـلْ
هـــيـــهـــاتَ، لا والـــلَّـــهِ مـــا   هـذا الـحـديـثُ حـديـثَ عـاقِـلْ

١٠٦ خيبة

عـرفَ الـحـبـيـبُ مـكـانَـه فـتـدلَّـلا   وقـنِـعْـتُ مـنـه بـمـوعـدٍ فـتَـعَـلَّـلا
مكانه: مكانته، تعلل: تحجج

وأتى الرسولُ ولم أَجِدْ في وجهِه   بِـشْـراً كـمـا قـد كـنـتُ أَعـهَـدُ أوَّلا

١٠٧ في وصف بغلة

لَــكَ يــا صــديــقــيِ بَــغْــلَــةٌ   لــيــســتْ تُــســاوِي خَــرْدَلَــةْ

مقدارُ خُطْوَتِها الطويـ ـلةِ حين تُسْرِعُ أنْمُلَةْ
تَهتزُّ وَهْيَ مكانَها فكأنّما هِيَ زَلزلةْ
أَشبَهْتَها بل أشبهَتْـ ـكَ كأنَّ بينَكُما صِلَةْ
تَحكي صفاتِكَ في الثَّقا لةِ والمهانةِ والبَلَهْ

١٠٨ دعوة حبيب

قُمْ بِنا قد طَلَعَ الفجْـ ـرُ وقد أشرقَ نَجْمُهْ
عندنا وَرْدٌ جَنيٌّ يُنعِشُ الميِّتَ شَمُّهْ

جنيٌّ: رطب جُني لوقته

فَأَجِبْ دعوةَ داعٍ أنتَ مِنْ دُنياهُ سَهْمُهْ

سهمه: نصيبه

فإذا جئتَ وغابَ النَّـ ـاسُ طُرّاً لا يَهُمُّهْ

١٠٩ في وصف فرس

ولي فَرسٌ أَنتَ العليمُ بحالِها وبالرغم مِنّي رَبْطُها ومُقَامُها

ربطها: ارتباطي إياها، واتخاذي إياها مطية

ولمْ يُبْقِ منها الجَهْدُ إلّا بقيَّةً فيغْدُو عليها أو يروحُ حِمامُها

أي قد تموت في صباحها أو في مسائها

شَكَتْني لِكلِّ الناسِ وَهْيَ بَهيمَةٌ ولكنْ، لها حالٌ فَصيحٌ كلامُها

شكتني بلسان حالها إذ فقدت لسان مقالها

١١٠ سيحدثن لمن ودعتهم ندم

قال البهاء زهير يمدح مجد الدين بن إسماعيل بن اللمطي سنة ٦٢٩ ويلومه:

أَأُنْكِرُ ما أَوْلَيْتَني مِنْ مَواهِبٍ يُقِرُّ بِها مِنْ جِسمِيَ اللحمُ والدَّمُ

مواهب: هبات

ولي في بلادِ اللّهِ مَسْرىً ومَسْرَحٌ ولي مِنْ عطاءِ اللّهِ مَغْنىً ومَغْنَمُ
وأَعْلَمُ أني غَالِطٌ في فراقِكُمْ وأَنَّكُمُ في ذاكَ مِثْلي وأَعْظَمُ

فلا طَابَ لي عنكُمْ مُقَامٌ ومَوْطِنٌ   ولَوْ ضَمَّنِي فيه المَقَامُ وزَمزَمُ

المقام الثانية: مقام إبراهيم في الحرم المكي

ومِثْلُكَ لا يَأْسَى على فَقْدِ كاتِبٍ   ولكنَّهُ يَأْسَى عليكَ ويَنْدَمُ
فمَنْ ذا الذي تُدْنِيه مِنكَ وتصطَفِي   فيكتُبُ مَا يُوحَى إليكَ ويَكْتُمُ

يوحى إليك: يخطر ببالك

ومَنْ ذا الذي يُرضيكَ منه فَطانَةٌ   تقولُ فَيَدْرِي، أو تشيرُ فيفهَمُ
وما كُلُّ أزهارِ الرياضِ أَرِيجَةٌ   وما كُلُّ أطيارِ الفَلا تَتَرَنَّمُ

١١١ أحبها وأفتخر

صَدَقَ الواشونَ فيما زعموا   أنَا مُغْرىً بِهواها مُغْرمُ
غَلبَ الوجدُ فلا أكتُمُهُ   إنما يُكْتَمُ ما يُكْتَتَمُ
تَعِبَ العُذَّالُ بي في حبِّها   قُضِيَ الأمرُ وجَفَّ القلمُ

جف القلم: أصل التعبير أن ما كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير، فالله قدر كل شيء تقديراً. وهنا جف القلم أي انتهى الأمر

أيها السائلُ عن وَجدي بها   إنه أعظمُ ممَّا تزعُمُ
ظُنَّ خَيراً بينَنا أو غيرَه   فحبيبي فيه تَحْلُو التُّهَمُ

١١٢ بيتان للصعيد

ويرتاحُ قلبي للصَّعيدِ وأهلِه   وعَيْشٍ مضى لي عندَهُمْ ومُقامِ
وأهوى وُرودَ النيلِ مِنْ أجلِ أنه   يمرُّ على قومٍ عَلَيَّ كرامِ

١١٣ ثقيل (٣)

كلما قلتُ استرحْنا   جاءَنا الشيخُ الإمامُ
فاعترانا كلَّنا منـ   ـه انقباضٌ واحتشامُ
فَهْوَ في المجلسِ فَدْمٌ   ولنا فَهْوَ فِدامُ

فدم: بليد الفهم، فدام: سِداد يوضع على فم الإبريق، فالشيخ يسد أفواه من بالمجلس إذ يصمتون لحضوره

وعلى الجملةِ فالشيـ   ـخُ ثقيلٌ والسلامُ

١١٤ هوِّن عليك

أيـــهـــا الـــحـــامِـــلُ هَـــمَّـــاً　إن هــــــذا لا يــــــدومُ
مـثـلَـمـا تـفْـنَـى الـمـسـرا　تُ، كـذا تـفْـنَـى الـهُـمـومُ
إن قَـسـا الـدهـرُ فـإنَّ الـلَّـ　ـهَ بـالـنـاسِ رحـيـمُ
أو تَـرى الـخـطـبَ عـظـيـمـاً　فـكـذا الأجـرُ عـظـيـمُ

١١٥ عليها الصلاة والصوم

رقَّ فـي الـجـوِّ الـنـسـيـمُ　فـتـفـضَّـلْ يـا نـديـمُ
وكـأنَّ الـفـجـرَ نـهـرٌ　غَـرِقَـتْ فـيـه الـنـجـومُ
فـاجْـلُ بـالـصَّـهـبـاءِ لـيـلاً　بـقـيـتْ مـنـه رُسُـومُ
واسـبِـقِ الـشَّـمـسَ بـشَـمـسٍ　لا تُـوارِيـهـا الـغُـيـومُ
قَـهـوةٍ رقَّـتْ فـمَـا فـي　كـأسِـهـا إلَّا نَـسـيـمُ

قهوة: خمر

بـنـتِ كـرمٍ لـم يَـفُـزْ قَـطُّ ـ　بـهـا إلَّا الـكَـريـمُ
وعـلـى طـيـنَـتِـهـا مِـنْ　سَـالِـفِ الـدهـرِ خُـتُـومُ

كانوا يطينون دن الخمر الكبير إمعاناً في تعتيق الخمر في الظلمة الشديدة، ولعلهم كانوا يختمون عليها، قال ابن الحجاج: «رسموا طين دنها وهو رطب/ باسم كسرى كسرى أنوشروان»

لـم يَـزَلْ عـنـدَ الـمـجـوسيِّ ـ　لـهـا قَـدْرٌ عـظـيـمُ
ولـهـا الـراهِـبُ فـي الـديـ　ـرِ يُـصَـلِّـي ويـصـومُ

١١٦ إمام العاشقين

لا تَـسَـلْ فـي الـحـب غـيـري　أنـا فـي الـحـبِّ إمـامُ
لـيَ فـيـه مـذهـبٌ يـتْـ　ـبَـعُـنـي فـيـه الأنـامُ
أيـهـا الـعـاشـقُ إنَّ الـ　ـعـشـقَ مِـنْ بـعـدي حَـرامُ
كـلُّ نـارٍ، غـيـرَ نـارِ الـ　ـعـشـقِ، بـردٌ وسَـلامُ

١١٧ اذكره كيفما كان

أيــــهـــا الـــلائــمُ فــيـــه　　لا تــقــصِّــرْ فــي مَــلامــي

فيه: في حبه

فــمــتـــى كـــرَّرْتَ ذِكْـــرا　　هُ يَـــزِدْ فــيـــهِ غَـــرامـــي

١١٨ من لي سواك

مَــنْ لــي ســواكَ إذا شــكــو　　تُ لـــهُ، يَـــرِقُّ ويَـــرحَـــمُ

قــد مُــتُّ مِــنْ شــوقــي إلــيـــ　　ـكَ، تــعــيــشُ أنــتَ وتَــسْــلَــمُ

١١٩ جننه المنصب

ورئـــيـــسٍ ذي خِـــسَّـــةٍ　　كُـــلُّ مَـــنْ شـــئـــتَ لائـــمُـــهْ

جَـــنَّـــنَـــتْـــهُ وِلايَـــةٌ　　قَـــلَّ فـــيـــهـــا مُـــسَـــالِـــمُـــهْ

قـــلـــتُ إذ راحَ غـــارقـــاً　　فـــي بِـــحـــارٍ تُـــلاطِـــمُـــهْ

عـــن قـــريـــبٍ تَـــرَوْنَ حَـــا　　سِـــدَهُ وَهْـــوَ رَاحِـــمُـــهْ

بعد عزله المرتقب سيرحمه (يشفق عليه) من كان يحسده

١٢٠ قلب ذو أمكنة

وما حَلَّ عنديِ غيرُكُمْ في مكانِكُمْ　　لـكـلِّ حـبـيـبٍ فـي الـفـؤادِ مَـكـانُ

١٢١ إن جاءها الأعمى

خُـذْ فـارغـاً وهـاتِـه مَـلآنـا　　مِـنْ قـهـوةٍ قـد عُـتِّـقَـتْ أزمـانـا

أَقَـلُّ مـا مَـلَـكَـهَـا مَـالِـكُـهَـا　　أَنْ لَـحِـقَـتْ عَـهْـدَ أنـوشِـروانَـا

ذَخـيـرةُ الـراهـبِ كـيْ يـجـعَـلَـهـا،　　إذا أتـتْ أَعـيـادُهُ، قُـربـانـا

تـكـادُ مِـنْ لألائِـهـا إذ بَـدَتْ　　تَـهـدي إلى مـكـانِـهـا الـعُـمْـيـانـا

ولـيِ نـديـمٌ مـاجِـدٌ لا أرتَـضـي　　عـنـه بَـديـلاً كـائـنـاً مـن كـانـا

أخـو فُـكـاهـاتٍ مَـتـى حَـاضَـرْتَـهُ　　فـي مـجـلـسٍ وجـدتَـه بُـسـتـانـا

حاضرته: ناقلته الأحاديث. والمحاضرة عند القدماء تبادل الأحاديث بين «الحاضرين»، وجعلوا كثيراً من كتبهم مملوءاً بالنوادر اللائقة بمجالس الأمراء، وسموا بعض هذه الكتب محاضرات. والمحاضرة اليوم صارت ـ في غرب وشرق ـ

حديثاً طويلاً مملولاً يلقيه شخص بليد على مستمعين يجاهدون في رفع جفونهم، وتسقط بين الفينة والفينة. وعندما يحين وقت الأسئلة يتصدى لها أسخف الحاضرين وأشدهم طاووسية، فيلقي محاضرة من عنده، ويعوّذها بسؤال ليس بسؤال

١٢٢ لم يبق غيرك فلا تتغير

لـم يـبـقَ لـيِ إلَّاكَ خِـلٌّ مُـحْـسِـنٌ   وعَـسـاكَ أن تَـبـقَـى عـلى الإحـسـانِ
إنـيِ لأعـجَـزُ أنْ أُرَى مـتـحـمِّـلاً   غَـدرَيْـنِ: غَـدْرَ أخٍ وغـدرَ زمـانِ

١٢٣ المكان والإمكان

وقال يمدح الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف ابن الملك الكامل سنة ٦٢٠:

لكُـمْ أيـنـمـا كـنـتُـمْ مـكـانٌ وإمـكـانُ   ومُلْكٌ له تَعْنُو الـمُلوكُ، وسُلطانُ

تعنو: تخضع

فَحسْبُكِ قد وافَاكِ يا مِصْرُ يوسُفٌ   وحسْبُكَ قد وافَاكَ يا نيلُ طُوفانُ

فالممدوح لمصر كيوسف النبي الذي كان وزيراً يدير شؤون المملكة

بِعزمٍ تـخـافُ الأرضُ شِـدَّةَ وقـعِـهِ   ويَرتَـاعُ ثَـهْـلانٌ لـه، وَهْـوَ ثَـهْـلانُ

ثهلان: من جبال العرب

وتُـمـلأُ أحـشـاءُ الـبـلادِ مـخـافـةً   وتَـرتـجُ بـغـدادٌ لـه وخُـراسـانُ
فأمَّنْتَ تلكَ الأرضَ مِنْ كُلِّ رَوْعَةٍ   وقـد عـمَّـهـا ظُلْـمٌ كـثيـرٌ وطُـغيـانُ

الروعة: الخوف

وهُمْ يَصِفُونَ الرمحَ أسمَرَ ظَامِياً   فَـهَـا هُـوَ مُـحْـمَـرٌّ لَـدَيْـكَ وَرَيَّـانُ

تصف العرب الرمح بانه أسمر وظامئ (جاف)، ولكن رمح الممدوح محمر وقد ارتوى بدم الأعداء

لَعَمْرُكَ ما في القومِ بَعدِيَ قائلٌ   فـهـذا مـجـالٌ لـلـجِـيـادِ ومَـيـدانُ
فـدعْ كـلَّ مـاءٍ حـيـنَ يُـذكَـرُ زمـزمٌ   ودَعْ كـلَّ وَادٍ حـيـنَ يُـذْكَـرُ نَـعْـمـانُ

نعمان: الوادي الذي تضوع بطنه مسكاً عندما به مرت زينب وصويحباتها

١٢٤ اذكر الله

أَخْلِصْ لِرَبِّكَ فيما كانَ مِنْ عملٍ   ولْـيـتَّـفِـقْ مـنـكَ إسـرارٌ وإعـلانُ
فـكُـلُّ فِـكْـرٍ لِـغَـيْـرِ الـلَّـهِ وَسْـوَسَـةٌ   وكُـلُّ ذِكْـرٍ لـغـيـرِ الـلَّـهِ نِـسـيـانُ

١٢٥ اصطلحنا

سمعَ الناسُ وقُلنا ... وافتَضَحنا واسترحْنا
بِتُّ والبَدْرُ نديمي ... فَفَعلنا وتَركنا
راحَ يدعُونا التَّصابي ... فسمِعنا وأطعنا
وجعلناه يقيناً ... بعدَما قد كان ظنَّا
لي حبيبٌ ليَ منه ... كلُّ شيءٍ أتمنَّى
فَهْوَ بَدرٌ يتجلَّى ... وَهْوَ غُصْنٌ يتثَنَّى
كان غضباناً فلمَّا ... أن تلاقيْنا اصطَلَحْنا

١٢٦ وفاء

لي صاحبٌ غبتُ عنه ... ولستُ أذْكُرُ مَنْ هُوُ
سَمعتُ عنه حديثاً ... أعاذَنا اللَّهُ منهُ
فكَمْ أكابِرُ عنه ... والقولُ يَكثُرُ عنهُ
هذا لِيَعْلَمَ أني ... في غَيْبِهِ لم أخُنْهُ

١٢٧ صفحة جديدة

مِنَ اليومِ تعارَفْنا ... ونَطْوِي ما جرى مِنَّا

أي كأننا ما تعارفنا إلا اليوم

ولا كانَ ولا صارَ ... ولا قلتُمْ ولا قُلْنا
وإن كانَ ولا بُدَّ ... مِنَ العَتْبِ فَبِالحُسْنَى
فقد قيلَ لنا عنكُمْ ... وقد قيلَ لكُمْ عنَّا
وما أحسَنَ أن نرجِـ ... ـعَ للوصْلِ كما كنَّا

١٢٨ نم بعيني

قال يرثي فتح الدين عثمان بن حسام الدين والي الإسكندرية، وتوفي ٦٣١:

لقد دَفَنَ الأقوامُ يومَ وفاتِهِ ... بقيَّةَ معروفٍ وخيرٍ وإحسانِ

ووارَوْهُ والذِّكرى تُمَثِّلُ شخصَه		كأنَّهُمُ وَارَوْهُ ما بينَ أجفاني

قال بدوي الجبل يرثي سعد الله الجابري: «نم بعيني فقد فرشت لك الأحـ لام مخضلة الورود طريقا» ولا نراه سرق المعنى

يواجِهُني أينَ اتَّجهتُ خيالُه		كما كنتُ ألقاهُ قديماً ويلقاني

١٢٩ في باب الكريم

كانَ البياضُ يروقُني		حتى رأيتُ الشيْبَ مِنِّي

ويُقالُ إنَّكَ قد كَبِرْ		تَ عن الهوى فأقولُ إنِّي..

وأظَلُّ أَقْرَعُ دائماً		سِنِّي إذا حَقَّقْتُ سِنِّي

قرع السن: كناية عن الندم

حتى انقضَى زمنُ الصِّبا		فخرجْتُ مِنْ حزنٍ لِحُزْنِ

ولقد صَحَوْتُ، وتُبْتُ عَنْ		خمرِ الهوى، وكَسَرْتُ دَنِّي

ووَقَفْتُ في بابِ الكريـ		ـمِ عَسَاهُ يَسمَحُ لي بِإذْنِ

تعليق أ. عبد الرحيم على البيتين الأخيرين: «عاليان جداً صوفياً»

١٣٠ الغائب ما له نائب

ما العقلُ إلَّا زِينةٌ		سبحانَ مَنْ أَخْلاكَ مِنْهُ

قُسِمَتْ على الناسِ العقو		لُ، وكانَ أمراً غِبْتَ عنهُ

١٣١ حيائي كافلي

أُحِبُّ مِنَ الأَشياءِ ما كانَ فائقاً		وما الدُّونُ إلَّا مَنْ يَميلُ لِدُونِ

كان أديب فلسطين خليل السكاكيني يتخذ هذا البيت شعاراً. تجد في الطبقات الوسطى ناساً كثيرين يشمخون ويتشبهون بالأثرياء، فلا يلبسون إلا ما غلا ثمنه، ولا يأكلون إلا أطيب طعام، كأنهم يصرخون بأعلى صوتهم: «نحن لا ننتسب إلى تحت، بل إلى فوق». ثم قد ترى الشاب الثري ثراء فاحشاً والفقير فقراً مدقعاً يأكلان من خشف الطعام ويلبسان الممزق. الطبقة الوسطى أتعبت كارل ماركس كثيراً

وأَهْجُرُ شُرْبَ الماءِ غيرَ مُصَفَّقٍ		زُلالٍ وأَكْلَ اللَّحمِ غيرَ سَمينِ

المصفق: المصفى، والزلال: الصافي، اللحم السمين: ذو الدهن، وكان مفضلاً قبل اختراع الكولسترول

وإنْ قيلَ لي هذا رخيصٌ تركتُه ولا أرْتَضي إلَّا بِكُلِّ ثَمينِ
إذا قلتُ قولاً كنتُ للقولِ فاعلاً وكانَ حيائي كافِلي وضَميني

١٣٢ دع الطابق مستوراً

ما قلتَ أنتَ ولا سمعتُ أنا هذا كلامٌ لا يَليقُ بنا
إنَّ الكرامَ إذا صحبتَهُمُ سَتَرُوا القبيحَ وأَظهَروا الحَسَنا

١٣٣ كاد..

لله غَانِيةٌ يوماً خَلَوْتُ بها في مَجلسٍ غابَ عنَّا فيهِ وَاشيها
كلٌّ لهُ حاجَةٌ مِنْ وَصْلِ صاحِبِه لولا يَسيرُ حياءٍ كادَ يقضيها
ولِلعيونِ رِسالاتٌ مُرَدَّدَةٌ تَدري القلوبُ مَعانيها ونُخفيها

١٣٤ عيون وأفواه

أَفْدي حَبيباً لِساني ليس يذكُرُهُ خوفَ الوُشَاةِ وقلبي ليس ينسَاهُ
والناسُ فينا ببعضِ القولِ قد لَهِجُوا لو صَحَّ ما ذَكَرُوا ما كنتُ آبَاهُ

لهجوا: تكلموا كثيراً، آباه: أرفضه

كادَتْ عيونُهُمْ بالبُغْضِ تَنطِقُ لي حتى كأنَّ عيونَ القومِ أفواهُ

١٣٥ كسر الجرة

وعَرَّضْتُمْ بأقوالٍ وما نَجهَلُ معنَاها
نَبَشْتُمْ بينَنا أشياءَ كُنَّا قد دَفَنَّاها
وكمْ جاءَتْ لنا عنكُمْ أَحاديثُ رَدَدْنَاها
وأَشياءُ رأَيْناها وقلنا ما رأَيْناها
فلا واللَّهِ ما يَحْسُنُ بينَ الناسِ ذِكْرَاها
قَرأْنا سُورةَ السُّلْوانِ عنكُمْ، بل حَفِظْناها

أي سلوناكم ونسيناكم

وما زِلتُمْ بَنا حتى جَسَرنا وفَعَلنَاها

فَرِجْلٌ تطلبُ المَسْعَى   إليكُمْ قد مَنَعْنَاها
وعينٌ تَتَمنَّى أنْ   تراكُمْ قد غَضَضْنَاها
ونفسٌ كلما اشتاقَتْ   لِلُقياكُمْ زَجَرناها
وكانتْ بينَنا طَاقٌ   فها نحن سَدَدْناها

طاق: نافذة

ولو أنَّكُمُ جنَّا   تُ عَدْنٍ مَا دَخَلْناها

١٣٦ في انتظارك.. وعلى مهلك

ولم أرَ مَنْ له حَالٌ كَحالِي   فَأعْرِفَ في الصَّبابَةِ لِي شَبيها
فَجُدْ بِرِضاكَ إن رِضاكَ عَنِّي   لَأعْظَمُ شَهْوَةٍ أنا أشتَهِيها
ولِي وَعْدٌ إلى سنةٍ فإنْ لم   يَكُنْ فيها، يَكُنْ فيمَا يَلِيها

١٣٧ غاب القط

رحلَ الواشونَ عنا   شَكَرَ اللَّهُ المَطايا

المطايا: الإبل التي ذهبت بهم

خَرجَتْ تلكَ الأحادِيـ   ـثُ التي كانتْ خَبَايا

برزت للعلن أحايث الغرام التي كانت مخبأة

وأتَتْنا رُسُلُ الأحـ   ـبابِ منهُمْ بِالهدايا
كان ما كان، ومنْهُ   بَعْدُ في النفسِ بَقَايا

١٣٨ شيء في الزاوية

قالوا كَبِرْتَ عنِ الصِّبَا   وقَطَعْتَ تلكَ النَّاحِيَةْ
فَدَعِ الصِّبَا لِرجَالِهِ   واخلعْ ثيابَ العَارِيَةْ

ثياب العارية: الثياب المستعارة

ونَعَمْ، كَبِرْتُ وإنَّما   تلكَ الشَّمائِلُ باقِيَةْ
ويَفوحُ مِنْ عِطْفَيَّ أنـ   ـفاسُ الشبابِ كما هِيَهْ

عطفي: جانبيّ

وَيَـمـيـلُ بـيِ نـحـوَ الـصِّـبَـا   قـلـبٌ رقـيـقُ الـحَـاشـيَـةْ
فـيـهِ مِـنَ الـطَّـرَبِ الـقـديـ   ـمِ بـقـيَّـةٌ فـي الـزَّاوِيَـةْ

«في الزاوية» هذه فيها ظرف كثير

١٣٩ امتطاء المعصية

وفَـرَسٍ عـلـى الـمـسـا   وِي كـلِّـهـا مُـحْـتَـوِيَـةْ
ولـيـس فـيـهـا خَـصْـلَـةٌ   واحِـدَةٌ مُـسْـتَـوِيَـةْ
مُـسْـتَـقْـبَـحٌ ركـوبُـهـا   مـثـلَ ركـوبِ الـمـعـصـيَـةْ

١٤٠ فرصة وضاعت

لـو تَـرانـي وحـبـيـبي عـنـدما   فَرَّ مثلَ الظبيِ مِنْ بينِ يَدَيّ
ومَـضَـى يَـعْـدُو وأَعْـدُو خـلـفَـه   وتَـرانـا قـد طَـوَيْـنـا الأَرضَ طَـيّ
قـالَ: مـا تـرجِـعُ عـنِّـي؟ قـلـتُ لا،   قـال ما تطلبُ مِنِّي؟ قلتُ: شَيّ
فـانـثَـنَـى يَـحْـمَـرُّ مِـنـي خَـجَـلاً   وثَـنَـاهُ الـتِّـيـهُ عَـنِّـي، لا إِلَـيّ
كِـدْتُ بـيـن الـنـاسِ أَنْ أَلْـثِـمَـهُ   آهِ لـو أَفْـعَـلُ، مـا كـان عَـلَـيّ؟

ألثمه: أقبّله

فهرس القوافي، البهاء زهير
(القافية، فرقم القطعة)

فهرس القوافي العام
(القافية متبوعة برقم القطعة، ثم اسم الباب)

أبواب الكتاب: ١ ابن الرومي ٢ ابن المعتز ٣ المتنبي ٤ أبو فراس ٥ المعري (سقط الزند)، ثم (اللزوميات) ٦ يتيمة الدهر ٧ دمية القصر ٨ البهاء زهير

تألق الشعر

تألق الشعر عصر المتنبي من ابن الرومي حتى سقوط بغداد

توهج الشعر العربي في ديواني ابن الرومي وابن المعتز، ثم خرج عليه من الصحراء المتنبي الذي قيل إنه أخمل ألف شاعر في عصره، أي أطفأ ذكرهم، لشهرته ولجودة شعره. لكنّ أبا فراس الحمداني كان شمساً إلى جانب الشمس، وتألق. وجاء أبو العلاء المعري بعد هذين الكبيرين فتألق. واستراح الشعر العربي عقوداً طويلة سمعنا فيها أصواتاً خافتة. وفي هذا الكتاب أنصتنا جيداً، واقتطفنا من شعر هؤلاء أطيبه، ثم جاء البهاء زهير فكان بلبلاً، تقرأ شعره فكأنه كُتب أول أمس.

وصادف أن مات البهاء زهير في السنة التي سقطت فيها بغداد بيد هولاكو، فكان شعره خاتمة عصر الشعر العربي القديم كله، وسننتظر مئات السنين حتى يبعث الشعر العربي من جديد على يد البارودي.

في هذا الكتاب مئات القصائد والقطع لعشرات الشعراء. عَصَرْنا الدواوين عصراً، واخترنا أجمل القصائد، وشرحنا ذلك كله شرحاً قصدنا فيه أن يكون ملائماً لقارئ معاصر، وقدمنا لكل شاعر بمقدمة عن حياته وعن شعره، وكنا في مقدماتنا نستطرد فنحدثك عن همومنا في زمننا هذا.

- كل باب مذيل بفهرس للقوافي، وفي آخر الكتاب فهرس عام لها.

- مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «تألق الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب.

- تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي. مهندس الصوت: محمد ماضي.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج
almashriq.books@gmail.com

